

في

معرفة أصول الدين

العلامة المحقق الجليل

السيد عبد الله شبر



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات



حق اليقين

في

معرفة أصول الدين

للعلامة المحقق الجليل

السيد عبد الله شبر

المتوفى عام ١٢٤٢ هـ

الجزء الاول

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة حياة المؤلف
السيد عبد اللّه شبر قدس سره

بقلم : العلامة الكبير الخطيب
السيد جواد شبر

أسـرتـه :

آل شبر أُسرة علوية يتصل نسبها بالإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وهي من أُسر العراق العلمية المشهورة ذكرها الداودي ـ النسابة الشهير المتوفى سنة ٨٢٨ ـ في كتابه : «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب»، وذكرها تفصيلاً البحاثة المعاصر العلامة الشيخ جعفر آل محبوبة في كتابه : «الأُسر العلوية» فقال : «آل شبر أُسرة عراقية قديمة وهي من أقدم الطوائف العلوية القديمة في العراق وأعرقها في العروبة، وأقدمها في الهجرة كان مقرّها الأصلي الحلة الفيحاء، ولم تزل بقيتهم بها حتى اليوم وبها عرفت. ومنها تفرعت كما ذكرهم في العمدة وبحر الأنساب، وهم ولد الحسن المعروف بـ «شبر» بن محمد بن حمزة بن أحمد بن علي برطلّة، كانوا قديماً يعرفون ببني برطلّة نسبة إلى علي المعروف ببرطلة ابن الحسين ويعرف بـ «القمي» ابن علي بن عمر ـ الذي شهد فخاً ـ ابن الحسن الأفطس. وكلّ شبّري حسيني يرجع إلى الحسن هذا ويعود إليه» . وأشهر الأُسر الحسينية الشبرية هي أُسرة السيد المترجم السيد عبد الله شبر المؤلف، وهي من الأُسر العلمية الأدبية، شريفة الجد كريمة الحسب كثيرة الانتشار في النجف والحلة والكاظمية والبصرة وبعض المدن العراقية الأُخرى .

وتوجد عند العلامة المفضال السيد عباس شبر ـ نزيل البصرة اليوم وقاضيها الشرعي، مشجرة كاملة لهذه الأُسرة[1] خططها الأُستاذ عبد الرزاق العائش الأديب البصري، وقد ذكر العلامة البحاثة الشيخ محمد السماوي المتوفى أول سنة

---

(١) وهناك أُسرة شبر الموسوية من أُسر العراق العريقة بالشرف ينتهي نسبها إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، وقد اشتهرت بالتجارة .

١٣٧٠ هـ رَحِمَهُ اللهُ هذه الأُسرة عندما عدد الأُسر العلمية في منظومته (وشي النجف) المطبوع في مطبعة دار النشر والتأليف سنة ١٣٦٠ هـ فقال :

وأُسـرة لشبـر الشـريـف   وجـامـع الشتـات بـالتصنيـف

مـن كـلّ فـرد فـاضـل قـد جمعـا   إلـى علـومـه التقـى والـورعـا

ولادتـه وتـربيتـه :

ولد المؤلف في النجف الأشرف سنة ١١٨٨ هـ وتربّى على يدي أبيه العلامة الكبير السيد محمد رضا، فنشأ على التقوى والصلاح وحبّ العلم والفضيلة منذ صغره، فقد عرف عنه أنه دعاه والده وهو بعد في ريعان شبابه وقال له : لا أُحل لك أن تتناول مما أُنفقه عليك ما لم تجتهد في الدرس والتدريس وتنفق أوقاتك في سبيل ذلك حتى اليوم الواحد فكانت هذه الكلمة لا تفارق سيدنا المترجم له حتى إنه شوهد وهو بين أترابه في مدرسته يبيع محبرته، ولما سئل عن ذلك قال : إني شغلت هذا اليوم بعارض صحي لم يمكنني معه من مواصلة دروسي فلم أجد ما يسوّغ لي أن أتناول من بيت أبي شيئاً وهذه الحادثة إن دلت على شيء فإنها تدل على التربية الدينية العالية التي نشأ عليها من ناحية الأخلاق الإسلامية وتغذيته بحبّ العلم، وهذا لا شك مما هيأه إلى أن يكون من عظماء علماء المسلمين وطبعه بطابع التقوى والصلاح وجعله في الرتبة العالية ممن يشار إليه بالبنان في كلّ ذلك .

أسـاتـذتـه :

مما يذكر من أساتذته أنه تخرّج أولاً على أبيه السيد محمد رضا ثم لازم حوزة العالم المتبحر السيد محسن الأعرجي صاحب «الوسائل» و «شرح الوافية» وتلمّذ على الشيخ الكبير وحيد العصر الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء .

منزلته العلمية :

أما السيد المترجم له ـ أعلى الله مقامه ـ من مشاهير العلماء الذين لهم الصيت الذائع في الفنون الإسلامية كلها فهو إلى جنب فقاهته التي هي الأصل في ثقافته معروف بتبحره في التفسير والحديث والكلام وغيرها، وله في كلّ ذلك مؤلفات شائعة هي في الطليعة من مؤلفات مشاهير العلماء وكفى أنه يعدّ في الحديث من أشهر مشايخ الإجازة في عصره وأكثر سلسلة الإجازات عند المتأخرين ترجع إليه، فكان في وقته مرجعاً كبيراً للطائفة

الإمامية من ناحية التقليد والتدريس والاستفادة العلمية وإجازة الحديث .

ولا تقف على نتاجه العلمي وتقرأ عدد مؤلفاته التي تنيف على السبعين وهو لم يتجاوز من عمره ٥٤ سنة حتى يتمثل لك في سعة التأليف وبراعته العلامة الحلي رحمه الله أو العلامة المجلسي ولا تجد نظيراً لهما غير سيدنا المترجم له .

وأمثال هؤلاء الأعلام لا يسمح بهم الزمن إلا في فترات متباعدة، وسنين متطاولة فيجمع منهم قوة الحافظة الخارقة إلى البراعة في سرعة التأليف النادرة إلى الحرص العظيم على وفرة الإنتاج العلمي، إلى الصبر والجلد على البحث والتدوين، إلى الذكاء المفرط، إلى دقة الملاحظة السريعة، إلى النشاط العقلي العجيب، إلى كلّ ما من شأنه من الصفات أن يخلق من صاحبها نابغة من نوابغ العلم وبطلاً من أبطاله .

ويتمثل لك هذا النبوغ العلمي العجيب كاملاً عندما تطلع على موسوعته الكبيرة في الحديث كتابه (جامع المعارف والأحكام) الذي لا يزال مخطوطاً. فإنه حوى جميع أخبار أهل البيت عليهم السلام بما يغني عن جميع كتب الأخبار على غرار موسوعة العلامة المجلسي ودائرة معارفه الموسومة بـ (بحار الأنوار) فإن السيد كان يحذو حذوه حتى لقبه أهل عصره بـ (المجلسي الثاني) غير أن المشهور عن الشيخ المجلسي قدس سره أنّ له لجاناً خاصة تسير حسبما يوجهها وتساعده على الاستكتاب والتنقيب، والسيد كان أُمة بنفسه[1] .

العلماء الذين كتبوا عنه :

كثير من أعلام التأليف ذكروا السيد وكتبوا عنه. منهم العالم الكبير الشيخ عبد النبي الكاظمي في كتابه (تكملة الرجال)[2] قال فيه : عبد الله بن محمد رضا الحسيني الشبري قرأت عليهما واستفدت منهما وهما ثقتان عينان مجتهدان فقيهان فاضلان ورعان حازا الخصال الحميدة. والسيد عبد الله حاز جميع العلوم الشرعية وصنف في أكثر العلوم من التفسير، والفقه، والحديث، واللغة، والأخلاق، والأُصولين وغيرهما فأكثر وأجاد وأفاد وانتشرت أكثر كتبه في الأقطار وملأت الأمصار ولم يوجد أحد قط مثله في سرعة التصنيف وجودة التأليف ولنذكر ما وقفت عليه من كتبه ثم ذكر له ٤١ مؤلفاً وقال : وهذا الكثير مع مواظبته على كثير من الطاعات كزيارة الأئمة والإخوان والنوافل وقضاء الحوائج إلى غير

---

(١) توجد من هذه الموسوعة في مكتبة سيدي الوالد تسعة مجلدات بالقطع الكبير بخط المؤلف .

(٢) توجد نسخة منه في مكتبة الإمام المصلح الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء وهي مخطوطة .

ذلك. وقال العلامة الحبر البحاثة الشيخ عباس القمي في كتابه : (سفينة البحار) :

المولى الأجل السيد عبد الله ابن السيد محمد رضا الشبريّ الكاظمي الفاضل الجليل والعالم النبيل والمتبحر الخبير والفقيه النبيه العالم الرباني المشتهر في عصره بالمجلسي الثاني صاحب شرح المفاتيح في مجلدات وكتابه : جامع المعارف والأحكام في الأخبار شبه (بحار الأنوار) وكتبٌ كثيرة في التفسير والحديث والفقه وأُصول الدين وغيرها. وقد ذكر مصنفاته شيخنا المتبحر في (دار السلام) ـ وحكي عنه أنه قال : ـ إن كثرة مؤلفاتي من توجه الإمام الهمام موسى بن جعفر فإني رأيته في المنام ـ ومن رآنا فقد رآنا فإن الشيطان لا يتمثل بصورنا ـ فأعطاني قلماً وقال : اكتب فمن ذلك الوقت وفقت لذلك، فكل ما برز مني فمن بركة هذا القلم . انتهى، وذكر في كتابه (الكنى والألقاب) ما يقارب هذا. وبعد هذا فلا يعجب الإنسان من حياة هذا السيد وهو لم يتجاوز عمره ٥٤ عاماً ويصدر منه مثل هذه المؤلفات الضخمة الواسعة ولا نستكثر هذه البركة في الوقت والوفرة في عالم التأليف حتى رأيناه في بعض رسائله يقول : إني شرعت بهذا عند العشاء وتمّت عند نصف الليل وقد نظم العلامة السماوي رحمه الله هذه الكرامة ـ أعني كرامة اليراع ـ في كتابه (صدى الفؤاد إلى حمى الكاظم والجواد) فقال في الفصل الذي ذكر فيه معاجز الإمام الكاظم عليه‌السلام :

وذكـر النـوري أيضـاً أُخـرى	تتلـو اللتيـن قـد عـددتُ فخـرا
قـال إن السيـد الحبـر السـري	ذا الفضـل عبـد اللَّـه آل شبـري
قيـل لـه مـا بلغـت فـي التصنيـف	مـا ليـس فـي الطـاقـة والتكليـف
فكيـف ذا وأنـت فينـا كهـل	ولـم تصنـف ذا وأنـت طفـل
وكـان قـد صنـف مـا بيـن الفئـة	مـا بلغـت أسمـاؤهـا نحـو مئـة
كـل مصنـف مجلـدات	أجـزاؤه بهـا معـددات
بحيـث لـو أنَّ الفتـى المعمـرا	ينسـج مـا صنـف منهـا قصـرا
فقـال جـاورت إمـامـي الهـدى	وكنـت فـي رضـاهمـا مجتهـدا
وقـد طلبـت منهمـا بـأن أرى	فـي علـم أهـل البيـت فـرداً فـي الـورى
فطـاف بـي الكـاظـم ليـلاً حلمـا	وقـال خـذ منـي إليـك قلمـا
واكتـب بـه مـا شئـت مـن كتـاب	يجمـع للفصـول والأبـواب
ثـم انتبهـت وبكفـي قلـم	أكتـب مـا شئـت بـه وأرقـم
يسـرع مشيـاً ويـروق وشيـاً	فـالعـدو لا يلحـق منـه المشيـا

وكنـــت لا أُســـرع بـــاليـــراع ولا أُراعيـــه كمـــن يـــراعـــي
فصـرت مـن بعـد بهـذي الحـالـة بـــلا شمـــاتـــة ولا مـــلالـــة
لـــي خـــاطـــر يـــوري وحفـــظ يـــروي وقلـــم يكتـــب لـــي مـــا أحـــوي
فهـــل عجيـــب أن تـــروا مـــن كتبـــي مـــا ليـــس يستنســـخ طـــول الحقـــب

وكتب عنه السيد الخونساري في (روضات الجنات) وعدد مؤلفاته. كما كتب عنه العلامة الشيخ علي كاشف الغطاء في (الحصون المنيعة) والمرحوم السيد حسن الصدر في كتابه (تكملة أمل الآمل) ولسيدنا الكبير ذكر في كتب أُخرى كثيرة.

مـؤلفـاتـه :

١ ـ (كتاب الحق اليقين في معرفة أُصول الدين) عالج هذا الموضوع بالأدلة العقلية والنقلية طبع بمطبعة العرفان لبنان ـ في جزءين سنة ١٣٥٣ هجرية[1].

٢ ـ تفسير القرآن باسم (الوجيز) طبع في طهران في مطبعة المجلس الملي على نفقة وزير الأوقاف الإيرانية سنة ١٣٥٢ هجرية وعدد صفحاته ١٢٣٩.

٣ ـ الأنوار اللامعة في شرح الجامعة طبع في النجف الأشرف بمطبعة الغري سنة ١٣٥٤ وعدد صفحاته ١٣٣.

٤ ـ أحسن التقويم فيما يتعلق بالنجوم على حسب ما ورد في الشرع الأقدس طبع أولاً بمطابع بمبي وثانياً وثالثاً في مطابع النجف.

٥ ـ مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار.

٦ ـ رسالة أخلاقية طبعت في مطابع بمبي.

٧ ـ فقه الإمامية وهي رسالة عملية.

٨ ـ جامع المعارف والأحكام جمع فيه أحاديث الأصولين والفقه من الكتب الأربعة يشتمل على ٢٠ مجلداً. ـ ١ ـ في التوحيد. ـ ٢ ـ في المبدأ والمعاد. ـ ٣ ـ في الأُصول الأصلية. ـ ٤ ـ في قصص الأنبياء. ـ ٥ ـ في أحوال خاتم الأنبياء. ـ ٦ ـ في القرآن والدعاء. ـ ٧ ـ في الطب المروي. ـ ٨ ـ في المواعظ والرسائل والخطب. ـ ٩ ـ فيما

(١) وقد طبع هذا السفر القيم عدة مرات في كل من العراق وايران وقد تصدت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات في بيروت لطبعه وأخراجه بأسلوب جديد وحلة رائعة.

يتعلق بالنجوم. ـ ١٠ ـ في الطهارة. ـ ١١ ـ في الصلاة. ـ ١٢ ـ في الزكاة والخمس والصوم. ـ ١٣ ـ في الحج. ـ ١٤ ـ في الزيارات. ـ ١٥ ـ في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ـ ١٦ ـ في المطاعم والمشارب إلى الغصب. ـ ١٧ ـ في الغصب والمواريث إلى الديات. ـ ١٨ ـ في النكاح. ـ ١٩ ـ في المعاملات. ـ ٢٠ ـ في الخاتمة الرجالية.

٩ ـ مصباح الظلام في شرح مفاتيح شرائع الإسلام كتاب ضخم يحتوي على عدة مجلدات فيه ما لذ وطاب.

١٠ ـ المصباح الساطع أيضاً في شرح المفاتيح ولكنه أخصر من الشرح السابق يحتوي على ستة مجلدات.

١١ ـ جلاء العيون في أحوال المعصومين عليهم السلام من مبدأهم إلى خاتمهم وهو كتاب ضخم جداً.

١٢ ـ مثير الأحزان في تعزية سادات الزمان.

١٣ ـ البلاغ المبين في أُصول الدين.

١٤ ـ صفوة التفاسير كتاب جليل في تفسير القرآن الشريف أربعة مجلدات.

١٥ ـ شرح نهج البلاغة مجلد ضخم بالقطع الكبير بأسلوب عالٍ.

١٦ ـ زينة المؤمنين وأخلاق المتقين.

١٧ ـ عجائب الأخبار ونوادر الآثار.

١٨ ـ الدرر المنثورة والمواعظ المأثورة عن الله تعالى والنبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام والحكماء.

١٩ ـ أنوار الساعة في العلوم الأربعة معارف وأخلاق وعجائب المخلوقات.

٢٠ ـ المواعظ المنثورة مقتطفات في الحكم والأخلاق.

٢١ ـ نهج العارفين في الأخلاق «فارسي».

٢٢ ـ رسالة في عمل اليوم والليلة.

٢٣ ـ رسالة في حجية خبر الواحد من الأخبار.

٢٤ ـ أعمال السنة «مزار» على نمط زاد المعاد للعلامة المجلسي.

٢٥ ـ ذريعة النجاة في تعقيب الصلاة.

٢٦ ـ رسالة في حجية العقل وفي الحسن والقبح العقليين .

٢٧ ـ رسالة في تكليف الكفار بالفروع .

٢٨ ـ علم اليقين في طريقة القدماء والمحدثين .

٢٩ ـ الجوهرة المضيئة في الواجبات الأصلية والفرعية .

٣٠ ـ الرسائل الخمس الاستدلالية في العبادات .

٣١ ـ سفينة النجاة .

٣٢ ـ الشهب الثاقبة .

٣٣ ـ تحفة الزائرين .

٣٤ ـ نخبة الزائر .

٣٥ ـ زاد الزائرين كتاب فارسي .

٣٦ ـ ذريعة النجاة .

٣٧ ـ أنيس الذاكرين .

٣٨ ـ روضة العابدين في مجلدين الأول فيما يتعلق بعمل اليوم والليلة وأدعية الأسبوع وسائر ما يحتاج إليه والثاني في أعمال السنة .

٣٩ ـ قصص الأنبياء .

٤٠ ـ المزار يجمع بين شرحي العربي والفارسي .

٤١ ـ تسلية الفؤاد في الموت والمعاد .

٤٢ ـ تسلية الحزين في فقد الأقارب والبنين .

٤٣ ـ تسلية الفؤاد في فقد الأحبة والأولاد .

٤٤ ـ منهج السالكين في علم الأخلاق .

٤٥ ـ صفاء القلوب في الأخلاق .

٤٦ ـ كشف المحجة في شرح خطبة الزهراء .

٤٧ ـ كشف الحجاب للدعاء المستجاب في شرح دعاء السمات .

٤٨ ـ تحفة المقلد رسالة فتوى من أول الفقه إلى آخره .

٤٩ ـ زبدة الدليل رسالة استدلالية في الفقه .
٥٠ ـ خلاصة التكليف في الأُصول والعبادات .
٥١ ـ مطلع النيرين في لغة القرآن وحديث أحد التفلين .
٥٢ ـ منية المحصلين وأحقية طريقة المجتهدين .
٥٣ ـ طب الأئمة عليهم السلام .
٥٤ ـ إرشاد المستبصر رسالة في الاستخارة .
٥٥ ـ البرهان المبين في فتح أبواب علوم الأئمة المعصومين .
٥٦ ـ بغية الطالبين في صحة طريقة المجتهدين .
٥٧ ـ الجوهرة المضيئة في الطهارة والصلاة .
٥٨ ـ رسالة في الحج .
٥٩ ـ المهذب في الأخلاق .
٦٠ ـ رسالة فيما يجب على الإنسان .
٦١ ـ رسالة في فتح باب العلم والرد على من يزعم انسداده .
٦٢ ـ شرح الحقائق في الأحكام. لم يكمل .
٦٣ ـ الدر المنظوم في مشكلات العلوم. لم يكمل .
وهناك حواشٍ واختصار لبعض هذه المطولات يطول بذكرها المقام .

كيف اشتهر العلامة شبر بالحديث :

إن الفكرة التي يأخذها الباحثون عنه هي الحديث فقط وكأنها أبرز صفاته التي اشتهر بها ويروي لنا تلميذه السيد الجليل العلامة السيد محمد معصوم في رسالة كتبها عن حياته : إن جلساءه كثيراً ما كانوا يمتحنونه بقراءة متن الرواية ويقطعون السند وهو تغمده الله برحمته يسترسل بسلسلة السند حتى يوصله بالإمام من أهل البيت صلوات الله عليهم. وقد تكرر ذلك منه ومنهم حتى تجاوز حد الإحصاء. وهذه الأُحدوثة تفهمنا أنه كان ذا عارضة قوية وحافظة شديدة واطلاعاً واسعاً .

والحقيقة أنه لم تكن في ميزاته الباقية ضعف عن هذه، غير أنه تعاهد هذه الناحية ونماها حتى ظهرت عليه بارزة لأمر لا يخفى على كل من ألمّ خبرة بذلك العصر ونزعاته وها هو ذا الأستاذ العلامة فضيلة الشيخ محمد رضا المظفر يحدثنا في مقدمة جامع السعادات عن القرن الثالث عشر وتولد النزعات فيه فيقول : وهذه الأخيرة خاصة ـ ويعني الأخبارية ـ ظهرت في ذلك القرن قوية مسيطرة على التفكير وتدعو إلى نفسها بصراحة لا هوادة فيها حتى إن الطالب الديني أصبح يجاهر بتطرفه ويغالي فلا يحمل مؤلفات العلماء الأصوليين إلا بمنديل خشية أن تنجس يده من ملامسة حتى جلدها .

قال : ومن جهة أُخرى يحدث رد فعل لهذا الغلو فينكر على الناس أن يركنوا إلى العقل وتفكيره ويلتجىء إلى تفسير التعبد بما جاء به الشرع الأقدس بمعنى الاقتصار على الأخبار الواردة في الكتب الموثوق بها في كل شيء والجمود على ظواهرها. ثم يدعو الغلو هؤلاء أن كل تلك الأخبار مقطوعة الصدور على ما فيها من اختلاف ثم يشتد بهم الغلو فيقولون بعدم جواز الأخذ بظواهر القرآن وحده من دون الرجوع إلى الأخبار الواردة ثم ضربوا بعد ذلك بعلم الأُصول عرض الجدار بادعاء أن مبانيه كلها عقلية لا تستند إلى الأخبار، والعقل أبداً لا يجوز الركون إليه في كل شيء ثم ينكرون الاجتهاد وجواز التقليد. انتهى .

وكانت بلاد الكاظمية وهي من المراكز الدينية المرموقة من الأقطار الشيعية قد أوشكت أن تصبح قاعدة من القواعد الأخبارية فوجب والحال هذه أن تلمع شخصية العلامة شبر وهي شخصية علمية منظورة متسلحة بقوة الإرادة فعمدت لهذا التيار وصدت تلك الشبهات من أقرب الطرق وهي الإحاطة بالأخبار والتعمق فيها لتكون الحجة آكد والدليل ألزم فكانت حرباً فكرية من غير تهريج وضجيج فرجل يفوقهم في الإحاطة بالأخبار ويجمع شاردها وواردها ويميز صحيحها من سقيمها وظاهرها من مدخولها مضافاً إلى أنهم معترفون له بالإحاطة والتخصص ثم يخالفهم في مسالكهم ويكتب في نقدهم مثل رسالة «زبدة الدليل» في الفقه الاستدلالي ورسالة «منية المحصلين وأحقية طريقة المجتهدين» ورسالة «فتح باب العلم والرد على من يزعم انسداده» ورسالة «بغية الطالبين في صحة طريقة المجتهدين» كم ترى من الأثر لهذا المجاهد المناضل عن فقه آل محمد وكم أثر الموقف عندما يطوي المهاجم على نفسه .

لقد كان سيدنا المترجم يعرف في الكاظمية بـ «ابن صاحب الدعوة المستجابة» كما

حدّث العلامة السيد محمد معصوم في رسالته[1] عن كرامة السقيا التي شرف الله بها السيد محمد رضا الشبر واستجابة دعائه في تلك السنة المجدبة. يصدر الأمر من والي العراق في العهد العثماني وهو يومئذ سعيد باشا إلى جميع أهالي بغداد بالصيام ثلاثاً وأن يخرجوا في اليوم الرابع مبتهلين طالبين الغيث ولكنهم رجعوا بنهار مشمس وعندها يأمر السيد الكبير أهالي الكاظمية بالصيام ثلاثاً وفي الرابع يخرج حافياً وتندفع الكاظمية بأسرها خلفه وأصوات المبتهلين تهز الجو وتملأ الفضاء والسيد يردد دعواته فتجيبه أصوات الألوف مؤمنة على دعائه حتى انتهى إلى مسجد (براثا) الجامع الأثري المشهور وصلى وتضرع إلى الله باكياً وما أتم دعواته حتى تراكمت السحب وتوالى الرعد والبرق وأرخت السماء عزاليها فسقت أراضي العراق عامة فعاد السيد الرضا يخوض الماء فكانت له كرامة يتحدث الناس بها وتعظم منزلته لدى الوالي.

تلامذته والرواة عنه:

تخرج على يده الكثير من فطاحل العلماء من عرب وعجم نخص منهم بالذكر ما وقع بين أيدينا:

١ ـ العالم التقي الشيخ عبد النبي الكاظمي صاحب (شرح المنظومة) في أُصول العقائد و (تكملة الرجال).

٢ ـ العلامة الألمعي الشيخ إسماعيل ابن الشيخ أسد الله صاحب (المنهاج) وغيره.

٣ ـ المولى المدقق السيد علي العاملي شارح (المنظومة) للسيد بحر العلوم.

٤ ـ الفاضل الشيخ محمد رضا ابن الشيخ زين الدين شارح (شرائع الإسلام).

٥ ـ المحقق السيد هاشم آل المرحوم السيد راضي مؤلف رسالة «التقليد» «الحج» وحجية الكتاب.

٦ ـ السيد الشريف السيد محمد علي خلف السيد كاظم ابن العلامة السيد محسن الأعرجي.

٧ ـ الحجة الشيخ حسين محفوظ العاملي.

---

(١) هو السيد محمد معصوم الشهير بالقصير من أفاضل الفقهاء ذكره صاحب كتاب قصص العلماء وأثنى عليه وله مصنفات جليلة تجدون أحواله مفصلة في كتاب (الوديعة في علماء الشيعة) ومن مؤلفاته رسالة عن حياة المترجم السيد عبد الله شبر.

٨ ـ الورع الشيخ أحمد البلاغي .

٩ ـ الفقيه الشيخ محمد إسماعيل الخالصي .

١٠ ـ العالم الشيخ مهدي ابن الشيخ أسد الله .

١١ ـ الشيخ المدقق الشيخ محمد جعفر الدجيلي .

١٢ ـ البحاثة الفاضل السيد محمد معصوم .

وفـــاتـــه :

كانت وفاة سيدنا في المشهد الكاظمي سنة ١٢٤٢ هجرية فوقفت هذه الحركة العلمية والحياة الخصبة وما كاد يشيع النبأ حتى تجاوبت الأقطار بنعيه أسفاً وحزناً وفي الرسالة التي كتبها السيد محمد معصوم وصفاً وافياً للفاتحة التي أقامها رئيس المذهب الشيخ صاحب (جواهر الكلام) في النجف الأشرف وما قيل فيها من الرثاء وكذا كربلا والحلة وسائر مدن إيران وأرخ العلامة السماوي سنة وفاته فقال : في كتابه (صدى الفؤاد) عند ذكر الذين فازوا بجوار الإمامين الكاظمين :

وكـالشـريـف ذي التصـانيـف السـري	والفضــل عبــد اللّــه نجــل شبــري
جـــامـــع أخبـــار الهـــداة البـــررة	فـــي صحـــف مـــرفـــوعـــة مطهـــرة
أوضـــح بـــالتـــأليـــف كـــل معضـــل	وأرخـــوا (فـــاز ببـــر مفضـــل)

دفن مع والده المبرور في الحجرة الشرقية الواقعة في رواق الإمامين فيكون عمره ٥٤ سنة .

النجف الأشرف ٢٦/ ٥/ ١٩٥١

جواد شبر

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

إذا ما خفت تسقط عن عثار ... بمزلق هوّة وضلال دين

وجدت به الدلائل واضحات ... إذا شاهدته حق اليقين

الحمد لله الذي تقدس عن إدراك الإفهام وجل وعلا عن إحاطة العقول والأوهام، الذي حارت لطائف الأوهام في بيداء كبريائه وعظمته، ولم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته، الذي ترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة حيرى، ولم يجعل لمرقى أقدام العقول إلى عظمته مجرى، والصلاة على سيد العارفين وأفضل المرسلين وخير النبيين ومن كان نبياً وآدم بين الماء والطين محمد وآله المعصومين، الذين هم محال معرفته ومعادن حكمته الداعين إليه والدالين عليه معادن المعارف والحقائق وكنوز العلوم والدقائق الذين من ركب سفن هدايتهم نجا، ومن تخلف عنها زل وضل وهوى .

أما بعد : فيقول العبد المذنب العاصي الغريق في بحار الآثام والمعاصي أفقر الخلق إلى ربه الغني عبد الله بن محمد رضا الحسيني تفضل الله عليهما بكمال الإيمان والايقان والعرفان وختم لهما بالسعادة الأبدية والرضوان، هذه تحقيقات شافية وتدقيقات وافية ومهمات كافية قد تضمنت معرفة الإيمان بالله، واليوم الآخر، وأُصول الدين ومعارف اليقين، وسائر أُصول الفرقة المحقة والطائفة الحقة، بالبراهين القطعية والأدلة اليقينية ومحكمات الآيات القرآنية والأخبار المعصومية والشواهد العلمية، قد جمعت بين المعقول والمنقول ويحق أن تذعن لها أرباب الأذهان والعقول وأن تسمى بالحق اليقين في معرفة أُصول الدين، وقد رتب على خمسة أبواب وفصول وخاتمة والتوفيق من الله مأمول .

المؤلف

كتاب التوحيد

الفصـل الأول

الاقرار بوجود الله تعالى

إعلم أن وجوده تعالى لكمال ظهوره وغاية وضوحه أجلّ من أن يحتاج إلى بيان، وأوضح من أن يتوقف على دليل وبرهان. فإن العيان يغني عن البيان والوجدان يكفي عن الشاهد والبرهان، ومن تأمل حق التأمل في الشمس والقمر والرياح والسحاب والأمطار والجبال والبحار والأشجار والاثمار واختلاف الليل والنهار وسائر ما يحدث فيهما من غرائب صنع الله تعالى وآثار رحمته، يعلم علماً قطعياً ويجزم جزماً بديهياً ان تلك الغرائب وهاتيك العجائب وهذه الموجودات وتلك المصنوعات واختلاف تلك الحركات واجتماع تلك العناصر المختلفات، لم توجد بغير صانع قديم عليم حكيم أبدي سرمدي قدير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. إذ لو كان منها أو مثلها لاحتاج إلى خالق آخر كما احتاجت إلى ذلك، ولم يستقم وجوده إلا بما هنالك.

فواعجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

بل إذا تأمل الإنسان في خلق نفسه فضلاً عن سائر أنواع الحيوان، كيف أودع في الاصلاب بعد أن خلق من تراب، ثم قر في الأرحام نطفة ثم صار علقة ثم صارت العلقة مضغة ثم صارت المضغة عظاماً ثم كسيت العظام لحماً ثم صار خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم أخرجه من بطن أمه في خلق حسن وصنع محكم متقن وأسلوب عجيب ووضع غريب، جعل له عينين ولساناً وشفتين وصماخاً واذنين ويدين ورجلين وهداه النجدين، علم علماً قاطعاً وتيقن يقيناً ساطعاً أن له موجداً صانعاً، فحق على كل عاقل لبيب وفرض أن يقول أفي الله شك فاطر السماوات والأرض. وإن أردت وضوح الدليل وطلبت إيضاح السبيل فاستمع لما يتلى عليك من الدلائل العقلية والبراهين القطعية

والشواهد اليقينية التي نطقت بها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأخبار المعصومية. ولا تظن أنها في هذا الباب لا يجوز التعويل عليها والاعتماد والركون إليها. فإنها كما أشرنا براهين قطعية ودلائل عقلية ضرورية يشهد بها العيان ويحكم بها الوجدان، فليست بأدون مما برهنه الحكماء والمتكلمون، ولا بأضعف مما رقمه الاشراقيون والمشاؤون فإنك إذا تأملت في معانيها وتدبرت في مبانيها وجدتها دلائل قاطعة وبراهين ساطعة على وجود الصانع بل وحدته وسائر صفاته.

١ ـ الأدلة الكونية على وجود اللّه تعالى:

قال تعالى: **﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾**[1].

أي **﴿إن في خلق السماوات﴾** على هذا الوضع العجيب والنمط الغريب، وما فيها من الشمس والقمر والنجوم الثوابت والسيارات وحركاتها المختلفة كمّاً وكيفاً وجهة **﴿الأرض﴾** على حجمها وثقلها ورسوبها في الماء وتوسطها بين الصلابة والرخاوة، لتكون مأوى أنواع الوحوش ومسكن أصناف الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت أخشابهم واحطابهم، وما فيها وعليها من المياه والجبال والمعادن ونحوها من منافع الخلق التي تعجز عن إدراكها العقول، وكرويتها الموجبة لاختلاف الآفاق والطوالع والطلوع والغروب، واختلاف الأقاليم واهويتها الموجبة لاختلاف أمزجة سكانها واهليها وأخلاقهم وألوانهم.

﴿واختلاف الليل والنهار﴾ أي تخالفهما وتعاقبهما بأن يذهب أحدهما ويجيء الآخر خلفه، واختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان ودخول كل منهما في الآخر ولاختلافهما فوائد ومنافع للخلق.

﴿والفلك﴾ أي السفن **﴿التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾** من المحمولات والمجلوبات وغوص اللئالي ووضع السفن على هذا الشكل المخصوص الذي يدخل فيه الهواء ولا يغوص في الماء، وحمله للأمتعة الكثيرة وأصناف الحيوانات التي لا يمكن

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ١٦٤.

انتقالها بغيره وجريه في الماء بسوق الرياح وجعل البحر متوسطاً بين الكثيف واللطيف إذ لو كان لطيفاً مثل الهواء لغاص الفلك فيه ولو كان كثيفاً مثل الأرض لما مشي عليه .

﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾ حيث ينزل المطر متقاطراً متعاقباً ولو نزل متصلاً دفعة لأضر كلما يصيبه ونزوله في وقت دون آخر إذ لو دام نزوله لتعفنت البقول والنباتات واسترخت أبدان الناس والحيوان وفسد الهواء واحدثت ضروباً من الأمراض والوباء وأفسد الطرق والبناء. ولو دام الصحو جفت الأرض واحترق النبات وغيض ماء العيون والأنهار ويبست الأشجار وحدث القحط والجدب والأمراض وهلكت الأرض ومن عليها وما فيها ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ من الزروع وسائر النباتات .

﴿وبث فيها من كل دابة﴾ مختلفة في الطبائع والأخلاق والأشكال والإدراك والحواس، والحركات والمنافع والاهتداء إلى طرق المعاش (فمنها) ما يمشي على بطنه كالحيات (ومنها) ما يمشي على رجلين كالإنسان (ومنها) ما يمشي على أربع كالفرس (ومنها) ما يمشي على أكثر كبعض الحشرات (ومنها) ما يمشي تارة ويطير أُخرى كالطير (ومنها) ما يدخر قوته بحيلة وتدبير كالعنكبوت والنملة (ومنها) ما يطلب قوته عند الحاجة كالطير فإنها تذهب خماصاً وتعود شباعاً (ومنها) ما في خلقه صنع عجيب كالبعوضة فإنها مع صغرها على هيئة الفيل مع زيادة الجناحين (ومنها) ما لا يحتاج إلى بيت حيث كان من الأرض (ومنها) ما يبني بيتاً على شكل عجيب وطرز غريب لا يهتدي إليه المهرة من المهندسين كالنحل .

أما الإنسان فإنه إذا تأمل في نفسه عرف ربه، فليعتبر حاله نطفة في الرحم وصيرورته جنيناً حيث لا تراه عين ولا تناله يد مع اشتماله على جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح وسائر الأعضاء وهو محجوب في ظلمات ثلاث : ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، ولا حيلة له ولغيره في طلب غذائه ودفع أذاه، فيجري إليه من دم الحيض ما يكون له غذاء فلا يزال غذاءه حتى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوي جلده على مباشرة الهواء وبصره على ملاقاة الضياء، هاج الطلق بأمه فأزعجه أشد إزعاج حتى يولد، فإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه في الرحم إلى ثدي أُمه وانقلب طعمه ولونه إلى ضرب آخر من الغذاء، فإذا جاع حرك شفتيه وألهم التقام ثدي أُمه الذي خلق على ذلك الشكل الغريب والطرز العجيب وجعل ينضح كلما مصه ولو جرى لاختنق الصبي، وجعل متعدداً ليكون واحداً طعاماً والآخر شراباً فلا يزال يتغذى باللبن ما

دام رطب البدن رقيق الامعاء لين الأعضاء، حتى إذا قوي واحتاج إلى غذاء فيه صلابة طلعت له الطواحين من الأسنان والأضراس ليمضغ بها الطعام فيلين عليه وتسهل له إساغته، فلا يزال كذلك حتى يدرك.

وتأمل في كيفية تدبير البدن ووضع هذه الأعضاء وتلك الأوعية، وفكر في اعضاء البدن وتدبيرها للأُمور، فاليدان للعلاج والرجلان للسعي، والعينان للاهتداء، والفم للاغتذاء، واللسان للتكلم والحنجرة لتقطيع الصوت وتحصيل الحروف، والمعدة للهضم والكبد للتخليص، والمنافذة لتنفيذ الفضول، والأوعية لحملها، والفرج لإقامة النسل، فتبارك الله أحسن الخالقين. وشرحُ عجائب ما أودع في خلق الإنسان من عجائب التدبير وغرائب التقدير يحتاج إلى مجلدات كثيرة.

﴿وتصريف الرياح﴾ في مهابها صباء ودبوراً وشمالاً وجنوباً وفي أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقماً ولواقح، وجعلها تارة للرحمة يرحم بها من أطاعه وتارة للعذاب يعذب بها من عصاه. وما فيها من الفوائد حيث إن الريح تحيي الأبدان وتمسكها من داخل بما تستنشق منها ومن خارج بما تباشرها من روحها، وتبلّغ الأصوات وتؤديها إلى المسامع، وتلقح الشجر وتسيّر السفن، وغير ذلك من الفوائد التي لا تحصى.

﴿والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾ بحيث يحمل الماء مستقلاً في الهواء مع اجتماعه بعد تفرقه وتفجره بعد تمسكه وارتفاعه مرة ودنوه أُخرى **﴿لآيات لقوم يعقلون﴾**.

وقال تعالى: **﴿إن في اختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح لآيات لقوم يعقلون﴾**. وقال تعالى: **﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾** أي بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها حجر وبعضها رمل وبعضها أسود وبعضها أبيض وبعضها معدن الجواهر المختلفة كالياقوت والعقيق والفيروزج والزبرجد والذهب والفضة، وبعضها معدن النحاس والرصاص والحديد والقير ونحوها مما يستعمله الناس في مآربهم. هذا كله مع اتحاد الطبيعة الأرضية **﴿وجنات﴾** جمع جنة وهي البستان سميت بها لاجتنانها أي استتارها بالأشجار والأغصان والأوراق **﴿من أعناب وزرع ونخيل صنوان﴾** أي نخلات أصلها واحد وهو إن تطلع نخلتان من عرق واحد، **﴿وغير صنوان﴾**. وهذا الاختلاف ليس من جهة الطبيعة والصورة لأنه يسقى بماء واحد في الطبيعة والصورة. **﴿ونفضّل بعضها على بعض في الأكل﴾**، أي في المقدار والكم والكيف والطعم والريح، **﴿ان في ذلك﴾** المذكور

﴿لآيات﴾ على وجود الصانع وقدرته وعلمه وحكمته وسائر صفاته ﴿لقوم يعقلون﴾ .

وقال تعالى : ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزّل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ان في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبثُّ من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فاحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آياتٍ لقوم يعقلون﴾[2] . والآيات في ذلك كثيرة .

٢ ـ الأحاديث الواردة عن الأئمة عليهم السلام :

قال الديصاني للصادق عليه السلام دلني على معبودي : فقال له اجلس وإذا غلام له صغير وفي كفه بيضة يلعب بها فقال عليه السلام : ناولني يا غلام البيضة فناوله إياها فقال له عليه السلام : يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبة مايعة وفضة ذائبة فلا الذهبة المايعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المايعة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل فيها داخل مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدري أ للذكر خلقت أم للأُنثى تنفلق عن مثل ألوان الطواويس أترى لها مدبراً. قال فأطرق ملياً ثم قال: أشهد أن لا إلّه إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأنك إمام وحجة من الله على خلقه وأنا تائب مما كنت فيه .

وقيل للرضا عليه السلام يا ابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم فقال عليه السلام : إنك لم تكن ثم كنت، وقد علمت أنك لم تكوّن نفسك ولا كوّنك من هو مثلك .

وقال عليه السلام في حديث آخر : إني لما نظرت إلى جسدي ولم يمكني فيه زيادة ولا

---

(١) سورة الروم؛ الآيات: ٢٠ ـ ٢٥ .

(٢) سورة الجاثية؛ الآيات: ٣ ـ ٥ .

نقصان في العرض والطول ودفع المكاره عنه وجر المنفعة إليه علمت أن لهذا البنيان بانياً فأقررت به مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته وإنشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الآيات العجيبات المبينات علمت أن لهذا مقدِّراً ومنشئاً .

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام بماذا عرفت ربك قال بفسخ العزائم ونقض الهمم، لما هممت فحيل بيني وبين همي، وعزمت فخالف القضاء والقدر عزمي، علمت أن المدبر غيري .

وفي جامع الأخبار سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن إثبات الصانع فقال عليه السلام : البعرة تدل على البعير والروثة تدل على الحمير وآثار القدم تدل على المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة لا يدلان على اللطيف الخبير. ونحوه محكي عن الأعرابي .

وسئلت عجوز عن الدليل على وجود الصانع فقالت : دولابي هذا فإني إن حركته تحرك وإن لم أُحركه سكن. وإلى هذا أُشير في الحديث عليكم بدين العجائز .

وعن بعض الفضلاء أنه لما أراد أن يكتب رسالة في إثبات الواجب قالت له امرأته ما تكتب، قال رسالة في إثبات الواجب، فقالت له أفي الله شك فاطر السماوات والأرض فترك تأليف ما أراد .

وحكي أنه كان لبعض الملوك شك في وجود الصانع وكان قد تنبه منه وزيره ذلك، وكان الوزير عاقلاً فأمر ببناء قصور عالية وإجراء مياه جارية وإحداث بساتين عامرة وأشجار وأنهار سائرة في مفازة من الأرض من غير أن يعلم الملك ذلك، ثم ذهب الوزير بالملك إلى ذلك المقام على سبيل المرور في بعض الأيام، فلما رأى الملك ذلك سأل الوزير وقال : من بنى هذا وفعله. فقال الوزير إنه حدث من تلقاء نفسه وليس له بانٍ وصانع، فغضب الملك عليه لقطعه بأن ذلك محال لا يكون، فقال له الوزير يطوّل عمرك أيها الملك إن كان وجود هذا البناء بلا بانٍ ممتنعاً فكيف يصح هذا البناء العظيم أعني الأرضين والسماوات وما فيهن من العلويات والسفليات بلا فاعل وصانع، فاستحسن الملك كلامه وتنبه وزال الشك عنه .

٣ ـ الايمان فطري بوجود اللّه تعالى :

أقول: وأنت إذا تأملت ذلك وتدبرت فيما هنالك اتضحت لك حقيقة الحال وزالت عنك غياهب الإشكال واستغنيت عما ذكره المتكلمون في كتبهم الكلامية من بسط الكلام واتساع دائرة النقض والإبرام. فإنك تجد من نفسك بغير إشكال كما قال بعض الأبدال إنك لم تخلق روحك ولا جسدك ولا حياتك ولا عقلك ولا ما خرج من اختيارك من الآمال والأحوال والآجال، ولا خلق ذلك أبوك ولا أُمك ولا من تقلبت بينهم من الآباء والأُمهات. لأنك تعلم يقيناً أنهم كانوا عاجزين عن هذه المقامات، ولو كانت لهم قدرة على تلك الماهيات ما كان قد حيل بينهم وبين مرادهم وصاروا من الأموات.

فلم تبق مندوحة أبداً عن وجود صانع واحد منزه عن إمكان الحادثات، قد خلق هذه الموجودات التي قد كانت معدومات فصارت موجودات، وقد ظهر من ذلك أن الحق الحقيق أن التصديق بوجود الله تعالى بل توحيده أمر جبْلي قد فطر الناس عليه كما قال الله تعالى : **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾**[1]. ولذلك ترى الناس عند الوقوع في الأهوال وصعاب الأحوال يتوكلون بحسب هممهم عليه ويتوجهون في جميع أُمورهم إليه، ويعتقدون أن في الخارج مسبباً لتلك الأسباب ومسهلاً لتلك الصعاب، وهم مجبولون على ذلك ومعترفون بما هنالك وإن لم يتفطنوا لذلك. ويشهد لذلك قوله تعالى : **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾**[2]. **﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾**[3].

٤ ـ الأحاديث الواردة عن الأئمة عليهم السلام حول فطرية الايمان باللّه تعالى :

وفي تفسير الإمام عليه السلام انه سأل مولانا الصادق عليه السلام عن الله فقال للسائل: يا عبد الله هل ركبت سفينة قط، قال بلى. قال عليه السلام فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك، قال بلى، قال فهل تعلق قلبك هناك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن

---

(١) سورة الروم؛ الآية: ٣٠ .

(٢) سورة الزمر؛ الآية: ٣٨ .

(٣) سورة الأنعام؛ الآيتان: ٤٠ ـ ٤١

يخلصك من ورطتك، قال بلى، قال الصادق عليه السلام فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حين لا منجى وعلى الإغاثة حين لا مغيث .

وفي الكافي عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام قال قلت له فطرة الله التي فطر الناس عليها، قال التوحيد .

وعن الحلبي عنه عليه السلام في الآية قال فطرهم على التوحيد. وعن زرارة عنه عليه السلام في الآية قال فطرهم جميعاً على التوحيد. وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن قول الله تعالى ﴿فطرة الله﴾ الآية : ما تلك الفطرة، قال هي الإسلام فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال ألست بربكم وفيهم المؤمن والكافر. وفي توحيد الصدوق أخبار كثيرة بهذا المضمون قريبة التواتر ونذكر جملة منها في آخر الكتاب .

وعن زرارة عن الباقر عليه السلام قال سألته عن قوله تعالى حنفاء لله غير مشركين به وعن الحنفية فقال : هي الفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، قال فطرهم الله على المعرفة. قال وسألته عن قوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم الآية. قال أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرَّفهم وأراهم ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه .

وقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كل مولود يولد على الفطرة، يعني على المعرفة بأن الله عز وجل خالقه فذلك قوله ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ وعنه صلى الله عليه وآله قال لا تضربوا أطفالكم على بكائهم فإن بكاءهم أربعة أشهر شهادة أن لا إلَه إلا الله، وأربعة أشهر الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، وأربعة أشهر الدعاء لوالديه. قيل ولعل السر في ذلك أن الطفل أربعة أشهر لا يعرف سوى الله عز وجل الذي فطره على معرفته وتوحيده، فبكاؤه توسل إليه والتجاء به سبحانه خاصة دون غيره، فهو شهادة له بالتوحيد. وأربعة أُخرى يعرف امه من حيث إنها وسيلة إلى اغذائه فقط لا من حيث إنها أُمه، ولهذا يأخذ اللبن من غيرها أيضاً في هذه المدة غالباً، فلا يعرف فيها بعد الله إلا من هو وسيلة بين الله وبينه في ارتزاقه الذي هو مكلف به تكليفاً طبيعياً من حيث إنها وسيلة لا غير، وهذا معنى الرسالة فبكاؤه في هذه المدة بالحقيقة شهادة بالرسالة. وأربعة أُخرى يعرف أبويه وكونه محتاجاً إليهما في الرزق، فبكاؤه توسل إليهما والتجاء بهما فبكاؤه فيها دعاء لهما بالسلامة والبقاء في الحقيقة. وقد ظهر من هذه الكلمات أن كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما ورد في الحديث النبوي، ولهذا جعلت الناس

معذورين في تركهم اكتساب المعرفة بالله تعالى متروكين على ما فطروا عليه مرضياً عنهم بمجرد الإقرار بالقول ولم يكلفوا بالاستدلالات العلمية في ذلك .

قال نبينا عليه السلام أمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إلّه إلاّ الله، وإنما التعمق والاستدلال لزيادة البصيرة ولطائفة مخصوصة وللرد على أهل الضلال. ولهذا أيضاً أُمِرَت الأنبياء عليهم السلام بقتل من أنكر وجود الصانع فجأة بلا استتابة ولا عتاب لأنه ينكر ما هو من ضروريات الأمور، وفي قوله سبحانه ألست بربكم إشارة لطيفة إلى ذلك فإنه سبحانه استفهم منهم الإقرار بربوبيته لا بوجوده تنبيهاً على أنهم كانوا مقرين بوجوده في بداية عقولهم وفطر نفوسهم .

وسأل بعض أهل المعرفة عن الدليل على إثبات الصانع، فقال لقد أغنى الصباح عن المصباح. واعلم أن أفهام الناس وعقولهم متفاوتة في قبول مراتب العرفان وتحصيل الاطمئنان كمّاً وكيفاً شدة وضعفاً سرعة وبطءاً حالاً وعلماً كشفاً وعياناً، وإن كان أصل المعرفة فطرياً ضرورياً أو يهتدى إليه بأدنى تنبيه فلكلٍّ طريقة هداه الله إليها إن كان من أهل الهداية والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق وهم درجات عند الله ﴿**ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات**﴾[١] .

٥ ـ الايمان الفطري بوجود اللّه يشمل جميع الكائنات :

أقول ويمكن ادّعاء أن وجود الصانع فطري بالنسبة إلى البهائم وسائر الحيوان فضلاً عن أفراد الإنسان ففي الحديث ان سليمان بن داود خرج يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول، اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا، فقال سليمان : ارجعوا فقد سقيتم بغيركم. وفي الأخبار شواهد كثيرة على ذلك يقف عليها المتتبع .

وحكى الفخر الرازي عن رجل أنه اتفق في بعض الأزمنة جدب وقحط شديد فخرج الناس إلى الصحراء للاستسقاء ودعوا فلم يستجب لهم قال الرجل فصعدت إلى الجبال فرأيت ظبياً يسرع إلى الماء من شدة العطش فلما انتهى إلى الغدير رآه جافاً من الماء فتحير وجعل يكرر النظر إلى السماء ويحرك رأسه مراراً فظهرت سحابة وارتفعت وامطرت حتى امتلأ ذلك الغدير فشرب الظبي ورجع .

---

(١) سورة المجادلة؛ الآية: ١١ .

ونقل عن صياد أنه رأى ظبية تضع ولدها، قال فلما قصدت ان أصيدها فرت مني وتركت ولدها، فأخذته فلما رأته في يدي رفعت رأسها إلى السماء كأنها تستغيث وتستعين بالله تعالى فإذا بحفرة في طريقي فوقعت فيها وأفلت ولدها من يدي فأخذته أُمه وذهبت به .

٦ ـ معرفة اللّٰه تعالى أول المعارف الانسانية :

نقل عن بعض العلماء أنه قال : اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله، فكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الافهام وأسهلها على العقول، ونرى الأمر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه. وإنما قلنا إن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى لمعنى لا نفهمه إلا بمثال، وهو أنا إذا رأينا إنساناً يكتب أو يخيط مثلاً كان كونه حياً من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة، إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه كل ذلك لا نعرفه، وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه، كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته، أما حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيواناً فإنه جلي عندنا من غير أن يتعلق حسّ البصر بحياته وقدرته وإرادته، فإن هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس، ثم لا يمكن أن تعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته. فلو نظرنا إلى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفاته فما عليه إلا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح .

ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض، بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأصنافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا، ثم محسوساتنا بالحواس الخمس، ثم مدركاتنا بالبصيرة والعقل، وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد، وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته، والموجودات المدركة لا حصر لها، فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد له إلا شاهد واحد وهو ما أحسسنا من حركة يده، فكيف لا يظهر عندنا من لا يتصور في الوجود شيئاً داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى

عظمته وجلاله، إذ كل ذرة فإنها تنادي بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها، وإنما تحتاج إلى موجد ومحرك لها، ويشهد بذلك :

أولاً : تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ونبات شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة، فإنا نعلم أنها لم تأتلف بنفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها، ولكن لما لم يبق في الوجود مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومعرف فعظم ظهوره فابتهرت العقول ودهشت عن إدراكه فإذاً ما يقصر عن فهمه عقولنا له سببان :

الأول : خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله .

الثاني : ما يتناهى وضوحه .

وهذا كما أن الخفاش يبصر في الليل ولا يبصر في النهار لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره، فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرق، فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبيلاً لامتناع أبصاره، فلا يرى شيئاً إلا إذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره. فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الإلَهية في نهاية الإشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لا يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السماوات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه، فسبحان من احتجب بإشراق نوره، واختفى عن الأبصار والبصائر بظهوره. ولا تتعجب من إخفاء ذلك بسبب الظهور فإن الأشياء تستبان بأضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر إدراكه. فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون البعض أدرك التفرقة على قرب، ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض، فإنا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس، فلو كانت الشمس دائمة الإشراق لا غروب لها لكنا نظن أن لا هيئة في الأجسام إلا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرهما، فإنا لا نشاهد في الأسود إلا السواد وفي الأبيض إلا البياض فأما الضوء فلا ندركه وحده. ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركت تفرقة بين الحالتين، فعلمنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب، فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلا بعسر شديد، وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام .

والنور هذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به يدرك سائر المحسوسات فما هو

ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره، أُنظر كيف تصور أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده، فإذا الرب تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها، ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت السماوات والأرض وبطل الملك والملكوت ولأدركت التفرقة بين الحالتين، ولو كان بعض الأشياء موجوداً به وبعضها موجوداً بغيره لأدركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه فلا جرم أورث شدة الظهور خفاء، فهذا هو السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى .

وانضم إليه ان المدركات التي هي شاهدة على الله تعالى إنما يدركها الإنسان في الصبا عند فقد العقل قليلاً قليلاً وهو مستغرق الهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس، ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيواناً غريباً أو فعلاً من أفعال الله خارقاً للعادة انطلق لسانه بالمعرفة طبعاً، فقال سبحانه وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها، ولو فرض أكمه بلغ عاقلاً ثم انقشع غشاوه عن عينه فامتد بصره إلى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة يخاف على عقله أن ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب على خالقها. فهذا وأمثاله من الأسباب مع الانهماك في الشهوات التي هي سدت على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة والجليات إذا صارت مطلوبة صارت معتاصة .

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد — الا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا — وكيف يعرف من بالعارف استترا

أقول ويشهد لذلك قول سيد الشهداء عليه السلام في دعاء عرفة : كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً .

وقال أيضاً : تعرفت لكل شيء فما جهلت شيئاً .

وفي الحديث ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه. وعن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة قال : نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة. فقيل متى فقال : حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى ثم سكت ساعة ثم قال وإن المؤمنين

ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة ألست تراه في وقتك هذا، قال: فأحدث بهذا الحديث عنك، فقال لا فإنك إذا حدثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما تقول ثم قدر أن هذا تشبيه وكفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون .

وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام : ظاهر في غيب وغائب في ظهور لا تجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا فدنا وظهر فبطن وبطن فعلن .

الفصل الثاني
توحيد الله تعالى

١ ـ كلام الامام عليه السلام عن وحدانية اللّه تعالى :

قال الله تعالى : ﴿لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا﴾[١] .

وقال الله تعالى : ﴿انما اللّه اله واحد﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿انما إلهكم إله واحد﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿قل هو الله أحد﴾[٤] .

إن التوحيد في الجملة فطري، كما أُشير إليه سابقاً، والمراد من التوحيد معنيان : **أولاً** : عدم الجزئية . **ثانياً** : عدم الشريك .

روى الصدوق في التوحيد مسنداً عن هاني بن شريح قال ان اعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال أتقول إن الله واحد، فحمل الناس عليه وقالوا يا اعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين عليه السلام من تقسيم القلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام دعوه فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم، قال يا أعرابي إن القول ان الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منهما لا يجوزان على الله عز وجل ووجهان يثبتان فيه .

فأما اللذان لا يجوزان عليه، فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز، وقول القائل هو واحد لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الاعداد، أما ترى أنه كفر

---

(١) سورة الأنبياء؛ الآية: ٢٢ .

(٢) سورة النساء؛ الآية: ١٧١ .

(٣) سورة الكهف؛ الآية: ١١٠ .

(٤) سورة الاخلاص؛ الآية: ١

من قال ثالث ثلاثة. وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز عليه لأنه تشبيه وجل ربنا وتعالى عن ذلك .

وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبيه كذلك ربنا عز وجل، وقول القائل انه ربنا عز وجل أحدي المعنى، يعني به أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عز وجل .

والمعنى الأول الذي نفاه عليه السلام هو الوحدة العددية بمعنى أن يكون له ثاني من نوعه والمعنى الثاني أن يكون المراد به صنفاً من نوع فإن النوع يطلق في اللغة على الصنف وكذا الجنس على النوع، فإذا قيل لرومي مثلاً هذا واحد من الناس بهذا المعنى يكون المعنى أن صنف هذا صنف من أصناف الناس أو هذا من صنف من أصنافهم، ويحتمل أن يكون المراد بالأول الذي له ثان في الإلهية، وبالثاني الواحد من نوع داخل تحت جنس، فالمراد أنه يريد به أي بالناس أنه نوع لهذا الشخص ويكون ذكر الجنس لبيان أن النوع يستلزم الجنس غالباً فيلزمه التركيب من الاجزاء العقلية، والمعنيان اللذان أثبتهما عليه السلام الأول منهما إشارة إلى نفي الشريك والثاني منهما إلى نفي التركيب من الأجزاء ولنذكر الدليل على التوحيد بكل من المعنيين .

٢ ـ الدليل على وحدانية اللّه تعالى :

إن الذي يدل على التوحيد بمعنى نفي الشريك أُمور :

الأول : إلهي فوقاني وهو أن من تأمل بفكر سليم وعقل مستقيم في هذا العالم الذي هو ما سوى الله رآه من مبدئه، وهو عالم العقول والأرواح إلى منتهاه، وهو عالم الأجسام كسلسلة مشتبكة منتظمة بعضها في بعض وكل جزء منها مرتبط بما يليه كالدور المعي، فإن الفقير محتاج إلى الغني وبالعكس، والعالم إلى الجاهل وبالعكس، وهكذا الصغير والكبير والجليل والحقير والأرض والسماء وكذا جميع الموجودات بقضها وقضيضها، فالعالم كبيت واحد يفسده تعدد المدبر، أو كبدن يفسده تعدد الروح وكما أنه إذا تعدد رئيسان في منزل أو حاكمان في بلد أو سلطانان في مملكة أورث اختلال نظامها وأوضاعها، فكذا لا تنتظم السماوات والأرضون وما فيهما وما بينهما بالهيْن، وكما أن ائتلاف أعضاء الشخص الواحد الإنساني منتظمة في رباط واحد منتفعاً بعضها من بعض مع اختلافها وامتياز بعضها عن بعض يدل على أن مدبرها واحد وممسكها عن الانحلال قوة واحدة ومبدء واحد، فكذلك ارتباط الموجودات بعضها ببعض على الوصف الحقيقي والنظم الحكمي دليل على

أن مبدعها ومدبرها وممسك رباطها أن تنفصم واحد حقيقي يمسك السموات والأرض أن تزولا، وإلى هذا أشير في القرآن الكريم بقوله : **﴿قل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾**[1] . وقوله : **﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلّه إذاً لذهب كل إلّه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾**[2] .

الثاني : علوي وحاصله أنه كما أن وجود آثار الصانع من خلق مخلوقاته وإرسال رسله دليل عليه، فانتفاء ذلك مما يفرض شريكه دليل على انتفائه إذ الفطرة السليمة شاهدة والعلم العادي قاضٍ بأنه لو كان مع الصانع إلّه آخر لم تحتجب عن أحد آثاره ولوصل خبره إلى الناس ولعلم حاله مع الباري جل ذكره من التوافق وعدمه، ولأرسل إلى الخلق رسلاً بأوامر ونواهي ووعد ووعيد وتجويز وجرده مع عدم وصول خبره والمعرفة بأحواله احتمال غير قادح، كما أن تجويز صيرورة الأواني المعهودة أفاضل مدققين غير قادح في العلم ببقائها على حالها، وهذا البرهان بزغ نيره من مشرق باب مدينة العلم حيث قال عليه السلام في وصيته لولده الحسن أو محمد بن الحنفية على اختلاف الرواية : واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه إلّه واحد كما وصف نفسه .

الثالث : أن التفرد بالصنع كمال فوق كل كمال، وسلب الكمال عن ذات الواجب محال فلا يكون له شريك ولا نظير .

الرابع : انه تعالى غني بوجوب ذاته عما سواه فيكون غنياً عن الشريك ولأن الشركة نقص إذ التصرف الكامل لا يجوز لأحد الشريكين فيكون كل منهما ناقصاً .

الخامس : إن كلاً منهما إن لم يقدر على إقامة النظام كانا عاجزين فيكونا بالإلوهية غير لائقين، وإن قدر كل منهما على إقامة النظام كان الآخر عبثاً، أو إن كان أحدهما قادراً والآخر عاجزاً تعين الأول للإلوهية .

السادس : إنهما لو تعدّدا لزم كون كل منهما مركباً من الوجوب والمائز، وكل مركب محتاج إلى أجزائه والحاجة من خواص الممكن والمفروض كونه واجباً .

السابع : إن كل من جاء من الأنبياء وأصحاب الكتب المنزلة إنما دعا الاستناد إلى

---

(١) سورة الأنبياء؛ الآية: ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون؛ الآية: ٩١ .

واحد استند إليه الآخر ونفي الشريك وأخبر عن الإلّه بأنه لا شريك له. فإن كان من أرسلهم صادقاً في ذلك ثبت المطلوب، وإن كان كاذباً لم يكن لائقاً للالّهية حتى يكون شريكاً، وفرض كونه من أرسلهم ليس بمتفرد ولا شريك وكون الشريكين لم يرسلا أحداً لا يخفى قبحه وتقدم جوابه.

الثامن: إنه لو كان القديم اثنين متغايرين لزم أن يكون بينهما فرجة قديمة فيكون القدماء ثلاثة وإذا كانوا ثلاثة كانوا خمسة وإذا كانوا خمسة كانوا سبعة لما ذكر وهكذا إلى ما لا نهاية له والمدعي معترف بالبطلان فيما زاد على اثنين فالملزوم مثله.

٣ ـ أحاديث ائمتنا عليهم السلام في إثبات التوحيد:

قال الصادق عليه السلام في جواب الزنديق الذي قال له لم لا يجوز أن يكون صانع العالم أكثر من واحد؟ لا يخلو قولك إنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين أو ضعيفين أو يكون أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً فإن كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه وينفرد بالتدبير، وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني، وإن قلت إنهما اثنان لم يخلُ من أن يكونا متفقين من كل جهة أو مفترقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظماً والفلك جارياً واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر دليل على صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبر واحد. وزاد في رواية التوحيد والكافي، ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فلا بد من فرجة بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما، فيلزمك ثلاثة وإن ادعيت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتى تكون بينهما فرجتان فيكون خمسة ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة.

وفي كتاب التوحيد عن هشام بن الحكم قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما الدليل على أن الله واحد. قال اتصال التدبير وتمام الصنع كما قال الله عز وجل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا.

وعن الفضل بن شاذان قال سأل رجل من الثنوية أبا الحسن الرضا عليه السلام وأنا حاضر فقال له إني أقول إن صانع العالم اثنان فما الدليل على أنه واحد فقال: قولك اثنان دليل على أنه واحد لأنك لم تدع الثاني إلا بعد إثباتك للواحد فالواحد مجمع عليه وأكثر من واحد مختلف فيه.

قال بعض المحققين المتفرد بالوجود هو الله سبحانه إذ ليس موجود معه سواه فإنما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجوداً معه لأن المعية توجب المساواة في الرتبة، والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكمال لمن لا نظير له في رتبته، وكما أن إشراق نور الشمس في اقطار الآفاق ليس نقصاً في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أُخرى تساويها في الرتبة، فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة فيكون تابعاً. فإذا معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال .

٤ ـ احادية الذات الالهية :

وأما الدليل على التوحيد بالمعنى الثاني وأنه أحدي الذات لا تركيب فيها فلأنه تعالى لو كان منقسماً في وجود أو عقل أو وهم لكان محتاجاً، لأن كل ذي جزء فإنما هو بجزئه يتقوم وبتحققه يتحقق وإليه يفتقر وهو الله سبحانه غني عن العالمين، وأيضاً لو كان ذا جزء لكان جزؤه متقدماً عليه وأولاً له فيكون الجزء أولى بأن يكون إلهاً منه سبحانه، ومن هنا يظهر أن وجوده عز وجل ليس معنى وراء ذاته زائداً عليها بل هو عين الوجود الغير المنقسم لا وهماً ولا عقلاً ولا عيناً، وإذا كان كذلك كان واحداً بالمعنى الآخر أيضاً لا شريك له، ويمكن الاستدلال على التوحيد بكلا المعنيين باجماع الأنبياء والمرسلين على التوحيد، إذ يقطع العقل بحقية ذلك وبأنه لو كان معه غيره لامتنع منه نفيه لكونه كذباً وهو قبيح مناف للحكمة كما يأتي، ونفيه له دليل على انتفائه وبأنه لو كان معه غيره لم يكن قديماً إذ لو فرض كونهما قديمين لم يكن كل منهما متقدماً على الآخر، فلا يكون أحدهما متقدماً على الكل فلا يكونان قديمين ويجب أن يكون القديم غيرهما متقدماً على الكل ولا يتحقق ذلك إلا بكونه واحداً لا ثاني معه .

٥ ـ معنى التوحيد :

وإن التوحيد الذي يثبت به الإسلام له أربعة معانٍ :

الأول : توحيد واجب الوجود بأن يكون واجب الوجود لا شريك له في وجوبه ووجوده كما عرفت سابقاً .

الثاني : توحيد صانع العالم ومدبر النظام وقد خالف الثنوية في ذلك فقالوا بوجود

إلّهين فاعل الخير وفاعل الشر استناداً إلى أن في العالم خيراً وشراً وهما ضدان يستحيل أن يكون فاعلهما واحداً حقيقياً، إذ الواحد الحقيقي لا يصدر منه إلا الواحد كالنار لا يصدر منها سوى الإحراق، ويستحيل أن يصدر من كل منهما الصفتان المتضادتان فقالوا إن فاعل الخير هو النور وفاعل الشر هو الظلمة وباصطلاح آخر الأول اليزدان والثاني أهرمن فقال بعضهم بقدمهما وجملة من محققيهم إن فاعل الشر مخلوق فاعل الخير، وجملة منهم على أن النور حي عالم قادر حساس دراك ومنه تكون الحركة والحياة، والظلمة ميت جاهل عاجز جماد موات لا فعل له ولا تمييز، وإنما يقع الشر منه طبعاً .

وزعم بعضهم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : النور، والظلمة، وأنهما أزليان لم يزالا قويين حساسين سميعين بصيرين متضادين في الخير والشر متحاذيين تحاذي الشخص والظل. وزاد بعض فرقهم أصلاً ثالثاً وهو المعدل الجامع وهو سبب المزاج، فإن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بمجامع دون النور في المرتبة وفوق الظلمة وحصل من الامتزاج والاجتماع هذا العالم، وكيف كان فهذه المذاهب السخيفة بطلانها أوضح من أن يخفى ويرد عليهم أن الضدية غير منحصرة في الخير والشر فإن البياض والسواد والحمرة والصفرة والليل والنهار والحر والبرد ونحوها أضداد، فيلزمهم القول بتعدد الآلهة عدد الأضداد ولا يقولون به ويأتي إن شاء الله في مبحث المعاد بطلان دعوى أن الواحد لا يصدر منه إلا الواحد، والتمثيل بالنار قياس مع الفارق فإن الفاعل المختار غير الطبيعي المضطر .

والثنوي لم يقل بالثاني إلا بعد أن قال بالأول، وهو مدعانا وهو يدعي الثاني فالبينة عليه ولا برهان له كما تقدم في كلام الرضا عليه السلام **﴿ومن يدعو مع الله إلّها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾**[1] . ويدل على فساد مذهبهم أنه يلزمهم أن لا يكون الناس قادرين على ترك الشرور والمساوىء لأنها من فعل الظلمة فلا يستحق أحد الملامة على فعل الشر لكونه مجبوراً عليه، وتراهم يلومون الناس إذا ضربوهم وأهانوهم ويلزمهم أيضاً أن لا يقول أحد لأحد أحسنت أو أسأت .

الثالث : توحيد الإلّه وهو المستحق للعبادة ونفي الشريك عنه في استحقاق العبودية، والمخالف في ذلك عباد الأصنام والأوثان وغير الله فإن من يسجد لغير الله ويعبد غير الله من الأصنام والأوثان لا يزعم أن وثنه ونحوه واجب الوجود لذاته ولا قديماً، ولكن

---

(١) سورة المؤمنون؛ الآية: ١١٧ .

زعموا أنه مستحق للسجود والعبادة ليقربهم إلى الله كما حكى الله عنهم ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون**﴾[١]. وربما اعتذر بعضهم بأن توجهه إلى الأصنام كتوجه أهل الإسلام إلى بيت الله الحرام فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿**إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان**﴾[٢]. فإن الله لم يأمر بهذا كما أمر بالتوجه إلى حرمه والاستشفاع بأنبيائه ورسله وقد رد الله على هؤلاء في القرآن بآيات كثيرة مشتملة على براهين عقلية وأدلة يقينية قال تعالى: ﴿**قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين**﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿**قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا**﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿**أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون، ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون، إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين، ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركائكم ثم كيدون فلا تنظرون**﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿**قل هل من شركائكم من يبدء الخلق ثم يعيده قل الله يبدء الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون**﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿**قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون**﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿**يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب**

---

(١) سورة الزمر؛ الآية: ٣ .

(٢) سورة النجم؛ الآية: ٣ .

(٣) سورة الأحقاف؛ الآية: ٤ .

(٤) سورة الأنعام؛ الآية: ٧١ .

(٥) سورة الأعراف؛ الآيات: ١٩١ ـ ١٩٥ .

(٦) سورة يونس؛ الآية: ٣٤ .

(٧) سورة يونس؛ الآية: ٣ .

والمطلوب﴾[1] .

وقال تعالى : **﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له﴾**[2]. والآيات في ذلك كثيرة .

الرابع : التوحيد في الخلق والرزق كما قال تعالى : **﴿ألا له الخلق وهل من خالق غير الله وإن الله هو الرزاق ومن يرزقكم من دون الله﴾** والمخالف في هذا المقام المفوضة والغلاة لعنهم الله حيث قالوا بأن الأمر في التدبير والخلق والرزق مفوض إلى الأئمة ويمكن ادخال هذا المعنى في الثاني .

وقد يطلق التوحيد على معان أُخر هي شرط في أصل الإيمان أو كماله منها :

الأول : التوحيد في الصفات وعينيتها ونفي مغايرتها كما يأتي تحقيقه إن شاء الله، والمخالف في هذا المقام هو الأشعري حيث قال بزيادة الصفات ومغايرتها وقدمها ومن قال بهذا فقد أشرك بالله تعالى لأنه يلزم تعدد القدماء .

الثاني : التوحيد في الأمر والنهي قال الله تعالى **﴿ألا له الخلق والأمر﴾** **﴿ألا له الحكم إن إلٓهكم إلا الله ولله الدين الخالص﴾** والمخالف في هذا بعض فرق الإسلام الموجبون على الخلق اتباع علمائهم الحاكمين بغير ما أنزل الله تعويلاً على الآراء والقياسات والاستحسانات **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله أفرأيت من اتخذ إلٓهه هواه﴾**[3]. وكان بعض علمائهم يقول قال رسول الله كذا وأقول أنا كذا وقال علي كذا وأقول أنا كذا .

الثالث : التوحيد في مالكية النفع والضر كما قال تعالى : **﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله﴾**[4]. فينبغي للموحد أن لا يخاف إلا الله ولا يرجو سواه .

الرابع : التوحيد في التوكل والاعتماد بأن لا يتكل على غير الله ولا يعتمد على سواه كما قال تعالى : **﴿فاتخذه وكيلاً وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾** .

الخامس : التوحيد في المحبة والمودة لا يجعل في قلبه حب غير الله يقطعه عما

---

(١) سورة الحج؛ الآية: ٧٣ .
(٢) سورة الأحقاف؛ الآية: ٥ .
(٣) سورة التوبة؛ الآية: ٣١ .
(٤) سورة الأعراف؛ الآية: ١٨٨ .

سواه كما قال تعالى : **﴿يحبهم ويحبونه والذين آمنوا أشد حباً لله ولن يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾** فعلامة حب الله أن لا يحب غيره، إلا إذا كان موصلاً إلى رضاه .

السادس : التوحيد في الأعمال بأن لا يعمل لغير وجه الله وهو الرياء الذي ورد فيه أنه شرك وإن الشرك لفي بني آدم أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وقال تعالى : **﴿كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر﴾**[1] . وقال تعالى : **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾**[2] . وقد أوضحنا هذه المقامات بإيضاحات شافية وتحقيقات وافية في منهج السالكين وزاد العارفين في علم الأخلاق رزقنا الله التوحيد الحقيقي وأعاذنا من الشرك الجلي والخفي بفضله ورحمته إنه أرحم الراحمين .

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢٦٤ .

(٢) سورة يوسف؛ الآية: ١٠٦

الفصل الثالث

صفات الله تعالى

الباب الأول - الصفات الثبوتية

١ - بيان الصفات الثبوتية :

إن صفات الكمال والجمال لا تنحصر لأن الخلو عن الكمال نقص، وكل نقص منفي، وكل كمال ثابت له تعالى وإلا لاستحال كونه صانعاً، لأن كل صانع لا يمكن أن يكون صانعاً إلا إذا كان كاملاً في صنعته، فلا بد أن يكون صانع جميع العالم كاملاً بكل كمال بالذات من جميع الجهات. والمقصود من الصفات الثبوتية نفي أضدادها إذ صفاتهُ تعالى لا كيفية لها ولا سبيل إلى إدراكها، فالقصور منها جلب أضدادها فهي سلوب في الحقيقة، فمعنى كونه تعالى قادراً عالماً أي ليس بعاجز ولا جاهل لأن العجز والجهل نقصان لا يليق بالكامل بالذات من جميع الجهات وهكذا في جميع الصفات، واما ان يكون المقصود منها إبطال الحدين أي انه تعالى ليس معطلاً في القدرة والعلم وغيرها وليس شبيهاً بقادر منا فإن كون زيد موجوداً سميعاً بصيراً لا لذاته بل من غيره. وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1] .

وكيف كان فقد اتفقت عبارات أهل الكلام في مقدار عددها واختلفت عباراتهم في اعتبار معدودها فجعلها المحقق الطوسي في تجريده ثمانية وهي القدرة، والعلم، والحياة، والإرادة، والإدراك، والكلام، والصدق، والسرمدية، وجعلها بعضهم هذه لكن اعتبر موضع الإدراك السمع والبصر ولم يعتبر الصدق، واعتبر البقاء موضع السرمدية، ولا يخفى أولوية اعتبار الإدراك فإنه أعم من السمع والبصر، وكأنه لما رأى ان معنى كونه

(١) سورة الشورى: الآية: ١١

مدركاً أنه عالم بالمدركات اكتفى عنه بالعلم وآثر ذكر السميع والبصير لورودهما في القرآن العزيز، والإدراك وإن ورد كذلك إلا أنه ورد خاصاً بالإبصار، والغرض جعله صفة عامة. وأما عدم اعتبار الصدق فلعله للاكتفاء عنه بذكر العدل فإنه يرجع إليه بنوع من الاعتبار. وجعلها العلامة قدس سره في كتبه الكلامية أيضاً ثمانية : القدرة، والعلم، والحياة، والإرادة، والكراهية، والإدراك، وأنه قديم أزلي باق أبدي، وأنه متكلم، وأنه صادق، فزاد اعتبار الكراهية، ومن اكتفى بذكر الإرادة رأى أن الكراهية هي إرادة الترك ولذا عدَّهما العلامة واحدة وزاد اعتبار القدم والأزلية والأبدية لأنها تفصيل معنى السرمدية والتفصيل أولى من الإجمال خصوصاً في مقام تعداد صفات الكمال، فإن تعداد الثناء بأربع صفات أبلغ منه بصفة تجمع معنى الأربع، وأما عدَّها واحدة فلرجوعها إلى معنى واحد وهو السرمدية، وبالجملة فوجه الاقتصار على هذه الثمانية مع أن صفاته تعالى كثيرة جداً أن الغرض بيان الصفات الذاتية الحقيقية وما عدا المذكورات، إما إضافة محضة كالخالق والرازق والحفيظ ونحوها، أو ترجع إلى المذكورات كما لا يخفى على أنه يمكن أيضاً رد جميع الصفات إلى القدرة والعلم فإن الإرادة والكلام يرجعان إلى القدرة وما سواهما إلى العلم بل يمكن رد الجميع إلى وجوب الوجود .

ومثل هذا قال الشهيد الثاني رحمه الله قال : وعلى هذا فيمكن أن يقال يكفي في معرفة الله تعالى اعتقاد وجوب وجوده وقدرته وعلمه، بل اعتقاد وجوب وجوده وبالجملة فالحق أن صفاته تعالى اعتبارات نحدثها عند عقولنا عند مقايسة ذاته تعالى إلى غيرها، ونظراً إلى آثاره الصادرة عنه تعالى أنه لما أوجد مقدوراً صادراً عنه تعالى اعتبر له قدرة كما في الشاهد، وهكذا حيث وجد هناك معلوماً اعتبر له علم إلى غير ذلك وإلا فذاته المقدسة لا صفة لها زائدة عليها وإلا لزم كونها محلاً لغيره إن قامت به، وقيام صفته بغيره إن لم تقم به، وكلاهما بديهي البطلان وعدم قيامها بشيء بل بنفسها أظهر بطلاناً، فالكل راجع إلى كمال الذات المقدسة وغنائها، لكن لما كانت عقول الخلق متفاوتة في الاستعداد حتى إنه تدرك كثرة عصمة من اطلعت على كثرة صفاته الجميلة كما هو الواقع في الشاهد لوحظت هذه الصفات والاعتبارات ليتوصل بها الخلق إلى معرفة خالقهم على حسب استعدادهم، ثم إنه قد ينكشف عليهم بسببها أنوار كبريائه عند الإحاطة بحقائقها وأنها ليست إلا اعتبارات فلا يجدون في الوجود إلا ذاتاً واحدة واجبة مقدسة كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله (وتمام توحيده نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وبشهادة كل موصوف انه غير الصفة) وحينئذ فلا حرج في اختلاف العبارات في

تعداد هذه الصفات فإن الغرض منها تقريب معرفة الواحد إلى افهام التوحيد .

وحيث كان المقصود ذلك، فلنقتصر على بيان جملة كافية وزبدة شافية منها :

أولاً : القدرة ـ الأدلة على قدرة اللّه تعالى :

انه تعالى قادر ليس بعاجز لا يعجزه شيء من الأشياء والدليل على ذلك عدة أُمور :

أولاً : استحالة الصانعية بدون القدرة التي هي من صفات الكمال .

ثانياً : ان العجز نقص لا يليق بالكامل وقد تقدم وجوب كمال الواجب .

ثالثاً : صدور الأفاعيل العجيبة منه تعالى الدالة على كمال قدرته .

ويكفي في كمال قدرته التفكر في عجائب مخلوقاته التي خلقت في الإنسان فضلاً عن غيره، وليتدبر فيما للأطفال في البكاء من المنافع العظيمة حيث إن في أدمغتهم رطوبة عظيمة إن بقيت فيها أحدثت عليهم احداثاً جليلة وعللاً عظيمة من ذهاب البصر وغيره، وكيف جعلت آلات الجماع في الذكر والأنثى جميعاً على وفق الحكمة فجعل في الذكر آلة منتشرة تمتد حتى تصل النطفة إلى الرحم إذ كان محتاجاً إلى أن يقذف ماءه في غيره، وخلق للأُنثى وعاء قعر ليشتمل على الماءين جميعاً ويحتمل الولد ويصونه. وتفكر في منافع أعضاء البدن فاليدان للعلاج، والرجلان للسعي، والعينان للاهتداء، والفم للاغتذاء، والمعدة للهضم، والكبد للتخليص، والمنافذ لتنفيذ الفضول، والأوعية لحملها، والفرج لإقامة النسل، وهكذا. وليتفكر في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير فإن الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوه إلى الكبد، ويستحيل في الكبد بلطف التدبير دماً وتنفذه إلى البدن كله في مجاري مهيأة لذلك، وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مفايض قد أعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة والصفراء جرى إلى المرارة، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال، وما كان من البلة والرطوبة جرى إلى المثانة. وانظر إلى ما خص به الإنسان في خلقه تشريفاً وتفضيلاً على البهائم، فإنه خلق ينتصب قائماً ويستوي جالساً؛ يستقبل الأشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل بهما فلو كان مكبوباً على وجهه كذات الأربع لما استطاع أن يستعمل شيئاً من الأعمال، وإلى ما خص به الإنسان من الحواس في خلقه وشرف بها على غيره كيف جعلت العينان في الرأس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكن من مطالعة الأشياء ولم تجعل في الأعضاء التي تحتهن كاليدين والرجلين فتعرضها الآفات وتصيبها من مباشرة العمل

والحركة ما يعللها ويؤثر فيها وينقص منها، ولا في الأعضاء التي وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر اطلاعها نحو الأشياء، وفكر في الأعضاء التي خلقت زوجاً وفرداً، فإن الرأس مثلاً لو كان زوجاً لكان كلاًّ على الإنسان لا فائدة فيه، بخلاف اليدين والرجلين والعينين ونحوها فإن حكم تعددها لا يخفى، وتأمل في الجفن على العين كيف جعل كالغشاء والأشفار كالعرى، وتفكر في نعمة الله على الإنسان في مطعمه ومشربه وآلاتهما وتسهيل خروج الأذى منه وكيف جعل منفذ الخلاء من الإنسان في أستر موضع منه، فلم يجعله بارزاً من خلقته ولا ناشراً من بين يديه بل هو مغيب في موضع غامض من البدن مستور محجوب تلتقي عليه الفخذان وتحجبه الإليتان بما عليهما من اللحم فيواريانه، فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء وجلس تلك الجلسة وجد ذلك المنفذ منه منصباً مهيئاً لانحدار الثفل، وتفكر في هذه الطواحن التي جعلت للإنسان فبعضها محدد لقطع الطعام وقرضه، وبعضها عراض لمضغه ورضه، وتفكر فيما أنعم الله على الإنسان من النطق الذي يعبر به عما في ضميره وما يخطر بقلبه، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم التي لا تخبر عن نفسها بشيء، وكذلك الكتابة التي بها تقيد أخبار الماضين للباقين، وأخبار الباقين للآتين، وبها ترقم العلوم والآداب، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ولولاه لاختلت أمور الناس في معادهم ومعاشهم وفيما أعطى الإنسان علمهُ وما منع منهُ وستر عنهُ فأعطى علم جميع ما فيه صلاح دينه من معرفة خالقه وتكاليفه، وما فيه صلاح دنياه من الزراعة والغرس والنساجة والحياكة والخياطة والصيد ونحو ذلك من الأعمال والأفعال، وكيف ستر عنه العلم بعمره فإنه لو علمهُ قصيراً لم يتهنا بالعيش مع ترقب الموت، ولو علمهُ طويلاً وثق بالبقاء وانهمك باللذات والمعاصي وفسد عليه دينه ودنياه، وكيف جعلت أحلامه ممزوجة بالصدق والكذب فإنها لو صدقت كلها لادعى الناس النبوة، ولو كانت كاذبة كلها لم ينتفع بها فجعلت صدقاً أحياناً ليهتدي بها في جلب نفع أو دفع مضرة، وكذباً أحياناً لأن لا يعتمد عليها كل الاعتماد .

وتعداد مقدورات الله وعجائب مصنوعاته يحتاج ذكرها إلى مجلدات كثيرة وهذه الجملة المذكورة من كلام الصادق عليه السلام وما ذكر كما يدل على القدرة كذلك يدل على سائر الصفات الكمالية ولذا أطنبنا الكلام في هذا المقام ويكفي في ثبوت القدرة النقل أيضاً، قال الله تعالى في مواضع : **﴿إن الله على كل شيء قدير﴾**[1] . وقال تعالى : **﴿وكان**

---

(١) سورة البقرة؛ الآية : ٢٥٩ .

الله على كل شيء قديرا﴾[١] . ثم إن قدرته تعالى عامة لكل المقدورات كما يدل عليه العقل وهو استلزام العجز لولاه، والنقل من الآيات والروايات .

أ ـ بطلان قول المعتزلة إن اللّه لا يقدر على فعل بعض الأشياء :

أما قول المعتزلة انه لا يقدر على القبيح والشر لاستلزامه الظلم باطل، فإن القدرة على القبيح ليست بظلم، فسبحانه قادر على ذلك منزه عن فعله، وقد فروا من الظلم ووقعوا في العجز، ونحن بفضل الله نفينا كلاً منهما عنه تعالى، والمؤمن الصالح قادر على المعاصي والشرور ولا يفعلها مع قدرته عليها لعلمه بقبحها ولا يقال هو عاجز عنها، قال الله تعالى : **﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض انه كان عليماً قديرا﴾**[٢]. وقال تعالى : **﴿وإننا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا﴾**[٣]. وقال تعالى : **﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾**[٤] .

ب ـ بطلان قول الأشاعرة بأن اللّه يفعل الشر :

وقول الأشاعرة بنسبة فعل الشر إليه تعالى ووقوعه منه باطل أيضاً، لأنه ظلم مناف للحكمة وهم قد فروا من الشرك في خلق الأفعال زاعمين أن في أفعاله تعالى الشرور وقد وقعوا في الظلم الذي هو كفر أيضاً، ولا قبح في أفعاله تعالى بل كلها خير لا شر فيها، ولأن ذلك مناف للقدرة والعلم والحكمة وخفاء الحكمة لا يدل على عدمها ولا يلزم العجز من عدم فعل الشرور والقبائح، فإن أولياء الله قادرون عليها ولا يفعلونها لقبحها، فكيف بخالقهم. ولا يلزم العجز أيضاً بعدم وجود الممتنع كشريك الباري واجتماع الضدين، ولا ينافي ذلك عموم قدرته تعالى لأن ذلك ممتنع لذاته عن قبول الوجود وعدم قابليته واستعداده لتعلق القدرة، لا لأنه تعالى ليس بقادر على ذلك فإنه تعالى لا يوصف بالعجز. وقد روى الصدوق في التوحيد وغيره عن الصادق عليه السلام : إن ابليس قال لعيسى بن مريم أيقدر ربك على أن يدخل الأرض في بيضة لا تصغر الأرض ولا تكبر البيضة. فقال عيسى عليه السلام : ويلك إن الله تعالى لا يوصف بعجز ومن أقدر ممن يلطف الأرض ويعظم

---

(١) سورة الأحزاب؛ الآية: ٢٧ .

(٢) سورة فاطر؛ الآية: ٤٤ .

(٣) سورة الجن؛ الآية: ١٢ .

(٤) سورة يس؛ الآية: ٨٢

البيضة. وعنه عليه السلام قال قيل لأمير المؤمنين عليه السلام هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن تصغر الدنيا أو تكبر البيضة. قال إن الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز والذي سألتني لا يكون. وفي رواية أخرى ويلك إن الله لا يوصف بالعجز ومن أقدر ممن يلطف الأرض ويعظم البيضة. وما ورد في الجواب عن ذلك الإمكان وتمثيله بدخول الدنيا في البيضة فهو لحكم ذكرناها في مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار .

ثانياً: الاختيار ـ الأدلة على أن الله مختار في أفعاله :

إنه تعالى مختار في أفعاله إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل. وليس بموجب مضطر في صدور الأفعال عنه كالنار في الإحراق والشمس في الإشراق، والدليل عليه مضافاً إلى ما تقدم في أدلة القدرة ومضافاً إلى النقل كقوله تعالى : **﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾**[1] . وقوله تعالى : **﴿ويفعل الله ما يشاء﴾** وغير ذلك من النقل القطعي. ان الإيجاب عجز واضطرار وهو نقص فلا يجوز عليه تعالى كما عرفت، وأيضاً لو كان موجباً للزم أحد محذورين :

إما قدم العالم الذي هو من آثاره فإن أثر الموجب لا يتخلف عنه كما لا يتخلف الإحراق عن النار، وإما حدوثه تعالى لأنه مؤثر في العالم والعالم حادث فيكون حادثاً وكلاهما باطلان فالملزوم مثله والملازمة بينة فتعين كونه تعالى مختاراً .

ثالثاً: العلم والحكمة ـ الأدلة على علم وحكمة الله تعالى :

إنه تعالى عالم حكيم كما قال تعالى : **﴿والله عليم حكيم﴾**[2] . وقال تعالى : **﴿والله بكل شيء عليم﴾**[3] . وقال تعالى : **﴿وأن الله بكل شيء عليم﴾**[4] . وقال تعالى : **﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾**[5] . ويكفي في ثبوت علمه تعالى الآيات المتضافرة والأخبار المتواترة، ويكفي الإيمان بالعلم اجمالاً ولا يجب التفكر في أنه حضوري أو حصولي ونحو ذلك من خرافات المتكلمين، بل إن الله

---

(١) سورة القصص؛ الآية: ١٨ .

(٢) سورة النساء؛ الآية: ١٢ .

(٣) سورة البقرة؛ الآية: ٢٨٢ .

(٤) سورة المائدة؛ الآية: ٩٧ .

(٥) سورة قٓ؛ الآية: ١٦

تعالى يعلم الأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها، لا تخفى عليه خافية يعلم السر وأخفى وما تكنّ الصدور ولا يجهل شيئاً، والحكيم يطلق على معان :

الأول : وضع الأشياء في محلها وضده الظلم والسفه .

الثاني : العلم بالأشياء كما هي عليه وضده الجهل .

الثالث : ترك القبيح الذي هو الإخلال بالواجب .

الرابع : معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم .

وأفضل العلوم العلم بالله تعالى، وأجل الأشياء هو الله تعالى، والله سبحانه لا يعرفه كنه معرفته غيره وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم، فهو الحكيم حقاً لعلمه أجلّ الأشياء بأجلّ العلم، والدليل على أنهُ عليم حكيم مضافاً إلى ما سبق أن الأفعال المختلفة التقدير، المتضادة التدبير، المتفاوتة الصنعة، لا تقع على ما ينبغي أن يكون عليه من الحكمة ممن لا يعلمها ولا تستمر على منهاج منتظم ممن يجهلها، ألا ترى أنهُ لا يمكن أن يصوغ قرطاً يحكم صنعته ويضع كلاً من دقيقه وجليله موضعهُ من لا يعرف الصياغة، ولا ينظم حروف الكتابة من لا يعلمها، فوقوع هذا الصنع العجيب والخلق الغريب من دون علم به وبدقائقه محال، وإلى ذلك أشير بقوله تعالى : **﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾** .

وقال الرضا عليه السلام في دعائه : سبحان من خلق الخلق بقدرته واتقن ما خلق بحكمته ووضع كل شيء منهُ موضعه بعلمهِ سبحان من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وأيضاً لما ثبت كونهُ تعالى قادراً مختاراً ببديهة العقل والنقل ثبت علمه وحكمته، فإن القادر المختار من يفعل ما يعلم ما فيه المصلحة ويترك ما يعلم ما فيه المفسدة، فيكون فعله وتركهُ مسبوقاً بالعلم والحكمة، وأيضاً فالجهل والسفهُ نقصان لا يليقان به فيجب نفيهما عنهُ، ونفيهما مستلزم لثبوت العلم والحكمة لأن نفي النقيض إثبات للنقيض الآخر، وأيضاً لو جاز عليه تعالى ذلك لكان مشابهاً لمخلوقه والحال أنه ليس كمثله شيء، وأيضاً كما أن جميع الممكنات أثر لوجوده فكذا جميع كمالاتها أثر لكماله، والذي ينتهي إليه جميع العلوم لا يجهل شيئاً .

وإن علم الله تعالى عام يعم جميع المعلومات كلياتها وجزئياتها كما عرفت لوجهين :

الأول : انهُ لو لم يكن كذلك لزم الجهل ولو في البعض وهو نقص يجب تنزيهه تعالى عنهُ .

الثاني : انه تعالى منزه عن المكان والزمان .

فلا نسبة بينهُ تعالى وبين مخلوقاتهِ إلا وجوب ذاتهِ وإمكان مخلوقاته، وهذه النسبة مستوية بين كليات مخلوقاتهِ وجزئيها صغيرها وكبيرها، فيستوي علمهُ تعالى بها وقدرتهُ عليها، وما زعمهُ بعض سفهاء الأنام من عدم عموم علمه تعالى، بل انحصاره كالعلم بأن الإنسان حيوان ناطق، والحمار حيوان ناهق، دون الجزئيات كزيد وعمر وبكر ومرض كل منهم وصحتهِ وطوله وقصره لأنها متجددة حادثة، والعلم يتبع المعلوم فيلزم تغير العلم وتجدده، فيكون تعالى محلاً للحوادث فهو فاسد لأن علم الخالق لا يقاس بعلم المخلوق، والعلم التابع للمعلوم إنما هو علم المخلوق دون الخالق إذ هو تعالى عالم إذ لا معلوم وعالم بما كان قبل أن يكون فلا تغير ولا حدوث في علمهِ الأزلي فلهُ معنى العالمية إذ لا معلوم، كما له تعالى معنى القادرية إذ لا مقدور ومعنى الخالقية إذا لا مخلوق، ولنضرب لذلك مثالاً للتفهيم فنقول : إذا أراد زيد يوم السبت انشاء كلام يوم الخميس فهو عالم يوم السبت بما ينشىء يوم الخميس، وكذلك عالم يوم الجمعة بما أنشأ يوم الخميس، فلا تغيير ولا حدوث في علمه أصلاً .

ولنذكر هنا نبذة مأخوذة من كلام الصادق عليه السلام تدل على حكمة الله تعالى وعلمه وسائر صفاته، فليتفكر في خلق الحيوانات على ما فيه صلاحها دون الإنسان، لأن الإنس لما قدروا أن يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج للصنائع من البناء والتجارة والنساجة والخياطة ونحوها، خلقت لهم أكف كبار ذوات أصابع غلاظ ليتمكنوا من القبض على الأشياء وسائر الصناعات، وانظر إلى اختلاف الحيوانات في الخلقة حيث إن آكلات اللحم من الحيوان لها أكف مناسبة لذلك وأسنان حداد وأعين بعضها بسلاح وأدوات تصلح للصيد، وكذلك تجد سباع الطيور ذوات مناقير ومخاليب مهيآت لتقطيعها، فلم تكن الوحوش ذوات مخالب لاستغنائها عنها، ولم تكن السباع ذوات اظلاف لأن لا تمتنع عما تحتاج إليه من الصيد والتعيش، وانظر إلى قوائم الحيوان كيف جعلت أزواجاً ليتهيأ للمشي، ولو كانت أفراداً لم تصلح لذلك فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على الأخرى، وذو الأربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين، من خلاف بأن ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره ويثبت الأخريين ليثبت على الأرض، ولو نقل القائمتين من أحد جانبيهِ

واعتمد على الباقيتين من الجانب الآخر لما ثبت، وتأمل في حكمة الله كيف أذل الحمار للطحن والحمولة وهو يرى الفرس منعماً والبعير لا يطيقه عدة رجال لو استعصى كيف ينقاد للصبي، والثور القوي كيف ينقاد لأضعف الناس للحرث والسقي، والقطيع من الغنم كيف يذل للراعي ولا يتفرق، وكذلك جميع الأصناف المسخرة للإنسان، وتفكر في الدابة كيف جعلت عيناها شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها لأن لا تصدم حائطاً أو تتردى في حفرة، وشق فمها من الأسفل ليسهل تناولها بلا يد، واعتبر بما في ذنبها من المنافع العظيمة ففيه ستر دبرها وحيائها معاً وتذب به الذباب المؤذي لها وفي تحريكه وتقلبه راحة لها وفيه استعانة لاستخراجها من الوحل، ثم افتكر في ظهرها كيف جعل مسطحاً على قوائم أربع ليتمكن من ركوبها وجعل حياها بارزاً من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها، وكيف كسيت البهائم هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف ليقيها من الحر والبرد، وفي الاظلاف والحوافر والأخفاف لتقيها من الحفا إذ كان لا أيدي لها ولا أكف ولا أصابع مهيآت للغزل والنسج فجعلت كسوتهم في خلقتهم باقية عليهم ما بقوا .

وتفكر في خلقة عجيبة جعلت في البهائم فإنهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا كما يواري الناس موتاهم وإلا فأين جثث هذه الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شيء، وليست قليلة فتخفى لقلتها بل لو قيل إنها أكثر من الناس لصدق القائل، ولا نرى منها ميتاً إلا الواحد بعد الواحد يصيده صائد ويفترسه سبع فإنهم إذا أحسوا بالموت كمنوا في مواضع خفية فيموتون فيها، ولولا ذلك لامتلأت الصحاري من أمواتهم حتى تفسد رائحة الهواء وتحدث الأمراض والوباء .

وتأمل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة لا تجد فيه نقصاً عما فيه صلاحها وكذا جميع أعضائها وجوارحها وأحشائها على صغر جرمها .

وتأمل في النمل واهتدائها إلى ادخار قوتها وجمعه وتعاونها على النقل كتعاون الناس على العمل، وعمدها إلى قطع الحب لكيلا ينبت ويفسد عليهم وإن أصابته نداوة أخرجوه ونشروه حتى يجف .

وتأمل في الليث الذي تسميه العامة أسد الذباب وما أُعطي من الحيلة والرفق في معاشه فإنك تراه حين يحس بالذباب وقع قريباً منه يميت نفسهُ حتى كأنه موات لا حراك فيه، فإذا اطمأن الذباب منه دب دبيباً دقيقاً بحيث يناله ثم يثب عليه ويشتمل عليه بجسده كله مخافة أن ينجو منه إلى أن يضعف فيفترسه. والعنكبوت ينسج ذلك النسج يتخذه شركاً

ومصيدة ويكمن في جوفه فإذا نشب فيه الذباب أحال عليهِ ولذعهُ .

وتأمل في جسم الطائر كيف خففت واقتصر به من القوائم الأربع على اثنتين، ومن الأصابع الخمس على أربع، ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما، وخلق ذا جؤجؤ محدد ليسهل عليه خرق الهواء كما جعلت السفينة بهذه الهيئة ليسهل عليها خرق الماء، وجعل في جناحه وذنبه ريش طوال متان لينهض بها للطيران وكسي كلهُ الريش ليداخله الهواء، ولما عدم الأسنان أعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعام طحناً تستغني به عن المضغ، وجعل يبيض ولا يلد لكيلا يثقل عن الطيران، وفكر في حوصلته حيث جعلت كالمخلاة المعلقة أمامهُ ليوعي فيه ما أدرك من الطعم بسرعة ثم ينفذه إلى قانصته تدريجاً لضيق مسلكها، ولو كان لا يلقط الحبة الثانية حتى تصل الأولى إلى القانصة لطال عليه الأمر وفاته شيء كثير من منافعه .

وتفكر في النحل واجتماعه في صنعة العسل وتهيئة البيوت المسدسة وما ترى في ذلك من دقائق الفطنة وعظم الغاية ومنافعها .

وتأمل في الجراد ما أضعفهُ في خلقته وما أقواه فإنهُ إذا اجتمع على بلد من البلدان لم يستطع أحد أن يحميه منهُ ولو كان أكبر الملوك ومعهُ أكثر الجنود، وكيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل حتى يستر نور الشمس فسبحان الحكيم القدير .

وتأمل في خلق السمك ومناسبة خلقه لمسكنه فخلق بلا قوائم لعدم احتياجه إليها إذ مسكنهُ الماء، وخلق غير ذي رئة لأنهُ لا يستطيع أن يتنفس في الماء، وجعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في الماء كما يضرب من في السفينة بالمجاذيف، وكسي جسمهُ قشوراً متداخلة كالدروع لتقيه من الآفات .

وتأمل في النبات وما فيه من ضروب المنافع فالثمار للغذاء، والتبن للعلف، والحطب للوقود، والخشب لمنافع كثيرة، والقشر والورق والأُصول والعروق والصمغ لضروب من المنافع .

وتأمل في نبات الحبوبات من العدس والماش والباقلا ونحوها حيث تخرج في أوعية مثل الخرائط لتصونها من الآفات إلى أن تشتد وتستحكم، كما قد تكون المشيمة على الجنين، وأما البر وما أشبههُ فإنه يخرج مدرجاً في قشور صلاب على رؤوسها مثال الأسنة من السنبل لتمنع الطير .

وتأمل الحكمة في خلق الشجر وأصناف النباتات حيث كانت تحتاج إلى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ولم تكن لها أفواه ولا حركة لتناول الغذاء جعلت أُصولها مركوزة في الأرض لتنزع منها الغذاء فتؤديه إلى الأغصان وما عليها من الورق والثمر، فصارت الأرض كالأم المربية لها وأُصولها كالأفواه تلتقم الأرض وتنزع منها الغذاء كما يرضع الطفل أمه، وما فيه من العروق المنتشرة في الأرض الممتدة إلى كل جانب لتمسكه وتقيمه ولولا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال في الريح العاصف. وتأمل في خلق ورق الأشجار وفي العروق المبثوثة فيها منها غلاظ ومنها دقاق تتخلل الورق لتسقيها بمنزلة العروق في بدن الإنسان فسبحان الخالق على وجه الحكمة للأشياء القادر على ما يشاء .

رابعاً: الأزلية والسرمدية ـ الأدلة على أزلية وقدم اللّه تعالى :

في أنه تعالى قديم أزلي أبدي سرمدي ليس مسبوقاً بعلة ولا يعتريه عدم، بل هو الأول بلا أول يكون قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده، ولم يسبق له حال حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً قال تعالى : ﴿ **وما نحن بمسبوقين**﴾ والدليل على ذلك مضافاً إلى النقل الصحيح أنه لو جاز عليه ذلك لاحتاج إلى مؤثر في إيجاده واعدامه فيكون المؤثر أولى بأن يكون هو الواجب، ولأنه لو لم يكن كذلك لم يكن وجوده واجباً ولا أزلياً فيكون محتاجاً تعالى الله عن ذلك بل هو الغني بذاته عما سواه ولأن الشيء لا يقتضي عدم نفسه وإلا لما تحقق بل هو قيوم دائم لا يقال له متى ولا يضرب له أمد بحتى ولهذا لما سئل مولانا الباقر عليه السلام عن الله متى كان فقال : متى لم يكن حتى أُخبرك متى كان. وعن أمير المؤمنين عليه السلام إنما يقال متى كان لما لم يكن، فأما ما كان فلا يقال متى كان، كان قبل القبل بلا قبل وبعد البعد بلا بعد .

خامساً : السميع البصير :

في أنه تعالى سميع بصير كما قال تعالى : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ وليس المراد أنه سميع بجارحة السمع أو بصير بآلة البصر إذ لو كان كذلك لكان تعالى ذا جزء، ولكان محلاً للحوادث، ولكان ممكناً، وكل ذلك محال لما عرفت من وجوبه وقدمه ووحدته وتنزيهه عن النقص والاحتياج، بل المراد أنه تعالى عالم بجميع المسموعات والمبصرات بدون آلة لما تقدم في العلم. فمرجع هاتين الصفتين إلى العلم إما لأن الله تعالى أفردهما بالذكر ووصف بهما ذاته في كتابه، أو لأن الغرض منهما الرد على

من أنكر علمه تعالى بالجزئيات. وهذا كما تقول تارة زيد عالم مريداً إحاطته بالعلوم، وتارة تقول مفسّر أو محدّث أو متكلم أو نحوي وتريد بكل منها علماً خاصاً، وإما أن يكون الغرض من ذكرهما أن أكثر أفعال المكلفين لما كانت لا تخلو من المسموعات والمبصرات أفردهما تعالى بالذكر من مطلق العلم ليكون أزجر لهم عن المعاصي وارغب لهم في الطاعات .

سادساً : الحياة :

في انه تعالى حي كما قال تعالى هو الحي القيوم، والمراد بالحياة صفة يتأتى معها العلم والقدرة والدليل على ذلك مضافاً إلى النقل ثبوت القدرة والعلم له بما تقدم وثبوتهما دليل على الحياة بل لازمها، فهو الحي الذي لا يموت وتوضيح ذلك أنا لما رأينا هذا العالم من السماوات والأرضين وما بينهما علمنا أن له بانياً قادراً عالماً بناه بقدرته وعلمه، ولما رأينا تجدد الحوادث فيه وانتظامه من الإماتة والإحياء ونمو النبات ونزول الماء وسكون الأرض وتحرك الهواء ودوران الفلك الدوار وسير الشمس والقمر بالليل والنهار، والافقار والاغناء، والتمليك والافناء، والاضحاك والابكاء، والتمريض والشفاء، ونحو ذلك علمنا أن فاعل هذه الأفاعيل حي، واعلم أن حياة الممكنات إنما تتحقق بعروض صفة زائدة لها، وحياة الله عين ذاته كسائر صفاته غير زائدة عليها ومرجعها إلى القدرة والعلم، ومرجع جميع الصفات إلى الذات المقدسة كما يأتي توضيحه إن شاء الله تعالى والتعبير بهذه العبارات للافهام :

عباراتنا شتى وحسنك واحد ... وكل إلى ذاك الجمال يشير

سابعاً : الادراك :

في أنه تعالى مدرك لا بحاسة يحصل الإدراك بواسطتها بل هو تعالى عالم بما يدرك بالحواس، والدليل على ذلك ما تقدم في العلم من أنه تعالى عالم بجميع المعلومات التي من جملتها المدركات فيكون مدركاً بهذا المعنى وهو المطلوب فالمراد بالإدراك العلم الخاص كالسميع والبصير .

ثامناً : الارادة ـ الأدلة على أنه تعالى مريد كاره :

في أنه تعالى مريد كاره، أي مريد لأفعاله، تصدر منه أفعاله بالارادة والاختيار، أو

مريد لطاعات عبيده لا على سبيل الحتم بل باختيارهم، وإرادته لأفعال ذاته عبارة عن علمه الموجب لوجود الفعل في وقت دون وقت بسبب اشتماله على مصلحة داعية إلى الإيجاد في ذلك الوقت دون غيره، ومعنى إرادته لأفعال عبيده انه أراد إيقاع الطاعات منهم على وجه الاختيار، ومعنى كراهته تعالى علمهُ الموجب لانتفاء الفعل في وقت دون وقت بسبب اشتمالهِ على مفسدة في الإيجاد قبل وقته، ومعنى كراهته تعالى لأفعال غيره نهيه إياهم عن إيقاع المعاصي المفسدة لهم على وجه الاختيار .

والدليل على أنهُ تعالى مريد لأفعاله أنهُ خصص إيجاد الحوادث بوقت دون وقت وعلى صفة دون أُخرى مع عموم قدرته وكون الأوقات والصفات كلها صالحة للإيجاد بمقتضى القدرة، فلا بد من مرجح للوقت والشكل والصفة لاستحالة الترجيح بلا مرجح عقلاً وذلك هو الإرادة، فيكون تعالى مريداً لأفعاله وهو المطلوب .

والدليل على أنه تعالى كاره لأفعال ذاته أنهُ ترك إيجاد الحوادث في وقت دون وقت والأوقات كلها صالحة للترك بمقتضى القدرة فلا بد من مخصص ومرجح وهو الكراهة .

والدليل على أنه تعالى مريد لأفعال عبيده وكاره لبعضها أنه تعالى أمرهم بالطاعة فيكون مريداً لها، ونهاهم عن المعصية فيكون كارهاً لها، إذ الحكيم لا يأمر إلا بما يريد ولا ينهى إلا بما يكره، وحينئذ فإرادته تعالى ترجع إلى العلم بالأصلح، وكراهيته إلى العلم بالمفسدة. وقد صرح بهما في الكتاب والسنة قال تعالى : ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾[1] . وقال تعالى : ﴿**وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾[2] . وقال تعالى : ﴿**ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا**﴾[3] . وقال تعالى : ﴿**إن الله يفعل ما يريد**﴾ وقال تعالى : ﴿**وإن الله يهدي من يريد**﴾[4] . وقال تعالى : ﴿**كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها**﴾[5] .

وقد ورد في جملة من الأخبار أنه لا يقع في الوجود شيء إلا بإرادة الله تعالى. وقد ثبت أن الله لا يريد المعاصي والشرور والكفر والزندقة وان جميع ذلك غير مراد له تعالى وغير مرضي له، ويمكن التطبيق بين ذلك بأحد وجوه :

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ١٨٥ .

(٢) سورة يسٓ؛ الآية: ٨٢ .

(٣) سورة التوبة؛ الآية: ٥٥ .

(٤) سورة الحج؛ الآية: ١٦ .

(٥) سورة الإسراء؛ الآية: ٣٨ .

الأول : إن مشيئته تعالى وإرادته متعلقة بجميع الموجودات، ولكن بهذا المعنى وهو أنه أراد تعالى أن لا يكون شيء إلا بعلمه كما يرشد إليه بعض الأخبار .

الثاني : إن الإرادة متعلقة بالأشياء كلها لكن تعلقها بها على وجوه مختلفة لأن تعلقها بأفعال نفسه بمعنى إيجادها والرضا بها لكونها كلها حسنة واقعة على وجه الحكمة، والشر القليل تابع لخيرات كثيرة فيه وليس مراداً بالذات، وتعلقها بأفعال العباد، إما بالطاعات فهو إرادة وجودها، وإما بالمعاصي فهو إرادة أن لا يمنع منها بالجبر والقهر كما صرح به الصدوق في العقائد، أو إرادة عدمها كما فسر به قوله تعالى : ﴿**ولو شاء الله ما أشركوا**﴾ أي لو شاء الله عدم شركهم على سبيل الإجبار ما أشركوا، ولكن لم يشأ على هذا الوجه لمنافاته غرض التكليف، وإنما شاء على سبيل الاختيار لتكون لهم القدرة على الفعل والترك. ويدل على ذلك ملخص ما رواه الطبرسي في الاحتجاج عن الرضا عليه السلام قال : إرادة الله تعالى ومشيئته في الطاعات الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها، قال السائل فلله فيه قضاء. قال : نعم ما من فعل يفعله العباد من خير أو شر إلا ولله فيه قضاء. وقال السائل ما معنى هذا القضاء. قال : الحكم عليهم بما يستحقونه من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة .

الثالث: أن نعلقها بأفعاله تعالى هو ما مر وتعلقها بأفعالهم على سبيل التجوز باعتبار إيجاد الآلة والقدرة عليها وعدم المنع منها فكأنه أرادها .

الرابع : ان إرادته تعالى عبارة عن العلم بما في الفعل من المصلحة .

الخامس : ان إرادة العبد لأفعاله مخلوقة لله تعالى كما صرح به السيد الداماد في تفسير قول الصادق عليه السلام : خلق الله تعالى المشيئة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيئة، حيث قال المراد بالمشيئة هنا إرادة المخلوقين، والمراد أنه تعالى خلق إرادتهم بنفسها لا بمشيئة أُخرى مباينة لها، ثم خلق الأشياء يعني أفاعيلهم المترتب وجودها على تلك المشيئة بتلك المشيئة .

واعلم أنه قد ورد في جملة من الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام الملك الغفار ان إرادته عبارة عن إيجاده واحداثه، وأنها من صفات الفعل الحادثة كالخالقية والرازقية ونحوها، لا من صفات الذات بمعنى العلم بالأصلح، ويكفي المكلف أن يعتقد أن أفعال الله تعالى تصدر منه بالإرادة والاختيار، بمقتضى الحكمة والمصالح، وأنه تعالى ليس بمقهور فيها، وقد عقد الكليني لذلك في الكافي باباً، فعن صفوان قال قلت لأبي

الحسن عليه السلام أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق. فقال : الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل . وأما من الله فإرادته احداثه لا غير .

وعن عاصم بن حميد عن الصادق عليه السلام قال : قلت لم يزل الله تعالى مريداً، قال إن المريد لا يكون إلا المراد معه، لم يزل الله عالماً قادراً ثم أراد، قال المحقق المدقق المازندراني في شرح هذا الحديث فالإرادة من صفات الفعل التي يصح سلبها عنه في الأزل ولا يلزم منه نقص لا من صفات الذات كالعلم والقدرة، فإن نفيهما عنه يوجب النقص وهو الجهل والعجز، وثبوتهما له لا يوجب وجود المعلوم والمقدور معه في الأزل. لا يقال قوله ثم أراد دل على اتصافه بإرادة حادثة كما هو مذهب طائفة من المعتزلة وهو باطل لاستحالة اتصافه بالحوادث، لأنا نقول المراد بالإرادة الحادثة نفس الإيجاد والإحداث كما ينطق به الحديث الأول. ولا يقال تخصيص الإيجاد بوقت دون وقت لا بد من مخصص والمخصص هو الإرادة فلو كانت الإرادة نفس الإيجاد دار، لأنا لا نسلم أن المخصص هو الإرادة بل هو الداعي أعني العلم بالمصلحة والنفع في الإيجاد في هذا الوقت دون غيره .

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أن الإرادة غير العلم والقدرة كما هو مذهب الأشاعرة خلافاً للمحققين، منهم المحقق الطوسي، فإنهم ذهبوا إلى أن الإرادة هي الداعي أعني العلم بالنفع والمصالح، قال ويمكن أن يقال الإرادة تطلق على معنيين كما صرح به بعض الحكماء الإلهيين، أحدهما الإرادة الحادثة وهي التي فسرت في الحديث بأنها نفس الإيجاد وإحداث الفعل، وثانيهما الإرادة التي هي من الصفات الذاتية التي لا تتصف الذات بنقيضها أزلاً وأبداً، وهي التي وقع النزاع فيها. فذهب جماعة منهم المحقق إلى أنها نفس علمه الحق بالمصالح والخيرات وعين ذاته الأحدية. وذهب الأشاعرة إلى أنها صفة غير العلم .

وأيد ذلك بعض المحققين بما رواه الكليني عن الفتح بن يزيد عن أبي الحسن عليه السلام قال : إن لله تعالى إرادتين إرادة حتم وإرادة عزم، بأن المراد بالحتم القديمة وبالعزم الحادثة .

تاسعاً : الكلام :

إنه تعالى متكلم كما قال تعالى : **﴿وكلم الله موسى تكليما﴾** وقال تعالى : **﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا﴾** ولأن الكتب الإلٓهية والصحف السماوية والأحاديث

القدسية كلامه تعالى، ولأن الغرض من إيجاده الخلق العبادة على ما يريد كما قال تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** ولا يتحقق ذلك بدون خطاب الله تعالى وكلامه، وحيث كان الكلام مركباً من الحروف والأصوات، فالكلام عرض يقوم بالغير وهو حادث ضرورة فيكون الغير الذي يقوم به الكلام محلاً للحوادث فيكون الغير حادثاً، وحينئذ فمعنى كونه تعالى متكلماً أنه موجد للكلام في جسم من الأجسام كما أوجد الكلام وخلقه في شجرة الطور لموسى عليه السلام. وكذا في طبقات الأفلاك فتسمع الملائكة، وكذا في قلوب الأنبياء والرسل، وقد يوجد النقوش في الألواح السماوية وتقرؤها الملائكة فينزلون بالوحي، أو يوجدها في قلوب الملائكة والأنبياء والأوصياء، وكيف كان فالغرض من وصفه تعالى بالكلام قدرته تعالى على إيجاد الكلام لعموم قدرته، فإنها كما مر تعم جميع المقدورات ومنها خلق الحروف والأصوات فلعموم قدرته على كل شيء نقول إن الله على كل شيء قدير، ومن قدرته الخاصة الجزئية على إيجاد الكلام نقول إنه متكلم كما يقال زيد نجار وزراع أي يقدر على النجارة والزراعة، ويقال إنه قادر ويراد العموم، ونفس الكلام حينئذ من صفات الأفعال الحادثة كالخالقية والرازقية، ويدل على حدوثه العقل والنقل.

أما العقل فلأن الكلام مركب من الحروف المتتالية التي يتقدم بعضها بعضاً ويسبق بعضها على بعض فيكون حادثاً.

وأما النقل فلقوله تعالى: **﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾** والذكر هو القرآن لقوله تعالى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** وقوله تعالى: **﴿وانه لذكر لك ولقومك﴾** وقوله تعالى: **﴿فاسألوا أهل الذكر﴾** وقد وصفه الله تعالى بالحدوث، وإنما أفرد صفة التكلم بالذكر مع أنه من صفات الأفعال لأن عليه بناء التكليف ومبنى البعثة وإنزال الكتب والوحي من الله تعالى. ولا ريب أن الخطاب قبل وجود المخاطب لغو صريح وهو في حق الحكيم غير صحيح وقد قال الله تعالى: **﴿إنا أرسلنا نوحا﴾** ويا نوح ويا آدم ويا إبراهيم وأمثال ذلك، فلو كان الكلام قديماً كيف يحسن الخطاب.

والحنابلة ذهبوا إلى أن كلامه تعالى حروف وأصوات وهي قديمة، بل قال بعضهم بقدم الجلد والغلاف أيضاً.

والكرامية ذهبوا إلى أن كلامه تعالى صفة له مؤلفة من الحروف والأصوات الحادثة القائمة بذاته تعالى.

والأشاعرة أثبتوا الكلام النفسي وقالوا إن كلامه تعالى معنى واحد بسيط قائم بذاته

تعالى قديم. وهذه الأقوال مع ثبوت الأدلة على بطلانها تشهد البديهة بفسادها مع أن الكلام النفسي غير معقول ويستلزم ثبوت النفس له تعالى فيكون جسماً محلاً للحوادث تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

عاشراً : الصدق :

في أنه تعالى صادق لا يجوز عليه الكذب مطلقاً، لأن الكذب قبيح وهو تعالى منزه عن القبائح، والكذب للإصلاح إنما جاز للمخلوق لارتكاب أقل القبيحين لأجل عجزهم وعدم قدرتهم على دفع فساد الصدق، والله تعالى لا يوصف بعجز، ولأن الصدق كمال وضده النقص، والواجب يجب أن يكون كاملاً من جميع الجهات كما تقدم .

٢ ـ الأدلة على أن صفات الله تعالى عين ذاته :

الصفات الكمالية كالعلم، والقدرة، والاختيار، والحياة، والإرادة، والكراهة، والسمع، والبصر، والسرمدية، ونحوها، هي عين ذاته تعالى وجوداً وعيناً وفعلاً وتأثيراً، بمعنى أن ذاته تعالى بذاته يترتب عليه آثار جميع الكمالات ويكون هو من حيث ذاته مبدء لانتزاعها منه ومصدقاً لحملها عليه، وإن كانت هي غيره من حيث المفهوم والمعنى، وذلك الجواز أن يوجد الأشياء المختلفة والحقائق المتباينة بوجود واحد ونظير ذلك لإفهام المخلوق، فإنه مع كونه واحد يصدق عليه أنه مقدور ومعلوم ومحيى ومراد ومخلوق ومرزوق باعتبارات متعددة وحيثيات مختلفة، وبالجملة فليست صفاته تعالى مغايرة للذات كما في صفاتنا، فإن علمنا وقدرتنا وحياتنا مثلاً غير ذواتنا بل زائدة عليها ضرورة، فإنا كنا معدومين ثم وجدنا، وكنا جاهلين فعلمنا، وكنا عاجزين فقدرنا والله تعالى ليس كمثله شيء ولا يشبه خلقه فصفاته عين ذاته غير زائدة عليها كما ادعاه المشركون، سبحانه وتعالى عما يصفون، والدليل على ذلك من العقل وجوه :

الأول : انها لو كانت غير ذاته لكان تعالى محتاجاً في كامليته إلى صفاته، وإذا كان محتاجاً كان ممكنا، فلا يكون واجباً صانعاً، وقد تقدم بطلانه .

الثاني : إن الصفة متأخرة عن الموصوف فيلزم أن يكون الله تعالى عاجزاً جاهلاً في وقت ثم صار قادراً عالماً، تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً .

الثالث : إنها لو كانت غير ذاته فإما أن تكون قديمة أو حادثة قائمة بذاته تعالى أو

بغيره، واللازم باطل فالملزوم مثله. بيان ذلك أن صفاته تعالى إذا كانت حادثة وقائمة بذاته لزم كونه تعالى محلاً للحوادث فيكون حادثاً لأن الحوادث من صفات الحادث وخواصه، ولأنه إذا لم يكن حادثاً بل كان قديماً فصفاته التي يدعون حدوثها، إما أن تكون معه في القديم فيلزم قدمها وقد قالوا إنها حادثة، وإن لم تكن معه لزم اما انفكاك ما فرض عدم انفكاكه إذا ادعوا أنها قائمة بذاته وقد تخلف، وإما حدوث الموصوف بالحوادث فيلزم أن يكون تعالى حادثاً، وإن قالوا إنها قديمة وقائمة بذاته، وهكذا يقولون فيلزم تعدد القدماء فيكون الله تعالى قديماً وقدرته التي هي غيره قديمة أيضاً، وهكذا علمه وحياته وسمعه وبصره. وقد اعترف بعض أئمة الضلال بذلك، وقال إن النصارى كفروا بقولهم إن الله ثالث ثلاثة، فقالوا بتعدد ثلاثة من القدماء، وأصحابنا قالوا بقدم تسعة، الإلّه وصفاته الثمانية، وإن كانت قائمة بغير ذاته تعالى كان الموصوف بها ذلك الغير الذي قامت به، فيكون الله سبحانه على قولهم عارياً عن الكمالات فلا يمكنه إيجاد المخلوقات. والقول بأنها لا في محل كذلك أيضاً مع أنهُ حمق إذ يستحيل وجود صفة لا في محل، فزيادة الصفات مع الحدوث كفر مستلزم لإنكار الواجب، ومع القدم شرك يستلزم تعدد القدماء فتعينت العينية .

الرابع : انها لو كانت زائدة على ذاته فلا يخلو إما أن تكون مستندة إلى غيره كيف وليس وراءه تعالى شيء، أو إلى ذاته كيف ومفيض الكمال لا يكون قاصراً عنه .

الخامس : إنها لو كانت غير ذاته لزم أن تكون ذاته تعالى من حيث هو بلا كمال أشرف منه من حيث هو كامل، لأنه بالاعتبار الأول مفيض وبالاعتبار الثاني مستفيض. قال بعض المحققين وكما أن مفيض الوجود ليس مسلوب الوجود في مرتبة، فكذلك واهب الكمال لا يجوز أن يكون مفتقراً في حد ذاته، إذ المفيض لا محالة أكرم وأعلى وأمجد من المفاض عليه، فكما أن في الوجود قائماً بالذات غير متناه في التأكد وإلا لم يتحقق وجود بالغير، فكذلك يجب أن يكون في العلم علم متأكد قائم بذاته، وفي الاختيار اختيار قائم بذاته، وفي الإرادة إرادة قائمة بذاتها، وفي الحياة حياة قائمة بذاتها، حتى يصح أن تكون هذه الأشياء في شيء لا بذواتها بل بغيرها، فإذا فوق كل ذي علم عليم بذاته، وفوق كل ذي قدرة قدير بذاته، وفوق كل ذي سمع سميع بذاته، وفوق كل ذي بصر بصير بذاته، إلى غير ذلك من صفات الكمال. ويجب أن يكون جميع ذلك واحداً حقيقياً بالوجود لامتناع تعدد الغني بالذات فهو الله عز وجل، كما قيل وجود كله، وجوب كله، علم كله، قدرة كله، حياة كله، لا أن شيئاً منه علم وشيئاً آخر قدرة ليلزم التركيب في ذاته، ولا أن شيئاً فيه

علم وشيئاً آخر فيه قدرة ليلزم التكثر في صفاته الحقيقية، يعني أن ذاتهُ بذاتهِ من حيث هو هو مع كمال فرديته منشأ لهذه الصفات مستحق لهذه الأسماء لا بحيثية أُخرى وراء حيثية ذاته، وليس هو لأجل اتصافه بها ذا معان متميزة متخصصة بأسماء متعددة، بل كما أنّا نقول لكل واحد من موجودات العالم إنه معلومهُ ومقدوره ومراده من غير أن نثبت فيه معان شتى، فكذلك نصف موجوده بالعلم والقدرة والإرادة مع كونه أحدياً فرداً، بل صفة من صفاته عين صفاته الأُخرى وما ندركهُ صفة ندركهُ بجميع الصفات إذ لا اختلاف هناك ونعم ما قيل :

عباراتنا شتى وحسنك واحد　　وكل إلى ذاك الجمال يشير

قال أمير المؤمنين عليه السلام : من وصف الله فقد قرنه، ومن قرنهُ فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزاه، ومن جزاه فقد جهله، يعني من وصف الله تعالى بصفة مغايرة لذاته فقد جعله مقارناً لغيره وهو الصفة، ومن جعلهُ مغايراً لغيره من صفته فقد ثناه إذ الموصوف أول والوصف ثاني، ومن ثناه فقد جزاه أي جعله ذا جزء مركب من ذات وصفة، ومن قال بأنه ذا جزء لم يعرفه لأن الله واحد أحد .

وقال عليه السلام : أول الدين معرفته، وكمال معرفته توحيده، وكمال توحيده نفي الصفات عنه .

وروى الصدوق في التوحيد عن عروة قال قلت للرضا عليه السلام خلق الله الأشياء بقدرة أم بغير قدرة، فقال : لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة، لأنك إذا قلت خلق الأشياء بالقدرة فكأنك قد جعلت القدرة شيئاً غيره، وجعلتها آلة له بها خلق الأشياء، وهذا شرك. وإذا قلت خلق الأشياء بقدرة فإنما تصفه أنه جعلها باقتدار عليها وقدرة، ولكن ليس هو بضعيف ولا عاجز ولا محتاج إلى غيره. وبإسناده عن الباقر عليه السلام أنه قال سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع. وقال عليه السلام إنه واحد احدي المعنى ليس بمعان كثيرة مختلفة. والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى .

الباب الثاني : الصفات السلبية

١ ـ بيان الصفات السلبية :

إن صفات الله تعالى السلبية تنفي النقائص عنه تعالى، لأن إثبات الكمال لا يتم إلا بنفي النقص، كما لا يتم إثبات الحق إلا بنفي الباطل، وتسمى أيضاً صفات الجلال كما

أُشير إليها بقوله تعالى : ﴿**تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام**﴾ قيل الجلال صفاته السلبية والإكرام صفاته الثبوتية، وقدم الجلالية لأن دفع المضرة أهم من جلب المنفعة والتحلية بالأوصاف الجميلة تتوقف على التخلية من الأخلاق الرذيلة، كما لا ينمو الزرع والشجر في أرض لم تصفُ من الشوك والحجر، ويجب سلب كل نقص عنه تعالى لكماله ولا حصر فيها كما في الصفات الثبوتية، لأن الحصر يشعر بأن لا مانع من أن يكون فيه نقص غير ما حصر، ونحن لما رأينا فينا نقائص استهجنها العقل، وعلمنا أنها من نقصنا وعجزنا نزهنا الواجب تعالى عنها لكماله وقدرته، ولنقتصر على بيان جملة من أُصولها للأنموذج والإيضاح كما في الصفات الثبوتية .

الأول : أنه تعالى لا شريك له كما تقدم في مبحث التوحيد .

الثاني : انه ليس بمحتاج في الذات ولا في الصفات إلى الغير والمكان والزمان والكيفية والأدوات والآلات، فإن الله لغني عن العالمين لتفوق المحتاج إليه على المحتاج ضرورة، فيكون هو الأحق بأن يكون هو الصانع الحق، ولكونه واجب الوجود لذاته كما تقدم كان الله ولم يكن معه شيء، فكان غنياً عمن سواه أزلاً وهكذا أبداً، ولأنه قد ثبت قدمه والقديم هو الذي يتقدم على الكل فيكون غنياً عن الكل .

الثالث : إنه تعالى ليس بمركب من الأجزاء الخارجية كالمداد، ولا من الاجزاء الذهنية كتركب الإنسان من الحيوان والناطق ونحوه، وإلا للزم احتياجه إلى الأجزاء الخارجية أو الذهنية، والاحتياج من خواص الممكن لا الواجب ولأنه تعالى هو الغني عما سواه ولأنه تعالى ليس كمثله شيء وليس هو تعالى كالبسائط التي خلقها لأنها وإن لم تكن لها أجزاء حقيقية ولكن لها أجزاء ذهنية ووهمية، والله سبحانه تعالى ليس كمثله شيء ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس .

الرابع : إنه تعالى ليس محلاً للحوادث كالنوم واليقظة والحركة والسكون والقيام والقعود والكهولة والصبا والشباب والشيب والقوة والضعف والكلال والنشاط والفرح والحزن والرضى والسخط ونحوها، لأن ما ثبت قدمه يمتنع أن يكون محلاً للحوادث وهذه كلها من لوازم الجسم أو الجسماني والله منزه عنهما كما عرفت، ولأن الاتصاف بهذه الحوادث والعوارض دليل على العجز والنقص وهو تعالى منزه عنهما، وهذه الأُمور كلها مخلوقة له تعالى يمتنع اتصاف الخالق بها وقال تعالى : ﴿**هو الأول والآخر**﴾ وقال تعالى : ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾ وقال تعالى : ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ وما ورد من وصفه

تعالى بشيء من ذلك في الكتاب والسنة كقوله : ﴿رضي الله عنهم﴾ وقوله تعالى : ﴿وغضب الله عليهم﴾ ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ ﴿الذين يؤذون الله ورسوله﴾ ﴿ويحاربون الله ورسوله﴾ ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ ونحو ذلك وان المراد من جملة منها غاياتها دون مباديها، فغاية الرضى الإكرام والإحسان، وغاية الغضب العقاب والعذاب ونحو ذلك ولذا قيل خذ الغايات واترك المبادىء. وورد في تأويل بعضها إن لله أولياء من حاربهم فكأنما حاربه ومن آذاهم فكأنه قد آذاه كما قال تعالى : ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ ﴿والذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾ وفي الحديث (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة) ونحو ذلك .

الخامس : إنه تعالى لا يحل ولا يتحد بغيره كما زعمته بعض الفرق المبتدعة المضلة لأن الحالّ يفتقر إلى المحل الذي يحل فيه، والفقر والاحتياج من خواص الممكن ولأن الحلول في مكان يستلزم الخلو من مكان آخر وهو سبحانه موجود في كل مكان لا بمداخلة، خارج عنه لا بمزايلة، ولأن الانتقال من حال إلى حال علامة الزوال والله لم يزل ولن يزال، ولاستلزامه الجسمية والعرضية والمكانية وهو سبحانه منزه عن الجميع .

وأما الاتحاد وهو صيرورة الشيئين شيئاً واحداً بلا زيادة ولا نقصان فهو محال في نفسه غير معقول، والواجب تعالى لو اتحد بغيره لكان ذاك الغير إما واجباً أو ممكناً، فإن كان واجباً لزم تعدّد الواجب، وإن كان ممكناً فالحاصل بعد الاتحاد إما أن يكون واجباً أو ممكناً وانقلاب كل من الممكن والواجب إلى الآخر محال .

وما زعمه بعض هؤلاء الكفرة من أن العبد إذا بلغ درجة العرفان وفاز بمنزلة الإيقان اتحد بربه وبطل عنده ما كان يتوهم من الإثنينية والمغايرة بينه وبين ربه وسقط التكليف عنه مستشهدين بقوله تعالى : ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ وقوله عليه السلام أقل ما اوتيتموه اليقين، ومن أوتي حظه لم يبال ما أنقص من صومه وصلاته فاسد، فإنه لو جاز سقوط العبادات عن العارف الموقن لسقطت عن سند العارفين وسيد الموقنين، وكان يعبد الله حتى تورمت قدماه وآخر وصاياه الصلاة الصلاة، والمراد باليقين في الآية الموت، والمراد من الحديث أن اليقين أفضل من الصوم والصلاة المسنونين. وقال تعالى في كتابه : ﴿ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع

الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين[1]﴾[2] .

السادس : أنهُ تعالى ليس بجسم وهو ما يقبل الأبعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق لافتقار الجسم إلى المكان الذي هو من خواص الممكن ولأنه تعالى الغني عما سواه، ولا كالسطح وهو ما له عرض وطول دون العمق، ولا كالنقطة التي هي طرف الخط ومقابل الجسم، ولا تقبل شيئاً من الأبعاد الثلاثة لأن ذلك كله من صفات الممكن ومن الأعراض وليس هو تعالى بجوهر وهو القائم بذاته، والمراد به مقابل العرض الذي يقوم بغيره لأن الجوهر جسم وقد عرفت بطلانه ولا بعرض لافتقاره إلى المحل وهو تعالى ليس كمثله شيء .

السابع : إنه تعالى لا يرى بحاسة البصر لا في الدنيا ولا في الآخرة، واتفقت على ذلك الإمامية ودل الكتاب والسنة على ذلك خلافاً للمشبهة والكرامية، فذهبوا إلى جواز رؤيته تعالى في الجهة والمكان لكونه تعالى عندهم جسماً، وخلافاً للأشاعرة فاتفقوا على وقوع رؤيته تعالى في الآخرة فضلاً عن الجواز، واتفقوا على إمكانها وجوازها في الدنيا، واختلفوا في وقوعها وأن النبي ﷺ هل رأى ربه ليلة الإسراء أم لا؟ وأكثرهم على الأول : أما الإمامية فقالت بامتناع رؤيته لعدة أُمور :

أولها : لأن المرئي بحاسة البصر لا بد أن يكون جسماً وفي جهة مقابلة وذا صورة ومثل ومكان، والله تعالى منزه عن جميع ذلك كما عرفت. ولأن المرئي محاط بالنظر ضرورة والله تعالى محيط كما قال : **﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾** والمحيط لا يكون محاطاً فلا يكون مرئياً، ولوجوب الفاصلة بين الرائي والمرئي كوجوب المقابلة بينهما كما قال الحكماء إن الرائي يخرج من عينيه مد يصل المرئي فتجب الفاصلة والمقابلة وعدم الحاجب، وكل ذلك من لوازم الجسمية وهو تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد .

ثانيها : قوله تعالى : **﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾**[3]. وقال تعالى : **﴿لا تدركهُ الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾**[4]. ففي الصحيح

---

(١) أي الموت .
(٢) سورة المدثر؛ الآيات: ٤٢ ـ ٤٦ .
(٣) سورة النساء؛ الآية: ١٥٣ .
(٤) سورة الأنعام: الآية: ١٠٣ .

عن الصادق عليه السلام إنما عنى إحاطة الوهم، الله أعظم من أن يرى بالعين .

وعن الجعفري عن الباقر عليه السلام في الآية قال يا أبا هاشم أوهام القلوب أدق من أبصار العيون أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركهُ فكيف أبصار العيون .

وعن عاصم بن حميد في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال ذاكرت أبا عبد الله عليه السلام في ما يرون من الرؤية فقال الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزءاً من سبعين جزء من نور السر، فإن كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب، والمراد بالحجاب والسر مقامان من مقامات تجليات نور عظمته تعالى، والمراد بالرؤية الممتنعة عليه تعالى إنما هي رؤية العين، واما رؤية القلب فليست بممتنعة عليه تعالى وعلى ذلك يحمل ما ورد في النقل من جواز الرؤية .

ففي كتاب التوحيد بإسناده عن الأصبغ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قام إليه رجل يقال لهُ ذغلب فقال يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك قال: ويلك يا ذغلب لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره. فقال كيف رأيته صفهُ لنا، قال ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأتهُ القلوب بحقائق الإيمان .

وعن الصادق عليه السلام قال رأى رسول الله ربهُ عز وجل بقلبه. وفي رواية أُخرى أما سمعت الله يقول : ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ لم يره بالبصر ولكن رآه بالفؤاد. وقد تقدمت رواية أبي بصير واستدل القائلون بجواز الرؤية في الدنيا عقلاً بأنه تعالى علق رؤية موسى عليه السلام لما قال ربي أرني أنظر إليك على استقرار الجبل، وهو نفسه أمر ممكن والمعلق على الممكن ممكن ولأنها لو كانت ممتنعة لم يسألها موسى عليه السلام فتكون جائزة وإلا لزم جهل النبي .

ومن خص رؤيته تعالى بالآخرة قال إن القوى والإدراكات ضعيفة في الدنيا، وفي الآخرة تقوى إدراكاتهم فيطيقون رؤيته والجواب عن الشبهة الأُولى انا لا نسلم أن المعلق عليه هو استقرار الجبل مطلقاً فإن الجبل كان مستقراً مشاهداً وقت هذا التعليق بل استقراره حال التجلي وإمكانهُ حينئذ ممنوع ودون إثباته خرط القتاد .

والجواب على الشبهة الثانية بالمعارضة والحل أما المعارضة فلأنّ رؤيته تعالى لو كانت جائزة لما عد طلبها أمراً عظيماً ولما سماه ظلماً ولما أرسل عليهم صاعقة ولما قال

تعالى : ﴿فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾[1] . ولما سمعوا هذه المعارضة اضطربوا فقالوا إن رؤيتهُ جائزة في الدنيا لا على طريق المقابلة والجهة كما هو المعروف في رؤية الممكنات وممتنعة على هذه الطريقة فذمهُ وإنكاره بناء على أنهُ طلب من هذه الطريقة الممتنعة. ولا يخفى ما في هذا الجواب من الركاكة، لأن طلب الرؤية من هذه الطريقة كيف يصلح أن يكون دليلاً على جواز الرؤية من غير هذه الطريقة على أنهُ يلزم جهل النبي الكريم، وأما الحل فلأن الأمر في قوله تعالى أرني ليس محمولاً على طلبها حقيقة بل على إظهار حاله على الجماعة الحاضرين معهُ الطالبين لرؤيتهِ تعالى القائلين له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وأصروا عليه كما حكى الله عنهم، والتخصيص بالآخرة مع القول بالامتناع في الدنيا سفسطة لا برهان له ولا دليل عليهِ .

الثامن : إنهُ تعالى لا يفعل قبيحاً لأن فاعل القبيح إما أن يكون جاهلاً بقبحهِ أو عالماً به ولكنه عاجز عن تركه أو محتاجاً إلى فعله أو قادراً غير محتاج ولكن يفعل عبثاً، وعلى الأول يلزم جهله تعالى وعلى الثاني عجزه وعلى الثالث احتياجه وعلى الرابع السفه والكل محال، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

التاسع : إنه تعالى لا يشبه شيئاً من مخلوقاته كما قال تعالى ليس كمثله شيء بل هو مغاير للمخلوق لأن كل صانع مغاير لمصنوعهِ ولو بالصانعية وهذا بديهي وبذلك تعرف جميع الصفات السلبية .

٢ ـ الاستدلال على وجود الواجب :

ويمكن الاستدلال على وجود الواجب وجميع صفاته الثبوتية والسلبية والكمالية والجلالية بدليل واحد قطعي يقيني تذعن له العقول السليمة والافهام المستقيمة من دون حاجة إلى إقامة دليل تفصيلي على كل من ذلك وهو هذا :

إن الصانع المحكم صنعه على هذا النظام العجيب والنسق الغريب الذي تحير فيه العقول ويذعن له أولو المعقول والمنقول يجب أن يكون في غاية الكمال بالنظر إلى كل كامل. ويجب أيضاً أن تكون كمالاته كلها موجودة بالفعل خارجة عن القوة، وإلا لافتقر إلى مخرج لها من القوة إلى الفعل فلم تكن ذاتية وللزم التركيب في ذاته عز وجل من جهتي

---

(١) سورة النساء؛ الآية: ١٥٣ .

قوة وفعل، ولأنه لو كان له كمال منتظر الخروج من القوة إلى الفعل لكان ناقصاً بالنظر إلى ذلك الكمال، فلم يكن كاملاً من جميع الوجوه وقد وجب أن يكون كاملاً فيه، وإذا كان كذلك وجب أن يكون واحداً بالذات والصفات، لأن غاية الكمال كمال فوق جميع الكمالات. ولا ريب أن الواحد بالذات والصفات أكمل من المماثل في جميع الكمالات إذ لا يعقل فوق المثل أكمل في الكمالات وهو اللامثل بالذات والصفات، ولا يعقل فوق الوحيد الفريد أكمل في الكمالات فهو في غاية الكمال في جميع الكمالات، ويجب أيضاً أن يكون عالماً قادراً مختاراً في فعله مريداً سميعاً بصيراً حياً إلى غير ذلك من صفات الإيجاب والسلب، وذلك لأن نقائضها نقص وقد عرفت أنه يجب أن يكون في غاية الكمال.

٣ ـ الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل :

إن صفاته تعالى على ضربين : صفات ذات وصفات فعل.

فصفات الذات كالوجود والعلم والقدرة والحياة والسرمدية ونحوها وهي عين ذاته كما تقدم.

وصفات الفعل كالخالقية والرازقية والإحياء والإماتة فهي حادثة وهي أُمور اعتبارية انتزعت باعتبار المخلوق والمرزوق والمحيى والممات، وليست هذه الصفات قديمة وإلا لزم قدم العالم فقد كان الله ولم يكن خالقاً ولا رازقاً ولا محيياً ولا مميتاً. وهذه الصفات ليست صفات كمال حتى يلزم النقص من انتفائها عنه تعالى، بل الكمال إنما هو قدرته تعالى على الخلق وعلمه بمصلحة وقت إيجادهم بل ربما كان استمرار هذه الصفات وقدمها وابديتها نقصاً، كما إذا كان الصلاح في إيجاد زيد في هذا اليوم لا قبله ولا بعده فإيجاده قبل ذلك أو بعده نقص على الله تعالى. وهكذا الكلام في اغنائه وإفقاره وإماتته وإحيائه ونحوها.

والضابط في الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل أن صفات الذات ما اتصف الله تعالى بها وامتنع اتصافه بضدّها كالعلم والقدرة والحياة ونحوها، فلا يجوز أن يقال إن الله عالم بكذا وغير عالم بكذا، وقادر على كذا وغير قادر على كذا، وسميع وبصير بكذا وغير سميع وبصير بكذا ونحو ذلك.

وصفات الفعل ما يتصف تعالى بها وبضدها، فيقال إن الله تعالى خلق زيداً ولم

يخلق ابنه وأحيا زيداً وأمات عمراً، وأفقر بكراً وأغنى خالداً ونحو ذلك . وبهذا استدل الكليني (رض) على أن الإرادة من صفات الأفعال الحادثة بمعنى الإيجاد إذ يقال أراد الله الخير ولم يرد الشر وأراد إيجاد زيد في وقت كذا ولم يرده قبله ولا بعده. وهذه الصفات زائدة إذ لا يمكن كون النقيضين عين ذاته تعالى فلا بد من زيادتها فلا تكون من صفات الذات، وأيضاً يلزم من كونها من صفات الذات قدمها مع زيادتها فيلزم تعدد القدماء وأيضاً لو كانت من صفات الذات لزم زوالها عند طروء نقيضها فيلزم التغيير في الصفات الذاتية .

الباب الثالث : معرفة الذات والصفات

١ ـ خطب الامام علي عليه السلام في وصف الله تعالى :

في التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الوسيلة : الحمد لله الذي أعجز الأوهام أن تنال إلا وجوده، وحجب العقول عن أن تتخيل ذاته في امتناعها من الشبه والشكل، بل هو الذي لم يتفاوت في ذاته ولم يتبعض بتجرية العدد في كماله، فارق الأشياء لا على اختلاف الأماكن، وتمكن منها لا على الممازجة، وعلم بها لا بإرادة لا يكون العلم إلا بها وليس بينه وبين معلومه علم غيره، إن قيل كان فعلى تأويل أزلية الوجود، وإن قيل لم يزل فعلى تأويل نفي العدم .

وعنه عليه السلام أنه خطب في مسجد الكوفة فقال : الحمد لله الذي لا من شيء كان ولا من شيء كوّن ما قد كان المستشهد بحدوث الأشياء على أزليته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه، لم يخل منه مكان فيدرك بأينية، ولا له شبح مثال فيوصف بكيفية، ولم يغب عن شيء ليعلم بحيثية، مباين لجميع ما أحدث في الصفات وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات، محرم على بوارع ثاقبات الفطن تحديده، وعوامق ثاقبات الفكر تكييفه، وعلى غوائص سابحات النظر تصويره، لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تذرعه المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقاييس لكبريائه، ممتنع عن الأوهام أن تكتنهه، وعن الأفهام ان تستغرقه، وعن الأذهان أن تمثله، قد يئست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول، ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناه بحارة العلوم، ورجعت بالصغر عن السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم .

واحد لا من عدد ودائم لا بأمد وقائم لا بعمد، ليس بجنس فتعادله الأجناس، ولا

بشبح فتعارضه الأشباح، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات، قد ضلت العقول في أمواج تيار ادراكه، وتحيرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزليته، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته، وغرقت الأفلاك في لجج أفلاك ملكوته، مقتدر بالآلاء وممتنع بالكبرياء وممتلك على الأشياء، فلا دهر يخلقه ولا وصف يحيط به، قد خضعت له رواتب الصعاب في محل تخوم قرارها، واذعنت له رواصن الأسباب في منتهى شواهق أقطارها، مستشهد بكلية الأجناس على ربوبيته، وبعجزها على قدرته، وبفطورها على قدمه، وبزوالها على بقائه، فلا لها محيص عن إدراكه، ولا خروج عن إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع عن قدرته عليها، كفى باتقان الصنع لها آية وبمركب الطبع عليها دلالة وبحدوث الفطر عليها قدمه وبإحكام الصنعة لها عبره، فلا إليه حد منسوب ولا له مثل مضروب ولا شيء عنه بمحجوب، تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقة علواً كبيراً .

وقال عليه السلام : أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزاه، ومن جزاه فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده، أنشأ الخلق انشاء، وابتدأه ابتداء بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة أحدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها ولاءم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها عارفاً بقرائنها واحنائها .

وقال عليه السلام : ما وحّده من كيّفه، ولا حقيقته أصاب من مثّله، ولا إياه عنى من شبّهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه، كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول، فاعل لا باضطراب آلة، مقدر لا بجول فكره، غني لا باستفادة، لا تصحبهُ الأوقات ولا ترفده الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبمضادته بين الأُمور عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له .

ومن كلامه عليه السلام : لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها، وبها امتنع منها وإليها حاكمها، ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً، ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً، بل كبر شأناً وعظم سلطاناً .

وقال عليه السلام : بطن خفيات الأُمور، ودلت عليه أعلام الظهور، وامتنع على عين البصيرة فلا عين من لم يره تنكره. ولا قلب من أثبته يبصره، سبق في العلو فلا شيء أعلا منه، وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه .

وسأله عليه السلام حبر من الأحبار فقال متى كان ربك، فقال : ويلك إنما يقال متى كان لما لم يكن، فأما ما كان فلا يقال متى كان، كان قبل القبل بلا قبل، وبعد البعد بلا بعد، ولا منتهى غاية لتنتهي غايته. إلى غير ذلك من كلامه عليه السلام وكلام أولاده الطاهرين. ولو اجتمع الإنس والجن لما وحَّدوا الله بمثل توحيدهم عليهم السلام ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ولولاهم عليهم السلام لما علم الناس كيف يسلكون سبيل التوحيد .

٢ ـ انه لا سبيل للمخلوق في معرفة كنه الذات الالهية :

اعلم أنه لا سبيل للمخلوق إلى معرفة كنه الخالق وحقيقته والإحاطة به جل شأنه كما قال عز وجل : **﴿ولا يحيطون بهِ علما﴾**[١]. وقال تعالى : **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾**[٢] وفي الدعاء سبحان الله من لا يعلم ما هو إلا هو .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : لا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين .

وقال عليه السلام : من قال فيه لم فقد علَّلهُ، ومن قال فيهِ متى فقد وقته، ومن قال فيمَ فقد ضمنه، ومن قال أنّى فقد أنهاه، ومن قال حتى فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزاه، ومن جزاه فقد ألحد فيه، لا يتغير الله بتغاير المخلوق ولا يتجدد بتجدد المحدود .

وقال الصادق عليه السلام : وكيف أصفه بالكيف وهو الذي كيف الكيف حتى صار كيفاً، فعرفت الكيف بما كيف لنا من الكيف. وتوضيح ذلك على ما قاله بعض العارفين أن الخلق كلهم لم يعرفوا إلا احتياج هذا العالم المنظوم المحكم إلى صانع مدبر حي عالم

---

(١) سورة طه؛ الآية : ١١٠ .

(٢) سورة الأنعام؛ الآية : ٩١ .

سميع بصير قادر وهذه المعرفة لها طرفان :

الأول : يتعلق بالعالم ومعلوم احتياجه إلى مدبر .

الثاني : يتعلق بالله، ومعلومه اسامي مشتقة من صفات غير داخلة في حقيقة الذات وماهيته .

وقد ثبت أنهُ إذا أشار المشير إلى شيء وقال ما هو لم يكن ذكر الأسماء المشتقة جواباً أصلاً، فلو أشار شخص إلى حيوان فقال ما هو فقيل طويل أو أبيض أو بصير، أو أشار إلى ماء فقال ما هو فأُجيب بأنهُ بارد، أو إلى نار فقال حار فكل ذلك ليس بجواب عن الماهية البتة، والمعرفة بالشيء هو معرفة حقيقته وماهيته لا معرفة الأسامي المشتقة، فإن قولنا حار معناه شيء مبهم له وصف الحرارة، وكذلك قولنا قادر عالم معناه شيء مبهم له وصف العلم والقدرة، وأما قولنا إنه واجب الوجود فهو عبارة عن استغنائهِ عن الفاعل، وهذا يرجع إلى سلب السبب عنه. وقولنا انه يوجد عنه كل موجود يرجع إلى إضافة الأفعال إليه، فإذا قيل له ما هذا الشيء فقلنا هو الفاعل لم يكن جواباً، فكيف قولنا هو الذي لا سبب له لأن كل اخبار عن غير ذاته وعن إضافة له إلى ذاته اما بنفي أو إثبات، وكل ذلك في أسماء وصفات واضافات. فإنا لما رأينا الوجود والقدرة والعلم فينا وعلمنا أنها ليست من ذواتنا بل من الفياض الحقيقي علمنا أنه موجود قادر عالم ونحو ذلك بلا كيفية لصفاته. ولما رأينا فينا بعض الكمالات كالوجود والقدرة والعلم والحياة والإدراك ونحوها وعلمنا أن نقائضها من العدم والعجز والجهل والموت وعدم الإدراك نقائص، وصفنا ربنا بالكمالات ونزهناه عن النقائص، مع عدم علمنا بكنه ما اثبتناه له تعالى. فنهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة انهم لا يعرفونهُ حق معرفتهِ، وانهُ لا يمكنهم معرفة الحقيقة البتة وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى. فإذا انكشف لهم ذلك انكشافاً برهانياً فقد عرفوه أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته، وهو الذي أشار إليه من قال العجز عن درك الإدراك إدراك بل هو الذي عناه سيد البشر ﷺ حيث قال : لا احصي ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك. ولم يرد به أنهُ عرف منه ما لا يطاوعه لسانهُ في العبارة عنه بل معناه أني لا أُحيط بمحامدك وصفات إلٓهيتك وإنما أنت المحيط بها وحدك .

وقال ﷺ : إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم .

وروى ثقة الإسلام في الكافي عن أبي بصير عن الباقر عليه السلام قال تكلموا في خلق الله تعالى ولا تتكلموا في الله تعالى فإن الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحيراً .

وعن الصادق عليه السلام قال : إن الله يقول : ﴿وإن إلى ربك المنتهى﴾ فإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا .

وعن محمد بن مسلم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام يا محمد إن الناس لا يزال بهم النطق حتى يتكلموا في الله فإذا سمعتم ذلك فقولوا لا إلّه إلا الله الذي ليس كمثله شيء .

وعنه عليه السلام : من نظر في الله كيف هو هلك .

وعن محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام قال : إياكم والتفكر في الله ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه .

وعنه عليه السلام : يا بن آدم لو أكل قلبك طائر لم يشبعه، وبصرك لو وضع عليه خرت إبرة لغطاه، تريد أن تعرف بهما ملكوت السمٰوات والأرض إن كنت صادقاً فهذه الشمس خلق من خلق الله، فإن قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول .

واما اتساع المعرفة فإنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته وبها تتفاوت درجات الملائكة والأنبياء والأولياء في معرفة الله عز وجل فليس من يعلم أنه قادر عالم على الجملة كمن شاهد عجائب آياته في ملكوت السماوات والأرض، وخلق الأرواح والأجساد واطلع على بدائع المملكة وغرائب الصنعة ممعناً في التفصيل، ومستقصياً دقائق الحكم، ومستوفياً لطائف التدبير، ومتصفاً بجميع الصفات الملكية المقربة من الله تعالى نائلاً لتلك الصفات نيل اتصاف بها، بل بينهما من البون البعيد ما لا يكاد يحصى. وفي تفاصيل ذلك ومقاديره تتفاوت الدرجات، فلا تلتفت إلى من يزعم أنه وصل إلى كنه الحقيقة المقدسة بل احث التراب في فيه فقد ضل وغوى وكذب وافترى فإن الأمر أرفع وأظهر من أن يتلوث بخواطر البشر، وكلما تصوره العالم الراسخ فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ، وأقصى ما وصل إليه الفكر العميق فهو غاية مبلغه في التدقيق، فسبحان من حارت لطائف الأوهام في بيداء كبريائه وعظمته، وسبحان من لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته .

إعتصام الورى بمغفرتك	عجز الواصفون عن صفتك
تب علينا فإننا بشر	ما عرفناك حق معرفتك

ولله در من قال :

والله لا موسى ولا عيسى ... المسيح ولا محمد
علموا ولا جبريل ... وهو إلى محل القدس يصعد
كلا ولا النفس البسيطة ... لا ولا العقل المجرد
من كنه ذاتك غير أنك ... أوحدي الذات سرمد
وجدوا إضافات وسلباً ... والحقيقة ليس توجد
ورأوا وجوداً واجباً ... يفني الزمان وليس ينفد
تاه الأنام بسكرهم ... فلذاك صاحي القوم عربد
ونجا من الشرك الكثيف ... مجرد العزمات مفرد
فليخسأ الحكماء عن حرم ... له الأملاك سجد
من أنت يا رسطو ومن ... أفلاط قبلك يا مبلد
ومن ابن سينا حين قرر ... ما بناه له وشيد
ما انتمو إلا الفراش ... رأى السراج وقد توقد
فدنا وأحرق نفسه ... ولو اهتدى رشداً لأبعد

٣ ـ لا سبيل للمخلوق في معرفة كنه الصفات الالهية :

وكما يمتنع على غير الله تعالى معرفة كنه ذاته، فكذلك يمتنع معرفة كنه صفاته، لأن صفاته تعالى كما عرفت عين ذاته، وكلما وصفه به العقلاء فإنما هو على قدر أفهامهم وبحسب وسعهم فإنهم إنما يصفونه بالصفات التي ألفوها وشاهدوها في أنفسهم مع سلب النقائص الناشئة من انتسابها إليهم بنوع من المقايسة، ولو ذكر لهم من صفاته عز وجل ما ليس لهم ما يناسبه بعض المناسبة لم يفهموه ككونه تعالى لا أول له ولا آخر، ولا جزء له وليس في مكان ولا زمان، وكان ولم يكن معه شيء من زمان أو مكان أو ليل أو نهار أو ظلمة أو ضياء، لحاروا وتحيروا وعجزوا ولم يفهموا شيئاً، فتوصيفهم إياه سبحانه بأشرف طرفي النقيض كالعلم والجهل، والقدرة والعجز، والحياة والموت، إنما هو على قدرهم لا قدره، وبحسبهم لا بحسبه، فسبحانه عما يصفون وتعالى شأنه عما يقولون .

ولذا قال باقر العلوم عليه السلام هل سمي عالماً قادراً إلا لأنه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين، وكلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم، والباري تعالى واهب الحياة ومقدر الموت ولعل النمل الصغار تتوهم أن لله

زبانيتين أي قرنين فإنهما كمالها، وتتصور أن عدمهما نقصان لمن لا يكونان له، ولعل حال كثير من العقلاء كذلك فيما يصفون الله تعالى به سبحان ربك رب العزة عما يصفون، ولذا ورد النهي عن وصفه تعالى بغير ما وصف به نفسه .

٤ ـ ما يطلق على الله تعالى وعلى غيره من الصفات :

اعلم أن كل ما تطلق عليه سبحانه وعلى غيره فإنما تطلق عليهما بمعنيين مختلفين ليسا في درجة واحدة، حتى إن الوجود الذي هو أعم الأشياء اشتراكاً لا يشمله وغيره على نهج واحد، بل كل ما سواه فإنما هو موجود به، إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، وهكذا في سائر صفاته كالعلم والقدرة والإرادة والمحبة والرحمة والغضب والجبار وغيرها، فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق بل هو في حق الخلق يصحبه نقص وشين بخلافه في حق الخالق فإنه مقدس عن القصورات والنقائص، وإنما تطلق بعض الصفات كالرحمٰن الرحيم والعطوف ونحوها في حقه تعالى باعتبار غاياتها التي هي الكمالات دون مباديها التي هي النقائص، وواضع اللغات وضع هذه الأسامي أولاً للخلق لأنها أسبق إلى العقول والإفهام، وفهم معانيها في حقه تعالى عسرٌ جداً وبيانها أعسر منه بل كلما قيل في تقريبها إلى الإفهام فهو تبعيد له من وجه كما تقدم في كلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إن قيل كان فعلى تأويل أزلية الوجود، وإن قيل لم يزل فعلى تأويل نفي العدم .

وعن هشام بن الحكم عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال للزنديق حين سأله ما هو قال : هو شيء بخلاف الأشياء ارجع بقولي إلى إثبات معنى وإنه شيء بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيره الأزمان. فقال له السائل فنقول إنه سميع بصير. قال : هو سميع بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه، وليس قولي إنه سميع يسمع بنفسه ويبصر بنفسه أنه شيء والنفس شيء آخر، ولكن أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولاً وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً فأقول سميع بكله لا أن الكل منه له بعض، ولكني أردت افهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي إلى كل ذلك إلا إلى أنه السميع البصير العليم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى. وقد عرفت أن صفاته تعالى ذاته تعالى، فهو كما قيل وجود كله، وجوب كله، علم كله، حياة كله، لا أن شيئاً منه علم وشيئاً آخر قدرة ليلزم التركب في ذاته، ولا أن شيئاً منه علم وشيئاً آخر قدرة ليلزم التكثر في صفاته،

ولا تتعجب من ذلك فإنك إذا حدثت نفسك بشيء فأنت حينئذ عليم به سميع له بصير إياه متكلم به، بل أنت إذ تراك علم وسمع وبصر وكلام. بل وأنت في الحال معلوم ومسموع ومبصر، وكل ما يوهم التشبيه من الصفات من الغضب والرضا والفرح والأسف ونحوها .

فبدايته التي هي الانفعال منفية عنه تعالى، وغايته التي هي الكمال ثابتة له تعالى، وذلك لأن صفات المخلوقات والموجودات تختلف بحسب المظاهر والمقامات، فهي إنما تكون في كل مقام بحسبه، فالغضب في الجسم جسماني يظهر بثوران الدم وحرارة الجلد وحمرة الوجه، وفي النفس نفساني إدراكي يظهر بإرادة الانتقام والتشفي عن الغيظ، وفي العقل عقلي يظهر بالحكم الشرعي بتعذيب طائفة أو خزيهم لإعلاء دين الله، وهو بالنسبة إلى الله تعالى ما يليق بمفهومات صفاته الموجودة بوجود ذاته .

وكذلك الشهوة فإنها في النبات الميل إلى جذب الغذاء والنمو، وفي الحيوان الميل إلى ما يوافق طبعه ويشتهيه، وفي النفس الإنسانية الميل إلى ما يلائم الناطقة من كرائم الملكات، وفي العقل الابتهاج بمعرفة الله وصفاته وأسمائه وأفعاله مما يعرف في الله سبحانه كون ذاته مبدء الخيرات وغايتها وخلقه الخلق لكي يُعرف، وعلى هذا القياس سائر الصفات .

وهو سبحانه بحسب كل صفة ونعت ليس كمثله شيء في تلك الصفة، لأن المخلوق لا يكون أبداً مثل خالقه في شيء من الأشياء لأنه محتاج وخالقه غير محتاج، فلا حد لصفة الله ولا كيف لأنهما من خواص الممكن. ويمكن توجيه آخر للصفات التي توهم التشبيه وهو أنها ترجع إلى خواص أوليائه وأُمنائه، فإن أولياء الله لما قويت ذواتهم وكملت صفاتهم وانشرحت صدورهم لم يحتجبوا بالخلق عن الحق، فكلما يصدر من الأفعال والأعمال والمجاهدات والمخاصمات كان لله وبالله ومن الله وإلى الله وفي الله، فإن غضب كان غضبه لله، وإن أغضب فكذلك، وإن رضي أو أرضى فكذلك، وهكذا في جميع ما يفعل أو ينفعل فيصح نسبة صفاته وأفعاله إلى الله تعالى .

كما ورد في الحديث القدسي الصحيح المتفق عليه بين الفريقين المروي في الكافي وغيره (لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتهُ كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها) وروى الصدوق في كتاب التوحيد باسناده عن الصادق عليه السلام في قوله عز وجل : ﴿**فلما آسفونا انتقمنا منهم**﴾ .

قال إن الله سبحانه لا يأسف كأسفنا ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم

مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضاء نفسه، وسخطهم سخط نفسه لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه، فلذلك صاروا كذلك وليس ذلك يصل إلى الله كما يصل إلى خلقه، لكن هذا معنى ما قال من ذلك، وقد قال من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها، وقال تعالى : **﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾**[1]. وقال تعالى : **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾**[2]. وكل هذا وشبههُ على ما ذكرت لك، وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك، ولو كان يصل إلى المكوّن الأسف والضجر وهو الذي أحدثهما وأنشأهما لجاز لقائل أن يقول إن المكوِّن يبيد يوماً لأنه إذا دخله الضجر والغضب دخله التغيير، فإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه بالإبادة ولو كان ذلك كذلك لم يعرف المكوّن من المكوَّن، ولا القادر من المقدور، ولا الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علواً كبيراً .

---

(١) سورة النساء؛ الآية: ٨٠ .

(٢) سورة الفتح؛ الآية: ١٠ .

الفصل الرابع
أسماء الله تعالى

١ ـ معنى أسماء اللّه تعالى :

قال الله عزّ وجل : ﴿ولِلَّه الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾(١) .

سئل مولانا الرضا عليه السلام عن الاسم ما هو قال : صفة لموصوف فالاسم ما دل على الذات الموصوفة بصفة معينة كلفظ الرحمٰن فإنه يدل على ذات متصفة بالرحمة، والقهار فإنه يدل على ذات لها القهر إلى غير ذلك، والحق أن أسماءه تعالى حروف حادثة مخلوقة تدل على الذات المقدسة وهي غيرها لحدوثها، فلا تكون عين الذات خلافاً لبعض العامة العمياء حيث زعموا انها عين الذات، ولا يخفى فساده فإن الـ خ ب ر غير الخبر، وز ي د غير زيد، وهكذا أسماء الله تعالى، ولأن لله تعالى أسامي كثيرة ولو كان الاسم عين المسمى للزم تعدد الآلهة .

وروى ثقة الإسلام في الكافي بإسناد حسن عن هشام بن الحكم أنه سأل مولانا الصادق عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها، الله ممَّ هو مشتق قال : فقال لي : يا هشام الله مشتق من إلٰه والإلٰه يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمى فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد أفهمت يا هشام. قال فقلت زدني قال : إن لله تسعة وتسعين اسماً فلو كان الإسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلٰهاً، ولكن الله معنى يُدلُّ عليه بهذه الأسماء وكلها غيره، يا هشام الخبز اسم للمأكول والماء للمشروب والثوب اسم للملبوس والنار اسم للمحرق أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والملحدين مع الله

---

(١) سورة الأعراف؛ الآية: ١٨٠ .

تعالى غيره . قلت نعم. قال فقال : نفعك الله به وثبتك يا هشام. قال هشام فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا[1] .

وفي الكافي وتوحيد الصدوق مسنداً عنه عليه السلام قال : من عبد الله بالتوهم فقد كفر، ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الإسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في ستر أمره وعلانيته فأولئك هم المؤمنون حقاً .

وفي رواية أُخرى : فأُولئك أصحاب أمير المؤمنين حقاً .

قال بعض العارفين المراد بالإسم في الخبرين ما يفهم من اللفظ، وبالمعنى ما يصدق عليه اللفظ فالاسم أمر ذهني والمعنى أمر خارجي وهو المسمى، والاسم غير المسمى، لأن الإنسان مثلاً في الذهن ليس بإنسان ولا له جسمية ولا حياة ولا حس ولا حركة ولا نطق ولا شيء من خواص الإنسانية فتدبر فيه تفهم معنى الحديث .

٢ ـ للّه تعالى تسعة وتسعون اسماً :

روى الصدوق في كتاب التوحيد بإسناده عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إن لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من احصاها دخل الجنة وهي :

الله، الواحد، الأحد، الصمد، الأول، الآخر، السميع، البصير، القدير، القاهر، العلي، الأعلى، الباقي، البديع، البارىء، الأكرم، الظاهر، الباطن، الحي، الحكيم، العليم، الحليم، الحق، الحفيظ، الحسيب، الحميد، الخفي، الرب، الرحمٰن، الرحيم، الذاري، الرازق، الرقيب، الرؤوف، الرائي، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الجامع، الشهيد، الصادق، الصانع، الطاهر، العدل، العفو، الغفور، الغني، الغياث، الفاطر، الفرد، الفتاح، الفالق، القديم، الملك، القدوس، القوي، القريب، القيوم، القابض، الباسط، قاضي الحاجات، المجيد، المولى، المنان، المحيط، المبين، المقيت، المصور، الكريم، الكبير، الكافي، كاشف الضر، الوتر، النور، الوهاب، الناصر، الواسع، الودود، الهادي، الوفي، الوكيل، الوارث، البر، الباعث، التواب، الجليل، الجواد، الخبير، الخالق، خير الناصرين، الديان، الشكور، العظيم، اللطيف، الشافي .

---

(١) اصول الكافي ج ١ باب ١٦ ح ٢ ص ١٦٨ .

٣ ـ فضيلة احصاء أسماء اللّه تعالى :

وبأسناده عن الرضا عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لله عز وجل تسعة وتسعون إسماً من دعا الله بها استجاب له، ومن أحصاها دخل الجنة .

ورواها العامة أيضاً بأسانيد عديدة باختلاف في بعضها باللفظ، واستبدال بعض من الأسماء مكان بعض فيما تضمن التفصيل منها، وزاد في بعضها إن الله تعالى وتر ويحب الوتر، وقال بعض المحققين وإنما خص هذا العدد بالذكر مع ان أسماء الله سبحانه أزيد من ذلك بما لا يدخل تحت الضبط كما يستفاد من تتبع الكتاب والسنة، إما لاختصاص هذه بما رتب عليه من دخول الجنة بإحصائها واستجابة الدعوة، أو لامتيازها من سائر الأسماء بمزيد فضل لجمعها أنواعاً من المعاني المنبئة عن الجلال ما لا يجمع غيرها، ولا بد أن يكون تحت كل منها معنى في الآخر ولو باشتماله على زيادة دلالة لا يدل عليها الآخر، كالغني والملك فإن الغني هو الذي لا يحتاج إلى شيء، والملك هو الذي لا يحتاج إلى شيء ويحتاج إليه كل شيء، فيكون الملك مفيداً معنى الغني وزيادة، وكذلك العلم والخير فإن العلم يدل على العلم فقط، والخير يدل على علم بالأمور الباطنة وربما عجزنا عن التنصيص على خصوص ما به الافتراق عن اثنين منها، وإن كنا لا نشك في أصل الافتراق كالعظيم والكبير فإنه لا يستعمل أحدهما مكان الآخر في لغة العرب، فلا يقال فلان أعظم سناء، مكان قولهم أكبر سناء .

وفي الحديث القدسي العظمة ازاري، والكبرياء ردائي، ففرق بينهما فرقاً يدل على التفاوت. وإن كنا لا نعرفه بعينه وإنما قلنا بوجوب الافتراق لأن الأسامي لا تراد لحروفها ومخارج أصواتها، بل لمفهوماتها ومعانيها فلا يجوز أن تكون مترادفة محضة حيث دخلت تحت الضبط في عدد مخصوص. وإن كانت أسماء الله كلها يندرج بعضها في بعض بالمعنى كاندراج النافع تحت اللطيف، والمانع تحت القهار إلى غير ذلك، ويندرج الكل تحت اسم الله لاشتماله على جميع الصفات الإلّهية، والأعظم مستور فيها إلا على أهله ولها خواص عجيبة وآثار غريبة ومناسبات للنفوس وتأثيرات فيها ذكراً وكتابة واستصحاباً كما هو مذكور في محله .

٤ ـ معنى احصاء أسماء الله تعالى :

الظاهر من معنى الإحصاء لهذه الأسماء الإحاطة بها والوقوف على معانيها، دون مجرد عدها كما فهمه الصدوق محمد بن بابويه وغيره، ولا يبعد أن يكون مجرد عدها وذكرها والإيمان بها إجمالاً، وإن لم يعرف معانيها تفصيلاً سبباً لدخول الجنة تفضلاً من الله تعالى، بل لعل هذا أظهر من لفظ الحديث وأوفق بسعة رحمة الله تعالى. وزعم بعض العارفين أن المراد من إحصائها أن يجعلها اسماً لنفسه بتحصيل معانيها فيها بقدر الإمكان كما قال عليه السلام : تخلقوا بأخلاق الله بأن يسعى في اكتساب تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها بقدر الإمكان، فحظ العبد من اسم الرحمٰن مثلاً أن يرحم عباد الله الغافلين بصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله تعالى بالمواعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الإزراء، وأن يكون كل معصية تجري في العالم كمعصيته له في نفسه، فلا يألو جهداً في إزالتها بقدر وسعه رحمة لذلك العاصي أن يتعرض لسخط الله، ويستحق العبد عن جواره وحظه من اسم الرحيم أن لا يدع فاقة لمحتاج الا يسدها بقدر طاقته، ولا يترك فقيراً في جواره إلا ويقوم بتعهده ودفع فقره إما بماله أو جاهه أو السعي في حقه بالشفاعة إلى غيره، فإن عجز عن جميع ذلك فيعينه بالدعاء له وإظهار الحزن بسبب حاجته رقة عليه وعطفاً حتى كأنه مساهم له في ضرره وحاجته إلى غير ذلك. وهذا المعنى وإن كان جيداً في نفسه لطيفاً إلا أن حمل الخبر عليه لا يخلو من بعد .

٥ ـ أسماء الله تعالى تنقسم إلى جمالية وجلالية :

قال بعض العارفين إن الأسماء تنقسم باعتبار الهيئة إلى جمالية كاللطيف والغفار، وجلالية كالمنتقم والقهار، والله سبحانه وإن كان غنياً بذاته عما سواه كما قال عز وجل : ﴿**إن الله لغني عن العالمين**﴾ ولكن أسماءه الغير المتناهية تقتضي أن يكون لكل منها مظهر في الخارج يظهر فيه أثر ذلك الإسم ومعناه، حتى يعرف الله بصفات الكمال كلها فإن الله سبحانه إنما يخلق ويدبر كل نوع من أنواع الخلائق باسم من أسمائه، وذلك الإسم هو رب ذلك النوع، والله سبحانه رب الأرباب، وإلى هذا أُشير في كلام أهل البيت عليهم السلام وفي أدعيتهم بقولهم : وبالاسم الذي خلقت به العرش، وبالاسم الذي خلقت به الكرسي، وبالاسم الذي خلقت به الأرواح، إلى غير ذلك من هذا النمط .

وعن مولانا الصادق عليه السلام نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا، وذلك لأنهم عليهم السلام وسائل معرفة ذاته، ووسائط ظهور صفاته، وأرباب أنواع مخلوقاته، وإنما اختص كل مخلوق باسم بسبب ظهور الصفة التي دل عليها ذلك الاسم فيه، كما أشير إليه في الحديث القدسي : يا آدم هذا محمد وأنا الحميد المحمود في فعالي وشققت له اسماً من اسمي، وهذا علي وأنا العلي العظيم شققت له اسماً من اسمي. الحديث. فلو لم يكن في الخارج مرحوم ومقهور لم تظهر الرحمانية والقاهرية، ولك أن تقول إن الموجودات بأسرها هي بعينها أسماء الله تعالى، لأن الاسم كما عرفت هو الدال على المسمى، وهي تدل على الله سبحانه دلالة الاسم على المسمى، فإن الدلالة كما تكون بالألفاظ كذلك تكون بالذوات من غير فرق بينها فيما يؤول إلى المعنى، بل كل موجود بمنزلة كلام صادر عنه تعالى دالّ على توحيده وتمجيده، بل كل منها عند أُولي البصائر لسان ناطق بوحدانيته يسبح بحمده ويقدسه عما لا يليق بجنابه كما قال تعالى : **﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾**[1] .

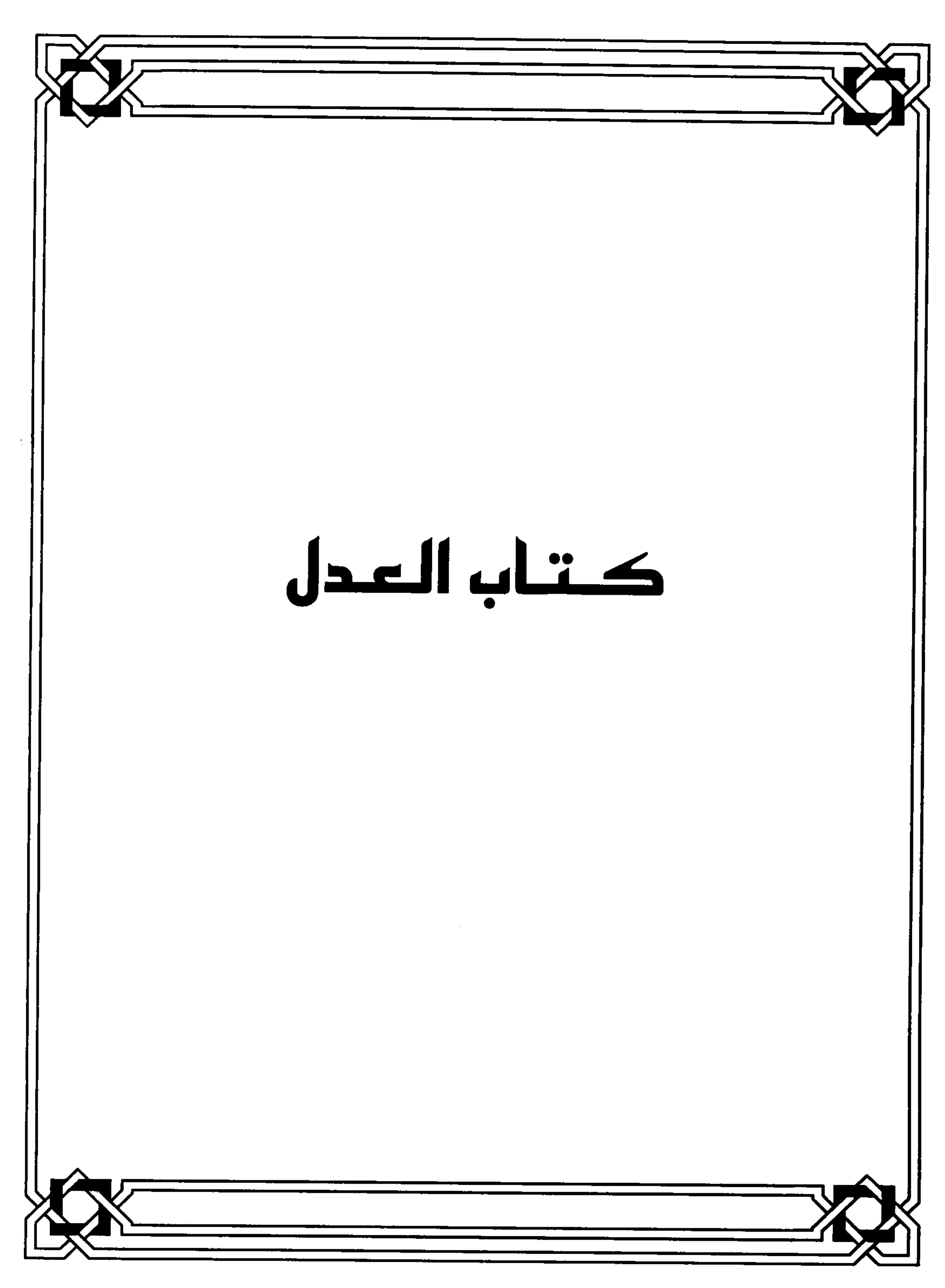
بل كل من الموجودات ذكر وتسبيح له تعالى إذ يفهم منه وحدانيته وعلمه واتصافه بسائر صفات الكمال وتقدسه عن صفات النقص والزوال، فإن البراهين قائمة بل العقول السليمة قاضية بوجوب انتهاء كل طلب إلى مطلوب، وكل فقر إلى غنى، وكل نقصان إلى تمام، كما أنها قاضية بوجوب رجوع كل مخلوق إلى خالق، وكل مصنوع إلى صانع، وكل مربوب إلى رب، فنقصانات الخلائق دلائل على كمالات الخالق جل ذكره، وكثراتها واختلافاتها شواهد وحدانيته ونفي الشريك عنه والضد والند كما قال أمير المؤمنين عليه السلام بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، إلى آخر مما مضى .

واعلم أن كل موجود من الموجودات يطلب من الله سبحانه بلسان استعداده الكمال الذي يستعد له، واستعداده لذلك الكمال أيضاً من نعمه سبحانه وإليه أُشير بقوله عليه السلام يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها، وإعطائه سبحانه الاستعداد دعاء منه إلى الطلب، فالطلب بهذا الاعتبار إجابة لدعوة الحق، اجيبوا داعي الله. وهو باعتبار آخر سؤال منه سبحانه يسأله من في السموات والأرض، وهذا السؤال إنما هو بلسان الحاجة والافتقار وعلى وجه الذل والاضطرار، وإنما هو باسم من أسمائه جل جلاله مناسب لحاجة السائل، فالفقير مثلاً إنما يدعوه بالاسم الغني، والمريض بالاسم الشافي، والمظلوم بالاسم المنتقم،

(١) سورة الإسراء؛ الآية: ٤٤ .

وعلى هذا القياس فكل ذرة من ذرات العالم تدعو الله اضطراراً بلسان حالها باسم من أسمائه تعالى، وهو سبحانه يجيب دعوتها في حضرة ذلك الإسم الذي دعاه به كما قال تعالى : ﴿**أمن يجيب المضطر إذا دعاه**﴾ وذلك الاسم هو صورة إجابته تعالى لدعوة ذلك المضطر، ومطالب الكل على حسب مسؤولاتهم مبذولة دائماً لا يخيب منه أحد قط إلا من كان على بصيرته غشاوة فأخذ يدعو الله بلسان المقال خلاف ما يدعوه بلسان الحال وهو قوله تعالى : ﴿**وما دعاء الكافرين إلا في ضلال**﴾ وسائر أفعاله عز وجل ترجع إلى هذه الإجابة لدعوة المضطرين، وهي ترجع إلى إفاضة الوجود وإنما تختلف أساميها باختلاف الاعتبارات .

روي في كتاب التوحيد بإسناده عن يحيى الخزاعي قال دخلت مع أبي عبد الله عليه السلام على بعض مواليه نعوده فرأيت الرجل يكثر من قول آه فقلت له يا أخي اذكر ربك واستغث به، فقال أبو عبد الله عليه السلام إن آه اسم من أسماء الله تعالى، فمن قال آه فقد استغاث بالله . وستر هذا الحديث ما قلناه انتهى ملخصاً والله العالم بالحال .



كتاب العدل



الفصل الأول

العـدل

العدل به يتم التوحيد وتتوقف عليه سائر الأُصول من النبوة والإمامة والمعاد، وهو وإن كان داخلاً في جملة صفاته تعالى وقد تقدم الكلام فيه مبرهناً في جملة الصفات لأن معنى قولنا عادل أنه حكيم ليس بظالم، فهو إما من الصفات الكمالية أو الجلالية، ولكنه أفرد لكثرة متعلقاته وأُصوله ليسهل فهمه، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : التوحيد ان لا تتوهمه، والعدل أن لا تتهمه. وبالجملة فالعدل هو اعتقاد أنه تعالى عادل في مخلوقاته غير ظالم لهم، لا يفعل قبيحاً ولا يخل بواجب، ولا يجور في قضائه ولا يحيف في حكمه وابتلائه يثيب المطيعين وله أن يعاقب العاصين، ولا يكلف الخلق ما لا يطيقون ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقون، ولا يقابل مستحق الأجر والثواب بأليم العذاب والعقاب، وإنه تعالى لم يجبر عباده على الأفعال سيما القبيحة ويعاقبهم عليها، والأدلة على ذلك مضافاً إلى الضرورة والبداهة من العقل والنقل كتاباً وسنة، آية ورواية كثيرة لا تحصى وتوضيح هذا المقال وتفصيل هذا الاجمال يتضح في ضمن مباحث .

١ ـ تنزيه الله تعالى عن فعل القبيح :

إنه تعالى لا يفعل القبيح ولا يترك الواجب، لما ثبت من قدرته على فعل الواجب وترك القبيح، وعلمه بوجوب الواجب وحسنه وبقبح القبيح وغناه عن كليهما. فلا يتضرر بفعل الواجب فيحتاج إلى تركه، ولا يفتقر إلى القبيح حتى يفعله ليكون ممكناً، وهو واجب والواجب غني لا يفتقر، ولأن الحكيم لا يخلو فعله عن حكمة كما يأتي والحكمة منتفية في القبيح فلا يفعله أصلاً وإن كان قادراً على فعله، وقدرته عليه لا تستلزم وقوعه منه، ولأنه تعالى لو فعل القبيح لكان إما جاهلاً بالقبح، أو عالماً به عاجزاً عن تركه، أو

محتاجاً إلى فعله، أو قادراً غير محتاج بل يفعله عبثاً، على الأول يلزم جهله تعالى، وعلى الثاني عجزه، وعلى الثالث احتياجه، وعلى الرابع سفاهته، والكل عليه محال كما عرفت .

٢ ـ معنى الحسن والقبح وأنهما عقليان :

ذهب الإمامية ومن تابعهم من المعتزلة إلى أن الحسن والقبح عقليان، بمعنى أن للأشياء في حد ذاتها مع قطع النظر عن ورود الشرع حسناً وقبحاً، وبعضها يعلم حسنه وقبحه بضرورة العقل، كحسن الصدق النافع وقبح الكذب الضار، وبعضها يعلم حسنه وقبحه بالنظر كحسن الكذب النافع وقبح الصدق الضار، ومنها ما يعجز العقل عن العلم بحسنه أو قبحه فيكشف الشرع عنه كحسن صوم أول يوم من شهر رمضان وحرمة صوم أول يوم من شوال .

ذهب الأشاعرة وهم جمهور المخالفين إلى أن الحسن والقبح شرعيان وأن العقل لا يقضي بحسن شيء ولا قبحه، بل القاضي بذلك هو الشرع، فلو أمر الشارع بالظلم صار حسناً ولو نهى عن العدل صار قبيحاً، ويدل على بطلان قولهم وجوه كثيرة من العقل والنقل قد بسطنا الكلام فيها في رسالة على حدة ونذكر هنا جملة منها :

أولها : أنهم أنكروا البديهة والضرورة فإن كل من له أدنى عقل وشعور يعلم بالبديهة حسن الصدق النافع وقبح الكذب الضار .

ثانيها : انه لو خير العاقل الذي لم يسمع الشرائع ولا علم شيئاً من الأحكام بل نشأ في بادية خالياً من العقائد كلها بين أن يصدق ويعطى ديناراً، وبين أن يكذب ويعطى ديناراً ولا ضرر عليه فيها، فإنه يختار الصدق على الكذب، ولولا حكم العقل بقبح الكذب وحسن الصدق لما فرق بينهما ولما اختار الصدق دائماً .

ثالثها : إنهما لو كانا شرعيين لما حكم بهما من ينكر الشرائع والأديان كالبراهمة، والثاني باطل فالأول مثله، فإن البراهمة بأسرهم يحكمون بالحسن والقبح لضرورة العقل في ذلك .

رابعها : إن الضرورة قاضية بقبح العبث كمن يستأجر أجيراً ليرمي ماء الدجلة في الفرات ونحوه، ويقبح تكليف ما لا يطاق كتكليف الزمن الطيران إلى السماء، والأعمى بتنقيط المصحف وتعذيبهما على ترك هذا الفعل، وقبح من يذم العالم الزاهد على علمه

وزهده وحسن مدحه، وقبح مدح الجاهل الفاسق على جهله وفسقه وحسن ذمه عليهما، ومن كابر في ذلك فقد أنكر أجلى الضروريات لأن هذا الحكم حاصل للأطفال والضروريات قد لا تحصل لهم .

خامسها : إنهما لو كانا سمعيين لا غير لما قبح من الله شيء، ولو كان كذلك لما قبح منه تعالى إظهار المعجزات على يد الكذابين، وتجويز ذلك يسد باب معرفة النبوة فإن أي نبي أظهر المعجزة عقيب ادعاء النبوة لا يمكن تصديقه مع تجويز إظهار المعجز على يد الكاذب في دعوى النبوة .

سادسها : إنهما لو كانا شرعيين لحسن من الله أن يأمر بالكفر وتكذيب الأنبياء وتعظيم الأصنام والمواظبة على الزنا والسرقة، والنهي عن العبادة والصدق لأنها قبيحة في أنفسها، فإذا أمر الله تعالى بها صارت حسنة إذ لا فرق بينها وبين الأمر بالطاعة، فإن شكر المنعم ورد الوديعة والصدق ليست حسنة في أنفسها على زعمهم، ولو نهى الله عنها كانت قبيحة، لكن لما اتفق أن الله تعالى أمر بهذه مجاناً بلا غرض ولا حكمة كما يدعون صارت حسنة، واتفق أنه نهى عن تلك فصارت قبيحة، وقبل الأمر والنهي لا فرق بينهما. وهذه دعوى عارية عن البرهان يشهد بكذبها الإنس والجان ويبطلها البرهان والوجدان والعيان .

سابعها : إنهما لو كانا شرعيين لزم توقف وجوب الواجبات بأسرها على مجيء الشرع، ولو كان كذلك لزم افحام الأنبياء، لأن النبي ﷺ إذا ادعى النبوة وأظهر المعجزة كان للمدعو أن يقول إنما يجب علي النظر في معجزتك بعد ان أعرف أنك صادق، فأنا لا أنظر حتى أعرف صدقك، ولا أعرف صدقك إلا بالنظر، وقبله لا يجب علي امتثال الأمر، فينقطع النبي ولا يبقى له جواب .

ثامنها : انهما لو كانا شرعيين لم تجب معرفة الله، لتوقف معرفة الإيجاب على معرفة الموجب، المتوقفة على معرفة الإيجاب فيدور .

تاسعها : إن الضرورة قاضية بالفرق بين من أحسن إلينا دائماً وأساء إلينا دائماً، وحسن الأول وذم الثاني، وقبح ذم الأول ومدح الثاني، والمشكك في ذلك مكابر .

٣ ـ جميع أفعال الله تعالى حكمة وصواب :

إن جميع أفعال الله تعالى حكمة وصواب، ليس فيها ظلم ولا جور، ولا كذب ولا عيب، ولا فاحشة، والفواحش والقبائح والكذب والجهل من أفعال العباد، والله تعالى

منزه عنها وبريء منها، لما تقدم من علمه تعالى وقدرتهِ. ويلزم الأشاعرة القائلين بأنه تعالى خالق الخير والشر، وأن لا مؤثر في الوجود غيره، أن جميع الفواحش والقبائح كلها صادرة منهُ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٤ ـ عدم جواز معاقبة اللّه العباد على فعله :

لا يجوز أن يعاقب الله تعالى الناس على فعلهِ، ولا يلومهم على صنعهِ فيهم كالسواد والبياض، والطول والقصر، والشباب والشيب ونحوها، وإنما يعاقبهم على أفعالهم القبيحة كالزنا واللواط ونحوهما، ويلزم الأشاعرة القائلين بأن أفعال العباد مخلوقة له تعالى، وأنه تعالى يعاقب الناس على ما لم يفعلوه، بل على فعله فيهم كالقسم الأول تعالى الله عن ذلك .

٥ ـ أفعال اللّه تعالى معللة بالأغراض :

مذهب الإمامية الذي دلت عليه العقول وطابقهُ المنقول، أن أفعال الله تعالى معللة بالأغراض، لأنهُ حكيم، وفعل الحكيم لا يخلو عن حكمة، والذي يفعل العبث بلا حكمة وغرض سفيه تعالى الله عن ذلك : ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾[١] ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾[٢] ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[٣] «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف» حديث قدسي وذلك الغرض والنفع غير راجع إليه تعالى، لأنه غني عن العالمين، وإنما هو راجع إليهم بتحصيل الثواب فإنه تام في حد الذات، وكامل من جميع الجهات .

وزعمت الأشاعرة أنه لا يجوز أن يفعل الله تعالى شيئاً لغرض من الأغراض ولا لمصلحة، ويجوز عليه أن يؤلم العبد بغير مصلحة ولا غرض، بل يجوز على زعمهم أن يخلق خلقاً في النار معذبين فيها مخلدين أبد الآبدين من غير أن يكونوا قد عصوه أو خالفوه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

---

(١) سورة الأنبياء؛ الآية: ١٦ .
(٢) سورة الأعراف؛ الآية: ١٩١ .
(٣) سورة الذاريات؛ الآية: ٥٦ .

٦ ـ إنه سبحانه لا يظهر المعجزات على أيدي الكذابين :

لا يحسن في حكمة الله تعالى أن يظهر المعجزات الخارقة للعادة على أيدي الكذابين، ولا يصدق المبطلين، ولا يرسل السفهاء والفساق والعصاة، لقبح ذلك في العقول السليمة والفطر المستقيمة، والأشاعرة حيث أنكروا الحسن والقبح العقليين قالوا بحسن ذلك منه تعالى .

٧ ـ إنه سبحانه لا يكلف أحداً فوق طاقته :

لا يجوز في حكمة الله تعالى وعدله أن يكلف أحداً فوق طاقته، كما يحكم بذلك العقل والنقل والآيات والروايات، قال الله تعالى : ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾[١] . وقال تعالى : ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾[٢] . وقال تعالى : ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾[٣] . وخالف في ذلك جمهور المخالفين تعصباً وعناداً، وجوزوا أن يكلف الله تعالى مقطوع اليد بالكتابة، ومن لا مال له بالزكاة، ومن لا يقدر على المشي لزمانة بالطيران إلى السماء، وأن يأمرهم بالكتابة الجيدة، ولا يخلق لهم الأيدي والآلات وأن يكتبوا في الهواء بغير دواة ولا مداد ولا قلم، بل أكثرهم على وقوع ذلك فضلاً عن جوازه .

٨ ـ إنه سبحانه لا يضل أحداً من عباده :

مذهب الإمامية أن الله تعالى لم يضل أحداً من عباده عن الدين، ولم يغو أحداً من الفرق الضالين، ولم يرسل رسله إلا بالحكمة والموعظة الحسنة . وحيث قال الأشاعرة أن جميع أفعال العباد وما يقع في عالم الكون والفساد مخلوق لله تعالى، وهو موجده ومكونه، قالوا إن الله قد أضل كثيراً من عباده عن الدين، ولبَّس عليهم وأغواهم تعالى عن ذلك .

٩ ـ إنه سبحانه أراد الطاعات وأحبها :

اعتقاد الإمامية والعدلية أن الله تعالى قد أراد الطاعات وأحبها ورضيها واختارها،

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢٨٦ .
(٢) سورة البقرة؛ الآية: ١٨٥ .
(٣) سورة الحج؛ الآية: ٧٨ .

ولم يكرهها ولم يسخطها، وأنه كره المعاصي والفواحش، ولم يحبها ولم يرضها ولم يخترها. وجمهور المخالفين على أن الله تعالى مريد لجميع ذلك، وأنه تعالى أراد من الكافر أن يسبه ويعصيه، واختار ذلك وكره أن يمدحه .

وقالت الإمامية قد أراد النبي ﷺ من الطاعات ما أراده الله تعالى، وكره من المعاصي ما كرهه الله .

وقال الأشاعرة بل قد أراد النبي ﷺ كثيراً مما كرهه الله تعالى، وكره كثيراً مما أراده الله تعالى، لأن الله تعالى أراد كفر الكافر، والنبي أراد إيمانه وطاعته .

وقالت الإمامية قد أراد الله تعالى من الطاعات ما أراده أنبياؤه، وكره ما كرهوه، وأراد ما كره الشياطين من الطاعات، وكره ما أرادوه من الفواحش، ويلزم الأشاعرة والمخالفين أن يكون الله قد أراد ما أرادته الشياطين من الفواحش، وكره ما كرهوه من كثير من الطاعات، ولم يرد ما أرادته الأنبياء من كثير من الطاعات، بل كره ما أرادوه منها .

وقالت الإمامية قد أمر الله عز وجل بما أراده، ونهى عما كرهه .

وقالت الأشاعرة قد أمر الله بكثير مما كره، ونهى عما أراد .

وقالت الإمامية إن الله تعالى أراد الطاعات، سواء وقعت أم لا، ولم يرد المعاصي، سواء وقعت أم لا .

وخالف الأشاعرة مقتضى العقل والنقل في ذلك، فذهبوا إلى أن الله تعالى يريد كل ما وقع في الوجود، سواء كان طاعة أم لا، وسواء أمر به أم لا، وكره كل ما لم يقع سواء كان طاعة أم لا، وسواء أمر به أم نهى عنه، فجعلوا كل المعاصي الواقعة في الوجود من الشرك والظلم والجور والعدوان وأنواع الشرور مرادة لله تعالى، وأنه تعالى راضٍ بها. وقال بعضهم إنهُ محب لها. وكل الطاعات التي لم تصدر عن الكفار مكروهة لله تعالى غير مريد لها، وإنه تعالى أمر بما لا يريد، ونهى عما لا يكره، وإن الكافر فعل في كفره ما هو مراد لله تعالى، وترك ما كرهه الله من الإيمان والطاعة منه .

وهذا القول يلزم منه محالات منها :

نسبة القبيح إلى الله تعالى، لأن إرادة القبيح قبيحة، وقد عرفت أنه تعالى منزه عن القبائح .

ومنها : كون العاصي مطيعاً بعصيانه، حيث أوجد مراد الله تعالى، وفعل وفق مراده .

ومنها : كونه تعالى يأمر بما يكره، لأنه أمر الكافر بالإيمان وكره من حيث لم يوجد، ونهى عما يريده، لأنه نهاه عن الكفر وأراده منه، وكل من فعل ذلك من البشر ينسبه كل عاقل إلى السفه والحمق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومنها مخالفة النصوص القرآنية الشاهدة بأنهُ تعالى يكره المعاصي ويريد الطاعات، كقوله تعالى : **﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾**[1] . **﴿وكل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً﴾**[2] . **﴿ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾**[3] . **﴿الله لا يحب الفساد﴾**[4] . إلى غير ذلك من الآيات .

١٠ ـ إنه تعالى يعامل خلقه معاملة الممتحن :

يحسن من الله تعالى أن يعامل خلقه كمعاملة الممتحن المختبر للمطيع والعاصي منهم، وإن كان عالماً بذلك منهم، إتماماً للحجة وإيضاحاً للمحجة، كما قال تعالى : **﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾**[5] . وقال تعالى : **﴿فللّه الحجة البالغة﴾**[6] . وقال تعالى : **﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾**[7] . وحينئذ فلا بد من أوامر ونواهي وتكليف، بحسب ما يناسب الأزمان والأشخاص والأحوال والمصالح، ولذلك اختلفت الشرائع باختلاف الأزمان والأُمم، كما استفاضت بذلك الآيات، وتظافرت به الروايات، وأذعنت بهِ العقول، وطابقهُ المنقول .

١١ ـ القضاء والقدر :

قد اشتهر الحديث النبوي أن كل شيء بقضاء وقدر، وأنه يجب الإيمان بالقدر خيره

---

(١) سورة غافر؛ الآية: ٣١ .
(٢) سورة الإسراء؛ الآية: ٣٨ .
(٣) سورة الزمر؛ الآية: ٧ .
(٤) سورة البقرة؛ الآية: ٢٠٥ .
(٥) سورة الملك؛ الآية: ٢ .
(٦) سورة الأنعام؛ الآية: ١٤٩ .
(٧) سورة النساء؛ الآية: ١٦٥ .

وشره، وأن أفعال العباد واقعة بقضاء الله وقدره، فلا بد من معرفة القضاء والقدر. فنقول إنهما يطلقان في اللغة والكتاب والسنة على معان: فورد القضاء بمعنى الخلق والاتمام كقوله تعالى: **﴿فقضاهن سبع سموات﴾**[1]. أي خلقهن وأتمهن، وبمعنى الحكم والإيجاب كقوله تعالى: **﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾**[2]. أي أوجب وألزم، وبمعنى الإعلام والإخبار كقوله تعالى: **﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾**[3]. أي أعلمناهم وأخبرناهم. وأما القدر فقد جاء بمعنى الخلق، كقوله تعالى: **﴿وقدر فيها أقواتها﴾** وبمعنى الكتابة والإخبار، كقوله تعالى: **﴿إلا امرأته قدرناها﴾**[4]. أي كتبناها في الألواح، وبمعنى البيان كما قيل في الآية أيضاً، وبمعنى وضع الأشياء في مواضعها من غير زيادة فيها ولا نقصان، كما قال تعالى: **﴿وقدر فيها أقواتها﴾**[5]. وجاء بمعنى التبيين لمقادير الأشياء وتفاصيلها. إذا عرفت هذا فنقول حينئذ لمن قال إن أفعال العباد وما وجد واقع بقضاء الله وقدره، إن أردت أن الله تعالى قضى عليهم بها، أي حكم عليهم بها وألزمها عباده وأوجبها، وبين مقاديرها من حسنها وقبحها، ومباحها وحظرها، وفرضها ونفلها، فهو صحيح لا غبار عليهِ قد دل عليهِ الكتاب والسنة، وحكم بهِ العقل الصحيح. وكذا إن أُريد به أنهُ بيّنها وكتبها وعلم أنهُ سيفعلونها، لأنهُ تعالى قد كتب ذلك أجمع في اللوح المحفوظ، وبيّنه لملائكته، وعلى هذا ينطبق وجوب الرضا بقضاء الله وقدره وإن أُريد أنهُ قضاها وقدرها بمعنى أنهُ تعالى خلقها وأوجدها فباطل، لأنهُ تعالى لو خلق الطاعة والمعصية لسقط اللوم عن العاصي، ولم يستحق المطيع ثواباً على عمله، كما يأتي توضيحه وبيانه. وأما أفعال الله تعالى فنقول انها كلها بقدر، أي سابقة في علمه تعالى، أو إنها لا تفاوت فيها ولا خلل، وقد سبق حكمه أن تكون أفعاله على موجب الحكمة ونسق الصواب.

---

(١) سورة فصلت؛ الآية: ١٢.

(٢) سورة الإسراء؛ الآية: ٢٣.

(٣) سورة الإسراء؛ الآية: ٤.

(٤) سورة النمل؛ الآية: ٥٧.

(٥) سورة فصلت؛ الآية: ١٠.

الفصل الثاني

الجبر والتفويض

١ ـ مذهب الجبرية :

في أن العباد ليسوا بمجبورين على أفعالهم، كما هو مذهب الجبرية من العامة، وهم موجدون لأفعالهم، لا أن الله تعالى خلقها فيهم، خلافاً للأشاعرة فراراً من إسناد الخلق إلى العباد ولقوله تعالى : **﴿والله خالق كل شيء﴾** **﴿وهل من خالق غير الله﴾** **﴿والله خلقكم وما تعلمون﴾** وهو واضح الفساد، لأن الاشتراك اللفظي لا يوجب الشرك، كما يقال الله موجود وزيد موجود، ولذا أسند الخلق إلى روح الله، كما قال تعالى : **﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾**[1]. وإلى السامري وأصحابه حيث قال : **﴿وتخلفون افكا﴾** وصرح بالاشتراك في قوله تعالى : **﴿تبارك الله أحسن الخالقين﴾** نعم هي مخلوقة لله تعالى، بخلق التقدير أي العلم الأزلي دون التكوين، لأن لا يسقط التكليف والثواب والعقاب، وكيف كان فلنا وجوه من الأدلة نذكر جملة شافية منها :

الأول : إن كل عاقل لا يشك في الفرق بين الحركات الاختيارية والاضطرارية، وإن هذا الحكم مركوز في عقل كل عاقل، بل في قلوب الأطفال والمجانين، فإن الطفل لو ضربهُ غيره بعصى تؤلمهُ ذم الضارب دون العصى، وكذا لو رماه بآجرة فإنهُ يذم الرامي دون الآجرة، بل يمكن ادعاء أن ذلك حاصل في الحيوانات والبهائم، ولذا قال أبو الهذيل حمار بشر أعقل من بشر، لأن حمار بشر إذا أتيت بهِ إلى جدول كبير فضربته لم يطاوع على العبور، وإن أتيت به إلى جدول صغير جازه وعبره، لأنه فرق بين ما يقدر عليه وما لا يقدر عليهِ، وبشر لم يفرق بينهما فحماره أعقل منهُ .

---

(١) سورة المائدة؛ الآية: ١١٠ .

الثاني : مكابرة الضرورة، فإن العاقل يفرق بالضرورة بين ما يقدر عليه، كالحركة يمنة ويسرة والبطش باليد اختياراً، وبين الحركة الاضطرارية كالوقوع من شاهق وحركة المرتعش وحركة النبض .

الثالث : إنكار الحكم الضروري من حسن مدح المحسن وقبح ذمه، فإن كل عاقل يحكم بحسن مدح من يفعل الطاعات دائماً ولا يفعل شيئاً من المعاصي، ويبالغ في الإحسان إلى الناس ويبذل الخير لكل أحد، ويعين الملهوف ويساعد الضعيف، وانهُ يقبح ذمه، وإنهُ لو شرع أحد في ذمه باعتبار إحسانهِ عده العقلاء سفيهاً ولامهُ كل واحد، ويحكمون حكماً ضرورياً بقبح مدح من يبالغ في الظلم والجور والتعدي والغصب ونهب الأموال وقتل الأنفس، ويمتنع من فعل الخير وإن قلَّ، وإن من مدحه على هذه الأفعال عد سفيهاً، ويعلم ضرورة قبح المدح والذم على كونهِ طويلاً أو قصيراً .

الرابع : إنهُ يقبح منه تعالى حينئذ تكليف فعل الطاعات واجتناب المعاصي، إذ كان الفاعل فينا لذلك هو الله تعالى على زعمهم، ولأنه إذا خلق فينا المعصية امتنعت منا الطاعة، وبالعكس، ولكنا في ذلك بمنزلة الجمادات .

الخامس : إنه يلزم أن يكون الله تعالى أظلم الظالمين، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، لأنه إذا خلق فينا المعصية ولم يكن لنا فيهِ أثر، ثم عذبنا عليها وعاقبنا على صدورها منه تعالى، كان ذلك نهاية الجور والعدوان .

السادس : إنه يلزم مخالفة الكتاب العزيز ونصوصه، والآيات المتظافرة فيه الدالة على إسناد الأفعال إلينا، كالآيات الدال على إضافة الفعل إلى العبد : ﴿**فويل للذين كفروا**﴾[1] . ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم**﴾[2] . ﴿**إن يتبعون إلا الظن**﴾ ﴿**ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾[3] . ﴿**بل سولت لكم أنفسكم أمرا**﴾[4] . ﴿**فسولت له نفسه قتل أخيه**﴾ ﴿**من يعمل سوءاً يجز به**﴾ ﴿**كل امرء بما كسب رهين**﴾ ﴿**ما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي**﴾[5] .

---

(١) سورة مريم؛ الآية: ٣٧ .
(٢) سورة البقرة؛ الآية: ٧٩ .
(٣) سورة الأنفال؛ الآية: ٥٣ .
(٤) سورة يوسف؛ الآية: ١٨ .
(٥) سورة إبراهيم؛ الآية: ٢٢ .

وكذا ما ورد في القرآن من مدح المؤمن على إيمانه، وذم الكافر على كفره، ووعده بالثواب على الطاعة، وتوعيده بالعقاب على المعصية، كقوله تعالى: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾[1] ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾[2] ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾[3] ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[4] ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾[5] ﴿هل جزاء الاحسان إلا الإحسان﴾[6] ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾[7] ﴿ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾[8] ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾[9] ﴿أولٓئك الذين اشتروا الحياة الدنيا﴾[10] ﴿الذين كفروا بعد إيمانهم﴾[11].

وكذلك الآيات الدالة على أن أفعال الله تعالى، منزهة عن أن تكون مثل أفعال المخلوقين من التفاوت والاختلافات والظلم كقوله تعالى: ﴿ما ترى في خلق الرحمٰن من تفاوت﴾[12] ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾[13]. والكفر والظلم ليس بحسن وقوله تعالى: ﴿ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾[14]. والكفر ليس بحق، وقوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾[15] ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾[16]. ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[17] ﴿ولا ظلم

---

(١) سورة غافر؛ الآية: ١٧ .

(٢) سورة الجاثية؛ الآية: ٢٨ .

(٣) سورة النجم؛ الآية: ٣٧ .

(٤) سورة الأنعام؛ الآية: ١٦٤ .

(٥) سورة طه؛ الآية: ١٥ .

(٦) سورة الرحمٰن؛ الآية: ٦٠ .

(٧) سورة النمل؛ الآية: ٩٠ .

(٨) سورة الأنعام؛ الآية: ١٦٠ .

(٩) سورة طه؛ الآية: ١٢٤ .

(١٠) سورة البقرة؛ الآية: ٦٨ .

(١١) سورة آل عمران؛ الآية: ٩٠ .

(١٢) سورة الملك؛ الآية: ٣ .

(١٣) سورة السجدة؛ الآية: ٧ .

(١٤) سورة الحجر؛ الآية: ٨٥ .

(١٥) سورة النساء؛ الآية: ٤٠ .

(١٦) سورة فصلت؛ الآية: ٤٦ .

(١٧) سورة النحل؛ الآية: ١١٨ .

اليوم﴾[1] **﴿ولا يظلمون فتيلا﴾**[2] .

وكذا الآيات الدالة على ذم العباد على الكفر والمعاصي كقوله تعالى : **﴿كيف تكفرون بالله﴾**[3] . والإنكار والتوبيخ عليهم مع عجزهم، وكونه تعالى خلق الكفر في الكافر وأراده منه، وهو لا يقدر على غير محال، وقوله تعالى : **﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جائهم الهدى﴾**[4] . وقوله تعالى : **﴿وماذا عليهم لو آمنوا﴾** وقوله تعالى : **﴿ما منعك أن تسجد﴾**[5] . وقوله تعالى : **﴿ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعني﴾**[6] **﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾**[7] **﴿فما لهم لا يؤمنون﴾** **﴿عفى الله عنك لم اذنت لهم﴾**[8] **﴿لم تحرم ما أحل الله لك﴾**[9] . وكيف يجوز على زعمهم أن يقول الله لم تفعلون مع أنهم ما فعلوا ويقول : **﴿لم تلبسون الحق بالباطل﴾**[10] . **﴿لم تصدون عن سبيل الله﴾**[11] . ولنعم ما قال الصاحب ابن عباد كيف يأمر بالإيمان ولم يرده، وينهى عن الكفر وقد أراده، ويعاقب على الباطل وقد قدره، وكيف يصرفه عن الإيمان، ثم يقول : **﴿أنى تصرفون﴾** ويخلق فيهم الكفر، ثم يقول : **﴿كيف تكفرون﴾** ويخلق فيهم لبس الحق بالباطل، وصدهم عن السبيل ثم يقول : **﴿لم تلبسون الحق بالباطل ولم تصدون عن سبيل الله﴾** ويحول بينهم وبين الإيمان ثم يقول : **﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله﴾** ويذهب بهم عن الرشد ثم يقول : **﴿فأين تذهبون﴾** وأضلهم عن الدين حتى أعرضوا ثم قال : **﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾** .

ومما يبطل قولهم أيضاً الآيات التي ذكر الله فيها تخيير العباد في أفعالهم وتعليقها بمشيئتهم كقوله تعالى : **﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾** **﴿اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم ورسوله﴾** **﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾** **﴿فمن شاء ذكره﴾** **﴿فمن شاء اتخذ**

---

(١) سورة غافر؛ الآية: ١٧ .
(٢) سورة الإسراء؛ الآية: ٧١ .
(٣) سورة البقرة؛ الآية: ٢٨ .
(٤) سورة الإسراء؛ الآية: ٩٤ .
(٥) سورة الأعراف؛ الآية: ١٢ .
(٦) سورة طه؛ الآية: ٩٢ .
(٧) سورة المدثر؛ الآية: ٤٩ .
(٨) سورة التوبة؛ الآية: ٤٣ .
(٩) سورة التحريم؛ الآية: ١ .
(١٠) سورة آل عمران؛ الآية: ٧١ .
(١١) سورة آل عمران؛ الآية: ٩٩ .

إلى ربه سبيلا﴾ ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا﴾. وقد أنكر الله تعالى على من نفى المشيئة عن نفسه وأضافها إلى الله تعالى بقوله : ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا﴾ وقال تعالى : ﴿لو شاء الرحمٰن ما عبدناهم﴾ .

وكذلك الآيات التي فيها أمر العباد بالأفعال والمسارعة إليها كقوله تعالى : ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ ﴿أجيبوا داعي الله وآمنوا به﴾ ﴿استجيبوا لله وللرسول﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم﴾ ﴿فآمنوا خير لكم﴾ ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم﴾ ﴿وأنيبوا إلى ربكم﴾ .

وكيف يصح الأمر بالطاعة والمسارعة إليها مع كون المأمور ممنوعاً عاجزاً عن الاتيان به، وكذلك الآيات التي حث الله فيها على الاستعانة كقوله تعالى : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ ﴿استعينوا بالله﴾ .

فإذا كان الله خلق الكفر والمعاصي كيف يستعاذ به، وأيضاً يلزم بطلان الألطاف والدواعي، لأنه تعالى إذا كان هو الخالق لأفعال العباد، فأي نفع يحصل للعبد من اللطف الذي يفعله الله، لكن الألطاف حاصلة كقوله تعالى : ﴿أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين﴾ ﴿ولولا أن يكون الناس امة واحدة﴾ ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ .

وكذا الآيات الدالة على اعتراف الأنبياء بذنوبهم وإضافتها إلى أنفسهم، كما حكى الله تعالى عمن قال : ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ ﴿سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ ﴿ربي إني ظلمت نفسي﴾ ﴿بل سولت لكم أنفسكم﴾ .

وقول يوسف عليه السلام : ﴿من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي﴾ .

وقال نوح عليه السلام : ﴿رب إني أعوذ بك أن اسئلك ما ليس لي به علم﴾ .

وكذا الآيات الدالة على اعتراف الكفار والعصاة، بأن كفرهم ومعاصيهم كانت منهم كقوله تعالى : ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم﴾ إلى قوله تعالى : ﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جائكم بل كنتم مجرمين﴾ ﴿ما سلككم في سقر﴾ ﴿قالوا لم نك من المصلين﴾ ﴿كلما القي فيها فوج سئلهم خزنتها﴾ إلى قوله : ﴿فكذبنا اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ .

وكذا الآيات التي ذكر الله فيها ما يحصل من التحسر في الآخرة على الكفر وطلب

الرجعة، قال الله تعالى : **﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا﴾ ﴿قال ربي ارجعونِ لعلي أعمل صالحاً﴾ ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً﴾** أو يقول حين يرى العذاب : **﴿لو أن لي كرة فأكون من المحسنين﴾** إلى غير ذلك من الآيات .

ومن جملة ما يلزمهم مخالفة إجماع الأنبياء والرسل، فإنه لا خلاف في أن الأنبياء اجمعوا على أن الله تعالى أمر عباده ببعض الأشياء كالصلاة والصوم، ونهى عن البعض كالظلم والجور، ولا يصح ذلك إذا لم يكن العبد موجداً، وكيف يصح أن يقال له ائت بفعل الإيمان والصلاة ولا تأت بالكفر والزنا مع أن الفاعل لهذه والتارك لها هو غيره، فإن الأمر بالفعل يتضمن الإخبار عن كون المأمور قادراً عليه، حتى إنه لو لم يكن المأمور قادراً على المأمور به، لمرض أو سبب آخر، ثم أمره غيره فإن العقلاء يتعجبون منه وينسبونه إلى الحمق والجهل والجنون، ويقولون إنك تعلم أنه لا يقدر على ذلك ثم تأمره به .

ولو صح هذا لصح أن يبعث الله رسولاً إلى الجمادات مع الكتاب فيبلغ إليها ما ذكرناه، ثم إنه تعالى يخلق الحياة في تلك الجمادات ويعاقبها لأجل أنهم لم يمتثلوا أمر الله ورسوله، وذلك معلوم البطلان ببديهة العقل، ويلزم أيضاً سد باب الاستدلال على كونه تعالى صادقاً، والاستدلال على العلم بإثبات الصانع، والاستدلال على صحة النبوة، والاستدلال على صحة الشريعة، ويفضي إلى القول بخرق الاجماع، لأنه لا يمكن اثبات الصانع إلا بأن يقال العالم حادث، فيكون محتاجاً إلى المحدث قياساً على أفعالنا المحتاجة إلينا، فمن منع حكم الأصل والقياس وهو كون العبد موجداً، لا يمكنه استعمال هذه الطريقة، فينسد عليه باب إثبات الصانع .

وأيضاً إذا كان الله تعالى خالقاً للجميع من القبائح وغيرها، لم يمتنع منه إظهار المعجزة على يد الكاذب، ومتى لم يقطع بامتناع ذلك انسد علينا باب إثبات الفرق بين النبي والمتنبي .

وأيضاً إذا جاز أن يخلق الله تعالى القبائح جاز أن يكذب في إخباره فلا يوثق بوعده ووعيده، وإخباره عن أحكام الآخرة والأحوال الماضية والقرون الخالية .

وأيضاً يلزم من خلقه القبائح أن يدعو إليها، وأن يبعث عليها ويحث ويرغب فيها، ولو جاز ذلك جاز أن يكون ما رغب الله تعالى فيه من القبائح، فتزول الثقة بالشرائع ويقبح التشاغل بها .

وأيضاً لو جاز منه تعالى أن يخلق في العبد الكفر والضلال، مع أنه تعالى زينه في قلوبنا لجاز أن يكون بعض الملل المخالفة للإسلام هو الحق، وأيضاً يلزمهم إلحاق الله تعالى بالسفهاء والجهال تعالى الله عما يقولون، لأن من جملة أفعال العباد الشرك بالله ووصفه بالأضداد والانداد والصاحبة والأولاد وشتمه وسبه، فلو كان الله تعالى فاعلاً لأفعال العباد لكان فاعلاً للأفعال كلها، ولكل هذه الأمور وذلك يبطل حكمته تعالى، لأن الحكيم لا يشتم نفسه، وفي نفي الحكمة إلحاقه بضدها نعوذ بالله من هذه المقالات الفاسدة والمذاهب الكاسدة، التي يشهد ببطلانها الوجدان والعيان فضلاً عن البرهان، وتضحك منها الإنس والجان واستقصاء ما يلزمهم من المفاسد وأنواع الكفر يفضي إلى التطويل وفيما ذكر كفاية والله الهادي إلى سواء السبيل .

٢ ـ عرض شبهات الأشاعرة :

والأشاعرة احتجوا على مقالتهم بوجهين ويلزمهم بهما مخالفة ضرورة الدين :

أحدهما : أنه لو كان العبد فاعلاً لشيء ما بالقدرة والاختيار، فإما أن يتمكن من تركه أو لا، والثاني يلزم منه الجبر، لأن الفاعل الذي لا يتمكن من ترك ما يفعله موجب لا مختار، كما يصدر عن النار الإحراق ولا يتمكن من تركه، والأول إما أن يترجح الفعل على الترك حالة الإيجاد أو لا، والثاني يلزم منه ترجيح أحد طرفي الممكن على الآخر، لا لمرجح لأنهما لما استويا من كل وجه بالنسبة إلى ما فعل في نفس الأمر وبالنسبة إلى القادر الموجد، كان ترجيح القادر للفعل على الترك ترجيحاً للمساوي بغير مرجح وأن ترجح، فإن لم ينتهِ إلى الوجوب أمكن حصول المرجوح مع تحقق الرجحان، وهو محال أما أولاً فلامتناع وقوعه حالة التساوي فحالة المرجوحية أولاً، وأما ثانياً فلأنه مع قيد الرجحان يمكن وقوع المرجوح فلنفرضه واقعاً في وقت والراجح في آخر، فترجيح أحد الوقتين بأحد الأمرين لا بد له من مرجح غير المرجح الأول، وإلا لزم ترجيح أحد المتساويين بغير مرجح، وينتهي إلى الوجوب وإلا تسلسل، وإذا امتنع وقوع الأثر إلا مع الوجوب والواجب غير مقدور، ونقيضه ممتنع غير مقدور أيضاً، فيلزم الجبر والإيجاب فلا يكون العبد مختاراً .

ثانيهما : إن كل ما يقع فإن الله تعالى قد علم وقوعه قبل وقوعه، وكلما ا [illegible] فإن الله تعالى قد علم في الأزل عدم وقوعه، وما علم الله تعالى وقوعه فهو واجب الوقوع، وإلا

لو لم يقع لزم انقلاب علم الله تعالى جهلاً وهو محال، وما علم عدمه فهو ممتنع، إذ لو وقع انقلب علم الله جهلاً وهو محال أيضاً، والواجب والممتنع غير مقدورين للعبد، فيلزم الجبر .

٣ ـ الرد على شبهات الأشاعرة :

قال آية الله العلامة رحمه الله في نهج الحق بعد تقدير هاتين الشبهتين والجواب عن الوجهين من حيث الحل، ومن حيث المعارضة. أما الحل ففي الأول من وجوه :

الأول : وهو الحق أن الوجوب من حيث الداعي والإرادة لا ينافي الإمكان في نفس الأمر، ولا يستلزم الإيجاب وخروج القادر عن قدرته، وعدم الفعل بها، فإنا نقول الفعل مقدور للعبد يمكن وجوده عنه ويمكن عدمه، فإذا خلص الداعي إلى إيجاده وحصلت الشرائط وارتفعت الموانع وعلم القادر بخلوص المصالح الحاصلة من الفعل عن شوائب المفسدة البتة، وجب من هذه الحيثية إيجاد الفعل، ولا يكون ذلك جبراً ولا إيجاباً بالنسبة إلى القدرة والفعل لا غير .

الثاني : يجوز أن يترجح الفعل فيوجده المؤثر أو العدم فيعدمه ولا ينتهي الرجحان إلى الوجوب على ما ذهب إليه جماعة من المتكلمين، فلا يلزم الجبر ولا الترجيح من غير مرجح قوله مع ذلك الرجحان لا يمتنع النقيض، فليفرض واقعاً في وقت فترجيح الفعل في وقت وجوده يفتقر إلى مرجح آخر، قلنا ممنوع بل الرجحان الأول كاف فلا يفتقر إلى رجحان آخر .

الثالث : لم لا يوقعه القادر مع التساوي، فإن القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر من غير مرجح، وقد ذهب إلى هذا جماعة من المتكلمين ومثلوا لذلك بصور وجدانية كالجائع يحضره رغيفان متساويان من جميع الوجوه، فإنه يتناول أحدهما من غير مرجح، ولا يمتنع من الأكل حتى يترجح المرجح، والعطشان يحضره اناءان متساويان من جميع الوجوه، والهارب من السبع يعرض له طريقان متساويان فإنه يسلك أحدهما ولا ينتظر حصول المرجح، وإذا كان هذا الحكم وجدانياً كيف يمكن الاستدلال على نقيضه .

الرابع : إن هذا الدليل ينافي مذهبهم، فلا يصح لهم الاحتجاج به، لأن مذهبهم أن القدرة لا تصلح للضدين، فالمتمكن من الفعل يخرج عن القدرة لعدم التمكن من الترك، وإن خالفوا مذهبهم من تعلقها بالضدين لزمهم وجود الضدين دفعة واحدة، لأن القدرة لا

تتقدم على المقدور عندهم، وإن فرضوا للعبد قدرة موجودة حال وجود قدرة الفعل لزمهم، إما اجتماع الضدين، أو تقدم القدرة على الفعل، فانظر إلى هؤلاء القوم الذين لا يبالون في تضاد أقوالهم وتعاندها .

وفي الثاني من وجهين :

الأول : العلم بالوقوع يتبع الوقوع فلا يؤثر فيه فإن التابع إنما يتبع متبوعه ويتأخر عنه بالذات والمؤثر متقدم .

الثاني : إن وجوب اللاحق لا يؤثر في الإمكان الذاتي ويحصل الوجوب باعتبار فرض وقوع الممكن، فإن كل ممكن على الإطلاق إذا فرض موجوداً، فإنه حالة وجوده يمتنع عدمه لامتناع اجتماع النقيضين، وإذا كان ممتنع العدم كان واجباً مع أنه ممكن بالنظر إلى ذاته، والعلم حكاية عن المعلوم ومطابق له، إذ لا بد في العلم من المطابقة فالعلم والمعلوم متطابقان، والأصل في هيئة التطابق المعلوم، فإنه لولاه لم يكن علماً، ولا فرق بين فرض الشيء وفرض ما يطابقه بما هو حكاية عنه، وفرض العلم هو بعينه فرض المعلوم، وقد عرفت أن مع فرض المعلوم يجب فكذا مع فرض العلم به، وكما أن ذلك الوجوب لا يؤثر في الإمكان الذاتي وكذا هذا الوجوب، ولا يلزم من تعلق علم الله وجوبه بالنسبة إلى ذاته بل بالنسبة إلى العلم، واما المعارضة في الوجهين فإنهما آتيان في حق واجب الوجود تعالى، فإنا نقول في الأول لو كان الله تعالى قادراً مختاراً فإما أن يتمكن من الترك أو لا، فإن لم يتمكن من الترك كان موجباً مجبوراً على الفعل لا قادراً مختاراً، وإن تمكن فإما أن يترجح أحد الطرفين على الآخر أو لا، فإن لم يترجح لزم وجود الممكن المتساوي من غير مرجح، فإن كان محالاً في حق العبد كان محالاً في حق الله تعالى لعدم الفرق، وإن ترجح فإن انتهى إلى الوجوب لزم الجبر وإلا تسلسل أو وقع المتساوي من غير مرجح، فكلما يقولونه هنا نقوله في حق العبد ونقول في الثاني إن ما علمه الله تعالى إن وجب ولزم بسبب هذا الواجب خروج القادر منا عن قدرته وإدخاله في الموجب، لزم في حق الله تعالى ذلك بعينه وإن لم يقتض سقط الاستدلال، فقد ظهر من هذا أن هذين الدليلين آتيان في حق الله تعالى، وهما إن صحّا لزم خروج الواجب تعالى عن كونه قادراً ويكون موجباً، وهذا هو الكفر الصريح إذ الفارق بين الإسلام والفلسفة إنما هو هذه المسألة، والحاصل أن هؤلاء إن اعترفوا بصحة هذين الدليلين لزمهم الكفر، وإن اعترفوا ببطلانهما سقط احتجاجهم بهما .

عرض أقوال الأشعري والرد عليها :

ثم قال العلامة رحمه الله، اعلم أن أبا الحسن الأشعري وأتباعه لما لزمهم هذه الأمور الشنيعة، والالزامات الفظيعة والأقوال الهائلة، من إنكار ما علم بالضرورة ثبوته، وهو الفرق بين الحركات الاختيارية والحركات الجمادية وما شابه ذلك، التجأ إلى ارتكاب قول توهم هو وأتباعه الخلاص من هذه الشناعات ولات حين مناص، فقال مذهباً عجيباً غريباً لزمه بسببه إنكار العلوم الضرورية، كما هو دأبه وعادته فيما تقدم من إنكار الضروريات، فذهب إلى إثبات الكسب للعبد فقال : الله تعالى موجد الفعل والعبد يكتسب، فإذا طولب بتحقيق الكسب وما هو، وأي وجه يقتضيـه، وأي حاجة تدعو إليه، اضطرب هو وأصحابه في الجواب عنه فقال بعضهم : معنى الكسب خلق الله تعالى الفعل عقيب اختيار العبد للفعل، وعدم الفعل عقيب اختياره العدم، فمعنى الكسب اجراء العادة بخلق الفعل عند اختيار العبد .

وقال بعضهم الكسب أن الله تعالى يخلق الفعل من غير أن يكون للعبد فيه أثر النسبة، لكن العبد يؤثر في وصف كون الفعل طاعة أو معصية، فأصل الفعل من الله تعالى، ووصف كونه طاعة أو معصية من العبد .

وقال بعضهم إن هذا الكسب غير معقول ولا معلوم مع أنه صادر من العبد، وهذه الأجوبة فاسدة .

أولاً : لأن الاختيار والإرادة من جملة الأفعال، فإذا جاز صدوره عن العبد فليجز صدور أصل الفعل منه، وأي فرق بينهما وأي حاجة وضرورة إلى التحمل بهذا وهو أن ينسب القبائح بأسرها إلى الله تعالى، وان ينسب الله تعالى إلى الظلم والجور والعدوان وغير ذلك وليس بمعلوم وأيضاً دليلهم آت في نفس هذا الاختيار، فإن كان صحيحاً امتنع إسناده إلى العبد وكان صادراً عن الله تعالى، وإن لم يكن صحيحاً امتنع الاحتجاج به، وأيضاً إذا كان الاختيار الصادر عن العبد موجباً لوقوع الفعل وكان الفعل مستنداً إلى فاعل الاختيار إما العبد أو الله فلا وجه للتخلص بهذه الواسطة، وإن لم يكن موجباً لم يبق فرق بين الاختيار والأكل مثلاً في نسبتهما إلى إيقاع الفعل وعدمه، فيكون الفعل من الله تعالى لا غير، من غير شركة للعبد فيه، وأيضاً العادة غير واجبة الاستمرار فجاز أن يوجد الاختيار

ولا يخلق الله الفعل عقيبه ويخلق الله الفعل ابتداء من غير تقدم اختيار فينتفي التخلص بهذا العذر .

ثانياً : لأن كون الفعل طاعة أو معصية، إما أن يكون نفس الفعل في الخارج، أو أمراً زائداً عليه، فإن كان الأول كان أيضاً من الله، فلا يصدر عن العبد شيء البتة فيبطل العذر، وإن كان الثاني كان العبد مستقلاً بفعل هذا الزائد، وإذا جاز استناد هذا الفعل فليجز استناد أصل الفعل، وأي ضرورة للتمحل بمثل هذه المعاذير الفاسدة التي لا تنهض بالاعتذار، وأي فارق بين الفعلين ولم كان أحدهما صادراً عن الله تعالى والآخر صادراً عن العبد، أيضاً دليلهم آت في هذا الوصف فإن كان حقاً عندهم امتنع اسناد هذا الوصف إلى العبد، وإن كان باطلاً امتنع الاحتجاج به، وأيضاً كون الفعل طاعة هو كون الفعل موافقاً لأمور الشريعة، وكونه موافقاً لأمر الشريعة إنما هو شيء يرجع إلى ذات الفعل، إن طابق الأمر كان طاعة وإلا فلا، وحينئذ لا يكون الفعل مستنداً إلى العبد لا في ذاته ولا في شيء من صفاته، فينتفي هذا العذر أيضاً كما انتفى عذرهم الأول .

أيضاً الطاعة حسنة والمعصية قبيحة، ولهذا ذم الله تعالى ابليس وفرعون على مخالفتهما أمر الله وكل فعل يفعله الله تعالى فهو حسن عندهم، إذ لا معنى للحسن عندهم سوى صدوره من الله تعالى، فلو كان أصل الفعل صادراً من الله تعالى امتنع وصفه بالقبح وكان موصوفاً بالحسن، فالمعصية التي تصدر من العبد إذا كانت صادرة منه تعالى امتنع وصفها بالقبح، فلا تكون معصية فلا يستحق فاعلها الذم والعقاب، فلا يحسن من الله تعالى ذم إبليس وأبي لهب وغيرهما، حيث لم يصدر عنهم قبيح ولا معصية، فلا تتحقق معصية من العبد البتة، وأيضاً المعصية قد نهى الله عنها إجماعاً، والقرآن مملوء من المناهي والتوعد عليها، وكل ما نهى الله عنه فهو قبيح، إذ لا معنى للقبيح عندهم إلا ما نهى الله عنه مع أنها قد صدرت من إبليس وفرعون وغيرهما من البشر، وكل ما صدر من العبد فهو مستندٌ إلى الله تعالى، والفاعل له هو الله تعالى لا غير عندهم فيكون حسناً حينئذ، وقد فرضناه قبيحاً .

ثالثاً : فهو باطل بالضرورة إذ إثبات ما لا يعقل غير معلوم، فإن هذا الدفع وصف من الصفات، والوصف إنما يعلم بعد علم الذات، فإذا لم يفهموه كيف يجوز لهم الاعتذار به .

٥ ـ معنى الجبر والتفويض :

إن أفعال العباد دائرة بحسب الاحتمال العقلي بين أمور :

الأول : أن يكون حصولها بقدرة الله تعالى وإرادته من غير مدخل لقدرة العبد فيه وإرادته .

الثاني : أن يكون بقدرة العبد وإرادته من غير مدخل لقدرة الله تعالى وإرادته فيه، أي بلا واسطة إذ لا ينكر عاقل أن الإقدار والتمكين مستندان إليه تعالى إما ابتداء أو بواسطة .

الثالث : أن يكون حصولها بمجموع القدرتين، وذلك بأن يكون المؤثر قدرة الله تعالى بواسطة قدرة العبد أو بالعكس، أو يكون المؤثر مجموعهما من غير تخصيص أحدهما بالمؤثرية والأخرى بالآلية، وذهب إلى كل من تلك الاحتمالات ما خلا الاحتمال الثاني من محتملات الشق الثالث طائفة . وقد تظافر في الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار عليهم صلاة الملك الغفار أنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، والجبر معلوم معناه، وأما التفويض فالذي يستفاد من الأخبار أنه يطلق على عدة معان :

الأول : تفويض الله الأمر إلى العباد، بحيث لا يكون لأوامره تعالى ونواهيه وبواعثه وزواجره وتوفيقه وإحسانه وتأييده وتسديده وخذلانه مدخل فيه، ويلزم إخراج القادر المطلق عن سلطانه ونسبة العجز الظاهر إلى من لا يدخل النقص في شأنه .

الثاني : هو رفع الحظر عن الخلق في الأفعال والإباحة لهم مع ما شاءوا من الأعمال .

الثالث : هو تفويض أمر الخلق والرزق إلى بعض عباده كما ذهب إليه المفوضة، وأكثر ما يطلق التفويض في هذا الباب على المعنى الأول، وقد يطلق على الثاني، وقد يطلق على معان أخر أيضاً كتفويض اختبار الإمام ونصبه إلى الأمة، وتفويض الأحكام إليهم بأن يحكموا فيها بآرائهم وقياساتهم واستحساناتهم، والظاهر أن نفي الجبر رد على الجبرية بل الأشاعرة أيضاً كما عرفت، والتفويض رد على المعتزلة فإنهم أفرطوا من الجانب الآخر أيضاً فذهبوا إلى أنه تعالى لا مدخلية له في أعمال العباد أصلاً سوى خلق الآلآت والتمكين والإقدار، حتى إن بعضهم قال إن الله لا يقدر على غير مقدور العبد، وبعضهم قال لا يقدر على مثله، أيضاً فهم عزلوا الله عن سلطانه وكأنهم أخرجوا الله عن ملكه وأشركوا من حيث لا يعلمون .

٦ ـ لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين :

إذا عرفت هذا فالأمر بين الأمرين له معان كلها صحيحة وهي :

الأول : أن يكون الجبر المنفي هو ما ذهب إليه المجبرة والأشاعرة، والتفويض المنفي هو كون العبد مستقلاً في الفعل بحيث لا يقدر الرب تعالى على صرفه عنه كما ذهب إليه بعض المعتزلة، والأمر بين الأمرين هو أن الله تعالى جعل عباده مختارين في الفعل والترك مع قدرته على صرفهم عما يختارون وعلى جبرهم على ما لا يفعلون .

الثاني : ما سلكه شيخ الطائفة المحققة الشيخ المفيد في شرحه على الاعتقادات حيث قال بعد قول الصدوق : اعتقادنا في الجبر والتفويض قول الصادق عليه السلام لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين ما لفظه : الجبر هو الحمل على الفعل والاضطرار إليه بالقسر والغلبة، وحقيقة ذلك إيجاد الفعل في الخلق من غير أن يكون لهم قدرة على دفعه والامتناع من وجوده فيه، وقد يعبر عما يفعله الإنسان بالقدرة التي معه على وجه الإكراه له على التخويف والالجاء أنه جبر، والأصل فيه ما فعل من غير قدرة على امتناعه حسب ما قدمناه، وإذا تحقق القول في الجبر على ما وصفناه كان مذهب الجبر هو قول من يزعم أن الله تعالى خلق الطاعة في العبد من غير أن يكون للعبد قدرة على ضدها والامتناع منها، وخلق فيهم المعصية كذلك، فهم المجبرة حقاً والجبر مذهبهم على التحقيق والتفويض هو القول برفع الحظر عن الخلق في الأفعال، والإباحة لهم مع ما شاؤوا من الأعمال، وهذا قول الزنادقة وأصحاب الإباحات، والواسطة بين هذين القولين أن الله أقدر الخلق على أفعالهم وملكهم من أعمالهم وحد لهم الحدود في ذلك، ورسم لهم الرسوم ونهاهم عن القبائح بالزجر والتخويف والوعد والوعيد، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها، ولم يفوض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها، ووضع لهم الحدود فيها وأمرهم بحسنها ونهاهم عن قبحها، فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض على ما بيناه .

الثالث : إن الأسباب القريبة للفعل بقدرة العبد، والأسباب البعيدة كالآلات والأدوات والجوارح والأعضاء والقوى بقدرة الله سبحانه، فهذا هو الأمر بين الأمرين .

الرابع : إن المراد بالأمر بين الأمرين كون بعض الأشياء باختيار العبد كالأفعال التكليفية ونحوها، وبعضها بغير اختياره كالصحة والمرض والنوم واليقظة وأشباهها .

الخامس : إن التفويض المنفي هو تفويض الخلق والرزق وتدبير العالم إلى العباد

كما ذهب إليه الغلاة في الأئمة عليهم السلام والمفوضة، ويؤيد ذلك ما رواه الصدوق في العيون بإسناده عن يزيد بن عمير قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو فقلت له يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله روي لنا عن الصادق عليه السلام أنه قال لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين فما معناه. فقال عليه السلام: من زعم أن الله تعالى يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم أن الله عز وجل فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض، فالقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك. فقلت له يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فما أمر بين أمرين فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أُمروا به، وترك ما نهوا عنه. فقلت له فهل لله عز وجل مشيئة وإرادة في ذلك. فقال: أما الطاعات فإرادة الله ومشيئته فيها الأمر بها والرضا بها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها، فقلت فلله عز وجل فيها القضاء، قال نعم ما من فعل يفعله العباد من خير وشر إلا ولله تعالى فيه قضاء قلت فما معنى هذا القضاء، قال الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة.

السادس: ما اختاره العلامة المجلسي رحمه الله وتنطبق عليه أكثر اخبار الباب وهو: إن الجبر المنفي قول الأشاعرة والجبرية كما عرفت، والتفويض المنفي هو قول المعتزلة إنه تعالى أوجد العباد وأقدرهم على أعمالهم وفوض إليهم الاختيار، فهم مستقلون بإيجادها على وفق مشيئتهم وقدرتهم وليس لله سبحانه في أعمالهم صنع، وأما الأمر بين الأمرين فهو أن لهدايته تعالى وتوفيقاته مدخلاً في أفعالهم بحيث لا يصل إلى حد الإلتجاء والاضطرار، كما أن لخذلانه سبحانه مدخلاً في فعل المعاصي وترك الطاعات لكن لا بحيث ينتهي إلى حد لا يقدر معه على الفعل والترك، وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه في أحواله المختلفة، وهو مثل أن يأمر السيد عبده بشيء يقدر على فعله وفهمه ذلك، ووعده على فعله شيئاً من الثواب وعلى تركه قدراً من العقاب، فلو اكتفى بتكليف عبده بذلك ولم يزد عليه مع علمه بأنهُ لا يفعل الفعل بمحض ذلك لم يكن ملوماً عند العقلاء لو عاقبه على تركهِ ولا ينسب عندهم إلى الظلم، ولا يقول عاقل إنه أجبره على ترك الفعل. ولو لم يكتف السيد بذلك وزاد في ألطافه والوعد بإكرامهِ والوعيد على تركهِ، وأكد ذلك ببعث من يحثه على الفعل ويرغبه فيهِ ويحذره على الترك، ثم فعل ذلك بقدرتهِ واختياره فلا يقول عاقل إنه أجبره على الفعل، وأما فعل ذلك بالنسبة إلى قوم وتركهِ بالنسبة إلى آخرين فيرجع إلى حسن اختيارهم وصفاء طويتهم وسوء اختيارهم وقبح سريرتهم، أو لسبب لا يصل إليه علمنا، فالقول بهذا لا يوجب نسبة الظلم إليه سبحانه بأن يقال جبرهم على المعاصي ثم

يعذبهم عليها كما يلزم الأولين، ولا عزله سبحانهُ عن ملكه واستقلال العباد بحيث لا مدخل له في أفعالهم فيكونون شركاء لله في تدبير عالم الوجود كما يلزم الآخرين .

وهنا معان أُخرى قد استقصيناها مع اخبار الباب وبسط الكلام في ذلك في كتابنا مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار فمن أراد زيادة على ما ذكر فليراجعه .

٧ ـ الروايات الواردة عن أئمتنا عليهم السلام :

نذكر جملة من الروايات الواردة عن الأئمة الهداة، ففي الكافي، والتوحيد، والعيون، والاحتجاج، وكنز الفوائد وغيرها، واللفظ للكافي عن الصادق عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام جالساً بالكوفة بعد منصرفه من صفين إذ أقبل شيخ فجثا بين يديهِ ثم قال يا أمير المؤمنين عليه السلام أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام أجل يا شيخ ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدر، فقال له الشيخ عند الله احتسب عنائي يا أمير المؤمنين فقال له : يا شيخ فوالله لقد عظم الله تعالى لكم الأجر في مسيركم وأنتم سائرون وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليهِ مضطرين. فقال له الشيخ وكيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا إليهِ مضطرين وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا. فقال له : أوتظن أنهُ كان قضاء حتماً وقدراً لازماً، إنهُ لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله تعالى، وسقط معنى الوعد والوعيد، فلم تكن لائمة للمذنب، ولا محمدة للمحسن، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وخصماء الرحمان وحزب الشيطان وقدرية هذه الأمة ومجوسها، إن الله تبارك وتعالى كلف تخييراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يملك مفوضاً، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثاً، وذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. فأنشأ الشيخ يقول :

أنـت الإمـام الـذي نـرجـو بطـاعتـه ... يـوم النجـاة مـن الـرحمٰـن غفـرانـا
أوضحـت مـن أمـرنـا مـا كـان ملتبسـا ... جـزاك ربـك بـالإحسـان إحسـانـا

وزاد في التوحيد والعيون :

فليـس معـذرة فـي فعـل فـاحشـة ... قـد كنـت راكبهـا فسقـاً وعصيـانـا

لا لا ولا قـائـلاً نـاهيـه أوقعـه فيهـا عبـدت إذاً يـا قـوم شيطـانـا
ولا أحـب ولا شـاء الفسـوق ولا قتـل الـولـي لـه ظلمـاً وعـدوانـا
أنـى يحـب وقـد صحـت عـزيمتـه ذو العـرش أعلـن ذاك اللّـه اعـلانـا

وزاد في بعض روايات العيون والتوحيد فقال له الشيخ يا أمير المؤمنين فما القضاء والقدر اللذان ساقانا وما هبطنا وادياً ولا علونا تلعة إلا بهما. فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الأمر من الله والحكم، ثم تلا هذه الآية : ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا**﴾[1]، أي أمر ربك أن لا تعبدوا إلا إياه .

وفي الاحتجاج قال، وروي أن الرجل قال فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين قال عليه السلام : الأمر بالطاعة، والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة، وترك المعصية، والمعونة على القربة إليه، والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد والترغيب والترهيب، كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا، أما غير ذلك فلا تظنه فإن الظن له محبط للأعمال. فقال الرجل فرجت عني يا أمير المؤمنين فرج الله عنك .

وروى الطبرسي في الاحتجاج أنه دخل أبو حنيفة المدينة ومعه عبد الله بن مسلم فقال له يا أبا حنيفة إن هٰهنا جعفر بن محمد من آل محمد فاذهب بنا نقتبس منه علماً، فلما أتياه إذا هما بجماعة من شيعته ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه، فبينما هم كذلك إذ خرج غلام حدث فقام الناس هيبة له فالتفت أبو حنيفة وقال يا ابن مسلم من هذا قال هذا موسى عليه السلام ابنه، قال والله لأجبهنه بين يدي شيعته، قال لن تقدر على ذلك، قال والله لأفعلن ثم التفت إلى موسى عليه السلام فقال يا غلام أين يضع الغريب حاجته في بلدتكم هذه، قال عليه السلام : يتوارى خلف الجدار، ويتوقى أعين الجار، وشطوط الأنهار، ومسقط الثمار، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها فحينئذ يضع حيث شاء. ثم قال يا غلام ممن المعصية، قال عليه السلام يا شيخ لا تخلو من ثلاث، إما أن تكون من الله وليس من العبد شيء للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله، وإما أن تكون من العبد ومن الله والله أقوى الشريكين فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه، وإما أن تكون من العبد وليس من الله شيء فإن شاء عفا وإن شاء عاقب. قال فأصابت أبا حنيفة سكتة كأنما ألقم فوه الحجر، قال فقلت له ألم أقل لك لا تتعرض لأولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي ذلك يقول الشاعر :

لـم نخـل أفعـالنـا الـلاتـي نـلام بهـا احـدى ثـلاث معـان حيـن نـأتيهـا

---

(١) سورة الإسراء؛ الآية: ٢٣.

إمـــا تفـــرد بـــارينـــا بصنعتهـــا فيسقـــط اللـــوم عنـــا حيـــن ننشيهـــا
أو كـــان يشـــركنـــا فيهـــا فيلحقـــه مـــا ســـوف يلحقنـــا مـــن لائـــم فيهـــا
أو لـــم يكـــن لإلاهـــي فـــي جنـــايتهـــا ذنـــب فمـــا الـــذنـــب إلا ذنـــب جـــانيهـــا

وفي الكافي والتوحيد عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من زعم أن الله تبارك وتعالى أمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشر بغير مشيئة الله فقد أخرج الله من سلطانه، ومن زعم أن المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله النار. يعني بالخير والشر الصحة والمرض وذلك قوله تعالى : ﴿ونبلوكم بالخير والشر فتنة﴾[1] .

وعنه عليه السلام قال : لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين. قيل وما أمر بين أمرين، قال : مثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل لك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية .

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : إن الناس في القدر على ثلاثة أوجه، رجل يزعم أن الله تعالى أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم الله في حكمه فهو كافر، ورجل يزعم أن الأمر مفوض إليهم فهذا قد وهن الله في سلطانه فهو كافر ورجل يقول إن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون وإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهو مسلم بالغ .

وعن الرضا عليه السلام أنه ذكر عنده الجبر والتفويض فقال : ألا أعطيتكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ولا تخاصمون عليه أحداً إلا كسرتموه. قيل إن رأيت ذلك، فقال عليه السلام : إن الله عز وجل لم يطع بالإكراه ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه، وهو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعة الله لم يكن الله عنها صاداً ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينه وبين ذلك الفعل وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه، ثم قال عليه السلام من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه .

وفي رسالة العسكري عليه السلام إلى أهل الأهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض ما هو واف بهذا المعنى وفي آخره قال الإمام بذلك، أخبر أمير المؤمنين عليه السلام لما سأله عباية بن ربعي الأسدي عن الاستطاعة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : تملكها من دون الله

---

(١) سورة الانبياء؛ الآية: ٣٥.

أو مع الله. فسكت عباية فقال له عليه السلام : يا عباية قل. قال وما أقول يا أمير المؤمنين، قال: تقول تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن يُملكها كان ذلك من عطائه، وإن سلبها كان ذلك من بلائه، هو المالك لما ملّكك والمالك لما عليه أقدرك أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حيث يقولون لا حول ولا قوة إلا بالله. فقال الرجل وما تأويلها يا أمير المؤمنين، قال : لا حول بنا عن معاصي الله إلا بعصمة الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله. قال فوثب الرجل وقبل يديه ورجليه .

٨ ـ وجوب اللطف على الله تعالى :

مذهب الإمامية والمعتزلة وجوب اللطف على الله تعالى، وهو ما يقرب العبد إلى طاعة الله ويبعده عن معصيته بغير إلجاء أي إكراه ولا إجبار، إذ لا إكراه في الدين ولا دخل له في أصل القدرة، إذ قد أعطى سبحانه كل مكلف قدرة الفعل والترك فيما كلفهم على ما كلفهم كما قال تعالى : **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾**[١] **﴿ولا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾**[٢]. فاللطف أمر زائد على ذلك والدليل على ذلك مضافاً إلى قوله تعالى : **﴿الله لطيف بعباده﴾**[٣]. أي يفعل ما هو لطف بحالهم فقد وصف نفسه بذلك : **﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾**[٤]. لأن نقض الغرض وهو ترك فعل يحصل به غرضه بالسهولة قبيح، فلا يتركه تعالى لأنه العليم الحكيم القدير، ولعل المراد باللطف الواجب ما لا يتم التكليف بدونه كإرسال الرسل والأنبياء ونصب الأئمة والأوصياء عليهم السلام في كل زمان لما يأتي من وجوب الأصلح على الله ووجوب نصب الحجج عقلاً ونقلاً، وأما ما زاد على ذلك فلا يجب قطعاً إذ لو أنزل الله تعالى ملائكته من السماء يأمرون وينهون وجعل الموتى تكلم الناس بما أصابهم بأفعالهم ونحو ذلك لكان فيه تقريب إلى الطاعة وتبعيد عن المعصية .

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢٨٦ .
(٢) سورة الطلاق؛ الآية: ٧ .
(٣) سورة الشورى؛ الآية: ١٩ .
(٤) سورة النساء؛ الآية: ١٢٢ .

الفصل الثالث

البداء، وصف أحوال الملائكة، كتب الله المنزلة

١ ـ معنى البداء :

قد تضافرت الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم صلوات الملك الغفار بالقول بالبداء، ففي الكافي عن زرارة في الصحيح عن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام قال ما أعبُد الله بشيء مثل البداء .

وفي رواية أُخرى عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام قال : ما عظم الله بمثل البداء .

والأخبار بذلك كثيرة، وليس البداء ما ظنه جهال العامة العمياء وطعنوا به على الفرقة المحقة من أنه ظهور الشيء بعد خفائه وحصول العلم به بعد الجهل به، إذ ذلك لا يتفوه به إلا من عزل العقل عن الحكومة، وجوز على الله أن يأمر بالقبيح ويفعله وينهى عن الحسن ويتركه كالأشاعرة كما عرفت من مذهبهم . وإنما البداء الذي ذهبوا إليه له معانٍ صحيحة قد اتفقت عليها العقول وطابقها المنقول ودل عليها الكتاب والسنة كما استقصينا تلك المعاني في مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار نشير هنا إلى جملة منها وهي :

الأول : ما اختاره العلامة رحمه الله المحدث المجلسي وهو : أنهم عليهم السلام إنما بالغوا في البداء رداً على اليهود القائلين إن الله قد فرغ من الأمر وعلى النظام، وبعض المعتزلة القائلين إن الله خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن معادن ونباتاً وحيواناً وإنساناً، ولم يتقدم خلق آدم على خلق أولاده والتقدم إنما يقع في ظهورها لا في حدوثها ووجودها، وأخذوا هذه المقالة من أصحاب الكمون والبروز من الفلاسفة وعلى بعض الفلاسفة القائلين بالعقول والنفوس الفلكية وبأن الله تعالى لم يؤثر حقيقة إلا في العقل

الأول، فهم يعزلونه تعالى عن ملكه وسلطانه وينسبون الحوادث إلى هؤلاء، وعلى آخرين منهم قالوا إن الله سبحانه أوجد جميع مخلوقاته دفعة واحدة دهرية لا ترتيب فيها باعتبار الصدور، بل إنما ترتبها في الأزمان فقط، كما أنه لا تترتب الأجسام المجتمعة زماناً وإنما ترتيبها في المكان فقط. فنفوا عليهم السلام كل ذلك وأثبتوا أنه تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾[1]، من اعدام شيء وإحداث آخر، وإماتة شخص وإحياء آخر إلى غير ذلك، لأن لا يترك العباد التضرع إلى الله ومسألته وطاعته والتقرب إليه بما يصلح أُمور دنياهم وعُقباهم، وليرجوا عند التصدق على الفقراء وصلة الأرحام وبر الوالدين والمعروف والإحسان ما وعدوا عليها من طول العمر وزيادة الرزق وغير ذلك.

وتوضيحه أن البداء المنسوب إليه تعالى معناه أن يبدو له في الشيء فيثبته بعد عدمه، أو عكس ذلك مختاراً مع علمه بأصله، وعلمه بأنه سيفعله في المستقبل لأغراض ومصالح وغايات سبق العلم بها على التفصيل، ولا يحدث له من معلومها شيء لم يكن معلوماً له سابقاً ليلزم نسبة الجهل إليه تعالى كما نطقت بذلك الأخبار، ففي الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: ما بدأ الله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له. وعنه عليه السلام قال: إن الله لم يبدُ له من جهل فالبدء منه سبحانه لمحو المثبت وإثبات غير المثبت مسبوق بعلمه الأزلي، وليس البداء مخصوصاً بالمحو فقط بل يشمل الإثبات كما دلت عليه الآية والرواية، وبالجملة فمرجع البداء المذكور إلى أنه سبحانه مختار على الإطلاق في عامة الأفعال والتكوينات مستمر التصرف والإرادات في كل الأُمور وكافة الأحوال والشؤون، فعلها وتركها وإحكامها ونقصها وتقديمها وتأخيرها جليلها وحقيرها قبيلها ودبيرها، ولهذا لم يعبد الله ولم يعظم بشيء مثل البداء، لأن مدار استجابة الدعاء والرغبة إليه سبحانه والرهبة منه وتفويض الأُمور إليه والتعلق بين الخوف والرجاء والتصدق وصلة الرحم والأعمال الصالحة وأمثالها من أركان العبودية كلها على البداء.

الثاني: ما عليه السيد الداماد وحاصله ان البداء منزلته في التكوين منزلة النسخ في التشريع، فما في الأمر التشريعي والأحكام التكليفية نسخ فهو في الأمر التكويني والمكونات الزمانية بداء، فالنسخ كأنه بداء تشريعي، والبداء كأنه نسخ تكويني، وكما حقيقة النسخ عند التحقيق انتهاء الحكم التشريعي وانقطاع استمراره لا رفعه وارتفاعه عن وعاء الواقع، فكذا حقيقة البداء عند الفحص البالغ إثبات الاستمرار التكويني وانتهاء

(١) سورة الرحمن؛ الآية: ١٢٩.

اتصال الإفاضة ومرجعه إلى تحديد زمان الكون وتخصيص وقت الإفاضة، لا أنه ارتفاع المعلول الكائن عن وقت كونه وبطلانه في حد حصوله .

الثالث : ما ذكره بعض المدققين وهو أن الأمور كلها عامها وخاصها، مطلقها ومقيدها، منسوخها وناسخها، مفرداتها ومركباتها، اخباراتها وإنشاءاتها بحيث لا يشذ عنها شيء منتقشة في اللوح، والفائض منه على الملائكة والنفوس العلوية والنفوس السفلية قد يكون الأمر العام أو المطلق حسب ما تقتضيه الحكمة الكاملة من الفيضان في ذلك الوقت ويتأخر المبيَّن إلى وقت تقتضي الحكمة فيضانه فيه، وهذه النفوس العلوية وما يشبهها يعبر عنها بكتاب المحو والإثبات، والبداء عبارة عن هذا التغيير في ذلك الكتاب من إثبات ما لم يكن مثبتاً ومحو ما يثبت فيه .

الرابع : ما ارتضاه المرتضى رحمه الله وهو أن المراد بالبداء النسخ نفسه، وادعى أنه ليس بخارج عن معناه اللغوي. وقريب منه ما ذكره الشيخ في العدة إلا أنه صرح بأن إطلاقه على النسخ على ضرب من التوسّع والتجوّز وحمل الأخبار عليه ولا يخلو من بعد إلا أن يرجع إلى المعنى الثاني .

الخامس : ما ذكره الصدوق في التوحيد حيث قال : ليس البداء كما تظنه جهال الناس بأنه بداء ندامة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولكن يجب علينا أن نقر لله عز وجل بأن له البداء ومعناه أن له أن يبدء بشيء من خلقه فيخلقه قبل كل شيء، ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره، ويأمر بأمر ثم ينهى عن مثله، أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه، وذلك مثل نسخ الشرائع وتحويل القبلة وعدة المتوفى عنها زوجها، ولا يأمر الله عباده بأمر في وقت إلا وهو يعلم أن الصلاح لهم في ذلك الوقت في أن يأمرهم بذلك، ويعلم في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ما أمرهم به، فإذا كان ذلك الوقت أمرهم بما يصلحهم فمن أقر بأن لله عز وجل أن يفعل ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويخلق مكانه ما يشاء ويقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويأمر بما يشاء كيف يشاء فقد أقر بالبداء، وما عظم الله بشيء أفضل من الإقرار بأن له الخلق والأمر والتقديم والتأخير وإثبات ما لم يكن ومحو ما كان .

والبداء هو رد على اليهود لأنهم قالوا إن الله قد فرغ من الأمر، فقلنا إن الله كل يوم في شأن يحيي ويميت ويرزق ويفعل ما يشاء، والبداء ليس من بدأ به وإنما هو ظهور أمر تقول العرب بدا لي الشخص في طريقي أي ظهر، قال الله تعالى : ﴿وبدا لهم من الله ما لم

يكونوا يحتسبون﴾[1]. أي ظهر لهم، ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبده صلة الرحم زاد في عمره، ومتى ظهر له قطيعة رحم نقص من عمره ورزقه، ومتى ظهر لهُ التعفف عن الزنا زاد في رزقه وعمره.

٢ ـ إن للّه تعالى لوحين :

قد ورد في الآيات القرآنية والأخبار المعصومية أن لله تعالى لوحين أثبت فيهما ما يحدث من الكائنات، أحدهما اللوح المحفوظ الذي لا تغيير فيه أصلاً وهو مطابق لعلمهِ تعالى، والآخر لوح المحو والإثبات فيثبت فيه شيئاً ثم يمحوه لحكم كثيرة، ولا تخفى على أولي الألباب، مثلاً يكتب فيه أن عمر زيد خمسون سنة، ومعناه أن مقتضى الحكمة أن يكون عمره كذا إذا لم يفعل ما يقتضي طوله أو قصره فإذا وصل الرحم مثلاً يمحي الخمسين ويكتب مكانهُ ستين، وإذا قطعها يكتب مكانهُ أربعين. وفي اللوح المحفوظ انه يصل وعمره ستون كما أن الطبيب الحاذق إذا اطلع على مزاج شخص يحكم بأن عمره بحسب هذا المزاج ستين سنة، فإذا شرب سماً ومات أو قتله إنسان فنقص من ذلك، أو استعمل دواء قوى مزاجه فزاد عليهِ لم يخالف قول الطبيب. والتغيير الواقع في هذا اللوح سمي بالبداء إما لأنهُ مشبه بهِ كما في سائر ما يطلق عليهِ تعالى من الابتلاء والاستهزاء والسخرية وأمثالها، أو لأنهُ يظهر للملائكة أو للخلق إذا أخبروا بالأول خلاف ما علموا أولاً، وأما الحكمة في لوح المحو والإثبات بعد تحقق اللوح المحفوظ فلا يجب علينا الفحص عنها، وعدم العلم بها وخفائها لا يدل على عدمها بعد أن دلت الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة فإن الله حكيم مع أنه يمكن أن تكون الحكمة أن يظهر للملائكة الكاتبين في اللوح والمطلعين عليه لطفه تعالى بعباده وإيصالهم في الدنيا إلى ما يستحقونه فيزدادوا به معرفة. ويمكن أن تكون الحكمة إعلام العباد بواسطة الرسل والحجج عليهم السلام أن لأعمالهم الحسنة مثل هذه التأثيرات في صلاح أمورهم، ولأعمالهم السيئة تأثيراً في فسادها، فيكون داعياً لهم إلى الخيرات صارفاً لهم عن السيئات، فيكون لهذا اللوح تقدم على اللوح المحفوظ من جهة لصيرورته سبباً لحصول بعض الأعمال، فبذلك انتقش في اللوح المحفوظ حصوله فلا يتوهم أنه بعد ما كتب في هذا اللوح حصوله لا فائدة في المحو والإثبات. ومن جملة الحكم أن الأنبياء والأوصياء إذا أخبروا أحياناً من كتاب المحو والإثبات ثم أخبروا بخلافه يلزم الناس الإذعان به، ويكون في ذلك تشديد للتكليف عليهم

(١) سورة الزمر؛ الآية: ١٤٧ .

وسبباً لمزيد الأجر لهم كما في سائر ما يبتلي الله عباده به من التكاليف الشاقة، وإيراد الأمور التي تعجز أكثر العقول عن الإحاطة بها، وبها يمتاز المسلمون الذين فازوا بدرجات اليقين عن الضعفاء الذين ليس لهم قدر راسخ في الدين .

٣ ـ وصف أحوال الملائكة :

يجب العلم بملائكة الله تعالى حسب ما ورد في الكتاب والسنة من أنهم أجسام على ضروب مختلفة وأقسام متفاوتة قال الله تعالى : **﴿جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾**(١) . ومنهم الأكابر الأربعة جبرائيل وميكائيل اللذان تكرر ذكرهما في القرآن، وإسرافيل وعزرائيل اللذان تكرر ذكرهما في الحديث .

وجبرائيل هو صاحب الوحي وروح القدس وروح الأمين ينصر أولياء الله ويقهر أعداءه قال تعالى في شأنه : **﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾**(٢) . فرسالته أنه رسول الله إلى جميع أنبيائه ورسله، وكرمه عند ربه أنهُ جعله واسطة بينهُ وبين أشرف عباده، وقوته انه رفع مدائن قوم لوط إلى السماء وقلبها، ومكانته عند الله أن جعله ثاني نفسه في قوله تعالى : **﴿إن الله هو مولاه وجبريل﴾** وكونه مطاعاً أنه إمام الملائكة ومقتداهم، وأما كونه أميناً فلأنه ائتمنه الله على الرسالة، وائتمنه الأنبياء على ما نزل به إليهم .

وميكائيل صاحب الأرزاق والأغذية .

وإسرافيل صاحب الصور الذي قال الله عز وجل : **﴿ونفخ في الصور﴾**(٣) .

وعزرائيل هو ملك الموت الموكل بقبض الأرواح الذي قال الله تعالى : **﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾**(٤) .

ومن أصناف الملائكة حملة العرش والحافون حوله كما قال تعالى : **﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾**(٥) . وقال سبحانه : **﴿وترى الملائكة حافين من حول**

---

(١) سورة فاطر؛ الآية: ١ .
(٢) سورة التكوير؛ الآية: ٢٠ .
(٣) سورة الكهف؛ الآية: ٩٩ .
(٤) سورة السجدة؛ الآية: ١١ .
(٥) سورة الحاقة؛ الآية: ١٧ .

العرش﴾[1]. وعن الصادق عليه السلام: ان حملة العرش أحدهم على صورة ابن آدم يسترزق الله لولد آدم، والثاني على صورة الديك يسترزق الله للطير، والثالث على صورة الأسد يسترزق الله للسباع، والرابع على صورة الثور يسترزق الله للبهائم، ونكس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائيل العجل فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية.

وقال الصدوق رحمه الله في اعتقاداته: اعتقادنا في العرش أنه جملة جميع الخلق، والعرش في وجه آخر هو العلم، ثم قال وأما العرش الذي هو جملة جميع الخلق فحملته أربعة من الملائكة، لكل منهم ثمانية أعين طباق الدنيا واحدة منهم على صورة بني آدم إلى آخر ما تقدم بأدنى تغيير، قال وأما العرش الذي هو العلم فحملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأما الأربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين. هكذا روي في الأسانيد الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام في العرش وحملته، وإنما صار هؤلاء حملة العلم لأن الأنبياء الذين كانوا قبل نبينا صلى الله عليه وآله على شرائع الأربعة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومن قبل هؤلاء صارت العلوم إليهم.

وقال سيد الساجدين في الصحيفة: اللهم وحملة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك، ولا يسأمون من تقديسك، ولا يستحسرون من عبادتك، ولا يؤثرون التقصير على الجد في أمرك، ولا يغفلون عن الوله إليك، وإسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الإذن وحلول الأمر فينبه بالنفخة صرعى رهائن القبور، وميكائيل ذو الجاه عندك والمكان الرفيع من طاعتك، وجبرائيل الأمين على وحيك المطاع في أهل سماواتك المكين لديك المقرب عندك، والروح الذي هو على ملائكة الحجب، والروح الذي هو من أمرك فصلِّ عليهم وعلى الملائكة الذين من دونهم من سكان سماواتك وأهل الأمانة على رسالاتك والذين لا تدخلهم سآمة من دؤوب ولا إعياء من لغوب ولا فتور، ولا يشغلهم عن تسبيحك الشهوات، ولا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات، الخشع الأبصار فلا يرومون النظر إليك، النواكس الأذقان الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك، المستهترون بذكر آلائك، المتواضعون دون عظمتك وجلال كبريائك، والذين يقولون إذا نظروا إلى جهنم تزفر على أهل معصيتك سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، فصلِّ عليهم وعلى الروحانيين من ملائكتك وأهل الزلفة عندك وحمال الغيب إلى رسلك والمؤتمنين على

---

(١) سورة الزمر؛ الآية: ٧٥ .

وحيك، وقبائل الملائكة الذين اختصصتهم لنفسك، واغنيتهم عن الطعام والشراب بتقديسك، واسكنتهم بطون أطباق سماواتك، والذين هم على أرجائها إذا نزل الأمر بتمام وعدك وخزان المطر وزواجر السحاب والذي بصوت زجره يسمع زجل الرعود، وإذا سبحت به حفيفة السحاب التمعت صواعق البروق، ومشيع الثلج والبرد والهابطين مع قطر المطر إذا نزل، والقوام على خزائن الرياح والموكلين بالجبال فلا تزول، والذين عرفتهم مثاقيل المياه وكل ما تحويه لواعج الأمطار وعوالجها من الملائكة إلى أهل الأرض بمكروه ما ينزل من البلاء، ومحبوب الرخاء، والسفرة الكرام البررة، والحفظة الكرام الكاتبين، وملك الموت وأعوانه، ومنكر ونكير ومبشر وبشير ورومان فتان القبور، والطائفين بالبيت المعمور، ومالك والخزنة ورضوان وسدنة الجنان **﴿والذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ ﴿والذين يقولون سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾** والزبانية الذين إذا قيل لهم : **﴿خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه﴾** ابتدروه سراعاً ولم ينظروه ومن أوهمنا ذكره ولم نعلم مكانه وبأي أمر وكلته وسكان الهواء والأرض والماء .

وفي بصائر الدرجات عن الصادق عليه السلام قال : ليس خلق أكثر من الملائكة إنه لينزل كل ليلة من السماء سبعون ألف ملك فيطوفون بالبيت الحرام ليلتهم وكذلك في كل يوم. وسأله رجل فقال الملائكة أكثر أم بنو آدم، فقال عليه السلام : والذي نفسي بيده لملائكة الله في السموات أكثر من عدد التراب في الأرض وما في السماء موضع قدم إلا وفيه ملك يسبح الله ويقدسه، ولا في الأرض شجرة ولا عودة إلا وفيها ملك موكل يأتي الله كل يوم بعلمها الله أعلم بها، وما منهم أحد إلا ويتقرب إلى الله في كل يوم بولايتنا أهل البيت ويستغفر لمحبينا ويلعن أعداءنا ويسأل الله أن يرسل عليهم من العذاب إرسالاً .

وفيه وفي الكافي باسنادهما عن الباقر عليه السلام قال : والله إن في السماء لسبعين صفاً من الملائكة لو اجتمع أهل الأرض كلهم يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوه، وانهم ليدينون بولايتنا. وعنه عليه السلام قال : إن في الجنة نهراً يغتمس فيه جبرائيل كل غداة ثم يخرج منه فينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقطر منه ملكاً .

٤ ـ كتب الله المنزلة على أنبيائه :

في كتب الله تعالى قال الله تعالى : **﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب**

والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾[1]. وقال الله تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحٰق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم﴾[2]. فمن ذلك كتاب التوراة النازلة باللغة العبرانية على قلب موسى عليه السلام أولاً، ثم على الألواح الزبرجدية، ﴿وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون، فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء، ثم جعلوه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً﴾. ومنها الإنجيل النازل باللغة السريانية على قلب عيسى عليه السلام ﴿وهدى وموعظة للمتقين﴾[3]. ومنها الزبور النازل على قلب داود عليه السلام الذي قال الله فيه: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾[4]. ومنها الفرقان النازل على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وآله بلسان عربي مبين مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، وفيهِ العلوم الربانية والأسرار الفرقانية التي تعلّمها النبي منهُ كما قال تعالى: ﴿وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾[5] وفيه كرائم الأخلاق التي تخلق بها النبي صلى الله عليه وآله كما قال تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[6]. ومنها غير ذلك كصحف إبراهيم عليه السلام وكانت عشرين صحيفة، وصحف ادريس عليه السلام وكانت ثلاثين، وصحف شيث (ابن آدم) وكانت خمسين، كما روي ذلك كله عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن أبي ذر (رض) أنهُ قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: ما كانت صحف إبراهيم قال اقرأ يا أبا ذر: ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربهِ فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾[7].

٥ ـ كتب آل محمد صلى الله عليه وآله:

وروي في الكافي عن أبي بصير أنهُ قال للصادق عليه السلام إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله علّم علياً باباً يفتح له منهُ ألف باب، فقال عليه السلام: يا أبا محمد علّم

---

(١) سورة الحديد؛ الآية: ٢٥ .
(٢) سورة البقرة؛ الآية: ١٣٦ .
(٣) سورة آل عمران؛ الآية: ١٣٨ .
(٤) سورة الأنبياء؛ الآية: ١٠٥ .
(٥) سورة النساء؛ الآية: ١١٣ .
(٦) سورة الأعراف؛ الآية: ١٩٩ .
(٧) سورة الأعلىٰ؛ الآيات: ١٤ ـ ١٩ .

رسول الله علياً عليه السلام ألف باب، يفتح من كل باب ألف باب. قال قلت هذا والله العالم. قال فنكت ساعة في الأرض ثم قال: إنهُ لعلم وما هو بذاك، فقال يا أبا محمد فإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة قال قلت جعلت فداك وما الجامعة، قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائهِ من فلق فيهِ وخط علي بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج إليهِ الناس حتى الأرش في الخدش. وضرب بيده إلي فقال: تأذن لي يا أبا محمد قال قلت جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت، قال فغمزني بيده وقال حتى أرش هذا كأنهُ مغضب. قال قلت هذا والله العلم، قال انهُ لعلم وليس بذاك ثم سكت ساعة ثم قال وإن عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر. قال قلت وما الجفر قال: وعاء من أدم فيهِ علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل. قلت إن هذا هو العلم، قال إنه لعلم وليس بذاك ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام قال قلت وما مصحف فاطمة قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد. قال قلت هذا والله العلم، قال: إنه لعلم وما هو بذاك ثم سكت ساعة ثم قال: إن عندنا علم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة. قال قلت جعلت فداك هذا والله هو العلم قال: إنهُ لعلم وما هو بذاك قال قلت جعلت فداك فأي شيء العلم قال: ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة. وفي رواية أُخرى ما يحدث بالليل والنهار يوماً بيوم وساعة بساعة، قيل ولعل مراده عليه السلام والعلم عند الله أن العلم ليس ما يحصل من السماع وقراءة الكتب وحفظها فإن ذاك تقليد، وإنما العلم ما يفيض من الله سبحانه وتعالى على قلب المؤمن يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة فينكشف به من الحقائق ما تطمئن بِهِ النفس وينشرح له الصدر ويتقوم به العالم كأنه ينظر إليهِ ويشاهده.

وفي الكافي عن حماد بن عثمان قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: تظهر الزنادقة سنة ثمان وعشرين ومائة وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام. قال قلت وما مصحف فاطمة، قال: إن الله لما قبض نبيهُ دخل على فاطمة من وفاتهِ من الحزن ما لا يعلمهُ إلا الله تعالى فأرسل إليها ملكاً يسلي غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً. قال ثم قال: أما إنهُ ليس فيهِ شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون.

وعن الصادق عليه السلام إن في الجفر الأبيض الذي عندنا زبور داود، وتوراة موسى،

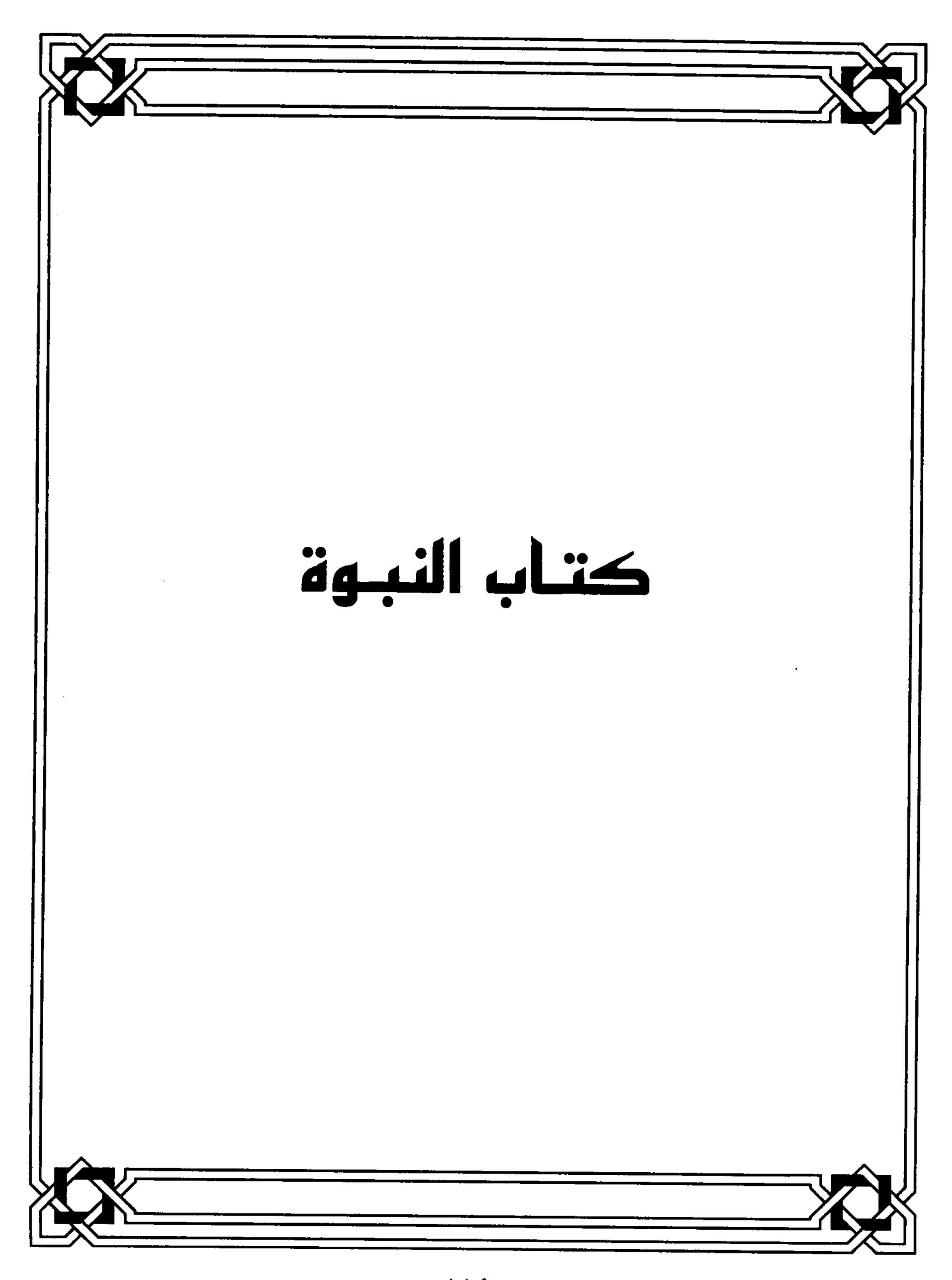
وانجيل عيسى، وصحف إبراهيم، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة عليها السلام . وفي الجفر الأحمر السلاح وإن ما يفتحه صاحب السيف للقتل .

وفي البصائر عن عبد الله بن سنان : إن جبرائيل أتى رسول الله صلى الله عليه وآله بصحيفة مختومة بسبع خواتيم من ذهب، وأمر إذ حضره أجلهُ أن يدفعها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فيعمل بما فيهِ ولا يجوزه إلى غيره .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال حدثني أبي عمن ذكره قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وفي يده اليمنى كتاب وفي يده اليسرى كتاب، فنشر الكتاب الذي في يده اليمنى فقرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم كتاب لأهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم لا يزاد فيهم واحد ولا ينقص منهم واحد. قال : ثم نشر الذي بيده اليسرى فقرأ : كتاب من الله الرحمٰن الرحيم لأهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم لا يزاد فيهم واحد ولا ينقص منهم واحد. وفي رواية ثم دفعها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام .

وعن حبابة الوالبية قالت قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن لي ابن أخ وهو يعرف فضلكم وإني أحب أن تعلمني أفي شيعتكم هو، قال : وما اسمه، قالت قلت فلان بن فلان قالت، فقال : يا فلان هاتِ الناموس فجاء بصحيفة يحملها كبيرة ففتشوها ثم نظر فيها عليه السلام فقال نعم هذا اسمه هاهنا واسم أبيه .

وعن سليمان بن خالد عن الصادق عليه السلام إن عندي لصحيفة فيها أسماء الملوك . وعنه عليه السلام ما من نبي ولا وصي ولا ملك إلا في كتاب عندي .



كتاب النبوة

الفصل الأول
النبوة والأنبياء

١ ـ الدليل على إرسال الرسل والأنبياء :

في بيان اضطرار الخلق إلى الرسول ﷺ والإمام عليه السلام واحتياجهم إلى ذلك ووجوب إرسال الرسل ونصب الأئمة على الله تعالى والدليل على ذلك وجوه :

الأول : إن ذلك من باب اللطف الواجب عليه تعالى كما تقدم بيانهُ .

الثاني : إنك قد عرفت أن الغرض والحكمة في إيجاد الخلق المعرفة والعبادة كما قال تعالى : ﴿**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون**﴾[١] . وذلك يتوقف على تعيين واسطة بين الحق والخلق نبياً كان أو إماماً يعلّمهم ذلك لاستحالة الإفاضة والاستفاضة بلا واسطة، إذ لا ربط ولا نسبة بين النور والظلمة، وكمال الكمال ومنتهى النقص، فتستحيل المشاهدة والمكالمة إلا بالواسطة كما قال تعالى : ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنهِ ما يشاء إنهُ علي حكيم**﴾[٢] . وإنما كان الواسطة قابلاً لذلك لأن له جهتي نورانية وجسمانية كما قال ﷺ أول ما خلق الله نوري . وقوله تعالى : ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم**﴾[٣] .

وفي الكافي عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام أنهُ قال للزنديق الذي سأله من أين أثبت الأنبياء والرسل قال : إنا لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده

---

(١) سورة الذاريات؛ الآية: ٥٦ .

(٢) سورة الشورى؛ الآية: ٥١ .

(٣) سورة الكهف؛ الآية: ١١٠ .

ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه المعبرون عنه جل وعز وهم الأنبياء، صفوتهُ في خلقهِ حكماء مؤدين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم مؤيدين عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته .

وعن منصور بن حازم قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن الله أجل وأكرم من أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون به، قال : صدقت. قلت إن من عرف له رباً فقد ينبغي له أن يعرف لذلك الرب رضا وسخطاً، وإنه لا يعرف رضاه وسخطه إلا بوحي أو رسول، فمن لم يأته الوحي فقد ينبغي له أن يطلب الرسل فإذا لقيهم عرف أنهم الحجة وأن لهم الطاعة المفترضة، وقلت فحين مضى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان الحجة على خلقه، فقالوا القرآن فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجىء والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيّم، فما قال فيه من شيء كان حقاً فقلت لهم من قيّم القرآن فقالوا ابن مسعود كان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم، قلت كله قالوا لا فلم أجد أحداً يقال إنه يعرف ذلك كله إلا علياً عليه السلام ، وإذا كان الشيء بين القوم فقال هذا لا أدري وقال هذا لا أدري وقال هذا أنا أدري، فأشهد أن علياً كان قيّم هذا القرآن وكانت طاعته مفترضة وكان الحجة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأن ما قال في القرآن فهو حق، فقال رحمك الله .

ويجري هذا البرهان العقلي بعينه في سائر الأئمة المعصومين بعد أمير المؤمنين عليه السلام . وعن يونس بن يعقوب قال كان عند أبي عبد الله جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين، ومحمد بن النعمان، وهشام بن سالم، والطيار وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب؛ فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته، قال هشام : يا بن رسول الله إني أجلّك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله عليه السلام : إذا أمرتكم بشيء فافعلوا. قال هشام : بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك علي فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة، فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزر بها من صوف وشملة مترد بها والناس يسألونه فاستفرجت الناس، فأفرجوا لي ثم قعدت في آخر القوم على ركبتين ثم قلت : أيها العالم إني رجل

غريب تأذن لي في مسألة، فقال نعم، فقلت له : ألك عين. فقال يا بني أي شيء هذا من السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه، فقلت هكذا مسألتي، فقال يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء، قلت أجبني فيها، قال لي سل، قلت ألك عين، قال نعم. قلت فما تصنع بها، قال أرى بها الألوان والأشخاص، قلت فلك أنف، قال نعم، قلت فما تصنع به، قال أشم به الرائحة، قلت فلك فم، قال نعم، قلت فما تصنع به، قال أذوق به الطعم، قلت فلك اذن، قال نعم، قلت فما تصنع بها، قال أسمع بها الصوت، قلت ألك قلب، قال نعم، قلت فما تصنع به، قال أميز به كل ما ورد على هذه الجوارح والحواس، قلت أو ليس في هذه الجوارح غنىً عن القلب، قال لا، فقلت وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة، قال يا بني إن الجوارح إذا شكَّت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردته إلى القلب فتستيقن اليقين ويبطل الشك، قال هشام فقلت له فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح، قال نعم، قلت لا بد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح، قال نعم، فقلت له يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح وتستيقن به ما شكت فيه، ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك، قال فسكت ولم يقل لي شيئاً ثم التفت إلي وقال أنت هشام بن الحكم، قلت لا، فقال أمن جلسائه، قلت لا، قال فمن أين، قلت من أهل الكوفة، فقال فأنت إذاً هو ثم ضمني إليه وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه، وما نطق حتى قمت، قال فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال يا هشام من علمك هذا، قلت.. شيء أخذته منك وألفته، فقال والله هذا مكتوب في صحف إبراهيم وموسى.

٢ ـ محاورة الشامي مع هشام بن الحكم :

وعن يونس بن يعقوب قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام فقال إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك، فقال أبو عبد الله عليه السلام : كلامك من كلام رسول الله أو من عندك. فقال من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن عندي. فقال أبو عبد الله عليه السلام : فإذاً أنت شريك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال لا. قال فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلي فقال : يا يونس بن يعقوب هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلم، ثم قال يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته. قال يونس فيا لها من حسرة. قلت جعلت فداك إني سمعتك تنهى عن الكلام وتقول ويل لأصحاب الكلام يقولون هذا ينقاد

وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله، فقال عليه السلام : إنما قلت فويل لهم أن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون، ثم قال لي أُخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلمين فأدخله، قال فأدخلت حمران بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الأحول وكان يحسن الكلام، وادخلت هشام بن سام وكان يحسن الكلام، وادخلت قيس بن الماصر وكان عندي أحسنهم كلاماً، وقد كان تعلم الكلام من علي بن الحسين عليه السلام ، فلما استقر بنا المجلس وكان أبو عبد الله عليه السلام قبل الحج يستقر أياماً في جبل في طرف الحرم في خيمة له مضروبة، قال فأخرج أبو عبد الله عليه السلام رأسه فإذا هو ببعير يخب، فقال عليه السلام : هشام ورب الكعبة. قال فظننا أن هشاماً رجل من ولد عقيل كان شديد المحبة له، قال فورد هشام بن الحكم وهو أول ما اختطت لحيته وليس فينا إلا من هو أكبر سناً منه، قال فوسع له أبو عبد الله عليه السلام وقال : ناصرنا بقلبه ولسانه ويده، ثم قال يا حمران كلم الرجل فكلمه فظهر عليه حمران، ثم قال يا طاقي كلمه فكلمه فظهر عليه الأحول، ثم قال يا هشام ابن سام كلمه فتعارفا ثم قال أبو عبد الله عليه السلام لقيس الماصر كلمه فكلمه، فاقبل أبو عبد الله عليه السلام يضحك من كلامهما مما قد أصاب الشامي، فقال للشامي كلم هذا الغلام يعني هشام بن الحكم فقال نعم، فقال لهشام يا غلام سلني في إمامة هذا، فغضب هشام حتى ارتعد ثم قال للشامي : يا هذا أربّك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم، فقال الشامي بل ربي أنظر لخلقه، قال ففعل بنظره لهم ماذا، قال أقام لهم حجة ودليلاً كيلا يتشتتوا أو يختلفوا بتألفهم، ويقيم لهم أودهم أي إعوجاجهم ويخبرهم بفرض ربهم، قال فمن هو قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال هشام فبعد رسول الله صلى الله عليه وآله من، قال الكتاب والسنة، قال هشام فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة في دفع الاختلاف هنا، قال الشامي نعم، قال فلم أختلف أنا وأنت وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا إياك، قال فسكت الشامي، فقال أبو عبد الله عليه السلام للشامي : ما لك لا تتكلم. قال الشامي : إن قلت لم نختلف كذبت، وإن قلت إن الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت لأنهما يحتملان الوجوه، وإن قلت قد اختلفنا وكل واحد منا يدعي الحق فلم ينفعنا إذاً الكتاب والسنة إلا أن لي عليه هذه الحجة. فقال أبو عبد الله عليه السلام : سله تجده ملياً. فقال الشامي : يا هذا من أنظر للخلق أربهم أو أنفسهم، فقال هشام ربهم أنظر لهم منهم لأنفسهم، فقال الشامي : فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم ويقيم أودهم ويخبرهم بحقهم وباطلهم، قال هشام في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله أو الساعة، قال الشامي في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله والساعة من، فقال هشام هذا القاعد الذي تشد إليه الرحال ويخبرنا بأخبار

السماء وراثة عن أب عن جد، قال الشامي فكيف لي أن أعلم ذلك، قال هشام سله عما بدا لك، قال الشامي قطعت عذري فعلي السؤال، فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا شامي أخبرك كيف كان سفرك وكيف كان طريقك، كان كذا وكان كذا. فأقبل الشامي يقول صدقت أسلمت لله الساعة، فقال أبو عبد الله عليه السلام : بل آمنت بالله الساعة إن الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون. فقال الشامي صدقت فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وان محمداً رسول الله، وأنك وصي الأوصياء. ثم التفت أبو عبد الله عليه السلام إلى حمران بن أعين فقال : تجري الكلام على الأثر فتصيب، والتفت إلى هشام بن سالم فقال تريد الأثر فلا تعرفه، ثم التفت إلى الأحول فقال قياس رواغ تكسر باطلاً بباطل إلا أن باطلك أظهر، ثم التفت إلى قيس الماصر فقال تتكلم وأقرب ما تكون من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبعد ما تكون منه تمزج الحق مع الباطل، وقليل من الحق يكفي عن كثير الباطل أنت والأحول قفازان حاذقان، قال يونس فظننت والله أنه يقول لهشام قريباً مما قال لهما، ثم قال : يا هشام لا تكاد تقع تلوي رجليك إذا هممت بالأرض طرت، مثلك فليكلم الناس فاتق الزلة والشفاعة من ورائها إن شاء الله .

ولا يخفى على الناقد البصير والمحقق الخبير ما في هذه الأخبار الساطعة الأنوار الظاهرة المنار من الأدلة القطعية والبراهين اليقينية على وجوب إرسال الرسل ونصب الإمام في جميع الأزمنة .

الثالث : قال بعض المحققين : اعلم أن الدنيا منزل من منازل السائرين إلى الله عز وجل والبدن مركب، ومن ذهل عن تدبير المنزل والمركب لم يتم سفره، وما لم ينتظم أمر المعاش في الدنيا لا يتم أمر التبتل والانقطاع إلى الله الذي هو السلوك، ولا يتم ذلك حتى يبقى بدنه سالماً ونسله دائماً، وإنما يتم كلاهما بأسباب الحفظ لوجودهما وأسباب الدفع لمفسداتهما، ومهلكاتهما، أما أسباب الحفظ لوجودهما فالأكل والشرب وذلك لبقاء البدن، والمناكحة وذلك لبقاء النسل، وقد خلق الله الغذاء سبباً للحياة، والإناث محلاً للحراثة، إلا أنه ليس يختص المأكول والمنكوح ببعض الآكلين والناكحين بحكم الفطرة مع أنهم محتاجون إلى تمدن واجتماع وتعاون، إذ لا يمكن لكل منهم أن يعيش وحده يتولى تدبيراته المتكثرة المختلفة من غير شريك يعاونه على ضروريات حاجاته، بل لا بد مثلاً من أن ينقل هذا لهذا ويطحن هذا لهذا ويخبز هذا لهذا وعلى هذا القياس، فافترقت اعداداً واختلفت أحزاباً وانعقدت ضياع وبلدان فاضطروا في معاملاتهم ومناكحاتهم وجناياتهم إلى قانون مرجوع إليه بين كافتهم يحكمون به بالعدل وإلا لتهارشوا وتقاتلوا،

بل شغلهم ذلك عن السلوك للطريق بل أفضى بهم إلى الهلاك وانقطع النسل واختل النظام لما جبل عليه كل أحد من أنه يشتهي لما يحتاج إليه ويغضب على ما يزاحمه فيه، وذلك القانون هو الشرع، ولا بد من شارع يعيّن لهم ذلك القانون والمنهج لتنتظم به معيشتهم في الدنيا، ويسن لهم طريقاً يصلون به إلى الله عز وجل بأن يفرض عليهم ما يذكرهم أمر الآخرة والرحيل إلى ربهم، وينذرهم يوماً ينادون فيه من مكان قريب وتنشق الأرض عنهم سراعاً، ويهديهم إلى صراط مستقيم لأن لا ينسوا ذكر ربهم ويذهلوا بدنياهم عن عقباهم التي هي الغاية القصوى والمقصد الأسنى .

الرابع : قال أيضاً إنه لما كان الإنسان في أول أمره وبدء نشوه خالياً عن كماله الذي خلق له، قاصراً عن الغاية التي ندب إليها كما قال تعالى : **﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾**[1] قابلاً أتاه بفطرته التي فطر عليها يمكن الوصول إليه بما أوتي من أسبابه وهيأ له من شرائطه كما قال تعالى : **﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾**[2]. وقال تعالى : **﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾**[3]. لكنه ممنوع بمقتضيات نشأته التي جبل عليها، لو خلي وشأنه لنشأ كله على ما يقتضيه مزاجه وطبيعته بحسب الغالب من قواه وموجب طينته وهواه كما قال تعالى : **﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾**[4]. إذ كل مزاج يناسب قوة دون أُخرى، ويسهل له فعل بعضها مما يلائم حالها دون بعض على ما عبر عنه في القرآن مرة بقوله : **﴿خلق الإنسان من عجل﴾**[5]. وأُخرى : **﴿وكان الإنسان قتورا﴾** **﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾**[6] **﴿إنه كان ظلوماً جهولا﴾**[7]. فمن الواجب أن يكون له سياسة تسوسه وتربيه لصلاحية الكمال وتدبيره، وتجريه في طريق الخير والسعادة وإلا لبقي في مرتبة البهائم وحيل بينه وبين النعيم الدائم .

الخامس : إنه كما لا بد في العناية الإلّهية لنظام العالم من المطر، ورحمة الله لم تقصر عن إرسال السماء مدراراً لحاجة الخلق، فنظام العالم لا يستغني عمن يعرفهم

---

(١) سورة النحل؛ الآية: ٧٨ .
(٢) سورة السجدة؛ الآية: ٩ .
(٣) سورة آل عمران؛ الآية: ١٠٣ .
(٤) سورة الإسراء؛ الآية: ٨٤ .
(٥) سورة الأنبياء؛ الآية: ٣٧ .
(٦) سورة المعارج؛ الآية: ١٩ .
(٧) سورة الأحزاب؛ الآية: ٧٢ .

موجب صلاح الدنيا والآخرة، نعم من لم يهمل إنبات الشعر على الحاجبين المزينة، وكذا تقعير الأخمص في القدمين، كيف أهمل وجود رحمة للعالمين مع أن ما في ذلك من النفع العاجل والسلامة في العقبى والخير الآجل، ولم يترك الجوارح والحواس حتى جعل لها رئيساً يصحح لها الصحيح ويتقن به ما شكت فيه وهو الروح، كيف يترك الخلائق كلهم في حيرتهم وشكهم وضلالتهم لا يقيم لهم هادياً يردون إليه شكهم وحيرتهم كما تقدم، ويجب أن يكون ذلك الواسطة إنساناً لأن مباشرة الملك لتعليم الإنسان على هذا الوجه مستحيل كما قال الله عز وجل : **﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾**[1]. ودرجة باقي الحيوانات أنزل، ولأن خوارق العادات لا تحال عليهم والنفوس لا تركن إلا إلى ابناء نوعهم ولنهاية المباينة بين الإنسان الناسوتي والملك الملكوتي ولا يمكن الاستغناء عن الأنبياء بتوجيه الخطاب من الله تعالى بخلق الأصوات وإيجاد الكلمات لقيام الوجوه والاحتمالات وضعف عقول سائر الناس واحتمالهم أن يكون صدور ذلك من بعض الجان أو الشيطان، ولا بد من تخصيصه بآيات من الله سبحانه دالة على أن شريعته من عند ربهم العالم القادر الغافر المنتقم ليخضعوا له، ويلزم من وقف عليها أن يقر بتقدمه ورئاسته وهي المعجزات البينات والبراهين الواضحات .

٣ ـ لا خيرة للخلق في اختيار الإمام :

حيث ثبت وجوب عصمة الواسطة نبياً كان أو إماماً، فلا خيرة للخلق حينئذ في اختياره بلا خلاف في النبي، وخالف العامة في ذلك بالنسبة إلى الإمام والفرق بينهما تحكم، لأن العصمة من الأمور الباطنة التي لا يطلع عليها إلا علام الغيوب، فيمكن أن يكون ما رأوه صالحاً طالحاً لأنهم لا يعلمون والله يعلم المفسد من المصلح، فقد رأينا مثل موسى نبي الله من أولي العزم قد اختار من قومه سبعين فأوحى الله إليه أنهم فاسقون كما نطق بذلك القرآن المجيد، فكيف لسائر الناس بمعرفة الصالح من الطالح ولقوله تعالى : **﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾**[2]. فقد ذكر المفسرون من العامة أن هذه الآية نزلت في الرد على من قال لِمَ لم يرسل غير هذا الرسول. وحينئذ فهي دالة على أن صاحب الاختيار لا سيما في أُمور الدين هو الله الواحد القهار، ولاختلاف آراء الناس في الاختيار فينجر إلى الفساد والاختلاف كما وقع في السقيفة حيث قالوا منا أمير ومنكم

---

(١) سورة الأنعام؛ الآية: ٩ .
(٢) سورة القصص؛ الآية: ٦٨ .

أمير، وقال عمر إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله الناس شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. ولأن ذلك لطف من الله بعباده وهو واجب على الله كما تقدم .

٤ ـ طرق معرفة النبي والإمام :

لمعرفة ذلك الواسطة نبياً كان أو إماماً طرق :

أولها : المعجزة الخارقة للعادة كما قال تعالى : **﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾**[١] . فإن الخلق إذا عجزوا عن الإتيان بمثله جزموا بأنه من الله فيصدق المدعى .

ثانيها : نص السابق على اللاحق، كما نص موسى وعيسى على خاتم الأنبياء فبشرهم برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، وذكر لهم أوصافه، وإذا كانت نبوته عند أمته ثابتة بالمعاجز وجب تصديقه في كلما أخبر به، وكما اخبر نبيّنا الصادق المصدق بإمامة الأئمة الإثني عشر ونص عليهم نصاً متواتراً قد ذكره المخالف والموالف كما يأتي إن شاء الله تعالى، ثم إن المعجز الخارق للعادة المقارن والموافق للدعوى، وقسم بعضهم الخارق للعادة إلى أقسام ستة :

أولها : الإرهاص، وهو ما يكون قبل البعثة ودعوى النبوة كما كان لنبينا ﷺ أن كل حجر ومدر كان يسلم عليه إذا مر بهِ، فيدل ذلك على حدوث أمر غريب وليس في ذلك التباس إذ لا دعوى .

ثانيها : السحر، وهو خارق يكون بعد تهيئة الأسباب على مهلة بدون الدعوى، كما أن سحرة فرعون طلبوا الحبال والتمسوا المهلة للتهيئة فلا التباس فإن المعجز يكون مع الدعوى بلا تهيئة ومهلة كما قال تعالى : **﴿فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾**[٢] .

ثالثها : المكذبة، وهي ما تكون مخالفة للدعوى فتكذب دعوى المدعي لوقوعها على خلاف ما أراد كما وقع لمسيلمة، فإنه دعا لواحد العين فعميت عينه الصحيحة ودعا لفور ماء البئر فجف ماؤها .

رابعها : الاستدراك، وهو مكر الله في حق المنهمك في المعاصي بحيث يعطى كل

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢٣ .

(٢) سورة طه؛ الآية: ٢٠ .

ما يتمنى خارقاً للعادة فيعتز ويزعم أن ذلك لكرامته على الله تعالى كما كان يزيد (لعه) يقول اشربوا هذا الخمر فإنه مبارك قد أظفرنا على عدونا الحسين عليه السلام، فيأخذه الله بغتة فنستدرجهم من حيث لا يعلمون، ولا التباس في ذلك لعدم الدعوى .

خامسها : الكرامة، وهي استجابة الدعاء في الصلحاء فما يدعو بدعاء إلا يُعطى سؤاله ولا التباس في ذلك إذ لا دعوى هنالك .

سادسها : المعجز، وقد تقدم بيانه ثم إنه لا يشترط في المعجز رؤيته بل يكفي في ذلك التواتر المفيد لليقين كما علمنا ذلك بالنسبة إلى الأنبياء السالفين، فإن التواتر كما يفيد اليقين في البلدان النائية كذلك يفيده هنا، بل لعل إفادة التواتر أقوى من إفادة الرؤية البصرية لأن الخطأ في البصر أقرب من الخطأ في البصيرة .

٥ ـ عدد الأنبياء :

«لا أعلم خلافاً فيمن ذكر عدد الأنبياء أن عددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، ولكن قد خفيت علينا أكثر أسمائهم ولم نحط بمجمل أحوالهم» .

قال الصدوق رحمه الله في اعتقاداته : اعتقاداتنا في عدد الأنبياء أنهم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، ومائة ألف وصي وأربعة وعشرون ألف وصي، لكل نبي منهم وصي أوصى إليه بأمر الله تعالى، ونعتقد فيهم أنهم جاءوا بالحق من عند الحق، وأن قولهم قول الله تعالى وأمرهم أمر الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، وأنهم لم ينطقوا إلا عن الله عن وحيه، وأن سادة الأنبياء خمسة، الذين عليهم دارت الرحى وهم أصحاب الشرائع من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدمه وهم خمسة، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله، وهم أولوا العزم وأن محمداً سيدهم وأفضلهم جاء بالحق وصدق المرسلين .

وفي الخصال والأمالي مسنداً عن الرضا عليه السلام عن آبائهِ قال قال النبي صلى الله عليه وآله : خلق الله عز وجل مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي أنا أكرمهم على الله ولا فخر، وخلق الله عز وجل مائة ألف وصي وأربعة وعشرين ألفِ وصي فعلي أكرمهم على الله وأفضلهم .

وفي الخصال ومعاني الأخبار مسنداً عن أبي ذر (رض) قال قلت يا رسول الله كم النبييون قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي. قلت كم المرسلون منهم قال:

ثلاث مائة وثلاثة عشر جماً غفيراً. قلت من كان أول الأنبياء قال : آدم. قلت وكان من الأنبياء مرسلاً قال : نعم، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه، ثم قال يا أبا ذر أربعة من الأنبياء سريانيون آدم وشيث واخنوخ وهو ادريس وهو أول من خط بالقلم ونوح، وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك محمد وأول نبي من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى وستمائة نبي. قلت يا رسول الله كم أنزل الله تعالى من كتاب قال : مائة كتاب وأربعة كتب أنزل الله تعالى على شيث خمسين صحيفة، وعلى ادريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان .

وروى الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان ما بين آدم وما بين نوح من الأنبياء مستخفين، ولذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسموا كما سمي من استعلن من الأنبياء وهو قوله : **﴿ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾**[١] .

أقول والأنبياء فيهم من جمع النبوة والرسالة والإمامة كنبينا صلى الله عليه وآله وسلم كما قال الله تعالى : **﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾**[٢]. وكموسى على نبينا وعليه السلام كما قال الله تعالى في حقه : **﴿وكان رسولاً نبيا﴾**، وكإبراهيم عليه السلام قال الله فيه : **﴿إني جاعلك للناس إماما﴾**[٣]. وقد ورد في القرآن ذكر الأكابر الاشراف المشاهير من الأنبياء وقال الله تعالى : **﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا﴾**[٤] **﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما﴾**[٥] **﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما﴾**[٦] وقال تعالى : **﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم﴾**[٧] **﴿ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب، ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين**

---

(١) سورة النساء؛ الآية: ١٦٤ .
(٢) سورة الأحزاب؛ الآية: ٤٠ .
(٣) سورة البقرة؛ الآية: ١٢٤ .
(٤) سورة النساء؛ الآية: ١٦٣ .
(٥) سورة النساء؛ الآية: ١٦٤ .
(٦) سورة النساء؛ الآية: ١٦٥ .
(٧) سورة الأنعام؛ الآية: ١٨٣ .

وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين، وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين، ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون، أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[1]. ولكل من هؤلاء الأنبياء آيات ظاهرات ومعجزات باهرات تناسبه وتناسب أهل زمانه تدل على صدقه وحكايته، ومن الناس من آمن به ومنهم من صد عنه كما ذكر الله تعالى جملة من أحوالهم، وذكرنا جملة نافعة منها في كتابنا قصص الأنبياء .

وروى الصدوق في الإكمال والفقيه بإسناده عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا سيد النبيين ووصيي سيد الوصيين وأوصياؤه سادات الأوصياء، إن آدم عليه السلام سأل الله عز وجل أن يجعل له وصياً صالحاً فأوحى الله عز وجل إليه اني أكرمت الأنبياء بالنبوة ثم اخترت خلقاً وجعلت خيارهم الأوصياء، فقال آدم يا رب فاجعل وصيي خير الأوصياء، فأوحى الله عز وجل إليه يا آدم أوصِ إلى شيث وهو هبة الله ابن آدم، فأوصى إلى شيث، وأوصى شيث إلى ابنهِ شبان وهو ابن نزله الحوراء التي أنزلها الله عز وجل إلى آدم من الجنة فزوجها شيث، وأوصى شبان إلى ابنه محليث، وأوصى محليث إلى محرق، وأوصى محرق إلى عثميشا، وأوصى عثميشا إلى اخنوخ وهو ادريس النبي، وأوصى ادريس إلى ناخور، ودفعها ناخور إلى نوح، وأوصى نوح إلى سام، وأوصى سام إلى عثامر، وأوصى عثامر إلى برعيثاشا، وأوصى برعيثاشا إلى يافث، وأوصى يافث إلى برءه، وأوصى برءه إلى خفيسه، وأوصى خفيسه إلى عمران، ودفعها عمران إلى إبراهيم الخليل، وأوصى إبراهيم إلى ابنه اسماعيل، وأوصى اسماعيل إلى اسحاق، وأوصى إسحاق إلى يعقوب، وأوصى يعقوب إلى يوسف، وأوصى يوسف إلى ثبريا، وأوصى ثبريا إلى شعيب، وأوصى شعيب إلى موسى بن عمران، وأوصى موسى إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع بن نون إلى داود، وأوصى داود إلى سليمان، وأوصى سليمان إلى آصف بن برخيا، وأوصى آصف إلى زكريا، ودفعها زكريا إلى عيسى، وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا، وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا، وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر، وأوصى منذر إلى سليمه، وأوصى سليمه إلى برده، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ودفعها إلي برده وأنا أدفعها إليك يا علي وأنت تدفعها إلى وصيك ويدفعها وصيك إلى

(١) سورة الأنعام؛ الآيات: ٨٤ ـ ٨٩ .

أوصيائك من ولدك واحداً بعد واحد حتى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك، ولتكفرن بك الأمة ولتختلفن عليك اختلافاً شديداً، الثابت عليك كالمقيم معي والشاذ عنك في النار والنار مثوى للكافرين .

٦ ـ أولو العزم من الأنبياء :

لا خلاف بين أصحابنا في كون اولي العزم من الأنبياء خمسة، نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله . وبذلك تظافرت الأخبار عن الأئمة الأطهار ورواه مخالفونا عن ابن عباس وقتادة، وقال بعضهم إنهم ستة نوح، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وقيل هم الذين أُمروا بالجهاد والقتال وأظهروا المكاشفة وجاهدوا في الدين، وقيل هم أربعة إبراهيم ونوح وهود ومحمد صلى الله عليه وآله ولا عبرة بهذه الأقوال بعد ورود النصوص عن أهل البيت عليهم السلام الذين هم أدرى بما في البيت .

وأما الأسباب في تسمية هؤلاء الأنبياء بأولي العزم فيحتمل أن ذلك لكونهم أصحاب عزائم وشرائع دون غيرهم من الأنبياء، ويحتمل أن يكون ذلك لشدة عزمهم على الإقرار بالله تعالى وأنبيائه والصبر على ما أصابهم، ويحتمل أن يكون ذلك لأن طاعتهم عزم وحتم على جميع من سواهم بخلاف غيرهم من الأنبياء، فإن منهم من كان نبياً على نفسه ومنهم من لم تكن رسالته عامة .

وفي الكافي عن سماعة عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : **﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾**[1] . فقال : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، قلت كيف صاروا أولي العزم، فقال : لأن نوحاً بعث بكتاب وشريعة، وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه حتى جاء إبراهيم بالصحف وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفرانه، فكل نبي جاء بعد إبراهيم أخذ بشريعة إبراهيم ومنهاجه وبالصحف حتى جاء موسى بالتوراة وبشريعته ومنهاجه وبعزيمة ترك الصحف، وكل نبي جاء بعد موسى أخذ بتوراته وبشريعته ومنهاجه حتى جاء عيسى بالانجيل وكل نبي جاء بعد عيسى أخذ بإنجيله وبشريعته ومنهاجه حتى جاء محمد صلى الله عليه وآله ، فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فهؤلاء أولو العزم من الرسل.

---

(١) سورة الأحقاف؛ الآية: ٣٥ .

وروي فيه وفي العلل عن الباقر عليه السلام قال : إنما سموا أولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته فأجمع عزمهم أن ذلك كذلك والإقرار به .

وفي كامل الزيارة عن السجاد عليه السلام والصادق عليه السلام في حديث سئل فيه عن معنى أولي العزم قال : بعثوا إلى شرق الأرض وغربها جنّها وإنسها .

وفي تفسير القمي رحمه الله في قوله تعالى : ﴿**فاصبر كما صبر أولو العزم**﴾ الآية قال ومعنى (أولوا العزم) انهم سبقوا الأنبياء إلى الإقرار بالله وأقروا بكل نبي كان قبلهم وبعدهم وعزموا على الصبر مع التكذيب والأذى .

٧ ـ الفرق بين الرسول والنبي والإمام :

روى ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عن زرارة قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى : ﴿**وكان رسولاً نبيا**﴾ ما الرسول وما النبي، قال : النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك. قلت الإمام ما منزلته، قال يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك ثم تلا هذه الآية : ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي**﴾[1] .

وعن الرضا عليه السلام : ان الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربما رأى في منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه السلام ، والنبي ربما يسمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص .

وعن الباقر عليه السلام : الرسول الذي يأتيه جبرائيل قبلاً فيراه ويكلمه، والنبي هو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم ونحو ما كان يرى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي. الحديث وفيه دلالة أنه صلى الله عليه وآله لم يكن متعبداً بشرع من قبله كما يأتي .

وعن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام : الرسول الذي يظهر له الملك فيكلمه، والنبي هو الذي يرى في منامه، وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد، والمحدث الذي يسمع الصوت ولا يرى الصورة .

وعن الصادق صلى الله عليه قال : الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات، فنبي منبأ في نفسه لا يعدو غيرها، ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة ولم يبعث إلى أحد وعليهِ امام مثل ما كان إبراهيم على لوط، ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين

---

(١) سورة الحج؛ الآية: ٥٢ .

الملك وقد أرسل إلى طائفة قلوا أو كثروا كيونس، قال الله تعالى ليونس: **﴿وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون﴾**[1]. قال يزيدون ثلاثين ألفاً وعليهِ إمام، والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو مثل أولي العزم وقد كان إبراهيم نبياً وليس بإمام، حتى قال الله تعالى: **﴿إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي﴾**[2]. فقال الله تعالى: **﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾** من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً.

قال بعض المحققين النبي من أُوحي إليه بالعمل، والرسول من أوحي إليه بالعمل والتبليغ، والولي من حدثه الملك أو أُلهم إلهاماً، والإمام من حدثه الملك بالعمل والتبليغ، فكل رسول نبي ولا عكس، وكل رسول أو نبي أو إمام فهو ولي ومحدث ولا عكس، وكل رسول إمام ولا عكس، ولا نبي إلا وولايتهُ أقدم على نبوته، ولا رسول إلا ونبوتهُ أقدم على رسالته، ولا إمام إلا وولايتهُ أقدم على إمامته، والولاية باطن النبوة، والإمامة والنبوة باطن الرسالة، وباطن كل شيء أشرف وأعظم من ظاهره، لأن الظاهر محتاج إلى الباطن والباطن مستغن عن الظاهر، ولأن الباطن أقرب إلى الحق فكل مرتبة من المراتب المذكورة أعظم من لاحقتها وأشرف. وأيضاً فإن كلاً من النبوة والولاية صادرة عن الله ومتعلقة بالله، وكل من الرسالة والإمامة صادرة عن الله ومتعلقة لعباد الله، فتكون الأوليان أفضل. وأيضاً كل من الرسالة والإمامة متعلق بمصلحة الوقت، والنبوة والولاية لا تعلق لهما بوقت دون وقت، وقيل بل الأخيرتان أفضل لأن نفعهما متعدٍّ ونفع الأولتين مقصور على صاحبيهما وله وجه، إلا أن التحقيق هو الأول، وكيف ما كان فليس يجب أن يكون الولي أعظم من النبي ولا من الرسول ولا من الإمام، ولا النبي أعظم من الرسول بل الأمر في الكل بالعكس، كما في ولي يتبع نبياً أو رسولاً أو إماماً، أو نبي يتبع رسولاً لأن لكل من النبي والإمام مرتبتين وللرسول ثلاث مراتب وللولي الواحدة، فمن قال إن الولي فوق النبي فإنما يعني بذلك في شخص واحد، يعني أن النبي من حيث إنهُ ولي أشرف منه من حيث إنه نبي ورسول، وكذا الإمام من حيث إنه ولي أشرف منه من حيث إنه إمام، وكيف يكون الولي أفضل من النبي مطلقاً ولا ولي إلا وهو تابع للنبي أو الإمام، والتابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابع له فيه، إذ لو أدركه لم يكن تابعاً، نعم قد يكون ولي أفضل من نبي إذا لم يكن تابعاً له كما كان أمير المؤمنين عليه السلام أعظم من جميع الأنبياء والأولياء بعد نبينا صلى الله عليه وآله وكذا أولاده المعصومون.

---

(١) سورة الصافات؛ الآية: ١٤٧.

(٢) سورة البقرة؛ الآية: ١٢٤.

الفصل الثاني

العصمة

١ ـ وجوب عصمة الأنبياء والأئمة :

يجب أن يكون الواسطة بين الله تعالى وبين خلقهِ نبياً كان أو إماماً معصوماً، وهذا مما تفردت به الإمامية. والعصمة عبارة عن قوة العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادراً على المعاصي كلها كجائز الخطأ، وليس معنى العصمة أن الله يجبره على ترك المعصية بل يفعل به ألطافاً يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها، كقوة العقل وكمال الفطانة والذكاء ونهاية صفاء النفس وكمال الاعتناء بطاعة الله تعالى، ولو لم يكن قادراً على المعاصي بل كان مجبوراً على الطاعات لكان منافياً للتكليف والإكراه في الدين، والنبي أول من كلف حيث قال فأنا أول العابدين وأنا أول المسلمين وقال تعالى : **﴿فاعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾**[1]. ولأنه لو لم يكن قادراً على المعصية لكان أدنى مرتبة من صلحاء المؤمنين القادرين على المعاصي التاركين لها .

واتفق المخالفون على عدم وجوب العصمة ووقوعها في أئمتهم، وأكثرهم بل جمهورهم على تجويز المعاصي على الأنبياء وبعضهم جوز الكفر عليهم قبل النبوة وبعدها، وجوزوا عليهم السهو والغلط ونسبوا إلى رسول الله ﷺ السهو في القراءة مما يوجب الكفر. فقالوا ورووا أنه ﷺ صلّى يوماً الصبح وقرأ في سورة النجم عند قوله أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأُخرى .

تلـــك الغـــرانيـــق العلـــى منهـــا الشفـــاعـــة تـــرتجـــى

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٩ .

نعوذ بالله من هذه الاعتقادات الفاسدة والمقالات الكاسدة، وكيف كان فالذي عليه الإمامية انه يجب في الحجة أن يكون معصوماً من الكبائر والصغائر، منزهاً عن المعاصي قبل النبوة وبعدها على سبيل العمد والنسيان، وعن كل رذيلة ومنقصة وعما يدل على الخسة والضعة ويكون سبباً لتنفر الناس عنه .

٢ ـ الأدلة على عصمة الأنبياء :

الدليل على وجوب العصمة مضافاً إلى النقل المتواتر وإجماع الفرقة المحقة والطائفة الحقة أمور :

الأول : إنه لو انتفت العصمة لم يحصل الوثوق بالشرائع والاعتماد عليها، فإن المبلّغ إذا جوزنا عليه الكذب وسائر المعاصي جاز أن يكذب عمداً أو نسياناً أو يترك شيئاً مما أوحي إليه أو يأمر من عنده فكيف يبقى اعتماد على أقواله .

الثاني : انه إن فعل المعصية، فإما أن يجب علينا اتباعه فيها فيكون قد وجب علينا فعل ما وجب تركه واجتمع الضدان، وإن لم يجب انتفت فائدة البعثة .

الثالث : إنهُ لو جاز أن يعصي لوجب إيذاؤه والتَبرِّي منه لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكن الله تعالى نص على تحريم إيذاء النبي فقال : **﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾**[1] .

الرابع : إنه يلزم بعصيانه سقوط محله ورتبته عند العوام فلا ينقادون إلى طاعته فتنتفي فائدة البعثة .

الخامس : إنه يلزم أن يكون أدون حالاً من آحاد الأمة، لأن درجات الأنبياء في غاية الشرف وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه أفحش كما قال تعالى : **﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين﴾**[2]. والمحصن يرجم وغيره يحد، وحد العبد نصف حد الحر، والأصل فيه أن علمهم بالله أكثر وأتم وهم مهبط وحيه ومنازل ملائكته، ومن المعلوم ان كمال العلم يستلزم كثرة معرفته والخضوع والخشوع فينافي صدور الذنب، لكن الإجماع دل على أن النبي ﷺ لا يجوز أن يكون أقل حالاً

---

(١) سورة الأحزاب؛ الآية: ٥٧ .

(٢) سورة الأحزاب؛ الآية: ٣٠ .

من آحاد الأمة .

السادس : إنه يلزم أن يكون مردود الشهادة لقوله تعالى : **﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾**[1] . فكيف تقبل عموم شهادته في الوحي وأحكام الله تعالى ويلزم أن يكون أدنى حالاً من عدول الأمة وهو باطل بالاجماع .

السابع : إنه لو صدر عنه الذنب لوجب الاقتداء به لقوله تعالى : **﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾**[2] **﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة﴾**[3] **﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾**[4] . والتالي باطل بالإجماع وإلا لاجتمع الوجوب والحرمة .

الثامن : إنه لو لم يكن معصوماً لانتفى الوثوق بقوله ووعده ووعيده فلا يطاع في أقواله وأفعاله فيكون إرساله عبثاً .

التاسع : إنهُ لو لم يكن معصوماً لكان محل إنكار ومورد عتاب كما في قوله تعالى : **﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾**[5] . وقوله تعالى : **﴿لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**[6] . فيجب أن يكون مؤتمراً بما يأمر به منتهياً عما ينهى عنه .

العاشر : إنه لو كان يخطىء لاحتاج إلى من يسدده ويمنعه عن خطأه وينبهه على نسيانه، فإما أن يكون ذلك معصوماً فيثبت المطلوب أو غير معصوم فيتسلسل .

الحادي عشر : إنه يقبح من الحكيم أن يكلف الناس باتباع من يجوز عليه الخطأ فيجب كونه معصوماً، ولأنه يجب صدقه إذ لو كذب والحال أن الله أمرنا بإطاعته لسقط محله عن القلوب فتنتفي فائدة بعثته .

وقد استقصينا الكلام في عصمة الأنبياء في مصابيح الأنوار، والعمدة في ثبوت العصمة الأخبار المتظافرة عن أهل البيت عليهم السلام في أن الأنبياء معصومون وتنزيههم عن ذلك، وإجماع الفرقة المحقة وما ورد في ظاهر الكتاب والسنة من نسبة الذنوب والمعاصي

---

(١) سورة الحجرات؛ الآية: ٦ .

(٢) سورة آل عمران؛ الآية: ٣٢ .

(٣) سورة الأحزاب؛ الآية: ٢١ .

(٤) سورة آل عمران؛ الآية: ٣١ .

(٥) سورة البقرة؛ الآية: ٤٤ .

(٦) سورة الصف؛ الآية: ١٣ .

إلى الأنبياء والأئمة عليهم السلام فله محامل صحيحة عديدة وتأويلات سديدة مذكورة في مظانها، منها أنهم عليهم السلام لما كانوا مستغرقين في طاعة الله عز وجل ومراضيه، ويعلمون أنهم بمرأى من الله ومسمع ومطلع على ظواهرهم وبواطنهم وسرائرهم وعلانيتهم، فإذا اشتغلوا أحياناً عن ذكر ربهم ببعض المباحات زيادة على القدر الضروري عدّوا ذلك ذنباً ومعصية في حقهم واستغفروا منه، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

٣ ـ شبهة جواز السهو على النبي :

إعلم أن بعض علمائنا كالصدوق محمد بن بابويه، وأُستاذه محمد بن الحسن بن الوليد ذهبا إلى جواز السهو على النبي صلى الله عليه وآله وقالا : ليس سهو النبي صلى الله عليه وآله كسهونا، لأن سهوه من الله عز وجل أسهاه ليعلم أنه بشر مخلوق فلا يتخذ معبوداً دونه، وسهونا من الشيطان وليس للشيطان على النبي والأئمة عليهم السلام سلطان. واستندا في ذلك إلى بعض الأخبار الشاذة الموافقة للعامة، وإن رويت بطرق عديدة وهي أن رسول الله صلى الله عليه وآله سلم في ركعتين فسأله من خلفه يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء، قال : وما ذاك، قالوا إنما صليت ركعتين، فقال صلى الله عليه وآله : أكذلك يا ذا اليدين وكان يدعى ذا الشمالين، فقال نعم فبنى على صلاته فأتم الصلاة أربعاً .

وقال الصادق عليه السلام إن الله تعالى هو الذي أنساه رحمة للأمة، ألا ترى لو أن رجلاً صنع هذا لعيّر ونحوه غيره .

وفي بعضها أنه صلى الله عليه وآله صلى الظهر خمس ركعات ثم انفتل فقال له بعض القوم يا رسول الله هل زيد في الصلاة شيء، قال وما ذاك، قالوا صليت بنا خمس ركعات، فاستقبل القبلة وكبر وهو جالس ثم سجد سجدتين .

وفي بعضها انه صلى الله عليه وآله نام عن الصبح والله عز وجل أنامه حتى طلعت الشمس عليه وكان ذاك رحمة من ربك للناس .

وفي بعضها أن أمير المؤمنين عليه السلام صلّى بالناس على غير طهر وكانت الظهر ثم دخل، فخرج مناديه إن أمير المؤمنين عليه السلام صلّى على غير طهر فأعيدوا وليبلغ الشاهد الغائب .

وفي بعضها أن الباقر عليه السلام اغتسل من الجنابة فقيل قد بقيت لمعة من ظهرك لم يصبها الماء، فقال له ما كان عليك لو سكت ثم مسح تلك اللمعة بيده .

وروى الكليني أن أول كتاب كتب في الأرض أن الله عرض على آدم ذريته، فلما نظر إلى داود وعرف قصر عمره قال: قد وهبت له من عمري أربعين سنة، فقال الله تعالى لجبرائيل وميكائيل اكتبوا عليه كتاباً فإنه ينسى هذا أقصى ما استدلا به.

٤ ـ الرد على شبهة جواز السهو على النبي:

هذه الأخبار مع مخالفتها لإجماع الشيعة المحقة بل ضرورة المذهب وشذوذها وموافقتها لمذاهب العامة الذين أُمرنا بخلافهم يقع الكلام فيها من وجوه:

الأول: مخالفتها للآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾[(١)]. وقوله تعالى: ﴿**وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[(٢)]. وقوله تعالى: ﴿**سنقرؤك فلا تنسى**﴾[(٣)]. وقوله تعالى: ﴿**فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**﴾[(٤)]. وقوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾[(٥)]. ونحو ذلك.

الثاني: إنها مخالفة للأخبار الصحيحة المعتضدة بإجماع الإمامية الدالة على نفي السهو والشك والنسيان عنهم عليهم السلام.

ففي الفقيه عن الرضا عليه السلام قال: للإمام علامات يكون أعلم الناس وأحكم وأحلم الناس وأعبد الناس ويكون مطهراً ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه ولا يحتلم وتنام عيناه ولا ينام قلبه.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في جنود العقل والجهل قال عليه السلام: فكان مما أعطى الله العقل من الخمسة والسبعين جنداً الخير وجعل ضده الشر إلى أن قال والعلم وضده الجهل، والتسليم وضده الشك، والتذكر وضده السهو، والحفظ وضده النسيان، ثم قال عليه السلام لا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبي أو وصي نبي أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان.

---

(١) سورة النجم؛ الآية: ٣.
(٢) سورة الحشر؛ الآية: ٧.
(٣) سورة الأعلىٰ؛ الآية: ٦.
(٤) سورة الماعون؛ الآية: ٥.
(٥) سورة الأحزاب؛ الآية: ٣٣.

وفي الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام يذكر حاله مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومما قال : ودعا الله أن يعطيني علمه وفهمه فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً مما علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً إلى أن قال فقال صلى الله عليه وآله لست أتخوف عليك النسيان والجهل .

وفي التهذيب عن ابن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له هل سجد النبي صلى الله عليه وآله سجدتي السهو، قال : لا ولا يسجدهما فقيه .

وفي الحديث المشهور بين الطرفين قوله صلى الله عليه وآله صلوا كما رأيتموني أُصلي خذوا عني مناسككم .

وفي الكافي عن الرضا عليه السلام في وصف الإمام عليه السلام : عالم لا يجهل، راع لا ينكل، إلى أن قال إن الأنبياء والأئمة عليهم السلام يوفقهم الله ويأتيهم من مخزون علمه وحكمته ما لا يؤتيه غيرهم. وفي اخبار كثيرة عنهم عليهم السلام إن الإمام عليه السلام إذا شاء أن يعلم علم .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال : والله لا يكون عالم جاهلاً أبداً، عالماً بشيء جاهلاً بشيء. ثم قال عليه السلام الله أعز وأجل وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه .

وعن الصادق عليه السلام في حديث قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس لا يزل ولا يخطىء في شيء مما يسوس به الخلق .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : للإمام عليه السلام عشر علامات، يولد مطهراً مختوناً إلى أن قال ولا يجنب وتنام عينه ولا ينام قلبهُ، ولا يتثاءب ولا يتمطى ويرى من خلفه كما يرى من أمامه. وعن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا كثر عليك السهو فامض في صلواتك فإنهُ يوشك أن يدعك إنما هو من الشيطان ونحوه غيره من الأخبار .

وفي العيون عن الرضا عليه السلام في علامات الإمام عليه السلام قال : إن الإمام مؤيد بروح القدس وبينه وبين الله تعالى عمود من نور يرى فيه أعمال العباد وكلما احتاج إليه لدلالة اطلع عليها، والإمام يولد ويلد ويصح ويمرض ويأكل ويشرب ويبول ويتغوط وينكح وينام ولا ينسى ولا يسهو. وعنه عليه السلام قال ما يتقلب جناح طائر في الهواء إلا وعندنا منه علم .

٥ ـ الأدلة العقلية على رد شبهة السهو على النبي :

السهو على النبي مخالف للأدلة العقلية المعتضدة بالنقلية وهي :

الأول : انه لو جاز شيء من ذلك عليهم لزم التنفر عنهم وعدم قبول أقوالهم وأفعالهم وهو نقض للغرض .

الثاني : إنا مأمورون باتباع النبي ﷺ والإمام عليه السلام وترك الاعتراض عليهم، فلو جاز الخطأ والسهو والنسيان لوجب متابعتهم وكنا مأمورين به، والأمر باتباع الخطأ قبيح لا يصدر من الحكيم، والنقض بالراوي والشاهد والمفتي مع عدم عموم حكمهم مردود بأنهم ليسوا بحاكمين وإنما هم ناقلون ولا يشترط العصمة في الناقل إجماعاً .

الثالث : إن من وجه احتياج الخلق إلى النبي ﷺ والإمام عليه السلام هو جواز الخطأ على الأمة، فلو جاز عليهما لاحتاج إلى نبي وإمام لاشتراك العلة ولزوم الترجيح بلا مرجح والدور أو التسلسل .

الرابع : إنه حافظ للشرع فلو جاز عليه الخطأ والسهو والنسيان لأدى إلى التضليل والإغراء بالجهل والتبديل، وصار احتمال النسخ مساوياً لاحتمال السهو، واحتمال الصحة مقاوماً لاحتمال الفساد، وهو نقيض الغرض المطلوب من العصمة .

الخامس : إنه لو جاز السهو عليه لم يوثق بشيء من أقواله ولا أفعاله أصلاً وهو نقض للغرض من نصبه .

السادس : إنه لو جاز السهو والنسيان على المعصوم لجاز تركه للواجبات وفعله للمحرمات سهواً، لأن فعل الواجب عبادة وترك المحرم عبادة، وإذا جاز السهو في ترك بعضها جاز في ترك الجميع فلا تصدق العصمة التي تستلزم انتفاء المعاصي مطلقاً .

السابع : إنه لو جاز السهو والنسيان والخطأ على المعصوم في العبادة دون التبليغ لجازت جميع المعاصي والكفر عليهِ قبل كونه نبياً أو إماماً، واللازم باطل بالأدلة العقلية والنقلية، فكذا الملزوم وبيان الملازمة عدم الاحتياج إلى العصمة في الموضعين كما ادعيتموه، لأن الضرورة إلى استحالة الخطأ والسهو والنسيان إن كانت مخصوصة بالتبليغ فلا تبليغ في الحالة السابقة وهو واضح بل ذاك أولى بالجواز مع ظهور بطلانه فكذا هنا .

الثامن : إنهُ لو جاز الخطأ والسهو على المعصوم لزم إفحامهُ لأن للرعية أن لا تتبعه إلا فيما علمت صوابهُ، ولا يعلم صوابهُ إلا منهُ فيدور .

التاسع : إنهُ لو جاز ذلك لم يحصل العلم بقوله إن هذا الفعل سهو أو غير سهو لجواز السهو على ذلك القول أيضاً لأنهُ خارج عن التبليغ، ألا ترى أنهُ على قولهم قد نفى السهو عن نفسهِ لما قال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله، فقال كل ذلك لم يكن وذلك على زعمكم غير مطابق للواقع .

العاشر : إنه لو جاز عليهِ السهو والنسيان في غير التبليغ لجاز منه الكذب سهواً في غير التبليغ أيضاً، فلا يوثق بشيء من أقواله في غيره وبطلانه قطعي .

الحادي عشر : إنه لو جاز ذلك لما أمكن الاحتجاج بشيء من أفعاله وأقواله لاحتمالها السهو والنسيان وذلك باطل قطعاً .

الثاني عشر : إنه لو جاز عليهِ ذاك لما قبلت شهادته وحده فضلاً عن دعواه لنفسه ولجاز التوقف في تصديقهِ وذلك باطل إجماعاً نصاً وفتوى .

الثالث عشر : إنه لو جاز ذلك عليه لأمكن وقوع اتلاف مال الغير منه وغصبه نسياناً، ونسيانه للحق الذي في ذمته، وإذا ادعاه أصحاب الحقوق بذلك احتاجوا إلى نبي آخر وإمام آخر يحكم عليهما فيدور أو يتسلسل .

الرابع عشر : إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة واجبة بالضرورة من الدين، وأحق الناس بها النبي والإمام عليه السلام ، وليس ذلك من قسم التبليغ لاختصاصها بالآحاد والجزئيات وظهور كون التبليغ بقواعد كلية للأحكام الشرعية، لكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد من ضرب وغيره خارج عن التبليغ قطعاً، وحينئذ يجوز عليهما السهو والنسيان والخطأ والغلط فيأمران بالمنكر وينهيان عن المعروف ولا يخفى فساده .

الخامس عشر : إنه لو جاز عليهِ السهو والنسيان في غير التبليغ كما يزعم الخصم لجاز عليهِ تعدي حدود الله سهواً، وإذا صدر منه ذلك كان ظالماً لقوله تعالى : **﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾**[1] **﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾**[2]. والظالم لا

(١) سورة الطلاق؛ الآية: ١ .

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٢٩ .

ينال النبوة والإمامة لقوله تعالى : ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾[1] .

السادس عشر : إنه يلزم من ذلك حط منزلته من القلوب وسقوط محله من النفوس كما يشهد الوجدان بذلك .

السابع عشر : إنه يلزم احتياجه إلى رعيته .

الثامن عشر : عدم كون فعله وقوله حجة مطلقاً واشتباه التبليغ بغيره غالباً .

التاسع عشر : إمكان وقوع المعصية وفعل المحرم وترك الواجب سهواً وهو باطل .

ومما يدل على بطلان ما ادعاه الخصم زيادة على ما ذكر ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام أن الله جعل في النبي خمسة أرواح، روح الحياة فيه دب ودرج، وروح القوة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فيه آمن وعدل، دوروح القدس فيه حمل النبوة، فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام عليه السلام وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتلهو وتزهو. ونحوه عن جابر عن الباقر عليه السلام قال فيه إن هذه الأربعة الأرواح يصيبها الحدثان إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب، ولا يخفى أن النسيان من جملة الحدثان المنفي عنها والأخبار في ذلك كثيرة يقف عليها المتتبع .

٦ ـ الواسطة أفضل أهل زمانه :

يجب أن يكون ذلك الواسطة أفضل أهل زمانهِ عالماً بجميع العلوم التي تحتاج رعيتهُ إليها لاستحالة الترجيح بلا مرجح، وقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاً ونقلاً آية ورواية، ولقوله تعالى : ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يُهدَى فما لكم كيف تحكمون﴾[2]. ولقوله تعالى : ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[3]. وقولهُ تعالى : ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين أم نجعل المتقين كالفجار﴾[4]. ولأن الملائكة لما سألوا عن ترجيح آدم عليهم أجيبوا بالأعلمية كما قال تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ١٢٤ .
(٢) سورة يونس؛ الآية: ٣٥ .
(٣) سورة الزمر؛ الآية: ٩ .
(٤) سورة صَ؛ الآية: ٢٨ .

كنتم صادقين﴾[1]. وقال تعالى في سبب ترجيح طالوت لما قالوا: **﴿أنّى يكون لهُ الملك علينا ونحن أحق بالملك منه قالوا إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾**[2]. أي الشجاعة.

٧ ـ تنزيه الأنبياء عن كفر الآباء والامهات:

المشهور بين الإمامية بل حكي عليه الاجماع أنه يجب تنزيه الأنبياء عن كفر الآباء والأُمهات وعهرهن، لئلا يعيّروا ويعابوا في ذلك ولئلا يتنفر عنهم، فإن ما في الآباء من العيوب يعود إلى الأبناء عرفاً ولقوله تعالى: **﴿الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين﴾**[3]. أي انتقالك من أصلاب الساجدين لله إلى أرحام الساجدات. وقوله تعالى: **﴿وما كان أبوك امرء سوء وما كانت أمك بغيا﴾**[4].

وعندي في ذلك تأمل إذ لم يتم دليل عقلي قطعي على اشتراط ذلك، والدليل النقلي إنما صح بالنسبة إلى آباء النبي ﷺ دون سائر الأنبياء لا سيما الخضر عليه السلام فالتوقف في ذلك أولى، وأمهات سائر الأئمة عليهم السلام لم يكن في مبدأ أمرهن على الإسلام نعم الذي يظهر من النقل ويساعده العقل اشتراط كونهن عفيفات طاهرات نجيبات منزهات ومسلمات حين انعقاد النطفة في أرحامهن، لأن النطفة لما كانت دائماً في الأصلاب فينبغي الإسلام بخلاف الأرحام، والله العالم بحقائق الأمور ويجب الإيمان بإيمان أبوي النبي ﷺ وأبي طالب لإجماع الشيعة على ذلك، ورووا الروايات في ذلك من طرق العامة والخاصة ولقوله تعالى: **﴿إن الذين آووا ونصروا أولٓئك هم المؤمنون حقا﴾**[5] وقد اتفق المخالف والموالف أن أول من آوى النبي ﷺ ونصره أبو طالب عليه السلام.

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٣١.

(٢) سورة البقرة؛ الآية: ٢٤٧.

(٣) سورة الشعراء؛ الآيتان: ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٤) سورة مريم؛ الآية: ٢٨.

(٥) سورة الأنفال؛ الآية: ٧٤.

الفصل الثالث

صفات الأنبياء

١ ـ صفات النبي ونعوته :

ذكر بعض المحققين العارفين للنبي ﷺ صفاتاً ونعوتاً أحببنا إيرادها وهي جارية بعينها في الإمام عليه السلام قال ما ملخصه : من صفاته ﷺ أن يكون صافي النفس في قوته النظرية صفاء تكون معهُ شديدة الشبه بالروح الأعظم، فيتصل بهِ متى أراد من غير كثير تعمل وتفكر حتى تفيض عليهِ العلوم اللدنية من غير توسط تعليم بشري بل يكاد زيت عقله يضيء ولو لم تمسسهُ نار التعليم البشري بمقدحة الفكر وزند البحث والتكرار، فإن النفوس متفاوتة في درجات الحدس والاتصال بعالم النور، فمن محتاج إلى التعلم في جل المقاصد بل كلها، ومن غبي لا يفلح في فكره ولا يؤثر فيهِ التعليم أيضاً، حتى خوطب النبي ﷺ الهادي في حقهِ : **﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾**[1]، **﴿ولا تسمع من في القبور ولا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء﴾** وذلك لعدم وصولهم بعد إلى درجة استعداد الحياة العقلية، فلم يكن لهم سمع باطني يسمعون به الكلام المعنوي والحديث الرباني : **﴿ولهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها﴾**. وأن يكون شديد الحدس كثيره كمّاً وكيفاً سريع الاتصال بعالم الملكوت يدرك بحدسهِ أكثر المعلومات في زمان قليل إدراكاً شريفاً نورياً ينتهي بقوة حدسهِ إلى آخر المعقولات في زمان قصير من غير تعلم، فيدرك أُموراً يقصر عن إدراكها غيره من الناس، وأن تكون قوتهُ المتخيلة قوية بحيث يشاهد في اليقظة عالم الغيب، وتتمثل لهُ الصور المثالية الغيبية، ويسمع الأصوات الملكوتية، ويتلقى المغيبات والأخبار الجزئية من الملكوت فيطلع على الحوادث الماضية والآتية، وأن تكون قوته الحساسة والمحركة في القوة بحيث تؤثر في مادة العالم بإزالة صورة

---

(١) سورة القصص؛ الآية: ٥٦ .

وإلباس أخرى، فيحيل الهواء إلى الغيم بإذن الله، ويحدث الأمطار والزلازل لأجل استهلاك امة فجرت وعتت عن أمر ربها ورسله، وان يسمع دعاءه في الملك والملكوت لعزيمة قوته، فيستشفي المرضى ويستسقي العطشى وتخضع له الحيوانات .

ومن صفات النبي ﷺ أن يكون جالساً في الحد المشترك بين عالم المعقول وعالم المحسوس، فهو تارة مع الحق بالحب له وتارة مع الخلق بالرحمة عليهم والشفقة لهم، فإذا عاد إلى الخلق كان كواحد منهم كأنهُ لا يعرف الله وملكوته، وإذا خلا بربهِ كان مشتغلاً بذكره وخدمته فكأنهُ لا يعرف الخلق، يأخذ من الله ويتعلم من لدنهُ ويعطي لعباده ويعلمهم ويهدي لهم، فيَسأل ويجاب ويُسأل ويجيب ناظماً للطرفين واسطة بين العالمين سمعاً من جانب ولساناً إلى جانب، فلقلبهِ بابان مفتوحان :

أحدهما : وهو الباب الداخلاني إلى مطالعة اللوح والذكر الحكيم فيعلمه علماً يقينياً لدنيّاً من عجائب ما كان أو سيكون، وأحوال العالم ما مضى وما سيقع، وأحوال القيامة والحشر والحساب ومثال الخلق إلى الجنة أو النار، وإنما ينفتح هذا الباب لمن توجه إلى عالم الغيب وأفرد ذكر الله على الدوام .

الثاني : إلى مطالعة ما في الحواس ليطلع على سوانح مهمات الخلق ويهديهم إلى الخير ويردعهم عن الشر، فيكون قد استكملت ذاته في كلتا القوتين، آخذاً بحظ وافر من نصيب الوجود والكمال من الله سبحانه بحيث يسع الجانبين ويوفي حق الطرفين، وهذا أكمل المراتب الإنسانية. ومن لوازم الخصائص المذكورة اثنتا عشرة صفة مفطورة له وهي :

أن يكون جيد الفهم لكل ما يسمعه ويقال له على ما يقصده القائل وعلى ما هو الأمر عليه، وكيف لا وهو في غاية إشراق العقل ونورية النفس .

وأن يكون حفوظاً لما يفهمه ويحسه لا ينساه، وكيف لا ونفسه متصلة باللوح المحفوظ .

وأن يكون صحيح الفطرة والطبيعة معتدل المزاج تام الخلقة قوي الآلات على الأعمال التي من شأنه أن يفعلها كالمناظرة في العلوم مع أهل الجدال، والمباشرة في الحروب مع الأبطال لإعلاء كلمة الله تعالى وهدم كلمة الكفر وطرد أولياء الطاغوت ليكون الدين كله لله ولو كره المشركون، كيف لا والكمال الأولي إنما يفيض على المزاج الأتم .

وأن يكون حسن العبارة يطيعه لسانه على إبانة كلما يظهره إبانة تامة، كيف لا وشأنه التعليم والإرشاد والهداية إلى طريق الخير للعباد .

وأن يكون محباً للعلم والحكمة لا يؤلمه التأمل في المعقولات ولا يؤذيه الكد الذي يناله منها، وكيف لا والملائم للشيء ملذ إدراكه لأنه يتقوى بهِ .

وأن يكون بالطبع غير شره على الشهوات متجنباً بالطبع عن اللعب ومبغضاً للذّات النفسانية، وكيف لا وهي حجاب عن عالم النور ووصلة بعالم الغرور، فيكون ممقوتاً عند أهل الله ومجاوري عالم القدس .

وأن يكون كبير النفس محباً للكرامة تكبر نفسه عن كل ما يشين ويتضع من الأُمور، وتسمو نفسه بالطبع إلى الأرفع منها ويختار من كل شيء عقيلته، ويجتنب سفساف الأُمور ويكره خداجها وسقطها اللهم إلا لرياضة النفس والاكتفاء بأيسر أُمور هذه الدار وأخفها، وذلك لأن في الأشرف مزيد قرب من العناية الأُولى .

وأن يكون رؤوفاً عطوفاً على خلق الله أجمع لا يعتريه الغضب عند مشاهدة المنكر إلا لله، ولا يعطل حدود الله من غير أن يهمه التجسس، وكيف لا وهو شاهد بسر الله في لوازم القدر .

وأن يكون شجاع القلب غير خائف من الموت، وكيف لا والآخرة خير له من الأُولى فيكون قوي العزيمة على ما يرى وينبغي أن يكون جسوراً مقداماً عليه لا ضعيف النفس .

وأن يكون جواداً لأنه عارف بأن خزائن رحمة الله لا تبيد ولا تنقص، وأن يكون أهش خلق الله إذا خلا بربه لأنه عارف بالحق، كيف لا وهو أجل الموجودات بهجة وبهاء .

وأن يكون غير جموح ولا لجوج سلس القياد إذا دعي إلى العدل صعب القياد إذا دعي إلى الجور والقبيح .

ويجب أن يكون منزهاً عن كل ما يدنسه ويشينه من الغلظة والفظاظة والحسد والبخل ودناءة الآباء وعهر الأُمهات والأُنوثة والخنوثة وما شابه ذلك .

وأن يكون معصوماً من الذنوب محفوظاً عن الكبائر والصغائر عمداً وسهواً، كل ذلك لئلا تتنفر عنه الطباع بل تطيعه طوعاً ورغبة وصفحاً، وكيف لا ونفسه أكبر من أن تخرجها زلة بشر. وأن يكون نسَّاءً للأحقاد وكيف لا وذكره مشغول بالحق .

٢ ـ أشرف معجزات الأنبياء وأفضلها :

قال بعض العلماء العارفين ما ملخصه : إن أشرف معجزات الأنبياء وأفضلها العلم والحكمة، وهما للخواص، وخوارق العادات للعوام والبله، وأما أهل التعصب والعناد منهم فلا ينفعهم إلا السيف، وإلى الثلاثة أشار الله سبحانه بقوله : **﴿ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾**[١] . فأسرار الكتاب والميزان وهو البرهان العقلي بأقسامه للخواص الذين لهم قريحة نافذة وفطنة قوية، وقد خلا باطنهم عن تقليد وتعصب لمذهب موروث ومسموع فإنهم يؤمنون بالنبي بميزان العلم والمعرفة والحكمة على قرب ولا يحتاجون إلى خوارق العادات، وأما الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق، أو كان لهم ذلك ولكن ليست لهم داعية الطلب بل شغلتهم الصناعات والحرف وليس فيهم أيضاً داعية إلى الجدل وتحذلق المتكالبين في الخوض في العلم مع قصور فهمهم عنه فإنهم يعالجون بالموعظة وإظهار المعجزات ثم يحالون على ظواهر الكتاب ليس لهم التجاوز عنها إلى أسراره. والحديد لأهل الجدل والشغب الذين يتبعون ما تشابه من الكتاب مع عدم أهليتهم له ابتغاء الفتنة، فإنه يتلطف بهم أولاً ويجادل معهم بالتي هي أحسن بأخذ الأُصول المسلمة عندهم واستنساخ الحق منها بالميزان بالقسط، فإن لم ينفعهم فالحديد الذي فيه بأس شديد، وإلى الثلاثة أيضاً الإشارة بقوله عز وجل : **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**[٢] .

وقد عامل نبينا ﷺ الناس بما أُمر به وبما يليق بحالهم، فقوم أخذهم بالرفق واللين لصفاء قلوبهم ورقة افئدتهم فانقادوا له عاجلاً ودخلوا في شرعه سريعاً. والفريق الآخر أخذهم بالسنان والحسام والشدة والقتال حتى أدخلهم في دينه قهراً وقادهم إليه قسراً، ثم تألفهم بإحسانه واستمالهم بمواعظ لسانه حتى طابت له نفوسهم وانشرحت صدورهم وذلك معنى قوله ﷺ : عجباً من قوم يدخلون الجنة في السلاسل. أي يدخلون في الإسلام الذي هو سبب دخولهم الجنة فجزاه الله عنا وعنهم خير الجزاء بما بلغ عن ربه وصدع بأمره .

---

(١) سورة الحديد؛ الآية: ٢٥ .

(٢) سورة النحل؛ الآية: ١٢٥ .

٣ ـ إن نبينا وآله المعصومين أفضل الأنبياء والمرسلين :

يجب الإيمان بأن نبينا ﷺ وآله المعصومين أفضل من الأنبياء والمرسلين ومن الملائكة المقربين لتظافر الأخبار بذلك وتواترها فيما هنالك قال ﷺ : انا سيد ولد آدم ولا فخر. وقال ﷺ : أنا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع. وقال ﷺ : أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على الله وخاتم النبيين. وقال ﷺ : آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة. وقال ﷺ : كنت نبياً وآدم بين الماء والطين. وقال ﷺ : أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً. وقال ﷺ : نحن الآخرون السابقون. وقال ﷺ : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم .

وفي البصائر عن عبد الله بن الوليد قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : يا عبد الله ما تقول الشيعة في علي وموسى وعيسى. فقلت جعلت فداك وعن أي حالات تسألني. قال عليه السلام : أسألك عن العلم. قلت يقولون هما أعلم منه. قال : هو والله أعلم منهما ثم قال يا عبد الله أليس يقولون إن لعلي ما لرسول الله من العلم. قلت نعم قال : فخاصمهم فيه إن الله قال لموسى : ﴿**وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة**﴾[1] . فأعلمنا أنه لم يبين له الأمر كله وقال الله تبارك وتعالى لمحمد : ﴿**وجئنا بك على هؤلاء شهيدا**﴾[2] ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾[3] .

وعن الزياتي قال قال لي الصادق عليه السلام : أي شيء تقول الشيعة في موسى وعيسى وأمير المؤمنين عليه السلام . قلت يزعمون أن موسى وعيسى أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام . قال : يزعمون أن أمير المؤمنين عليه السلام علم ما علم رسول الله ﷺ . قلت نعم ولكن لا يقدمون على أولي العزم من الرسل أحداً. قال أبو عبد الله عليه السلام : فخاصمهم بكتاب الله. قلت في أي موضع منه قال : قال الله تعالى لموسى : ﴿**وكتبنا له في الألواح من كل**

---

(١) سورة الأعراف؛ الآية: ١٤٥ .

(٢) سورة النساء؛ الآية: ٤١ .

(٣) سورة النحل؛ الآية: ٨٩ .

شيء﴾[1]. وقال الله لعيسى عليه السلام: **﴿ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾**[2]. وقال تعالى لمحمد: **﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾**[3]. **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾**[4].

وعن سلمان قال سمعت حبيبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل مطيعاً يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله تعالى آدم ركب ذلك النور في صلبه فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب فجزء أنا وجزء علي. أقول وحينئذ فهم عليهم السلام من نور واحد فكلما ثبت في حقه ثبت في حقهم إلا النبوة فإن أرواحهم ونورهم وطينتهم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض.

وروى الصدوق في الإكمال بإسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: والله ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني. قال علي عليه السلام فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرائيل. فقال: يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا، يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بربهم وبولايتنا، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، وكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى التوحيد ومعرفة ربنا عز وجل وتسبيحه وتقديسه وتهليله، لأن أول ما خلق الله تعالى أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتمجيده، ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أُمورنا فسبّحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون وأنه منزه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة لتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إلَه إلا الله وإنا عبيد ولسنا بإلَه نحب أن نعبد معه أو دونه فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا الله لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال وأنه عظيم المحل، فلما شاهدوا ما جعله الله عز وجل لنا من العزة والقوة قلنا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لتعلم الملائكة أن لا حول ولا قوة إلا بالله فقالت الملائكة لا حول

---

(١) سورة الأعراف؛ الآية: ١٤٥.

(٢) سورة الزخرف؛ الآية: ٦٣.

(٣) سورة النساء؛ الآية: ٤١.

(٤) سورة النحل؛ الآية: ٨٩.

ولا قوة إلا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده، ثم إن الله تعالى خلق آدم وأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم اجمعون، وإنهُ لما عرج بي إلى السماء أذّن جبرائيل مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى ثم قال لي يا محمد تقدم، فقلت يا جبرائيل اتقدم عليك، فقال نعم لأن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه على ملائكته أجمعين وفضلك خاصة، فتقدمت وصليت بهم ولا فخر، فلما انتهينا إلى حجب النور قال لي جبرائيل تقدم يا محمد وتخلف عني، فقلت يا جبرائيل في مثل هذا الموضع تفارقني، فقال يا محمد إن هذا انتهاء حدي الذي وضعني الله عز وجل فيه إلى هذا المكان فإن تجاوزتهُ احترقت أجنحتي لتعدي حدود ربي جلّ جلاله فزج بي في النور زجة حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله عز وجلّ من علو ملكوته، فنوديت يا محمد فقلت لبيك ربي وسعديك تباركت وتعاليت، فنوديت يا محمد أنت عبدي وأنا ربك فإياي فاعبد وعليّ فتوكل فإنك نوري في عبادي، ورسولي إلى خلقي، وحجتي في بريتي، لمن تبعك خلقت جنتي، ولمن خالفك خلقت ناري، ولأوصياءك أوجبت كرامتي، ولشيعتهم أوجبت ثوابي، فقلت يا ربي ومن أوصيائي، فنوديت يا محمد أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي، فنظرت وأنا بين يدي ربي إلى ساق العرش فرأيت اثني عشر نوراً في كل نور سطر اخضر مكتوب عليه اسم وصي من أوصيائي أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم مهدي أُمتي، فقلت يا ربي أهؤلاء أوصيائي من بعدي، فنوديت يا محمد هؤلاء أوليائي وأحبائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريتي وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك، وعزّتي وجلالي لأُظهرن بهم ديني ولأعلين بهم كلمتي ولاطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأملكنه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرن له الرياح ولأذللن له الرقاب الصعاب ولأرقينه للأسباب، ولأنصرنه بجندي ولأزيدنه بملائكتي حتى يعلن دعوتي ويجمع الخلق على توحيدي، ثم لأديمن ملكه ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة. والأحاديث في ذلك كثيرة .



الفصل الرابع

محمد ﷺ

١ ـ نسبه الشريف :

نبي هذه الأمة محمد ﷺ بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لوي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، ابن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن الياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، والمشهور أن عدنان بن أد، بن أدد، بن اليسع، بن الهميسع، بن سلامان، بن حمل، بن قيدار، بن إسماعيل، بن إبراهيم الخليل، بن تارخ، بن ناخور، بن شروع، بن ارغو، بن قالع، بن عابر، بن شالح، بن ارفحشد، بن سام، بن نوح، بن مالك، بن متوشلح، بن اخنوخ، بن البارز، بن مهلائيل، بن قنيان، بن أنوش، بن شيث، بن آدم عليه السلام، وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف إلى آخر ما تقدم .

٢ ـ الدليل على نبوته :

والدليل على نبوته أنه ادعى النبوة وأظهر المعجز الخارق للعادة المطابق للدعوى، وكل من كان كذلك فهو نبي لما تقدم .

أما المقدمة الأُولى وهو أنه ادعى النبوة فمما لا ريب فيه ولا شبهة تعتريه، إذ لا يشك أحد ولا يخالف في أن رجلاً اسمه محمد بن عبد الله المعروف ظهر بمكة وادعى النبوة .

وأما المقدمة الثانية وهو أنه أظهر المعجز الخارق للعادة، كذلك فهو متواتر لا يشك فيه من سلك سبيل الانصاف وتجنب طريق التعسف والاعتساف حتى إنه ضبط له ﷺ

ألف معجزة، ولقد كانت أقواله وأفعاله وأحواله كلها معجزات باهرات وآيات واضحات تدل على صدقه وحقيته ونبوته ورسالته، وكفى بكتاب الله تعالى معجزاً عظيماً وبرهاناً جسيماً باقياً مدى الدهر بين الخلق، وليس لنبي معجزة باقية كذلك سواه ﷺ فقد تحدى به بلغاء العرب وفصحاءهم، وجزائر العرب يومئذ مملوءة بآلاف منهم والفصاحة دأبهم وصنعتهم وبها مباهاتهم ومنافستهم، وكانوا يأتون بالأشعار البليغة الفصيحة والكلمات المليحة ويعلقونها على الكعبة ويفتخرون بها، فلما جاء القرآن الكريم والفرقان العظيم بهتوا وعجزوا وكان ينادي بين أظهرهم كرة بعد أُخرى ومرة غب أولى أن يأتوا بعشر سور مثله أو بسورة من مثله، فعجزوا واعترفوا بالعجز والقصور عن هذه الدرجة العلية والمراتب السنية وقال لهم معلناً : **﴿لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾**[1] . قال ذاك تعجيزاً لهم فعجزوا عن ذلك واعترفوا بالقصور عما هنالك حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي، واختاروا المحاربة بالأسنة والسيوف على المعارضة بالكلمات والحروف، وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه، وكان ذلك عندهم من أهم الأشياء، ثم إنه لم يزل ﷺ يقرعهم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستفتح أرضهم وبلادهم وديارهم ويصول عليهم بالقرآن الكريم، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته معترفون بالعجز عن مقابلته يخادعون أنفسهم بالتكذيب والافتراء والاستهزاء ويقولون : **﴿إن هذا سحر يؤثر﴾** و **﴿سحر مستمر﴾** و **﴿إفك افتراه﴾** و **﴿أساطير الأولين﴾** والمباهاة والرضا بالرذالة والاعتراف بالعمى في البصيرة كقولهم : **﴿قلوبنا غلف﴾** و **﴿في أكنة مما تدعونا إليه﴾** **﴿وفي آذاننا وقر﴾** **﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾** و **﴿لا تسمعوا لهذا القرآن﴾** والادعاء مع العجز كقولهم : **﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾** وقد قال الله لهم ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا بل ولوا عنه مدبرين وكانوا بالعجز مذعنين بين مهتد ومفتون ومعترف بالعجز، ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ **أن الله تعالى يأمر بالعدل والإحسان** قال : والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر .

وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية فقال قاتلك الله ما أفصحك، فقالت أو يعد هذا فصاحة بعد قوله : **﴿وأوحينا إلى أم موسى ان أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم**

---

(١) سورة الإسراء؛ الآية: ٨٨ .

ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾[1] . فجمع في آية بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين. وإذا تأمل متأمل في قوله تعالى : ﴿ولكم في القصاص حياة يأ أولي الألباب﴾[2] ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت﴾[3] ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾[4] ﴿وقيل يا أرض ابلعي مائك﴾[5] ﴿فكلاً أخذنا بذنبه﴾ إلى آخر هذه الآيات تحقق له إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عباراتها، وإن تحت كل لفظة منها جملة كثيرة وفصولاً جمة وعلوماً زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها .

٣ ـ وجه اعجاز القرآن الشريف :

قد وقع الخلاف بين العلماء في أن وجه إعجاز القرآن هل هو لأجل كونه في أعلى مراتب الفصاحة ومنتهى مرتبة البلاغة بحيث لا يمكن الوصول إليه ولا يتصور الإتيان بمثله أو من جهة أن الله تعالى صرف قلوب الخلائق عن الإتيان بمثله وإن كان ممكناً، وبالثاني قال السيد المرتضى عليه السلام ، والأكثر على الأول، والحق أن إعجاز القرآن لوجوه عديدة نذكر جملة منها :

أولها : إنه مع كونه مركباً من الحروف الهجائية المفردة التي يقدر على تأليفها كل أحد يعجز الخلق عن تركيب مثله بهذا التركيب العجيب والنمط الغريب، كما في تفسير العسكري عليه السلام في الم قال عليه السلام : معناه أن هذا الكتاب الذي أنزلته هو الحروف المقطعة التي منها ألف لام ميم وهو بلغتكم وحروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين .

ثانيها : من حيث امتيازه عن غيره مع اتحاد اللغة، فإن كل كلام وإن كان في منتهى الفصاحة وغاية البلاغة إذا ما قيس بجواهر الآيات القرآنية وجدت له امتيازاً تاماً وفرقاً واضحاً يشعر به كل ذي شعور، ونقل أنه كان في الأيام السالفة كل من أنشأ كلاماً أو شعراً في غاية الفصاحة والبلاغة علقه في الكعبة المعظمة للافتخار، والقصائد المعلقات السبع مشهورة، فإذا أنشأ ما هو أبلغ منه رفعوا الأول وعلقوا الثاني، فلما نزل قوله تعالى :

---

(١) سورة القصص؛ الآية: ٧ .
(٢) سورة البقرة؛ الآية: ١٧٩ .
(٣) سورة سبأ؛ الآية : ٥١ .
(٤) سورة المؤمنون؛ الآية: ٩٦ .
(٥) سورة هود؛ الآية: ٤٤ .

﴿وقيل يا أرض ابلعي مائك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي﴾[1] . رفعوا المعلقات من الكعبة وأخفوها خوفاً من الفضيحة .

ثالثها : من جهة غرابة الأسلوب واعجوبة النظم فإن من تتبع كتب الفصحاء وأشعار البلغاء وكلمات الحكماء لا يجدها شبيهة بهذا النظم العجيب والاسلوب الغريب والملاحة والفصاحة، ويكفيك نسبة الكفار له إلى السحر لأخذه بمجامع القلوب .

رابعها : من حيث عدم الاختلاف فيه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، فلا تجد فيه مع هذا الطول كلمة خالية من الفصاحة خارجة عن نظمه وأُسلوبه، وأفصح الفصحاء إذا تكلم بكلام طويل تجد في كلامه أو أشعاره غاية الاختلاف في الجودة والرداءة، وأيضاً لا اختلاف في معانيه ولا تناقض في مبانيه، ولو كان مجعولاً مفترياً كما زعم الكفار لكثر فيه التناقض والتضاد فإن الكاذب لا حفظ له، وفي المثل الفارسي دروغ كو حافظه ندارد .

خامسها : من حيث اشتماله على كمال معرفة الله وذاته وصفاته وأسمائه مما تحير فيه عقول الحكماء والمتكلمين وتذهل عنه ألباب الاشراقيين والمشائين في مدة مديدة من الأعوام والسنين .

سادسها : من حيث اشتماله على الآداب الكريمة والشرائع القويمة والطريقة المستقيمة ونظام العباد والبلاد والمعاش والمعاد ورفع النزاع والفساد في المعاملات والمناكحات والمعاشرات والحدود والأحكام والحلال والحرام، مما تتحير فيه عقول الأنام وتذعن له أولوا العقول والافهام، ولو اجتمع جميع العقلاء والحكماء والعرفاء وبذلوا كمال جهدهم وسعوا غاية سعيهم في بناء قاعدة لنظام العالم والعباد مثل ما ذكر لعجزوا .

سابعها : من حيث اشتماله على الإخبار بخفايا القصص الماضية والقرون الخالية مما لم يعلمه أحد إلا خواص احبارهم ورهبانهم الذين لم يكن النبي ﷺ معاشراً لأحد منهم كقصة أهل الكهف وشأن موسى والخضر وقصة ذي القرنين وقصة يوسف ونحوها .

ثامنها : من حيث اشتمالهِ على الإِخبار بالضمائر والعيوب مما لا يطلع عليه إلا علام الغيوب، كإخباره تعالى بأحوال الكفار والمنافقين وما يضمرونهُ في قلوبهم ويخفونهُ في

---

(١) سورة هود؛ الآية: ٤٤ .

نفوسهم وكان ﷺ يخبرهم بذلك فيعتذرون .

تاسعها : من حيث اشتمالهِ على الإخبار بالأُمور المستقبلة والأحوال الآتية كما هي كقوله تعالى في اليهود : ﴿**ضربت عليهم الذلة**﴾[1] . فلم يحكم منهم سلطان في جميع الأطراف ، وكالإخبار بعدم الاتيان بمثل القرآن كقوله تعالى : ﴿**لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله**﴾[2] . وكالإخبار بعدم تمني اليهود الموت في قوله تعالى : ﴿**قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونهُ أبداً**﴾[3] . وكالإخبار بعدم إيمان أبي لهب (لعه) وجماعة، وبدخول مكة للعمرة والرجوع إليها ، وبعصمة الرسول من شر الناس بقوله : ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾[4] . وبغلبة الروم ونحو ذلك .

عاشرها : من حيث اشتماله على الحكم القويمة والمواعظ المستقيمة كقوله تعالى : ﴿**وآتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيراً، ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أُولَئك كان عنه مسؤولا ، ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة**﴾[5] . وكقوله تعالى : ﴿**ان الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء**

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ١١٢ .

(٢) سورة الإسراء؛ الآية: ٨٨ .

(٣) سورة الجمعة؛ الآية: ٦ .

(٤) سورة المائدة؛ الآية: ٦٧ .

(٥) سورة الإسراء؛ الآيات: ٢٦ ـ ٣٩ .

والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾[١] .

حادي عشرها : من حيث خواص سوره وآياته وكلماته، فإن فيها شفاء للأرواح والأجسام ودفعاً للوسواس والتسويلات والاسقام واستعانة على الشيطان ودفعاً لشر العدوان تلاوة وكتابة وحملاً وتعليقاً كما هو مذكور في مظانه .

ثاني عشرها : من حيث انه لا يخلق على طول الأزمان ولا يمل منه بل كلما تلوته ونظرته وجدته طرياً، وهذه الخاصية لا توجد في غيره ولنذكر جملة من الآيات والروايات الدالة على فضله، قال الله تعالى : **﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾**[٢] . وقال تعالى : **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾**[٣] . وقال تعالى : **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾**[٤] . والآيات في ذلك كثيرة .

وفي تفسير العياشي عن النبي ﷺ قال : أتاني جبرائيل فقال يا محمد ستكون في أُمتك فتنة. قلت فما المخرج منها. فقال : كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خير وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل من وليه من جبار فعمل بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، لا تزيغه الأهوية ولا تلبسه الألسنة، ولا يخلق على الرد ولا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء، هو الذي لم تلبث الجن إذا سمعته أن قالوا : **﴿إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد﴾**[٥] الحديث .

وفي رواية أُخرى قال ﷺ : القرآن هدى من الضلالة، وتبيان من العمى واستقالة من العثر، ونور من الظلمة، وضياء من الإحداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم وما عدل أحد من القرآن إلا إلى النار .

---

(١) سورة النحل؛ الآية: ٩٠ .
(٢) سورة يونس؛ الآية: ٥٧ .
(٣) سورة المائدة؛ الآية: ١٦ .
(٤) سورة النحل؛ الآية: ٨٩ .
(٥) سورة الجن؛ الآية: ١ .

وفي نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له : ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفى مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم نوره، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وبنياناً لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعزاً لا يهزم أنصاره، وحقاً لا يخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام وتبيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله تعالى رياً لعطش العلماء، وربيعاً مسرعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجاً لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده دواء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن اءتم به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاج به، وحاملاً لمن حمله، ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجنة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى .

وفي خطبة الانسية الحوراء فاطمة الزهراء عليها السلام : كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره، متجلية ظواهره، مغتبط به أشياعه، قائد إلى الرضوان اتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحددة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، إلى أن قالت عليها السلام : وكتاب الله بين أظهركم أُموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، واعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأُموره واضحة .

لقد أجاد القائل إن من معجزات نبينا الظاهرة المتكررة وبيناته الباهرة المتجددة أوصياؤه المعصومون وعترته الطاهرون وظهورهم واحداً بعد واحد من ذريته في كل حين إلى يوم الدين، فإن كلاً منهم عليهم السلام حجة قائمة على صدقه وآية بينة على حقيته صلى الله عليه وآله وسلم كما يظهر من التتبع لأحوالهم وملاحظة آثارهم والاطلاع على فضائلهم ومناقبهم، والآيات الصادرة منهم والكرامات الظاهرة على أيديهم بسبب متابعتهم إياه واقتدائهم بهديه وهداه، لأن بهم تقضى حوائج العباد، وببركتهم يدفع الله أنواع البلاء عن البلاد، وبدعائهم تنزل الرحمة وبوجودهم تصرف النقمة، إلى غير ذلك من بركات خيراتهم، فكما ان القرآن

معجزة لنبينا عليه السلام باقية إلى يوم الدين يظهر منه صدقه وحقيته شيئاً فشيئاً ويوماً فيوماً لمن تأمله من أولي النهى، فكذلك كلٌّ من عترته المعصومين معجزة له باقية النوع إلى يوم الدين دالة على حقيّته لمن عرفهم بالولاية والحجية من الشيعة أولي الألباب، ولهذا قال عليه السلام : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض .

٤ ـ سائر معجزاته :

إن معجزاته أكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصى، بل جميع أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه وعاداته وسجاياه ونعوته وأوصافه معجزات باهرة وآيات ظاهرة تدل على رسالته ونبوته وصدقه وحقيته، ولقد أحسن وأجاد من قال ونعم ما قال حيث قال : إن من شاهد أحوال نبينا وأصغى إلى سماع أخباره الدالة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وآدابه وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق، وهدايته إلى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده إياهم إلى طاعته مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضائق الأسئلة، وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم، لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية، بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة إلٓهية وإن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا لملبس، بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة مصدقة حتى ان العربي القح كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله، فكيف بمن يشاهد أخلاقه ويمارسه في جميع مصادره وموارده، وقد آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أُمي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب العلم، ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب يتيماً ضعيفاً مستضعفاً فمن أين حصل له ما حصل من محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلاً فقط دون غيره من العلوم فضلاً عن معرفته بالله وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة، لولا صريح الوحي، ومن أين لبشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له إلا هذه الأُمور الظاهرة لكان فيها كفاية فكيف وقد ظهر من معجزاته وآياته ما لا يستريب فيه محصل وقد خرق الله العادة على يده صلى الله عليه وآله وسلم غير مرة إذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية، وأطعم النفر الكثير في منزل جابر وفي منزل أبي طلحة ويوم الخندق، مرة أطعم ثمانين رجلاً من أربعة امداد شعير وعناق وهو من أولاد المعز دون العتود، ومرة أكثر من ثمانين من أقراص شعير حملها أنس في يده، ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشر في يديها فأكلوا كلهم

حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم، ونبع الماء من بين أصابعه فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاشى، وتوضأ من قدح صغير ضاق أن يبسط فيه يده، واهراق وضوئه في عين تبوك ولا ماء فيها فجرت بماء كثيرة، ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشت بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وقال لمعاذ إن طالت بك الحياة فترى ما هٰهنا قد ملأ خياماً فكان كذلك، وشرب من بئر حديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء، وأمر بعض أصحابه أن يزوّدوا أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه، ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونه ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[1].

وأبطل الكهانة بمبعثه ﷺ فعدمت وكانت ظاهرة موجودة، وحنّ الجذع الذي كان يخطب مستنداً إليه لما عمل له المنبر حتى سمعه جميع أصحابه مثل صوت الإبل فضمه إليه فسكن، ودعا اليهود إلى تمني الموت وأخبرهم بأنهُ لا يتمنونهُ فحيل بينهم وبين النطق بذلك فعجزوا عنهُ وهذه الآية مذكورة في سورة يقرأ بها في جميع جوامع أهل الإسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهراً تعظيماً للآية التي فيها، وأخبر ﷺ بالغيوب وأخبر عماراً بأنه ستقتله الفئة الباغية، وأن الحسن عليه السلام يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وأخبر عن رجل قاتل في سبيل الله تعالى أنه من أهل النار فظهر ذلك أن قتل ذلك الرجل نفسه، وهذه أشياء لا تعرف البتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة لا بنجوم ولا بكهن ولا بكتب ولا بخط ولا بزجر لكن بإعلام الله ووحيهِ إليهِ.

واتبعهُ سراقة بن جشعم فساخت قدما فرسه في الأرض، واتبعه دخان حتى استغاثهُ فدعا له فانطلقت الفرس وأنذره بأن سيوضع في ذراعيهِ سواري كسرى فكان كذلك، وأخبر بموت النجاشي بأرض الحبشة وصلّى عليه بالمدينة، وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليل قتلهِ وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتلهُ، وخرج على مائة من قريش ينتظرونهُ فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه، وشكا إليهِ البعير بحضرة أصحابهِ وتذلل له، وقال لنفر من أصحابهِ مجتمعين أحدكم في النار ضر نفسه فماتوا كلهم على استقامة وارتد واحد منهم فقتل مرتداً، وقال لآخرين منهم آخركم موتاً في النار فسقط آخرهم موتاً في النار فاحترق فيها فمات، ودعا شجرتين فأتتاه فاجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا، ودعا ﷺ النصارى إلى المباهلة فامتنعوا وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا، وأتاه

---

(١) سورة الأنفال؛ الآية: ١٧.

عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس فارسا العرب وفاتكاه عازمين على قتله فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغدَّة وهلك اربد بصاعقة احرقتهُ، واخبر أنهُ يقتل أُبي بن خلف الجمحي فخدشه يوم أُحد خدشاً لطيفاً فكانت منيته، واطعم ﷺ السم فمات الذي أكل معه وعاش هو بعده اربع سنين وكلمه الذراع المسموم، وأخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلاً رجلاً فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع، وأنذر ﷺ بأن طوائف من أمتهِ يغزون في البحر فكانت كذلك، وزويت له الأرض فأُري مشارقها ومغاربها، وأخبر بدأن ملك أُمتهِ سيبلغ ما زوي له منها فكان كذلك كما أخبر فقد بلغ ملكهم من أول المشرق من بلاد الترك إلى آخر بلاد الغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر، ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال كما أخبر سواء بسواء. وأخبر ابنته فاطمة انها أول أهلهِ لحاقاً بهِ فكان كذلك، وأخبر نساءه بأن أطولهن يداً أسرعهن لحاقاً بهِ فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن يداً بالصدقة وأولهن لحاقاً به، ومسح ﷺ ضرع شاة حائل لا لبن فيها فدرءت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود، وفعل ذلك مرة أُخرى في خيمتي أم معبد الخزاعية، وبدرت عين بعض أصحابهِ فسقطت فردها بيده فكانت أصح عينيهِ وأحسنهما، وتفل في عين علي وهو ارمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثهُ بالراية وأخبر أنهُ سيظفر فكان ذلك، وكانوا يسمعون تسبيح الطعام في يديه، وأُصيبت عين رجل من أصحابه فمسحها بيده فبرأت من حينها، وقلَّ زاد جيش كان معهُ فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جداً فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر إلا ملىء من ذلك، وحكى الحكم بن أبي العاص مشيه مستهزئاً فقال ﷺ كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات، وخطب ﷺ امرأة فقال أبوها إن بها برصاً امتناعاً من خطبته واعتذاراً ولم يكن بها برص فقال ﷺ فلتكن كذلك فبرصت.

٥ ـ المعجزات الكائنة في بدنه الشريف.

وقد كان في بدنهِ الشريف معجزات باهرات فكان جبينه الشريف يضيء كالقمر المنير، وإذا رفع يديهِ في بعض الأحيان أضاءت أصابعه الشريفة كالشموع، وكان ﷺ إذا مر بطريق عبقه من طيب بدنهِ وكان عرقه الشريف أطيب عطر، وأتى ﷺ بدلو فيهِ ماء فأخذ كفاً من الماء وتمضمض به وصبه بالدلو فصار ذلك الماء أطيب من المسك، وكان ﷺ إذا قام في الأرض المشرقة من الشمس أو القمر لم يظهر له فيها ظل وهذا يدل على ما أشرنا إليه من أن له جهتي روحانية وجسمانية، وكان ﷺ مع كونهِ مربوع القامة

لم يظهر لأحد علو قامة عليهِ إذا مشى معهُ، وكانت الطيور لا تعلوه ولا تطير على رأسه المبارك ولم يكن النوم يعطل حواسه وكان نومهُ ويقظته سيان، ولا يشم الروائح المنتنة ويفهم جميع اللغات ويتكلم بها، وكان خاتم النبوة منقوشاً على كتفه الشريف يزيد نوره على نور الشمس، وظهرت في لحيته الشريفة سبعة عشر شعرة بيضاء تلمع كالشمس، وولد ﷺ مختوناً مقطوع السرة طاهراً من الدم وسائر القذرات ساقطاً على رجليه ساجداً إلى الكعبة رافعاً يديه ورأسه إلى السماء شاهداً بتوحيد الله وبنبوة نفسه أضاء من نوره المشرق والمغرب، ولم يحتلم قط ولم ير أحد بوله ولا غائطه قط ورائحتهما كالمسك، وكانت الأرض مأمورة بابتلاعهما ولم يكن أحد يعادله في القوة قط وإذا مشى على الأرض الرخوة لم يؤثر فيها قدمهُ وإذا مشى على الأرض الصلبة أثر فيها قدمهُ وبقي عليها، وكان له مهابة في القلوب مع حسن أخلاقه وبشاشته وتواضعه بحيث لم يقدر أحد على التمكن من امعان النظر في وجهه، ولم ينظر إليه كافر أو منافق إلا ارتعش من الخوف .

ومن خوارق العادات المتعلقة بولادته انه منعت الشياطين ليلة ميلاده من الصعود إلى السماء وكثرت الشهب في السماء حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت، وبطل عمل الكهانة وسحر السحرة وانكب كل صنم في العالم على وجهه وانفطر سقف إيوان كسرى مع نهاية استحكامه واثره باق إلى اليوم لم يختل منه غير ذلك، وجف بحر ساوه وهو قريب من بلاد كاشان كان يُعبد فصار مملحة، وخمدت نار فارس ولم تنطفِ منذ قريب الف سنة، وجرى الماء في نهر السماوة وكان يابساً منذ أعوام كثيرة، وظهر نور ساطع من طرف الحجاز وانتشر في العالم، ونكس سرير كل سلطان وخرس السلاطين في ذلك اليوم ولم يقدروا على الكلام، وحضر ولادته الملائكة المقربون والأنبياء والمرسلون ورضوان مع الحور العين بأكواب وأباريق من الذهب والفضة والزمرد من الجنة غسل به وطيِّب بطيب الجنة ولف في حرير الجنة وعرض على جميع الروحانيين والملائكة فسلموا عليه .

ثم لم تزل كراماته ومعاجزه تنمو وتزيد كما ينمو بدنه الشريف ومن جملة معاجزه إخباره ﷺ بشهادة أمير المؤمنين عليه السلام وأنه يضرب على رأسه في شهر رمضان فتخضب لحيته الشريفة بدم رأسه، وبشهادة سبطيه ونوري عينه الحسن والحسين عليهما السلام وأن أحدهما يقتل بالسم والآخر شهيد مضرج بالدم ويقتل بأرض كربلا بعد شهادة أصحابه وحيداً غريباً، وأنه يدفن بضعة منه بطوس وهو مولانا الرضا عليه السلام، وإخباره ﷺ بأن الأئمة بعده اثنا عشر وتسميتهم بأسمائهم وبأن أمير المؤمنين عليه السلام يقاتل بعده الناكثين والقاسطين والمارقين، وأن بعض أزواجه تبغي عليه وتقاتله وهي ظالمة له وأنه تنبحها

كلاب الحوئب، وإخباره ﷺ بجميع الفتن التي وقعت بعده وأن أبا ذر يموت وحيداً غريباً، وبأن آخر رزق عمار من الدنيا صاع من لبن إلى غير ذلك من الخصوصيات، كاخباره ﷺ بملك بني أمية وملك بني العباس وكيفية شهادة كل واحد من أولاده الطاهرين، وبقاء ملك النصارى، وإخباره بشهادة جعفر الطيار وزيد وعبد الله بن رواحة حين استشهدوا في غزوة مؤتة، وبقتل حبيب بن عدي في مكة، وبالمال الذي أخفاه عمه العباس في مكة .

ومن جملة معاجزه ﷺ إطاعة الشمس له في التوقف عن الغروب مرة وفي الطلوع بعد الغروب أُخرى، وإطاعة الشجرة له بالاتيان حتى انقلعت من مكانها وخدت الأرض جارة عروقها مغبرة فوقفت بين يديه وسلمت عليه ثم رجعت بأمره إلى مكانها كما هو مذكور في نهج البلاغة، وتسليم الأحجار عليه وتظليل الغمامة على رأسه دون القوم في طريق الشام، وتظليل الملكين عليه حين رأته خديجة ونساؤها وعبدها ميسرة، وتسبيح الحصا في كفه المبارك وظهور البركات والآيات في بني سعد بإرضاع حليمة السعدية إياه، ونبات الشعر من رؤوس الأقرعين من الصبيان بإمرار يده الشريفة عليها، وانفجار البئر التي شكا أهلها ملوحتها بالماء الزلال وكانت غائرة، وإعطائه رجلاً عرجوناً في ليلة مظلمة فأضاء له، وإعطاء آخر قطعة من جريد النخل خضراء حين اشتكى انقطاع سيفه فصارت سيفاً في يده، وإلقاء بصاقه على كف ابن عفر المقطوعة فلصقت من ساعته، ودعاؤه آية للدوسي ليدعو قومه إلى الإسلام فوقع بين عينيه مثل المصباح ثم حول ذلك إلى رأس سوطه لما خاف أن يظنوا به المثلة، وعصمه الله ممن كان يؤذيه من المستهزئين ورد كيدهم عليهم، وحيلولة جبرائيل بينه وبين أبي جهل (لعه) في صورة فحل أو أسد قدر الفحل من الإبل حين أراد القاء الصخرة عليه في سجوده، وخلق الله عز وجل شجرة من فم الغار الذي اختفى فيه وإلهامه تعالى حمامتين وحشيتين فعشعشتا وباضتا عنده وتسخيره تعالى العنكبوت لينسج نسجاً عظيماً لا يمكن مثله إلا في سنين عديدة ليرجع عنه المشركون الذين كانوا في طلبه، إلى غير ذاك من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات والدلائل الواضحات والبراهين الساطعات مما يحتاج شرحها وبيان تفاصيلها إلى كتاب كبير الحجم .

٦ ـ اخلاقه ونعوته وصفاته :

في بيان جملة من أخلاقه ونعوته وصفاته قال الله تعالى : ﴿وإنك لعلى خُلق

عظيم﴾[1]. قال بعض العلماء كان نبينا ﷺ كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق، فكان يقول في دعائه: اللهم حسّن خلقي وخُلقي، ويقول: اللهم جنبني منكرات الأخلاق. فاستجاب الله تعالى دعاءه وأنزل عليه القرآن وأدّبه فكان خلقه القرآن، وأدبه بمثل قوله عز وجل: **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾**[2] **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾**[3] **﴿واصبر على ما أصابك﴾**[4] **﴿فاعف عنهم واصفح﴾**[5] **﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾**[6]. ثم لما أكمل الله خلقه وخُلقه أثنى عليه فقال: **﴿وانك لعلى خُلق عظيم﴾**[7]. فانظر إلى عميم فضل الله كيف أعطى ثم أثنى ثم بين رسول الله ﷺ للخلق ان الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض مساويها، وقال ﷺ: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. ثم رغّب الخلق في ذلك أشد ترغيب.

وكان ﷺ احلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس واعف الناس، وكان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل ولم يجد من يعطيه ويجيئه الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرء منه، وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهن، وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ويكافي عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين، يغضب لربه عز وجل ولا يغضب لنفسه، وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه، عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال: إنا لا نستنصر بمشرك، وكان يعصب الحجر على بطنه مرة سن الجوع ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال لا يأكل متكئاً ولا على خوان، يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشيع الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس.

---

(١) سورة القلم؛ الآية: ٤.
(٢) سورة الأعراف؛ الآية: ٩٩.
(٣) سورة النحل؛ الآية: ٩٠.
(٤) سورة لقمان؛ الآية: ١٧.
(٥) سورة المائدة؛ الآية: ١٣.
(٦) سورة فصلت: الآية: ٣٤.
(٧) سورة القلم؛ الآية: ٤.

وكان ﷺ أشد الناس تواضعاً وأسكنهم في غير كبر، وابلغهم من غير تطويل، واحسنهم بشراً لا يهوله شيء من أمر الدنيا ويلبس ما وجد من المباح، وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الأيمن وربما يلبس في الأيسر يردف خلفه عبده أو غيره، يركب ما أمكنه مرة فرساً ومرة بغلة شهباء ومرة حماراً ومرة يمشي راجلاً حافياً بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة، يحب الطيب ويكره الرائحة الردية ويجالس الفقراء ويواكل المساكين ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم لا يجفو على أحد يقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقول إلا حقاً ويضحك من غير قهقهة، يرى اللعب المباح فلا ينكره وترفع الأصوات عليه فيصبر، وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها، وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس، ولا يمضي له وقت في غير عمل الله أو في ما لا بد له من صلاح نفسه، يخرج إلى بساتين أصحابه لا يحقر مسكيناً لفقره وزمانته ولا يهاب ملكاً لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحداً، قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وقد نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقر وفي رعاية الغنم، يتيماً لا أب له ولا أم وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام، ومن قام معه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، وما أخذ أحد بيده فيرسلها حتى يكون يرسلها الآخذ، وكان إذا لقي أحداً من أصحابه بدأ بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكها ثم شد قبضته عليها، وكان لا يقوم ولا يقعد إلا على ذكر الله، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلاّ خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته، وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يعرف مجلسه من مجالس أصحابه لأنه كان حيث ما انتهى به المجلس جلس، وما رؤي قط ماداً رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أصحابه إلا أن يكون المكان واسعاً لا ضيق فيه، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة، وكان يؤثر الداخل عليه بالوساد التي تكون تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل، وما استصغاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه، حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطف مجلسه وتوجهه للجالس إليه، ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة، قال الله تعالى: **﴿فبما رحمة من الله لنت هم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾**[1] .

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ١٥٩ .

ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكراماً واستمالة لقلوبهم، ويكني من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به، وكان يكني أيضاً النساء اللات لهن أولاد واللات لم يلدن يبتدىء لهن الكنى ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاء وكان أرق الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس، ولم يكن ترفع في مجلسه الأصوات وكان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلّه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ويقول علمنيهن جبرائيل، وكان أفصح الناس منطقاً وأحلاهم كلاماً نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه كخرزات النظم، وكان أوجز الناس كلاماً وبذلك جاءه جبرائيل وكان مع الإيجاز يجمع كلما أراد وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضاً بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه، وكان جهير الصوت أحسن الناس نغمة، وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول في المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق ويعرض عمن تكلم بغير جميل ويكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره، وكان إذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة، وكان أكثر الناس تبسماً وضحكاً في وجوه أصحابه وتعجباً مما حدثوا به وخلطاً لنفسه بهم ولربما يضحك حتى تبدو نواجذه، وكان لا يدعوه أحد من أصحابه إلا قال لبيك، وكانوا لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك، وكان يمر بالصبيان فيسلم عليهم وأُوتي برجل فأرعد من هيبته فقال هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد، وكان يجلس بين أصحابه مختلطاً بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلساً يعرفه الغريب، فبنوا له دكاناً من طين فكان يجلس عليه وكان يقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وكان ﷺ أخشى الناس لربه وأتقاهم له وأعلمهم به وأقواهم في طاعته وأصبرهم على عبادته وأكثرهم حباً لمولاه وأزهدهم فيما سواه، وكان يقوم في صلاته حتى تنشق بطون أقدامه من طول قنوته وقيامه، ويسمع على الأرض لوكْف دموعه صوت كصوت المطر من كثرة خضوعه، وكانت أوقاته لا تخلو من الصيام وربما يواصل الليالي بالأيام، وصام حتى قيل إنهُ ما يفطر ثم إنهُ أفطر حتى قيل ما يصوم، ثم إنهُ كان يصوم الثلاثة الأيام في الشهر وعليه قيض، وكان إذا قام إلى الصلاة يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل، أي صوت كصوت القدر حين غليانه .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنهُ كان إذا وصف النبي قال : كان ﷺ أجود الناس وأجزء الناس صدراً وأصدقهم لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة، من رآه

بديهة هابهُ، ومن خالطهُ معرفة أحبه، يقول ناعته فلم أر قبله ولا بعده مثله وما سئل شيئاً قط على الإسلام إلا أعطاه، وإن رجلاً أتاه وسأله فأعطاه غنماً سدت بين جبلين فرجع إلى قومهِ فقال أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل شيئاً قط فقال لا .

وعنهُ عليه السلام : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً .

وقال عليه السلام : كنا إذا حمي البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه .

٧ ـ خصائصه التي خص بها عن أمته :

في خصائصهِ التي خص بها عن أُمته وهي كثيرة وفيها خلاف مشهور بين الفقهاء، فكان التهجد والوتر والأضحية واجبة عليه، وقيل كان السؤال والمشاورة مع أصحابه واجبين عليه أيضاً كما قال تعالى : ﴿وشاورهم في الأمر﴾[1] . وكان يجب عليه إنكار كل منكر ويجوز له تخيير نسائهِ كما ذكر في سورة الطلاق، وتحرم عليه وعلى ذريته الزكاة الواجبة وفي الزكاة والصدقة المندوبتين خلاف، وكان يجب عليه قضاء دين كل من يموت فقيراً، ولم يأكل متكئاً على جنبه وقيل بتحريمه عليه وكان يجوز له صوم الوصال وهو وصل صيام يومين من غير إفطار بينهما أو جعل إفطار بينهما أو جعل إفطار اليوم سحور الثاني، ويحل له أن يتزوج أكثر من أربع بالدوام، وتحل الامرأة التي تهب له نفسها ويحرم على غيره تزويج نسائه في حال حياته ومماته دخل بهن أم لا، ويحرم نداؤه باسمهِ ولم يناده الله باسمه في القرآن تعظيماً له بل قال يا أيها النبي أيها المزمّل أيها المدثّر أيها الرسول طه ياسين ونحو ذلك، ومع ذلك قال له من قال إن الرجل ليهجر وكان يحرم على الناس أن يرفعوا أصواتهم فوق صوتهِ ويحرم نداؤه من وراء الحجرات، وقيل كان يحرم عليه أكل الثوم والبصل والكتابة وإنشاد الشعر ولم يثبت. وقسم بعضهم خصائصه إلى :

واجبات كالتهجد وقضاء دين الميت الفقير .

ومحرمات كأكل الصدقة ونكاح الأمة وخائنة الأعين .

ومباحات كالزيادة على أربع زوجات دواماً، ووصال صوم الأيام بالليالي والشهادة والحكم لنفسه. وإلى ما يرجع إلى مجرد تشريفهِ وعلو شأنه ورفعة مكانه كسيادة ولد آدم

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ١٥٦ .

وكون امته خير الأمم ورؤية ما وراء ظهره وعدم وقوع ظله على الأرض وابتلاع الأرض برازه ونحو ذلك .

٨ ـ معـــراجـــه :

في معراجه ﷺ قال الله سبحانه : **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾**[(١)] . وهو في الجملة من ضروريات الدين ومنكره خارج عن ربقة المسلمين ولذا قال الصادق عليه السلام : ليس منا من أنكر أربعة المعراج، وسؤال القبر، وخلق الجنة والنار، والشفاعة. وقال الرضا عليه السلام : من لم يؤمن بالمعراج فقد كذب رسول الله ﷺ . والذي عليه الإمامية أنه كان ببدنه الشريف لا بالروح فقط وفي اليقظة لا في المنام، وإلى السماء لا إلى المسجد الأقصى فقط، والأخبار الواردة بذلك عن العترة الطاهرة متكاثرة متظافرة مذكورة في مظانها .

وروى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره عن أبيه عن محمد بن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : جاء جبرائيل وميكائيل وإسرافيل بالبراق إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ واحد باللجام وواحد بالركاب وسوى الآخر عليه ثيابه فتضعضعت البراق فلطمها جبرائيل ثم قال اسكني يا براق فما ركبك نبي قبله ولا يركبك بعده مثله، قال فرقت به ورفعته ارتفاعاً ليس بالكثير ومعه جبرائيل يريه الآيات من السماء والأرض، قال فبينما أنا في مسيري إذ نادى عن يميني مناد يا محمد فلم أجبه ولم ألتفت، ثم نادى مناد عن يساري يا محمد فلم أجبه ولم ألتفت إليه، ثم استقبلتني امرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كل زينة الدنيا فقالت يا محمد انتظرني حتى أكلمك فلم ألتفت إليها، ثم سرت فسمعت صوتاً أفزعني فجاوزت به فنزل بي جبرائيل فقال صلِّ فصليت، فقال أتدري أين صليت فقلت لا فقال صليت بطيبة وإليها مهاجرتك، ثم ركبت فمضينا ما شاء الله ثم قال لي إنزل فصل فنزلت فصليت، فقال لي أتدري أين صليت فقلت لا فقال صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليماً، ثم ركبت فمضينا ما شاء الله ثم قال لي أنزل فصل فنزلت وصليت فقال لي أتدري أين صليت فقلت لا فقال صليت ببيت لحم وبيت لحم بناحية بيت المقدس من حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، ثم ركبت فمضينا حتى انتهينا إلى بيت المقدس فربطت البراق بالحلقة التي كانت الأنبياء تربط بها، فدخلت المسجد ومعي جبرائيل إلى جنبي، فوجدنا إبراهيم وموسى وعيسى وما شاء الله من أنبياء الله فقد جمعوا إلي وأقيمت

---

(١) سورة الإسراء؛ الآية: ١ .

الصلاة، ولا أشك إلا وجبرائيل سيتقدمنا فلما استووا أخذ جبرائيل بعضدي فقدمني وأممتهم ولا فخر، ثم أتاني الخازن بثلاثة أواني اناء فيه لبن واناء فيه ماء وأناء فيه خمر وسمعت قائلاً يقول ان أخذ الماء غرق وغرقت أمته، وإن أخذ الخمر غوي وغويت امته، وإن أخذ اللبن هدي وهديت أُمته، قال ﷺ فأخذت اللبن وشربت منه فقال لي جبرائيل هديت وهديت أُمتك، ثم قال لي مذا رأيت في سيرك، فقلت ناداني مناد عن يميني، فقال لي أو أجبته، فقلت لا ولم ألتفت إليه، فقال داعي اليهود ولو أجبته لتهودت امتك من بعدك، ثم قال لي ماذا رأيت فقلت ناداني مناد عن شمالي، فقال لي أو أجبته، فقلت لا ولم ألتفت إليه، فقال ذاك داعي النصارى ولو أجبته لتنصرت أُمتك من بعدك، ثم قال ماذا استقبلك، فقلت لقيت امرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كل زينة الدنيا فقالت يا محمد انتظرني حتى أُكلمك، فقال لي أفكلمتها، فقلت لم أُكلّمها ولم ألتفت إليها، فقال تلك الدنيا ولو كلمتها لاختارت أُمتك الدنيا على الآخرة، ثم سمعت صوتاً أفزعني فقال لي جبرائيل تسمع يا محمد قلت نعم، قال هذه صخرة قذفتها على شفير جهنم منذ أربعين عاماً فهذا حين استقرت، قال فما ضحك رسول الله ﷺ حتى قبض .

قال ﷺ فصعد جبرائيل وصعدت معه إلى سماء الدنيا وعليها ملك يقال له إسماعيل وهو صاحب الخطفة الذي قال الله عزّ وجل : ﴿**الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب**﴾[1] . وتحته سبعون ألف ملك تحت كل ملك سبعون ألف ملك، فقال يا جبرائيل من هذا معك، فقال محمد ﷺ ، قال وقد بعث، قال نعم ثم فتح الباب فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، وتلقتني الملائكة حتى دخلت سماء الدنيا فما لقيني ملك إلا ضاحك مستبشر حتى لقيني ملك من الملائكة لم أر أعظم خلقاً منه كريه المنظر ظاهر الغضب، فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء إلا أنه لم يضحك ولم أر فيه الاستبشار مما رأيت ممن ضحك من الملائكة، فقلت من هذا يا جبرائيل فإني فزعت منه، فقال يجوز أن تفزع منه فكلنا نفزع منه إن هذا مالك خازن النار لم يضحك قط ولم يزل منذ ولاه الله جهنم يزداد كل يوم غضباً وغيظاً على اعداء الله وأهل معصيته فينتقم الله به منهم، ولو ضحك إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك لضحك إليك ولكنه لا يضحك، فسلمت عليه فرد السلام علي وبشرني بالجنة، فقلت لجبرائيل وجبرائيل بالمكان الذي وضعه الله مطاع ثم أمين ألا تأمره أن يريني النار، فقال له جبرائيل يا مالك أر محمد النار، فكشف غطاء وفتح باباً منها فخرج منها

(١) سورة الصافات؛ الآية: ١٠ .

لهب ساطع في السماء وفارت وارتفعت حتى ظننت ليتناولني مما رأيت، فقلت يا جبرائيل قل له فليرد عليها غطاءها فأمرها فقال ارجعي فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه، ثم مضيت فرأيت رجلاً آدم جسيماً فقلت من هذا يا جبرائيل، فقال هذا أبوك آدم فإذا هو يعرض عليهِ ذريتهُ فيقول ريح طيبة من جسد طيب ثم تلا رسول الله ﷺ سورة المطففين على رأس سبع عشرة آية : ﴿**كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون**﴾ إلى آخر الآية، قال ﷺ فسلمت على أبي آدم وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي، وقال مرحباً بالإبن الصالح والنبي الصالح والمبعوث في الزمن الصالح، ثم مررت بملك من الملائكة جالس على مجلس وإذا جميع الدنيا بين ركبتيه وإذا بيده لوح من نور فيه كتاب ينظر فيه لا يلتفت يميناً ولا شمالاً إلا مقبل عليه به كهيئة الحزين فقلت من هذا يا جبرائيل، فقال هذا ملك الموت دائب في قبض الأرواح، فقلت يا جبرائيل أدنني منه فسلمت عليهِ وقال له جبرائيل هذا نبي الرحمة الذي أرسلهُ الله إلى العباد فرحب بي وحياني بالسلام وقال البشر يا محمد فإني أرى الخير كلهُ في أُمتك، فقلت الحمد لله المنان ذي النعم على عباده ذلك من فضل ربي ورحمته عليّ، فقال جبرائيل هو أشد الملائكة عملاً، فقلت أكل من مات أو هو ميت فيما بعد هذا يقبض روحهُ، فقال نعم، قلت وتراهم حيث كانوا وتشهدهم بنفسك، فقال نعم، فقال ملك الموت ما الدنيا كلها عندي فيما سخرها الله لي ومكنني عليها إلا كالدرهم في كف الرجل يقلبه كيف يشاء وما من دار إلا وأنا أتصفحه كل يوم خمس مرات وأقول إذا بكى أهل البيت على ميتهم لا تبكوا عليه فإن لي فيكم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحد، فقال رسول الله ﷺ كفى بالموت طامة يا جبرائيل، فقال جبرائيل إن ما بعد الموت اطم وأطم من الموت .

ثم مضيت فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيب ولحم خبيث، يأكلون اللحم الخبيث ويدعون الطيب فقلت من هؤلاء يا جبرائيل، فقال هؤلاء الذين يأكلون الحرام ويدعون الحلال وهم من أُمتك يا محمد، فقال رسول الله ﷺ ثم رأيت ملكاً من الملائكة جعل الله أمره عجباً نصف جسده النار ونصفه الآخر ثلجاً، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفي النار وهو ينادي بصوت رفيع ويقول سبحان الذي كف حر هذه النار فلا يذيب الثلج وكف برد هذا الثلج فلا يطفي حر هذه النار، اللهم يا مؤلف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين، فقلت من هذا يا جبرائيل، فقال هذا ملك وكله الله بأكناف السماء وأطراف الأرضين وهو أنصح ملائكة الله لأهل الأرضين من عباده المؤمنين يدعو لهم بما تسمع منذ خلق، وملكان يناديان في السماء أحدهما يقول اللهم أعط كل منفق

خلفاً، والآخر يقول اللهم أعط كل ممسك تلفاً .

ثم مضيت فإذا أنا بأقوام لهم مشافر كمشفر الإبل يقرض اللحم من جنوبهم ويلقى في أفواههم فقلت من هؤلاء يا جبرائيل، فقال هؤلاء الهمازون اللمازون، ثم مضيت فإذا أنا بأقوام ترضخ رؤوسهم بالصخر فقلت من هؤلاء يا جبرائيل، فقال هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء، ثم مضيت فإذا أنا بأقوام تقذف النار في أفواههم وتخرج من أدبارهم فقلت من هؤلاء يا جبرائيل، فقال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً، ثم مضيت فإذا أنا بأقوام يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر من عظم بطنه فقلت من هؤلاء يا جبرائيل، قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً يقولون ربنا متى تقيم الساعة، قال ثم مضيت فإذا بنسوان معلقات بثديهن فقلت من هؤلاء يا جبرائيل، فقال هؤلاء اللواتي يورثن أموال أزواجهن أولاد غيرهم، ثم قال رسول الله ﷺ اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم في نسبهم من ليس منهم فاطلع على عورتهم وأكل خزائنهم .

قال ثم مررنا بملائكة من ملائكة الله عز وجل خلقهم الله كيف شاء، ووضع وجوههم كيف شاء، ليس شيء من أطباق أجسادهم إلا وهو يسبح الله ويحمده من كل ناحية بأصوات مختلفة، أصواتهم مرتفعة بالتمجيد والبكاء من خشية الله تعالى فسألت جبرائيل عنهم، فقال كما ترى خلقوا إن الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلمه قط ولا رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقها ولا خفضوها إلى ما تحتها خوفاً لله وخشوعاً، فسلمت عليهم فردوا علي إيماء برؤوسهم لا ينظرون إلي من الخشوع، فقال لهم جبرائيل هذا محمد نبي الرحمة أرسله الله إلى العباد رسولاً ونبياً وهو خاتم النبوة وسيدهم أفلا تكلمونه، قال فلما سمعوا ذلك من جبرائيل أقبلوا علي بالسلام وأكرموني وبشروني بالخير لي ولأمتي .

قال ثم صعدنا إلى السماء الثانية فإذا فيها رجلان متشابهان فقلت من هذان يا جبرائيل قال ابنا الخالة يحيى وعيسى، فسلمت عليهما وسلما علي واستغفرت لهما واستغفرا لي وقالا مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، وإذا فيها من الملائكة وعليهم الخشوع قد وضع الله وجوههم كيف شاء ليس منهم ملك إلا يسبح الله ويحمده بأصوات مختلفة .

ثم صعدنا إلى السماء الثالثة فإذا فيها رجل فضل حسنه على سائر الخلق كفضل قمر

ليلة البدر على سائر النجوم فقلت من هذا يا جبرائيل، فقال هذا أخوك يوسف، فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وقال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح والمبعوث في الزمن الصالح، وإذا فيها ملائكة عليهم من الخشوع مثل ما وصفت في السماء الأُولى والثانية وقال لهم جبرائيل في أمري ما قال للآخرين وصنعوا فيَّ مثل ما صنع الآخرون .

ثم صعدنا إلى السماء الرابعة وإذا فيها رجل فقلت من هذا يا جبرائيل، فقال هذا ادريس عليه السلام رفعه الله مكاناً علياً فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي فإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات فبشروني بالخير لي ولأُمتي، ثم رأيت ملكاً جالساً على سرير تحت يده سبعون ألف ملك تحت كل ملك سبعون ألف ملك فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وآله أنه هو، فصاح به جبرائيل فقال قم فهو قائم إلى يوم القيامة .

ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فإذا فيها رجل كهل عظيم العين لم أر كهلاً أعظم منه حوله ثلة من امته فأعجبني كثرتهم فقلت من هذا يا جبرائيل، فقال هذا المحبب لقومه هارون بن عمران فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات .

ثم صعدنا إلى السماء السادسة وإذا فيها رجل آدم طويل كأنه من سمرة لو ان عليه قميصين لنفذ شعره فيهما وسمعته يقول يزعم بنو اسرائيل اني أكرم ولد آدم على الله وهذا رجل أكرم على الله مني فقلت من هذا يا جبرائيل، فقال أخوك موسى بن عمران فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات .

ثم صعدنا إلى السماء السابعة فما مررت بملك من الملائكة إلا قالوا يا محمد احتجم واءْمر امتك بالحجامة، وإذا فيها رجل أشمط الرأس واللحية جالس على كرسي فقلت يا جبرائيل من هذا الذي في السماء السابعة على باب البيت المعمور في جوار الله، فقال هذا يا محمد أبوك إبراهيم وهذا محلك ومحل من اتقى من امتك ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله : **﴿ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾**[1]. فسلمت عليه وسلم علي وقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ٦٨ .

والمبعوث في الزمن الصالح، وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات فبشروني بالخير لي ولأمتي .

قال رسول الله ﷺ ورأيت في السماء السابعة بحاراً من نور يتلألأ يكاد تلألؤها يخطف بالأبصار، وفيها بحار مظلمة وبحار ثلج ترعد فلما فزعت ورأيت هؤلاء سألت جبرائيل، فقال ابشر يا محمد واشكر كرامة ربك واشكر الله ما صنع إليك، قال فثبتني الله بقوته وعونه حتى كثر قولي لجبرائيل وتعجبي، فقال جبرائيل يا محمد تعظم ما ترى إنما هذا خلق من خلق ربك، فكيف بالخالق الذي خلق ما ترى وما لا ترى أعظم من هذا من خلق ربك، إن بين الله وبين خلقه تسعين ألف حجاب، وأقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل وبيننا وبينه أربعة حجب، حجاب من نور، وحجاب من ظلمة، وحجاب من الغمام، وحجاب من ماء، قال ورأيت من العجائب الذي خلق الله وسخر به علي ما أراده ديكاً رجلاه في تخوم الأرض السابعة ورأسه عند العرش، وملكاً في ملائكة الله تعالى، خلقه الله كما أراد رجلاه في تخوم الأرض السابعة ثم أقبل مصعداً حتى خرج في الهواء إلى السماء السابعة وانتهى فيها مصعداً حتى انتهى قرنه إلى قرب العرش، وهو يقول سبحان ربي حيث ما كنت لا تدري أين ربك من عظم شأنه، وله جناحان في منكبيه إذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب، فإذا كان في السحر نشر جناحيه وخفق بهما صرخ بالتسبيح يقول : سبحان الله الملك القدوس سبحان الله الكبير المتعال لا إلّه إلا الله الحي القيوم، وإذا قال ذلك سبّحت ديوك الأرض كلها وخفقت بأجنحتها وأخذت بالصراخ، فإذا سكت ذلك الديك في السماء سكتت ديوك الأرض كلها، ولذلك الديك زغب أخضر وريش أبيض كأشد بياض رأيته قط وله زغب اخضر أيضاً تحت الريش الأبيض كأشد خضرة رأيتها قط .

قال ﷺ ثم مضيت مع جبرائيل فدخلت البيت المعمور فصليت فيه ركعتين ومعي أناس من أصحابي عليهم ثياب جدد وآخرون عليهم ثياب خلقان فدخل أصحاب الجدد وحبس أصحاب الخلقان، ثم خرجت فانقاد لي نهران نهر يسمى الكوثر ونهر يسمى الرحمة فشربت من الكوثر واغتسلت من الرحمة، ثم انقادا لي جميعاً حتى دخلت الجنة وإذا على حافتيها بيوتي وبيوت أزواجي، وإذا ترابها كالمسك، وإذا جارية تنغمس في أنهار الجنة، فقلت لمن أنت يا جارية، فقالت لزيد بن حارثة فبشرته بها حين أصبحت، وإذا بطيرها كالبخت، وإذا رمانها مثل الدليّ العظام وإذا شجرة لو أرسل طائر في أصلها ما دارها سبعمائة سنة وليس في الجنة منزل إلا وفيه فتر منها فقلت ما هذه يا جبرائيل، فقال

هذه شجرة طوبى قال الله : ﴿**طوبى لهم وحسن مآب**﴾[1]. قال رسول الله ﷺ فلما دخلت الجنة رجعت إلي نفسي فسألت جبرائيل عن تلك البحار وهولها وأعاجيبها فقال : هو سرادقات الحجب التي احتجب الله تبارك وتعالى بها، ولولا تلك الحجب لتهتك نور العرش وكل شيء فيه، وانتهيت إلى سدرة المنتهى فإذا الورقة منها تظل أمة من الأمم فكنت منها كما قال الله تعالى : ﴿**قاب قوسين أو أدنى**﴾[2]. فناداني ربي تبارك وتعالى : ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه**﴾[3]. فقلت أنا مجيب عني وعن أمتي : ﴿**والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**﴾[4]. فقلت : ﴿**سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾[5]. فقال الله : ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**﴾[6]. فقلت : ﴿**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**﴾[7]. فقال الله لا أؤاخذك، فقلت : ﴿**ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا**﴾[8]. فقال الله لا أحملك فقلت : ﴿**ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين**﴾[9]. فقال الله تبارك وتعالى قد اعطيتك ذلك لك ولأمتك .

قال الصادق عليه السلام : ما وفد إلى الله تبارك وتعالى أحد أكرم من رسول الله ﷺ حين سأله لأمته هذه الخصال. فقال رسول الله : يا رب اعطيت أنبياءك فضائل فأعطني، فقال الله تعالى وقد أعطيتك كلمتين من تحت عرشي: لا حول ولا قوة إلا بالله ولا منجا منك إلا إليك، قال وعلمتني الملائكة قولاً أقوله إذا أصبحت وأمسيت اللهم إن ظلمي أصبح مستجيراً بعفوك، وذنبي مستجيراً بمغفرتك، وذلي مستجيراً بعزتك، وفقري أصبح مستجيراً بغناك، ووجهي البالي أصبح مستجيراً بوجهك الباقي الذي لا يفنى، وأقول ذلك إذا أصبحت وأمسيت. ثم سمعت الأذان فإذا ملك يؤذن لم ير في السماء قبل تلك الليلة،

---

(١) سورة الرعد؛ الآية: ٢٩ .
(٢) سورة النجم؛ الآية: ٩ .
(٣) سورة البقرة؛ الآية: ٢٨٥ .
(٤) سورة البقرة؛ الآية: ٢٨٥ .
(٥) سورة البقرة؛ الآية: ٢٨٥ .
(٦) سورة البقرة؛ الآية: ٢٨٦ .
(٧) سورة البقرة؛ الآية: ٢٨٦ .
(٨) سورة البقرة؛ الآية: ٢٨٦ .
(٩) سورة البقرة؛ الآية: ٢٨٦ .

فقال الله أكبر الله أكبر فقال الله صدق عبدي أنا أكبر، فقال أشهد أن لا إلّه إلا الله أشهد أن لا إلّه إلا الله، فقال الله صدق عبدي أنا الله لا إلّه غيري، فقال أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله، فقال الله صدق عبدي إن محمداً عبدي ورسولي أنا بعثته وانتجبته، فقال حي على الصلاة، فقال صدق عبدي دعا إلى فريضتي فمن مشى إليها راغباً فيها محتسباً كانت كفارة لما مضى من ذنوبه، فقال حي على الفلاح، فقال الله تعالى هي الصلاح والفلاح والنجاح. ثم أممت الملائكة في السماء كما أممت الأنبياء في بيت المقدس، ثم قال ثم غشيتني صبابة فخررت ساجداً فناداني ربي إني قد فرضت على كل نبي قبلك خمسين صلاة وفرضتها عليك وعلى امتك فقم بها في أمتك، فقال رسول الله ﷺ فانحدرت حتى مررت على ابراهيم عليه السلام فلم يسألني عن شيء حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فقال ما صنعت يا محمد، فقلت قال ربي فرضت على كل نبي كان قبلك خمسين صلاة وفرضتها عليك وعلى امتك، فقال موسى يا محمد إن امتك آخر الأمم وأضعفها وإن ربك لا يرد عليك شيئاً وإن امتك لا تستطيع أن تقوم بها فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت إلى ربي حتى انتهيت إلى سدرة المنتهى فخررت ساجداً ثم قلت فرضت علي وعلى أمتي خمسين صلاة ولا أُطيق ذلك ولا امتي فخفف عني فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فأخبرته، فقال ارجع لا تطيق فرجعت إلى ربي فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فأخبرته، فقال ارجع وفي كل رجعة أرجع إليه أخرّ ساجداً حتى رجع إلى عشر صلوات فرجعت إلى موسى وأخبرته، فقال لا تطيق ارجع فرجعت إلى ربي فوضع عني خمساً فرجعت إلى موسى وأخبرته فقال لا تطيق، فقلت قد استحييت من ربي ولكن أصبر عليها فناداني مناد كما صبرت عليها فهذه الخمسة بخمسين كل صلاة بعشر، ومن همَّ من امتك بحسنة يعملها فعملها كتبت له عشراً وإن لم يعمل كتبت له واحدة، ومن همَّ من امتك بسيئة فعملها كتبت عليه واحدة وإن لم يعملها لم أكتب عليه، فقال الصادق عليه السلام : جزى الله موسى عن هذه الأمة خيراً .

وروى الإربلي في كشف الغمة عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ وقد سئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج، فقال : خاطبني بلغة علي بن أبي طالب عليه السلام فألهمت أن قلت يا ربي أنت خاطبتني أم علي عليه السلام فقال يا أحمد أنا شيء ليس كالأشياء ولا أُقاس بالناس ولا أُوصف بالأشياء خلقتك من نوري وخلقت علياً من نورك فاطلعت على سرائر قلبك فلم أجد إلى قلبك أحب من علي بن أبي طالب عليه السلام فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك .

واعلم أن المشهور أن المعراج وقع قبل الهجرة وقيل إن المعراج وقع مراراً ويؤيده ما رواه الصدوق والصفاد عن الصادق عليه السلام انه عُرج برسول الله صلى الله عليه وآله مائة وعشرين مرة والله العالم .

٩ ـ نبينا خاتم الأنبياء :

يجب الإيمان بأنه خاتم الأنبياء كما قال الله تعالى : **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾**[١] . ولما تواتر عنه صلى الله عليه وآله أنه لا نبي بعدي، وأن دينه ناسخ لجميع الأديان، وأنه مبعوث إلى العرب والعجم والإنس والجن وكذا أوصياؤه المعصومون حجج على جميع الخلق. ففي الكافي عن ابن جبل عن الصادق عليه السلام قال : كنا ببابه فخرج علينا قوم أشباه الزط عليهم أُزر وأكسية فسألنا أبا عبد الله عنهم فقال هؤلاء إخوانكم من الجن .

وعن سعد الإسكاف قال دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت جعلت فداك أبطأ عليّ إذنك اليوم ورأيت قوماً خرجوا علي متعممين بالعمائم فأنكرتهم، فقال : أو تدري من أولَئك يا سعد، قلت لا قال : أُولَئك اخوانكم من الجن يأتون فيسألوننا عن حرامهم وحلالهم ومعالم دينهم .

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال بينما أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر إذ أقبل ثعبان من ناحية باب من أبواب المسجد فهمّ الناس أن يقتلوه فأرسل إليهم أمير المؤمنين أن يكفوا فكفوا، وأقبل الثعبان ينساب حتى أتى إلى المنبر فتطاول فسلم على أمير المؤمنين عليه السلام فأشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام أن يقف حتى يفرغ من خطبته، ولما فرغ من خطبته أقبل عليه فقال له من أنت فقال أنا عمر بن عثمان خليفتك على الجن وإن أبي مات وأوصاني أن آتيك فأستطلع رأيك وقد أتيتك يا أمير المؤمنين فما تأمرني وما ترى، فقال أمير المؤمنين عليه السلام اوصيك بتقوى الله وأن تتصرف فتقوم مقام أبيك في الجن فإنك خليفتي عليهم، قال فودع عمر أمير المؤمنين وانصرف فهو خليفته على الجن فقلت جعلت فداك فيأتيك عمر وذلك الواجب عليه، قال نعم .

(١) سورة الأحزاب؛ الآية: ٤٠ .

١٠ ـ طهارة آباء النبي :

لا خلاف بين الإمامية في أن آباء النبي وأجداده والأئمة عليهم السلام كانوا مسلمين موحدين طاهري الأصلاب من الشرك والكفر والزنا والرجس كما قال تعالى : **﴿هو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين﴾**[١] . أي في أصلاب الساجدين لله وتواتر ذلك في أخبارنا وما دل على خلاف ذلك فمحمول على التقية .

أما آزر فلم يكن أباً حقيقياً لإبراهيم عليه السلام بل كان عمه وسمي أبوه لتربيته إياه وأبوه تارخ، وأبواه عبد الله وآمنة كانا مسلمين لما ثبت عن أهل البيت خلافاً للعامة العمياء وقد رووا أن النبي استغفر لهما : **﴿وما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى﴾**[٢] . وعبد المطلب جده كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام ، وكذلك سائر آبائه إلى إسماعيل كلهم كانوا أوصياء، وكذلك أبو طالب كان وصياً بعد أبيه عبد المطلب ولم يكن كافراً ولم يسجد لصنم قط ولعل إيمانه من ضروريات مذهب الإمامية، ولذا ورد عنهم عليهم السلام ليس من شيعتنا[٣] من لم يقل بإسلام أبي طالب، ولعل إصرار المخالفين وحرصهم على القول بكفر أبي طالب دون سائر أعمام النبي مع تظافر رواياتهم واتفاقهم على أنه آوى النبي ونصره وقد قال تعالى : **﴿الذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً﴾**[٤] . ورووا عنه اشعاراً كثيرة تدل على إسلامه كقوله في جملة قصيدة :

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير اديان البرية دينا

ولأجل عداوة أهل البيت عليهم السلام [٥] كما اعترف بذلك بعض منصفيهم، وقد أشرنا إلى أن الحق أنه لا يجب الإسلام الدائمي في أمهات النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام كما في شهر بانو أم السجاد عليه السلام وأمهات أكثر الأئمة وإنما يجب إسلامهن حين انعقاد النطفة في الأرحام .

وقد وقع الخلاف في أنه صلى الله عليه وآله هل كان مبعوثاً على الملائكة أم لا ولم يتم دليل

---

(١) سورة الشعراء؛ الآية: ٢١٩ .
(٢) سورة التوبة؛ الآية: ١١٣ .
(٣) انظر شرح النهج الحديدي ج٣ ص٣١١ .
(٤) سورة الأنفال؛ الآية: ٧٤ .
(٥) انظر شرح النهج الحديدي ج٣ ص٣١٢ .

على إثبات ذلك أو نفيه والعلم عند الله، نعم قد دلت جملة من الأخبار على أن الله سبحانه قد أخذ من الملائكة ميثاق ولايته وولاية الأوصياء من بعده وان كل ملك ينزل إلى الأرض لأمر يتشرف بخدمة الإمام، وأن جبرائيل بل عزرائيل ما كانا يدخلان بيت النبي ﷺ إلا بإذنه .

١١ ـ هل كان نبينا قبل البعثة متعبداً بشريعة أم لا :

قد وقع الخلاف في أنه ﷺ قبل البعثة هل كان متعبداً بشريعة أم لا، فقيل نعم وقيل بالتوقف واختلف الأولون، فمنهم من قال كان متعبداً بشريعة نوح وقيل بشريعة إبراهيم وقيل بشريعة موسى وقيل بشريعة عيسى وقيل بجميع الشرائع، والحق أنه ﷺ لم يكن متعبداً بشريعة من قبله من الأنبياء وأنهُ ﷺ كان نبياً حين تولده بل حين كان آدم بين الماء والطين ثم صار بعد ذلك رسولاً وأُمر بأن يدعو الناس بعد أربعين سنة ويدل على ذلك وجوه :

الأول : إنه لو عمل بشريعة غيره لكان رعية له فيكون ذلك الغير أفضل منه وهو خلاف ضروري الدين .

الثاني : إن عمله بشريعة الغير إما ان يكون عن وحي فيلزم نبوته والمطابقة بشرع غيره غير مناف لذلك، وإما أن يكون لا عن وحي بل عن أخذ من علماء تلك الشريعة مع أن من معجزاته أنه لم يقرأ ولم يكتب ولم يعاشر العلماء من أهل الكتاب ولم يرجع إلى عالم .

الثالث : إن أكثر علمائهم وجلهم في ذلك الزمان كانوا فسقة فجرة فكيف يجوز أن يرجع أفضل الخلق إليهم مع أنه لو اتفق لتواتر نقله .

الرابع : إنه ورد في الأخبار الكثيرة أن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه ظاهراً أو مستوراً، فلو لم يكن ﷺ نبياً وجب عليه اتباع أوصياء الأنبياء قبله ولو فعل لتواتر نقله وللزم كونه ﷺ مفضولاً مع كونه أفضل بالضرورة .

الخامس : إنه ﷺ كان إذا سئل عن شيء لا يجيب فيه قبل نزول الوحي ولو كان متعبداً بشرع غيره لتمسك بكتب السابقين وشرائعهم .

السادس : ما استفاض نقله بين الخاصة والعامة من قوله ﷺ كنت نبياً وآدم بين الماء والطين .

السابع : ما استفاض في الأخبار الصحيحة من أن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام كانوا مؤيدين بروح القدس وهو ملك يسددهم ويبين لهم المعالم ويحفظهم من الخطأ والنسيان من أول عمرهم إلى آخره .

الثامن : ما نطق به القرآن المجيد وتواترت به السنة واتفقت عليه الأمة من أنه صلى الله عليه وآله أفضل من جميع الأنبياء قبله، وأن كل كرامة وفضيلة أُعطوها فقد أُعطي صلى الله عليه وآله أفضل منها، فكيف يجوز أن يكون عيسى في المهد نبياً ويؤتى الحكم يحيى صبياً وسيد الأنبياء لم يكن نبياً إلى أربعين سنة، هذا كله مع استفاضة الأخبار بنطقه بالحكمة والصواب وأولاده الطاهرين من حين الصغر كما لا يخفى على المتتبع لآثارهم والمتصفح لأحوالهم وأخبارهم، وما في بعض الآيات والأخبار مما يدل على متابعته صلى الله عليه وآله من قبله كقوله تعالى : ﴿**فبهداهم اقتده**﴾ فهو محمول على الموافقة في أُصول الدين المتفق عليها في جميع الأديان أو على الموافقة في تبليغ الرسالة والصبر على المشاق ونحو ذلك .

١٢ ـ معنى أن نبينا كان أمياً :

قد ورد في الكتاب المجيد والسنة المستفيضة أنه صلى الله عليه وآله أُمي واختلف في معنى ذلك والمشهور في معناه أنه لا يقرأ ولا يكتب، ولا خلاف في أنه صلى الله عليه وآله لم يتعلم الكتابة والقراءة من أحد قبل البعثة، وأكثر الأخبار تدل على أن معنى كونه أمياً أنه نسبة إلى ام القرى وهي مكة، وأنه صلى الله عليه وآله كان قادراً على القراءة والكتابة كما كان قادراً على ما يعجز عنه مثله ولكنه لم يكتب لمصلحة، وكان يأمر غيره بكتابة الوحي وقراءة الكتب غالباً. ففي بصائر الدرجات عن الصولي قال سألت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام وقلت له يا بن رسول الله لم سمي النبي الأمي، قال : ما يقول الناس، قلت يقولون إنما سمي الأمي لأنه لم يكتب، فقال كذبوا عليهم لعنة الله أنى يكون ذلك والله تعالى يقول في محكم كتابه : ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾[1] . فكيف يعلمهم ما لم يحسن والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ ويكتب بإثنين وسبعين لساناً وإنما سمي الأمي لأنه كان من مكة، ومكة من أمهات القرى وذلك قول الله في كتابه : ﴿**لتنذر أم القرى ومن حولها**﴾[2] . وعن الصادق عليه السلام قال : إن النبي صلى الله عليه وآله كان يقرأ ما يكتب ويقرأ ما لم يكتب .

---

(١) سورة الجمعة؛ الآية: ٢ .

(٢) سورة الأنعام؛ الآية: ٩٢ .





كتاب الإمامة



الفصل الأول

الأدلة على نصب الأئمة

١ ـ الأدلة العقلية :

اختلف الناس في أن نصب الإمام هل هو واجب أو لا؟ وعلى تقدير الوجوب فهل يجب على الخالق أو على الخلق؟ وهل الدليل على وجوبه العقل أو النقل؟ والذي عليه الفرقة المحقة والطائفة الحقة أنه يجب على الله نصب الإمام في كل زمان عقلاً ونقلاً أما العقل فوجوه :

الأول : إن ما ذكر في بيان الاضطرار إلى الرسل فهو بعينه جار في الاضطرار إلى أوصيائهم وخلفائهم، لأن الاحتياج إليهم غير مختص بوقت دون آخر وفي حالة دون أخرى، ولا يكفي بقاء الكتب والشرائع من دون قيّم لها عالم بها، ألا ترى إلى الفرق المختلفة والمذاهب المتباينة كيف يستندون في مذاهبهم كلها إلى كتاب الله عز وجل، فيستند المجسم إلى قوله تعالى : **﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾**[1] **﴿يد الله فوق أيديهم﴾**[2]. والمجبر إلى قوله : **﴿قل كل من عند الله﴾**. ومن قال بخلق الأفعال إلى قوله : **﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾**[3]. ومن قال برؤية الله إلى قوله : **﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾**[4]. ويستدل العدلية بما يخالف ذلك من الآيات وبالجملة فإنك لا ترى فرقة من الفرق المحقة أو المبطلة إلا وهي تستند إلى كتاب الله بل وإلى سنة رسول الله ﷺ، وذلك لأن كتاب الله فيه المحكم والمتشابه والمجمل والمؤوّل والناسخ

---

(١) سورة طه؛ الآية: ٥ .

(٢) سورة الفتح؛ الآية: ١٠ .

(٣) سورة النحل؛ الآية: ٩٣ .

(٤) سورة القيامة؛ الآية: ٢٣ .

والمنسوخ، والسنة فيها ذلك أيضاً مع وقوع الكذب والتحريف والتصحيف هذا كله مع جهل أكثر الخلق بمعانيها وتشتت أهوائهم وزيغ قلوبهم، فلا بد حينئذ لكل نبي مرسل بكتاب من عند الله عز وجل أن ينصب وصياً يودعه أسرار نبوته وأسرار الكتاب المنزل عليه ويكشف له مبهمه ليكون ذلك الوصي هو حجة ذلك النبي على أُمته، ولئلا تتصرف الامة في ذلك الكتاب بآرائها وعقولها فتختلف وتزيغ قلوبها كما أخبر الله تعالى بذلك فقال: **﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾**[1] .

الثاني : إن اللطف واجب على الله تعالى، ولا ريب ان وجود الإمام في كل زمان لطف من الله تعالى بعبيده لأنه بوجوده فيهم يجتمع شملهم ويتصل حبلهم وينتصف الضعيف من القوي والفقير من الغني، ويرتدع الجاهل ويتيقظ الغافل، فإذا عدم بطل الشرع وأكثر أحكام الدين وأركان الإسلام كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقضاء ونحو ذلك فتنتفي الفائدة المقصودة منها .

الثالث : إنه قد دل العقل والنقل على أنه يجب على الله أن يفعل بعباده ما هو الأصلح لهم، ولا ريب أنه لا يتم انتظام أمر المعاد والمعاش والدين والدنيا إلا بنصب رئيس ومعلم يرشد الناس إلى الحق عند اختلافهم وجهلهم، ويردهم إليه عند اختصامهم ومنازعاتهم ومجادلاتهم .

الرابع : إن العقل السليم والفهم المستقيم يحيل على العزيز الحكيم والرسول الكريم مع كونه مبعوثاً إلى كافة الأنام وشريعته باقية إلى يوم القيامة أن يهمل امته مع نهاية رأفته وغاية شفقته بهم وعليهم، ويترك بينهم كتاباً في غاية الإجمال ونهاية الإشكال له وجوه عديدة ومحامل يحمله كل منهم على هواه ورأيه كما أشرنا إليه، وأحاديث كذلك لم يظهر لهم منها إلا القليل وفيها مع ذاك المكذوب والمفترى والمحرّف، ولا يعيِّن لهذا الأمر العظيم رئيساً يعول في المشكلات عليه ويركن في سائر الأُمور إليه إن هذا مما يحيله العقل على رب العالمين وعلى سيد المرسلين، وكيف يوجب الله تعالى على الإنسان الوصية والإيصاء عند الموت لئلا يموت ميتة الجاهلية ولئلا يدع أطفاله ومتروكاته بغير قيِّم وولي وحافظ ولا يوجب على النبي ﷺ الايصاء والوصية مع أن رأفة الله بخلقه ورأفة

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ٧٠ .

النبي ﷺ بأمته لا نسبة لها بذلك .

الخامس : إنهُ قد اعترف جمهور المخالفين بجريان عادة الله تعالى من آدم إلى خاتم الأنبياء انه لم يقبض نبياً حتى عين له خليفة ووصياً، وجرت عادة نبينا ﷺ أنه متى سافر عين خليفة في المدينة، وعلى هذا جرت طريقة الرؤساء والولاة فكيف تخلفت هذه السنة التي لن تجد لها تبديلاً وهذه العادة التي لم يكن عنها تحويلاً بالنسبة إلى خاتم الأنبياء المرسل إلى هذه الأمة المرحومة بأن يهملها ويتركها سدى هذا كلهُ مع انقطاع الأنبياء والرسل وبقاء التكليف إلى يوم القيامة .

السادس : إن مرتبة الإمامة كالنبوة كما عرفت، فكما لا يجوز للخلق تعيين نبي فكذا لا يجوز لهم تعيين إمام، وأيضاً العقول قاصرة والأفهام حاسرة عن معرفة من يصلح لهذا المنصب العظيم والأمر الجسيم والوجدان يغني عن البيان، فكم رأينا أهل العقل والتدبير والحل والعقد اتفقوا على تعيين والٍ في قرية أو بلد أو حكم ثم تبين لهم خطأهم في ذلك فغيروه وبدلوه، فكيف تفي العقول الناقصة بتعيين رئيس عام على جميع الخلائق في أمور الدين والدنيا، وأيضاً فالعصمة شرط في الإمام كما تقدم ويأتي، وهي من الأُمور الباطنية التي لا يطلع عليها إلا العالم بما في الضمائر المطلع على ما في السرائر وقد تقدم جملة من ذلك في مشتركات النبوة والإمامة .

٢ ـ الأدلة النقلية :

أما الأدلة النقلية فهي :

الأول : قوله تعالى : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي**﴾[1] . ولا ريب ان نصب الإمام من أعظم أركان الدين وأهم مصالح المسلمين، فيجب أن يكون واقعاً قبل نزول الآية هذا مع استفاضة الأخبار من طرق العامة والخاصة أن هذه الآية نزلت بعد نصب النبي ﷺ علياً للإمامة في غدير خم .

الثاني : قوله تعالى : ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله عما يشركون**﴾[2] . حيث دلت على أن لا اختيار للعباد في التصرف في ذلك وان المختار لأمور الدين والدنيا هو الله تعالى دون خلقه، فيجب أن يكون هو المختار المعين للإمام

---

(١) سورة المائدة؛ الآية: ٣٢ .

(٢) سورة القصص؛ الآية: ٦٨ .

كما في النبي ﷺ مع أنه قد ذكر جملة من مفسريهم انها نزلت في الرد على من قال لِمَ ما أرسل الله غير هذا الرسول .

الثالث : الآيات المتضافرة والأخبار المتواترة الدالة على أن الله تعالى بيّن كل شيء وحكم في كتابه كقوله تعالى : ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾[1]. وقوله تعالى : ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾[2]. وقوله تعالى : ﴿**وكل شيء فصلناه تفصيلاً**﴾[3] وقوله تعالى : ﴿**ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾[4]. ومن المعلوم بالوجدان فضلاً عن البرهان أن عقول الخلق لا تفي بذلك، فلا بد أن يكون الله تعالى قد جعل أحداً يعلم جميع ذلك ويرجع إليه الخلق، وأيضاً إذا ثبت أن جميع الأشياء مبينة في القرآن فكيف يجوز إهمال الإمامة التي هي أعظمها وأهمها .

الرابع : قوله تعالى : ﴿**اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[5]. حيث دلت على وجوب إطاعة اولي الأمر كإطاعة الرسول، ولهذا لم يفصل بينهما بالفعل لكمال الاتحاد والمجانسة بخلاف اطاعة الله وإطاعة الرسول، إذ لما كان بين الخالق والمخلوق كمال المباينة فصل بالفعل، ومن المعلوم ان الله سبحانه لا يأمر المؤمنين لا سيما الصلحاء العلماء الفضلاء بإطاعة كل ذي أمر وحكم لأن فيهم الفساق والظلمة ومن يأمر بمعصية الله تعالى فيجب أن يكون أولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم مثل النبي ﷺ في عدم صدور الخطأ والنسيان والكذب والمعاصي، ومثل هذا لا يكون منصوباً إلا من قبل الله تعالى العالم بالسرائر كما في النبي ﷺ .

الخامس : قوله تعالى : ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾[6]. فقد روى العامة[7] عن ابن عباس قال كنا نقرأ هذه الآية على عهد رسول الله ﷺ بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي. وروى غيره أنها أنزلت فيه عليه السلام .

السادس : قوله تعالى : ﴿**أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني**

---

(١) سورة الأنعام؛ الآية: ٣٨ .
(٢) سورة النحل؛ الآية: ٨٩ .
(٣) سورة الإسراء؛ الآية: ١٢ .
(٤) سورة الأنعام؛ الآية: ٥٩ .
(٥) سورة النساء؛ الآية: ٥٩ .
(٦) سورة المائدة؛ الآية: ٦٧ .
(٧) انظر الدر المنثور جزء٣ ص٣٩٨ .

يمنى﴾[1] إلى قوله تعالى : ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾[2]. فمن لم يهمله في تلك الحالات كيف يهمله بلا مربي ومعلم ومرشد، وقوله تعالى : ﴿وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾[3]. فحينئذ لا بد أن يكون فيهما ما يرفع جميع النزاعات ومنها النزاع في أمر الخلافة فينبغي أن يكون المرجع إليهما في ذلك .

السابع : قوله تعالى : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ فإذا لم يكن للنبي اختيار في الأمور فغيره أولى .

الثامن : قوله تعالى : ﴿وكل شيء أحصيناه في امام مبين﴾[4]. ففيها دلالة صريحة على وجود الإمام العالم بجميع الأشياء إلى غير ذلك من الآيات والروايات التي يأتي ذكرها ان شاء الله تعالى .

٣ ـ شرائط الإمام :

في بيان شرائط الإمام وقد تقدم ذكرها في المشتركات ولنذكرها هنا على سبيل الاختصار وهي أمور :

الأول : العصمة كما تقدم لأنه حافظ للشرع قائم به فحاله كحال النبي ﷺ ولأن الحاجة إلى الإمام إنما هي للانتصاف للمظلوم من الظالم ورفع الفساد وحسم مادة الفتن، وان الإمام لطف يمنع القاهرين من التعدي ويحمل الناس على فعل الطاعات واجتناب المحارم ويقيم الحدود والفرائض ويؤاخذ الفساق ويعزر من يستحق التعزير، فلو جازت عليه المعصية أو صدرت عنه لانتفت هذه الفوائد، وأيضاً العلة المقتضية لوجوب نصبه جواز الخطأ على المكلف فلو جاز الخطأ على الإمام لوجب افتقاره إلى إمام آخر ليكون لطفاً له وللأمة أيضاً فيتسلسل وللأدلة المتقدمة .

الثاني : أن يكون أفضل من جميع امته من كل جهة، أما عقلاً فلقبح تقديم المفضول على الفاضل ورفع مرتبة المفضول وخفض مرتبة الفاضل، وأما نقلاً فلقوله تعالى : **﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف**

(١) سورة القيامة : الآيتان : ٣٦ ـ ٣٧ .
(٢) سورة القيامة؛ الآيتان : ٣٩ ـ ٤٠ .
(٣) سورة النساء؛ الآية : ٥٩ .
(٤) سورة يسٓ؛ الآية : ١٢ .

تحكمون﴾[1]. ولقوله تعالى : ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر اولوا الألباب﴾[2]. ولقوله تعالى : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[3]. وأهل الذكر أهل العلم والقرآن ولقوله تعالى : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾[4]. والتقريب ما تقدم في المشتركات .

الثالث : أن يكون منصوصاً عليه لأن العصمة من الأُمور الباطنية كما تقدم، ويشترط أيضاً كونه هاشمياً، وقد أنهى سلطان المحققين نصير الملة والحق والدين شرائط الإمام إلى ثمانية :

الأول : العصمة لما تقدم .

الثاني : العلم بجميع ما تحتاج إليه الأمة من أُمور الدين والدنيا لأن الغرض منه لا يحصل بدون ذلك .

الثالث : كونه أشجع الأمة لدفع الفتن واستئصال أهل الباطل ونصرة الحق لأن فرار الرئيس يورث ضرراً جسيماً ووهناً عظيماً بخلاف الرعية .

الرابع : أن يكون أفضل من جميع رعاياه في جميع الصفات الكمالية كالشجاعة والسخاوة والمروة والكرم والعلم وسائر الصفات لئلا يلزم تقديم المفضول على الفاضل .

الخامس : أن يكون مبرءاً من العيوب الموجبة لنفرة الخلق في الخلق والخُلق كالعمى والجذام والبرص والبخل والحرص وسوء الخُلق والأصل كدناءة النسب والتولد من الزنى والصفات الدنية لمنافاتها اللطف .

السادس : أن يكون أزهد الناس وأطوعهم لله وأقربهم منه .

السابع : أن تظهر منه المعاجز التي يعجز عنها غيره لتكون دليلاً على إمامته .

الثامن : أن تكون إمامته عامة غير منحصرة فيه لئلا يظهر الفساد، وقد تقدم تفصيل هذه الأُمور في المشتركات .

---

(١) سورة يونس؛ الآية: ٣٥ .
(٢) سورة الزمر؛ الآية: ٩ .
(٣) سورة النحل؛ الآية: ٤٣ .
(٤) سورة البقرة؛ الآية: ٢٤٧ .

٤ ـ طريق معرفة الامام :

في طريق معرفة الإمام وله طرق ثلاث :

الأول : النص من النبي ﷺ على الإمام الذي بعده ونص السابق على اللاحق كما سيظهر في الأئمة الاثني عشر، وهذا الطريق أسهلها وأظهرها وأنسب بلطف الله بعباده .

الثاني : المعجز الخارق المقرون بدعوى الإمامة .

الثالث : أفضليته من جميع الأمة أو من جميع من يدعي الإمامة وقد تقدم تفصيل جميع ذلك، وأما ما ادعاه المخالفون من ثبوت الإمامة ببيعة بعض الناس من أهل الحل والعقد فهو أوهن من بيت العنكبوت، وانه لأوهن البيوت لما يترتب على ذلك من الفساد والعناد في العباد والبلاد ولما يحصل به من الاختلاف، بل ربما أدى إلى سفك الدماء واستباحة الفروج مع اختلاف عقول الناس وأفهامهم وأغراضهم وميلهم، ويلزم من ذلك وجوب متابعة الأفضل المفضول والأرجح المرجوح ووجوب معصية الخالق واطاعة المخلوق، كوجوب اطاعة يزيد (لعه) في قتل الحسين عليه السلام، ومعاوية (لعه) في حرب علي عليه السلام، وقد قال ﷺ : علي مع الحق والحق مع علي. وقال ﷺ : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. وقال ﷺ : هما إمامان قاما أو قعدا إلى غير ذلك .

ومن الغريب استدلال المخالفين على خلافة أبي بكر في جميع الأرض شرقها وغربها بمبايعة عمر بن الخطاب له برضاء أبي عبيدة وسالم مولى حذيفة وبشر بن سعد وأُسيد بن الحصين، وأعجب من ذلك أنهم يستندون في الحجية إلى قوله ﷺ لا تجتمع أُمتي على خطأ، وأين إجماع الأمة في شرق الأرض وغربها من اجتماع أُناس معدودين، وهذا كله مع اتفاقهم على عدم حصول الاجماع على خلافته فيلزم من حجية الاجماع عدم صحة خلافة الأول مع اختلافهم في تعريف الاجماع، فأكثر متقدميهم كالقاضي والجويني والغزالي على أنه اتفاق أمة محمد ﷺ على أمر ديني، وظاهر هؤلاء اعتبار آراء جميع الفرق ثم عدل جماعة من محققيهم عن ذلك فقال : إن الحجة إنما هي في إجماع المؤمنين إلا أنه لما لم يعلم وجب اعتبار الكل من باب المقدمة لا أصالة، ولما رأى متأخروهم ان لا مقالة للعوام لا سيما في أُمور الدين لأنهم همج رعاع أتباع كل ناعق عدلوا عن ذلك واقتصروا على اعتبار أقوال العلماء، وعرفه جملة منهم بأنه اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد على أمر من الأمور، وارادوا بأهل الحل والعقد أهل النقض والابرام وعدلوا عن

لفظة العلماء لأجل ادخال مثل الخلافة والذي تقتضيه أدلتهم قدح خروج الواحد والاثنين في الاجماع مع ذهاب جملة منه إلى انعقاد الخلافة باثنين، وقد اتفق جمهورهم على أن جملة من أعيان الصحابة لم يكونوا داخلين في هذا الاجماع المزوّر ولم يكونوا من أهل حلقة الغرور كصاحب الحق وأهله وأولاده، وعمه العباس وأبنائه، وأسامة بن زيد، والزبير، ومشاهير الصحابة الكبار كسلمان، وأبي ذر، والمقداد، وعمار، وحذيفة بن اليمان، وأبي بريدة الأسلمي، وأبيَّ بن كعب، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف وأخيه عثمان، وأبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وخالد بن سعيد، وسعد بن عبادة، وقيس بن سعد، إلى غير ذلك، وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه ثمانية عشر رجلاً منهم قال وكانوا رافضة .

الفصل الثاني

تعيين الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

في تعيين الإمام ذهبت الإمامية رضوان الله عليهم إلى أن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين ومن بعده أولاده الطاهرون إلى القائم المهدي عليه السلام، ولهم على ذلك أدلة عقلية ونقلية يحتاج استقصاؤها إلى كتاب مفرد كبير الحجم، وقد ألف علماؤنا المتقدمون والمتأخرون رضوان الله عليهم في ذلك كتباً مبسوطة ومختصرة مشتملة على أدلة عقلية ونقلية، وأنهى ذلك بعض علمائنا إلى ألفي دليل ألف من العقل وألف من النقل[1]، واقتصروا في النقل على ما رواه جمهور المخالفين في كتبهم وصحاحهم دون ما تفرد بنقله الإمامية، ونحن نذكر مما ذكروه رضوان الله عليهم ونقلوه من كتبهم المعتمدة جملة مقنعة، وذهب المخالفون إلى أن الإمام والخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر بن أبي قحافة ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب عليه السلام لنا على حقية مذهبنا وبطلان مذهبهم وجوه تذكر في ضمن مباحث :

١ ـ الأدلة العقلية الدالة على تعيين الامام .

في الأدلة العقلية الدالة على ذلك وهي وجوه :

الأول : إن الإمام يجب أن يكون معصوماً لما تقدم من العقل والنقل، ولا أحد ممن ادعى له الإمامة غير علي عليه السلام بمعصوم اتفاقاً فلا أحد غير علي بإمام، والمقدمة الأولى برهانية كما تقدم والمقدمة الثانية اجماعية .

---

(١) هو كتاب الألفين للعلامة الحلّي رحمه الله .

الثاني : إن الإمام يجب أن يكون منصوصاً عليه أو مظهراً للمعجز لما تقدم من بطلان الاختيار وأدائه إلى التنازع والتشاجر وأعظم أنواع الفساد وغير علي عليه السلام لم يكن كذلك اتفاقاً فتعين أن يكون هو الإمام .

الثالث : ان الإمام يجب أن يكون حافظاً للشرع عالماً بجميع أحكام الله تعالى المودعة في كتابه لانقطاع الوحي بموت النبي صلى الله عليه وآله وقصور ما يفهمه الناس من الكتاب والسنة عن جميع الأحكام، فلا بد من إمام منصوب من الله تعالى عالم بجميع أحكام الله تعالى منزه عن الزلل في الاعتقاد والقول والعمل وغير علي عليه السلام لم يكن كذلك إجماعاً فتعين أن يكون هو الإمام .

الرابع : ان الإمام يجب أن يكون أفضل من جميع الرعية لما تقدم من العقل والنقل، وعلي عليه السلام أفضل من الجميع لما يأتي فتعين أن يكون هو الإمام .

الخامس : إن شرط الإمام أن لا تسبق منه معصية على نحو ما تقدم، والمشايخ قبل الإسلام كانوا يعبدون الأصنام اتفاقاً فلا يكونون أئمة فتعين أن يكون علي عليه السلام هو الإمام ولقوله تعالى : ﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾ كما يأتي توضيحه .

السادس : إن الإمامة رئاسة عامة وإنما تستحق بأوصاف الزهد والعلم والعبادة والشجاعة والإيمان كما تقدم تحقيقه، والجامع لهذه الصفات على الوجه الأكمل الذي لم يلحقه غيره هو علي عليه السلام فيكون هو الإمام، وقد تقدم في مشتركات النبوة والإمامة وفي مبحث الإمامة أن للإمام شرائط قد دل عليها العقل والنقل لم توجد في غيره اتفاقاً .

٢ ـ الآيات القرآنية الدالة على تعيين الامام :

في الآيات الفرقانية الدالة على ذلك :

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾[١] . فقد اتفق المفسرون والمحدثون من العامة والخاصة أنها نزلت في علي عليه السلام لما تصدق بخاتمه على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة وهو مذكور في الصحاح الستة، وممن روى نزول الآية في علي من المخالفين

(١) سورة المائدة؛ الآية: ٥٥ .

السيوطي بأسانيد كثيرة[1]، وإمامهم الرازي بسندين[2]، والزمخشري[3]، والبيضاوي[4]، والنيسابوري[5]، وابن البتيع، والواحدي، والسماني، والبيهقي، والنثري، وصاحب المشكاة، ومؤلف المصباح، والسدي، ومجاهد، والحسن البصري، والأعمش، وعتبة بن أبي حكيم، وغالب بن عبد الله، وقيس بن الربيع، وعباية بن ربعي، وابن عباس، ورواها أبو ذر وجابر بن عبد الله الأنصاري، ونظمها حسان وغيره من الشعراء.
ووجه الاستدلال بالآية أنّ (إنما) للحصر باتفاق أهل اللغة والولي بمعنى الأولى بالتصرف المرادف للإمام، والخليفة وهو معنى مشهور عند أهل اللغة والشرع كقوله ﷺ ايما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل، وقولهم السلطان ولي الرعية وفلان ولي الميت، والولي وإن استعمل في اللغة بمعنى الناصر والمحب إلا أنهما لا يناسبان المقام لأن المحب والناصر غير منحصرين فيمن ذكر في الآية بل عامان لجميع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿**والمؤمنون بعضهم أولياء بعض**﴾ ولفظ الجمع إما للتعظيم أو لشمول سائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[6].
ووجه الاستدلال ان المراد بوجوب الكون مع الصادقين مشايعتهم في أقوالهم وأفعالهم لا الاجتماع معهم في الأبدان لاستحالة ذلك وعدم فائدته، والخطاب جار في جميع المؤمنين في سائر الأزمنة والأمكنة، فلا بد في كل زمان من صادق يجب اتباعه وليس المراد بالصادق صادقاً ما وإلا لزم وجوب متابعة كل صدق مرة وهو باطل اجماعاً بل الصادق في جميع أقواله وأفعاله وهو المعصوم، فيلزم وجود المعصوم في كل زمان ووجوب متابعته وليس غير علي عليه السلام وأولاده اتفاقاً فثبتت إمامتهم، على أنه قد روى العامة كالسيوطي[7]

---

(١) تفسير الدر المنثور ج٢ ص٢٩٣.
(٢) تفسير الفخر الرازي ج٣ ص٦١٨.
(٣) تفسير الكشاف ج١ ص ٢٦٤.
(٤) تفسير البيضاوي ص ١٥٤.
(٥) تفسير غرائب القرآن ج٢ ص ٢٨. وانظر مجمع البيان للطبرسي ج٦ ص ١٦٥، ونور الأبصار للشبلنجي ص ٦٩ وكنز العمال ج٦ ص ٣٩١.
(٦) سورة التوبة؛ الآية: ١١٩.
(٧) انظر الدر المنثور ج٣ ص ٢٩٠، وطبقات النقول ج٢ ص ١٥، ومشارق الأنوار ص ٧٥، وصواعق ابن حجر ص ٧٤.

والثعلبي عن ابن عباس أن المراد بالصادقين محمد وعلي عليهما السلام، وعن علي عليه السلام ان الصادقين عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعن جعفر بن محمد عليه السلام أن الصادقين آل محمد .

قال الرازي في تفسيره[1] في هذه الآية إن الله تعالى أمر المؤمنين بالكون مع الصادقين فلا بد من وجودهم لأن الكون مع الشيء المشروط بوجوده، فلا بد في كل زمان من الصادقين فينبغي عدم اجماع جميع الأمة على الباطل وهذا دليل حجة الاجماع وليس هذا مخصوصاً بزمان رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه ثبت بالتواتر أن خطابات القرآن تتوجه إلى جميع المكلفين إلى يوم القيامة، وأيضاً لفظ الآية شامل لجميع الأوقات والتخصيص ببعض الأزمنة الذي لا يفهم من الآية يوجب تعطيل حكمها، وأيضاً ان الله تعالى قد أمرهم أولاً بالتقوى وهذا الأمر يشمل كل من يجوز منه ترك التقوى ومباشرة الخطأ والعصيان، فتدل الآية على أن كل من يجوز منه المعصية يجب عليه متابعة الذين تجب عصمتهم من المعصية وهم الذين حكم الله تعالى بكونهم صادقين فرتب حكم الكون معهم على التقوى، ويدل على وجوب متابعة جائز المعصية الصادق المعصوم الممتنع منه المعصية وهذا المعنى لا بد من تحققه في كل زمان فيجب وجود المعصوم في كل زمان، ونحن نقول بذلك لكن نقول إن المعصوم جميع الأمة والشيعة يقولون إنه واحد من الأمة، وهذا القول باطل لأنه لو كان كذلك لوجب أن نعرفه لنتابعه ونحن لا نعرف شخصاً بين الامة . انتهى ملخص كلامه فانظر كيف أنطق الله تعالى لسانه بالحق ثم عدل عن ذلك إلى الاعتذار بما تضحك منه الثكلى ولا يخفى بطلانه على أحد، وإن كان هو لم يعرفه فقد عرفه غيره ممن هو أعلم منه وأتقى وأورع وليس من لا يعلم حجة على من يعلم وما أشبه ذلك بقول اليهود والنصارى إنه لو كانت نبوة محمد حقاً لعلمناها، وكيف يمكن الاطلاع على اجماع جميع الأمة مع انتشارهم وتشتتهم في شرق الأرض وغربها فيما عدا الضروريات، وعلى تقدير إمكانه فهو لا يتأتى إلا في قليل من المسائل على أن صريح الآية ان المأمورين بالكون والاتباع غير الصادقين المتبوعين وعلى ما ذكره يلزم اتحادهما .

الآية الثالثة : قوله تعالى : ﴿سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع﴾[2] . روى الثعلبي الذي هو من قدوة مفسري المخالفين في شأن نزولها[3] انه لما كان

---

(١) انظر فيه ج٤ ص ٧٦٠ .

(٢) سورة المعارج؛ الآية: ٢ .

(٣) انظر هامش ج٨ تفسير الفخر الرازي لأبي مسعود ص ٢٩٢، والسيرة الحلبية ج٣ ص ٣٠٢، ونور الأبصار ص ٦٩ .

النبي ﷺ بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي عليه السلام فقال من كنت مولاه فعلي مولاه، فشاع ذلك وطار في البلاد فبلغ الحارث بن النعمان الفهري فأتى نحو النبي ﷺ على ناقته حتى أتى الأبطح فنزل عن ناقته فأناخها وعقلها، ثم أتى النبي ﷺ وهو في ملأ من أصحابه فقال يا محمد أمرتنا من الله أن نشهد ان لا إله إلا الله وأنك رسول الله ففعلناه، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه، وأمرتنا أن نصوم شهر رمضان فقبلناه، وأمرتنا أن نحج البيت فقبلناه، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته علينا وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه وهذا شيء منك أم من الله . فقال النبي ﷺ والذي لا إله إلا هو من الله، فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله وأنزل الله تعالى : **﴿سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج﴾**[١] .

الآية الرابعة : قوله تعالى : **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾**[٢]. فقد روى العامة[٣] ومنهم أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري ان النبي ﷺ لما أخذ بضبعي علي عليه السلام يوم الغدير لم يتفرق الناس حتى نزلت هذه الآية فقال ﷺ : الله أكبر على إكمال الدين واتمام النعمة ورضاء الرب برسالتي وبالولاية لعلي عليه السلام من بعدي، ثم قال ﷺ : من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله .

الآية الخامسة : الآيات الواردة في الصدق والتصديق النازلة في شأنه عليه السلام ، فقد روى أبو نعيم في الحلية والسيوطي في الدر المنثور[٤] وغيرهما[٥] عن ابن عباس ومجاهد في تفسير قوله تعالى : **﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾**[٦] . قالوا الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ ، والذي صدق به علي بن أبي طالب عليه السلام . وروى أحمد بن حنبل وجماعة عن ابن عباس في قوله تعالى : **﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك**

---

(١) سورة المعارج؛ الآية: ٢ .
(٢) سورة المائدة؛ الآية: ٣ .
(٣) انظر الدر المنثور للسيوطي ج٢ ص ٢٥٩ .
(٤) ج٥ ص ٣٢٨ .
(٥) انظر تفسير الفخر ج٧ ص ٢٦٢ .
(٦) سورة الزمر؛ الآية: ٣٣ .

هم الصديقون﴾[1]. انها نزلت في علي عليه السلام وروى العامة والخاصة بطرق متواترة أن علي بن أبي طالب عليه السلام صدّيق هذه الأمة. وروى الثعلبي والرازي وأحمد بن حنبل في مسنده وابن شبرويه في الفردوس وابن المغازلي وغيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن الصدّيقين ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل يس، وحزقيل مؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب عليه السلام وهو أفضلهم. ورووا نحو ذلك كثيراً. وروى الحافظ أبو نعيم بإسناده ان علياً عليه السلام قال: انا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب. والصدّيق لغة وعرفاً يرادف المعصوم عليه السلام أو يقرب منه، قال الجوهري الصدّيق دائم التصديق ومن يصدق قوله عمله وقد وصف الله أنبياءه بهذا الوصف فقال في ادريس (إنه كان صدّيقاً نبياً) وفي يوسف (أيها الصدّيق) ولا ريب أن صاحب هذه الأوصاف والجامع لهذه النعوت أولى بالإمامة من غيره ممن عبد الأصنام ما يزيد على أربعين سنة.

الآية السادسة: قوله تعالى: **﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى﴾**[2].
روى الفقيه ابن المغازلي الشافعي مسنداً عن ابن عباس قال: كنت جالساً مع فئة من بني هاشم عند النبي صلى الله عليه وآله إذ انقض كوكب، فقال رسول الله من انقض هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي، فقام فئة من بني هاشم فنظروا فإذا الكوكب قد انقض في منزل علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا يا رسول الله قد غويت في حب علي عليه السلام فنزلت الآية.

الآية السابعة: قوله تعالى: **﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾**[3]. فقد روى العامة[4] والخاصة أن الذي على بينة من ربه رسول الله صلى الله عليه وآله والشاهد الذي يتلوه علي عليه السلام، ولأجل شرافته جعله الله منه بمنزلة بعض جسده إشارة إلى كونه تالياً لرسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته بعده بلا فصل، وإن قيل المراد كونه تالياً له في الفضل ثبت المطلوب أيضاً لقبح تقديم المفضول على الفاضل، وهذه الآية تدل على عصمته أيضاً لأن الشاهد الواحد إذا لم يكن معصوماً لم تثبت به الدعوى فتدل الآية على إمامته أيضاً من هذه الجهة.

---

(١) سورة الحديد؛ الآية: ١٩.
(٢) سورة النجم؛ الآية: ١٢.
(٣) سورة هود؛ الآية: ١٧.
(٤) انظر تفسير الفخر ج٥ ص ٦٨، وتفسير الطبري ج١٢ ص ١٠، والدر المنثور في تفسير سورة هود، والنيسابوري ج٢ ص ٣١٧، وشرح النهج الحديدي ج٢ ص ٢٣٦.

الآية الثامنة : قوله تعالى : ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾[1] . فقد روى المخالف[2] والموالف بأسانيد عديدة وطرق شتى أنها نزلت في علي وفاطمةوالحسن والحسين عليهم السلام وفي هذه الآية دلالة على عصمتهم عليهم السلام من جميع الأرجاس والمعاصي مع التأكيد بلفظة إنما وادخال اللام في الخبر والاختصاص في الخطاب والتكرير بقوله تعالى يطهر والتأكيد بقوله تعالى تطهيراً وغيرهم ليس بمعصوم اتفاقاً فتكون الإمامة فيهم، ولأن أمير المؤمنين عليه السلام قد ادعى الخلافة في مواضع منها قوله عليه السلام في خطبته الشقشقية التي رواها العامة والخاصة : أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى. وقد ثبت نفي الرجس عنه عليه السلام فيكون صادقاً .

الآية التاسعة : قوله تعالى : ﴿**إنما أنت منذر ولكل قوم هاد**﴾[3] وقد روى العامة[4] والخاصة بطرق عديدة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : انا المنذر وعلي عليه السلام الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون. فيكون إماماً لقوله تعالى : ﴿**أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون**﴾[5] . وفيها أيضاً دلالة على أحقية مذهب الإمامية من عدم خلوّ الزمان من حجة هاد .

الآية العاشرة : آية المباهلة وهي قوله تعالى : ﴿**فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم**﴾[6] . فقد روى الجمهور بطرق مستفيضة[7] أن هذه الآية نزلت في أهل البيت عليهم السلام وان أبناءنا

---

(١) سورة الأحزاب؛ الآية: ٣٣ .

(٢) انظر تفسير الفخر ج٦ ص ٧٨٣ ، والدر المنثور ج٥ ص ١٩٩ ، والنيسابوري ج٣ في تفسير سورة الأحزاب، وصحيح مسلم ج٢ ص ٣٣١، والشرف المؤبد ص ١٠ ، ومصابيح السنة ج٢ ص ٢٠٠ ذكره احتمالاً، والخصائص الكبرىٰ ج٢ ص ٢٦٤، والاتحاف ص ١٨، واسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ٨٢، وإصابة ابن حجر ج٤ ص ٣٠١ .

(٣) سورة الرعد؛ الآية: ٧ .

(٤) انظر تفسير روح البيان ج٣ ص ٢٣٠، والدر المنثور ج٤ ص ٤٥، وتفسير الفخر ج٥ ص ٢٧٢، والنيشابوري ج٢ ص ٣٦٧، ومنتخب كنز العمال ج٥ ص ٤٣، وينابيع المودة ج١ ص ٨٩، ونور الأبصار للشبلنجي ص ٦٩ .

(٥) سورة يونس؛ الآية: ٣٥ .

(٦) سورة آل عمران؛ الآية؛ ٦١ .

(٧) انظر الدر المنثور ج٢ ص٣٩، وتفسير الجلالين ج١ ص ٣٥، وتفسير روح البيان ج١ ص٤٥٧، =

إشارة إلى الحسنين عليهما السلام ونساءنا إلى فاطمة عليها السلام وأنفسنا إلى علي عليه السلام فهي تدل على ثبوت الإمامة لعلي عليه السلام حيث جعله الله تعالى نفس رسول الله صلى الله عليه وآله والاتحاد محال فتعين المساواة في الولاية العامة إلا النبوة .

الآية الحادية عشر : قوله تعالى في ابراهيم عليه السلام : **﴿اني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾**[1] . ووجه الاستدلال ما تقدم وروى الفقيه ابن المغازلي الشافعي مسنداً عن عبد الله بن مسعود قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله انتهت الدعوة إلي وإلى علي عليه السلام لم يسجد أحدنا لصنم قط فاتخذني نبياً واتخذ علياً وصياً .

الآية الثانية عشر : قوله تعالى : **﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾**[2] . فقد روى العامة بأسانيد عديدة[3] عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري أنهم مسؤولون عن ولاية علي عليه السلام .

الآية الثالثة عشر : قوله تعالى : **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾**[4] . فقد روى المخالفون انها نزلت في علي وأهل بيته عليهم السلام [5] وفي رواية وشيعته، وإذا ثبت أنه خير البرية ثبت أنه الإمام لما تقدم .

الآية الرابعة عشر : قوله تعالى : **﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾**[6] . فقد روى العامة والخاصة بأسانيد مستفيضة ان المراد بالذي عنده علم الكتاب علي عليه السلام والله تعالى يقول : **﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾**[7] وقوله تعالى : **﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾** فيكون عالماً بجميع الأشياء وأفضل من جميع الأمة فيكون هو الإمام وقد جعله الله تعالى قريناً له في الشهادة ولا وجه فوق هذه واكتفى

= وتفسير الكشاف ج١ ص١٤٩، وتفسير الرازي ج٢ ص٦٩٩، وتفسير البيضاوي ص ٧٦، وتاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ص ٦٥، ومصابيح السنة للبغوي ج٢ ص ٢٠١، وصواعق ابن حجر ص ٩٣ .

(١) سورة البقرة؛ الآية: ١٢٤ .

(٢) سورة الصافات؛ الآية: ٢٤ .

(٣) انظر صواعق ابن حجر ص ٨٩، وينابيع المودة ج١ ص ١١٢ .

(٤) سورة البينة؛ الآية: ٧ .

(٥) انظر الدر المنثور ج٦ ص ٣٧٩، وصواعق ابن حجر ص ٩٦، ونور الأبصار للشبلنجي ص ٦٩ .

(٦) سورة الرعد؛ الآية: ٤٣ .

(٧) سورة الأنعام؛ الآية: ٥٩ .

بشهادته فدل ذلك على عصمته عليه السلام .

الآية الخامسة عشر : قوله تعالى : **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾**[1] .
والمراد بحبل الله أهل البيت كما ورد في كثير من الروايات من طرق العامة[2] والخاصة والقرآن الذي لا يفترق عنهم ومن تمسك به تمسك بهم، فيدل على وجوب التمسك بهم ووجوب إطاعتهم وهذا هو معنى الإمامة، وقد رووا بطرق متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : إني تركت فيكم حبلين إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، وبهذا المضمون روايات عديدة .

الآية السادسة عشر : قوله تعالى : **﴿قل لا اسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾**[3] . فروى الجمهور في الصحيحين، وأحمد بن حنبل في مسنده، والثعلبي في تفسيره[4] عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم، قال صلى الله عليه وآله : علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام . ووجوب المودة يستلزم وجوب الإطاعة لأن المودة إنما تجب مع العصمة إذ مع وقوع الخطأ منهم يجب ترك مودتهم كما قال تعالى : **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾**[5] . وغيرهم عليهم السلام ليس بمعصوم اتفاقاً فعلي وولداه الأئمة. وقد روي في الصواعق المحرقة لابن حجر في الباب العاشر عن إمامه الشافعي شعراً في وجوب ذلك :

يا أهل بيت رسول اللّه حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر انكم ... من لا يصلي عليكم لا صلاة له

الآية السابعة عشر : قوله تعالى : **﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة**

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ١٠٣ .
(٢) انظر صواعق ابن حجر ص ٩٠، ونور الأبصار للشبلنجي ص ٩٩ .
(٣) سورة الشورى؛ الآية: ٢٣ .
(٤) انظر الدر المنثور ج٦ ص ٧، وهامش الفخر لأبي سعود ج ٧ ص ٤٠١، وتفسير الفخر ج٧ ص ٤٠٦، وتفسير الكشاف ج٢ ص ٢٣٩، وتفسير النيسابوري ج٣ سورة الشورى، وتفسير البيضاوي ص ٤٦٢، ونور الأبصار للشبلنجي ص ١٠٠ وص ٩٩، وإسعاف الراغبين بهامشه ص ٨١ .
(٥) سورة المجادلة؛ الآية: ٢٢ .

الله﴾[1]. فروى إمامهم الرازي والنيسابوري والثعلبي[2] انها نزلت في علي عليه السلام لما هرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المشركين إلى الغار خلّفه لقضاء ديونه ورد ودائعه، فبات على فراشه وأحاط المشركون بالدار فأوصى الله إلى جبرائيل وميكائيل اني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة، فاختار كل منهما الحياة، فأوحى الله إليهما ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب عليه السلام آخيت بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا وكان جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه فقال جبرائيل بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة.

الآية الثامنة عشر: قوله تعالى: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾**[3]. روى الجمهور ومنهم الإمام الرازي والنيسابوري[4] انها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام والود المحبة في قلوب المؤمنين، وفي الصواعق المحرقة[5] لابن حجر قال في رواية صحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم، والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني. ومن يوقع الله محبته في قلوب المؤمنين ويذكر ذلك في مقام الامتنان لا بد أن يكون معصوماً لما تقدم.

الآية التاسعة عشر: قوله تعالى: **﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾**[6]. روى ابن عبد البر من العامة أن النبي لما أسري به جمع الله بينه وبين الأنبياء ثم قال له سلهم يا محمد على ماذا بعثتم، قالوا بعثنا على شهادة أن لا إلّه إلا الله وعلى الإقرار بنبوتك والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام. وفي تفسير النيسابوري[7] عن الثعلبي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أتاني ملك فقال يا محمد سل من أرسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا

---

(1) سورة البقرة؛ الآية: ٢٠٧.

(2) انظر تفسير الفخر ج٢ ص ٢٨٣، والنيسابوري ج١ ص ٢٢٠، وشرح النهج الحديدي ج٣ ص ٢٧٠.

(3) سورة مريم؛ الآية: ٩٦.

(4) انظر الدر المنثور ج٤ ص ٢٨٧، والنيسابوري ج٢ سوره مريم، والفتوحات الإسلامية ج٢ ص ٣٤٢، وصواعق ابن حجر ص ١٠٢، وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ٨٥.

(5) انظر الصواعق ص١٠٣ط مصر سنة ١٣٢٤.

(6) سورة الزخرف؛ الآية: ٤٥.

(7) انظر تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ج٢٥ ص ٥٨.

قالوا على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب.

الآية العشرون : قوله تعالى : **﴿وتعيها أذن واعية﴾**[1]. وروى الجمهور[2] ومنهم الناصبي[3] الفضل بن روزبهان انها نزلت في علي وانه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام : سألت الله أن يجعلها اذنك. قال علي عليه السلام : فما نسيت بعد هذا شيئاً. وهذا يدل على اختصاصه عليه السلام بهذه الفضيلة التي لم يشاركه فيها غيره فيكون هو الإمام.

الآية الحادية والعشرون : سورة هل أتى على الإنسان، روى جمهور المخالفين[4] أن الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله ﷺ وعامة العرب، فنذر علي عليه السلام صوم ثلاثة أيام وكذا امهما فاطمة الزهراء عليها السلام وخادمتهما فضة لئن برئا، فبرئا وليس عند آل محمد قليل ولا كثير، فاستقرض أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثة اصوع من شعير وطحنت فاطمة عليها السلام منها صاعاً فخبزته خمسة أقراص لكل واحد قرص، وصلى علي عليه السلام المغرب فلما أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه للافطار أتاهم مسكين وسألهم فأعطاه كل منهم قوته ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً، ثم صاموا اليوم الثاني فخبزت فاطمة عليها السلام صاعاً فلما قدم بين أيديهم للافطار أتاهم يتيم وسألهم القوت فأعطاه كل واحد منهم قوته، فلما كان اليوم الثالث من صومهم وقدم الطعام للافطار أتاهم أسير وسألهم القوت فأعطاه كل واحد منهم قوته ولم يذوقوا في الأيام الثلاثة سوى الماء، فرآهم النبي ﷺ في اليوم الرابع وهم يرتعشون من الجوع وفاطمة عليها السلام قد التصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها فقال : واغوثاه يا الله أهل بيت محمد يموتون جوعاً، فهبط جبرائيل عليه السلام فقال خذ ما هنأك الله به في أهل بيتك، فقال وما آخذ يا جبرائيل، فأقراه هل أتـى وهذه فضيلة لم يشاركهم فيها أحد قد أنزل الله فيها قرآناً يتلى ليلاً ونهاراً فكيف يكون غيرهم أولى بالإمامة منهم.

---

(١) سورة الحاقة؛ الآية: ١٢.

(٢) انظر الدر المنثور ج٦ ص ٢٦٠، وتفسير الفخر ج٨ ص ٢٨٢، وتفسير الطبري ج٢٩ ص ٣١، وروح البيان ج٦ ص ٤٢٧، والنيسابوري ج٣ سورة الحاقة، وكنز العمال ج٦ ص ٣٩٨، ونور الأبصار ص ٦٩.

(٣) انظر احقاق الحق للعلامة الآية السابعة عشرة.

(٤) انظر روح البيان ج٦ ص ٥٤٦، وتفسير الفخر ج٨ ص ٣٩٢، والنيساوري ج٣ سورة الدهر، وينابيع المودة ج١ ص ٩٣ وص ٩٤.

الآية الثانية والعشرون : قوله تعالى : ﴿**هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين**﴾[1]. روى الجمهور[2] ومنهم الفضل بن روزبهان[3] عن أبي هريرة قال مكتوب على العرش لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد عبدي ورسولي ايدته بعلي بن أبي طالب عليه السلام . وهذه الفضيلة المكتوبة على العرش الأعظم في أزل الآزال يحيل العقل والنقل أن يكون صاحبها متبعاً ورعية لمن صرف أكثر عمره في عبادة الأصنام .

الآية الثالثة والعشرون : قوله تعالى : ﴿**يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**﴾[4] . وروى الجمهور انها نزلت في علي عليه السلام .

الآية الرابعة والعشرون : قوله تعالى : ﴿**فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**﴾[5]. روى الثعلبي انها نزلت في علي عليه السلام[6] وتقريب الاستدلال فيهما ما تقدم .

الآية الخامسة والعشرون : قوله تعالى : ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾[7] . روى جملة من المخالفين[8] ومنهم صاحب الصواعق[9] وصاحب كشف الغمة[10] عن الحافظ بن مردويه عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله هم أنت يا علي وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي أعداؤك غضباناً مقمحين .

الآية السادسة والعشرون : قوله تعالى : ﴿**وإن تظاهرا عليه فإن الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين**﴾[11] . فقد روى العامة[12] أن المراد بصالح المؤمنين أمير

---

(١) سورة الأنفال؛ الآية: ٦٢ .

(٢) انظر الدر المنثور ج٣ ص١٩٩ ، وينابيع المودة ج١ ص ٩٤ .

(٣) انظره في إحقاق الحق للعلامة آية عشرين .

(٤) سورة الأنفال؛ الآية: ٦٤ .

(٥) سورة المائدة؛ الآية: ٥٤ .

(٦) انظر النيسابوري ج ٢ ص ٢٨ ، وتفسير الرازي ج٣ ص ٦١٢ .

(٧) سورة البينة؛ الآية: ٧ .

(٨) انظر الدر المنثور ج٦ ص ٣٧٩ ، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي في فضائل علي عليه السلام طـ إيران سنة ١٣٠٣ .

(٩) انظر الصواعق ص ٩٦ .

(١٠) ص ٩٢ طـ إيران سنة ١٢٩٤ .

(١١) سورة التحريم؛ الآية: ٤ .

(١٢) انظر الدر المنثور ج٦ ص ٢٤٤ ، وينابيع المودة ج١ ص ٩٣ .

المؤمنين عليه السلام، وان الخطاب لعائشة وحفصة وتقريب الاستدلال ما تقدم. وممن روى ذلك صاحب كشف الغمة[1] وأبو يوسف النسوي والسدي والثعلبي في تفسيرهما وغيرهم. ولو رمنا الاتيان بجميع الآيات الواردة في علي عليه السلام وأهل بيته مما يدل على أولويته بالخلافة وأفضليته لخرجنا عن المقصود، وفيما ذكرناه كفاية، ومن أراد استقصاء ذلك فعليه بمطالعة كتب آية الله في العالمين[2] في الرد على المخالفين وغيره من علمائنا رضوان الله عليهم أجمعين في الإمامة.

٣ ـ الأخبار الدالة على تعيين علي عليه السلام :

في الأخبار المروية من طرق الجمهور وهي لا تحصى نذكر منها شيئاً مقنعاً :

الأول : ما روى العامة بأسرهم بطرق متواترة وأسانيد متظافرة تنيف على مائة طريق واتفقوا على صحته واعترفوا بوقوعه وهو حديث الغدير[3] وملخصهُ أنهُ لما نزل في حجة الوداع قوله تعالى : **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالتهُ والله يعصمك من الناس﴾**[4]. وكان النبي صلى الله عليه وآله في غدير خم وقت القيلولة في شدة الحر بحيث لو وضع اللحم على الأرض لشوي فأمر باجتماع الناس وعمل له منبر من أحجار فقام عليه خطيباً ثم قال : أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم، قالوا بلى يا رسول الله، فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. وفي بعض رواياتهم فقال له عمر بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ثم نزل بعد ذلك قوله تعالى : **﴿اليوم أكملت لكم دينكم**

---

(١) ص٩١ .

(٢) هو العلامة الحلي .

(٣) انظر الصواعق لابن حجر في الشبهة الحادية عشرة ص ٢٥، والحاكم في المستدرك ج٣ ص ١٠٩، وكنز العمال ج٦ ص ٣٩٠ وص ٣٩٧ وص ٤٠٣ وص ٤٠٧، ومسند أحمد ج ١ في مسند علي ص ١١٩ وج٤ منه ص ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٢٨١، وخصائص النسائي ص ١٥ و ١٨ والمواقف وشرحها، وشرح التجريد للقوشجي، والسيرة الحلبية ج٣ ص ٣٠٢، الدر المنثور للسيوطي ج٢، ص ٢٥٩، ونور الأبصار ص ٦٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥، والعقد الفريد ج٢ ص١٩٤، والاستيعاب ج٢ ص ٤٧٣ بترجمة أمير المؤمنين عليه السلام، وانظر المحاضرات للراغب ج٢ ص ٢١٣، والعقد الفريد ج٢ أحوال عمر تجد اعتراف عمر بأحقية علي عليه السلام للخلافة .

(٤) سورة المائدة؛ الآية: ٦٧ .

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[1]. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء الرب .

وحديث الغدير مما اتفق عليه جميع فرق الإسلام حتى النواصب والخوارج وهو متواتر من طرقهم رواه البخاري وأحمد بن حنبل والثعلبي في تفسيره وابن المغازلي الشافعي في كتاب المناقب من طرق شتى وابن عقدة بمائة وخمس طرق، وذكر ابن طاوس[2] من علمائنا ان الذين صنفوا كتباً في هذا المطلب ورووا حديث الغدير منهم مسعود بن ناصر السجستاني الذي هو من ثقات علماء المخالفين، روى الحديث عن مائة وعشرين شخصاً من الصحابة. ورواه محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ في كتاب الرد على الحرقوصية بخمس وسبعين طريقاً، ورواه أبو القاسم الحسكاني بطرق كثيرة، ورواه ابن عقدة الحافظ في كتاب الولاية بمائة وخمس طرق، وذكر الشيخ ابن كثير الشامي الشافعي عند ذكر أحوال محمد بن جرير الطبري الشافعي قال : إني رأيت كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين وكتاباً جمع فيه أحاديث طرق الغير، ونقل عن ابن المعالي الجويني أنه كان يتعجب ويقول شاهدت مجلداً ببغداد في يد صحاف فيه روايات هذا الخبر مكتوباً عليه المجلدة الثامنة والعشرون من طرق من كنت مولاه فعلي مولاه ويتلوه المجلد التاسع والعشرون، وبالجملة فهذا الحديث متواتر من طرقهم ولما ضاق عليهم الخناق التجأوا إلى تأويلاته بتأويلات فاسدة وتمويهات كاسدة، يبطلها الوجدان ويكذبها العيان وتشهد ببطلانها الإنس والجان وتضحك منها الأطفال والصبيان، فقالوا إن المولى له معاني كثيرة في اللغة سوى الأولى بالتصرف كالرب والمالك والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع وابن العم والحليف والمعاهد والعبد والمعتوق والمنعم عليه، فلم لا تحملوه على أحد هذه المعاني دون الأولى بالتصرف. ونحن نقول إن فتح باب التأويل يفضي إلى الإلحاد والتضليل وان سياق الحديث وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ينادي بأفصح لسان على التعيين والمعاني المذكورة كلها لا يصح حمل الحديث عليها، وما يتخيلوه من إمكان الحمل على المحبة والنصرة والولاء ففاسد إذ لا اختصاص لهذه الأمور به عليه السلام ، على أن المقام وشدة الاعتناء بهذا الشأن وجمع الناس في هذا الحر الشديد والنزول في أثناء الطريق والأمر بالتبليغ والتهديد على ذلك ونزول الآية في إكمال الدين ونحو ذلك من هذه الأمور مما يحيله العقل والعادة أن يكون لبيان أمر

---

(١) سورة المائدة؛ الآية: ٣ .

(٢) انظر الاقبال للسيد ابن طاوس في أعمال يوم الغدير ص ٧٦٢ طبعة الأعلمي .

واضح لا يخفى على أحد ككونه ابن عمه وناصره ومعينه وسحبه .

الثاني : ما رواه أحمد بن حنبل[١] في مسنده قال قال رسول الله : كنت أنا وعلي بن أبي طالب نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله تعالى آدم قسم ذلك النور جزءين فجزء أنا وجزء علي. وفي حديث آخر رواه ابن المغازلي الشافعي فلما خلق الله آدم وكتب ذلك النور في صلبه فلم يزل في نبي واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ففيّ النبوة وفي علي الخلافة. وفي خبر رواه ابن المغازلي عن جابر وفي آخره حتى قسمها جزءين جزء في صلب عبد الله وجزء في صلب أبي طالب فأخرجني نبياً وأخرج علياً وصياً .

الثالث : روى أحمد بن حنبل[٢] في مسنده أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[٣]. جمع النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته ثلاثين فأكلوا وشربوا ثلاثاً ثم قال لهم : من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون خليفتي ويكون معي في الجنة. فقال علي عليه السلام أنا. فقال صلى الله عليه وآله أنت. ورواه الثعلبي في تفسيره بعد ثلاث مرات في كل مرة يسكت القوم غير علي عليه السلام .

الرابع : ما رواه العلامة رحمه الله في نهج الحق وأقره الناصب على ذلك[٤] عن المسند أي مسند ابن حنبل عن سلمان رحمه الله أنه قال يا رسول الله ومن وصيّك. قال يا سلمان من كان وصي أخي موسى، قال يوشع بن نون قال فإن وصيي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب عليه السلام[٥]

الخامس : ما رواه[٦] أيضاً عن كتاب ابن المغازلي الشافعي وأقره الناصب عليه

---

(١) انظر شرح النهج ج٢ ص ٤٥٠ فانه نقل ذلك عن مسند أحمد وعن كتاب الفردوس، وانظر تذكرة الخواص ص ٢٨ .

(٢) انظر مسند أحمد ج١ ص ١١١، وكنز العمال ج٦ ص ٣٩٧، وتاريخ الطبري ج٢ ص ٢١٧، وكامل ابن الأثير ج٢ ص ٢٤، وشرح النهج ج٣ ص ٢٦٣ .

(٣) سورة الشعراء؛ الآية: ٢١٤ .

(٤) هو ابن روزبهان .

(٥) أحاديث الوصية كثيرة جداً بل هي متواترة عند القوم معنى وقد ذكر في الباب الخامس عشر وغيره من ينابيع المودة أحاديث جمة منها عن مسند أحمد وسطر ابن أبي الحديد ثلاث صحائف في أوائل الجزء الأول من الشعر المقول في صدر الإسلام الكثير من وجوههم يتضمن بيان الوصية لأمير المؤمنين عليه السلام .

(٦) أي العلامة الحلي رحمه الله في نهج الحق .

بإسناده عن رسول الله ﷺ انه قال لكل نبي وصي ووارث وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب[١] .

السادس : ما رواه[٢] عن مسند ابن حنبل وعن الجمع بين الصحاح الستة واقره الناصب أن رسول الله ﷺ بعث براءة مع أبي بكر إلى أهل مكة فلما بلغ ذا الحليفة بعث إليه علياً عليه السلام فرده، فرجع أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أنزل فيّ شيء قال لا ولكن جبرائيل جاءني وقال لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك[٣] .

السابع : ما رواه بطرق عديدة وهو مروي في صحيح مسلم وصحيح البخاري وصحيح الترمذي وغيرها حتى اعترف النواصب كابن حجر وغيره بصحته، وهو حديث المنزلة وقوله ﷺ لعلي عليه السلام أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[٤] ولا يخفى ما فيه من الدلالة الفصيحة والمقالة الصريحة بعد قوله تعالى حكاية عن موسى : **﴿وأجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري﴾**[٥] . على عموم المنزلة وإلا لما صح الاستثناء ومن منازل هارون أنه لو عاش بعد موسى لكان خليفة له بقوله اخلفني في قومي فيكون كذلك بعد وفاته وإلا لكان معزولاً عن تلك الولاية وهو باطل، ولأنه كان مولى مفترض الطاعة فلو عاش وجبت عليهم إطاعته .

---

(١) رواه الذهبي في ميزان الاعتدال بترجمة شريك بن عبد الله ونقله السيوطي في اللئالىء بطريقين ونقله في ينابيع المودة في الباب الخامس عشر والباب السادس والخمسين .

(٢) هو العلامة رحمه الله في نهج الحق .

(٣) انظر مسند أحمد ج١ ص ٣ وص ١٥١ وج٣ منه ص ٢٨٣ وج٤ منه ص ١٦٤ و ١٦٥ وكنز العمال بتفسير سورة التوبة ج١ ص٢٤٦، و٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩وج٦ منه في فضائل علي عليه السلام ص ١٥٣، وسنن الترمذي في فضائل علي وفي تفسير سورة التوبة، ومستدرك الحاكم في كتاب المغازي ج٢ ص ٥١ ومنه في تفسير سورة التوبة ص ٣٣١، وابن حجر في صواعقه في الشبهة الثانية ص ١٩، وخصائص النسائي ص ٤، والاصابة لابن حجر بترجمة علي عليه السلام ج٢ ص ٥٠٩ .

(٤) انظر صحيح البخاري ج٢ ص ١٨٥ في مناقب علي عليه السلام وج٣ منه ص ٥٤ في باب غزوة تبوك من كتاب المغازي، وصحيح مسلم ج٢ ص ٢٣٦ و٢٣٧ ومسند أحمد في وجه تسمية الحسنين بالحسنين ج١ ص ٩٨ و ١١٨ و ١١٩، والصواعق لابن حجر ص ٣٠، و ٧٤، ونور الأبصار للشبلنجي ص ٦٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥، والعقد الفريد ج ٢ ص ١٩٤، وخصائص النسائي ص ٧ و ٢٣، والاستيعاب بترجمة علي عليه السلام ج٢ ص ٤٧٣، وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٢ و ١٥٣ .

(٥) سورة طه؛ الآية: ٣٠ .

الثامن : ما رواه العلامة رحمه الله واقره الناصب واعترف به عن مسند أحمد بن حنبل من عدة طرق كان النبي صلى الله عليه وآله آخى بين الناس وترك علياً حتى بقي آخرهم لا يرى له أخاً فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك وتركتني، فقال صلى الله عليه وآله : إنما تركتك لنفسي أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يدعيها بعدك إلا كذاب[١]، والذي بعثني بالحق نبياً ما أخرتك إلا لنفسي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وأنت أخي ووارثي. وفي الجمع بين الصحاح الستة عن النبي صلى الله عليه وآله قال مكتوب على باب الجنة محمد رسول الله علي أخو رسول الله قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بألفي عام .

التاسع : ما رواه عن مسند ابن حنبل والصحاح الستة واعترف به الناصب من عدة طرق عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : إن علياً مني وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي لا يؤدي عني إلا أنا أو علي. وفيه أيضاً أنه لما قتل علي أصحاب الألوية يوم أُحد قال جبرائيل لرسول الله إن هذه لمواساة، فقال النبي صلى الله عليه وآله إن علياً مني وأنا منه، فقال جبرائيل وأنا منكما يا رسول الله[٢] .

العاشر : ما رواه عن مسند ابن حنبل واعترف به الناصب عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله : إني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي الثقلين، واحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض[٣] . ورواه أحمد من عدة طرق .

---

(١) انظر ينابيع المودة الباب التاسع، والترمذي في فضائل علي عليه السلام، والاستيعاب بترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ج٢ ص ٤٧٣، والحاكم في المستدرك في كتاب الهجرة.. ج٣ ص ١٤ و ١٢٠، وكنز العمال ج٦ ص ٣٩٤ و ٤٩٩ و ١٥٤ و ٤٠٠ وصواعق ابن حجر ص ٧٥، ونور الأبصار للشبلنجي ص ٧٠، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٦ .

(٢) انظر الحاكم في المستدرك ج٣ ص ١١٠، وسنن الترمذي في مناقب علي عليه السلام، ومسند أحمد ج٤ ص ٤٣٧ وج٥ منه ص ٣٥٦، وكنز العمال ج٦ ص ١٥٢ و ١٥٤ و ٤٠٠، والطبري في تاريخه ج٣ ص ٧، وكامل ابن الأثير ج٢ ص ٦٣، وصحيح البخاري في باب عمرة القضاء من كتاب المغازي ج٣ ص ٣٦ ومنه في كتاب الصلح ج٢ ص ٧٠ ومنه في مناقب علي عليه السلام ص ١٨٤، والصواعق لابن حجر ص ٧٥، وشرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٣٧١، ونور الأبصار ص ٧٠، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥ .

(٣) انظر مسند أحمد ج٣ ص ١٧ و ٥٩ وج٤ منه ص ٣٦٧ وج ٥ منه ص ١٨٢ و ١٨٩، وصحيح مسلم في فضائل علي عليه السلام ج٢ ص ٢٣٨، والصواعق لابن حجر ص ٩١ في الآية الرابعة من=

وفي صحيح مسلم في موضعين عن زيد بن أرقم قال خطبنا رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة ثم قال بعد الوعظ : أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله فيه النور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي .

وروى الزمخشري وكان من أشد الناس عناداً لأهل البيت وهو الثقة المأمون عند الجمهور بإسناده قال قال رسول الله ﷺ : فاطمة مهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي وبعلها نور بصري والأئمة من ولدها أحباء ربي وحبل ممدود بينه وبين خلقه من اعتصم بهم نجا ومن تخلف عنهم هوى .

وروى الثعلبي في تفسير قوله تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[(١)] . بأسانيد متعددة عن رسول الله قال : أيها الناس قد تركت فيكم الثقلين خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض .

وفي الجمع بين الصحيحين قال ﷺ إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأُجيب وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به وأهل بيتي أُذكركم الله في أهل بيتي خيراً .

وفي هذه الأخبار دلالة صريحة ومقالة فصيحة على أن أهل البيت هم خلفاء النبي ﷺ وانه يجب الرجوع إليهم والأخذ منهم والتعويل عليهم والتسليم لهم والركون إليهم، فعليك بالانصاف أيها الناظر والتدبر في أن العامل بهذه الوصايا والتأكيدات الصادرة عمن لا ينطق عن الهوى هل هم الإمامية أم المخالفون الذين لا يجسر أحد على ذكر أهل البيت بفضيلة عندهم . ومن الأمر الغريب والعجب العجيب قول الناصب الفضل بن روزبهان بعد نقل هذه الأخبار، أقول هذه الأخبار[(٢)] بعضها في الصحاح

= الآيات الواردة في أهل البيت عليهم السلام ، والحاكم في المستدرك ج٣ ص ١٠٩ ، واسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار للشبلنجي ص ٨٥ ، ٨٦ ، وتفسير الفخر سورة آل عمران ج٣ ص ٢٤ .

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ١٠٣ .

(٢) انظره بعد تمام الحديث الخامس والعشرين من كتاب نهج الحق في الأحاديث الدالة على إمامته عليه السلام .

وبعضها قريب المعنى منها، وحاصلها التوصية بحفظ أحكام الكتاب وأخذ العلم منه ومن أهل البيت وتعظيم أهل البيت ومحبتهم وموالاتهم، وكل هذه الأمور فريضة على المسلمين ولا قائل بعدم وجوبه على كل مسلم، ولكن ليس فيما ذكر نص على خلافة علي بعد رسول الله ﷺ لأن هذا هو الوصية بالحفظ وأخذ العلم منهم وجعلهم قرناء للقرآن يدل على وجوب التعظيم وأخذ العلم عنهم والاقتداء بهم في الأعمال والأقوال وأخذ طريق السنة والمتابعة من أعمالهم إلى آخر كلامه السخيف الواهي، فانظر إلى هذا الناصب لا يستحي من الكذب مع أنهم انتسبوا إلى المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي ولم ينتسبوا إلى أحد من أهل البيت، وإذا نسب أحد إلى المذهب الجعفري استحلوا قتله وسفكوا دمه وانتهكوا حرمته، وانظر إلى ادعائهم حفظ أهل البيت ووصية النبي فيهم والتأكيد في ذلك عليهم وقد سفكوا دماءهم واستحلوا قتلهم، وكان معاوية (لعه) يلعن أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر وفي قنوت الصلاة وحاربه واستحل قتله وقتل أصحابه ومع ذلك قالوا بنجابته وإذا سبه أو لعنه أحد من المؤمنين قاتلوه، ويزيد (لعه) قد قتل سيد شباب أهل الجنة ونور عين سيد الأمة ومع ذلك قد تولوه ولم يرضوا بلعنه وسبه حشرهم الله معه ومع أبيه، وكان إمامهم أبو حنيفة يقول قال علي وأقول أنا ولم يزل مجتهداً في مخالفة أهل البيت حكم الله بيننا وبينهم بالحق .

الحادي عشر : ما رواه[1] ولم يسع الناصب إنكاره[2] عن مسند أحمد بن حنبل من عدة طرق وعن الجمع بين الصحاح الستة عن أم سلمة قالت : كان رسول الله ﷺ في بيتي فأتت فاطمة فقال ادعي زوجك وابنيك فجاء علي وفاطمة والحسن والحسين وكان تحته كساء خيبري فأنزل الله تعالى : **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾**[3][4] . فأخذ فضل الكساء وكساهم به ثم أخرج يده فأومى بها إلى

---

(١) أي العلامة في كشف الحق .

(٢) هو الفضل بن روزبهان انظره في رد كشف الحق ونهج الصدق للعلامة رحمه الله .

(٣) انظر ما رواه مسلم في باب فضائل أهل بيت النبي ج٢ ص ٢٤٢ وفيه من باب فضائل علي ص ٢٣٧، ومسند أحمد ج٣ ص ٢٥٩ و ٢٨٥ وج٦ منه ٢٩٢ و ٣٠٤ و ٢٩٦، و٣٢٣، والحاكم في المستدرك في تفسير سورة الأحزاب ج٢ ص ٤١٦ وج٣ منه ص ١٤٧ و ١٥٨، والزمخشري في كشافه في تفسير سورة آل عمران ص ١٤٩، ونور الأبصار للشبلنجي ص ٩٩، والعقد الفريد ج٢ ص ١٩٤، وخصائص النسائي ص ٣ و ٧، والاستيعاب بترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ج٢ ص ٤٧٣ .

(٤) سورة الأحزاب؛ الآية: ٣٣

السماء وقال هؤلاء أهل بيتي وخاصتي اللهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فأدخلت رأسي البيت وقلت وأنا معكم يا رسول الله قال إنك إلى خير إنك إلى خير. وقد روي نحو هذا المعنى من صحيح أبي داود وموطأ مالك وصحيح مسلم في عدة مواضع وعدة طرق .

الثاني عشر : ما رواه[1] واعترف به الناصب[2] عن مسند أحمد بن حنبل قال قال رسول الله ﷺ النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت ذهبوا وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض[3]. ورواه صدر الأئمة موفق بن أحمد المكي. وفي مسند أحمد قال رسول الله ﷺ : اللهم إني أقول كما قال أخي موسى اجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي أشدد به أزري واشركه في أمري .

الثالث عشر : الأحاديث التي رووها في صحاحهم عن النبي ﷺ أنه نص على أن خلفاءه اثنا عشر مما لا ينطبق إلا على مذهب الإمامية وستأتي مفصلة إن شاء الله تعالى .

---

(١) هو العلامة الحلي رحمه الله .

(٢) هو الفضل بن روزبهان.

(٣) انظر الصواعق لابن حجر ٩٣ وكنز العمال في فضائل أهل البيت ج٦ صفحة ٢١٧ والحاكم في المستدرك ج٣ صفحة ١٤٩ .

الفصل الثالث

فضائل الامام علي عليه السلام

١ ـ الأخبار الدالة على أفضلية علي عليه السلام :

في الأخبار التي رووها وتدل على أفضليته عليه السلام على غيره، وجامعيته عليه السلام لأوصاف ونعوت لم تجتمع في غيره فيكون هو الإمام. وهذه الأخبار كثيرة جداً غير محصية عداً، منها ما رواه العلامة في نهج الحق ولم يسع الناصب إنكاره عن الجمع بين الصحاح الستة عن النبي صلى الله عليه وآله قال : رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيثما دار[1] .

وروى الجمهور أنه صلى الله عليه وآله قال لعمار رحمه الله : سيكون في أُمتي بعدي هنات واختلاف حتى يختلف السيف بينهم حتى يقتل بعضهم بعضاً ويبرأ بعضهم من بعض، يا عمار تقتلك الفئة الباغية وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك إن علياً لن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى، يا عمار من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در، ومن تقلد سيفاً أعان به عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الذي عن يميني يعني علياً، وإن سلك الناس كلهم وادياً فاسلك وادياً سلكه علي وخل الناس طرا، يا عمار إن علياً لا يزال على هدى، يا عمار إن طاعة علي من طاعتي وطاعتي من طاعة الله .

وروى أحمد بن موسى بن مردويه من الجمهور من عدة طرق عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : الحق مع علي وعلي مع الحق لن يفترقا حتى يردا علي الحوض .

---

(١) انظر الترمذي في فضائل علي، والحاكم في المستدرك ج٦ صفحة ١٢٤، والصواعق لابن حجر في الشبهة الحادية عشرة صفحة ٢٥، وكنز العمال ج٦ صفحة ١٥٧، وشرح النهج الحديدي ج١ صفحة ٢١٢ وج٢ منه ص ٤٢٢ .

وروى أحمد بن حنبل في مسنده[1] أن النبي ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين وقال من أحبني وأحب هذين وأباهما وأُمهما كان معي في درجتي يوم القيامة . وفيه عن جابر قال قال رسول الله ﷺ ذات يوم بعرفات وعلي تجاهه : ادنو مني يا علي خلقت أنا وأنت من شجرة فأنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة. وفي مسند أحمد بن حنبل من عدة طرق[2] إن النبيّ قال : من آذى علياً فقد آذاني، أيها الناس من آذى علياً بعث يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً. وقد اتضح العذر بهذه الأخبار وما يأتي بعدها لمعاوية وأُم المؤمنين وطلحة والزبير .

وعن مسند أحمد وصحيح مسلم قال : لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يقول سلوني إلا علي بن أبي طالب عليه السلام[3] وقال ﷺ : أنا مدينة العلم وعلي بابها[4]. وعن مسند أحمد بن حنبل والجمع بين الصحاح الستة عن أنس بن مالك قال كان عند النبي ﷺ طائر قد طبخ له فقال : اللهم اءتني بأحب الناس إليك يأكل معي، فجاء علي عليه السلام فأكل منه معه[5]. ومنه عن ابن عباس أنه لما حضرتهُ الوفاة قال : اللهم إني أتقرب إليك بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام[6]. وقال الناصب[7] حديث الطير مشهور وهو فضيلة عظيمة ومنقبة جسيمة. وعن مسند أحمد بن حنبل والجمع بين الصحيحين

---

(١) انظر مسند أحمد ج١ صفحة ٧٧، والترمذي في مناقب علي عليه السلام، والفخر في تفسيره جزء ٧ صفحة ٤٠٥ .

(٢) انظر مسند أحمد ج٣ ص ٤٨٣، ومستدرك الحاكم ج٣ ص ١٢٢، وكنز العمال ج٦ ص ١٥٢، والاستيعاب بترجمة علي عليه السلام ص ٤٧٤، والصواعق لابن حجر ص ٧٦، ونور الأبصار ص ٧١، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٦.

(٣) انظر الاستيعاب بترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٤٧٥، وابن حجر في الصواعق في الفصل الثالث ص ٧٨، وكنز العمال ج ٦ ص ٣٩٧.

(٤) انظر مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٦، وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٢ و ١٥٦ و ٤٠١، والصواعق لابن حجر ص ٧٥، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٦، والاستيعاب بترجمة علي عليه السلام ج٢ص٤٧٤ .

(٥) انظر الترمذي في صحيحه، وخصائص النسائي ص ٤، والحاكم في المستدرك ج٣ ص ١٣٠، وكنز العمال ج٦ ص ٤٠٦، والسبط بن الجوزي في تذكرة الخواص ص ٢٣، وينابيع المودة في الباب الثامن .

(٦) انظر الرياض النضرة في مناقب العشرة ج٢ ص ١٧٢ .

(٧) هو الفضل بن روزبهان انظر مقالته في حقائق الحق الحديث الثامن عشر .

والجمع بين الصحاح الستة أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق[١] .

وفي المسند ان رسول الله ﷺ قال : إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. فقال أبو بكر أنا يا رسول الله قال لا، قال عمر انا هو يا رسول الله قال لا، ولكنه خاصف النعل وكان علي يخصف نعل رسول الله في الحجرة عند فاطمة عليها السلام[٢]

وفي الجمع بين الصحاح الستة قال ﷺ : لتنتهن معاشر قريش أو ليبعثن الله عليكم رجلاً مني امتحن الله قلبه للإيمان يضرب رقابكم على الدين. قيل يا رسول الله أبو بكر قال لا، قيل عمر قال لا، ولكن خاصف النعل في الحجرة يعني علياً[٣] .

وفي المسند أن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام : إن فيك مثلاً من عيسى بن مريم أبغضته اليهود حتى بهتوا الله وأحبته النصارى حتى أنزلوه المنزل الذي ليس بأهل[٤] .

وروي عن الجمهور واعترف به الناصب أنه برز الإيمان كله إلى الكفر كله[٥]. قال الناصب صح هذا أيضاً في الخبر وهذا من مناقبه وفضائله التي لا ينكرها إلا سقيم الرأي ضعيف الإيمان .

وعن مسند ابن حنبل واعترف به الناصب أن النبي أمر بسد الأبواب في المسجد إلا

---

(١) انظر الصواعق لابن حجر ص ٧٥، والترمذي في فضائل علي عليه السلام، وصحيح مسلم في ج١ ص ٣٥، وكنز العمال في فضائل علي عليه السلام ج٦ ص ١٥٢ و ٣٩٠ و ٣٩٤، والحاكم في المستدرك في مناقب علي عليه السلام ج٣ ص ١٢٩، والفخر في تفسيره ج٧ ص ٤٠٥، ونور الأبصار ص ٧٠، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٦، وخصائص النسائي ص ١٩ .

(٢) انظر مسند أحمد ج٣ ص ٣٣ و ٨٣، والحاكم في المستدرك ج٣ ص ١٢٣، وكنز العمال ج٦ ص ١٥٥ و٣٩٠ و٣٩١، والنسائي في خصائصه ص ٢٩، وابن حجر في الصواعق في فضائل علي ص ٧٦، وتاريخ الخلفاء ص ٦٧، والاصابة لابن حجر ج١ ص ٢٥ .

(٣) انظر كنز العمال ج٦ ص ٣٩٦ و ٣٩٣ و ٤٠٧ و ٤٠٨، وخصائص النسائي ص ١٤، والصواعق لابن حجر من أحاديث فضل علي عليه السلام ص ٧٧، والاستيعاب بترجمة علي عليه السلام ج٢ ص ٤٤٧ .

(٤) انظر مسند أحمد ج١ ص ١٦٠، والنسائي في خصائصه ص ١٩، والحاكم في المستدرك ج٣ ص ١٢٣، والصواعق لابن حجر في فضائل علي ص ٧٦، وكنز العمال ج٦ ص ١٥٥ و ١٥٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٧، والعقد الفريد ج ٢ ص ١٩٤، والإستيعاب ج ٢ ص ٤٧٤.

(٥) أنظر شرح النهج ج ٤ ص ٣٤٤.

باب علي بن أبي طالب، فتكلم الناس فخطب رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإني لما أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي عليه السلام قال فيه قائلكم، والله ما سددت شيئاً ولا فتحته له ولكن أُمرت بشيء فاتبعته[1] .

وعن مسند أحمد من عدة طرق وصحيحي مسلم والبخاري من طرق متعددة والصحاح الستة أيضاً عن عبد الله بن بريدة قال : سمعت أبي يقول حاصرنا خيبر وأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ثم أخذها عمر من الغد فرجع ولم يفتح له، وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد، فقال رسول الله ﷺ إني دافع الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرّاراً غير فرّار لا يرجع حتى يفتح الله له، فبات الناس يتداولون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا إلى رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطوها فقال ﷺ أين علي بن أبي طالب، فقالوا إنه أرمد العين فأرسل إليه فأتى فبصق رسول الله ﷺ في عينه ودعا له فبرء وأعطاه الراية ومضى عليه السلام فلم يرجع حتى فتح الله على يديه[2] . قال الناصب حديث خيبر صحيح وهذا من الفضائل العلية لأمير المؤمنين عليه السلام لا يكاد يشاركه فيها أحد، وكم من فضائل له مثل هذا .

وعن مسند ابن حنبل من طرق عديدة وصحيحي مسلم والبخاري من عدة طرق أن النبي ﷺ لما خرج إلى تبوك استخلف علياً على المدينة وعلى أهله، فقال علي وما كنت أوثر أن تخرج في وجه إلا وأنا معك، فقال ﷺ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[3] . قال الناصب هذا من روايات الصحاح .

---

(١) أنظر مسند أحمد ج ١ ص ١٧٥ و ٣٣١ وج ٢ منه ص ٢٦، وصواعق ابن حجر ص ٧٨، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٥، وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٢ و ٣٩١ و ٣٩٣ و ٤٠٨، والترمذي في فضائل علي عليه السلام، والسيوطي في اللئالي المصنوعة، وينابيع المودة في الباب السابع عشر، والسيرة الحلبية ج٣ ص ٣٧٣ و ٣٧٤، وخصائص النسائي ص ٩، والاصابة لابن حجر بترجمة علي عليه السلام ج٢ ص ٥٠٩ .

(٢) انظر مسند أحمد ج٥ ص ٣٥٣ و ٣٥٨، ومستدرك الحاكم في كتاب المغازي ج٣ ص ٣٧، وكنز العمال ج٥ ص ٢٨٣ وج ٦ منه ص ٣٩٤ و ٤٠٥، وتاريخ الطبري ج٣ ص ٩٣، وكامل ابن الأثير ج٢ ص ٩١، وصحيح البخاري ج٢ ص ١٨٤ في مناقب علي عليه السلام، وصحيح مسلم في باب فضائل علي عليه السلام ج٢ ص ٢٣٧، والزمخشري في كشافه ج٢ ص ٤٤٣ سورة المجادلة، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥، والعقد الفريد ج٢ ص ١٩٤، وخصائص النسائي ص ٣ و ٤ و ٢٣، والاستيعاب ج٢ ص ٤٧٣ بترجمة أمير المؤمنين عليه السلام، وصحيح البخاري أيضاً ج٣ ص ٣٧ ط مصر سنة ١٣٠٤، وتفسير الفخر الرازي سورة المائدة ج٣ ص ٦١٣ .

(٣) انظر الصواعق لابن حجر في الشبهة الثانية عشرة ص ٢٩ و ٧٤ في مآثره وفضائله عليه السلام، =

وفي الصحيحين أن النبي لما أراد المباهلة بنصارى نجران احتضن الحسين عليه السلام وأخذ بيد الحسن عليه السلام وفاطمة عليها السلام تمشي خلفه وعلي عليه السلام يمشي خلفها وهو يقول لهم إذا أنا دعوت فأمنوا[1]. وقال الناصب قصة المباهلة مشهورة وهي فضيلة عظيمة .

وفي الجمع بين الصحاح الستة وتفسير الثعلبي ورواية ابن المغازلي الشافعي آية المناجاة واختصاص أمير المؤمنين بها، تصدق بدينار حال المناجاة ولم يتصدق أحد قبله ولا بعده[2]، ثم قال علي عليه السلام : إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي : **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾**[3]. وبي خفف الرسول عن هذه الأمة فلم ينزل في أحد بعدي. قال الناصب هذا من فضائل أمير المؤمنين ولم يشاركه أحد في هذه الفضيلة وهي مذكورة في الصحاح .

ومن كتاب المناقب لأبي بكر أحمد بن مردويه وهو حجة عند المذاهب الأربعة، رواه بإسناده إلى أبي ذر رحمه الله قال دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا من أحب أصحابك إليك وإن كان أمر كنا معه وإن كانت نائبة كنا من دونه قال هذا علي أقدمكم سلماً وإسلاماً .

وعن الحافظ في قوله تعالى : **﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم﴾**[4]. بإسناده إلى السدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله إن ولاية علي يتساءلون عنها في قبورهم فلا يبقى ميت في شرق ولا غرب ولا في بر ولا في بحر إلا ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين بعد الموت، يقولان للميت من ربك وما دينك ومن نبيك ومن إمامك[5]. ومن الغريب أن

= وصحيح البخاري ج٣ ص ٥٤، وصحيح مسلم ج ٢ ص ٢٣٦ و ٢٣٧، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥، وخصائص النسائي ص ٣.

(١) أنظر الصواعق لابن حجر في مآثره وفضائله عليه السلام ص ٧٤ وفي الآيات الواردة فيهم عليهم السلام منه ص ٩٥، وصحيح مسلم في فضائل علي عليه السلام ج٢ ص ٢٣٧، وسنن الترمذي في فضائل علي عليه السلام، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥ .

(٢) انظر مستدرك الحاكم في تفسير سورة المجادلة ج٢ ص ٤٨٢، وتفسير الرازي ج٨ ص ١٦٧، والزمخشري ج٢ ص ٤٤٣، وأسباب النزول للواحدي وابن تيمية .

(٣) سورة المجادلة؛ الآية: ١٢ .

(٤) سورة النبأ؛ الآية: ٢ .

(٥) ورد في تفسير قوله تعالىٰ وقفوهم إنهم مسؤولون أي عن ولاية علي بن أبي طالب، ذكره ابن حجر في الصواعق ص ١٩ طـ مصر سنة١٣١٢، وذكره ابن الجوزي في التذكرة ص ١٠ .

الناصب قال في رد هذا الخبر، قال ما ذكر من أن المراد بعم علي فلا يصح بحسب المعنى والتركيب ويكون هكذا علي يتساءلون عن النبأ العظيم. وهذا من جهله عجيب إذ ليس معنى الحديث أن عم عبارة عن علي عليه السلام بل النبأ العظيم هو علي أمير المؤمنين كما قيل :

هـو النبـأ العظيـم وفلـك نـوح ويـاب اللّـه وانقطـع الخطـاب

وروى الحافظ محمد بن موسى الشيرازي من علماء الجمهور واستخرجه من التفاسير الاثني عشر عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿**فاسألوا أهل الذكر**﴾[1] . قال هو محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام هم أهل الذكر والعلم والعقل والبيان، وهم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، والله ما يسمى المؤمن مؤمناً إلا كرامة لأمير المؤمنين عليه السلام . ورواه سفيان الثوري عن السدي عن الحرث .

وروى الثعلبي في تفسيره والنقاش في قوله تعالى : ﴿**الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وإنا إليه راجعون اولَئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولَئك هم المهتدون**﴾[2] . انها نزلت في علي عليه السلام لما وصل إليه قتل حمزة فقال إنا لله فنزلت .

وعن أبي هريرة قال قال علي بن أبي طالب يا رسول الله ايما أحب إليك أنا أم فاطمة، قال صلى الله عليه وآله فاطمة احب إليَّ منك وأنت أعز علي منها[3] وكأني بك وأنت على حوضي تذود عنه الناس وإن عليه الأباريق مثل عدد نجوم السماوات وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة إخواناً على سرر متقابلين أنت معي وشيعتك في الجنة، ثم قرأ رسول الله : ﴿**إخواناً على سرر متقابلين**﴾ لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه .

وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿**سلام على آل ياسين**﴾[4]. قال هم آل محمد[5]. قال الناصب صح هذا وآل ياسين آل محمد وعلي منهم .

وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿**ضرب الله مثلاً رجلين أحدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه أين ما يوجهه لا يأتي بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو**

---

(١) سورة النحل؛ الآية: ٤٣ .

(٢) سورة البقرة؛ الآية: ١٥٦ .

(٣) انظر الصواعق لابن حجر في فضائل أهل البيت صفحة ١١٧ .

(٤) سورة الصافات؛ الآية: ١٣٠ .

(٥) انظر الصواعق لابن حجر في الآيات الواردة فيهم صفحة ٩١ .

على صراط مستقيم﴾[1] . إن الذي يأمر بالعدل علي عليه السلام .

وروى ابن مردويه وغيره في قوله تعالى : **﴿فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون﴾**[2] . قال ابن عباس أي منتقمون بعلي منهم[3] .

وفي مسند أحمد بن حنبل في قوله تعالى : **﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾**[4] . هو علي عليه السلام حين أذن بالآيات من سورة براءة حين أنفذها النبي صلى الله عليه وآله مع أبي بكر وأتبعه بعلي فرده ومضى بها، وقال النبي صلى الله عليه وآله قد أُمرت أن لا يبلغها إلا أنا أو واحد مني .

وروى الحافظ بن مردويه عن جابر بن عبد الله قوله تعالى : **﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾**[5] . انها نزلت في ولاية علي عليه السلام .

وروى اخطب خوارزم من الجمهور بإسناده إلى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو أن الرياض أقلام والبحر مداد والجن حُسّاب والإنس كُتّاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام[6] . وروى أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالسماع، ومن نظر إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر، ثم قال النظر إلى علي عبادة وذكره عبادة ولا يقبل الله إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه[7] .

---

(١) سورة النحل؛ الآية: ٧٦ .
(٢) سورة الزخرف؛ الآية: ٤١ .
(٣) انظر ينابيع المودة في الباب السادس والعشرين، والسيوطي في الدر المنثور ج٦ صفحة ١٨، والحاكم في المستدرك ج٢ صفحة ٤٤٧، في تفسير سورة الزخرف والنيشابوري ج٣ في السورة المذكورة .
(٤) سورة التوبة؛ الآية: ٣ .
(٥) سورة يونس؛ الآية: ٢ .
(٦) انظر أواثل تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي صفحة ٨، وينابيع المودة في الباب السادس والخمسين والباب الأربعين .
(٧) انظر مستدرك الحاكم ج٣ صفحة ١٤١ .

٢ ـ ما رواه ابن حجر من فضائل الإمام علي عليه السلام :

اعلم أن الناصبي ابن حجر قد ألف كتاباً في الرد على الفرقة المحقة والطائفة الحقة وفي تكفيرهم وتكذيبهم، وذكر جملة من المفتريات التي هي أوهن من بيت العنكبوت وانه لأوهن البيوت مستدلاً بها على إثبات فضيلة ومنقبة لأئمته حتى يثبت خلافتهم بها، ومع ذلك قد أجرى الحق على لسانه فذكر في صواعقه أحاديث عجيبة وروايات غريبة مع شدة تعصبه وعناده، وهنا نلخص جملة وافية من كلامه(١) :

قال اسلم علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين وقيل تسع وقيل ثمان وقيل دون ذلك قديماً، قال ابن عباس وانس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة أنه أول من أسلم ونقل بعض الاجماع عليه، ونقل أبو اليعلى عنه عليه السلام قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء، وأخرج ابن سعد عن الحسن بن زيد بن الحسن قال لم يعبد الأوثان لصغره، ومن ثم يقال فيه كرم الله وجهه، ثم قال وفضائله كثيرة شهيرة حتى قال أحمد ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي عليه السلام . وقال إسماعيل القاضي والنسائي وأبو يعلى النيسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثـر ما جاء في فضل علي عليه السلام .

ثم روى عن سعد بن أبي وقاص وأحمد البزاز عن أبي سعيد الخدري عن أسماء بنت عميس وأم سلمة وحبيش وجنادة وابن عمر وابن عباس وجابر بن سمرة وعلي والبراء بن عازب والطبراني ان رسول الله صلى الله عليه وآله خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان، فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي .

وأخرج الشيخان أيضاً عن سهل بن سعد، والطبراني عن ابن عمر وأبي ليلى وعمران بن حصين، والبزاز عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يده يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس يتفكرون أي يخوضون ويتحدثون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله كلهم يرجو أن يعطاها، فقال صلى الله عليه وآله أين علي بن أبي طالب، فقيل يشتكي عينه، قال فأرسلوا إليه فأتي به، فبصق رسول الله في عينه ودعا له فبرء حتى كأن لم يكن بهِ وجع،

(١) ما نقله المصنف رحمه الله عن ابن حجر انظره في الصواعق من صفحة ٧٣ إلى صفحة ١١٠ .

فأعطاه الراية .

وأخرج الترمذي عن عائشة قالت كانت فاطمة أحب النساء إلى رسول الله وزوجها علي أحب الرجال إليه .

وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال لما نزلت هذه الآية : ﴿وابنائنا وأبنائكم﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هؤلاء أهلي، وقال رسول الله يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. الحديث ورواه عن النبي ﷺ ثلاثون صحابياً وكثير من طرقه صحيح أو حسن .

وروى البيهقي أنه ظهر علي من البعد فقال النبي ﷺ هذا سيد العرب، فقالت عائشة ألست سيد العرب، فقال أنا سيد العالمين وهو سيد العرب، ورواه الحاكم في صحيحه عن ابن عباس بلفظ أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب .

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن بريدة قال، قال رسول الله ﷺ إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم، قيل يا رسول الله سمهم لنا، قال علي منهم وأبو ذر والمقداد وسلمان .

وأخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة عن حبيش بن جنادة قال قال رسول الله ﷺ علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا علي .

وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال آخى النبي بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه، فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد، فقال ﷺ أنت أخي في الدنيا والآخرة .

وأخرج مسلم عن علي قال والذي فلق الحبة وبرء النسمة أنه عهد النبي ﷺ إلي إنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق .

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً .

وأخرج البزاز والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله والطبراني والحاكم والعقيلي وابن عدي عن عمر والترمذي والحاكم عن علي عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ : أنا مدينة العلم وعلي بابها. وفي رواية فمن أراد العلم فليأت الباب. وفي أخرى عن الترمذي عن علي أنا دار الحكمة وعلي بابها. وفي أخرى عن ابن عدي علي باب علمي .

وأخرج الحاكم وصححه عن علي عليه السلام قال بعثني رسول الله إلى اليمن، فقلت يا رسول الله تبعثني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء، فضرب صدري بيده ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين .

وأخرج ابن سعد عن علي عليه السلام أنه قيل له ما لك أكثر أصحاب رسول الله حديثاً، قال عليه السلام كنت إذا سألته أنبأني وإذا سكت ابتدأني .

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الناس من شجر شتى وأنا وعلي من شجرة واحدة .

وأخرج البزاز عن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك .

وأخرج الطبراني والحاكم وصححه عن أُم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا غضب لم يتجرأ أحد أن يكلمه إلا علي .

وأخرج الطبراني والحاكم عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن النظر إلى علي عبادة. وإسناده حسن .

وأخرج أبو يعلى والبزاز عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آذى علياً فقد آذاني .

وأخرج الطبراني بسند حسن عن أُم سلمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انها قالت سمعت رسول الله يقول : من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله .

وأخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله قال لعلي إنك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله .

وأخرج الطبراني في الأوسط والصغير عن أُم سلمة قالت سمعت رسول الله يقول علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض .

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد قال اشتكى الناس علياً فقام رسول الله فينا خطيباً، فقال لا تشكوا علياً فوالله أنهُ لخشن في ذات الله، أو في سبيله .

وأخرج أحمد والضياء عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اني أُمرت بسد هذه

الأبواب غير باب علي فقال قائل، وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أُمرت بشيء فاتبعته .

وأخرج الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين ان رسول الله ﷺ قال ما تريدون من علي إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن من بعدي .

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : إن الله تعالى أمرني أن ازوج فاطمة من علي .

وأخرج الطبراني عن جابر والخطيب عن ابن عباس أن النبي قال ان الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب عليه السلام .

وأخرج الديلمي عن عائشة أن النبي ﷺ قال خير إخوتي علي، وخير أعمامي حمزة، وذكر علي عبادة .

وأخرج الديلمي عن عائشة والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال السبق ثلاثة، فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب يسين، والسابق إلى محمد ﷺ علي بن أبي طالب .

وأخرج ابن النجار عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : الصدّيقون ثلاثة حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب آل ياسين، وعلي بن أبي طالب عليه السلام . وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن أبي ليلى نحوه .

وأخرج الخطيب عن أنس قال قال ﷺ : عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب .

وأخرج الحاكم عن جابر أن النبي ﷺ قال : علي إمام البررة قاتل الفجرة منصور من نصره ومخذول من خذله .

وأخرج الدارقطني في الإفراد عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : علي باب حطة، من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً .

وأخرج الخطيب عن البراء والديلمي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : علي مني بمنزلة رأسي من بدني .

وأخرج البيهقي والديلمي عن انس أن النبي ﷺ قال : علي يزهر في الجنة

ككوكب الصبح لأهل الدنيا .

وأخرج ابن عدي عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : علي يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين .

وأخرج البزاز عن انس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال علي يقضي ديني .

وأخرج الشيخان عن سهل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجد علياً مضطجعاً في المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمسح عنه ويقول قم يا أبا تراب قم يا أبا تراب، ولذلك كانت هذه الكنية أحب الكنى إليه لأنه كناه بها .

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن عوف قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة انصرف إلى الطائف فحصرها سبع عشرة أو تسع عشرة ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اوصيكم بعترتي خيراً وإن موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلوات ولتؤتن الزكاة أو لأبعثن إليكم رجلاً مني وكنفسي يضرب أعناقكم، ثم أخذ بيد علي عليه السلام ثم قال وهو هذا. وفي رواية انه قال صلى الله عليه وآله وسلم في مرض موته أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً ينطلق بي وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ألا إني مخلف فيكم كتاب الله ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي عليه السلام فرفعها فقال هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فأسألهما ما خلفت فيهما .

وأخرج أحمد في المناقب عن علي عليه السلام قال طلبني النبي فوجدني نائماً في حائط فضربني برجله وقال قم فوالله لأرضينك أنت أخي وأبو ولدي فقاتل على سنتي، من مات على عهدي فهو في كنز الجنة ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه، ومن مات يحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت الشمس أو غربت .

وروى ابن السماك أن أبا بكر قال سمعت رسول الله يقول لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز .

وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة قال قال عمر بن الخطاب علي أقضانا .

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود قال أقضى أهل المدينة علي .

وعن سعيد بن المسيب قال كان عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن يعني علياً .

وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال ما أنزل الله تعالى : ﴿يا أيها

الذين آمنوا﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها وقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر علياً إلا بخير .

وأخرج ابن عساكر عنه قال ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي .

وأخرج الطبراني عنه قال نزلت في علي عليه السلام ثلاثمائة آية .

وأخرج الطبراني عنه قال كانت لعلي عليه السلام ثماني عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة .

وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة قال قال عمر بن الخطاب لقد أُعطى علي ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن أُعطي حمر النعم، فسئل وما هي قال تزويجه ابنته فاطمة عليها السلام وسكناه المسجد لا يحل فيه لأحد ما يحل له والراية يوم خيبر. وروى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه .

وأخرج أحمد وأبو يعلى بسند صحيح عن علي عليه السلام قال : ما رمدت ولا صرعت منذ مسح رسول الله وجهي وتفل في عيني يوم خيبر حين أعطاني الراية، ولما دخل الكوفة دخل عليه حكيم من العرب فقال والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك، ورفعتها وما رفعتك، وهي كانت أحوج إليك منك إليها .

وأخرج السلفي في الطبريات عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبي عن علي ومعاوية، فقال اعلم ان علياً كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه شيئاً فلم يجدوا فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيداً منهم له ومن كراماته الباهرة، إن الشمس ردت عليه لما كان رأس النبي في حجره والوحي ينزل عليه وعلي لم يصلِّ العصر فما سَري عنه صلى الله عليه وآله وسلم إلا وقد غربت الشمس، فقال النبي اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، فطلعت بعد ما غربت. وحديث ردها صححه الطحاوي والقاضي في الشفا، وحسّنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره، وردوا على جميع من قال انه موضوع وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة بردها إذ هو في محل المنع إذ فيها كرامة لعلي. قال سبط ابن الجوزي وفي الباب حكاية عجيبة حدثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق انهم شاهدوا أبا منصور المظفر بن اردشير العبادي الواعظ ذكر بعد العصر هذا الحديث ونمقه بألفاظه وذكر فضائل أهل البيت فغطت سحابة الشمس حتى ظن الناس أنها قد غابت، فقام على المنبر وأومأ إلى الشمس وأنشد :

لا تغــربـي يــا شمــس حتــى ينتهــي	مــدحــي لآل المصطفــى ولنجلــه
واثنــي عنــانــك إن أردت ثنــاءهــم	أنسيــت إذ كــان الــوقــوف لأجلــه
إن كــان للمــولــى وقــوفــك فليكــن	هــذا الــوقــوف لخيلــه ولــرجلــه

قالوا فانجاب السحاب وطلعت .

وأخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : ﴿**وقفوهم إنهم مسؤولون**﴾ عن ولاية علي عليه السلام وكان هذا هو مراد الواحدي بقوله في قوله تعالى : ﴿**وقفوهم انهم مسؤولون**﴾ عن ولاية علي عليه السلام وأهل البيت لأن الله تعالى أمر نبيه أن يعرف الخلق انه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلا المودة في القربى، والمعنى انهم يسألون هل والوهم حق الموالاة كما أوصاهم النبي، أم أضاعوها وأهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة .

وأخرج ابن سعد عن علي عليه السلام قال أخبرني رسول الله ﷺ أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين، قلت يا رسول الله فمحبونا، قال من ورائكم .

وأخرج الطبراني عن علي عليه السلام قال إن خليلي رسول الله ﷺ قال يا علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليه أعداؤك غضاباً مقمحين، قال وشيعته هم أهل السنة لأنهم الذين أحبوهم كما أمرهم الله ورسوله وأما غيرهم فأعداؤهم في الحقيقة .

الحمد لله الذي أجرى الحق على ألسنتهم، وجعل أعذارهم الفاسدة وتمويهاتهم الكاسدة حججاً واضحة ودلائل لائحة على بطلان مذهبهم وعقيدتهم وتعصبهم، فإن قرينة الإضافة واضحة على أن شيعته هم المختصون به وما عدا الإمامية شيعة جميع الخلفاء بزعمهم، فكان اسنادهم إلى الأول أو الثاني أولى وأقوى، ويحق للمخالفين أن يدعوا موالاته ومحبته وكونهم شيعته وكون شيعة أعدائه مع تقديمهم عليه غيره، وموالاتهم أعداءه ومعاداتهم أولياءه، ومع اعترافهم بكون معاوية وأُم المؤمنين وطلحة والزبير اعدى أعدائه، وانهم قاتلوه وحاربوه ولعنوه وسبوه على المنابر ونسبوا إليه كل منقصة ومع ذلك يوجبون موالاتهم ويحكمون بفسق وضلال من تبرء منهم وسبهم بل بكفره، اللهم احكم بيننا وبينهم بالحق وأنت خير الحاكمين. وقال في الصواعق أيضاً في قوله تعالى : ﴿**إن**

الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولٓئك هم خير البرية﴾[1]. أخرج الحافظ جمال الدين عن ابن عباس أن هذه الآية لما نزلت قال النبي لعلي أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين، فقال ومن عدوي، قال من تبرأ منك ولعنك. وقال ﷺ وخير السابقين إلى ظل العرش يوم القيامة طوبى لهم، قيل ومن هم يا رسول الله قال شيعتك يا علي ومحبوك .

وخرج عمرو الأسلمي وكان من أصحاب الحديبية مع علي إلى اليمن فرأى منه جفوة فلما قدم المدينة أذاع شكايته، فقال له النبي ﷺ والله لقد آذيتني، فقال أعوذ بالله أن اؤذيك يا رسول الله، فقال بلى من آذى علياً فقد آذاني. أخرجه أحمد، وزاد ابن عبد البر من احب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله. وكذلك وقع لبريدة أنه كان مع علي عليه السلام في اليمن فقدم مغاضباً عليه وأراد شكايته بجارية أخذها من الخمس، فقيل له أخبره يعني النبي ﷺ ليسقط علي من عينيه ورسول الله يسمع من وراء الباب، فخرج مغضباً فقال ما بال أقوام يبغضون علياً ألا من أبغض علياً فقد أبغضني ومن فارق علياً فقد فارقني إن علياً خلق من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم وأنا أفضل من إبراهيم : ﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾[2]. يا بريدة أما علمت أن لعلي عليه السلام أكثر من الجارية التي أخذ. الحديث .

وأخرج أحمد والترمذي عن جابر قال ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم علياً .

وأخرج الطبراني يا علي معك يوم القيامة عصى من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض. وأخرج الملا أن رسول الله ﷺ أرسل أبا ذر ينادي علياً فرأى رحى تطحن في بيته وليس معها أحد، فأخبر النبي بذاك فقال يا أبا ذر أما علمت أن لله ملائكة سياحين في الأرض قد وكلوا بمعونة آل محمد .

وأخرج ابن عبد البر أنه كان أبو بكر يكثر النظر إلى وجه علي عليه السلام فسألته عائشة، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول النظر إلى وجه علي عبادة. ومر نحو هذا وانه حديث حسن، ولما جاء أبو بكر وعلي إلى زيارة قبر رسول الله ﷺ بعد وفاته بستة أيام قال علي تقدم يا خليفة رسول الله، فقال أبو بكر ما كنت لأتقدم على رجل سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه علي مني كمنزلتي من ربي .

---

(١) سورة البينة؛ الآية: ٧ .

(٢) سورة آل عمران؛ الآية: ٣٤ .

وأخرج الدارقطني أن عمر سأل علياً عن شيء فأجابه فقال عمر أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن. وأخرج أيضاً انه قيل لعمر انك تصنع بعلي شيئاً ما تفعله ببقية الصحابة، فقال إنه مولاي. وأخرج أيضاً انه جاء أعرابيان يختصمان فأذن لعلي في القضاء بينهما فقضى، فقال أحدهما هذا يقضي بيننا فوثب إليه عمر وقال ويحك هذا هو مولاي ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن .

انتهى ما نقلناه من الصواعق المحرقة لابن حجر، وقد ذكر فضائل كثيرة سننقل جملة منها في أحوال باقي الأئمة عليهم السلام .

٣ ـ فضائل ومناقب الامام علي عليه السلام :

ولو رمنا الاتيان بجميع الأخبار التي رواها المخالفون فضلاً عن الإمامية في كتبهم وصحاحهم وزبرهم وبيناتهم لاحتجنا إلى جمع كتب كثيرة، فإن الفضائل التي ذكروها لا تحصى، والمناقب التي سطروها لا تستقصى، ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً والثقلان كتّاباً والملائكة حسَّاباً لما أحصوا عشر معشار مناقبه، كما ورد في الأثر والعيان يغني عن النقل والخبر، ولعمري لو لم يقع عليه نص بالخلافة لكانت صفاته الطاهرة ومناقبه الباهرة وأخلاقه الفاخرة ونعوته الزاهرة نصوصاً صريحة وبراهين صحيحة، فكيف وقد وقع ذلك .

قال الخليل بن أحمد النحوي احتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل دليل على أنه إمام الكل. وسئل عن مدحه فقال ما أقول في مدح امرىء كتمت أحباؤه فضائله خوفاً وأعداؤه حسداً، ثم ظهر ما بين الكتمين ما ملأ الخافقين، ولله در ابن أبي الحديد المعتزلي حيث قال في شرحه[1] أما فضائله فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمج معه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها، وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله، وقد غلب واستولى بنو أُمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في اطفاء نوره والتحريف عليه ووضع المعائب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعة وسمواً. وكان كالمسك كلما ستر

---

(١) انظر شرح النهج الحديدي ج١ ص ٥ إلى ص ١٠ .

انتشر عرفه وكلما كتم تضوع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبت منه عين واحدة أدركته عيون كثيرة أخرى. وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة وتنتمي إليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضمارها ومجلي حلبتها، كل من نزع فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى وعلى مثاله احتذى. ثم ذكر ان جميع الفرق تنتسب إليه. أما المعتزلة فرئيسهم واصل بن عطا وهو تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وهو تلميذ أبيه وأبو تلميذه عليه السلام. وأما الأشعرية فرئيسهم أبو الحسن الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي وهو أحد مشايخ المعتزلة الذين ينتهون إليه. وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر.

ثم قال ومن العلوم علم الفقه وهو أصله وأساسه وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه، أما أبو حنيفة فإنه تلميذ جعفر بن محمد عليه السلام وجعفر أخذ عن أبيه، أما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن وقرأ هو على أبي حنيفة. وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي، وهو ينتهي إليه. وأما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأي، وربيعة على عكرمة وعكرمة على ابن عباس وابن عباس على علي. وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر. وأيضاً فإن فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس، وكلاهما أخذا عن علي أما ابن عباس فظاهر وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه وقوله غير مرة لولا علي لهلك عمر، وقوله لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن، وقوله لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر. وقد روت العامة والخاصة قوله صلى الله عليه وآله وسلم أقضاكم علي والقضاء هو الفقه فهو إذاً أفقههم.

ومن العلوم علم التفسير، وعنه أُخذ ومنه تفرع وعن ابن عباس وهو المرجع قيل له أين علمك من ابن عمك فقال كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف، وأرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون وعنده يقفون، وقد صرح بذلك الشبلي والجنيد والبسطامي والكرخي.

ومن العلوم علم النحو والعربية وهو الذي ابتدعه ووضعه، ثم أطال في المدح إلى أن قال وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسانية والدينية وجدته ابن جلاها وطلاع ثناياها، أما الشجاعة فإنه أنسى الناس فيها من كان قبله، ومحى اسم من يأتي بعده ومقاماته في الحرب مشهورة تضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرّ

قطّ ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأُولى إلى ثانية، وفي الحديث كانت ضرباته وتراً. ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال ابن العاص لقد أنصفك، فقال معاوية ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق، أراك طمعت في إمارة الشام بعدي. وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، وجملة الأمر أن كل شجاع إليه ينتهي وباسمه ينادي في مشارق الأرض ومغاربها. وأما القوة والأيْد فبه تضرب الأمثال فيهما وهو الذي قلع باب خيبر واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه، وهو الذي قلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته بيده بعد عجز الجيش كله عنها وأنبط الماء من تحتها. وأما السخاء والجود فحاله فيه ظاهر، كان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده وفيه أنزل: **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا﴾**[1]. وروى المفسرون أنه لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية، فأنزل الله فيه: **﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية﴾**[2]. وروي عنه أنه كان يستقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده ويتصدق بالأجرة ويشد على بطنه حجراً.

وأما الحلم والصفح فكان أحلم الناس عن ذنب وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهر صحة ما قلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان اعدى الناس له وأشدهم بغضاً فصفح عنه، ثم ذكر شطراً كثيراً من ذلك إلى أن قال، وأما الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوه أنه سيد المجاهدين، فهل الجهاد لأحد من الناس إلا له وهذا من المعلومات بالضرورة كالعلم بوجود مكة والمدينة ومصر ونحوها.

وأما الفصاحة فهو إمام الفصحاء وسيد البلغاء وعن كلامه قيل دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

وأما سماحة الأخلاق وبشر الوجه وطلاقة المحيا والتبسم فهو المضروب به المثل، إلى أن قال وأما الزهد في الدنيا فهو سيد الزهاد وبدل الأبدال وإليه تُشَدُّ الرحال، ما شبع من طعام قط وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً، وكان ثوبه مرقعاً بجلد تارة وبليف أُخرى ونعلاه من ليف، وكان يلبس الكرابيس الغليظة فإذا وجد كمه طويلاً قطعه بشفرة ولم

---

(١) سورة الإنسان ؛ الآية: ٨ .

(٢) سورة البقرة؛ الآية: ٢٧٤ .

يخطه، وكان يأتدم إذا ائتدم بملح أو خل فإذا ترقى عن ذلك فببعض نبات الأرض، فإذا ارتفع عن ذلك فقليل من ألبان الإبل ولا يأكل اللحم إلا قليلاً، وهو الذي طلق الدنيا. وقال ابن أبي رافع دخلت عليه يوم عيد فقدم جراباً مختوماً فوجدنا فيه خبز شعير مرضوضاً فأكل، فقلت يا أمير المؤمنين كيف تختمه وما عهدتك بخيلاً، قال خفت هذين الولدين أن يلتاه بسمن أو بزيت .

وأما العبادة فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلي عليه ورده والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من ورده، وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده، وقيل لعلي بن الحسين وكان في غاية من العبادة أين عبادتك من عبادة جدك، فقال عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله ﷺ .

وأما قراءة القرآن والاشتغال به فهو المنظور إليه في هذا الباب، واتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه وأئمة القرآن كلهم يرجعون إليه .

وأما الرأي والتدبير فكان من أسد الناس رأياً وأصحهم تدبيراً، وهو الذي أشار على عمر لما عزم أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم بما أشار، وهو الذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث .

وأما السياسة فإنه كان شديد السياسة خشناً في ذات الله، لم يراقب ابن عمه في عمل كان ولاه إياه، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جبهه به، ومن جملة سياسة حروبه في أيام خلافته بالجمل وصفين والنهروان وفي أقل القليل منها مقنع، فإن كل سياسي في الدنيا لم يبلغ فتكه وبطشه، فهذه هي خصائص البشر ومزاياهم قد أوضحنا انه فيها الإمام المتبع فعله والرئيس المقتفى أثره .

وما أقول في رجل يحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة، وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملة، وتصور ملوك الافرنج صورته في بيعها وبيوت عباداتها حاملاً سيفاً مشمراً لحربه، وتصور ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها، وكان على سيف عضد الدولة وركن الدولة صورته، وكان على سيف ألب ارسلان وابنه ملك شاه صورته، وكأنهم يتفاءلون به بالنصر والظفر .

وما أقول في رجل أحب كل أحد أن يتكبر به، وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه. وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيد البطحاء وشيخ قريش ورئيس مكة، وهو الذي كفل رسول الله ﷺ صغيراً وحماه كبيراً ومنعه من مشركي قريش، ولقي لأجله عناء عظيماً وقاسى بلاء شديداً وصبر على نصره والقيام بأمره، وجاء في الخبر انه لما توفي أبو طالب عليه السلام أوحي إليه أُخرج منها، يعني من مكة فقد مات ناصرك، وله مع شرف هذه الأبوّة أن ابن عمه سيد الأولين والآخرين، وأخاه جعفر ذو الجناحين، وزوجته سيدة نساء العالمين، وابنيه سيدا شباب أهل الجنة، وآباءه آباء رسول الله ﷺ وأُمهاته أُمهات رسول الله ﷺ، وهو منوط بلحمه ودمه لم يفارقه منذ خلق الله آدم إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب وأُمهما واحدة، فكان منها سيد الناس هذا الأول وهذا الثاني وهذا المنذر وهذا الهادي. وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى، وآمن بالله وعبده وكل من في الأرض يعبد الحجر ويجحد الخالق، إلى أن قال ولو أردنا شرح مناقبه وخصائصه لاحتجنا إلى كتاب مفرد يماثل حجم هذا الكتاب بل يزيد عليه. انتهى كلامه ملخصاً.

وبالجملة ففضائله الباهرة ومناقبه الظاهرة وكراماته الفاخرة قد ملأت الأقطار واشتهرت اشتهار الشمس في رابعة النهار، وشهدت بها الأبرار والفجار. ولعل عائشة أُم المؤمنين حين حاربت أمير المؤمنين عليه السلام لم تطلع على هذه الأحاديث ولم تسمعها من خاتم النبيين، مع زعمهم أنها مطلعة على جميع الأخبار الصادرة عن سيد المرسلين واستنادهم في أكثر الأحكام إليها وتعويلهم عليها، ورواياتهم عنه ﷺ أنه قال خذوا شطر دينكم عن الحميراء. ولعلها نسيت ما سمعته وروته من قوله ﷺ: يا علي حربك حربي، وسلمك سلمي، ومن آذى علياً فقد آذاني، وحفظت ما سمعت من فضائل أبيها.

وكأن معاوية خال المؤمنين وكاتب الوحي لسيد المرسلين الذي أعلن بسب أمير المؤمنين شهوراً وأعواماً وسنين لم يكتب تلك الآيات، ولا أطلع على تلك الروايات الواردة في فضل أمير المؤمنين وفي لزوم مودة ذوي القربى، وكذلك غيره من الخلفاء لم يطلعوا على هذه الآثار والأخبار مع شدة صحبتهم ومصاحبتهم للنبي ﷺ، أو أطلعوا عليها ورووها ولكن نسوها أو تناسوها حتى جعلوا أمير المؤمنين عليه السلام معزولاً ولم يأتمنوه على أدنى الإمارات كما ائتمنوا غيره، ولم يرضوا به شاهداً في حق فاطمة عليها السلام، وفعلوا ما فعلوا وتركوا ما تركوا فالله يحكم بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين.

الفصل الرابع
المطاعن التي ذكرها العامة في الخلفاء الثلاثة

١ ـ المطاعن التي ذكرت في أبي بكر :

إعلم أن الله سبحانه وتعالى حيث كانت له الحجة البالغة على عباده، واجرى الحق على لسان المخالفين والمتعصبين في ذكرهم تلك الفضائل الباهرة والكرامات الظاهرة لأمير المؤمنين وأولاده الطاهرين، وأنهم هم المستحقون للإمامة الكبرى والخلافة العظمى، وأنهم أفضل الخلق، لم يكتفوا بذلك حتى ذكروا في صحاحهم وكتبهم وزبرهم أخباراً صحيحة وآثاراً صريحة ومثالب لا تحصى ومطاعن لا تستقصى في حق أصحابهم، تدل على عدم لياقتهم لذلك وقابليتهم لما هنالك، واستقصاء تلك المطاعن التي ذكروها في مصنفاتهم وهاتيك المعايب التي رووها في مؤلفاتهم يحتاج إلى إفراد كتاب كبير الحجم، ولكنا نشير هنا إلى نبذة قليلة مما ذكروه وجملة يسيرة مما سطروه .

ما تقدم من روايتهم عنه ﷺ بطرق متضافرة أنه عزل أبا بكر عن اداء سورة براءة وبعث علياً عليه السلام ليأخذها منه ويقرأها على الناس، ورجع أبو بكر إلى النبي حزيناً قائلاً هل نزل فيَّ شيء، فقال ﷺ لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني[1]، مع أن النبي ﷺ لم يوله شيئاً من الأعمال في حياته وكان يولي غيره. ومن لم يصلح لأداء سورة واحدة إلى أهل بلدة كيف يصلح للرئاسة العامة المتضمنة لأداء جميع الأحكام إلى عموم الرعايا في سائر البلدان .

---

(١) انظر خصائص النسائي ص ١٤ في خصائص علي عليه السلام، والاصابة لابن حجر بترجمة علي عليه السلام ج٢ ص ٩ . والدر المنثور ج٣ ص ٢٠٨ في تفسير قوله تعالىٰ براءة من الله ورسوله، وجامع البيان للطبري في تفسيرها ج١٠ ص ٤١، والصواعق لابن حجر في الشبهة الثانية ص ١٩ .

ومنها تخلفهم عن جيش أُسامة[1] مع علمهم بقصد التنفيذ وتأكيد النبي ﷺ ذلك باللعن. وتواتر لعن المتخلف عن جيش أُسامة، وقد رووا في كتبهم أن الشيخين كانا داخلين في جيش أُسامة، وممن روى ذلك ابن أبي الحديد والبلاذري والكازروني في تاريخيهما وغيرهم، وعلة التخلف واضحة يدركها كل ذي عقل سليم وفهم مستقيم، وقد أدركها بعض علمائهم كما في شرح النهج.

ومنها منعهم فاطمة الزهراء إرثها برواية مخالفة للقرآن يشهد بكذبها الانس والجان لم يسمعها من النبي غيره، ومنعه إياها فدكاً مع ادعائها النحلة لها وشهادة الحسنين وأُم أيمن لها بذلك[2]، وعدم تصديق الشيخين لهم مع تصديقهما الأزواج في ادعاء الحجرة لهن من غير شاهد. وقد روى البخاري في صحيحه بطريقين أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تطالبه بميراثها فمنعها ذلك[3]، فغضبت فاطمة عليها السلام على أبي بكر وهجرته ولم تكلمه حتى ماتت، ودفنها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر[4]. وروى البخاري أيضاً عنه ﷺ انه قال فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني. الحديث[5]. فانظر أيدك الله إلى ما يحصل من الجمع بين هذين الخبرين، واكتف بذلك مع أنه يلزم أن يكون النبي ﷺ قد خالف الله في قومه في قوله تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[6]. فكيف لم ينذر علياً وفاطمة والحسنين والعباس ولا أحداً من بني هاشم الأقربين، ولا أحداً من نسائه ولا من المسلمين. وقد روى الحافظ بن مردويه بإسناده إلى عائشة أنها ذكرت كلام فاطمة لأبي بكر وقالت في آخره، وأنتم تزعمون لا ارث لنا أفحكم الجاهلية تبغون يا ابن أبي قحافة،

---

(1) انظر شرح النهج ج١ ص ٥٣ وج٢ منه ص ٢٠ وص ٤٥٩ وج٣ منه ص ١١٦ وج٤ منه ص ١٧٣، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ترجمة أسامة بن زيد ج٢ ص ٣٩١، وطبقات ابن سعد في القسم الثاني ج٢ ص ٤١ ط ليدن.

(2) انظر فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٨، والصواعق لابن حجر ص ٢٢ وص ٣٢، وشرح النهج ج ٤ ص ٧٨ إلى ص ١٠٦.

(3) انظره في صحيح البخاري في كتاب الفرائض في باب قول النبي (ص) لا نورث، ما تركنا فهو صدقة ج٤ ص ١٠١، وفي كتاب الجهاد في باب فرض الخمس منه ج١ ص ١١٥ وج٣ منه ص ٤٠ ط مصر سنة ١٣٠٤، والسيرة الحلبية ج٣ ص ٣٩٠.

(4) انظر شرح النهج ج٤ ص ١٠٤، وتاريخ الطبري ج٣ ص ٢٠٢، والسيرة الحلبية ج٣ ص ٣٩٠، وصحيح البخاري ج٣ ص ٤٠ ط مصر سنة ١٣٠٤.

(5) انظر البخاري في فضائل فاطمة عليها السلام ج٢ ص ١٨٥، وخصائص النسائي ص ٢٥، وتفسير النيشابوري ج٣ سورة الشورىٰ.

(6) سورة الشعراء؛ الآية: ٢١٤.

أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئاً فرياً، فدونكها مرحولة مخطومة في عنقك تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله والغريم محمد ﷺ والموقف القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون[١].

وروى الواقدي وغيره من العامة أن النبي ﷺ لما افتتح خيبر اصطفى لنفسه قرى من قرى اليهود فنزل عليه جبرائيل بهذه الآية: ﴿وآت ذا القربى حقه﴾ فقال النبي ﷺ ومن ذا القربى وما حقه، فقال جبرائيل فاطمة الزهراء فدفع إليها فدكاً[٢] والعوالي فاستغلتها حتى توفي أبوها، فلما بويع أبو بكر منعها فكلمته فقال ما أمنعك ما دفع إليك أبوك فأراد أن يكتب لها فاستوقفه عمر، فقال امرأة فلتأت على ما ادعت ببيّنة، فأمرها أبو بكر فجاءت بعلي والحسنين[٣] وأم أيمن وأسماء بنت عميس، فرد شهادتهم وقال اما علي فيجر نفعاً إلى نفسه والحسنان ابناك، وأم أيمن وأسماء نساء، فعند ذلك غضبت فاطمة عليهما وحلفت أن لا تكلمه حتى تلقى أباها وتشكو إليه، هذا مع نداء آية التطهير بعصمتهم من الأرجاس والأدناس فكيف يقدمون على غصب أموال المسلمين. وقد روى مسلم في صحيحه بطريقين أن النبي قال فاطمة الزهراء بضعة مني يؤذيني من يؤذيها[٤] ونحوه في صحيح البخاري وفي الجمع بين الصحاح الستة عنه ﷺ فاطمة سيدة نساء العالمين.

ومنها ما اتفقوا على روايته واعتذروا عنه بأعذار فاسدة تضحك منها الثكلى من قول عمر بن الخطاب مع كونه ولياً وناصراً لأبي بكر كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه[٥]. ولا يتصور في الذم والتخطئة أكثر من ذلك ومنها أنه ترك إقامة الحد والقود في خالد بن الوليد، وقد قتل مالك بن نويرة وضاجع امرأته من ليلته، وأشار عليه عمر بقتله وعزله، فقال إنه سيف من سيوف الله سله الله على أعدائه،

---

(١) الخطبتان رواهما أحمد بن أبي طاهر في كتاب بلاغات النساء ص ١٦ و ٢٣ وروىٰ بعضها سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص ١٧٩.

(٢) انظر الدر المنثور في سورة بني إسرائيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وآت ذا القربىٰ حقه﴾ ج٤ ص ١٧٧ ولباب النقول أيضاً.

(٣) انظر المواقف وشرحه ص ٧٣٥ ط لكنهور الهند سنة ١٣١٤.

(٤) انظر صحيح مسلم ج٢ ص ٢٤٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص ٣٩١.

(٥) انظر تذكرة الخواص ص ٣٥، وتاريخ ابن الأثير ج٢ ص ١٣٥، وتاريخ الطبري ج٣ ص ٢٠٠، والصواعق المحرقة ص ٦ و ٢٢، ومسند أحمد ج١ ص ٥٥، وكنز العمال ج٣ ص ١٣٩، وصحيح البخاري في باب رجم الحبلىٰ من الزنا إذا أحصنت ج٤ ص ١١١، وشرح النهج ج١ ص ١٢٣ و ١٢٤ وج٤ منه ص ١٦٩.

وقال عمر مخاطباً لخالد لئن وليت لأقيدنّك له[1] .

وقال قاضي القضاة في المغني ناقلاً عن أبي علي إن الردة قد ظهرت من مالك، لأن في الأخبار انه رد صدقات قومه عليهم لما بلغه موت رسول الله ﷺ كما فعله سائر أهل الردة فاستحق القتل، قال أبو علي وإنما قتله لأنه ذكر رسول الله، فقال صاحبك أوهم بذلك إنه ليس بصاحب له وكان عنده أن ذلك ردة وهو أمير القوم فجاز أن يقتله، وإن كان الأولى أن لا يستعجل وأن يكشف الأمر في ردته. وبهذين الوجهين أجاب الفخر الرازي في نهاية العقول وشارح المواقف وشارح المقاصد فانظر أيدك الله إلى هذه الأعذار فإنه يلزم من ذلك على كل حال تخطئة أحد الشخصين، إما عمر في اعتراضه وملامته وتوعيده لخالد، وإما أبو بكر في ترك الحد والقود، وكيف جاز له الدخول بامرأته في ليلتها، مع أن قصة مالك بن نويرة معروفة قد ذكرها أهل التواريخ والسير وأنه كان مؤمناً ولم يرتد بل المرتد من حكم بارتداده .

ومنها قول أبي بكر مخبراً عن نفسه إن لي شيطاناً يعتريني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوّموني[2] ولا يصلح للإرشاد من يطلب الرشاد .

ومنها قوله اقيلوني أقيلوني فلست بخيركم وزيد في بعض الأخبار وعلي فيكم[3] . ولا يحل للإمام الاستقالة من البيعة واعتذر القوم بأنه قال ذلك هضماً لنفسه، وهو إن كان صدقاً أو كذباً يدل على عدم لياقته للخلافة. وقد أشار أمير المؤمنين في خطبته الشقشقية إلى ذلك قال فيا عجباً بيناً هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته .

ومنها انه كان جاهلاً بأكثر أحكام الدين فقد قال في الكلالة أقول فيها برأي فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأً فمني[4] ولم يعرف ميراث الجدة فقال لجدة سألته عن ارثها لا

---

(١) انظره في تاريخ الطبري ج٣ ص ٢٤٢ و ٢٤٣، ووفيات الأعيان لابن خلكان بترجمة مالك بن نويرة ويتيمة ابن موسىٰ ج٢ ص ١٧٢، وشرح النهج ج٤ ص ١٨٣، والصواعق لابن حجر ص ٢١ .

(٢) انظر تاريخ الطبري ج٣ ص ٢١١، والصواعق لابن حجر ص ٧، وكنز العمال ج٣ ص ١٢٦ و ١٣٥، وشرح ج٢ ص ٨ وجلد٤ منه ص ١٦٧، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص ٢٨ .

(٣) انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص ٢٤ ط مصر سنة ١٣٢٨، وكنز العمال في كتاب الخلافة ج٣ ص ١٣٢ و ١٣٥ و ١٤١، وشرح ج١ ص ٥٦ وج ٤ منه ص ١٦٩، والصواعق لابن حجر ص ٣١ .

(٤) انظر شرح النهج الطعن السادس ج٤ ص ١٨٣ .

أجد[1] لك شيئاً في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ . فأخبره المغيرة ومحمد بن سلمة بأن الرسول أعطاها السدس، وقال أطعموا الجدات السدس. وقطع يسار السارق[2] ولم يعرف ميراث العمة والخالة[3] إلى غير ذلك مما لا يحصى، وأجاب المخالفون بأنه لا يشترط في الإمام العلم بجميع الأحكام ويكفي في جوابهم أنه اضحوكة للأنام .

ومنها الشك عند موته وقوله ليتني كنت سألت النبي ﷺ هل للأنصار في هذا الأمر شيء[4]. وذكر المخالفون أن اسمه عبد الله بن عثمان أبي قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لوي، وقيل اسمه عتيق، وقيل كان اسمه عبد رب الكعبة فسماه النبي ﷺ عبد الله، وأمه سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب ومات بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بين المغرب والعشاء، وله ثلاث وستون سنة، وقيل خمس وستون سنة، ومولده بمكة بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر إلا أياماً، ومدة خلافته سنتان وأربعة أشهر، وكان في الإسلام خياطاً وفي الجاهلية معلم الصبيان، وكان أبوه سيىء الحال ضعيفاً وكان كسبه أكثر عمره من صيد القماري والدباسي، ولما عمي وعجز ابنه عن القيام به التجأ إلى عبد الله بن جدعان من رؤساء مكة فنصبه ينادي على مائدته. وفي الصواعق المحرقة لابن حجر ان أبا قحافة لما سمع بولاية ابنه قال هل رضي بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة، قالوا نعم، قال اللهم لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت[5] .

٢ ـ المطاعن التي ذكرت في عمر :

وأما مناقب الخليفة الثاني فهي كثيرة، منها ما رواه العامة والخاصة بطرق متضافرة وأسانيد متواترة أن النبي ﷺ أراد في مرضه أن يكتب كتاباً لأمته لئلا يضلوا بعده ولا يختلفوا، فطلب دواة وكتفاً أو نحو ذلك فمنع عمر من احضار ذلك وقال انه ليهجر أو ما يؤدي هذا المعنى، وقد وصفه الله تعالى بأنه : ﴿**لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي**

---

(١) انظر الصواعق لابن حجر ص ٢١، وانظر ميراث الجدة في مسند أحمد ج ٤ ص ٢٢٥، وشرح الطعن السابع ج ٤ ص ١٨٣ .

(٢) انظر الصواعق لابن حجر ص ٢١ .

(٣) انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص ٣١، وكنز العمال ج٣ ص ١٣٥ .

(٤) انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص ٣١، وتاريخ الطبري ج٤ ص ٥٣، وكنز العمال في كتاب الخلافة ج٣ ص ١٣٥، وشرح ج٤ ص ١٦٩ .

(٥) انظر الصواعق لابن حجر ص ٧، وشرح النهج الحديدي ج١ ص ٥٢ .

يوحى﴾[1]. ولم يسم الله تعالى نبيّه باسمه تعظيماً له وإجلالاً بل قال يا أيها المدثر، ويا أيها المزمل، ويا أيها النبي، وطه، وكثر اختلافهم وارتفعت أصواتهم حتى تسأم النبي ﷺ وتضجّر فقال بعضهم أحضروا ما طلب، وقال بعضهم القول ما قاله عمر وقد قال سبحانه: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا﴾**[2]. وقد روى ذلك البخاري في صحيحه في مواضع عديدة في كتاب الجهاد والسير، وفي باب كتابة العلم من كتاب العلم، وفي باب قول المريض قوموا عني. ورواه مسلم في صحيحه في مواضع والجمع بين الصحيحين وغيرها[3].

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، قال عمر إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط فقال ﷺ قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول إن الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه.

وروى مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال يوم الخميس وما يوم الخميس ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيتها على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال قال رسول الله ﷺ ائتوني بالكتف أو الدواة أو اللوح والدواة اكتب كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقالوا إن رسول الله يهجر، وقد رووا بهذا المعنى كثيراً.

ومنها التخلف عن جيش أُسامة[4]. ولا خلاف في انه كان من جيش أُسامة وقد لعن رسول الله المتخلف عنه.

ومنها انه بلغ به الجهل إلى حيث لم يعلم بأن كل نفس ذائقة الموت، وانه يجوز الموت على رسول الله ﷺ، وانه اسوة الأنبياء في ذلك، فقال والله ما مات حتى يقطع أيدي رجال وأرجلهم، فقال له أبو بكر اما سمعت قول الله عز وجل: **﴿إنك ميت وإنهم**

---

(1) سورة الحج؛ الآية: ٣.

(2) سورة الأحزاب؛ الآية: ٣٦.

(3) انظر البخاري ج٢ ص ١١١ في باب جوائز الوفد على ثلثي كتاب الجهاد والسير وج٤ منه ص ٥ في باب قول المريض قوموا عني وأيضاً ج٤ منه ص ١٦٧ في باب كراهة الخلاف من باب الاعتصام بالكتاب والسنة. وانظر صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية ج٢ ص ١١، ومسند أحمد ج١ ص ٣٥٥ وتاريخ ابن الأثير ج٢ ص ١٣٣، والسيرة الحلبية ج٣ ص ٣٧١.

(4) تقدم في مطاعن أبي بكر، وانظر تاريخ الطبري ج٣ ص ٢١٢.

ميتون﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾[2]. قال عمر فلما سمعت ذلك أيقنت بوفاته وسقطت إلى الأرض وعلمت أنه قد مات[3]. وفي رواية أنه قال عند سماع الآية كأني لم أسمعها.

ومنها انه حرم المتعتين متعة الحج ومتعة النساء، وقال على المنبر متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا محرمهما ومعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء[4] لم يكن له أن يشرع في الأحكام وينسخ ما أمر به سيد الأنام، ويجعل اتباع نفسه أولى من اتباع من لا ينطق عن الهوى. قال ابن أبي الحديد وفي حديث عمر أنه قال في متعة الحج قد علمت أن رسول الله ﷺ فعلها وأصحابه ولكن كرهت أن يظلوا بها معرسين ثم يلبون بالحج تقطر رؤوسهم[5]. وفي النهاية الأثيرية في الأعراس ومنه حديث عمر نهى عن متعة الحج، وقال قد علمت أن رسول الله فعلها ولكن كرهت أن يظلوا بها معرسين أي ملمين بنسائهم. وعن الترمذي في صحيحه أن رجلاً من أهل الشام سأل عبد الله بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال عبد الله بن عمر أرأيت إن كان أبي ينهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ أأمر أبي يتبع أم أمر رسول الله ﷺ، فقال الرجل بل أمر رسول الله، فقال لقد صنعها رسول الله ﷺ[6].

وروي أيضاً أن رجلاً من أهل الشام سأل ابن عمر عن متعة النساء، فقال هي حلال[7]، فقال إن أباك قد نهى عنها، فقال ابن عمر أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله أنترك السنة ونتبع قول أبي. ومنها تعطيل حد الله في المغيرة بن شعبة، وتلقين

---

(١) سورة الزمر؛ الآية: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران؛ الآية: ١٤٤.

(٣) انظر تاريخ الطبري ج٣ ص ١٩٧، وكامل ابن الأثير ج٢ ص ١٣٤، وصحيح البخاري ج٢ ص ١٧٩ في باب فضائل أبي بكر، وشرح النهج الحديدي ج٣ ص ١٤٧ و ١٦٧، والسيرة الحلبية ج٣ ص ٣٨٣، والشهرستاني في الملل والنحل في الخلاف الثالث ج١ ص ٢٠، والسيرة الدحلانية ج٣ ص ٣٧١.

(٤) انظر منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج٦ ص ٤٠٤، ومسند أحمد ج٣ ص ٣٠٤ و ٣٨٠ و ٣٥٦، وشرح النهج الحديدي ج٣ ص ١٦٧، والراغب في المحاضرات ج٢ ص ٩٤، وتاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ص ٥٣.

(٥) انظر شرح النهج الحديدي ج٣ ص ١٦٨.

(٦) لاحظ أحاديث عبد الله بن عمر في مسند أحمد ج٢.

(٧) انظر أحاديث عبد الله بن عمر في مسند أحمد ج٢.

الشاهد الرابع فامتنع من الشهادة، وكان عمر يقول[1] إذا رآني المغيرة قد خفت أن يرميني الله بحجارة من السماء .

ومنها بيعته لأبي بكر وخصومته عليها بغير دليل ولا برهان، وحكمه على من تخلف عن بيعته بالإيذاء وأعظم منه، وقد قال الله تعالى : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾**[2] .

ومنها منعه المغالاة في مهور النساء[3] وقال من غالى في مهر ابنته أجعله في بيت مال المسلمين، فقالت له امرأة أما تقرأ قوله تعالى : **﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾**[4] . فقال كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات في البيوت، أو في الحجال. وروى ابن أبي الحديد في الشرح[5] انه خطب، فقال لا يبلغني أن امرأة تجاوز صداقها صداق زوجات رسول الله ﷺ الا ارتجعت ذلك منها، فقامت إليه امرأة فقالت والله ما جعل الله ذلك لك انه تعالى يقول : **﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾**[6] . فقال عمر ألا تعجبون من امام أخطأ وامرأة أصابت، ناضلت إمامكم فنضلته. والمناضلة

---

(١) انظر (الاستيعاب) لابن عبد البر بترجمة المغيرة ج١ ص ٢٥٩ وترجمة زياد بن أبيه ج١ ص ٢٠١ وترجمة نافع بن الحارث ج١ ص ٣٠٥ وترجمة أخيه أبي بكر ج٢ ص ٦٢٧، وأسد الغابة لابن الأثير الجزري بترجمة نافع ج٥ ص ٨ وأبي بكرة ج٥ ص ١٥١ وزياد بن أبيه، والإصابة لابن حجر بترجمة نافع ج٣ ص ٥٤٤ والمغيرة بن شعبة ج٣ ص ٤٥٢، وفتوح البلدان للبلاذري ص ٢٥٣، والأغاني لأبي الفرج ج١٤ ص ١٤٠ ط مصر سنة١٣٢٣، وكنز العمال في كتاب الحدود ج٣ ص ٨٨ و ٩٥، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج٢ ص ٤١٣، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣ ص ٤٤٨ ط حيدر أباد دكن سنة ١٣٤١ وتلخيص المستدرك للذهبي في ذيله ج٣ ص ٤٤٨، وطبقات الشافعية للسبكي عبد الوهاب بن تقي الدين ج٢ ص ٢٠٩ ط مصر سنة١٣٢٤، ووفيات الأعيان لابن خلكان بترجمة يزيد بن زياد بن أبي ربيعة ابن مفرغ ج٢ ص ٢٩٨، وتاريخ الطبري ج٤ ص٢٠٦ حوادث سنة ١٧، وتاريخ ابن الأثير ج٢ ص ٢٢٨ حوادث سنة ١٧، والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص ١١٨. وشرح النهج الحديدي ج٣ ص ١٥٩ .

(٢) سورة المائدة؛ الآية : ٤٤ .

(٣) انظر كنز العمال في كتاب النكاح ج٨ ص ٢٩٨، وشرح النهج الحديدي ج٣ ص ٩٦ و ١٥٢، ومستدرك الحاكم ج٢ ص ١٧٧، والدر المنثور في تفسير قوله تعال: **﴿وآتيتم احداهن قنطاراً﴾** ج٢ ص ١٣٣ .

(٤) سورة النساء؛ الآية: ٢٠ .

(٥) انظر شرح النهج الحديدي ج١ ص ٦١ وج ٣ منه ص ١٥٢ .

(٦) سورة النساء؛ الآية: ٢٠ .

المغالبة. وقال الرازي في تفسيره، روي أن عمر قال على المنبر ألا لا تغالوا في مهور نسائكم، فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنعنا وتلت قوله تعالى: **﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً﴾** فقال عمر كل الناس افقه منك يا عمر ورجع عن كراهة المغالاة، ثم قال وعندي أن الآية لا دلالة فيها على جواز المغالاة لأنه لا يلزم من جعل الشيء شرطاً لآخر كون ذلك الشرط جائز الوقوع في نفسه، كما يقول الرجل لو كان الإلّه جسماً لكان محدثاً. أقول إن صح كلام الرازي ففيه طعن آخر على امامه من حيث عدم إدراكه معنى الآية وجهله لم يخف على رئيس المشككين.

ومنها ما رواه جملة من الجمهور ومنهم ابن أبي الحديد[1] انه كان يعسّ ليلة فمر بدار سمع فيها صوتاً فارتاب وتسور فوجد رجلاً عنده امرأة وزق خمر، فقال يا عدو الله أظننت أن الله تعالى يسترك وأنت على معصيته، فقال لا تعجل يا أمير المؤمنين إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاث، قال الله تعالى: **﴿ولا تجسسوا﴾** وقد تجسست، وقال تعالى: **﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾** وقد تسورت، وقال تعالى: **﴿وإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أهلها﴾** وما سلمت، فقال هل عندك من خير ان عفوت عنك، قال نعم والله لا أعود، فقال اذهب فقد عفوت عنك. وفي رواية أُخرى فلحقه الخجل، أقول وهذه رابعة أيضاً فإن العفو في حدود الله وتعزيراته لا معنى له بالنسبة إليه.

ومنها ما رووه أنه أمر برجم حامل حتى نبهه معاذ[2] وقال إن يكن لك سبيل عليها فلا سبيل لك على ما في بطنها، فرجع عن حكمه وقال لولا معاذ لهلك عمر، ومن كان جاهلاً هذا المقدار كيف يجوز أن يكون إماماً وفي جملة من رواياتهم أن الذي نبهه على ذلك أمير المؤمنين عليه السلام[3]

ومنها ما رووه أنه أمر برجم مجنونة فنبهه أمير المؤمنين عليه السلام[4] وقال إن القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق، فقال لولا علي لهلك عمر. وقد اعترف قاضي القضاة وابن

---

(١) انظر شرح النهج الحديدي ج٣ ص ٩٦، واحياء العلوم للغزالي ج٢ ص ١٧٣ المطبوع بهامش عوارف المعارف، وكامل ابن الأثير ج٣ ص ٢٤ حوادث سنة ٢٣، وتاريخ الطبري ج٥ ص ٢٠.

(٢) انظر شرح النهج ج٣ ص ١٥٠.

(٣) لاحظ مسند أحمد وذكره نصير الدين الطوسي في التجريد ولم يناقش فيه القوشجي.

(٤) انظر مستدرك الحاكم ج١ ص ٢٥٨، والبخاري في كتاب المحاربين في باب لا يرجم المجنون والمجنونة ج٤ ص ١٠٩، وكنز العمال في كتاب الحدود ج٣ ص ٩٥، والاستيعاب لابن عبد البر بترجمة علي عليه السلام ج٢ ص ٤٧٤، وشرح النهج الحديدي ج٣ ص ١٥١.

أبي الحديد بصحة ذلك، وهو يدل على عدم معرفته بظواهر الشريعة التي لا تخفى على أكثر العوام .

ومنها ما رواه ابن حجر في شرحه على صحيح البخاري أن رجلاً سأل عمر بن الخطاب عن قوله تعالى : ﴿**فاكهة وأباً**﴾ ما الأب، فقال عمر نهينا عن التعمق والتكلف[1] . وروي نحوه عن انس وعن حماد بن سلمة وعن عبد الرحمن أن رجلاً سأل عمر عن ﴿**فاكهة وأباً**﴾[2] فلما رآهم عمر يقولون اقبل عليهم بالدرة، وعن إبراهيم النخعي قال قرأ أبو بكر الصديق ﴿**وفاكهة وأباً**﴾ فقيل ما الأب، فقيل كذا وكذا، فقال أبو بكر إن هذا هو التكلف أيّ ارض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم. فظهر أن تفسير الأب كان معضلة عندهما لم يعلماها .

ومنها ما رواه ابن أبي الحديد[3] قال مر عمر بشاب من الأنصار وهو ظمآن فاستسقاه فخاض له عسلاً فردَّه ولم يشرب، وقال إني سمعت الله سبحانه يقول : ﴿**أذهبتم طيباتكم في الحياة الدنيا واستمتعتم بها**﴾[4] . فقال الفتى إنها والله ليست لك، اقرأ يا أمير المؤمنين ما قبلها : ﴿**ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في الحياة الدنيا**﴾[5] . فشرب وقال كل الناس افقه من عمر .

ومنها أنه أبدع في الدين بدعاً كثيرة، منها صلاة التراويح فإنها بدعة لما روي عن النبي ﷺ انه قال أيها الناس إن الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة جماعة بدعة، وصلاة الضحى بدعة، ألا فلا تجتمعوا ليلاً في شهر رمضان في النافلة ولا تصلوا صلاة الضحى، فإن قليلاً في سنّة خير من كثير في بدعة، ألا وإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار. وقد روي أن عمر خرج في شهر رمضان ليلاً فرأى المصابيح في المسجد فقال ما هذا فقيل الناس قد اجتمعوا لصلاة التطوع فقال بدعة ونعمت البدعة[6] .

---

(١) انظر شرح النهج ج٣ ص ١٠١ .

(٢) لاحظ المسألة في أحاديث أنس بن مالك وأحاديث حماد بن مسلمة وأحاديث عبد الرحمٰن .

(٣) انظر شرح النهج الحديدي ج١ ص ٦١ .

(٤) سورة الأحقاف؛ الآية: ٢٠ .

(٥) سورة الأحقاف؛ الآية: ٢٠ .

(٦) انظر تاريخ الطبري ج٥ ص ٢٢، وكامل ابن الأثير ج٣ ص ٢٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي في فصل خلافته ص ٥١ وطبقات ابن سعد ج٢ بترجمة عمر وروضة الناظر لابن الشحنة حوادث سنة ٢٣ عند وفاة عمر، وشرح النهج الحديدي ج٣ ص ١٧٨ .

ومنها انه وضع الخراج على السواد ولم يعط ارباب الخمس منها خمسهم وجعلها موقوفة على كافة المسلمين، وقد اعترف بجميع ذلك المخالفون وصرح بها ابن أبي الحديد[١] وذلك مخالف للكتاب والسنة وبدعة في الدين .

ومنها انه زاد الجزية عما قررها رسول الله ﷺ وقد حرمها فقهاؤهم الأربعة[٢] إلا أحمد في رواية .

ومنها ما قاله ابن أبي الحديد قال، قال المؤرخون إن عمر أول من سن قيام شهر رمضان في جماعة وكتب به إلى البلدان، وأول من ضرب في الخمر ثمانين وأحرق بيت رويشد الثقفي وكان نبّاذاً، وأول من عسَّ في عمله بنفسه، وأول من حمل الدرة وأدب بها، وقيل بعده كانت درة عمر اهيب من سيف الحجاج، وأول من قاسم العمال وشاطرهم أموالهم، وهو الذي هدم مسجد رسول الله ﷺ وزاد فيه وادخل دار العباس فيما زاد، وهو الذي أخر المقام إلى موضعه اليوم وكان ملصقاً بالبيت. انتهى[٣] .

ومنها المسح على الخفين ونقص تكبيرة من الصلاة على الجنائز وجعلها أربعاً[٤] والقول بالعول والتعصيب في الميراث، وقول الصلاة خير من النوم في الأذان[٥] .

ومنها أنه كان يعطي من بيت المال ما لا يجوز، فأعطى عائشة وحفصة عشرة آلاف درهم في كل سنة[٦]، وحرم أهل البيت خمسهم الذي جعله الله

---

(١) انظر شرح النهج ج٢ ص ١١٣ و ١٧٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٣ .

(٢) انظر كنز العمال في كتاب الجهاد ج٢ ص ٣٠٠، وانظر شرح النهج الحديدي ج٣ ص ١٧٨ .

(٣) انظر شرح النهج الحديدي ج٣ ص ١١٣، وتاريخ ابن الأثير ج٣ ص ٢٤ في ذكر سيرة عمر، وتاريخ الطبري ج٥ ص ٢٢، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٣، وطبقات ابن سعد في ترجمة عمر ج٣، وروضة الناظر لابن الشحنة عند ذكر وفاة عمر حوادث سنة ٢٣، والاستيعاب لابن عبد البر بترجمة عمر ج٢ ص ٤٢٨ .

(٤) انظر ابن الأثير في ذكر وفاة أبي بكر ج٢ ص ١٧٦، وبهامشه تاريخ القرماني في أوليات عمر ج ٣ ص ٢٠٣، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٣، وابن الأثير أيضاً ج٣ ص ٢٣ في أوليات عمر ومنه أيضاً ص ٢٤، وروضة الناظرين لابن الشحنة، وكنز العمال في كتاب الموت ج٨ ص ١١٣ .

(٥) أما العول فشدد ابن الخطاب فيه انظر تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٧١، وأيضاً انظر تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ط مصر سنة ١٣٠٥ ص ٥٣، وكنز العمال ج٦ ص ٧، وأما التثويب وهو قول الصلاة خير من النوم فانظره في السيرة الحلبية ج٢ ص ١٠٩ .

(٦) انظر الطبري ج٤ ص ١٦٣ حوادث سنة ١٥ وابن الأثير ج٢ ص ٢١٢، وشرح النهج الحديدي =

لهم[1] وكان عليه ثمانون ألف درهم من بيت المال يوم مات على سبيل القرض[2] .

ومنها أنه كان يتلون في الأحكام حتى رووا أنه قضى في الجدة بسبعين قضية[3]، ومثله لا يليق بإمامة المسلمين .

ومنها أنه همَّ بإحراق بيت فاطمة عليها السلام وقد كان فيه أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة والحسنان وهددهم وآذاهم[4]، مع ما عرفت من تضافر الروايات من أن من آذاهم فقد آذى رسول الله .

ومنها ما وقع في قصة الشورى، فقد أبدع فيها أموراً كثيرة[5] وخالف النبي صلى الله عليه وآله وأبا بكر في ذلك وشهد على الستة انهم من أهل الجنة، ثم نص على ذمهم، ثم جعل الأمر إلى أربعة، ثم إلى واحد، ثم أمره بقتل المخالف، ثم أمره بقتلهم أجمع إن لم يتفقوا إلى ثلاثة أيام، وفيها من البدع والزور والبهتان ما لا يحصى .

ومنها أنه أوصى بدفنه ببيت النبي صلى الله عليه وآله ، وكذلك تصدى لدفن أبي بكر هناك وهو تصرف في ملك الغير من غير جهة شرعية، وقد نهى الله الناس عن دخول بيته صلى الله عليه وآله من غير إذن بقوله تعالى : ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾[6] . وضربوا المعاول عند اذنه صلى الله عليه وآله وقال تعالى : ﴿ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾[7] . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله حرمة المسلم ميتاً كحرمته حياً، ولا يخلو موضع قبر النبي صلى الله عليه وآله من أن يكون باقياً على ملكه أو يكون انتقل في حياته إلى عائشة، فإن كان الأول لا يخلو من أن يكون ميراثاً بعده أو صدقة، فإن كان ميراثاً فما كان يحل لهما من بعده إلا بعد ارضاء الورثة، وإن كان صدقة فيجب ارضاء جماعة المسلمين وكل ذلك لم يكن، وإن كان انتقل في حياته

= ج٣ ص ١٥٣ .

(١) انظر شرح النهج ج٣ ص ١٥٣ .

(٢) انظر كنز العمال في وفاة عمر ج٦ ص ٣٦٢ و ٣٦٧، وشرح النهج ج٣ ص ١٥٣ .

(٣) انظر كنز العمال كتاب الفرائض ج٦ ص ١٥ و ١١ و ١٧ و ٦ و ٨ وانظر ما ذكره كنز العمال من التلون في الكلالة ج٦ ص ٣٠، وشرح النهج ج٣ ص ١٦٥ .

(٤) انظر كنز العمال ج٣ ص ١٤٠، وأوائل كتاب السياسة والإمامة لابن قتيبة ج١ ص ٢١، والشهرستاني في الملل والنحل ج١ ص ٧٣، وشرح النهج ج٢ ص ١٩، وتاريخ الطبري ج٣ ص ١٩٨، والعقد الفريد لابن عبد ربه ج٢ ص ١٩٧ .

(٥) انظر تفصيلها في شرح النهج ج٣ ص ١٦٩ .

(٦) سورة الأحزاب؛ الآية: ٥٣ .

(٧) سورة الحجرات؛ الآية: ٢ .

إلى عائشة فقد كان يجب إظهار الحجة في ذلك، وفاطمة عليها السلام لم يقنع منها في فدك بقولها مع عصمتها ولا بشهادة من شهد لها، فكيف قنع منها بذلك .

وروى العلامة رحمه الله في نهج الحق وغيره عن الكلبي وهو من رجال أهل السنة في كتاب المثالب، قال كانت صهاك امة حبشية لهاشم بن عبد مناف فوقع عليها نفيل بن هاشم، ثم وقع عليها عبد العزى بن رياح، فجاءت بنفيل جد عمر بن الخطاب[1] . وقال الناصب الفضل بن روزبهان بعد القدح في صحة النقل إن أنكحة الجاهلية على ما ذكره أرباب التواريخ على أربعة أوجه، منها أن يقع جماعة على امرأة ثم يولد منها فيحكم القايف أو تصدق المرأة، وربما كان هذا من أنكحة الجاهلية وأورد عليه الفاضل الشارح بأنه لو صح ما ذكره لما تحقق زنى في الجاهلية، ولما عد مثل ذلك في المثالب ولكان كل من وقع على امرأة كان ذلك نكاحاً منه عليها، ولم يسمع عن أحد أن من أنكحة الجاهلية كون امرأة واحدة في يوم واحد أو شهر واحد في نكاح جماعة من الناس، وأما نسب عمر فهو على ما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب[2] ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي إلى آخر ما تقدم، وامه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

٣ ـ مثالب عثمان :

وأما تفصيل مثالب عثمان فهي لا تحصى ولا تستقصى، وكفاك في ذلك اتفاق من بايعه من الصحابة والتابعين على استحلال قتله واهراق دمه[3] لما ظهر منه من البدع ومخالفة الله ورسوله ما الله أعلم به، حتى أجمعوا على استحلال قتله وتركوا غسله وكفنه ودفنه وبقي ملقى على المزابل، وقد جعل الولاية لشرابي الخمور والمعلنين بالفسق والفجور اعداء الله ورسوله، كالوليد بن عقبة[4] الذي دعاه الله فاسقاً ونزل فيه : ﴿**أفمن**

---

(١) انظر شرح النهج الحديدي جزء ٣ ص ٢٤ .

(٢) انظره في الاستيعاب بترجمة عمر جزء ٢ ص ٤٥٨ طـ مصر سنة ١٣٢٨ .

(٣) انظر تاريخ الطبري جزء ٥ ص ٩٦ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١٤٣ و ١٤٤، والعقد الفريد جزء ٢ ص ١٨٨، وكنز العمال ج٦ ص ٣٨٨ عند بيان حصره وقتله، وشرح النهج ج١ ص ١٥٧ .

(٤) انظر كامل ابن الأثير ج٢ ص ٣٤٠، والطبري ج٥ ص ٤٧ و ٥٨ و ٤٥ و ٤٦، والاستيعاب لابن عبد البر ج٢ ص ٦٢١، وشرح النهج ج١ ص ٢٢٦ وج٤ منه ص ١٩٢، والإمامة والسياسة لابن قتيبة جزء ١ ص ١٥٤ .

كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[1]. وفيه قوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾[2]. وكتب إلى عدو الله عبد الله بن أبي سرح بقتل محمد بن أبي بكر[3] وذلك من جملة أسباب قتله وحصره.

ورد الحكم بن العاص طريد رسول الله ﷺ إلى المدينة[4]، وكان عثمان قد كلم الشيخين في رده فلم يقبلا، ولما رده جاء علي عليه السلام وطلحة والزبير وأكابر الصحابة وخوفوه من الله ولم يسمع، وكان يؤثر قومه بالأموال حتى زوج أربعة نفر من قريش ببناته ودفع إليهم أربعمائة ألف دينار من بيت مال المسلمين[5]،وأعطى مروان مائة ألف دينار[6]، وضرب أبا ذر وأهانه[7] مع تقدمه في الإسلام وعلو مكانه عند النبي ﷺ وورد فيه ما ورد من الفضائل ومع ذلك نفاه إلى الربذة، وضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر

---

(١) سورة السجدة؛ الآية: ١٨ .

(٢) سورة الحجرات؛ الآية: ٦ .

(٣) انظر تاريخ الطبري جزء ٥ ص ١٢٠، حوادث سنة ٣٥، وابن الأثير عند ذكر ولاية عبد الله بن سعد جزء ٣ ص ٣٦ حوادث سنة ٢٦ ومنه ص ٤٨ حوادث سنة ٣١ والشهرستاني في الملل والنحل جزء ١ ص ٢٥، والسيرة الحلبية جزء ٢ ص ٨٦ وجزء ٣ منها ص ١٠٢ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦١، والعقد الفريد جزء ٢ ص ٨٦ .

(٤) انظر العقد الفريد ج٢ ص ١٨٤، وشرح النهج ج١ ص ٦٦ و ٢٣٢، وكامل ابن الأثير ج٣ ص ٤٣ حوادث سنة ٢٦ عند ذكر ولاية ابن أبي سرح والطبري ج٥ ص ١٠٢، والسيرة الحلبية عند بيان فتنة قتل عثمان ج٢ ص ٨٥ طـ مصر سنة ١٣٢٩، والاستيعاب ج١ ص ١٢١ .

(٥) انظر الملل والنحل للشهرستاني في الخلاف التاسع ج١ ص ٢٥، والعقد الفريد ج٢ ص ١٨٤، وابن الأثير في الكامل ج٣ ص ٤٣ و ٤٤ حوادث سنة ٢٦، والسيرة الحلبية عند بيان فتنة قتل عثمان ج٢ ص ٨٧، والصواعق لابن حجر في آخر الكلام بخلافة عثمان ص ٦٩ إلى ٧١، وشرح النهج الحديدي ج١ ص ٦٦ و ٢٣٣ .

(٦) انظر ما قاله ابن قتيبة في كتاب السياسة والإمامة تحت عنوان ما أنكر الناس على عثمان ج١ ص ٥٣، وكامل ابن الأثير ج٣ ص ٣٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص ٨٧، والعقد الفريد ج٢ ص ١٨٤، وكنز العمال ج٦ ص ٣٨٥ .

(٧) انظر كامل ابن الأثير ج٣ ص ٥٥، والشهرستاني في الملل والنحل ج١ ص ٢٥ وابن الأثير في أسد الغابة بترجمة أبي ذر رحمه الله ج٥ ص ١٨٨، وابن أبي الحديد ج٢ ص ٣٧٦، ومسند أحمد ج٥ ص ١٥٦، وأول أحاديث أبي ذر ص ١٤٤ و ١٩٧ وج٦ منه ص ٤٥٧، ومستدرك الحاكم في بيان محنة أبي ذر ج٣ ص ١٥٦، وأول أحاديث أبي ذر ص ١٤٤ و ١٩٧، وج٦ منه ص ٤٥٧ ومستدرك الحاكم في بيان محنة أبي ذر ج٣ ص ٢٤٤ وفي كتاب المغازي منه ص ٥٠ وكتاب الفتن ج ٤ منه ص ٤٨٠ والعقد الفريد ج٢ ص ١٨٤ وأرسله القوشجي في شرح التجريد إرسال المسلمات .

بعض أضلاعه[1] وقد رووا في فضله في صحاحهم أخباراً كثيرة، وكان ابن مسعود يذمه ويشهد بفسقه وظلمه وعهد أن لا يصلي عليه ولما عاده عثمان في مرضه قال له استغفر لي، فقال ابن مسعود أسأل الله أن يأخذ لي حقي منك .

ومنها ما صنع بعمار بن ياسر[2] الذي أطبق المخالف والموالف على فضله وعلو شأنه، ورووا أخباراً مستفيضة دالة على درجته ورفعة رتبته، حيث ضربه ضرباً شديداً فأصابه الفتق وكان ضعيفاً كبيراً فغشي عليه وحمل إلى منزل أُم سلمة، فغضبت له وبلغ ذلك عائشة فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ونعلاً من نعاله وثوباً من ثيابه وقالت ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم وهذا ثوبه وشعره ونعله لم يبل بعد .

ومنها أنه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة وأحرق المصاحف الباقية[3]، وذلك منكر واستخفاف بالدين ومحادة لرب العالمين مع أن ابن مسعود قد رووا في ترجيح قراءته أخباراً كثيرة، مع أن هذا الفعل لو كان حسناً لفعله من قبله .

ومنها أنه عطل الحدود الواجبة، كالحد في عبيد الله بن عمر فإنه قتل الهرمزان بعد إسلامه فلم يقد به[4] وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يطلبه ولذلك خرج مع معاوية على أمير المؤمنين عليه السلام .

ومنها أنه حمى الحمى عن المسلمين[5] مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعلهم شرعاً سواء

---

(١) انظر شرح النهج الحديدي الطعن السادس من مطاعن عثمان ج١ ص ٢٣٦، والصواعق لابن حجر ص ٧٠، والعقد الفريد ج٢ ص ١٨٥ .

(٢) انظر السيرة الحلبية عند بيان فتنة قتل عثمان ج٢ ص ٨٧، وشرح النهج ج١ ص ٢٣٨، والعقد الفريد ج٢ ص ١٨٥، والاستيعاب بترجمة عمار ج٢ ص ٤٣٤، والطبري ج٥ ص ١٣٥، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص ٥٥ .

(٣) انظر السيرة الحلبية عند بيان فتنة قتل عثمان ج٢ ص ٨٧، والصواعق لابن حجر ص ٧٠، وصحيح البخاري في باب جمع القرآن من باب فضائل القرآن ج٣ ص ١٤٠، وشرح النهج ج١ ص ٢٢٧، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٤ .

(٤) انظر الطبري ج٥ ص ٤١ وكامل ابن الأثير ج٣ ص ٣١، وأسد الغابة بترجمة عبيد الله ج٣ ص ٣٤٢ والاستيعاب بترجمة عبيد الله ج٢ ص ٤١٧، وشرح النهج ج١ ص ٢١٢ الطعن العاشر، والصواعق لابن حجر ص ٧١ .

(٥) انظر السيرة الحلبية عند بيان فتنة قتل عثمان ج٢ ص ٨٧، وشرح النهج ج١ ص ٢٣٥، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص ٥٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٤ .

في الماء والكلأ، وأجابوا عنه بأنه حماه لإبل الصدقة وقد رد بأن المروي من فعله خلاف ذلك .

ومنها اتمامه الصلاة بمنى مع كونه مسافراً[1] وهو مخالف للسنة ولسيرة من تقدمه .

ومنها جرأته على رسول الله ﷺ ومضادته له كما روي عن الحميدي عن السدي في تفسير قوله تعالى : ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾[2] . إنه لما توفي أبو سلمة وعبد الله بن حذافة وتزوج النبي ﷺ امرأتيهما أم سلمة وحفصة، قال طلحة وعثمان أينكح محمد نساءنا إذا متنا ولا ننكح نساءه إذا مات، والله لو قد مات لقد أجلنا على نسائه بالسهام، وكان طلحة يريد عائشة وعثمان أم سلمة وأنزل الله : **﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيما﴾**[3] .

ومنها ما روي عن الثعلبي في تفسيره في قوله تعالى : **﴿إن هذان لساحران﴾**[4] . قال قال عثمان إن في المصحف لحناً، فقيل له ألا تغيره، فقال دعوه فلا يحلل حراماً ولا يحرم حلالاً . ورواه الرازي أيضاً في تفسيره .

ومنها تقديمه الخطبتين في العيدين على الصلاة[5] وهو مخالف للسنة المتواترة وفعل النبي ﷺ والشيخين كما اعترفوا به وفعل ذلك ليحبس الناس للصلاة .

ومنها إحداثه الأذان يوم الجمعة زائداً على سنة رسول الله ﷺ[6]، وهو بدعة محرمة كما اعترفوا به، وكان عمار ومحمد بن أبي بكر ممن أعانا على قتله ويقولان قتلناه كافراً[7]، وكان عمار وأنا الرابع : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾**[8] .

---

(١) انظر السيرة الحلبية عند بيان فتنة قتل عثمان جزء ٢ ص ٨٧، والصواعق لابن حجر في آخر الكلام بخلافة عثمان ص ٧١ ومسند أحمد ج٥ ص ١٦٥، والبخاري في باب الصلاة بمنى من أبواب القصر ج١ ص ٢٣، وصحيح مسلم في باب قصر الصلاة بمنىٰ ج١ ص ١٩٣، وتاريخ الطبري ج٥ ص ٥٦، وكامل ابن الأثير ج٣ ص ٤٢ .

(٢) سورة الأحزاب؛ الآية: ٥٣ .

(٣) سورة الأحزاب؛ الآية: ٥٣ .

(٤) سورة طه؛ الآية: ٦٣ .

(٥) انظر تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ص٦٤ .

(٦) انظر صحيح البخاري في كتاب الجمعة في باب زيادة النداء الثاني وفي باب زيادة النداء الثالث وهي متقاربة جزء ١ ص ١٠٤، والطبري جزء ٥ ص ١٣٦ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٤ .

(٧) انظر شرح النهج جزء١ ص٢٣٩ .

(٨) سورة المائدة؛ الآية: ٤٤ .

وقيل لزيد بن أرقم بأي شيء كفرتم عثمان، فقال بثلاث[1] جعل المال دولة بين الأغنياء، وجعل المهاجرين والأنصار من الصحابة بمنزلة من حارب الله ورسوله، وعمل بغير كتاب الله. وكان حذيفة يقول ما في كفر عثمان بحمد الله شك[2]. وتبرأ كل من الصحابة من عثمان فكانوا بين قاتل له وراض بقتله، والعجب من المخالفين أنهم يستدلون على حقية خلافة المشايخ بسكوت علي الدال على رضاه، ولا يستدلون بسكوته عن قتل عثمان على رضاه. وقد كان قاتله بيده أخص خواصه وحواريه محمد بن أبي بكر رحمه الله.

٤ ـ لعن معاوية بن أبي سفيان:

وأما معاوية ففضائله لا تحصى ومناقبه لا تستقصى والروايات عن النبي صلى الله عليه وآله في لعنه وسبه والدعاء عليه وذمه متضافرة[3] وأخبار كفره وزندقته وخلافه على رسول

---

(١) انظر شرح النهج جزء١ ص ٢٣٩.

(٢) انظر شرح النهج الحديدي جزء١ ص٢٣٩.

(٣) دعاءالنبي صلى الله عليه وآله بأن لا يشبع الله بطنه مشهور انظره في الاستيعاب جزء ٣ صفحة ٢٦٣، وشرح النهج الحديدي جزء ١ صفحة ٣٥٥، والبلاذري في فتوح البلدان صفحة ٤٧٩، وأسد الغابة جزء ٤ صفحة ٣٨٦، وأما كفره تعميماً وتخصيصاً فالتعميم كالشجرة الملعونة في القرآن الشامل بعمومه لمعاوية إذ الشجرة الملعونة بنو أمية انظره في السيرة الدحلانية بهامش الحلبية جزء ١ صفحة ٢٤٦ و ٢٤٧، والحلبي صفحة ٣٣٨ و ٤٠٨، وتفسير الدر المنثور للسيوطي جزء ٤ صفحة ١٩١ وجزء ٦ منه صفحة ٣٧١، والفخر الرازي في تفسيره ج ٥ صفحة ٦٠٩ وجزء ٨ منه صفحة ٦٣٠ و ٦٣١ وكالأحاديث الواردة في قتله عمار (ره) وانه تقتله الفئة الباغية ورأس هذه الفئة معاوية انظر العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٢٠٤، وخصائص النسائي ص ٢٩، والاستيعاب ج ٢ ص ٤٧٩ بترجمة علي وج١ بترجمة عبد الله بن عمر بن الخطاب ص ٣٨٠، وكنز العمال ج٦ ص ١٥٥ وأبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال ص ١٤٩ وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج١ ص ٢٠٣، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٤٢ والقاضي الحلبي في السيرة النبوية ج٢ ص ٧٩، وأما الطعن عليه بالخصوص فقد قال فيه الحسن البصري ما ذكره ابن أبي الحديد في الشرح ج١ ص ٢٠٠، وابن الأثير في التاريخ ج ٣ ص ١٩٣، وأبو الفداء في تاريخه ج١ ص ١٩٦، وأما لعن النبي صلى الله عليه وآله له خاصة فقد قال له الحسن بن علي عليه السلام لعنك رسول الله صلى الله عليه وآله وأباك في سبعة مواطن في قصة طويلة ذكرها من علماء السنة ابن أبي الحديد المعتزلي في الشرح ج٢ ص ١٠٢ ومن الأشاعرة ابن حجة الحموي في ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ج١ ص ٤٠. وغير ذلك ما عم وخص مما يطول شرحه وان معاوية من القاسطين انظر المحاسن والمساوي لإبراهيم بن محمد البيهقي الشافعي من علماء القرن الخامس ج١ ص ٣٢ طـ مصر سنة ١٢٢٥هـ، وقد طعن النسائي صاحب الصحيح على معاوية فقال وقد سئل=

الله ﷺ متواتر، وهو الذي سن سب أمير المؤمنين وإمام المتقين ومحبوب رب العالمين وأخي سيد المرسلين في خطبه وقنوته، وأوجب ذلك على نفسه حتى قيل له انك بلغت ما أملت فلو كففت عن لعن هذا الرجل، فقال لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلاً، ثم تورثها ولده يزيد (لعه) فقتل فرخ رسول الله ﷺ وقرة عينيه وثمرة فؤاده وجماعة من أصحابه وشيعته، ثم تورثها سائر بني أُمية وفعلوا ما فعلوا. كل هذا ومخالفونا يقولون إن الكل معذورون ويعتذرون عنهم تارة بالاجتهاد وكأن إيمان علي عليه السلام وإسلامه عندهم نظري، أو ان تحريم لعن المسلم نظري، وتارة بالتوبة وكأن معنى التوبة عندهم هزيمة الجند وموت معاوية وعقر جمل عائشة فالله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين .

٥ ـ جواب من اعترض على الامامية بتعرضهم للصحابة :

قال السيد ابن طاووس رحمه الله[١] في جواب من اعترض على الإمامية بتعرضهم للصحابة : وأما ما ذكرتم من تعرض من أشرتم إليه بذم بعض الصحابة فأنتم تعلمون أن كثيراً من الصحابة استحل بعضهم دماء بعض في حرب طلحة والزبير وعائشة لمولانا علي عليه السلام وفي حرب معاوية له عليه السلام أيضاً، واستباحوا أعراض بعضهم لبعض حتى لعن بعضهم بعضاً على منابر الإسلام، فأولٓئك هم الذين طرقوا للناس اللعن عليهم وبهم اقتدى من ذمهم أو نسب القبح إليهم، فإن كان لهم عذر في الذي عملوه من استحلال الدماء واستباحة الأعراض فالذين اقتدوا بهم أعذر وأبعد من أن تنسبوهم إلى سوء التعصب. وقال أيضاً[٢] وليس بغريب من قوم قد بلغ اختلالهم وجهلهم وجنونهم إلى أن عرفوا متواتراً لا يختلفون فيه، وإن جميع من يعتبر بأعماله من أهل المدينة والصحابة والتابعين والصالحين ومن حضرهم من سائر المؤمنين أجمعوا على أن عثمان بن عفان حلال الدم يجب المبادرة إلى قتله ولا يحل تغسيله ولا الصلاة عليه ولا دفنه، وقتلوه على

= في دمشق عن فضائل معاوية فقال معاوية لا يرضىٰ رأساً برأس حتى يفضل فما زالوا به يدفعون في خصييه حتى أخرج انظر معجم ياقوت الحموي ج٥ ص ٢٨٣ ط ـ مصر سنة ١٢٢٤ .

(١) انظر كشف المحجة للسيد علي بن طاووس في الفصل التاسع والسبعين ص ٧٥ ط ـ إيران سنة ١٣٠٦ .

(٢) انظر كشف المحجة للسيد علي طاووس في الفصل الثالث والستين ص ٦٣ ط ـ إيران سنة ١٣٠٦ .

هذه الحالة وبقي ثلاثة أيام لا يرى أحد منهم دفنه حتى دفنه بعض بني أُمية سراً من الصحابة والتابعين والصالحين، ثم بعد الإجماع والتواتر والبراءة من عثمان وخروجه عن حكم الإسلام والإيمان عادوا إلى تكذيب الصحابة وأهل المدينة ومن حضرهم من المسلمين، وطعنوا عليهم وفضحوهم في البلاد وشرعوا يمدحون عثمان بن عفان ويشكرونه ويثنون عليه بالبهتان، ويطعنون بذلك على أهل المدينة كافة وأعيان الصحابة ويشهدون عليهم أنهم قد يجمعون على المحال ويستحلون ما حرم الله من الدماء استحلالاً، وفي ذلك طعن على رواياتهم عنهم، وهدم لما نقلوه من الإسلام الذي ظهر منهم، وزاد حديث التعصب بعثمان حتى صار يذكر على المنابر بالمدح وتعظيم الشأن، وافتضحنا مع اليهود والنصارى وأعداء الدين بهذه المناقضات البعيدة من صفات العقلاء والعارفين، وقد كان الواجب قطع حديث عثمان بالكلية في الملة النبوية حتى لا يبقى له ذكر إن أمكن بحال من الأحوال تزكية للصحابة والتابعين ومن وافقهم على استحلال دمه وموافقته لهم في الفعل، وهل يستبعد من مثل هؤلاء الجهال المخالفة لمحمد ﷺ والتعصب على علي عليه السلام بما وقع بينهم من الاختلال.

وأعجب من ذلك أنهم يستدلون على حقية خلافة أبي بكر وأولويته من غيره باجتماع جمع من الصحابة على بيعته وخلافته، وغفلوا عن أن إجماع الصحابة والتابعين الذين هم أكثر من أُولَئك على استحلال قتل عثمان وإهراق دمائه وتكفيره موجب لذلك، واستدلوا بسكوت أمير المؤمنين عليه السلام وعدم منازعته في بيعة الأول والثاني على حقية خلافتهما، وأنها لو كانت باطلة لنازع عليه السلام في ذلك ولما سكت، ولم يستدلوا بسكوت أمير المؤمنين عن قتل عثمان وعدم نصرته على استحقاقه لذلك، ولما اعتذر عن سكوته هناك بأنه لم يكن له ناصر ولا معين أوردوا علينا بأنه هو الشجاع البطل المطاع في قومه ولو نازع وادعى الأمر لنفسه لكان منصوراً غالباً، وغفلوا عن كون ذلك وارداً عليهم في عدم منازعته عليه السلام في قتل عثمان وعدم نصرته له وعدم دفع خصومه وأعدائه عنه، ولكن الله ابتلى الكاذبين بعدم الحافظة وكثرة النسيان ليكون ذلك موجباً لافتضاحهم كما في الأثر والعيان يغني عن الخبر. ثم قال السيد رحمه الله(١) مهما وجدت في الكتب شيئاً منسوباً إلى أبي بكر وعمر وأعداء علي من الآداب والحكم والخطب والصواب فاعلم أنها موضوعة وليست من ألفاظ أُولَئك المتغلبين وإن أكثرها نسب إليهم في أيام معاوية وابنه يزيد (لعه)

---

(١) هو السيد علي بن طاووس في كتاب كشف المحجة في الفصل السادس والتسعين ص ١٠٤ ط إيران سنة ١٣٠٦ .

وأيام بني أُمية، وما كان منها في أيامهم فهي من أهل الكتابة والخطابة من الصحابة الذين لهم عادة بالإصابة، لأن الخلفاء الثلاثة ما عرفنا منهم أبداً في الجاهلية مقاماً ولا مقالاً يتقضى تصديق نسبة الفصاحة إليهم ولا عول فيها أحد عليهم، وأما ما ذكر عنهم من ألفاظ المكاتبات أيام خلافتهم فالعادة جارية في مثلهم ممن لم يعرف الفصاحة أوقات ولايتهم أنهم يستخدمون من ينشيء المكاتبات والجوابات كما ترى للمماليك من الأمراء الترك عند ولايتهم كتباً وجوابات منسوبات إليهم، ومن المعلوم أن نوابهم وأصحابهم ما عولوا في انشائها عليهم، وأما ما يتعلق بالخطب والحكمة فإن بني أُمية لما تظاهروا بلعنة أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر تقرب الطالبون للدنيا إليهم بوضع المناقب والفضائل لكل عدو له عليه السلام من الأواخر والأوائل تقية وطلباً للأُمور الدنيوية وحسداً له على الشرف بالسعادة النبوية. انتهى.

الفصل الخامس
النص على الأئمة الاثني عشر

١ ـ فيمن يطلق عليه لفظ الشيعة :

إن لفظ الشيعة يطلق على من قال بخلافة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فصل والمخالف في ذلك العامة، ولفظ الإمامية والاثنى عشرية مختص بمن قال بإمامة الاثني عشر صلوات الله عليهم، والمخالف في ذلك سائر فرق الشيعة .

فالزيدية تقول بإمامة زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام بعد أبيه، وربما ذهب بعضهم إلى إمامته بعد الحسين وربما قال بعضهم بحقية الخلفاء الثلاثة المتقدمين على أمير المؤمنين عليه السلام لاقتضاء المصلحة ذلك .

والكيسانية القائلين بإمامة محمد بن الحنفية بعد أخيه الحسين وذهب بعضهم إلى أنه لم يمت بل هو القائم المنتظر وبعضهم إلى موته وانتقال الإمامة إلى أولاده .

والإسماعيلية القائلين بإمامة إسماعيل بن الصادق الذي توفي في أيام والده الصادق ، وحملت جنازته علانية ليشاهدوا موته وهم فرق، منهم من قال بعدم موته بل أخفاه الصادق عليه السلام تقية من المنصور فعاش بعده وانتقلت منه إلى أولاده ومنهم من قال غير ذلك .

والناووسية القائلين بغيبة الصادق عليه السلام وانه لم يمت بل هو المهدي الذي يظهر .

والفطحية القائلين بإمامة عبد الله الأفطح بن الصادق عليه السلام بعده لأنه أكبر أولاده .

وكالواقفية الواقفين على إمامة الكاظم عليه السلام زعماً منهم أنه لم يمت بل هو الغائب القائم. ونحو ذلك من الفرق الضالة المبتدعة وقد انقرضوا كلهم ولله الحمد ولم يبق لهم

ذكر سوى الزيدية والاسماعيلية .

٢ ـ النصوص الدالة على إمامة الأئمة الاثني عشر :

ونحن إذا أثبتنا بالأدلة العقلية والبراهين اليقينية والآيات القرآنية والأحاديث المعصومية إمامة الأئمة الاثني عشر وهم علي بن أبي طالب، والحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والحجة بن الحسن القائم المهدي إمام العصر والزمان عليهم السلام . بطلت سائر المذاهب، موجودة كانت أو منقرضة إذ الحق في واحدة وما عداها باطل عقلاً ونقلاً آية ورواية فماذا بعد الحق إلا الضلال، وقوله صلى الله عليه وآله في الفرق، كلها في النار إلا واحدة ولنا في الاستدلال على ذلك طرق :

الأول : النصوص المتضافرة والأخبار المتواترة الدالة على امامتهم التي رواها المخالف والموالف، وهي كثيرة يحتاج جمعها وبسط الكلام فيها إلى كتاب مفرد، ولكنا نقتصر منها على ما أورده المخالفون في كتبهم المعتمدة وصحاحهم المعتبرة، كصحيح البخاري وصحيح مسلم والجمع بين الصحيحين والجمع بين الصحاح الستة وصحيح أبي داود ومسند أحمد بن حنبل وغيرها بطرق عديدة ومتون سديدة[1] من ان خلفاء النبي صلى الله عليه وآله اثنا عشر، وذلك لا ينطبق إلا على مذهب الإمامية الاثني عشرية، فروى البخاري في صحيحه عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : يكون بعدي اثنا عشر أميراً، ثم قال كلمة لم أسمعها قال : قال أبي كلهم من قريش .

وعن ابن عيينة قال، قال رسول الله لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً ثم تكلم بكلمة خفيت عليَّ، فسألت أبي ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : قال كلهم من قريش، ورواه مسلم أيضاً في صحيحه، وفي الجمع بين الصحيحين بالاسناد عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال يكون بعدي اثنا عشر خليفة، ثم تكلم بكلمة خفية، ثم قال كلهم من قريش. وروى مسلم في صحيحه هذا الحديث بثمانية طرق، ورواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين بستة طرق، ورواه الثعلبي في تفسيره بثلاثة طرق .

---

(١) انظر صحيح مسلم في أول كتاب الإمارة ج ٢ ص ٧٩، ومسند أحمد ج١ ص ٣٩٨ و ٤٠٦ وج٢ منه ص ٢٩ وج٥ منه ص ٨٩، وصحيح البخاري في أول كتاب الأحكام في باب الأمراء من قريش ج٤ ص ١٤٤ وفيه في آخر كتاب الأحكام ص ١٥٣، وابن حجر في الصواعق في الفصل الثالث من الباب الأول ص ١٢، وكنز العمال ج٦ ص ١٦٠ .

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قال لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش .

وفي الجمع بين الصحاح الستة في موضعين عنه ﷺ قال : إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش. وكذا عن صحيح أبي داود، والجمع بين الصحيحين .

وروي عن ابن عباس قال سألت النبي ﷺ حين حضرته الوفاة، وقلت إذا كان ما نعوذ بالله فإلى من، فأشار بيده إلى علي عليه السلام وقال هذا مع الحق والحق معه، ثم يكون من بعده أحد عشر إماماً .

ورووا عن عائشة أنها سئلت كم خليفة لرسول الله، فقالت أخبرني أنه يكون من بعده اثنا عشر خليفة، وقالت إن أسماءهم مكتوبة عندي بإملاء رسول الله ﷺ فقيل لها فاعرضيه فأبت. ورووا في هذا المعنى اخباراً كثيرة تنيف على ستين حديثاً كلها تشتمل على ذكر الاثني عشر، وفي بعضها ذكر أسمائهم .

وروي عن صدر الأئمة اخطب خوارزم بإسناده إلى رسول الله ﷺ قال، ليلة اسري بي إلى السماء قال لي الجليل جل جلاله : ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾[1] . فقلت : ﴿والمؤمنون﴾ فقال لي صدقت من خلفت في أُمتك، قلت خيرها، قال علي بن أبي طالب، قلت نعم يا رب، قال تعالى يا محمد اني اطلعت إلى الأرض اطلاعة اخترتك منها، فشققت لك اسماً من أسمائي، فلا أُذكر في موضع إلا ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت ثانية واخترت منها علياً، وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو علي، يا محمد إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من نوري وعرضت ولايتكم على أهل السماوات والأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان من الكافرين، يا محمد لو أن عبداً من عبادي عبدني حتى يصير كالشن البالي ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم، يا محمد تحب أن تراهم، قلت نعم، فقال التفت إلى يمين العرش، فالتفت فإذا أنا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والمهدي في ضحضاح من نور قيام يصلون، وهو ـ يعني المهدي ـ في وسطهم كأنه كوكب

(١) سورة البقرة؛ الآية : ٢٨٥ .

دري، فقال يا محمد هؤلاء الحجج وهذا هو الثائر من عترتك، وعزتي وجلالي إنه الحجة الواجبة لأوليائي والمنتقم من أعدائي .

ورووا عن أبي طالب أنه قال له رسول الله ﷺ يا عم يخرج من ولدك اثنا عشر خليفة، منهم يخرج المهدي من ولدك به تصلح الأرض ويملأها الله عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

وعن السدي في تفسيره وهو من علماء الجمهور وثقاتهم، قال لما كرهت سارة مكان هاجر أوحى الله تعالى إلى إبراهيم الخليل، فقال انطلق بإسماعيل وأُمه حتى تنزله ببيت النبي ﷺ التهامي، يعني مكة، فإني ناشر ذريته وجاعلهم ثقلاً على من كفر بي. وجاعل منهم نبياً عظيماً ومظهره على الأديان، وجاعل من ذريته اثني عشر عظيماً، وجاعل من ذريته عدد نجوم السماء .

ورووا عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال له يا عم يكون من ولدي اثنا عشر خليفة، فتحدث أُمور كريهة وشدة عظيمة، فيخرج المهدي من ذريتي فيملأ الأرض عدلاً. الحديث. وفيه وفيما قبله ضرب من التغليب مع أن إطلاق الولد على مثل أمير المؤمنين صحيح لكونه ﷺ مربياً له ومعلماً .

ورووا عنه ﷺ أنه قال: أوصيائي من بعدي عدد أوصياء موسى أو حواريّ عيسى. وكانوا اثني عشر .

وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : إن أوصيائي من بعدي عدد نقباء بني إسرائيل. وكانوا اثني عشر إشارة إلى قوله تعالى : ﴿**وجعلنا منهم اثني عشر نقيباً**﴾ .

وروى الزمخشري باسناده عن النبي ﷺ أنه قال : فاطمة ثمرة فؤادي وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها أُمناء وحي وحبل ممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجا، ومن تخلف عنهم هوى. والأخبار في هذا المعنى كثيرة، وهي مروية من طرقنا أيضاً بأسانيد لا تحصى وطرق لا تستقصى. وقد جمع جملة منها مؤلف نصوص المعجزات، وهي صريحة فيما عليه الفرقة المحقة والطائفة الحقة، إذ لا يمكن حملها على خلفاء الجور لزيادة عددهم من قريش على ذلك. ومن الأمر الغريب والعجيب أن آية الله العلامة رحمه الله بعد أن نقل جملة من روايات النص على الاثني عشر عن صحيح البخاري، وصحيح مسلم وصحيح أبي داود، والجمع بين الصحيحين، والجمع بين الصحاح الستة، وتفسير السدي، قال الناصب الفضل بن روزبهان ما لفظه، أقول ما ذكر من الأحاديث

الواردة في شأن اثني عشر خليفة من قريش فهو صحيح ثابت في الصحاح، إلى أن قال ثم ما ذكر من عدد اثني عشر خليفة قد اختلف العلماء في معناه، فقال بعضهم هم الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، وكان اثنا عشر منهم ولاة الأمر إلى ثلثمائة سنة، وبعدها وقعت الفتن والحوادث، فيكون المعنى أن أمر الدين عزيز في مدة خلافة اثني عشر كلهم من قريش. وقال بعضهم إن عدد صلحاء الخلفاء من قريش اثنا عشر، وهم الخلفاء الراشدون وهم خمسة، وعبد الله بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، وخمسة أُخر من خلفاء بني العباس، فيكون هذا إشارة إلى الصلحاء من الخلفاء القرشية. وأما حمله على الأئمة الاثني عشر، فإن أُريد بالخلافة وراثة العلم والمعرفة وإيضاح الحجة والقيام بإتمام منصب النبوة فلا مانع من الصحة، ويجوز هذا الحمل بل يحسن، وإن أُريد به الدعامة الكبرى والايالة العظمى، فهذا أمر لا يصح لأن من الاثني عشر اثنين كانا صاحبي الدعامة الكبرى، وهما علي عليه السلام والحسن عليه السلام، والباقون لم يقصدوا الدعامة الكبرى، ولو قال الخصم إنهم كانوا خلفاء لكان منعهم الناس عن حقهم. قلنا سلمت أنهم لم يكونوا خلفاء بالفعل بل بالقوة والاستحقاق، وظاهر أن مراد الحديث أن يكونوا خلفاء قائمين بالدعامة والولاية وإلا فما الفائدة في خلافتهم في إقامة الدين، وهذا ظاهر والله أعلم. انتهى.

ومراده بالخمسة أبو بكر وعمر وعثمان وأمير المؤمنين عليه السلام والحسن عليه السلام، والسبعة الباقون بنو أُمية ومنهم معاوية ويزيد إلى أن ينتهوا إلى السبعة، ومنهم الوليد، ومراده بصلحاء الخلفاء الخمسة المذكورون وعبد الله بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وخمسة من بني العباس.

أقول، ولا يخفى ما في كلامه المختل، المتهافت المرام، من التهافت والتناقض، والعصبية والعناد، واللجاج والفساد، من وجوه عديدة لا تخفى على البليد فضلاً عمن ألقى السمع وهو شهيد. أما أولاً، فلأنهم استندوا في حقية خلفائهم إلى ما رووه عن النبي ﷺ أنه قال: الخلافة ثلاثون سنة، وبعد ذلك ملك عضوض. وادعى بعضهم أن الثلاثين تتم بخلافة أمير المؤمنين، وبعضهم بالستة أشهر التي تخلف فيها الحسن عليه السلام. فكيف ادعوا هنا أن الخلفاء أكثر من ذلك، مع أنهم قد اعترفوا وصرحوا في كتبهم بأن معاوية لم يكن من الخلفاء بل كان من الملوك.

وأما ثانياً فإن معاوية على ما حققه جملة من علمائهم المحققين المنصفين لم يكن من المسلمين، فضلاً عن أن يكون خليفة رسول رب العالمين وأميناً على الدنيا والدين في

الخلائق أجمعين، وهو الذي حارب أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال فيه سيد المرسلين حربك حربي وأعلن بسبه على المنابر، ودس السم إلى الحسن عليه السلام نور عين المصطفى وسيد شباب أهل الجنة. وابنه يزيد كان معلناً بالفسق والفجور، متجاهراً بشرب الخمور، وهو الذي قتل سيد شباب أهل الجنة، وسبى ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وهتك حرمته، وهتك حرمة مكة والمدينة حرم الله ورسوله، وأباح نساء أهل المدينة ثلاثة أيام، حتى تولد من النساء أربعة آلاف ولد من تلك الواقعة.

والوليد هو الذي كان معلناً بالفسق والفجور، وهو الذي رمى القرآن المجيد بالنبل حتى خرقه لما تفاءل به يوماً فجاءت الآية: **﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾**[1]. فجعل القرآن منضلاً للنبل ورماه بالنبل حتى خرقه وأنشأ يقول:

تهـــددنـــي بجبـــار عنيـــد ... فهـــا أنـــا ذاك جبـــار عنيـــد

إذا مـــا جئـــت ربـــك يـــوم حشـــر ... فقـــل يـــا رب مـــزقنـــي الـــوليـــد

وكل ذلك قد اعترفوا به في كتبهم فبالله أهؤلاء يكونون خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله.

ليبـك علـى الإسـلام مـن كـان بـاكيـا ... فقـد هـدمـت اركـانـه ودعـائمـه

وأما ثالثاً فإن ما زعمه من الحمل على صلحاء الخلفاء الذين زعمهم فاسد أيضاً، فإنه يلزم الفصل الكلي وعدم الاتصال بينهم بهذا التلفيق الذي ظنه على أن ابن الزبير بمعزل عن الصلحاء، لما رووه في كتبهم أنه كان من رؤساء حرب أهل الجمل، وانه كان معلناً بعداوة أهل البيت، الذين أوجب الله مودتهم حتى إنه في أيام خلافته كان يخطب ولا يصلي على النبي صلى الله عليه وآله، فقيل له في ذلك، فقال إن له أهيل سوء إذا ذكرته شمخوا بأنوفهم. وقال صاحب الاستيعاب من الجمهور انه كانت فيه خلال لا يصلح معها للخلافة[2] لأنه كان بخيلاً ضيق العين سيِّء الخلق، حسوداً كثير الخلاف، أخرج محمد بن الحنفية، ونفى عبد الله بن عباس إلى الطائف. وقال علي بن أبي طالب عليه السلام ما زال الزبير يعد منا أهل البيت حتى نشأ عبد الله. وأيضاً يلزم خلو الأزمن الفاصلة بين الخليفتين الصالحين وما

---

(١) سورة إبراهيم؛ الآية: ١٥.

(٢) انظره في الاستيعاب بترجمة ابن الزبير ج١ ص ٣٦٤، وفي شرح النهج ج٤ ص ٤٨٧ وصحيح مسلم في باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها من كتاب الفضائل ج٢ ص ٢٧٤، وصحيح البخاري في كتاب الفتن في باب إذا قال عنه قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه ج٤ ص ١٤١، وأيضاً فيه في تفسير سورة براءة من كتاب التفسير في باب قوله تعالى ثاني اثنين ج٣ ص ٨٥، وفي كتاب البيوع في باب ما قيل في الصواع ج٢ ص ٦، ومسند أحمد ج١ ص ٦٤.

بعد تمام الاثني عشر منهم عن الخليفة والإمام، وقد تقدم أن الأرض لا تخلو من خليفة وهو مناف لظاهر هذه الأخبار أيضاً .

وأما رابعاً فإن ظاهر هذه الأخبار بل صريحها أن الاثني عشر متصلون بآخر الزمان، وفي بعضها آخرهم المهدي، وفي بعضها لا يزال الدين، وفي بعضها فإذا مضوا ماجت أو ساخت الأرض بأهلها كما رووا عن انس قال قال رسول الله ﷺ : لا يزال هذا الدين قائماً إلى اثني عشر خليفة من قريش، فإذا ذهبوا ماجت الأرض بأهلها .

وأما خامساً فإن ما ذكره الناصب من الترديد مردود بأن الخلافة والإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي ﷺ ، وفعليتها إنما تكون بالنص والتعيين لا بشيوع التصرف والتظاهر بجريان الأحكام، وإلا لما كان أبو بكر حال امتناع الاعراب عن اداء الزكاة خليفة ولو بالنسبة إليهم، ولا كان عثمان حين حوصر خليفة، ولا كان أمير المؤمنين عليه السلام حين محاربة معاوية وعائشة وطلحة والزبير والخوارج خليفة، ولما كان الأنبياء حين تكذيب نبوتهم أنبياء، وكل ذلك باطل بالإجماع، بل الخليفة والإمام هو القابل لذلك المنصوص عليه وإن لم يكن متصرفاً كما قال النبي ﷺ في شأن السبطين : إبناي هذان إمامان قاما أو قعدا. وبالجملة فكلام هذا الناصب ومن حذا حذوه في غاية التهافت والاختلال، ولعل قوله في آخر كلامه والله أعلم، إشارة إلى عدم اعتقاده بما قاله، بل إنما صدر منه لساناً. ومن مستطرفات الآثار ما حكي عن بعض الأُمراء والوزراء أنه لما عثر على هذه الأخبار من طرقهم جمعهم وسألهم عن معناها، مورداً عليهم بأنه إن عنى مطلق قريش فعدد سلاطينهم فوق ذلك أضعافاً مضاعفة، وإن أراد غير ذلك فبينوه، فاستمهلوه عشرة أيام فأمهلهم، فلما حل الوعد تقاضاهم الجواب، فحاروا وتحيروا وافتقد رجلاً منهم مبرزاً وطلب الأمان فأعطاه الأمان، فقال هذه الأخبار لا تنطبق إلا على مذهب الشيعة الاثني عشرية ولكنها أخبار آحاد لا توجب العمل، فرضي بقوله وأنعم عليه. ولعمري إنها أخبار متواترة وروايات متضافرة قد اتفق على روايتها الفريقان العامة والخاصة، وحفظها في كتبهم مع اقتضاء الحال اخفاءها أدل دليل وأصدق شاهد على صحتها، وليتهم اتوا بخبر واحد يدل على حقية خلافة أئمتهم، ولكن لا تعمى الأبصار بل تعمى القلوب التي في الصدور . وقد روى أحمد بن حنبل في مسنده وغيره من الجمهور عن النبي ﷺ أنه قال للحسين : أنت السيد ابن السيد أخو السيد أبو السادة، أنت الإمام ابن الإمام أخو الإمام أبو الأئمة. أنت الحجة ابن الحجة أخو الحجة أبو الحجج التسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم. وهذا أيضاً نص صريح على إمامتهم، ونحوه مروي عن الطبري

وغيره، وليس في نسخهم أخو السيد وأخو الإمام وأخو الحجة، والظاهر انه سقط .

ورووا أيضاً في صحاحهم وكتبهم بطرق عديدة تنيف على مائتي طريق كابن مردويه، وأحمد بن حنبل في مسنده، والثعلبي في تفسيره، وابن عبد ربه في العقد، وأبي داود في صحيحه والترمذي في صحيحه، ومسلم في صحيحه، وفي الجمع بين الصحيحين وغيرها أن النبي ﷺ قال : أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله فيه النور فخذوا كتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، وفي بعضها إني تارك فيكم الثقلين إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني في عترتي. وفي بعضها خليفتين بعد الثقلين. ولا يخفى ما فيها من الدلالة الصريحة، والمقالة الفصيحة على إمامتهم، حيث قرنهم بالكتاب المجيد وأمر بالتمسك بهم، فكما أن التمسك بالقرآن والعمل بما فيه موجب للنجاة الأُخروية والسعادة الأبدية، فكذا التمسك بأهل البيت عليهم السلام، ولا معنى لإمامتهم إلا ذلك. وأيضاً فقد اخبر ﷺ بأنهم لا يفترقون ولا يفارقون القرآن وأنهم باقون ببقائه وأن التمسك بالقرآن من دونهم غير نافع، وذلك كله لا ينطبق إلا على مذهب الإمامية .

وروى أحمد بن حنبل في مسنده وغيره من الجمهور بطرق عديدة وألفاظ متقاربة أن النبي ﷺ قال : إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك[1]. وفي بعضها أهل بيتي فيكم كباب حطة في بني إسرائيل[2]. ولا يخفى ما فيها من الدلالة، ولا تنطبق على مذهب العامة إلا أن يدعوا أن أهل البيت عبارة عن أبي حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل، الراوين لهذا الحديث، وأبي هريرة وانس ونحوهم .

وروى ابن أبي الحديد في الشرح[3] عن صاحب حلية الأولياء عن النبي ﷺ انه قال : من سره ان يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي، فليوال

---

(١) انظر الصواعق لابن حجر في الآية السابعة من الآيات الواردة فيهم عليهم السلام ص ٩٣، وتفسير الفخر الرازي ج ٧ ص ٤٠٦، والنيسابوري ج٣ في تفسير سورة الشورىٰ .

(٢) انظر الصواعق لابن حجر الفصل الثاني في فضائل علي عليه السلام ص ٧٧، والفصل الأول من الآيات الواردة فيهم عليهم السلام ص ٩٣، وكنزالعمال ج٦ص ١٥٣ .

(٣) انظر شرح النهج الحديدي ج٢ ص ٤٥٠، وكنز العمال ج٦ ص ١٥٥ .

علياً من بعدي، وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين لهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي. ونحوه مروي عن فضائل أحمد بن حنبل، ونخب ابن جبير، وخصائص النضيري، وفيه بدل ويسكن جنة عدن إلى آخره، ويدخل جنة عدن منزلتي فليتولَّ علي بن أبي طالب عليه السلام ولياً، ثم بالأوصياء من ولده، فتأمل من الذي قطع وصلهم، وفصل بينهم وبين جدهم صلى الله عليه وآله.

وروى الديلمي في الفردوس[1] عن النبي صلى الله عليه وآله قال: يا علي إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة الله عز وجل، وأخذتُ أنت بحجزتي، وأخذ ولدك بحجزتك، وأخذ شيع ولدك بحجزهم، فترى أين يؤمر بنا. ونحوه في كتاب شرف النبي، وزيد فيه فإنهم لن يدخلوكم نار ضلالة، ولن يخرجوكم من نور هدى. وبالجملة فاستقصاء الأخبار المروية فيهم عليهم السلام من طرق العامة فضلاً عن الخاصة لا تحصى، هذا كله مضافاً إلى ما صدر منهم من العلوم والأسرار مما اعترف به الأخيار والأشرار، وما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله فيهم. ولنذكر جمل يسيرة فيهم مما ذكره الناصبي ابن حجر في الصواعق المحرقة[2].

٣ ـ النصوص التي أوردها ابن حجر:

قال في آية التطهير، أخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري انها نزلت في خمسة، النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين. وأخرجه ابن جرير مرفوعاً بلفظ انزلت هذه الآية في خمسة فيَّ، وفي علي، وحسن وحسين وفاطمة، وأخرج الطبراني أيضاً ومسلم أنه صلى الله عليه وآله أدخل أولئك تحت كساء عليه، وقرأ هذه، وصح أنه صلى الله عليه وآله جعل على هؤلاء كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أُم سلمة وأنا معهم، قال إنك على خير. وفي رواية بعد تطهيراً، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم. وصح عن كعب بن عجرة أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إن الله

---

(١) الذي وجدته بمعنى الرواية لا لفظها عن ابن حجر في الصواعق ص ١٤٠ وليس فيه لفظ حجزة ونصه عن النبي (ص) أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت يعني علياً عليه السلام والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرارينا، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا، انتهى ومثله في نور الأبصار للشبلنجي الشافعي ص ٩٩ طـ مصر سنة ١٣١٥.

(٢) انظر ما ذكره الماتن قدس سره في الصواعق المحرقة لابن حجر من ص ٨٧ إلى ١١٧ تجده فيه برمته في طي كلماته وخلال صفحاته.

وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾[1]. قيل يا رسول الله قد علمنا كيف السلام عليك، فكيف نصلي عليك، قال قولوا اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد. وفي رواية الحاكم فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد إلى آخره. ثم قال ويروى أن لا تصلوا عليَّ الصلاة البتراء، فقالوا يا رسول الله وما الصلاة البتراء، قال تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وقال في قوله تعالى: **﴿سلام على آل يسٓ﴾** نقل جماعة من المفسرين عن ابن عباس أن المراد بذلك سلام على آل محمد، وكذا قاله الكلبي، وأخرج الترمذي وقال حسن غريب أنه ﷺ قال إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما. واخرجه أحمد في مسنده بمعناه ولفظه، إني اوشك أن ادعى فأُجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا بما تخلفونني فيهما . وفي رواية ان ذلك كان في حجة الوداع، وعن زيد بن أرقم أنه ﷺ قال ذلك يوم غدير خم، وهو ماء بالجحفة وزاد أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، قلنا لزيد مَنْ أهل بيته نساؤه قال لا وايم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده. وفي رواية صحيحة إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا ان اتبعتموهما كتاب الله وأهل بيتي وعترتي، وزاد الطبراني سألت الله ذلك لهما فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم. وفي رواية كتاب الله وسنتي. قال والحاصل أن الحث وقع على التمسك بالكتاب وبالسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة. ثم اعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً، وفي بعض كتب تلك الطرق أنه قال ذلك في حجة الوداع بعرفة، وفي أُخرى بغدير خم، وفي أُخرى في المدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة من أصحابه، وفي أُخرى بعد انصرافه من الطائف، ولا تنافي إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن، وأخرج ابن سعد والملا في سيرته أنه ﷺ قال

(١) سورة الأحزاب؛ الآية: ٥٦ .

واستوصوا بأهل بيتي خيراً الحديث. وأخرج الأول، أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً. والثاني حديث في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وان أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل فانظروا من توفدون. ثم قال وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض.

وأخرج الثعلبي في تفسيره عن جعفر الصادق عليه السلام قال: نحن حبل الله الذي قال الله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا﴾**[1].

وأخرج أبو الحسن المغازلي عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: **﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾**[2]. قال نحن الناس قال وفي قوله تعالى: **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾** إشارة إلى وجود ذلك المعنى في أهل بيته، وأنهم أمان لأهل الأرض كما كان هو أماناً لهم، وفي ذلك أحاديث كثيرة منها: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي، وفي رواية أيضاً أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون، وفي أخرى لأحمد فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض، وفي رواية صححها الحاكم، النجوم أمان أهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس.

وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا. وفي رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق. وفي رواية هكذا إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له الذنوب. وقال في قوله تعالى: **﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾**[3]. قال ثابت البناني اهتدى إلى ولاية أهل البيت وجاء ذلك عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وأخرج الديلمي مرفوعاً إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله تعالى فطمها ومحبيها عن النار.

وأخرج أحمد في المناقب أنه صلى الله عليه وآله قال لعلي أما ترضى أنك معي في الجنة

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ١٠٣.

(٢) سورة النساء؛ الآية: ٥٤.

(٣) سورة طه؛ الآية: ٨٢.

والحسن والحسين، وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا .

وأخرج الطبراني أنه ﷺ قال لعلي أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وذرياتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرياتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا .

وأخرج الديلمي يا علي إن الله عز وجل قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك فأبشر فإنك الأنزع البطين، وقال في قوله تعالى : **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا﴾**[1] الآية . قال اخرج أحمد والطبراني، وابن أبي حاتم، والحاكم، عن ابن عباس أن هذه الآية لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم، قال علي وفاطمة وابناهما. ثم روى روايات كثيرة من هذا القبيل عن البزاز، والطبراني وأحمد، قال وأخرج الثعلبي عن ابن عباس في قوله : **﴿ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا﴾**[2]. قال المودة لآل محمد، ونقل الثعلبي والبغوي عنه انه لما نزل قوله تعالى : **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾**[3]. قال قوم في نفوسهم ما يريد إلا أن يحثنا على قرابته من بعده، فأخبر جبرائيل النبي ﷺ أنهم اتهموه بهذه الآية فأنزل : **﴿أم يقولون افترى على الله كذبا﴾**[4] الآية. فقال القوم يا رسول الله إنك صادق، فنزل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده .

وقال في قوله تعالى : **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمٰن ودا﴾**[5]. اخرج الحافظ السلفي عن محمد بن الحنفية أنه قال في تفسير هذه الآية لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه ود لعلي عليه السلام وأهل بيته. وأخرج الديلمي أنه ﷺ قال أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم، وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن، والحديث .

وأخرج أبو الشيخ من جملة حديث طويل يا أيها الناس إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله ﷺ وذريته، فلا تذهبن بكم الأباطيل .

---

(١) سورة الشورى؛ الآية: ٢٣ .
(٢) سورة الشورىٰ؛ الآية: ٢٣ .
(٣) سورة الشورىٰ؛ الآية: ٢٣ .
(٤) سورة الشورىٰ؛ الآية: ٢٤ .
(٥) سورة مريم؛ الآية: ٩٦ .

وأخرج الدارقطني أن الحسن عليه السلام جاء إلى أبي بكر وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال إنزل عن مجلس أبي، فقال صدقت والله إنه لمجلس أبيك، ثم أخذه وأجلسه في حجره وبكى، فقال علي عليه السلام والله ما كان عن رأيي، فقال صدقت ما اتهمتك، فانظر محبة أبي بكر وتعظيمه وتوقيره للحسن عليه السلام حيث أجلسه في حجره وبكى. ووقع للحسين عليه السلام نحو ذلك مع عمر وهو على المنبر، فقال له والله منبر أبيك لا منبر أبي، فقال علي عليه السلام ما كان أمرت بذلك، فقال عمر والله ما اتهمناك والله ما اتهمناك. وزاد ابن سعد أنه أخذه فأقعده إلى جنبه، وقال وهل أنبت الشعر على رؤوسنا إلا أبوك، أي الرفعة ما نلناه إلا به .

وأخرج الحاكم عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إن مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق .

وأخرج الترمذي عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن هذا ملك لم ينزل إلى الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم عليَّ ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة .

وأخرج الترمذي وابن ماجة وابن حيان والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أنا حرب لمن حاربهم، وأنا سلم لمن سالمهم .

وأخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد والطبراني عن عمر وعن علي وعن جابر وعن أبي هريرة وعن أُسامة بن زيد، وعن البراء بن عازب عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

وأخرج ابن عساكر عن علي عليه السلام . وعن ابن عمر وابن ماجة والحاكم عن ابن عمر والطبراني، عن قرة، عن مالك بن الحويرث والحاكم عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ابناي هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما. وفي رواية أُخرى إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وإن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة. وفي خبر آخر إن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا. انتهى .

٤ ـ فيمن أنكر وجود النص على أمير المؤمنين عليه السلام :

اعلم أن جمعاً من المتعصبين الذين ليس لهم قدم راسخ في الدين قد أنكروا وجود النص من خاتم النبيين على أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين، مع أن النصوص من طرفهم

متضافرة، والأخبار في كتبهم متوافرة، ولما رأى متأخروهم أن الشمس لا تستر بالراح اعتذروا تارة بأن خلافة من تقدم دراية، وخلافة أمير المؤمنين عليه السلام رواية، وهي لا تعارض الدراية. وتارة بأن هذه الأخبار آحاد لم تصل إلى حد التواتر فلا تكون حجة، وتارة بأنها معارضة بالأخبار المروية في حق الخلفاء، وتارة باستبعاد وجود النص من وجوه :

الأول : إنه لو كان نص في هذا المطلب العظيم والمنصب الجسيم لما عدل عنه أكابر الصحابة والتابعين مع تقدسهم وورعهم وصلاحهم، ولما اختلفوا في السقيفة وقالوا منا أمير ومنكم أمير، فكيف اتفقوا كلهم على ذلك ولم يذكروا نصاً مع كونهم خير أمة أُخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وامة وسطاً شهداء على الناس .

الثاني : إن النبي صلى الله عليه وآله لو كان عالماً باتفاق أكثر أُمته على الباطل، والعدول عن النص، كيف كان يقول عليكم بالسواد الأعظم .

الثالث : إن أمير المؤمنين كان في غاية الشجاعة ونهاية القوة، وهو الذي قاتل الشجعان ونكس الفرسان، وكان المطاع في قومه والمتبع في عشيرته، فلو كان له حق كيف سكت عنه ولم يدَّعه ولم يقاتل عليه، وأبو بكر على دعواكم كان شيخاً ضعيفاً جباناً .

الرابع : إنه قد ثبت قول العباس لأمير المؤمنين عليه السلام هلم لأُبايعك فيقال إن عم رسول الله صلى الله عليه وآله قد بايع علياً، فلا يختلف عليك اثنان. ولو كان نص لما قال له ذلك، لما قال أبو سفيان يا بني عبد مناف أترضون أن يتولى عليكم رجل من تيم ولو شئت لملأتها خيلاً ورجلاً، ولو كان نص لما رضي أمير المؤمنين عليه السلام بالدخول في الشورى، وما رأينا أمير المؤمنين عليه السلام احتج يوماً على معاوية وغيره بالنص والجواب .

٥ ـ جواب من أنكر وجود النص على أمير المؤمنين عليه السلام :

إن هذه المزخرفات الوهمية، والاستبعادات الاعتبارية، والشبهات الشيطانية غير مسموعة في مقابلة الأدلة القطعية، والبراهين اليقينية، والأحاديث المتواترة، والأخبار المتضافرة المروية في صحاحكم وكتبكم، مع قطع النظر عما روته الفرقة المحقّة، والطائفة الحقة، خلفاً عن سلف بما يزيد على التواتر، ولم يقم من الأخبار والآثار على مطلب من المطالب أكثر مما قام على هذا الأمر، مع اقتضاء الحال اخفاء ذلك من وجوه عديدة لا تخفى على الفطن، هذا كله مع تأيدها بالأدلة العقلية، والبراهين القطعية،

والقرائن الحالية، وبالروايات التي تزيد على عدد التواتر من طرق الإمامية، وعدم معارض لها من طرقكم أيضاً، بل رويتم في مثالب خلفائكم ومطاعن أئمتكم في صحاحكم وكتبكم أخباراً لا تحصى، وروايات لا تستقصى تدل على عدم لياقتهم للرئاسة العامة والإيالة التامة، واستبعاد ذلك بأطباق أكثر الصحابة والتابعين على خلافه غير مسموع، لأن جملة منهم منافقين كما نطق بذلك القرآن الكريم والسنة كما يأتي، وجملة منهم كانوا مصرين على بغض أمير المؤمنين عليه السلام إما لحب الرئاسة أو لأضغان بدرية وأحقاد حنينية قتل فيها آباءهم واستأصل عشائرهم وقبائلهم، وكان عليه السلام لم يزل يشتكي من قريش ويقول قد أبت إلا قطعي وعداوتي، حتى رويتم أنه عليه السلام لم يكن معه من قريش في وقعة صفين إلا خمسة محمد بن أبي بكر، وجعدة بن هبيرة، وأبو الربيع بن أبي العاص، ومحمد بن أبي حذيفة ابن اخت معاوية، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وكان مع معاوية ثلاث عشرة قبيلة منهم مع أهاليهم، وقد اعترفتم بأن معاوية لم يكن محقاً في دعواه ومع ذلك أضبت قريش على عداوة علي عليه السلام ومقاتلته. وجملة منهم لما رأوا أمير المؤمنين عليه السلام جالساً في بيته ومشغولاً بما أصابه من فراق ابن عمه، زعموا أنه رفع يده عن الخلافة وليس له رغبة فيها. وجملة منهم اعترضوا على الغاصبين كبريدة الاسلمي ونحوه بالنص، فأجابوهم بأنا قد شهدنا وغبتم، ويرى الحاضر ما لا يرى الغائب، وجملة منهم كانوا يزعمون أن الإمامة والخلافة عبارة عن الملك والإمارة، وقالوا إنا رعايا فكل من تأمّر أطعناه سواء كان الحق له أو لغيره، وما لنا والدخول بين الأمراء كما قال أبو بكر لا تجتمع النبوة والملك في بيت واحد، وما كان الله ليجمع النبوة والخلافة لأهل بيت واحد، مع أن صاحب الحق في يوم وفاة ابن عمه كان مشغولاً بتجهيزه، وهم اغتنموا الفرصة وذهبوا إلى السقيفة ولم يحضروا نبيهم، وفي اليوم الثاني احتج أمير المؤمنين عليه السلام على جملة من المهاجرين والأنصار بأحقيته بالخلافة وبالنص عليه، فسلموا واذعنوا واعتذروا بأنا لو سمعنا مقالك اليوم أمس لما بايعنا، مع أنكم قد رويتم في صحاحكم أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يبايع أبا بكر مدة مديدة، وقولكم إن أمير المؤمنين لم يحتج بالنص كذب وافتراء، فكم احتج بذلك مرة بعد أُخرى، وكرة بعد اولى، كما هو مروي من طرقكم. وقد روى ذلك ابن المغازلي الشافعي في مناقبه، والترمذي في صحيحه، وغيرهما وأما احتجاجه بالقرابة والفضيلة أيضاً فلا ينافي ذلك فإنه عليه السلام تابع قوله تعالى: **﴿ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**[1]. فادعى أولويته بالطرق الثلاثة بالنص وهو البرهان،

---

(١) سورة النحل؛ الآية: ١٢٥ .

وذكر الفضائل وهي الموعظة الحسنة وتسمى الخطابة، وبالقرابة وهي المجادلة بالتي هي أحسن، كما قال :

فإن كنت بالقربى حججت امورهم   فغيرك أولى بالنبي وأقرب
وإن كنت بالشورى حججت امورهم   فكيف بهذا والمشارون غيب

واما الاستبعاد من كتمان أكثر الصحابة بل جلهم هذا والاعراض عنه، فليس بمستبعد لما عرفت من جهاته ومعارضة ذلك بقوله ﷺ عليكم بالسواد الأعظم، مع تسليمه غير مسموع، لأن الله سبحانه وتعالى قد ذم الكثرة ومدح القلة في مواضع عديدة فقال تعالى : **﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾**[١]. وقوله تعالى : **﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾**[٢]. وقوله تعالى : **﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا﴾**[٣]. وقال تعالى : **﴿إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾**[٤]. وقال تعالى : **﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾**[٥] وقال تعالى : **﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾**[٦]. وقال تعالى : **﴿وقليل من عبادي الشكور﴾**[٧]. إلى غير ذلك من الآيات والروايات. وأيضاً فإن بني إسرائيل على كثرتهم قد اتفقوا على مخالفة هارون وعبدوا العجل بعد غيبة موسى، وقد تواتر عنه ﷺ أنه يقع في هذه الأمة ما وقع في الامم الماضية حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، وقد أشار ﷺ إلى ذلك بقوله أنت مني بمنزلة هارون من موسى، ولعل المراد بالسواد الأعظم ما كان عظيماً بحسب الشأن والمرتبة، فيكون عبارة عن كتاب الله أو عن الكتاب والعترة اللذين هما الثقلان كما ترشد إليه الأخبار .

والعجب من المخالفين انهم ذكروا في كتبهم ورووا عن علمائهم ان هؤلاء الصحابة الذين بايعوا أبا بكر قد اجتمعوا كلهم ومعهم أضعافهم على قتل عثمان وسفك دمه، ومع ذلك لم يجعلوا ذلك قادحاً في مرتبة عثمان، فإن كان اتفاق جلهم على أمر حجة، فليكن

---

(١) سورة الأنعام؛ الآية: ١١٦ .
(٢) سورة يوسف؛ الآية: ١٠٣ .
(٣) سورة الفرقان؛ الآية: ٤٤ .
(٤) سورة الأنعام؛ الآية: ١١٦ .
(٥) سورة المؤمنون؛ الآية: ٧٠ .
(٦) سورة الأعراف؛ الآية: ١٠٢ .
(٧) سورة سبأ؛ الآية: ١٣ .

في قتل عثمان، وإن لم يكن حجة فكيف يستدلون به على حقية خلافة أبي بكر، وأيضاً وقد استدلوا بعدم منازعة أمير المؤمنين في بيعة أبي بكر على حقيتها، فكيف لم يجعلوا عدم منازعة أمير المؤمنين قتلة عثمان دليلاً على حقيتهم، إن هذا لعجيب وأي عجيب وغريب وأي غريب. وأما ما استبعدوه من عدم نزاع أمير المؤمنين عليه السلام من تغلب عليه مع قوته وشجاعته فقد عرفت أنه ادعى أولويته بالخلافة مرة بعد أخرى، وكرة بعد اولى، وأما تركه لمحاربتهم ومقاتلتهم كما فعل ذلك بمعاوية وعائشة والزبير وطلحة وأهل النهروان فله عندنا محامل صحيحة :

أولها : إنه عليه السلام تابع رب العالمين في صبره وحلمه على الكفار والمنافقين والمشركين والعاصين، ومن ادعى الربوبية والنبوة من الكاذبين حيث أمهلهم مدداً مديدة ودهوراً عديدة، مع اطلاعه على أحوالهم وعلمه بسرائرهم وعلانيتهم وقدرته عليهم .

ثانيها : التأسي بسيد المرسلين، حيث إنه صبر في أوائل الإسلام على اذى المشركين، وتحمل غاية التعب ومنتهى المشاق وأنواع الأذى، وصبر على مقاتلتهم ومحاربتهم، ولم يدع الله تعالى على إهلاكهم مع إعلامه تعالى إياه بأحوالهم، وبقي الإسلام ضعيفاً في أوائله إلى اثنتي عشرة سنة، ثم بعد ذلك قوي الإسلام وكثرت شوكة المسلمين فأمر بمحاربة الكفار ومقاتلتهم .

ثالثها : التأسي بهدى الأنبياء الماضين والرسل السالفين، كما قال تعالى : **﴿فبهداهم اقتده﴾** كما روي أن قوماً من الناس قالوا ما بال علي لم ينازع أبا بكر وعمر وعثمان كما حارب طلحة والزبير، فبلغ الخبر أمير المؤمنين عليه السلام فأمر أن ينادي بالصلاة جماعة، فلما اجتمع الناس قام فيهم خطيباً، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر النبي وصلّى عليه، ثم قام فقال معاشر الناس بلغني أن قوماً قالوا ما بال علي لم ينازع أبا بكر وعمر وعثمان كما نازع طلحة والزبير، إلا وان لي في سبعة من أنبياء الله اسوة، أولهم نوح إذ قال الله تعالى مخبراً عنه : **﴿إني مغلوب فانتصر﴾** فإن قلتم ما كان مغلوباً كفرتم وكذبتم القرآن، وإن كان نوح مغلوباً فعلي أعذر .

الثاني : إبراهيم حيث يقول : **﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾**[1] فإن قلتم انه اعتزلهم من غير مكروه كفرتم، وإن قلتم رأى المكروه منهم فاعتزلهم فأنا اعذر .

---

(١) سورة مريم؛ الآية : ٤٨ .

الثالث : لوط إذ قال لقومه : **﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد﴾**[1] . فإن قلتم إنه كان له قوة فقد كفرتم وكذبتم القرآن وإن قلتم إنه لم يكن له بهم قوة فأنا اعذر .

الرابع : يوسف : **﴿إذ قال رب السجن احب إلي مما يدعونني إليه﴾**[2] . فإن قلتم إنه دعي بغير مكروه وسخط فقد كفرتم، وإن قلتم إنه دعي لما أسخط الله عز وجل فاختار السجن فأنا اعذر .

الخامس : موسى بن عمران عليه السلام إذ قال : **﴿ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين﴾**[3] . فإن قلتم لم يفر خوفاً على نفسه فقد كفرتم، وإن قلتم إنه فر خوفاً فالوصي اعذر .

السادس : هارون إذ يقول : **﴿يا ابن ام إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء﴾**[4] . فإن قلتم إنهم لم يستضعفوه ولا كادوا يقتلونه حيث نهاهم عن عبادة العجل فقد كفرتم، وإن قلتم إنهم استضعفوه وكادوا يقتلونه لقلة من يعينه فالوصي أعذر .

السابع : محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ هرب إلى الغار فإن قلتم إنه هرب من غير خوف على نفسه من القتل فقد كفرتم، وإن قلتم إنهم أخافوه فلم يسعه إلا الهرب إلى الغار فالوصي أعذر .

فقال الناس بأجمعهم صدق أمير المؤمنين عليه السلام . وفي رواية أُخرى الاعتذار عن ذلك بانتظار خروج قوم مؤمنين من أصلاب قوم كافرين، وكان معه عليه السلام يوم الجمل ثلاثون ألفاً من أولاد أُولَئك . وفي رواية أنه عليه السلام تلا هذه الآية : **﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرّة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء ولو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليما﴾**[5] . وقد ورد في شأن نوح عليه السلام أنه صبر على أذى قومه وأمهلهم إلى أن خرج من أصلابهم من يرجى إيمانه فقال : **﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾**[6] .

---

(١) سورة هود؛ الآية: ٨٠ .
(٢) سورة يوسف؛ الآية: ٣٣ .
(٣) سورة الشعراء؛ الآية: ٢١ .
(٤) سورة الأعراف؛ الآية: ١٥٠ .
(٥) سورة الفتح؛ الآية: ٢٥ .
(٦) سورة نوح؛ الآية: ٢٧ .

رابعها : من طرق إثبات إمامتهم عليهم السلام ، إنه قد ثبت بالأدلة العقلية والنقلية آية ورواية أن الإمام يجب أن يكون معصوماً، ولا أحد غير من ذكر بمعصوم باتفاق المسلمين، فوجب أن يكونوا هم الأئمة .

خامسها : إنك قد عرفت ان الإمام يجب أن يكون منصوصاً عليه، وليس أحد غير من ذكر بمنصوص عليه اتفاقاً، فتعين أن يكونوا هم الأئمة .

سادسها : ان الإمام يجب أن يكون أفضل من الرعية كما تقدم، ولا ريب أنه لم يكن في أزمنتهم أحد يساويهم في علم أو عمل أو فضل بل كانوا أفضل أهل زمانهم، ولم يرجعوا إلى معلم ولا أخذوا العلم من أحد، وإنما اوتوا العلم من لدن رب العالمين، وقد كان جميع العلماء والفقهاء عند حدوث المسائل الدقيقة ووقوع المسائل المشكلة يرجعون إليهم، ويقتبسون من أنوارهم، ويحتجون بأقوالهم، وكان أكثر العباسيين وجملة من الأمويين يعترفون باستحقاقهم الولاية والخلافة، ولهذا فعلوا معهم ما فعلوا. وكتب العامة والخاصة مملوءة من ذلك وقد ظهرت منهم من الكرامات والمعجزات والعلوم والأسرار ما لا يحصى، كما اعترف به المخالفون وذكروه في كتبهم ومصنفاتهم وصحاحهم .

سابعها : الاجماع وبيانه ان جميع الأمة اتفقوا على أن مذهب الحق غير خارج عن المذاهب الموجودة الآن، وقد ابطلت سائر المذاهب بعدم النص والمعجزة والعصمة والأفضلية، فتنحصر الإمامة فيهم عليهم السلام .

ثامنها : النصوص المتواترة من بعضها على بعض والسابق على اللاحق كما روته الفرقة المحقة والطائفة الحقة بطرق متواترة وأسانيد متضافرة، وهم في كل عصر من الأعصار كان منهم أُلوف في البلدان والنواحي والاقطار وأثبتوه في تصانيفهم وكتبهم، ولم يكن لهم داع سوى الديانة والتقوى وإظهار الحق، إذ لم تزل الدولة والسلطنة والسيف والغلبة مع أعدائهم ومخالفيهم، وكانوا مع كمال الخوف يضبطون هذه الأخبار والآثار، ولو كان غرضهم الدنيا لتقربوا إلى المخالفين بالعدول عن ذلك، وأمنوا من الخوف والذل، ونالوا العز والجاه، هذا مع كمال صلاحهم وورعهم وتقواهم وتجاوزهم عن حد التواتر .

ويدل على ذلك أيضاً ما رواه العامة والخاصة بأسانيد عديدة ومتون سديدة ان

النبي ﷺ قال : من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية[1]. إذ فيه بين دلالة واصرح مقالة على بقاء الأئمة إلى انقضاء التكليف، وأن الإمامة من أصول الدين، وذلك لا ينطبق إلا على مذهبنا. ونقل ان هذا الحديث صار سبباً لتشيع بعض المخالفين، ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[2]. فإن الذكر اما الرسول ﷺ لقوله تعالى : ﴿**لقد أنزل الله عليكم ذكراً**﴾[3]. لأنه مذكر للعباد أو المراد به القرآن لقوله تعالى : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**﴾[4]. وقوله تعالى : ﴿**وإنه لذكر لك ولقومك**﴾[5]. وهم عليهم السلام أهل القرآن لما تقدم من أخبار الثقلين، وإن الله تعالى قد أوجب علينا السؤال عن أهل الذكر، فيجب وجودهم إلى يوم القيامة، ويجب وجود العالم بجميع ما يحتاج إليه الناس، وليس غيرهم اتفاقاً، فتعين ان يكونوا هم.

وقد روى المخالفون أخباراً متواترة في القائم وبشارة النبي ﷺ به، وانه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وذكره علماؤهم في كتبهم وصحاحهم، وقد عرفت ما يدل على وجوب وجود المعصوم عليه السلام عقلاً ونقلاً وآية ورواية، وذكر جملة من علمائهم ومؤرخيهم ولادته عليه السلام وانه ابن الحسن العسكري، وتواتر ذلك من طرق الإمامية فيجب الإيمان بوجوده، فوجوده لطف وتصرفه لطف آخر، وغيبته منا، هي إما لخوفه على نفسه من أعدائه، أو لخوفه على أوليائه، أو لمصلحة خفية استأثر الله بعلمها، وقد وقعت الغيبة للأنبياء السابقين والأولياء الصالحين ولنبينا سيد المرسلين ﷺ كما خاف وغاب في الغار مدة، ولا استبعاد في طول عمره عليه السلام كما قالوا، فإنه أمر ممكن والله على كل شيء قدير، وقد اتفق ذلك للأولياء والأشقياء كالخضر والياس وعيسى والدجال وغيرهم، فلا استبعاد في وقوع ذلك له عليه السلام، فوجب القول به عقلاً ونقلاً، وأما علة الغيبة فلم نكلف بعلمها وقد ورد عنه عليه السلام في التوقيع جواباً لمن سأل عن علة الغيبة : ﴿**لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسوءكم**﴾[6]. وقد سألها قوم من قبلكم ثم

---

(١) انظر شرح النهج الحديدي ج٣ ص ٢٦٢، ورياض الصالحين للنووي الشافعي ١٦٤ ط مصر سنة ١٣٤٤.

(٢) سورة النحل؛ الآية: ٤٣.

(٣) سورة الطلاق؛ الآية: ١٠.

(٤) سورة الحجر؛ الآية: ٩.

(٥) سورة الزخرف؛ الآية: ٤٤.

(٦) سورة المائدة؛ الآية: ١٠١.

أصبحوا بها كافرين. وأما الانتفاع به في زمن الغيبة فهو كانتفاع العالم بالشمس حال الغيم كما أجاب به النبي ﷺ جابراً، لأن غيبة الشمس وإن فات بها بعض النفع، ولكن النفع الأصلي منها وهو وجود النهار باق، وكذلك الإمام فإن العالم باق بوجوده فكما ان وجوه النهار وبقاءه بوجود الشمس وبقائها، فكذلك وجود العالم بوجود المعصوم وبقائه، ولولاه لساخت الأرض بأهلها. وللتشبيه وجوه أُخرى تأتي الإشارة إليها إن شاء الله تعالى.

الفصل السادس

بيان الفتن الواقعة بعد النبي ﷺ

بيان الفتن الواقعة بعد النبي ﷺ كما قال الله تعالى : **﴿الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾**[1] . وفي حقيقة أمر الخلافة، وفي سبب ارتداد أكثر هذه الأمة بعد نبيها .

قال بعض علمائنا، لا شك في أنه كان في زمان رسول الله ﷺ من أصحابه طائفة يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، كما اخبر الله سبحانه عنهم ووصفهم في غير موضع من القرآن، قال الله عز وجل : **﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾**[2] . وقال تعالى : **﴿احسب الذين في قلوبهم مرض، أن لن يخرج الله أضغانهم﴾**[3] . وقال تعالى : **﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم﴾**[4] . وقال تعالى : **﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾**[5] . والقرآن مملوء من ذكرهم. وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين في مسند حذيفة انه قال قال

---

(١) سورة العنكبوت؛ الآيات: ١ ـ ٣.

(٢) سورة التوبة؛ الآية: ١٠١ .

(٣) سورة محمد؛ الآية: ٢٩ .

(٤) سورة التوبة؛ الآية: ١٢٧ .

(٥) سورة البقرة: الآيتان: ٨ ـ ٩ .

النبي ﷺ : في أصحابي اثنا عشر منافقاً، منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط. أربعة لا أحفظ ما قال فيهم. ومما يدل على ذلك دلالة واضحة ما ثبت ان النبي لما أخذ البيعة لأمير المؤمنين من الناس يوم الغدير، وأمرهم بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين، فسلموا عليه طوعاً وكرهاً، وبخبخوا غيظاً وحنقاً، استولت عليهم ثائرة الحسد والبغضاء وأبطنوا الإنكار والإباء، حتى قصد منهم جماعة قتل النبي ﷺ، واحتالوا لذلك حيلاً فلم يظفروا به، كما يشهد له قصة عقبة الهرشي والدباب ومن ارتقاها من الأصحاب، وهي مشهورة في كتبهم مسطورة، فعند ذلك تعاقدوا على صرف الأمر عن أهل بيته بعده، وكتبوا لذلك كتاباً وتعاهدوا عليه، وكانت بواطنهم مشحونة بعداوته وعداوة أهل بيته، كما أشير إليه في آية تبليغ الوصية بقوله عز وجل : ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾وكان يبدو من أفواههم البغضاء أحياناً وما في صدورهم أكبر ثم لما مرض النبي ﷺ وأمرهم بالخروج مع جيش أسامة، تخلفوا عنه طمعاً في الإمارة، وكانوا يخفون تخلفهم ويتعرفون الخبر من عائشة، وكان النبي ﷺ لا يقدر على الخروج إلى الصلاة في مرضه فأمر أمير المؤمنين عليه السلام أن يصلي بالناس، وكان يصلي بهم فشغل به يوماً وقد ثقل، ورأسه في حجره فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة، فقال يصلي بالناس بعضهم فإني مشغول بنفسي، فقالت عائشة مروا أبا بكر يصلّ بهم، وقالت حفصة مروا عمر يصل بهم، فلما سمع كلامهما وحرص كل واحدة على تقديم أبيها، قال لهن اكففن ثم اغمي عليه، فقالت عائشة لبلال إن رسول الله قد أُغمي عليه ورأسه في حجر علي عليه السلام فلا يقدر على مفارقته فمروا أبا بكر يصلّ بالناس، فظن بلال أنه بأمر النبي ﷺ، فلما أفاق وسمع تكبير أبي بكر قال اسندوني وأخرجوني إلى المسجد فقد نزلت والله في الإسلام فتنة ليست بهينة، ثم نظر إلى عائشة وحفصة نظر المغضب وقال انكن صويحبات يوسف، يعني في كذبهن على يوسف، فخرج بين علي والفضل بن العباس ورجلاه يخطان الأرض من الضعف، فنحى أبا بكر عن المحراب وصلى بالناس جالساً، ثم أكد في تنفيذ الجيش ولعن المتخلف، فشهده عمر معتذراً، ثم حال بينه وبين ما أراد من تأكيد الوصية بالكتاب، كما رووا في صحاحهم أنه ﷺ قال اءتوني بدواة وبياض اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً. وفي رواية لأزيل لكم مشكل الأمر وأذكر لكم من المستحق لها بعدي. فقام بعض من حضر ليأتي بالدواة والبياض، فقال عمر دعوا الرجل فإنه ليهجر، وفي رواية ليهذي، حسبنا كتاب الله. قال الراوي فتنازعوا عنده، فقال قائل القول ما قاله النبي، فقربوا له كتاباً يكتب لكم، وقال قائل القول ما قاله عمر، فلما كثر اللغط والاختلاف قال النبي ﷺ

قوموا عني لا ينبغي عند نبي تنازع. وفي رواية عن عمر انه قال كان يريد أن يصرح باسمه فحلت بينه وبين ما أراد. رواه ابن أبي الحديد[1]. ثم لما مضى أعرضوا عن تجهيزه والفجيعة به، واشتغلوا بتهيئة أسباب الإمارة لأنفسهم[2]، وتهيج ذوي الأحقاد على سيد العباد الذين كانوا إنما أسلموا خوفاً من سيفه وقتاله بعد أن قتل آباءهم وأبناءهم في مواقف نزاله، فحملوا عمود الخلافة ونبذوا العقود بعد تلك الحصافة، وادعوا التأمر على عباد الله وتسموا زوراً وبهتاناً بخلفاء رسول الله ﷺ بغير قدم راسخ في علم، ولا سبق في فضيلة، ثم تنازعوا واختلفوا وتخالفوا وارتفعت أصواتهم، وقال بعضهم لبعض منا أمير ومنكم أمير، وأرعدوا وأبرقوا وسلوا سيوفهم، ثم بعد ذلك كله سموه اجماعاً.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام مشغولاً بتجهيز رسول الله ﷺ، فما فرغ إلا من بعد ما أحكموا الأمر لأنفسهم، ثم أظهروا من نفوسهم ما كان كامناً فيها من عداوة ذوي القربى الذين كانت مودَّتهم أجر الرسالة، فلم يستطيعوا أن يخفوا العداوة في صدورهم، فكانت تبدو منهم في أحيان ورودهم وصدورهم، فأولى لهم ثم أولى لهم على أن الخليفة في الحقيقة ما كان في زمن خلافة الأعداء إلا من كانت الخلافة حقه، لترتب أكثر فوائدها على وجوده عليه السلام، حتى إن الثلاثة كانوا يرجعون إليه في أكثر المسائل الدينية التي كانوا يسألون عنها، بل وفي كيفية تسخير البلاد وساسة العباد، وسائر كليات الأُمور لجهلهم بها وعجزهم عنها، فالمقصود الأصلي من الخلافة ما فات كما قال تعالى: ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾[3]. ولا ريب أنه لم يكن نص وحجة على خلافة الأول، كما اعترف به الجمهور وإن تتعتع بخلافه من أتى بالزور، وغاية ما استدلوا به اجماع الصحابة على بيعته، وهو مع عدم حجيته غير متحقق، لأن كثيراً منهم وجملة من جلتهم وأساطينهم لم يكونوا داخلين في إجماع الزور، ولا في حلقة بيعة دار الغرور، كصاحب الحق وأهله وأولاده، وكعمه العباس وأبنائه، وأُسامة بن زيد والزبير، ومشاهير الصحابة الكبار كسلمان رحمه الله، وأبي ذر رحمه الله، والمقداد رحمه الله،

---

(١) انظر شرح النهج الحديدي ج٣ ص ١١٤.

(٢) انظر كنز العمال ج٣ ص ١٤٠، وانظر الرياض النضرة للمحب الطبري ج١ ص ١٦٤ ولفظه بعد الكلام على السقيفة هكذا فلما فرغ أبو بكر من البيعة رجع إلى المسجد فقعد على المنبر فبايعه الناس حتى أمسوا وشغلوا عن دفن رسول الله (ص) حتى كان آخر الليل من ليلة الثلاثاء وانظر اعتذاره البارد المستهجن عن هذا الفعل الشنيع في ص ١٦٥.

(٣) سورة التوبة؛ الآية: ٣٢.

وعمار رحمه الله، وحذيفة بن اليمان، وأبي بريدة الأسلمي، وأبي بن كعب، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف وأخيه عثمان، وأبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وخالد بن سعيد، وسعد بن عبادة، وقيس بن سعد إلى غير ذلك، وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه ثمانية عشر رجلاً منهم، قال وكانوا رافضة وبعضهم إنما بايع بالتهديد والوعيد ولو بعد حين، وبعضهم بقي مصراً على الإنكار إلى يوم الدين، كما هو في كتبهم مذكور وفي صحاحهم مسطور. فأين الاتفاق مع هذا النفاق والنبي صلى الله عليه وآله لم يقصر في تبليغ الوصية، وإنهم قد سمعوا منه النصوص على الخصوص مرة بعد أُخرى، وكرة غب أُخرى، فلبسوا الأمر وتسلطوا على العالم، ولا شبهة أن النبي صلى الله عليه وآله كان له كمال الشفقة والرأفة بأُمته، حتى لم يترك لهم تعليم الآداب، حتى آداب الخلوة والخلاء كما قال الصادق عليه السلام ما من شيء يحتاج إليه أحد من بني آدم إلا وقد جرت فيه من الله ومن رسوله سنّة، عرفها من عرفها، وأنكرها من أنكرها، وأي عقل يجوز أن يترك منصب الخلافة الذي عليه ثبات بناء أركان الدين وقواعد الشرع المبين مع هذا الاختلاف المشاهد في نوع الإنسان، حاشاه ثم حاشاه مع أن علماء المخالفين وثقاتهم قد رووا نص الغدير ونصب الأمير وبيعة الصحابة له وبخبخة الثاني.

روى ابن المغازلي الشافعي في مناقبه عن أبي ذر الغفاري رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من ناصب علياً في الخلافة فهو كافر، ومن شك في علي فهو كافر. وقد روى العامة والخاصة حديث الثقلين[١]، وكونهم كسفينة نوح[٢]، وقد ثبت عندنا وعندهم احقيته عليه السلام بهذا الأمر، لما تواتر عندنا وروده في كتبهم من شدة جهاده وعظم بلائه في وقائع الرسول، وعدم بلوغ أحد درجته في غزواته وشجاعته وقوة حدسه وذكائه، وشدة ملازمته للرسول وتربيته إياه منذ حين الصبا إلى أن خلفه بعد، ورجوع الصحابة في أكثر الوقائع إليه[٣]، واستناد الفضلاء في جميع العلوم إليه[٤]، وكونه اسخاهم كفاً، وأكملهم زهداً، وأجهدهم عبادة، وأعظمهم حلماً، وأوفرهم علماً، وأحسنهم خلقاً، وأطلقهم وجهاً، وأقدمهم إيماناً، وأفصحهم لساناً، وأصدقهم قولاً، وأقلهم كلاماً، وأصوبهم منطقاً، وأشجعهم قلباً، وأشدهم يقيناً، وأحسنهم عملاً، وأكرمهم خصالاً، وأتمهم

---

(١) تقدم في ص ٢٠٢ باب الأخبار الدالة على تعيين الإمام.
(٢) تقدم في ص ٢٥٢ باب النصوص الدالة على إمامة الأئمة الاثني عشر.
(٣) تقدم في ص ٢٣٥ باب المطاعن التي ذكرت في عمر.
(٤) تقدم في ص ٢٢٦ باب فضائل ومناقب الإمام علي عليه السلام.

كمالاً، وأعظمهم غَناء، وأرفعهم درجة، وأشرفهم منزلة، وأحكمهم حكمة، وأسدّهم رأياً، وأقضاهم قضاء، وأشدهم حياء، وأعلاهم همة وشهامة، وأقواهم عزماً وحزماً، وأرفعهم شأناً وارومة، وأكثرهم حرصاً على إقامة حدود الله وأحكامه، وأحفظهم لكتاب الله ومواقع تنزيله، وأعلمهم بتفسيره وتأويله، ولما ثبت من إخباره بالغيب مراراً[١]، واستجابة دعائه كثيراً[٢]، وظهور المعجزات عنه مرة بعد اولى، كرد الشمس[٣]، واحياء النفس، ومكالمة الثعبان والجان، والسلطنة على الأكوان. ولما ظهر من اختصاصه بالقرابة والاخوة[٤]، ولما صح من وجوب محبته ونصرته[٥]، ومساواته الأنبياء[٦]، ومساواة الرسل وخبر الطائر[٧] والمنزلة[٨] والغدير[٩] وحديث الكساء في آيتي المباهلة والتطهير[١٠]، واختصاصه بسورة هل أتى[١١]، وكثير من الآيات التي لا تحصى ولو لم يكن سوى نزول: ﴿**اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي**﴾[١٢][١٣]. حين نصب للإمامة يوم الغدير لكفى، واعطاؤه الراية يوم خيبر بعد انهزام أبي بكر وعمر[١٤]، وثناؤه اياه حينئذ بما انتشر مكنياً به عن العيوب الأُخر، وقلعه بروحانيةِ الباب[١٥] وابقاؤه

---

(١) انظر شرح النهج الحديدي ج١ ص ٢٠٨ وج٢ ص ١٧٥ وص ٥٠٨ .
(٢) انظر شرح النهج ج١ ص ٣٦١ وج ٤ منه ص ٣٨٨ .
(٣) انظر الصواعق لابن حجر في الفصل الثالث من الباب التاسع ص ٧٨، وشرح النهج ج١ ص ٢٧٧، وينابيع المودة في الباب السابع والأربعين .
(٤) تقدم في ص ١٩١ ـ ٢٠٣ باب الأخبار الدالة على تعيين الإمام .
(٥) تقدم في ص ١٩٢ باب الآيات القرآنية الدالة على تعيين الإمام. وانظر تفسير الفخر ج٧ ص ٤٠٥ .
(٦) انظر شرح النهج الحديدي ج٢ ص ٤٤٩، وينابيع المودة باب أربعين .
(٧) تقدم في باب الأخبار الدالة على أفضلية علي عليه السلام ص ٢١١ .
(٨) تقدم في باب الأخبار الدالة على أفضلية علي عليه السلام ص ٢١٤ .
(٩) تقدم في باب الأخبار الدالة على تعيين علي عليه السلام ص ٢٠٣ .
(١٠) تقدم في باب الأخبار الدالة على تعيين علي عليه السلام ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ وباب النصوص الدالة على إمامة الأئمة الاثني عشر ص ٢٥٢ .
(١١) انظر الزمخشري في الكشاف ج٢ ص ٥١١، والبيضاوي ص ٧٧٥ والواحدي في البسيط، والبغوي في معالم التنزيل وغيره .
(١٢) انظر الدر المنثور للسيوطي ج٢ ص٢٥٩.
(١٣) سورة المائدة؛ الآية: ٣ .
(١٤) تقدم في باب الأخبار الدالة على أفضلية علي عليه السلام ص ٢١٣ .
(١٥) انظر كنز العمال ج٦ ص ٣٩٨ والإصابة لابن حجر بترجمة علي عليه السلام ج٢ ص ٥٠٩ ط مصر =

بابه عند سد الأبواب[1]، ومبيته على الفراش ليلة الغار[2]، وارتقاؤه كتف النبي ﷺ لالقائه الأصنام[3]، بما فيه من الأسرار وتشبيهه إياه بعيسى في بغض طائفة اياه واتخاذه الأخرى الإله[4]، والمباهلة به وبزوجه وولديه[5]، وإظهار بركة فضل طهوره وتراب قدميه، وأن نوره ونور النبي ﷺ واحد، وسلمهما واحد وحربهما واحد[6]، بل هما كنفس واحدة، إلى ما لا يمكن احصاؤه ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً والثقلان كاتبين والملائكة حاسبين كما ورد فيه عن سيد المرسلين[7] كما قيل بالفارسية :

كتاب فضل تراب بحر كافي نيست گرتركني سرانگشت وصفحة شماري

قال وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ارتداد الصحابة بما رووه في صحاحهم[8] انه قال : ليردن الناس من أصحابي على الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول أصحابي أصحابي .

وفي رواية اصيحابي اصيحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. وزاد في أخرى وارتدوا على أدبارهم القهقرى. وقد نبه الله سبحانه على ذلك بقوله : **﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾**[9] .

= سنة ١٣٢٨ .

(١) تقدم في باب الأخبار الدالة على أفضلية علي عليه السلام ص ٢١٣ .

(٢) انظر مسند أحمد ص ٣٣١، وتفسير الفخر الرازي ج٢ ص ٢٨٣، والاستيعاب بترجمة علي عليه السلام ج٢ ص ٥٠٩ مصر سنة ١٢٢٨ .

(٣) انظر السيرة الحلبية ج٣ ص ٩٧، والرياض النضرة في مناقب العشرة ج٢ ص ٢٠٠، وخصائص النسائي ص ٢٢، وكنز العمال ج٦ ص ٤٠٧ .

(٤) تقدم في باب الأخبار الدالة على أفضلية علي عليه السلام ص ٢١٢ .

(٥) تقدم في باب الأخبار الدالة على أفضلية علي عليه السلام ص ٢١٥ .

(٦) إن علياً والنبي (ص) نور واحد قبل خلق الخلق، انظره في الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ج٢ ص ١٦٤ الطبعة الأولى المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٧، وقوله (ص) لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أنا سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم، انظره في الكتاب المذكور ج٢ ص ١٨٩ .

(٧) تقدم في باب الأخبار الدالة على أفضلية علي عليه السلام ص ٢١٨ .

(٨) انظر صحيح البخاري أوائل كتاب الفتن ج٤ ص ١٣٦ .

(٩) سورة البقرة؛ الآية: ٢٥٣ .

وكان هذا من ابتلائه تعالى أولياءه المخلصين وخواص عباده المؤمنين، لينظر كيف يعملون وعلى البلاء كيف يصبرون .

والسبب في ارتداد أكثر هذه الامة بعد نبيها أنه لما اختار الله تعالى للوصاية والخلافة والإمارة من اختار، وأخذت له البيعة في الغدير ممن شهد من الاقطار، غلب على أراذل العرب حب الرئاسة والهوى، واشتعلت في قلوبهم نار الحسد والبغضاء، فعادوا إلى الخلاف الأول فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون. فصاروا صنفين صنفاً من أهل التدليس والتلبيس من جنود إبليس، وصنفاً من أهل العمى والتقليد قد شبه لهم الأمر فدخلوا فيه على غير بصيرة، تعصباً لمن تولى وكفر وتقليداً لشياطين البشر ممن كان في الجاهلية، لا يفرق بين الله وبين الخشب والحجر، فكيف بين علي وبين أبي بكر وعمر، وكان معهم تلك العقول السقيمة فلا غرو أن يعدلوا عن الطريقة القويمة، وصنفاً تبعوهم خوفاً وتقية، فارتد أكثر الناس بسبب ارتداد الصحابة عن الدين، وخرجوا عن زمرة المسلمين، كسنة الله في أمم سائر النبيين .

وذلك انه لما استتم الأمر لأبي بكر صعد المنبر وقام خطيباً، فقام إليه جماعة من المهاجرين والأنصار فأنكروا عليه أشد الإنكار، وذكروه حديث يوم الغدير، فقال أيها الناس أقيلوني أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم[1]، فقام إليه عمر وقال له والله ما أقلناك ولا يلي هذا الأمر أحد غيرك، فكان في جملة من أنكر عليه مالك بن نويرة حين دخل المدينة ورآه على المنبر، فتعجب من نبذهم حديث يوم الغدير مع تلك التأكيدات، فخافوا أن يصيبهم من قبله فتق إذ كانت له قبيلة وكان من شجعان العرب يعد بمائة فارس، فلما دخل إلى أهله بعث إليه خالد بن الوليد في جيش ليأخذ منه زكاة ماله، فأخذ من خالد العهود والمواثيق على أن لا يتعرض له بمكروه فيعطيه الزكاة، فلما جن عليه الليل ونام مالك وأصحابه ثبت عليهم خالد وأصحابه فقتلوهم غدراً، ودخل بامرأته في ليلته، وطبخ رأسه في وليمة عرسه، وسبى حريمهم وسماهم أهل الردة افتراء وكذباً فلما رأى الناس أمثال ذلك منهم دخلوا تحت سلطتهم الجائرة كما كانت الناس يدخلون تحت سلطان الملوك الجبابرة، وما بقي إلا شرذمة قليلون وكانوا خائفين متقين .

روى الكشي بإسناد معتبر عن الباقر عليه السلام أنه ارتد الناس إلا ثلاثة نفر سلمان وأبو ذر والمقداد. قال الراوي فقلت فعمار، قال كان حاص حيصة ثم رجع وفي رواية أخرى ثم

---

(١) تقدم ص ٢٣١ باب المطاعن التي ذكرت في أبي بكر .

أناب الناس بعد، وكان أول من أناب أبو ساسان الأنصاري، وعمار، وأبو عمرة، وشتيرة، وكانوا سبعة فلم يعرف حتى أمير المؤمنين عليه السلام إلا هؤلاء السبعة .

وبإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون، منهم سلمان الفارسي، والمقداد، وأبو ذر، وعمار، وحذيفة، ثم قال وأنا إمامهم. ثم أخذوا في تغيير أحكام الشرع وإحداث البدع فيها، فمنها ما غيروه لجهلهم بها، ومنها ما بدلوه ليوافق اغراضهم، ومنها ما أحدثوه لحبهم إحداث البدع. وقد أشار أمير المؤمنين إلى بعض منكراتهم في دعاءه .

وكان أبو بكر يقول إن لي شيطاناً يعتريني، فإن استقمت فأعينوني، وإن عصيت فجنبوني[1] .

وكان عمر يقول كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه[2] ثم جعل الخلافة بعده شورى بين ستة شهد لهم بأنهم من أهل الجنة، وأن النبي صلى الله عليه وآله مات وهو عنهم راض. ثم أمر بضرب أعناقهم إن لم يبايعوا واحداً منهم، ثم بعد ذلك بدت من أنفسهم العداوة والبغضاء على حطام الدنيا، حتى آل الأمر إلى أن استحل بعضهم دماء بعض، وقتل بعضهم على أيدي بعض. كما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله لألفينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. وكان ممن اتفقوا على إباحة دمه خليفتهم عثمان، وكانوا له بين قاتل وخاذل، وكان من الباعثين على قتله عائشة، ثم إنها خرجت على أمير المؤمنين مع طائفة شركوا في دم عثمان يطلبونه بدمه .

وقد رووا ان رسول الله صلى الله عليه وآله نص على عشرة من الصحابة بأنهم من أهل الجنة، وذكرهم بأسمائهم وعدوا منهم العمرين والطلحتين، وعثمان وعلياً مع اعترافهم وعلمهم بأن علياً هو المقاتل للطلحتين في وقعة الجمل فقاتلاه باغين عليه، وهم الذين رووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار. قيل فما بال المقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه .

ثم بعد ما تقرر الأمر تشبثوا في فضائل أئمتهم بما لا يدل أكثره على فضيلة مع روايتهم فيهم كل رذيلة، وبما يلوح من فحاويه فحائل الاختلاف، ويفوح من مطاويه رائحة الوضع والنفاق. ثم بعد التتبع يظهر أن ما هو من أمثاله إنما وضع في زمن بني أمية

---

(١) تقدم ص ـ ٢٣١ ـ ٢٣٢ باب المطاعن التي ذكرت في أبي بكر .

(٢) تقدم ص ٢٣١ باب المطاعن التي ذكرت في أبي بكر .

طمعاً في الانتفاع بجاه أحدهم وماله، وقال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله في عهده حتى قام خطيباً، فقال أيها الناس قد كثرت علي الكذّابة، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ثم كذب عليه بعده، ثم قال بعد كلاماً، ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان، فولوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس، واكلوا بهم الدنيا. وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله.

وقد روت طائفة من العامة أن معاوية كان يبذل الأموال لمن كان موثوقاً به عند الناس من الصحابة ليضع حديثاً في فضل الخلفاء الثلاثة، وفي منقصة أمير المؤمنين عليه السلام ثم يرويه عن النبي صلى الله عليه وآله على المنبر بمشهد من الناس، أو يروي ما ورد في فضل علي عليه السلام في فضلهم.

وقد روى ابن أبي الحديد الحنفي المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة[1]، أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام: **﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام﴾**[2]. وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم (لعه): **﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾**[3]. فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف فلم يقبل فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل.

وفي الاحتجاج عن سليم بن قيس ان منادي معاوية نادى أن برئت الذمة ممن روى حديثاً من مناقب علي وفضل أهل بيته. وكان أشد الناس بلية أهل الكوفة، لكثرة من بها من الشيعة، فاستعمل زياد بن أبيه وضم إليه العراقين الكوفة والبصرة، فجعل يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، يقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وصلبهم في جذوع النخل، وسمل أعينهم وطردهم حتى نفوا عن العراق، فلم يبق فيها أحد منهم معروف مشهور.

ثم أخذ الناس في الروايات في فضل عثمان ومعاوية زوراً على المنبر في كل كورة ومسجد بأمره، وألقوا على معلمي الكتاتيب فعلموا ذلك الصبيان كما يعلمونهم القرآن،

---

(١) انظر شرح النهج الحديدي ج١ ص٣٦١.
(٢) سورة البقرة؛ الآية: ٢٠٤.
(٣) سورة البقرة؛ الآية: ٢٠٧.

ونشأ عليه الصبيان فاجتمعت على ذلك جماعتهم، وصارت في أيدي المتنسكين والمتدينين منهم الذين لا يستحلون الافتعال لمثلها، فقبلوها وهم يرون انها حق ولو علموا بطلانها وتيقنوا انها مفتعلة لأعرضوا عن روايتها، ولم يدينوا بها، ولم يبغضوا من خالفها، فصار الحق في ذلك الزمان عندهم باطلاً، والباطل حقاً، والكذب صدقاً، والصدق كذباً. ولعمري إن أكثر الامة ما اتبعوا رسولهم ولا من الصحابة خيارهم، ولا استعملوا عقولهم ولا أفكارهم ولكن الله اصم آذان مقلدة الجمهور وأعمى أبصارهم، ثم تركهم حيارى في ظلمات هلك فيها من هلك ونجى من نجى : **﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾**[1]. **﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**[2].

ولما جرى في الصحابة ما جرى وخدع بهم عامة الورى، وغلب على الامراء الأولون واستبهم الحق على الآخرين، أعرض الناس عن الثقلين وتاهوا في بيداء ضلالتهم عن النجدين، إلا شرذمة من المؤمنين فمكثوا بذلك سنين وعمهوا في غمرتهم حين. ثم تسافل الأمر إلى أن تقمصها علوج بني أُمية الشرابون للخمور، والمعلنون بالفجور، والمستعلون بلبس الحرير ولعب الطنابير، قاتلوا ذرية المصطفى وتدينوا بسب المرتضى، ثم تلقفها بنو العباس السالكون مسالك أُولئك الأرجاس، أخذوها بسيف الخراساني كما ملك من قبلهم بصولة فظاظة الثاني، وكان العلم في هذه المدة المتطاولة مكتوماً، وأهله مظلومين لا سبيل لهم إلى إبرازه إلا بتعميته والغازه.

ثم خلف من بعدهم خلف غير عارفين الولاية، ولا ناصبين العداوة، لم يدروا ما صنعوا وعمن أخذوا، فعمدوا إلى طائفة ممادين من أهل الهواء وقوم مرائين من الجهلاء زعموا أنهم من العلماء، فكانوا يفتونهم بالآراء، وذلك لأن من جملة ما كان عندهم من حديث رسول الله ﷺ في الحلال والحرام، والفرائض والأحكام، ليست إلا أربعة آلاف على ما قالوه، ولم يكفهم ذلك فإذا نزلت حادثة ولم يكن لهم فيها رواية خاضوا في استنباط الحكم بالرأي عن أُصول وضعوها، وقواعد أسسوها، استناداً إلى رواية كانت من اختلاق أئمتهم وافتراء رؤسائهم، وكانوا وضعوها لترويج أهوائهم، وبالجملة غمضوا

---

(١) سورة النجم؛ الآية: ٢٣ .
(٢) سورة البقرة؛ الآية: ٢٥٧ .

العينين ورفضوا الثقلين وأحدثوا في العقائد بدعاً، وتحزبوا فيها شيعاً، واخترعوا في الأحكام أشياء حكموا فيها بالآراء، وزادوا ونقصوا في التكاليف وصنفوا فيها تصانيف، حتى كثر الاختلاف وخيف على بيضة الإسلام من شيوع القول بالجزاف، فمنعهم ملوكهم من الاجتهاد على السعة، وحصروا المجتهد في الأربعة، واعتمد جمهورهم في الأُصول على قول رجل يقال له أبو الحسن الأشعري، وكان يقول بالجبر وبالصفات الزائدة، وإثبات القدماء الثمانية إلى غير ذلك .

ثم لم يكتف الناس بذلك ولم يمتنعوا من منع أُولئك، بل اتسعوا في اهوائهم وأكثروا من آرائهم قرناً بعد قرن، حتى آل الأمر إلى ما آل، وكان فيهم وبين أظهرهم أئمة الحق الذين أقامهم الله مقام رسوله واحداً بعد واحد، ومن فضل الله علينا ولطفه بنا وله الحمد أضعاف ما حمده الحامدون أن جعل لنا إماماً بعد إمام ظاهراً فينا، وإن كان مستوراً على أعدائنا إلى أن انقضى من الهجرة النبوية مائتان وستون سنة .

ثم جعل للأخير بعد غيبته سفراء إلى قرب من تمام ثلاثمائة وثلاثين سنة، وكان أصحابنا في هذه المدة المديدة يأخذون العلوم الدينية ظاهرها وباطنها من معدنها بقدر قابليتهم ومنزلتهم عن اطمئنان من قلوبهم وانشراح من صدورهم، فأغناهم الله بذلك عن تقليد من لا يجوز تقليده، ونجاهم به من حيرة الحيران، وبعد انقضاء هذه المدة كانوا يرجعون إلى الأُصول المأخوذة عنهم، المشتملة على أكثر ما يحتاج إليه الناس، حتى شذَّ مسألة لا يكون فيها حكم جزئي أو كلي عنهم عليهم السلام وُفق له من وفق .

الفصل السابع
نبذة من أحوال الحجة
صاحب العصر والزمان (عج)

١ ـ ولادته :

ورد في روايات متواترة وأحاديث متظافرة البشارة بالمهدي عليه السلام، وبأنه تكون له غيبة من طرق العامة والخاصة. وقد روى ذلك من العامة البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، ومؤلف جامع الأُصول وغيرهم[1]، وقد ورد في كتب العامة من الروايات في القائم المهدي ما يزيد على مائة وخمسين حديثاً، وفي الكتب المعتبرة والأُصول المقررة ما يزيد على ألف حديث، وفي الصواعق المحرقة لابن حجر[2] في أحوال العسكري ما لفظه : ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة عليه السلام وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة وسمي القائم المنتظر، قيل لأنه عليه السلام ستر بالمدينة وغاب ولم يعرف أين ذهب .

وذكر نحو ذلك غيره من العامة، كابن خلكان، وصاحب الفصول المهمة، ومطالب السؤول وشواهد النبوة، قال ابن خلكان في تاريخه : هو ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية المعروف الحي، وهذا الذي تزعم الشيعة أنه المنتظر والقائم والمهدي، وهو صاحب السرداب عندهم، وأقاويلهم فيه كثيرة، وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان

---

(١) انظر السيرة الحلبية ج١ ص ٢٠ وص ٧٢ وص ٢٠٧ وانه من ولد الحسين عليه السلام ص ٧. وشرح النهج ج١ ص ٩٣، ونور الأبصار للشبلنجي ص ١٤٩ وص ٥٠ وص ١٥١، ومنار الأنوار للشيخ حسن الحمزاوي ص ١٠٤ طـ مصر ١٣١٨، واسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار من ص ١٠٤ إلى ص ١١٦ .

(٢) انظر الصواعق لابن حجر ص ١٢٤ طـ مصر سنة ١٣١٢ وسبائك الذهب للسويدي ص ٧٦ .

من السرداب بسر من رأى، كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومئتين، ولما توفي أبوه كان عمره خمس سنين، واسم أُمه خمط وقيل نرجس، والشيعة يقولون إنه دخل السرداب في دار أبيه ـ وأُمه تنظر إليه، فلم يخرج بعد إليها، وذلك في سنة خمس وستين ومئتين، وقيل في ثامن شعبان سنة ست وخمسين وهو الأصح، وإنه لما دخل السرداب كان عمره أربع سنين، وقيل خمس سنين، وقيل انه دخل السرداب سنة خمس وسبعين ومئتين وعمره عشر سنين والله أعلم . انتهى .

وقد تقدم ما يدل من الأدلة العقلية والبراهين النقلية على وجوب وجود الإمام وعصمته، وليس في هذا الزمان إمام موجود غيره، فوجب القول بإمامته. وقد تواتر عنه ﷺ من طرق العامة والخاصة أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية[١] .

والاخبار من طرق الشيعة بالنص عليه وأنه الإمام الثاني عشر وانه ابن الحسن العسكري عليه السلام متواترة، بل تزيد على عدد التواتر، وكلها مقرونة بالإعجاز لأن كل واحد من آبائه الكرام أخبر بترتيب إمامتهم إلى الثاني عشر، وبخفاء ولادته وغيبته الكبرى والصغرى، على أنه قد رآه جملة كثيرة من أوليائه وشيعته واستفادوا منه، وقد تقدم أن استبعاد المخالفين بقاءه وتعميره في هذه المدة سفسطة ظاهرة لا تعارض الأدلة العقلية والنقلية، وقد غاب جملة من الأنبياء والمرسلين قبله غيبات طويلة وقصيرة، كما هو مذكور في إكمال الدين وغيره .

وقد تواتر عن النبي ﷺ من طرق العامة والخاصة أن ما يقع في الأُمم السالفة والأعصار الماضية يقع في هذه الامة[٢]، والمشهور أن ولادته في سنة خمس وخمسين بعد المئتين من الهجرة، وقيل ست وخمسين، فتأريخ الولادة نور والمشهور أنه في ليلة الجمعة ليلة النصف من شعبان، وألقابه الشريفة المهدي، والقائم، والحجة، والمنتظر، وصاحب الأمر .

والمروي أنه عليه السلام لما ولد ظهر له نور ساطع بلغ افق السماء، وعلى ذراعه الأيمن مكتوب جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، وهبطت طيور بيض من السماء

---

(١) انظر شرح النهج ج٣ ص ٢٩٢، ورياض الصالحين للنووي الشافعي ص ١٦٤ طـ مصر سنة ١٣٤٤ .

(٢) انظر شرح النهج ج٢ ص ٤٩٠، وصحيح البخاري ج٤ ص ١٨٩ .

تمسح اجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده، ثم طارت. ولما أتي به إلى أبيه العسكري أخرج لسانه فمسحه على عينيه ففتحهما، ثم ادخله في فيه فحنكه، ثم أدخله في أُذنيه وأجلسه في راحته اليسرى فاستوى ولي الله جالساً، فمسح يده على رأسه وقال له يا بني انطق بقدرة الله، فاستعاذ ولي الله من الشيطان الرجيم واستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم:
﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[1].
وصلى على رسول الله ﷺ وعلى أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة واحداً واحداً حتى انتهى إلى أبيه.

وفي رواية ثم قال عليه السلام يا بني اقرأ مما أنزل الله على أنبيائه ورسله، فابتدأ بصحف آدم فقرأها بالسريانية، وكتاب ادريس، وكتاب نوح، وكتاب صالح، وصحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داود، وانجيل عيسى، وفرقان رسول الله ﷺ، ثم قصَّ قصص الأنبياء والمرسلين إلى عهده.

٢ ـ صفاته وعلاماته:

في العيون عن الكاظم عليه السلام قال: لا يكون القائم إلا إماماً ابن إمام، ووصياً ابن وصي. وفي ارشاد المفيد وغيبة الشيخ عن الباقر عليه السلام أنه سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن المهدي ما اسمه فقال: اما اسمه فإن حبيبي عهد إلي أن لا أحدث باسمه حتى يبعثه الله. قال فأخبرني عن صفته، قال: هو شاب مربوع حسن الوجه، حسن الشعر يسيل شعره على منكبيه، ونور وجهه يعلو سواد لحيته ورأسه.

وعن الصادق عليه السلام قال: إذا توالت ثلاثة أسماء محمد وعلي والحسن كان رابعهم القائم. وعنه عليه السلام اسمه اسم نبي، واسم أبيه اسم وصي. وعنه عليه السلام قال: يقوم القائم وليس في عنقه بيعة لأحد.

وفي الفصول المهمة صفته عليه السلام شاب مربوع القامة حسن الوجه والشعر يسيل على منكبيه، اقنى الأنف أجلى الجبهة، قيل إنه غاب في السرداب والحرس عليه كان ذلك سنة ست وسبعين ومائتين.

---

(١) سورة القصص؛ الآية: ٦.

٣ ـ أحوال سفرائه :

قال الطبرسي رحمه الله في الاحتجاج : أما الأبواب المرضيون والسفراء الممدوحون فأولهم الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري، نصبه أولاً أبو الحسن علي بن محمد العسكري ثم ابنه أبو محمد الحسن بن علي، فتولى القيام بأمورهما حال حياتهما، ثم بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان، وكانت توقيعاته عليه السلام وجواب المسائل تخرج على يديه، فلما مضى لسبيله قام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه وناب منابه في جميع ذلك، فلما مضى قام بذلك أبو القاسم حسين بن روح من بني نوبخت، فلما مضى قام مقامه أبو الحسن علي بن محمد السمري، ولم يقم أحد منهم بذلك إلا بنص عليه من قبل صاحب الزمان ونص صاحبه الذي تقدم عليه، فلم تقبل الشيعة قولهم إلا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر تدل على صدق مقالتهم وصحة نيابتهم، فلما حان رحيل أبي الحسن السمري عن الدنيا وقرب أجله قيل له إلى من توصي اخرج توقيعاً إليهم نسخته :

بسم الله الرحمٰن الرحيم يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توصي إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي من يدعي المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه فقيل له من وصيك من بعدك، فقال لله أمر هو بالغه وقضى فهذا آخر كلام سمع منه رضي الله عنه .

٤ ـ فيما فيه (عج) من سنن الأنبياء :

في الاكمال عن عبد الله بن سنان عن الصادق عليه السلام قال : في القائم سنّة من موسى بن عمران، فقلت وما هي، قال : خفاء مولده وغيبته عن قومه، فقلت وكم غاب موسى عن أهله وقومه، فقال : ثماني وعشرين سنة .

وفي الإكمال وغيبة الشيخ عن الباقر عليه السلام قال في صاحب هذا الأمر أربع سنن من

أربعة أنبياء، سنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من يوسف، وسنة من محمد ﷺ، فأما من موسى فخائف يترقب، وأما من يوسف فالسجن، وأما من عيسى فيقال إنه مات ولم يمت، وأما من محمد ﷺ فالسيف .

وعن السجاد عليه السلام قال : في القائم منا سنن من سنن الأنبياء، سنة من آدم، وسنة من نوح، وسنة من إبراهيم، وسنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من أيوب، وسنة من محمد ﷺ، فأما من آدم ومن نوح فطول العمر، وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس، وأما من موسى فالخوف والغيبة، وأما من عيسى فاختلاف الناس فيه، وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى، وأما من محمد ﷺ فالخروج بالسيف .

وعن الصادق عليه السلام : أما سنة من موسى فخائف يترقب، وإما سنة من عيسى فيقال فيه ما قيل في عيسى، وإما سنة من يوسف فالستر جعل الله بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه، واما سنة من محمد ﷺ فيهتدي بهداه ويسير بسيرته .

٥ ـ معجزاته :

في الخرايج عن حكيمة قالت : دخلت على أبي محمد بعد أربعين يوماً من ولادة نرجس، فإذا مولانا صاحب الزمان يمشي في دار فلم أرَ لغة أفصح من لغته، فتبسم أبو محمد عليه السلام فقال : إنا معاشر الأئمة ننشأ في كل يوم كما ينشأ غيرنا في سنة. قالت ثم كنت بعد ذلك أسأل أبا محمد عليه السلام عنه عليه السلام، فقال : استودعناه الذي استودعت أُم موسى ولدها .

وعن محمد بن هارون الهمداني قال : كان عليّ خمسمائة دينار لصاحب الزمان وضقت بها ذرعاً، ثم قلت في نفسي لي حوانيت اشتريتها بخمسمائة دينار وثلاثين ديناراً قد جعلتها للناحية بخمسمائة دينار، لا والله ما نطقت بذلك ولا قلت، فكتب عليه السلام إلى محمد بن جعفر اقبض الحوانيت من محمد بن هارون بخمسمائة دينار التي لنا عليه .

وعن الاسترابادي قال : صرت إلى العسكري عليه السلام ومعي ثلاثون ديناراً في خرقة منها دينار شامي، فوافيت الباب واني لقاعد إذ خرج إلي غلام أو جارية الشك مني، قال هات ما معك، قلت ما معي شيء، فدخل ثم خرج وقال معك ثلاثون ديناراً في خرقة خضراء منها دينار شامي وخاتم كنت نسيته فأوصلته إليه وأخذت الخاتم .

وعن محمد بن شاذان قال : اجتمع عندي خمسمائة درهم ناقص عشرين فأتممتها

من عندي، وبعثت بها إلى محمد بن أحمد القمي ولم أكتب كم لي منها، فأنفذ إلي كتابه وصلت خمسمائة درهم لك فيها عشرون درهماً .

وفي الإرشاد عن السياري قال : أوصلت أشياء للمرزباني الحارثي في جملتها سوار ذهب، فقبلت ورد السوار وأمرت بكسره فكسرته فإذا في وسطه مثاقيل حديد ونحاس وصفر، فأخرجته وأنفذت الذهب بعد ذلك فقبل. وعن علي بن محمد قال : حمل رجل من أهل أبه شيئاً يوصله، ونسي سيفاً كان أراد حمله، فلما وصل الشيء كتب إليه بوصوله وقيل في الكتابة ما خبر السيف الذي أنسيته. والأخبار في ذلك كثيرة جداً .

٦ ـ علامات ظهوره :

قال الشيخ المفيد رحمه الله في الارشاد قد جاءت الآثار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي، وحوادث تكون أمام قيامه، وآيات ودلالات فمنها :

خروج السفياني وقتل الحسيني .

اختلاف بني العباس في الملك الدنياوي .

كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان .

خسوف القمر في آخر الشهر على خلاف العادات .

وخسف بالبيداء بالمغرب. وخسف بالمشرق .

ركود الشمس من عند الزوال إلى وسط أوقات العصر وطلوعها من المغرب .

قتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين .

ذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام .

هدم حائط مسجد الكوفة .

إقبال رايات سود من قبل خراسان .

خروج اليماني وظهور المغربي بمصر وتملكه الشامات .

نزول الترك الجزيرة ونزول الروم الرملة .

طلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه .

حمرة تظهر في السماء وتنتشر في آفاقها .

نار تظهر بالمشرق طولاً وتبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة أيام .

خلع العرب أعنتها وتملكها البلاد وخروجها على سلطان العجم .

قتل أهل مصر أميرهم وخراب الشام واختلاف ثلاث رايات فيه ودخول رايات قيس والعرب إلى مصر، ورايات كندة إلى خراسان، وورود خيل من قبل المغرب حتى تربط بفناء الحيرة، وإقبال رايات سود من قبل المشرق نحوها .

شق في الفرات حتى يدخل الماء أزقة الكوفة .

خروج ستين كذاباً كلهم يدعي النبوة .

خروج اثني عشر من آل أبي طالب كلهم يدعي الإمامة لنفسه .

إحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولا وخانقين .

عقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد وارتفاع ريح سوداء بها في أول النهار وزلزلة حتى ينخسف كثير منها وخوف يشمل أهل العراق وموت ذريع فيه، ونقص من الأنفس والأموال والثمرات .

جراد يظهر في أوانه وفي غير أوانه، حتى يأتي على الزروع والغلات وقلة ريع ما يزرعه الناس .

اختلاف من العجم وسفك دماء كثيرة فيما بينهم .

خروج العبيد عن طاعة ساداتهم وقتلهم مواليهم .

مسخ لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قردة وخنازير .

غلبة العبيد على بلاد السادات .

نداء من السماء يسمعه أهل الأرض كل أهل لغة بلغتهم .

وجه وصدر يظهران للناس في عين الشمس .

أموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون فيها ويتزاورون .

ثم يختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتصل فتحيا الأرض بعد موتها، وتعرف بركاتها، وتزول بعد ذلك كل عاهة من معتقد الحق من شيعة المهدي، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة فيتوجهون نحوه لنصرته، كما جاءت بذلك الأخبار ومن جملة هذه الأحداث محتومة، وفيها مشترطة، والله أعلم بما يكون وإنما ذكرناها على حسب ما ثبت في

الأصول وتضمنها الأثر المنقول انتهى كلامه رحمه الله .

٧ ـ فضل انتظار فرجه :

في العيون عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله تعالى .

وفي الاحتجاج عن السجاد عليه السلام قال تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده، وإن أهل زمان غيبته القائلون بإمامته المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان، لأن الله تعالى ذكره اعطاهم من العقول والافهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً. وقال عليه السلام : انتظار الفرج من أعظم الفرج .

وعن الصادق عليه السلام عن آبائه، قال قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : يا علي واعلم أن أعظم الناس يقيناً قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي صلى الله عليه وآله وحجب عنهم الحجة فآمنوا بسواد في بياض .

وعن السجاد عليه السلام قال : من ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا اعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأحد .

٨ ـ يوم خروجه ومدة ملكه :

في الإكمال عن الرضا عليه السلام قال : علامة القائم أن يكون شيخ السن شاب النظر، حتى إن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإن من علامته ان لا يهرم بمرور الليالي والأيام عليه حتى يأتي أجله .

وفي غيبة الشيخ عن الصادق عليه السلام : إن القائم ينادى اسمه ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم يوم عاشوراء يوم قتل فيه الحسين بن علي عليه السلام .

وعن الباقر عليه السلام قال : كأني بالقائم يوم عاشوراء يوم السبت قائماً بين الركن والمقام بين يديه جبرائيل ينادي البيعة لله، فيملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

وعن الصادق عليه السلام قال : يملك القائم سبع سنين تكون سبعين سنة من سنينكم هذه .

وعنه عليه السلام قال : لا يخرج القائم إلا في وتر من السنين، سنة إحدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع .

وعن السجاد عليه السلام قال : إذا قام قائمنا أذهب الله عز وجل عن شيعتنا العاهة، وجعل قلوبهم كزبر الحديد، وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلاً، ويكونون حكام الأرض وسنامها .

وعن الباقر عليه السلام قال : إذا خرج القائم من مكة ينادي مناديه ألا لا يحملن أحد طعاماً ولا شراباً وحمل معه حجر موسى بن عمران وهو وقر بعير، فلا ينزل منزلاً إلا انفجرت منه عيون، فمن كان جائعاً شبع ومن كان ظمآناً روي ورويت دوابهم حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة .

وعن الصادق عليه السلام قال إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها واستغنى العباد عن ضوء الشمس، ويعمر الرجل في ملكه حتى يولد له ألف ذكر لا يولد فيهم أُنثى، ويبنى في ظهر الكوفة مسجد له ألف باب، وتتصل بيوت الكوفة بنهر كربلا وبالحيرة، حتى يخرج الرجل يوم الجمعة على بغلة شقراء يريد الجمعة فلا يدركها .

وعن الباقر عليه السلام قال : يملك القائم ثلاثمائة سنة ويزداد تسعاً كما لبث أهل الكهف في كهفهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فيفتح الله له مشرق الأرض وغربها، ويقتل الناس حتى لا يبقي إلا دين محمد، ويسير بسيرة سليمان بن داود ويدعو الشمس والقمر فيجيبانه وتطوى له الأرض. الحديث .

وعن الصادق عليه السلام قال : إن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي بالمشرق، اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه واجعلنا من أنصاره وأعوانه ومقوية سلطانه .

تم الكتاب في ليلة الخميس رابع وعشرين صفر سنة ١٢٢٦ هـ والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلّى الله على محمد وآله، يتلوه المجلد الثاني والحمد لله وصلّى الله على محمد وآله .

حق اليقين

في

معرفة أصول الدين

للعلامة المحقق الجليل

السيد عبد الله شبر

المتوفى عام ١٢٤٢ هـ

الجزء الثاني

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠



كتاب المعاد



الفصل الأول

الرجعة

١ ـ حقيقة الرجعة :

اعلم ان ثبوت الرجعة مما اجتمعت عليه الشيعة الحقة والفرقة المحقة، بل هي من ضروريات مذهبهم، وقال العلامة المجلسي رحمه الله : أجمعت الشيعة على ثبوت الرجعة في جميع الأعصار، واشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار، حتى نظموها في أشعارهم، واحتجوا بها على المخالفين في جميع أمصارهم، وشنع المخالفون عليهم في ذلك، وأثبتوه في كتبهم وأسفارهم، منهم الرازي والنيشابوري وغيرهما، وكيف يشك مؤمن بحقية الأئمة الأطهار، فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح، رواها نيف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الاعلام في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم، كثقة الإسلام الكليني، والصدوق محمد بن بابويه، والشيخ أبي جعفر الطوسي، والسيد المرتضىٰ، والنجاشي، والكشي، والعياشي، وعلي بن إبراهيم، وسليم الهلالي، والشيخ المفيد، والكراجكي، والنعماني، والصفّار، وسعد بن عبد الله، وابن قولوية، وعلي بن عبد الحميد، والسيد علي بن طاوس وولده صاحب كتاب زوائد الفوائد، ومحمد بن علي بن إبراهيم، وفرات بن إبراهيم، ومؤلف كتاب التنزيل والتحريف، وأبي الفضل الطبرسي، وأبي طالب الطبرسي، وإبراهيم بن محمد الثقفي، ومحمد بن العباس بن مروان، والبرقي، وابن شهر آشوب، والحسن بن سليمان، والقطب الراوندي، والعلامة الحلي، والسيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم، وأحمد بن داود بن سعيد، والحسن بن علي بن أبي حمزة، والفضل بن شاذان، والشيخ الشهيد محمد بن مكي، والحسين بن حمدان، والحسن بن محمد بن جمهور، والحسن بن محبوب، وجعفر بن محمد بن

مالك الكوفي، وطهر بن عبد الله، وشاذان بن جبرائيل، وصاحب كتاب الفضائل، ومؤلف الكتاب العتيق، ومؤلف كتاب الخطب، وغيرهم من مؤلفي الكتب التي عندنا ولم نعرف مؤلفهم على التعيين .

وإذا لم يكن مثل هذا متواتراً ففي أي شيء يمكن دعوىٰ التواتر مع ما روته كافة الشيعة خلفاً عن سلف، وظني أن من يشك في أمثالها فهو شاك في أئمة الدين ولا يمكنه إظهار ذلك من بين المؤمنين، فيحتال في تخريب الملة القويمة بإلقاء ما يتسارع إليه عقول المستضعفين من استبعادات المتفلسفين وتشكيكات الملحدين **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾**[1] .

وقد صنف جماعة من القدماء كتباً في حقية الرجعة فمنهم أحمد بن داود بن سعيد الجرجاني قال الشيخ في الفهرست له كتاب المتعة والرجعة، ومنهم الحسن بن علي بن أبي حمزة البطايني، وعدَّ النجاشي من جملة كتبه كتاب الرجعة، ومنهم الفضل بن شاذان النيشابوري، ذكر الشيخ في الفهرست والنجاشي ان له كتاباً في إثبات الرجعة، ومنهم الصدوق محمد بن علي ابن بابويه، فإنه عدَّ النجاشي في كتبه كتاب الرجعة، ومنهم محمد بن مسعود النجاشي ذكر النجاشي والشيخ في الفهرست كتابه في الرجعة، ومنهم الحسن بن سليمان وستأتي الرواية عنه .

ولذا تضافرت الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام ليس منا من لم يؤمن برجعتنا. ففي الفقيه عن الصادق عليه السلام قال : ليس منا من لم يؤمن بكرّتنا ويستحل متعتنا. والرجعة عبارة عن حشر قوم عند قيام القائم ممن تقدم موته من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته، وقوم من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب والقتل على أيدي شيعته، وليبتلوا بالذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته وهي عندنا تختص بمن محض الإيمان ومحض الكفر والباقون مسكوت عنهم، كما وردت بهم النصوص الكثيرة.

٢ ـ الآيات القرآنية الدالة على الرجعة :

الآية الأولى قوله تعالى: **﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا﴾**[2] .
حيث دلت هذه الآية على أن هذا الحشر خاص ببعض دون بعض، فتعين أن يكون غير الحشر

---

(١) سورة الصف؛ الآية: ٨ .
(٢) سورة النمل؛ الآية: ٨٣ .

لأكبر الذي في القيامة لأنه عام بالاتفاق، ولقوله تعالىٰ فيه ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾[١] . وروىٰ القمي في تفسيره عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن تفسير الآية الأولى، فقال عليه السلام : ما يقول الناس فيها، قلت يقولون انها في القيامة، فقال عليه السلام : أيحشر الله يوم القيامة من كل أُمة فوجاً ويترك الباقين، إنما ذلك في الرجعة، فأما آية القيامة فهذه ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾[٢] . والاخبار بهذا المضمون كثيرة .

الآية الثانية : قوله تعالىٰ : ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾[٣] . يعني إذا وجب العذاب والوعيد عليهم أو إذا نزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم بلسان يفهمونه بأن يقول لهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، وقد تضافر في أخبارنا أن المراد بهذه الدابة أمير المؤمنين عليه السلام ، وانه يخرج قبل القيامة ومعه عصا موسىٰ وخاتم سليمان، فيضرب المؤمن فيما بين عينيه بالعصا فينتقش فيها انه مؤمن حقاً، ويسم الكافر بين عينيه فينتقش فيه أنه كافر حقاً .

وروى القمي في تفسيره عن الصادق عليه السلام في الصحيح قال انتهىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو نائم في المسجد قد جمع رملاً ووضع رأسه عليه فحركه برجله ثم قال : قم يا دابة الله، فقال رجل من أصحابه يا رسول الله يسمي بعضنا بعضاً بهذا الاسم. فقال لا والله ما هو إلا له خاصة، وهو الدابة التي ذكرها الله في كتابه، وإذا وقع القول الخ ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة ومعك ميسم تسم به أعداءك. فقال الرجل لأبي عبد الله عليه السلام ان العامة يقولون هذه الدابة إنما تكلمهم يعني بالتخفيف من الكلم بمعنى الجرح. فقال عليه السلام كلمهم الله في نار جهنم إنما هو تكلمهم من الكلام .

وعنه عليه السلام قال، قال رجل لعمار بن ياسر يا أبا اليقظان آية في كتاب الله قد أفسدت قلبي وشككتني. قال عمار وأيّة آية هي، قال قول الله وإذا وقع القول الآية، فأية دابة هذه. قال عمار والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتى أريكها، فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل تمراً وزبداً، فقال يا أبا اليقظان هلم فجلس عمار وأقبل يأكل

---

(١) سورة الكهف؛ الآية: ٤٧ .

(٢) سورة الكهف؛ الآية: ٤٧ .

(٣) سورة النمل؛ الآية: ٨٢ .

معه، فتعجب الرجل منه فلما قام عمار قال الرجل سبحان الله يا أبا اليقظان حلفت أنك لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس حتى ترينيها، قال عمار قد أريتكها إن كنت تعقل .

وقد روىٰ العامة في كتبهم ما يقرب من ذلك عن عمار وابن عباس وغيرهما .

وروىٰ الزمخشري في الكشاف أنها تخرج من الصفا ومعها عصا موسىٰ وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسىٰ فتنكت نكتة بيضاء، فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه كأنه كوكب دري، أو تكتب بين عينيه مؤمن. وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسودّ لها وجهه أو يكتب بين عينيه كافر. ثم قال وقرأ تكلمهم من الكلم وهو الجرح، والمراد به الوسم بالعصا والخاتم .

وقد روىٰ العامة والخاصة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في مواطن كثيرة في خطبه أنا صاحب العصا والميسم .

وروى العامة عن أبي هريرة وابن عباس والأصبغ بن نباتة أن دابة الأرض في الآية أمير المؤمنين عليه السلام .

وروي عن كتاب تأويل ما نزل من القرآن في النبي وآله تأليف أبي عبد الله محمد بن عباس بن مروان باسناده عن الأصبغ بن نباتة قال، قال لي معاوية يا معشر الشيعة تزعمون أن علياً دابة الأرض، فقلت نحن نقول اليهود تقوله، فأرسل إلى رأس الجالوت، فقال ويحك تجدون دابة الأرض عندكم، فقال نعم، فقال ما هي، فقال رجل، قال أتدري ما اسمه، قال نعم اسمه اليَّا، قال فالتفت إلي فقال ويحك يا أصبغ ما أقرب اليَّا من علي .

الآية الثالثة : قوله تعالىٰ : ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾[1]. فعن الباقر عليه السلام في تفسيرها قال : ما أحسب نبيكم إلا سيطلع عليكم اطلاعة .

وعن الصادق عليه السلام فيها قال : لا والله لا تنقضي الدنيا ولا تذهب حتى يجتمع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام فيلتقيان ويبيتان بالثوية، وهو موضع بالكوفة مسجداً له اثني عشر ألف باب .

وعن السجاد في الآية قال : يرجع إليكم نبيكم .

وعن الباقر عليه السلام : رحم الله جابراً لقد بلغ من علمه انه كان يعرف تأويل هذه الآية

(١) سورة القصص: الآية: ٨٥ .

﴿إن الذي فرض﴾ الآية يعني الرجعة .

الآية الرابعة : قوله تعالىٰ : **﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متُّم، لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾**[1] . فروى القمي عن الباقر عليه السلام ان المراد القتل في سبيل علي وذريته، فمن قتل في ولايته قتل في سبيل الله. وليس أحد يؤمن بهذه الآية إلا وله قتلة وميتة، انه من قتل فيَّ فينشر حتى يموت، ومن مات ينشر حتى يقتل .

وقال عليه السلام في قوله تعالىٰ : **﴿كل نفس ذائقة الموت﴾**[2] . ليس من قتل بالسيف كمن مات على فراشه، ان من قتل لا بد ان يرجع إلى الدنيا حتى يذوق الموت .

الآية الخامسة: قوله تعالى: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾**[3] . فقد ورد في اخبار كثيرة ان هذه النصرة تكون في الرجعة.

وعن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: ما بعث الله نبياً من لدن آدم إلا ويرجع إلى الدنيا فينصر امير المؤمنين٥، وقوله لتؤمنن به يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولتنصرنه يعني امير المؤمنين عليه السلام .

وعن الصادق عليه السلام في الآية قال ليؤمنن برسول الله ولينصرن عليا أمير المؤمنين، قال نعم والله من لدن آدم وهلم جرا، فلم يبعث الله نبياً ولا رسولاً إلا رد جميعهم إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب .

وروى الحسن بن سليمان في منتخب البصائر عن كتاب الوحدة بإسناده عن عاصم بن حميد عن الباقر عليه السلام قال، قال أمير المؤمنين إن الله تبارك وتعالى أحد واحد تفرد في وحدانيته، ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً، ثم خلق من ذلك النور محمداً وخلقني وذريتي، ثم تكلم بكلمة فصارت روحاً، فأسكنه الله في ذلك النور وأسكنه في أبداننا، فنحن روح الله وكلماته فبنا احتج الله على خلقه، فما زلنا في ظلة خضراء حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا عين تطرف نعبده ونقدسه ونسبحه وذلك قبل أن يخلق الخلق، وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنصرة لنا، وذلك قوله عز وجل **﴿وإذ أخذ الله﴾**

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ١٥٧ .

(٢) سورة العنكبوت؛ الآية: ٥٧ .

(٣) سورة آل عمران؛ الآية: ٨١ .

الآية يعني لتؤمنن به ولتنصرن وصيه وسينصرونه جميعاً، وإن الله أخذ ميثاقي مع ميثاق محمد ﷺ بالنصرة بعضنا لبعض، فقد نصرت محمداً وجاهدت بيف نعبده ونقدسه ونسبحه وذلك قبل أن يخلق الخلق، وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنصرة لنا، وذلك قوله عز وجل ﴿**وإذ أخذ الله**﴾ الآية يعني لتؤمنن به ولتنصرن وصيه وسينصرونه جميعاً، وإن الله أخذ ميثاقي مع ميثاق محمد ﷺ بالنصرة بعضنا لبعض، فقد نصرت محمداً وجاهدت بين يديه وقتلت عدوه ووفيت لله بما أخذ عليّ من الميثاق والعهد والنصرة لمحمد ﷺ، ولم ينصرني احد من انبياء الله ورسله، وذلك لما قبضهم الله اليه وسوف ينصرونني ويكون لي ما بين مشرقها الى مغربها، وليبعثهم الله احياءً من آدم إلى محمد كل نبي مرسل يضربون بين يدي بالسيف هام الأموات والأحياء والثقلين جميعاً، فيا عجباً وكيف لا أعجب من أموات يبعثهم الله أحياءً يلبون زمرة زمرة بالتلبية لبيك لبيك يا داعي الله، قد تخللوا سكك الكوفة، قد شهروا سيوفهم على عواتقهم ليضربوا بها هام الكفرة وجبابرتهم واتباعهم من جبابرة الأولين والآخرين حتى ينجز الله ما وعدهم في قوله عز وجل ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً**﴾[1]. أي يعبدونني آمنين لا يخافون أحداً من عبادي، ليس عندهم تقية وان لي الكرة بعد الكرة، والرجعة بعد الرجعة، وانا صاحب الرجعات والكرات، وصاحب الصولات والنقمات والدولات العجيبات، وانا قرن يعني حصن من حديد، وانا عبد الله واخو رسول الله، وانا امين الله وخازنه وعيبة سره وحجابه ووجهه وصراطه وميزانه، وانا الحاشر إلى الله، وأنا كلمة الله التي يجمع بها المفرق ويفرق بها المجتمع، وأنا أسماء الله الحسنىٰ، وأمثاله العليا وآيته الكبرىٰ، وأنا صاحب الجنة والنار، أُسكن أهل الجنة الجنة وأُسكن أهل النار النار، وإلي تزويج أهل الجنة، وإلي عذاب أهل النار، وإلي إياب الخلق جميعاً، وأنا الأياب الذي يؤوب إليه كل شيء بعد القضاء، وإلي حساب الخلق جميعاً، وأنا صاحب الهنات، وأنا المؤذن على الأعراف، وأنا بارز الشمس، وأنا دابة الأرض، وأنا قسيم النار، وأنا خازن الجنان وصاحب الأعراف، وأنا أمير المؤمنين ويعسوب المتقين وآية السابقين ولسان الناطقين وخاتم الوصيين ووارث النبي وخليفة رب العالمين وصراط ربي المستقيم وقسطاطه والحجة على أهل السماوات والأرضين وما فيهما وما بينهما، وأنا الذي احتج الله به عليكم في ابتداء خلقكم، وأنا الشاهد يوم الدين، وأنا الذي علمت علم المنايا

---

(١) سورة النور؛ الآية: ٥٥ .

والبلايا والقضايا وفصل الخطاب والأنساب واستحفظت آيات النبيين المستخفين وأنا صاحب العصا والميسم، وأنا الذي سخرت لي السحاب والرعد والبرق والظلم والأنوار والرياح والجبال والبحار والنجوم والشمس والقمر، وأنا القرن الحديد، وأنا فاروق الأمة، وأنا الهادي، وأنا الذي أحصيت كل شيء عدداً بعلم الله الذي أودعته وبسره الذي أسرَّه إلى محمد وأسرَّه النبيّ إلي، وأنا الذي إلاّ نحلني ربي اسمه وكلمته وحكمه وعلمه وفهمه، يا معشر الناس اسألوني قبل أن تفقدوني، اللهم إني أُشهدك وأُستعديك عليهم ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم والحمد لله متبعين أمره.

الآية السادسة: قوله تعالىٰ: ﴿**ولنذيقنهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون**﴾[1]. روى القمي عن الصادق عليه السلام قال: العذاب الأدنىٰ عذاب الرجعة بالسيف، والعذاب الأكبر في القيامة، ومعنىٰ لعلهم يرجعون، يرجعون في الرجعة فيعذبون.

الآية السابعة: قوله تعالىٰ: ﴿**ربنا أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل**﴾[2]. روى القمي عن الصادق عليه السلام قال: ذلك في الرجعة يعني أحد الإحياءيْن في الرجعة والآخر في القيامة، وإحدىٰ الإماتتين في الدنيا والأُخرىٰ في الرجعة، والآية ظاهرة كمال الظهور في الرجعة وتكلف المفسرون شططاً لتصحيح التثنية بالاحياء في القبر للسؤال والإماتة فيه، ومنهم من حمل الإماتة الأُولىٰ على خلقهم ميتين ككونهم نطفة، ويبطل الأول أن الحياة للمساءلة ليست للتكليف فيندم الإنسان على ما فاته في حاله، وظاهر الآية انهم يندمون على ما فاتهم في الحياتين ويبطل الثاني انه لا يقال لمن خلقه الله ميتاً أماته وإنما يقال ذلك في من كان حياً.

الآية الثامنة: قوله تعالىٰ: ﴿**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**﴾[3]. فروى القمي في تفسيره وسعد بن عبد الله عن الصادق عليه السلام قال ذلك والله في الرجعة أما علمت ان أنبياء الله كثيراً لم ينصروا في الدنيا وقتلوا، والأئمة من بعدهم قتلوا ولم ينصروا في الدنيا، فذلك في الرجعة.

---

(١) سورة السجدة؛ الآية: ٢١.

(٢) سورة غافر؛ الآية: ١١.

(٣) سورة غافر؛ الآية: ٥١

الآية التاسعة : قوله تعالىٰ : ﴿**إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً**﴾[1] . عن سليمان الديلمي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عنها فقال : الأنبياء رسول الله وإبراهيم وإسماعيل وذريته، والملوك الأئمة، فقلت وأي ملك أُعطيتم، فقال ملك الجنة وملك الكرّة .

الآية العاشرة : قوله تعالىٰ : ﴿**وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً**﴾[2] . روى القمي أن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رجع آمن به الناس كلهم. وعن شهر بن حوشب قال، قال لي الحجاج آية في كتاب الله قد اعيتني، فقلت أيها الأمير أية آية هي، فقال قوله تعالىٰ : ﴿**وإن من أهل الكتاب**﴾ **الآية** والله إني لأمرّ باليهودي والنصراني فتضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد، فقلت أصلح الله الأمير ليس على ما تأولت، قال كيف هو، قلت إن عيسىٰ عليه السلام ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا غيره إلا آمن به قبل موته ويصلي خلف المهدي، قال ويحك أنى لك هذا ومن أين جئت به، فقلت حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، فقال جئت والله بها من عين صافية .

الآية الحادية عشرة : قوله تعالىٰ : ﴿**وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون**﴾[3] . روى القمي في الصحيح عن أبي بصير ومحمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام والباقر عليه السلام قالا: كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرجعة، فهذه الآية من أعظم الدلالة على الرجعة لأن أحداً من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم يرجعون إلى القيامة من هلك ومن لم يهلك، فقوله لا يرجعون عنى في الرجعة، فأما إلى القيامة يرجعون حتى يدخلوا النار .

الآية الثانية عشرة : قوله تعالىٰ : ﴿**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين**﴾[4] . فقد فسرت في الأخبار الآتية بالرجعة، إلى غير ذلك من الآيات ويأتي جملة منها في ضمن الأخبار .

---

(١) سورة المائدة؛ الآية: ٢٠ .

(٢) سورة النساء؛ الآية: ١٥٩ .

(٣) سورة الأنبياء؛ الآية: ٩٥ .

(٤) سورة القصص؛ الآية: ٥ .

٣ ـ الأحاديث النبوية الدالة على الرجعة :

وأما السنة فهي كثيرة حتى ادُّعي تواترها، منها ما رواه في البصائر عن الخثعمي قال سمعت أبا عبد الله يقول إن إبليس قال أنظرني إلى يوم يبعثون، فأبىٰ الله ذلك عليه، فقال انك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، فإذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر إبليس في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم، وهي آخر كرة يكرها أمير المؤمنين، فقلت وانها لكرات، قال نعم انها لكرات وكرات ما من إمام في قرن إلا ويكر معه البر والفاجر في دهره حتى يديل الله تعالىٰ المؤمن من الكافر، فإذا كان يوم الوقت المعلوم كر أمير المؤمنين في أصحابه وجاء إبليس في أصحابه ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات يقال له الروحا قريب من كوفتكم، فيقتتلون قتالاً لم يقتتل مثله منذ خلق الله عز وجل العالمين، فكأني أنظر إلى أصحاب علي أمير المؤمنين عليه السلام وقد رجعوا إلى خلفهم القهقرى مائة قدم، وكأني أنظر إليهم وقد وقعت بعض أرجلهم في الفرات، فعند ذلك يُهبِط الجبار، أي ينزل آيات عذابه في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر رسول الله أمامه بيده حربة من نور، فإذا نظر إليه إبليس رجع القهقرى ناكصاً على عقبيه، فيقولون له أصحابه أين تريد وقد ظفرت، فيقول إني أرىٰ ما لا ترون، إني أخاف الله رب العالمين، فيلحقه النبي فيطعنه طعنة بين كتفيه فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه. فعند ذلك يعبد الله عز وجل ولا يشرك به شيئاً. ويملك أمير المؤمنين عليه السلام أربعاً وأربعين ألف سنة حتى يلد الرجل من شيعة علي عليه السلام ألف ولد من صلبه ذكراً، في كل سنة ذكراً، وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما يشاء الله .

وبهذا الاسناد عن الصادق عليه السلام قال : إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي عليه السلام . الحديث .

وفي البصائر أيضاً بأسانيد عديدة عن الباقر عليه السلام قال : إن أول من يرجع لجاركم الحسين فيملك حتى يقع حاجباه على عينيه من الكبر .

وروي أيضاً بإسناده عن أبي إبراهيم قال : لترجعن نفوس ذهبت وليقتصن يوم يقوم ومن عذب يقتص بعذابه، ومن أغيظ أغاظ له بغيظه، ومن قتل اقتص بقتله، ويرد لهم أعداءهم معهم حتى يأخذوا بثأرهم، ثم يعمرون بعدهم ثلاثين شهراً ثم يموتون في ليلة واحدة، قد أدركوا ثأرهم وشفوا أنفسهم ويصير أعداؤهم إلى أشد النار عذاباً، ثم يقفون

بين يدي الجبار عز وجل فيأخذ لهم بحقوقهم .

وروى القمي في تفسيره وغيره عنه عليه السلام في تفسير قوله تعالىٰ : **﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾**[1] . قال نزلت في الرجعة كذبوا بها أي انها لا تكون .

وروي أيضاً عن معاوية بن عمار قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام قول الله **﴿فإن له معيشة ضنكاً﴾**[2] . قال هي والله للنصاب، قلت جعلت فداك قد رأيناهم دهرهم الأطول في كفاية حتى ماتوا، قال ذلك والله في الرجعة يأكلون العذرة .

وروى القمي في تفسيره قال **﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين﴾**[3] . ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال **﴿نتلوا عليك﴾** يا محمد **﴿من نبأ موسىٰ وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة﴾** إلى قوله **﴿يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾**[4] . أخبر الله نبيه بما نال موسى وأصحابه من فرعون من القتل والظلم ليكون تعزية له فيما يصيبه في أهل بيته من أُمته، ثم بشره بعد تعزيته أنه يتفضل عليهم بعد ذلك ويجعلهم خلفاء في الأرض وأئمة على أُمته، ويردهم إلى الدنيا مع أعدائهم حتى ينتصفوا منهم فقال : **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما﴾**[5] . وهم الذين غصبوا آل محمد حقهم . وقوله : **﴿منهم﴾** أي من آل محمد **﴿ما كانوا يحذرون﴾**، أي من القتل والعذاب . ولو كانت هذه الآية نزلت في موسىٰ وفرعون لقال ونري فرعون وهامان وجنودهما منه ما كانوا يحذرون، أي من موسىٰ ولم يقل منهم، فلما تقدم قوله ونريد أن نمن الآية علمنا أن المخاطبة للنبي، وما وعد الله رسوله فإنما يكون بعده والأئمة يكونون من ولده، وإنما ضرب الله هذا المثل لهم في موسىٰ وبني إسرائيل وفي أعدائهم بفرعون وجنوده، فقال إن فرعون قتل بني إسرائيل وظلم فأظفر الله موسىٰ بفرعون وأصحابه حتى أهلكهم الله، وكذلك أهل بيت رسول الله أصابهم من أعدائهم القتل والغصب، ثم يردهم الله ويرد أعداءهم إلى الدنيا حتى يقتلوهم .

---

(١) سورة يونس؛ الآية : ٣٩ .

(٢) سورة طه : الآية : ١٢٤ .

(٣) سورة الشعراء؛ الآية : ١ .

(٤) سورة القصص؛ الآيات : ٢ ـ ٤ .

(٥) سورة القصص؛ الآيات : ٥ ـ ٦ .

وروى القطب الراوندي في الخرائج وغيره بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال، قال الحسين عليه السلام لأصحابه قبل أن يقتل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يا بني إنك ستساق إلى العراق وهي أرض قد التقىٰ بها النبيون وأوصياء النبيين، وهي أرض تدعى غمورا، وإنك تستشهد بها ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد وتلا ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾[1]. يكون الحرب برداً وسلاماً عليك وعليهم فأبشروا فوالله لئن قتلونا فإنا نرد على نبينا صلى الله عليه وآله، قال عليه السلام ثم أمكث ما شاء الله فأكون أول من تنشق الأرض عنه، فأخرج خرجة يوافق ذلك خرجة أمير المؤمنين وقيام قائمنا، ثم لينزلن علي وفد من السماء من عند الله لم ينزلوا إلى الأرض قط، ولينزلن إليّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وجنود من الملائكة، ولينزلن محمد وعلي وأنا وأخي وجميع من منّ الله عليه في حمولات، حمولات الرب خيل بلق من نور لم يركبها مخلوق، ثم ليهزن محمد لواءه وليدفعنه إلى قائمنا مع سيفه، ثم انا نمكث من بعد ذلك ما شاء الله، ثم إن الله يخرج من مسجد الكوفة عيناً من دهن وعيناً من ماء وعيناً من لبن، ثم إن أمير المؤمنين يدفع إلي سيف رسول الله ويبعثني إلى المشرق والمغرب، فلا آتي على عدو لله إلا أهرقت دمه، ولا ادع صنماً إلا أحرقته حتى أقع إلى الهند فأفتحها، وان دانيال ويونس يخرجان إلى أمير المؤمنين يقولان صدق الله ورسوله، ويبعث الله معهما إلى البصرة سبعين رجلاً فيقتلون مقاتليهم، ويبعثون بعثاً إلى الروم فيفتح الله لهم، ثم لأقتلن كل دابة حرم الله لحمها حتى لا يكون على وجه الأرض إلا الطيب، وأعرض على اليهود والنصارىٰ وسائر الملل ولأخيرنهم بين الإسلام والسيف، فمن أسلم مننت عليه ومن كره الإسلام أهرق الله دمه، ولا يبقى رجل من شيعتنا الا أنزل الله إليه ملكاً يمسح عن وجهه التراب ويعرفه أزواجه ومنزلته في الجنة، ولا يبقى على وجه الأرض أعمى ولا مقعد ولا مبتلى إلا كشف الله عنه بلاءه بنا أهل البيت، ولتنزلن البركة من السماء إلى الأرض حتى ان الشجرة لتقصف يعني تنكسر أغصانها بما يزيد الله فيها من الثمرة، ولتأكلن ثمرة الشتاء في الصيف وثمرة الصيف في الشتاء، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾[2]. ثم إن الله ليهب لشيعتنا كرامة لا يخفى عليهم شيء في الأرض وما كان فيها، حتى إن الرجل منهم يريد ان يعلم عمل أهل بيته فيخبرهم بعلم ما يعملون.

---

(١) سورة الأنبياء؛ الآية: ٦٩.

(٢) سورة الأعراف؛ الآية: ٩٦.

وروى الصدوق في العيون بإسناد معتبر عن الحسن بن الجهم قال: قال المأمون للرضا عليه السلام يا أبا الحسن ما تقول في الرجعة. فقال عليه السلام : انها الحق قد كانت في الأُمم السالفة ونطق بها القرآن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله يكون في هذه الأُمة كل ما كان في الأُمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، وقال عليه السلام إذا خرج المهدي من ولدي نزل عيسىٰ بن مريم عليه السلام فصلىٰ خلفه، وقال عليه السلام إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبىٰ للغرباء. قيل يا رسول الله ثم يكون ماذا، قال ثم يرجع الحق إلى أهله .

وروى العياشي في تفسيره عن الصادق عليه السلام قال : لقد تسموا يعني خلفاء الجور باسم ما سمى الله به أحداً إلا علي بن أبي طالب، يعني بذلك الاسم أمير المؤمنين عليه السلام ، قال عليه السلام وما جاء تأويله قلت جعلت فداك متى يجيء تأويله، قال إذا جاء جمع الله أمامه، أي إذا جاء تأويله جمع الله أمام أمير المؤمنين النبيين والمؤمنين حتى ينصروه وهو قوله تعالىٰ : **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة﴾** إلى قوله : **﴿أنا معكم من الشاهدين﴾**[1] . يومئذ يدفع رسول الله اللواء إلى علي بن أبي طالب فيكون أمير الخلائق كلهم أجمعين، يكون الخلائق كلهم تحت لوائه ويكون هو أميرهم فهذا تأويله .

وعن كتاب سليم بن قيس الهلالي، الذي رواه عنه أبان بن أبي عياش، وقرأه جميعه على سيدنا علي بن الحسين بحضور جماعة من أعيان أصحابه منهم أبو الطفيل، فأقره عليه زين العابدين عليه السلام وقال هذه أحاديثنا صحيحة قال أبان لقيت أبا الطفيل بعد ذلك في منزله فحدثني في الرجعة عن أناس من أهل بدر، وعن سلمان والمقداد وأُبي بن كعب، قال أبو الطفيل فعرضت هذا الذي سمعته منهم على علي بن أبي طالب بالكوفة، فقال هذا علم خاص لا يسع الأُمة جهله ورد علمه إلى الله تعالىٰ، ثم صدقني عليه السلام بكل ما حدثوني وقرأ علي بذلك قراءة كثيرة فسّره تفسيراً شافياً حتى صرت ما أنا بيوم القيامة أشد يقيناً مني برجعة، وكان مما قلت أخبرني عن حوض النبي صلى الله عليه وآله في الدنيا أم في الآخرة، فقال بل في الدنيا، قلت فمن الذائد عنه، فقال أنا بيدي فليردنه أوليائي وليصرفن عنه أعدائي، وفي رواية أُخرى ولأوردنه أوليائي ولأصرفن عنه أعدائي، فقلت يا أمير المؤمنين قول الله عز وجل **﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾**[2] . ما الدابة، قال يا أبا الطفيل أُله وعن هذا، فقلت يا أمير المؤمنين أخبرني به

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ٨١ .

(٢) سورة النمل؛ الآية: ٨٢ .

جعلت فداك، قال هي دابة تأكل الطعام وتمشي في الأسواق وتنكح النساء، فقلت يا أمير المؤمنين من هو، قال هو ربّ الأرض الذي تسكن الأرض به، فقلت يا أمير المؤمنين من هو، قال صدِّيق هذه الأمة وفاروقها وربِّيها بكسر الراء إشارة إلى قوله تعالىٰ : **﴿وكأي من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله﴾**[1] والربيون هم العلماء الأتقياء أو العابدون وذو قرنيها، قلت يا أمير المؤمنين من هو، قال الذي قال الله تعالىٰ : **﴿ويتلوه شاهد منه والذي عنده علم الكتاب والذي جاء بالصدق والذي صدق به﴾** والناس كلهم كافرون غيره، قلت يا أمير المؤمنين فسمه لي، قال قد سميته لك يا أبا الطفيل والله لو أدخلت علي عامّة شيعتي الذين بهم أقاتل الذين أقرّوا بطاعتي وسموني أمير المؤمنين واستحلوا جهاد من خالفني فحدثتهم ببعض ما أعلم من الحق في الكتاب الذي نزل به جبرائيل على محمد ﷺ لتفرقوا عني حتى أبقى في عصابة من الحق قليلة أنت وأشباهك من شيعتي، ففزعت وقلت يا أمير المؤمنين أنا وأشباهي نتفرق عنك أو نثبت معك، قال بل تثبتون ثم أقبل علي فقال إن أمرنا صعب مستصعب لا يعرفه ولا يقرّ به إلا ثلاثة، ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن نجيب امتحن الله قلبه للإيمان، يا أبا الطفيل إن رسول الله ﷺ قبض فارتد الناس ضلالاً وجهالاً إلا من عصمه الله بنا أهل البيت .

وروى صاحب منتخب البصائر عن سعد بن عبد الله بإسناده عن جابر الجعفي عن أبي عبد الله عليه السلام قال ان لعلي عليه السلام في الأرض كرة مع الحسين ابنه، يقبل برايته حتى ينتقم له من بني أمية ومعاوية وآل معاوية ومن شهد حربه، ثم يبعث الله إليهم بأنصاره يومئذ من أهل الكوفة ألفاً ومن سائر الناس سبعين ألفاً فيلقاهم بصفين مثل المرة الأُولىٰ حتى يقتلهم ولا يبقي منهم مخبراً، ثم يبعثهم الله عز وجل فيدخلهم أشد عذابه مع فرعون وآل فرعون، ثم كرة أُخرى مع رسول الله حتى يكون خليفة في الأرض وتكون الأئمة عُمَّاله، وحتى يبعثه الله علانية فتكون عبادته علانية في الأرض كما عبد الله سراً في الأرض، ثم قال إي والله وأضعاف ذلك، ثم عقد بيده ضعافاً يعطي الله نبيه ملك جميع أهل الدنيا منذ يوم خلق الله الدنيا إلى يوم يفنيها حتى ينجز له موعده في كتابه، كما قال : **﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾**[2] .

وروى الشيخ المفيد في المجالس والارشاد، والكشي بأسانيد عديدة عن عباية

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ١٤٦ .

(٢) سورة التوبة؛ الآية: ٣٣ .

الأسدي والأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام انه كان يقول : أنا سيد الشيب وفيَّ سنّة من أيوب والله ليجمعن الله لي أهلي كما جمعوا لأيوب. وفي رواية كما جمعوا ليعقوب .

وروى الكشي أيضاً عن الصادق عليه السلام قال : إني سألت الله في إسماعيل ان يبقيه بعدي فأبىٰ ولكنه قد أعطاني فيه منزلة أُخرىٰ انه يكون أول منشور في عشرة من أصحابه ومنهم عبد الله بن شريك وهو صاحب لوائه .

روي أيضاً عن الباقر عليه السلام قال : كأني بعبد الله بن شريك العامري عليه عمامة سوداء وذؤابتا كتفيه مصعداً في نجف الجبل أي أصله بين يدي قائمنا أهل البيت في أربعة آلاف يكبّرون ويكرون. وفي نسخة ومكررون، وفي أُخرىٰ مكرون، وفي ثالثة يكررون والمراد بالكرة الرجعة .

وروي أيضاً عن داود الرقي قال، قلت له يعني للصادق عليه السلام اني قد كبرت ودق عظمي أحب أن يختم عمري بقتل فيكم، فقال وما من هذا بد ان لم يكن في العاجلة يكون في الآجلة، أي في الرجعة .

وروى الشيخ حسن بن سليمان في منتخب البصائر عن أمير المؤمنين انه قال في جملة خطبة طويلة : ان أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، لا يعي حديثنا إلا حصون حصينة، أو صدور أمينة، أو أحلام رزينة، يا عجبا كل العجب بين جمادى ورجب، فقال رجل من شرطة الخميس ما هذا العجب يا أمير المؤمنين. قال ومالي لا أعجب وسبق القضاء فيكم وما تفقهون الحديث، الا صوتات بينهن موتات، حصد نبات ونشر أموات، واعجباً كل العجب بين جمادى ورجب. فقال أيضاً رجل يا أمير المؤمنين ما هذا العجب الذي لا تزال تعجب منه. قال ثكلت الآخر أمه، وأي عجيب يكون أعجب منه أموات يضربون هوامّ الأحياء. قال والذي يكون ذلك يا أمير المؤمنين. قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة كأني أنظر قد تخللوا سكك الكوفة وقد شهروا سيوفهم على مناكبهم يضربون كل عدو لله ولرسوله وللمؤمنين، وذلك قول الله تعالىٰ : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾**[1] .

وروى الصدوق في العلل عن الباقر عليه السلام قال : أما لو قد قام قائمنا لقد ردت إليه

---

(١) سورة الممتحنة؛ الآية: ١٣ .

الحميرا حتى يجلدها الحد، وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة منها .

وروى المفيد في الإرشاد عن الصادق عليه السلام قال : إذا آن قيام القائم مطر الناس جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لا ترىٰ الخلائق مثله، فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم، وكأني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة وهي قبيلة ينفضون شعورهم من التراب .

وروي أيضاً عن الصادق عليه السلام قال : يخرج مع القائم من ظهر الكوفة سبع وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسىٰ عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسليمان. وفي نسخة سلمان وأبو دجانة الأنصاري والمقداد ومالك الأشتر فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً. وروى العياشي في تفسيره مثله .

وروى النعماني في كتاب الغيبة بأسناده عن الباقر عليه السلام قال : لو خرج قائم آل محمد لنصره الله بالملائكة، وأول من يتبعه محمد وعلي الثاني .

ورویٰ الشيخ الطوسي والنعماني في كتاب الغيبة عن الرضا عليه السلام في حديث طويل في علامات ظهور القائم قال : والصوت الثالث يرون بدناً بارزاً نحو عين الشمس هذا أمير المؤمنين قد كر في هلاك الظالمين .

وروى الشيخ في الغيبة عن المفضل قال : ذكرنا القائم ومن مات من أصحابنا ينتظره فقال لنا أبو عبد الله عليه السلام إذا قام أُتي المؤمن في قبره، فيقال له يا هذا انه قد ظهر صاحبك فإن تشأ أن تلحق به فالحق، وان تشأ ان تقيم في كرامة ربك فأقم .

وفي زيارة الجامعة الكبيرة المشهورة المروية في الكافي والتهذيب عن الهادي عليه السلام : ويكر في رجعتكم، ويملك في دولتكم ويشرف في عافيتكم، ويمكّن في أيامكم، وتقر عينه غداً برؤيتكم .

وفي زيارة الوداع : ومكنني في دولتكم، وأحياني في رجعتكم .

وفي زيارة الأربعين المروية في التهذيب عن الصادق عليه السلام وأشهد أني بكم مؤمن، وبإيابكم موقن.

وروى ثقة الإسلام في الكافي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ : ﴿**وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين**﴾[1]. قال قتل علي بن أبي طالب وطعن

---

(١) سورة الإسراء؛ الآية: ٤ .

الحسن ﴿ولتعلن علواً كبيراً﴾[1]. قال قتل الحسين ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾[2]. إذا جاء نصر دم الحسين ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار﴾[3]. قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم عليه السلام فلا يدعون وتراً لآل محمد إلا قتلوه ﴿وكان وعداً مفعولاً﴾[4]. خروج القائم ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾[5]. خروج الحسين في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهبة لكل بيضة وجهان، المؤدون إلى الناس ان هذا الحسين عليه السلام قد خرج حتى لا يشك المؤمنون فيه، وإنه ليس بدجال ولا شيطان والحجة القائم بين أظهرهم فإذا استقرت المعرفة في قلوب المؤمنين انه الحسين عليه السلام جاء الحجة عليه السلام الموت، فيكون الذي يغسله ويكفنه ويحنطه ويلحده في حفرته الحسين بن علي عليه السلام ولا يلي الوصي إلا الوصي فإن قيل فمن يغسل الحسين عليه السلام قيل حيث انه كان شهيداً في هذه النشأة لا يحتاج إلى غسل وتكفين، أو إن الإمام الذي يبعث بعده يغسله .

وفي زيارة الحسين عليه السلام المروية في المصباح عن الصادق عليه السلام : وأشهد الله وملائكته وأنبياءه ورسله اني بكم مؤمن وبإيابكم موقن[6] .

وفي زيارة العباس اني بكم وبإيابكم من الموقنين .

وفي الجامعة الرجبية التي رواها الأصحاب ومنهم الشيخ والسيد ابن طاوس : ويرجعني من حضرتكم خير مرجع إلى جناب ممرع، وخفض عيش موسع، ودعة ومهل إلى حين الأجل، وخير مصير ومحل في النعيم الأزل، والعيش المقتبل ودوام الأكل وشرب الرحيق والسلسل وعلّ ونهل لا سأم منه ولا ملل ورحمة الله وبركاته وتحياته حتى العود إلى حضرتكم والفوز في كرّتكم .

وفي الإقبال والمصباح في الدعاء في اليوم الذي ولد فيه الحسين المروي عن الهمداني وكيل أبي محمد عليه السلام وفيه : المعوض من قتله ان الأئمة من نسله والشفاء في تربته والفوز معه في أوبته، إلى قوله فنحن عائذون بقبره نشهد تربته وننتظر أوبته [7].

(١ ـ ٥) سورة الإسراء؛ الآيات: ٤ ـ ٦ .

(٦) المصباح ص ٦٦٦، طبعة الأعلمي

(٧) المصباح ص ٧٢٠، طبعة الأعلمي.

وفي زيارات القائم التي ذكرها السيد ابن طاوس فقرات كثيرة تدل على ذلك، ففي بعضها ووفقني يا رب للقيام بطاعته، والمثوىٰ في خدمته، والمكث في دولته، واجتناب معصيته، فإن توفيتني اللهم قبل ذلك فاجعلني يا رب في من يكر في رِجعته، ويملك في دولته، ويتمكن في أيامه .

وفي الزيارة الأُخرىٰ وان أدركني الموت قبل ظهورك فأتوسل بك إلى الله سبحانه ان يصلي على محمد وآل محمد، وان يجعل لي كرة في ظهورك، ورجعة في أيامك لأبلغ من طاعتك مرادي، وأشفي من أعدائك فؤادي. وفي أُخرىٰ اللهم اني أدين لك بالرجعة بين يدي صاحب هذه البقعة .

وروى الشيخ والسيد ابن طاوس وغيرهما عن الصادق عليه السلام قال : من دعا إلى الله أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا، فإن مات قبله أخرجه الله تعالىٰ من قبره. وفيه اللهم ان حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي مجرداً قناتي ملبياً دعوة الداعي إلى آخره .

وروى السيد أيضاً عن الصادق عليه السلام في زيارة النبي والأئمة عليهم السلام من بعد وفيها إني من القائلين بفضلكم مقر برجعتكم لا أنكر لله قدرة .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في حديث طويل في صفة قبض روح المؤمن قال : ثم يزور آل محمد في جنان رضوىٰ، فيأكل معهم من طعامهم ويشرب معهم من شرابهم ويتحدث معهم في مجالسهم، حتى يقوم قائمنا أهل البيت فإذا قام قائمنا بعثهم الله فأقبلوا معهم يلبون زمراً زمراً، فعند ذلك يرتاب المبطلون .

وروى الحسن بن سليمان في منتخب البصائر عن الصادق عليه السلام قال قال أمير المؤمنين : أنا الفاروق الأكبر، وصاحب الميسم، وأنا صاحب النشر الأول والنشر الآخر، وصاحب الكرات ودولة الدول، وعلى يدي يتم موعد الله وتكمل كلمته وبي يكمل الدين .

وفي كامل الزيارة لإبن قولويه عن الصادق عليه السلام في زيارة الحسين : ونصرتي لكم معدة حتى يحكم الله ويبعثكم، فمعكم معكم لا مع عدوكم إني من المؤمنين برجعتكم، لا أنكر لله قدرة ولا أكذب له مشيئة ولا أزعم أنّ ما شاء لا يكون .

وفيه عن الصادق عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام أيضاً : ونصرتي لكم معدة حتى يحييكم الله بدينه ويبعثكم .

وفيه أيضاً عن الصادق عليه السلام يقال عند قبر الحسين وقبر كل إمام : اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر ابن نبيك، وابعثه مقاماً محموداً تنتصر به لدينك، وتقتل به عدوك، فإنك وعدته وأنت الرب الذي لا تخلف الميعاد .

وروى الشيخ في كتاب الغيبة باسناده عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام قال : والله ليملكن منا أهل البيت رجل بعد موته ثلثمائة سنة يزداد تسعاً، قلت متى يكون ذلك، قال بعد القائم، قلت وكم يقوم القائم في عالمه، قال تسعة عشر سنة ثم يخرج المنتصر فيطلب بدم الحسين ودماء أصحابه فيقتل ويسبي حتى يخرج السفاح. والظاهر ان المراد بالمنتصر الحسين عليه السلام وبالسفاح أمير المؤمنين عليه السلام .

وفي منتخب البصائر عن جابر عن أبي جعفر قال : والله ليملكن رجل منا أهل البيت بعد موته ثلثمائة سنة ويزداد تسعاً، قال فقلت فمتىٰ يكون ذلك، قال فقال بعد موت القائم، قال قلت له وكم يقوم القائم في عالمه حتى يموت، قال فقال تسعة عشر سنة من يوم قيامه إلى يوم موته، قال فقلت له فيكون بعد موته الهرج، قال نعم خمسين سنة ثم يخرج المنتصر إلى الدنيا فيطلب بدمه ودماء أصحابه، فيقتل ويسبي حتى يقال لو كان هذا من ذرية الأنبياء ما قتل الناس كل هذا القتل، فيجمع عليه الناس أبيضهم وأسودهم فينكرون عليه حتى يلجئوه إلى حرم الله، فإذا اشتد البلاء عليه وقتل المنتصر خرج السفاح إلى الدنيا غضباً للمنتصر، فيقتل كل عدو لنا. وهل تدري من المنتصر والسفاح يا جابر، المنتصر الحسين بن علي عليه السلام والسفاح علي بن أبي طالب عليه السلام .

وفي الكافي والبصائر عن الباقر عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام : لقد اعطيت الست : علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب، واني لصاحب كرات ودولة الدول، واني لصاحب العصا والميسم والدابة التي تكلم الناس .

وفي الكافي والتهذيب عن الصادق عليه السلام قال : والله لا تذهب الأيام والليالي حتى يحيي الله الموتىٰ ويميت الأحياء، ويرد الحق إلى أهله ويقيم دينه الذي ارتضاه لنفسه .

وروى الكليني والقمي في تفسيره عن الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ : ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه**﴾[1] . إنما عنى الحسن والحسين عليهما السلام ، ثم عطف على الحسين فقال :

---

(١) سورة الأحقاف؛ الآية: ١٥ .

﴿حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً﴾[1] . وذلك ان الله أخبر رسول الله ﷺ وبشره بالحسين قبل حمله، وان الإمامة تكون في ولده إلى يوم القيامة، ثم أخبره بما يصيبه من القتل والمصيبة في نفسه وولده، ثم عوضه بأن جعل الإمامة في عقبه وأعلمه انه يقتل ثم يرده إلى الدنيا وينصره حتى يقتل أعداءه ويملّكه الأرض، وهو قوله تعالىٰ : **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾**[2] . وقوله تعالىٰ : **﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾**[3] . فبشر الله نبيه ان أهل بيتك يملكون الأرض ويرجعون إليها ويقتلون أعداءهم .

وروي عن السيد الجليل بهاء الدين علي بن عبد الحميد في كتابه الأنوار المضيئة عن الصادق عليه السلام انه سئل عن الرجعة أحق هي، قال نعم، فقيل له من أول من يخرج، قال الحسين يخرج على أثر القائم، قلت ومعه الناس كهلم قال لا بل كما ذكر الله تعالىٰ في كتابه **﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾**[4] . قوم بعد قوم. وعنه عليه السلام قال ويقبل الحسين عليه السلام في أصحابه الذين قتلوا معه ومعه سبعون نبياً كما بعثوا مع موسىٰ بن عمران، فيدفع إليه القائم الخاتم فيكون الحسين هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه ويواريه في حفرته .

وعن الصادق عليه السلام انه قال حين سئل عن اليوم الذي ذكر الله مقداره في القرآن **﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾**[5] . وهي كرة رسول الله فيكون ملكه في كرته خمسين ألف سنة ، ويملك أمير المؤمنين في كرته أربعة وأربعين ألف سنة .

وعن الفضل بن شاذان عن الباقر عليه السلام قال : إذا ظهر القائم ودخل الكوفة بعث الله تعالىٰ من ظهر الكوفة سبعين ألف صديق، فيكونون في أصحابه وأنصاره .

وروى ابن قولويه في الكامل بإسناده عن بريد العجلي قال قلت لأبي عبد الله يا ابن رسول الله أخبرني عن إسماعيل الذي ذكره الله في كتابه حيث يقول : **﴿واذكر في الكتاب إسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً﴾**[6] . أكان إسماعيل بن إبراهيم، فإن

---

(١) سورة الأحقاف؛ الآية: ١٥ .

(٢) سورة القصص؛ الآية: ٥ .

(٣) سورة الأنبياء؛ الآية: ١٠٥ .

(٤) سورة النبأ؛ الآية: ١٨ .

(٥) سورة المعارج؛ الآية: ٤ .

(٦) سورة مريم؛ الآية: ٥٤ .

الناس يزعمون انه إسماعيل بن إبراهيم. فقال عليه السلام إن إسماعيل مات قبل إبراهيم، وإن إبراهيم كان حجة لله قائماً صاحب شريعة. فقلت فإلى من أرسل إسماعيل إذاً ومن كان جعلت فداك. قال ذلك إسماعيل بن حزقيل النبي بعثه الله إلى قومه فكذبوه وقتلوه وسلخوا فرخة وجهه، فغضب الله له عليهم فوجه إليه سطاطائيل ملك العذاب، فقال له يا إسماعيل أنا سطاطائيل ملك العذاب وجهني رب العزة إليك لأعذب قومك بأنوع العذاب ان شئت. فقال له إسماعيل لا حاجة لي في ذلك يا سطاطائيل فأوحىٰ الله إليه فما حاجتك يا إسماعيل فقال إسماعيل يا رب إنك أخذت الميثاق لنفسك بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة ولأوصيائه بالولاية، وأخبرت خلقك بما تفعل أُمته بالحسين بن علي عليهما السلام من بعد نبيها، وانك وعدت الحسين ان تكرّه إلى الدنيا حتى ينتقم بنفسه ممن فعل ذلك به، فحاجتي إليك ان تكرّني إلى الدنيا حتى أنتقم ممن فعل ذلك بي ما فعل، كما تكرّ الحسين. فوعد الله إسماعيل بن حزقيل ذلك فهو يكرُّ مع الحسين بن علي عليهما السلام.

وروي أيضاً عن حريز قال قلت لأبي عبد الله جعلت فداك ما أقل بقاءكم أهل البيت وأقرب آجالكم بعضها من بعض مع حاجة هذا الخلق إليكم. فقال ان لكل واحد منا صحيفة فيها ما يحتاج إليه ان يعمل في مدته، فإذا انقضىٰ ما فيها مما أُمر به عرف ان أجله قد حضر وأتاه النبي صلى الله عليه وآله ينعى إليه نفسه، وأخبره بما له عند الله، وان الحسين عليه السلام قرأ صحيفته التي أُعطيها وفسر له ما يأتي وما يبقىٰ وبقي منها أشياء لم تنقض، فخرج إلى القتال وكانت تلك الأُمور التي بقيت ان الملائكة سألت الله في نصرته، فأذن لهم فمكثت تستعد للقتال وتتأهل لذلك حتى قتل، فنزلت وقد انقطعت مدته وقتل فقالت الملائكة يا رب أذنت لنا في الانحدار وأذنت لنا في نصرته فانحدرنا وقد قبضته، فأوحىٰ الله تبارك وتعالىٰ إليهم أن الزموا قبته حتى ترونه قد خرج فانصروه. وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، وانكم خصصتم بنصرته والبكاء عليه، فبكت الملائكة تقرباً وجزعاً على ما فاتهم من نصرته، فإذا خرج عليه السلام يكونون أنصاره.

وفي تفسير فرات بن إبراهيم، ومناقب شاذان بن جبرائيل، وتفسير محمد بن العباس بن مهيار بأسانيدهم عن الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ: **﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة﴾**[1]. قال الراجفة الحسين بن علي، والرادفة علي بن أبي طالب عليه السلام، وأول من ينفض عن رأسه التراب الحسين بن علي عليهما السلام في خمسة وسبعين ألفاً وهو قوله

---

(١) سورة النازعات، الآية: ١٦.

تعالىٰ : ﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾[١] .

وروي في منتخب البصائر عن كتاب التنزيل والتحريف باسناده عن عبد الله بن نجيح اليماني قال قلت لأبي عبد الله ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ قال النعيم الذي أنعم الله عليكم بمحمد وآل محمد وفي قوله تعالىٰ : ﴿لو تعلمون علم اليقين﴾ قال المعاينة وفي قوله تعالىٰ : ﴿كلا سوف تعلمون﴾ قال مرة بالكرة وأخرىٰ يوم القيامة .

ورویٰ الحسن بن سليمان في منتخب البصائر عن أمير المؤمنين عليه‌السلام أنه قيل له فما ذو القرنين. قال عليه‌السلام رجل بعثه الله إلى قومه فكذبوه وضربوه على قرنه فمات، ثم أحياه الله ثم بعثه إلى قومه فكذبوه وضربوه على قرنه الآخر فمات، ثم أحياه الله فهو ذو القرنين لأنه ضربت قرناه وفيكم مثله يريد نفسه .

وروي أيضاً عن كتاب تأويل ما نزل من القرآن في النبي وآله تأليف أبي عبد الله محمد بن العباس باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : ﴿ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾[٢] . قال : تخضع لها رقاب بني أمية، قال وذلك علي بن أبي طالب عليه‌السلام يبرز عند زوال الشمس على رؤوس الناس ساعة حتى يبرز وجهه، ويعرف الناس حسبه ونسبه ثم قال : أما إن بني أمية ليخبين الرجل منهم إلى جنب شجرة فتقول هذا رجل من بني أمية فاقتلوه .

وعن الصادق عليه‌السلام في قوله تعالىٰ : ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر﴾[٣] . إن العذاب الأدنىٰ في الرجعة .

وروي عن كتاب البشارة للسيد علي بن طاوس قال : وجدت في كتاب تأليف جعفر بن محمد بن مالك الكوفي باسناده إلى حمران، قال عمر الدنيا مائة ألف سنة، لسائر الناس عشرون ألف سنة، وثمانون ألف سنة لآل محمد. قال السيد واعتقد انني وجدت في كتاب طهر بن عبد الله أبسط من هذه الرواية .

وفي كامل الزيارة عن المفضل عن الصادق عليه‌السلام قال كأني بسرير من نور قد وضع، وقد ضربت عليه قبة من ياقوتة حمراء مكللة بالجوهر، وكأني بالحسين جالس على

---

(١) سورة غافر؛ الآيتان: ٥١ ـ ٥٢ .

(٢) سورة الشعراء؛ الآية: ٤ .

(٣) سورة السجدة؛ الآية: ٢١ .

ذلك السرير وحوله تسعون ألف قبة خضراء، وكأني بالمؤمنين يزورونه ويسلمون عليه، فيقول الله عز وجل لهم أوليائي سلوني، فطالما أوذيتم وذللتم واضطهدتم فهذا يوم لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها لكم، فيكون أكلهم وشربهم من الجنة، فهذه والله الكرامة والظاهر ان هذا في الرجعة لا في الآخرة، لأن حوائج الدنيا لا تسأل في الآخرة .

وروى الطبرسي في الاحتجاج فيما خرج من الناحية المقدسة إلى الحميري زيارة فيها : اشهد انكم حجة الله، أنتم الأول والآخر، وان رجعتكم حق لا شك فيها ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾[1] . وفي تفسير النعماني فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال وأما الرد على من أنكر الرجعة فقول الله عز وجل ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون﴾[2] . أي إلى الدنيا، فأما معنى حشر الآخرة فقوله تعالىٰ : ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾[3] . وقوله سبحانه : ﴿وحرام على قرية أهلكناهم انهم لا يرجعون﴾[4] . في الرجعة. فأما في القيامة فهم يرجعون ومثله قوله تعالىٰ : ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾[5] . وهذا لا يكون إلا في الرجعة، ومثله ما خاطب الله به الأئمة ووعدهم من النصر والانتقام من أعدائهم فقال سبحانه : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضىٰ وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾[6] . وهذا إنما يكون إذا رجعوا إلى الدنيا ومثله قوله تعالىٰ : ﴿ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾[7] . وقوله سبحانه : ﴿ان الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾[8] . أي رجعة الدنيا ومثله قوله تعالىٰ : ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر

---

(١) سورة الأنعام؛ الآية: ١٥٨ .
(٢) سورة النمل؛ الآية: ٨٣ .
(٣) سورة الكهف؛ الآية: ٤٧ .
(٤) سورة الأنبياء؛ الآية: ٩٥ .
(٥) سورة آل عمران؛ الآية: ٨١ .
(٦) سورة النور؛ الآية: ٥٥ .
(٧) سورة القصص؛ الآية: ٥ .
(٨) سورة القصص؛ الآية: ٨٥ .

الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾[1]. وقوله عز وجل: ﴿واختار موسىٰ قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾[2]. فردهم الله تعالىٰ بعد الموت إلى الدنيا، وشربوا ونكحوا، ومثله خبر عُزير.

وفي مناقب ابن شهر آشوب عن الباقر عليه السلام في شرح قول أمير المؤمنين: على يدي تقوم الساعة. قال يعني الرجعة قبل القيامة ينصر الله بي وبذريتي المؤمنين.

وعن الصدوق في كتاب صفات الشيعة عن الصادق عليه السلام قال: من أقر بسبعة أشياء فهو مؤمن، وذكر منها الإيمان بالرجعة.

وعن الرضا عليه السلام قال: من أقر بتوحيد الله وساق الكلام إلى أن قال وأقر بالرجعة والمتعتين، وآمن بالمعراج والمسألة في القبر والحوض والشفاعة، وخلق الجنة والنار والصراط والميزان والبعث والنشور والجزاء والحساب، فهو مؤمن حقاً وهو من شيعتنا أهل البيت.

٤ ـ رواية المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام عن كيفية ظهور القائم (عج) ورجعة الأئمة عليهم السلام:

روىٰ الشيخ حسن بن سليمان في منتخب البصائر بإسناد معتبر وغيره عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام في حديث طويل في ظهور القائم وكيفيته وعلاماته وفيه قال المفضل: يا سيدي فمن أين يظهر وكيف يظهر.

قال عليه السلام: يا مفضل يظهر وحده ويأتي البيت وحده ويلج الكعبة وحده ويجن عليه الليل وحده، فإذا نامت العيون وغسق الليل نزل إليه جبرائيل وميكائيل والملائكة صفوفاً، فيقول له جبرائيل يا سيدي قولك مقبول وأمرك جائز فيمسح يده على وجهه ويقول: **﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾**[3]. ويقف بين الركن والمقام فيصرخ صرخة فيقول يا معاشر نقبائي وأهل خاصتي ومن ذخرهم الله لنصرتي قبل ظهوري على وجه الأرض اءتوني طائعين، فترد صيحته عليه السلام عليهم وهم في محاريبهم وعلى فرشهم في شرق الأرض وغربها،

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢٤٣.
(٢) سورة الأعراف؛ الآية: ١٥٥.
(٣) سورة الزمر؛ الآية: ٧٤.

فيسمعونه كصيحة واحدة في أُذن رجل واحد فيجيبون نحوها، ولا يمضي لهم إلا كلمحة بصر حتى يكونوا كلهم بين يديه بين الركن والمقام، فيأمر الله عز وجل النور فيصير عموداً من الأرض إلى السماء فيستضيء به كل مؤمن على وجه الأرض ويدخل عليه نور من جوف بيته، فتفرح نفوس المؤمنين بذلك النور وهم لا يعلمون بظهور قائمنا أهل البيت، ثم يصبحون وقوفاً بين يديه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعدة أصحاب رسول الله يوم بدر .

قال المفضل يا مولاي يا سيدي فالاثنان وسبعون رجلاً الذين قتلوا مع الحسين بن علي عليه السلام يظهرون معهم .

قال عليه السلام : يظهر منهم أبو عبد الله الحسين في اثني عشر ألفاً مؤمنين من شيعة عليّ وعليه عمامة سوداء، ثم قال ويسند القائم ظهره إلى الحرم ويمد يده فترىٰ بيضاء من غير سوء ويقول هذه يد الله وعن الله وبأمر الله ثم يتلو هذه الآية : **﴿إن الذين يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾**(١) . فيكون أول من يقبل يده جبرائيل، ثم يبايعه وتبايعه الملائكة ونجباء الجن، ثم النقباء ويصبح الناس بمكة فيقولون من هذا الرجل الذي بجانب الكعبة. وما هذا الخلق الذي معه، وما هذه الآية التي رأيناها الليلة ولم نرَ مثلها، فيقول بعضهم لبعض هذا الرجل هو صاحب العنيزات، فيقول بعضهم لبعض انظروا هل تعرفون أحداً ممن معه، فيقولون لا نعرف أحداً منهم إلا أربعة من أهل مكة وهم فلان وفلان ويعدونهم بأسمائهم، ويكون هذا أول طلوع الشمس في ذلك اليوم، فإذا طلعت الشمس وأضاءت صاح صائح بالخلائق من عين الشمس بلسان عربي مبين هذا مهدي آل محمد، ويسميه باسم جده رسول الله ويكنيه وينسبه إلى أبيه الحسن الحادي عشر، بايعوه تهتدوا ولا تخالفوا أمره فتضلوا . قال فأول من يقبّل يده الملائكة ثم الجن ثم النقباء ويقولون سمعنا وأطعنا، ولا يبقىٰ ذو أُذن من الخلائق إلا سمع ذلك النداء، وتقبل الخلائق من البدو والحضر والبر والبحر يحدث بعضهم بعضاً ويستفهم بعضهم بعضاً ما سمعوا بآذانهم، فإذا دنت الشمس للغروب صرخ صارخ من مغربها يا معشر الخلائق قد ظهر ربكم بوادي اليابس من أرض فلسطين وهو عثمان بن عنبسة الأموي من ولد يزيد بن معاوية (لع) ، فبايعوه تهتدوا ولا تخالفوا عليه فتضلوا، فيرد عليه الملائكة والجن والنقباء قوله فيكذبونه ويقولون له سمعنا وعصينا، ولا يبقى ذو شك ولا مرتاب ولا منافق ولا كافر إلا ضل بالنداء الأخير، وسيدنا القائم مسند ظهره إلى الكعبة ويقول يا معشر الخلائق ألا

---

(١) سورة الفتح؛ الآية: ١٠ .

من أراد أن ينظر إلى آدم وشيث فها أناذا آدم وشيث، ألا ومن أراد أن ينظر إلى نوح وولده سام فها أناذا نوح وسام، ألا ومن أراد أن ينظر إلى إبراهيم وإسماعيل فها أناذا إبراهيم وإسماعيل، ألا ومن أراد أن ينظر إلى موسىٰ ويوشع فها أناذا موسىٰ ويوشع، ألا ومن أراد أن ينظر إلى عيسىٰ وشمعون، فها أناذا عيسىٰ وشمعون، ألا ومن أراد أن ينظر إلى محمد وأمير المؤمنين فها أناذا محمد وأمير المؤمنين، ألا ومن أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين فها أناذا الحسن والحسين، ألا ومن أراد أن ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين فها أناذا الأئمة، وأجيبوا إلى مسألتي فأنا أنبئكم بما نبئتم به وما لم تنبأوا به ومن كان يقرأ الكتب والصحف فليسمع مني، ثم يبتدىء بالصحف التي أنزلها الله على آدم وشيث وتقول أُمة آدم وشيث هبة الله هذه والله هي الصحف حقاً ولقد أرانا ما لم نكن نعلمه فيها، وما كان خفي علينا وما كان أسقط منها وبدِّل وحرِّف، ثم يقرأ صحف نوح وصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والزبور فيقول أهل التوراة والإنجيل والزبور هذه والله صحف نوح وإبراهيم حقاً وما أسقط منها وبدل وحرف منها، هذه والله التوراة الجامعة والزبور التام والإنجيل الكامل وانها أضعاف ما قرأنا منها، ثم يتلو القرآن فيقول المسلمون هذا والله القرآن حقاً الذي أنزله الله على محمد وما أسقط منه وحرف وبدل، ثم تظهر الدابة بين الركن والمقام فتكتب في وجه المؤمن مؤمن، وفي وجه الكافر كافر، ثم يقبل على القائم رجل وجهه إلى قفاه وقفاه إلى صدره ويقف بين يديه، فيقول يا سيدي أنا بشير أمرني ملك من الملائكة أن ألحق بك وأُبشرك بهلاك جيش السفياني بالبيداء، فيقول له القائم بيِّن قصتك وقصة أخيك، فيقول الرجل كنت أنا وأخي في جيش السفياني وخربنا الدنيا من دمشق إلى الزوراء وتركناها جماء، وخربنا الكوفة وخربنا المدينة، وكسرنا المنبر وراثت بغالنا في مسجد رسول الله، وخرجنا منها وعددنا ثلاثمائة ألف رجل نريد اخراب البيت وقتل أهله، فلما صرنا في البيداء عرسنا فيها فصاح بنا صائح يا بيداء أبيدي القوم الظالمين، فانفجرت الأرض وابتلعت كل الجيش فوالله ما بقي على وجه الأرض عقال ناقة فما سواه غيري وغير أخي، فإذا نحن بملك قد ضرب وجوهنا فصارت إلى ورائنا كما ترى، فقال لأخي ويلك يا نذير امضي إلى الملعون السفياني بدمشق فأنذره بظهور المهدي من آل محمد وعرِّفه ان الله قد أهلك جيشه بالبيداء، وقال لي يا بشير الحق بالمهدي من مكة وبشره بهلاك الظالمين وتب على يده فانه يقبل توبتك، فيمر القائم يده على وجهه فيرده سوياً كما كان ويبايعه ويكون معه .

قال المفضل يا سيدي وتظهر الملائكة والجن للناس .

قال: اي والله يا مفضل ويخاطبونه كما يكون الرجل مع حاشيته وأهله .

قلت: يا سيدي ويسيرون معه .

قال: أي والله يا مفضل ولينزلن أرض الهجرة ما بين الكوفة والنجف وعدد أصحابه عليه السلام ست وأربعون ألفاً من الملائكة، وستة آلاف من الجن. وفي رواية أخرىٰ ومثلها من الجن بهم ينصره الله ويفتح على يديه .

قال المفضل: فما يصنع بأهل مكة .

قال: يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة فيطيعونه ويستخلف فيهم رجلاً من أهل بيته ويخرج ويريد المدينة .

قال المفضل: يا سيدي فما يصنع بالبيت .

قال: ينقضه فلا يدع منه إلا القواعد التي هي أول بيت وضع للناس ببكة في عهد آدم والذي رفعه إبراهيم وإسماعيل منها. وان الذي بني بعدهما لم يبنه نبي ولا وصي، ثم يبنيه كما يشاء الله وليعفين آثار الظالمين بمكة والمدينة والعراق وسائر الأقاليم، وليهدمنّ مسجد الكوفة وليبنينه على بنيانه الأول، وليهدمن القصر العتيق ملعون ملعون من بناه .

قال المفضل: يا سيدي يقيم بمكة .

قال: لا يا مفضل بل يستخلف فيها رجلاً من أهلها فإذا سار منها وثبوا عليه فيقتلونه، فيرجع إليهم فيأتونه مهطعين مقنعي رؤوسهم يبكون ويتضرعون ويقولون يا مهدي آل محمد التوبة التوبة، فيعظهم وينذرهم ويحذرهم ويستخلف عليهم منهم خليفة، ويسير فيثبون عليه بعده فيقتلونه، فيرد إليهم أنصاره من الجن والنقباء ويقول لهم ارجعوا فلا تبقوا منهم بشراً إلا من آمن فلولا ان رحمة ربكم وسعت كل شيء، وأنا تلك الرحمة فرجعت إليهم معكم فقد قطعوا الأعذار بينهم وبين الله وبيني فيرجعون إليهم، فوالله لا يسلم من المئة منهم واحد لا والله ولا من الألف واحد .

قال المفضل: يا سيدي فأين تكون دار المهدي ومجتمع المؤمنين .

قال: دار ملكه الكوفة ومجلس حكمه جامعها وبيت ماله ومقتسم غنائم المسلمين مسجد السهلة، وموضع خلواته الذكوات البيض من الغريين .

قال المفضل: يا مولاي كل المؤمنين يكونون بالكوفة .

قال: إي والله لا يبقىٰ مؤمن إلا كان بها أو حواليها وليبلغن مربط شاة منها ألفي درهم، إي والله وليودن أكثر الناس أنه اشترىٰ شبراً من أرض السبع بشبر من ذهب، والسبع خطة من همدان ولتصيرن الكوفة أربع وخمسين ميلاً وليجاورن قصورها كربلاء وليصيرن الله كربلاء معقلاً ومقاماً تختلف فيه الملائكة والمؤمنون، وليكونن لها شأن من الشأن، وليكونن فيها من البركات ما لو وقف مؤمن ودعا ربه بدعوة لأعطاه الله بدعوته الواحدة مثل ملك الدنيا ألف مرة، ثم تنفس أبو عبد الله وقال يا مفضل ان بقاع الأرض تفاخرت ففخرت كعبة البيت الحرام على بقعة كربلاء، فأوحىٰ الله إليها ان اسكني كعبة ولا تفتخري على كربلاء فإنها البقعة المباركة التي نودي موسى منها من الشجرة، وإنها الربوة التي آويت إليها مريم والمسيح، وفيها غسلت مريم عيسىٰ واغتسلت من ولادتها، وإنها خير بقعة عرج منها رسول الله وقت غيبته، وليكونن لشيعتنا فيها خيرة إلى ظهور قائمنا .

قال المفضل: يا سيدي ثم يسير المهدي إلى أين .

قال: إلى مدينة جدي رسول الله ﷺ فإذا وردها كان له فيها مقام عجيب يظهر فيها سرور المؤمنين وخزي الكافرين .

قال: المفضل: يا سيدي ما هو ذلك .

قال يرد إلى قبر جده فيقول يا معشر الخلائق هذا قبر جدي رسول الله، فيقولون نعم يا مهدي آل محمد، فيقول ومن معه في القبر، فيقولون صاحباه، وضجيعاه أبو بكر وعمر، فيقول وهو أعلم بهما والخلائق كلهم جميعاً يسمعون من أبو بكر وعمر وكيف دفنا من بين الخلائق مع جدي رسول الله وعسىٰ المدفون غيرهما، فيقول الناس يا مهدي آل محمد ما هنا غيرهما انهما دفنا معه لأنهما خليفتا رسول الله وأبوا زوجتيه، فيقول هل فيكم من يعرفهما، فيقولون نعرفهما بالصفة وليس ضجيعا جدك غيرهما، فيقول هل فيكم أحد يقول غير هذا ويشك فيهما، فيقولون لا إلى أن قال عليه السلام ثم يسير المهدي إلى الكوفة وينزل ما بين الكوفة والنجف وعنده أصحابه في ذلك اليوم ستة وأربعون ألفاً من الملائكة ومثلها من الجن، والنقباء ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً .

قال المفضل: يا سيدي كيف تكون دار الفاسقين الزوراء في ذلك الوقت .

قال: في لعنة الله وسخطه. تخربها الفتن وتتركها جماء والويل لها ولمن بها كل الويل من الرايات الصفر، ورايات المغرب، ومن كلب الجزيرة ومن الرايات التي تسير إليها من كل قريب أو بعيد، والله لينزلن بها من صنوف العذاب ما نزل بسائر الأُمم المتمردة

من أول الدهر إلى آخره، ولينزلن بها من العذاب ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت بمثله، ولا يكون طوفان أهلها إلا بالسيف، فالويل لمن اتخذ بها مسكناً فإن المقيم بها يبقىٰ بشقائه، والخارج منها برحمة الله والله ليبقىٰ من أهلها في الدنيا حتى يقال انها هي الدنيا، وان دورها وقصورها هي الجنة، وان بناتهن الحور العين، وان ولدانها هم الولدان المخلّدون، وليظنن ان الله لم يقسم رزق العباد إلا بها، وليظهرن فيها من الافتراء على الله وعلى رسوله والحكم بغير كتابه ومن شهادات الزور وشرب الخمور والجور وأكل السحت وسفك الدماء ما لا يكون في الدنيا كلها إلا دونه، ثم ليخربها الله بتلك الفتن وتلك الرايات حتى ليمر عليها المار فيقول هٰهنا كانت الزوراء، ثم يخرج الحسني الفتىٰ الصبيح الذي نحو الديلم يصيح بصوت له فصيح بآل أحمد أجيبوا الملهوف والمنادي من حول الضريح، فتجيبه كنوز الله بالطالقان، كنوز وأي كنوز ليست من فضة ولا ذهب بل هي رجال كزبر الحديد على البراذين الشهب، بأيديهم الحراب ولم يزل يقتل الظلمة حتى يرد الكوفة وقد صفا أكثر الأرض فيجعلها له معقلاً فيتصل به وبأصحابه خبر المهدي ويقولون يا ابن رسول الله من هذا الذي قد نزل بساحتنا، فيقول اخرجوا بنا إليه حتى ننظر من هو وما يريد، وهو والله يعلم انه المهدي وانه ليعرفه ولم يرد بذلك الأمر إلا ليعرف أصحابه من هو، فيخرج الحسني فيقول ان كنت مهدي آل محمد فأين هراوة جدك رسول الله وخاتمه وبردته ودرعه الفاضل، وعمامته السحاب، وفرسه اليربوع، وناقته العضباء، وبغلته الدلدل، وحماره اليعفور، ونجيبه البراق، وصحف أمير المؤمنين فيخرج له ذلك ثم يأخذ الهراوة فيغرسها في الحجر الصلد فتورق، ولم يرد بذلك إلا ان يري أصحابه فضل المهدي حتى يبايعونه فيقول الحسني الله أكبر مد يدك يا ابن رسول الله حتى نبايعك، فيمد يده فيبايعه وتبايعه سائر العسكر الذي مع الحسني إلا أربعين ألفاً أصحاب المصاحف المعروفين بالزيدية، فانهم يقولون ما هذا إلا سحر عظيم فيختلط العسكران فيقبل المهدي على الطائفة المنحرفة فيعظهم ويدعوهم ثلاثة أيام فلا يزدادون إلا طغياناً وكفراً، فيأمر بقتلهم فيقتلون جميعاً، ثم يقول لأصحابه لا تأخذوا المصاحف ودعوها تكون عليهم حسرة كما بدلوها وغيروها وحرفوها ولم يعملوا بما فيها .

قال المفضل: يا مولاي ثم ماذا يصنع المهدي .

قال: يثور سرايا على السفياني إلى دمشق، فيأخذونه ويذبحونه على الصخرة، ثم يظهر الحسين في اثني عشر ألف صدّيق واثنين وسبعين رجلاً من أصحابه يوم كربلاء، فيا لك عندها من كرة زهراء بيضاء، ثم يخرج السيد الصديق الأكبر أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب (ع) وينصب له القبة في النجف ويقام أركانها، ركن بالنجف، وركن بهجر، وركن بصنعاء، وركن بأرض طيبة، لكأني أنظر إلى مصابيحها تشرق في السماء والأرض كأضوء من الشمس والقمر فعندها **﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترىٰ الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب الله شديد﴾**[1]. ثم يخرج السيد الأكبر محمد رسول الله في أنصاره والمهاجرين ومن آمن به وصدقه واستشهد معه، ويحضر مكذبوه والشاكون فيه والرادون عليه والقائلون فيه انه ساحر وكاهن ومجنون وناطق عن الهوى ومن حاربه وقاتله، حتى يقتص منهم بالحق ويجازون بأفعالهم منذ وقت ظهور رسول الله إلى ظهور المهدي، مع إمام إمام، ووقت وقت ويحق تأويل هذه الآية **﴿ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾**[2].

قال المفضل: يا سيدي ومن فرعون وهامان.

قال . . .

قال المفضل قلت يا سيدي ورسول الله وأمير المؤمنين يكونان معه .

قال: لا بد ان يطأ الأرض إي والله حتى ما وراء الحاف أي جبل قاف، إي والله وما في الظلمات وما في قعر البحار حتى لا يبقى موضع قدم إلا وطأه وأقاما فيه الدين الواجب لله تعالىٰ، ثم لكأني أنظر يا مفضل إلينا معاشر الأئمة بين يدي رسول الله نشكو إليه ما نزل بنا من الأمة بعده ومانالنا من التكذيب والرد علينا وسبنا ولعننا وتخويفنا بالقتل، وقصد طواغيتهم الولاة لأمورهم من دون الأمة بترحيلنا عن الحرمة أي المدينة المحترمة إلى دار ملكهم، وقتلهم إيانا بالسم والحبس. فيبكي رسول الله ويقول يا بني ما نزل بكم إلا ما نزل بجدكم قبلكم، ثم تبتدىء فاطمة وتشكو ما نالها من. . . . وأخذ فدك منها ومشيها إليه في مجمع من المهاجرين والأنصار وخطابها له في أمر فدك، وما رد عليها من قوله ان الأنبياء لا تورث، واحتجاجها بقول زكريا ويحيىٰ وقصة داود وسليمان، وقول الرجل هاتي صحيفتك التي ذكرت ان أباك كتبها لك، وإخراجها الصحيفة وأخذه إياها منها ونشره لها على رؤوس الأشهاد من قريش والمهاجرين والأنصار وسائر العرب وتفله فيها وتمزيقه إياها، وبكاءها ورجوعها إلى قبر أبيها رسول الله باكية حزينة تمشي على الرمضاء قد

---

(١) سورة الحج؛ الآية: ٢ .

(٢) سورة القصص؛ الآية: ٥ .

أقلقتها، واستغاثتها بالله وبأبيها رسول الله وتمثلها بقول رقية بنت صفي :

قـد كـان بعـدك أنبـاء وهنبثـة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنـا فقـدنـاك فقـد الأرض وابلهـا ... واختل قومك فاشهدهم فقد لعبوا
أبدت رجال لنا فحوىٰ صدورهم ... لما نأيت وحالت دونك الترب
وكـل قـوم لهـم قـربـىٰ ومنـزلـة ... عنـد الإلـه علـى الادنيـن مقتـرب

وتقص عليه ما أصابها بعده من بعض المنافقين على ما هو مذكور في بعض الأحاديث من انها همت بكشف خمارها والدعاء عليهم، حتى خرج إليها أمير المؤمنين من داخل الدار محمر العين حاسراً وألقىٰ ملاءته عليها وضمها إلى صدره، وقوله لها يا بنت رسول الله قد علمت أن أباك بعثه الله رحمة للعالمين فالله الله ان تكشفي خمارك وترفعي ناصيتك فوالله يا فاطمة لئن فعلت ذلك لا أبقىٰ الله على وجه الأرض من يشهد ان محمداً رسول الله، ولا موسىٰ ولا عيسى ولا إبراهيم ولا نوح ولا آدم ولا دابة تمشي على الأرض ولا طائر في السماء إلا أهلكه الله، ثم قال عليه السلام ويشكو إليه أمير المؤمنين حمله لفاطمة في سواد الليل والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم إلى دار المهاجرين والأنصار، يذكرهم بالله ورسوله وعهده الذي بايعوا الله ورسوله وبايعوه عليه في أربعة مواطن في حياة رسول الله، وتسليمهم عليه بإمرة المؤمنين في جميعها، فكل يعده بالنصر في يومه المقبل فإذا أصبح قعد جميعهم عنه، ثم يشكو إليه أمير المؤمنين المحن العظيمة التي امتحن بها بعده، وقوله لقد كانت قصتي مثل قصة هارون مع بني إسرائيل، وقولي كقوله لموسىٰ **﴿يا ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾**[1]. فصبرت محتسباً وسلمت راضياً، وكانت الحجة عليهم في خلافي ونقضهم عهدي الذي عاهدتهم عليه يا رسول الله ما لم يحتمل وصي نبي من سائر الأوصياء من سائر الأمم، حتى قتلوني بضربة عبد الرحمٰن بن ملجم (لعه)، إلى ان قال ويقوم الحسن إلى جده فيقول يا جداه بلغ اللعين معاوية قتل أبي فأنفذ الدعي اللعين زياداً إلى الكوفة في مائة ألف وخمسين ألف مقاتل، فأمر بالقبض علي وعلى أخي الحسين وسائر إخوتي وأهل بيتي وشيعتنا ومُوالينا، وان يأخذ علينا البيعة لمعاوية فمن يأبىٰ منا ضرب عنقه وسير إلى معاوية رأسه، فلما علمت ذلك من فعل معاوية خرجت من داري فدخلت جامع الكوفة للصلاة ورقيت المنبر، فاجتمع الناس فحمدت الله وأثنيت عليه وذكرت ما فيه الوعظ والنصيحة

---

(١) سورة الأعراف؛ الآية: ١٥٠ .

والحث على الجهاد، قال عليه السلام فكأنما وأُلجموا بلجام الصمت عن إجابة الدعوة إلا عشرون رجلاً، إلى أن قال عليه السلام ثم رفعت رأسي نحو السماء فقلت اللهم اني قد دعوت وأنذرت وأمرت ونهيت، وكانوا عن إجابة الدعاء غافلين وعن نصرته قاعدين وعن طاعته مقصرين ولأعدائه ناصرين، اللهم فأنزل عليهم رجزك وبأسك وعذابك الذي لا يرد عن القوم الظالمين، ثم خرجت من الكوفة راحلاً إلى المدينة فجاؤوني يقولون معاوية اسرى سراياه إلى الأنبار والكوفة، وشن غاراته على المسلمين وقتل من لم يقاتله وقتل النساء والأطفال، فأعلمتهم انه لا وفاء لهم فأنفذت معهم رجالاً وجيوشاً وعرفتهم انهم يستجيبون لمعاوية وينقضون عهدي وبيعتي، فلم يكن إلا ما قلت لهم وأخبرتهم، ثم يقوم الحسين عليه السلام مخضباً بدمه هـو وجميع من قتل معه، فإذا رآه رسول الله بكىٰ وبكىٰ أهل السمٰوات والأرض لبكائه، وتصرخ فاطمة فتزلزل الأرض ومن عليها، ويقف أمير المؤمنين عن يمينه وفاطمة عن شماله ويقبل الحسين فيضمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى صدره ويقول يا حسين فديتك قرت عيناك وعيناي فيك، وعن يمين الحسين حمزة أسد الله في أرضه، وعن شماله جعفر بن أبي طالب الطيار، ويأتي محسن تحمله خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين وهن صارخات وأمه فاطمة تقول **﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾**[1]. قال فبكى الصادق عليه السلام حتى اخضلت لحيته بالدموع. ثم قال لا قرت عين لا تبكي عند هذا الذكر.

وبكىٰ المفضل بكاء طويلاً ثم قال: يا مولاي ما في الدموع.

فقال: ما لا يحصىٰ إذا كان من محقّ.

قال المفضل: يا مولاي ما تقول في قوله تعالىٰ: **﴿وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾**[2].

قال: يا مفضل والموءودة والله محسن لأنه منا لا غير، فمن قال غير هذا فكذبوه.

قال المفضل: ثم ماذا.

قال الصادق عليه السلام: تقوم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتقول اللهم أنجز وعدك وموعدك لي فيمن ظلمني وغصبني وضربني واحزنني بكل أولادي فتبكيها ملائكة

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ٣٠.

(٢) سورة التكوير؛ الآيتان: ٨ ـ ٩.

السمٰوات السبع وحملة العرش وسكان الهواء ومن في الدنيا ومن تحت أطباق الثرىٰ صائحين صارخين إلى الله تعالىٰ، فلا يبقىٰ أحد ممن قاتلنا وظلمنا ورضي بما جرىٰ علينا إلا قتل في ذلك اليوم ألف قتلة .

قال المفضل: يا مولاي فإن من شيعتكم من لا يقول برجعتكم .

فقال: أما سمعوا قول جدنا رسول الله ونحن سائر الأئمة نقول وقوله تعالىٰ : ﴿**ولنذيقنهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر**﴾ قال الصادق عليه السلام : العذاب الأدنىٰ عذاب الرجعة، ثم قال الصادق عليه السلام : مقصرة شيعتنا تقول معنىٰ الرجعة ان يرد الله إلينا ملك الدنيا وان يجعله للمهدي، ويحهم متىٰ سلبنا الملك يعني ملك النبوة والإمامة والوصاية حتى يرد علينا يا مفضل، لو تدبر القرآن شيعتنا لما شكوا في فضلنا أما سمعوا قوله تعالىٰ : ﴿**ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض**﴾[1] . والله يا مفضل ان تنزيل هذه الآية في بني إسرائيل وتأويلها فينا، وان فرعون وهامان تيم وعدي، ثم قال عليه السلام ثم يقوم جدي علي بن الحسين وأبي الباقر عليهما السلام فيشكوان إلى جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فعل بهما، ثم أقوم أنا فأشكو إلى جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فعل المنصور بي، ثم يقوم ابني موسىٰ فيشكو إلى جده رسول الله ما فعل به الرشيد، ثم يقوم علي بن موسىٰ فيشكو إلى جده رسول الله ما فعل به المأمون، ثم يقوم محمد بن علي فيشكو إلى جده رسول الله ما فعل به المأمون، ثم يقوم علي بن محمد فيشكو إلى جده رسول الله ما فعل به المتوكل، ثم يقوم الحسن بن علي فيشكو إلى جده رسول الله ما فعل به المعتز، ثم يقوم المهدي سمي جدي رسول الله وعليه قميص رسول الله مضرجاً بدم رسول الله يوم شج جبينه وكسرت رباعيته والملائكة تحفه حتى يقف بين يدي جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيقول يا جداه وصفتني ودللت علي ونسبتني وسميتني وكنيتني فجحدتني الأُمة وتمردت وقالت ما ولد ولا كان وأين هو ومتىٰ كان وأين يكون وقد مات ولم يعقب ولو كان صحيحاً ما أخره الله إلى هذا الوقت المعلوم، فصبرت محتسباً وقد أذن الله لي فيها بإذنه يا جداه، فيقول رسول الله ﴿**الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العالمين**﴾[2] . ويقول جاء نصر الله والفتح وحق قول الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾[3]. ويقرأ

---

(١) سورة القصص؛ الآية: ٥ .

(٢) سورة الزمر؛ الآية: ٧٤ .

(٣) سورة الصف؛ الآية: ٩ .

﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾[1] .

فقال: المفضل يا مولاي أي ذنب كان لرسول الله .

فقال الصادق: يا مفضل ان رسول الله قال اللهم حملني ذنوب شيعة أخي وأولادي الأوصياء ما تقدم منها وما تأخر إلى يوم القيامة، ولا تفضحني بين النبيين والمرسلين من شيعتنا، فحمله الله إياها وغفر جميعها .

قال المفضل: فبكيت بكاء طويلاً وقلت يا سيدي هذا بفضل الله علينا فيكم .

قال الصادق عليه السلام: يا مفضل ما هو إلا أنت وأمثالك بلىٰ يا مفضل لا تحدث بهذا الحديث أصحاب الرخص من شيعتنا فيتكلون على هذا الفضل ويتركون العمل فلا نغني عنهم من الله شيئاً، لأنا كما قال الله تبارك وتعالىٰ فينا: ﴿لا يشفعون إلا لمن ارتضىٰ وهم من خشيته مشفقون﴾[2] .

وقال المفضل يا مولاي فقوله ليظهره على الدين كله ما كان رسول الله ظهر على الدين كله .

قال يا مفضل لو كان رسول الله ظهر على الدين كله ما كانت مجوسية ولا يهودية ولا صابئة ولا نصرانية ولا فرقة ولا خلاف ولا شك ولا شرك ولا عبدة أصنام ولا أوثان ولا اللات ولا العزى ولا عبدة الشمس والقمر ولا النجوم ولا النار ولا الحجارة، وإنما قوله ليظهره على الدين كله في هذا اليوم، وهذا المهدي، وهذه الرجعة، وهو قوله ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾[3] . ثم قال الصادق عليه السلام ثم يعود المهدي إلى الكوفة وتمطر السماء بها جراراً من ذهب كما أمطره الله لبني إسرائيل على أيوب، ويقسّم على أصحابه كنوز الأرض من تبرها ولجينها وجوهرها .

قال المفضل: يا مولاي من مات من شيعتك وعليه دين لإخوانه ولأضداده كيف يكون .

قال الصادق (ع): أول ما يبتدىء المهدي أن ينادي في جميع العالم ألا من له عند

---

(١) سورة الفتح؛ الآيات: ١ ـ ٣ .
(٢) سورة الأنبياء؛ الآية: ٢٨ .
(٣) سورة البقرة؛ الآية: ١٩٣ .

أحد من شيعتنا دين فليذكره حتى الثومة والخردلة فضلاً عن القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والأملاك فيوفيه إياه. والحديث طويل ذكرنا منه موضع الحاجة .

٥ ـ نماذج قرآنية عن قوم ماتوا ثم رجعوا :

قال أمين الدين الطبرسي رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالىٰ : **﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون﴾**[١] . أي يدفعون وقيل يحبس أولهم على آخرهم، واستدل بهذه الآية على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإمامية بأن قال إن دخول **﴿من﴾** في الكلام يوجب التبعيض، فدل ذلك على أن اليوم المشار إليه يحشر فيه قوم دون قوم، وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه **﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾** .

وقد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد بأن الله سيعيد عند قيام القائم قوماً ممن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب في القتل على أيدي شيعته، وليبتلوا بالذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته ولا يمتري عاقل ان هذا مقدورٌ لله تعالىٰ غير مستحيل في نفسه. وقد فعل الله ذلك في الأُمم الخالية ونطق القرآن بذلك في عدة مواضع مثل قصة عزير وغيره على ما فسرناه في موضعه، وصح عن النبي صلى الله عليه وآله قوله : سيكون في أُمتي كلما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، حتى لو ان أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه، على ان جماعة من العلماء تأولوا ما ورد من الأخبار في الرجعة على رجوع الدولة والأمر والنهي دون رجوع الأشخاص لما ظنوا ان الرجعة تنافي التكليف، وليس كذلك لأنه ليس فيها ما يلجىء إلى فعل الواجب والامتناع من القبيح، والتكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة، كفلق البحر وقلب العصا ثعباناً وما أشبه ذلك، ولأن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيتطرق التأويل عليها، وإنما المعول في ذلك على إجماع الشيعة الإمامية وإن كانت الأخبار تعضده وتؤيده[٢] .

وقال رئيس المحدثين الصدوق رحمه الله في عقائد الإمامية : اعتقادنا في الرجعة انها

---

(١) سورة النمل؛ الآية: ٨٣ .

(٢) تفسير مجمع البيان للطبرسي ج ٧ ص ٤٠٦ طبعة الأعلمي.

حق وقد قال الله عز وجل **﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾**[١] . كان هؤلاء سبعين ألف بيت، وكان يقع فيهم الطاعون كل سنة فيخرج الأغنياء لقوتهم ويبقى الفقراء لضعفهم، فيقل الطاعون في الذين يخرجون ويكثر في الذين يقيمون، فيقول الذين يقيمون لو خرجنا لما أصابنا الطاعون، ويقول الذين خرجوا لو أقمنا لأصابنا كما أصابهم، فأجمعوا على ان يخرجوا جميعاً من ديارهم إذا كان وقت الطاعون، فخرجوا بأجمعهم فنزلوا على شط بحر فلما وضعوا رحالهم ناداهم الله موتوا فماتوا جميعاً، فكنستهم المارة عن الطريق فبقوا بذلك ما شاء الله تعالىٰ، ثم مرَّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له أرميا فقال لو شئت يا رب لأحييتهم فيعمروا بلادك ويلدوا عبادك وعبدوك مع من يعبدك، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه أفتحب أن أحييهم لك، قال فأحياهم الله وبعثهم معه فهؤلاء ماتوا ورجعوا إلى الدنيا ثم ماتوا بآجالهم، وقال الله عز وجل **﴿أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مئة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾**[٢] . فهذا مات مئة سنة ورجع إلى الدنيا وبقي فيها ثم مات بأجله وهوعُزير .

وقال الله تعالىٰ في قصة المختارين من قوم موسى لميقات ربه **﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾** ذلك لمَّا سمعوا كلام الله قالوا لا نصدق حتى نرىٰ الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم فماتوا، فقال موسىٰ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم فأحياهم الله فرجعوا إلى الدنيا فأكلوا وشربوا ونكحوا النساء وولد لهم الأولاد ثم ماتوا بآجالهم .

وقال الله عز وجل لعيسىٰ : **﴿وإذ تحيي الموتىٰ بإذني﴾** وجميع الموتىٰ الذين أحياهم عيسىٰ بإذن الله تعالىٰ رجعوا إلى الدنيا وبقوا فيها ثم ماتوا بآجالهم .

وأصحاب الكهف لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ثم بعثهم الله فرجعوا إلى الدنيا ليسألوا بينهم، وقصتهم معروفة فإن قال قائل ان الله عز وجل قال : **﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾** قيل له فإنهم كانوا موتىٰ وقد قال الله عز وجل **﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا**

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢٤٣ .

(٢) سورة البقرة؛ الآية: ٢٥٩ .

من مرقدنا هذا ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون﴾[1] . وإن قالوا كذلك فإنهم كانوا موتىٰ ومثل هذا كثير والرجعة كانت في الأمم السالفة وقال النبي ﷺ يكون في هذه الأمة مثل ما يكون في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، فيجب على هذا الأصل ان يكون في هذه الأمة رجعة. وقد نقل مخالفونا انه إذا خرج المهدي نزل عيسىٰ ابن مريم عليه السلام فصلىٰ خلفه، ونزوله إلى الأرض رجوعه إلى الدنيا بعد موته لأن الله تعالىٰ قال : **﴿اني متوفيك ورافعك إلي﴾** وقال عز وجل **﴿فحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا﴾** فاليوم الذي يحشر فيه الجميع غير اليوم الذي يحشر فيه فوج، قال الله عز وجل : **﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلىٰ وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**[2] . يعني في الرجعة، وذلك انه يقول **﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾** والتبيين يكون في الدنيا لا في الآخرة، وسأجرد في الرجعة كتاباً أُبيِّن فيه كيفيتها والدلالة على صحة كونها إن شاء الله. والقول بالتناسخ باطل ومن دان بالتناسخ فهو كافر لأن في التناسخ إبطال الجنة والنار .

٦ ـ أجوبة الشيخ المفيد رحمه الله على المخالفين :

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في أجوبة المسائل العكبرية حين سئل عن قوله تعالىٰ : **﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾** وأجاب بوجوه فقال : وقد قالت الإمامية إن الله تعالىٰ ينجز الوعد بالنصر للأولياء قبل الآخرة عند قيام الائم والكرة التي وعد بها المؤمنين في العاقبة. وروي في كتاب الفصول عن الحرث بن عبد الله الربعي، قال كنت جالساً في مجلس المنصور وهو بالجسر الأكبر وسوار القاضي عنده والسيد الحميري ينشده :

إن الإلـه الـذي لا شـيء يشبهـه   آتـاكـم الملـك للـدنيـا وللـديـن
آتاكـم اللّه ملكـاً لا زوال لـه   حتـى يقاد إليكـم صاحـب الصين
وصاحب الهنـد مأخـوذ برمتـه   صـاحب التـرك محبوس على هون

حتى أتى على القصيدة والمنصور مسرور، فقال سوار إنّ هذا والله يا أمير المؤمنين يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، والله ان القوم الذين يدين بحبهم لغيركم وإنه لينطوي على

---

(١) سورة يسٓ؛ الآية: ٥٢ .
(٢) سورة النحل؛ الآية: ٣٨ .

عداوتكم فقال السيد والله انه لكاذب، وانني في مدحك لصادق، وانه حمله الحسد إذ رآك على هذه الحال، وان انقطاعي إليكم ومودتي لكم أهل البيت لمعرق فينا من أبويّ، وإن هذا وقومه لأعداؤكم في الجاهلية والإسلام، وقد أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ في أهل بيت هذا ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾[١]. فقال المنصور صدقت. فقال سوار يا أمير المؤمنين انه يقول بالرجعة ويتناول الشيخين بالسب والوقيعة فيهما فقال السيد أما قوله إني أقول بالرجعة فإني أقول بذلك على ما قال الله تعالىٰ: ﴿ويوم نحشر من كل أُمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون﴾ وقد قال في موضع آخر ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾ فعلمنا ان هٰهنا حشرين أحدهما عام والآخر خاص، وقال سبحانه ﴿ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل﴾[٢]. وقال تعالىٰ: ﴿فأماته الله مائة عام ثم بعثه﴾ وقال تعالىٰ: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا﴾[٣]. فهذا كتاب الله، وقد قال رسول الله ﷺ يحشر المتكبرون في صورة الذر يوم القيامة، وقال ﷺ لم يجر في بني إسرائيل إلا ويكون في أُمتي مثله حتى الخسف والمسخ. وقال حذيفة والله ما أبعد ان يمسخ الله عز وجل كثيراً من هذه الأُمة قردة وخنازير. فالرجعة التي أذهب إليها ما نطق به القرآن وجاءت به السنة، واني لأعتقد ان الله عز وجل يرد هذا يعني سوار إلى الدنيا كلباً أو قرداً أو خنزيراً أو ذرة، فإنه والله متجبر متكبر كافر. قال فضحك المنصور.

وقال رحمه الله في الكتاب المذكور، سأل بعض المعتزلة شيخاً من أصحابنا الإمامية وأنا حاضر في مجلس فيه جماعة كثيرة من أهل النظر والمتفقهة، فقال له إذا كان من قولك إن الله عز وجل يردُّ الأموات إلى دار الدنيا قبل الآخرة عند قيام القائم ليشفي المؤمنين كما زعمتم من الكافرين، وينتقم لهم منهم كما فعل ببني إسرائيل فيما ذكرتموه حيث تتعللون بقوله تعالى: ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾[٤]. فخبرني ما الذي يؤمنك أن يتوب يزيد وشمر وعبد الرحمٰن بن ملجم، ويرجعوا عن كفرهم وضلالهم ويصيروا في تلك الحال إلى طاعة الإمام فيجب عليك

---

(١) سورة الحجرات؛ الآية: ٤ .
(٢) سورة غافر؛ الآية: ١١ .
(٣) سورة البقرة؛ الآية: ٢٤٣ .
(٤) سورة الإسراء؛ الآية: ٦ .

ولايتهم والقطع بالثواب لهم وهذا نقض مذاهب الشيعة. فقال الشيخ المسؤول : القول بالرجعة إنما قلته بطريق التوقيف وليس للنظر فيه مجال، وأنا لا أُجيب عن هذا السؤال لأنه لا نص عندي فيه، وليس يجوز لي أن أتكلف من غير جهة النص الجواب. فشنع السائل وجماعة المعتزلة عليه بالعجز والانقطاع. فقال الشيخ أيده الله فأقول أنا إن عن هذا السؤال جوابين :

الأول : إن العقل لا يمنع من وقوع الإيمان ممن ذكره السائل لأنه يكون إذ ذاك قادراً عليه ومتمكناً منه، لكن السمع الوارد عن أئمة الهدى بالقطع عليهم بالخلود في النار والتدين بلعنهم والبراءة منهم إلى آخر الزمان منع من الشك في حالهم، وأوجب القطع على سوء اختيارهم فجروا في هذا الباب مجرى فرعون وهامان وقارون ومجرى من قطع الله عز وجل على خلوده في النار، ودل القطع على أنهم لا يختارون أبداً الإيمان ممن قال الله تعالى : **﴿ولو اننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله﴾**[1]. يريد إلا أن يلجئهم الله والذين قال الله تعالى فيهم : **﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾**[2]. ثم قال عزّ وجل قائلاً في تفصيلهم وهو يوجه القول إلى ابليس : **﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾** وقوله تعالى : **﴿وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾** وقوله تعالى : **﴿تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب﴾**[3]. فقطع بالنار عليه من انتقاله إلى ما يوجب له الثواب، وإذا كان الأمر على ما وصفناه بطل ما توهمتوه .

الثاني : إن الله سبحانه إذا رد الكافرين في الرجعة لينتقم منهم لم يقبل لهم توبة، وجروا في ذلك مجرى فرعون لما أدركه الغرق : **﴿قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين﴾**[4]. قال الله سبحانه له : **﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾** وهذا هو الجواب الصحيح على مذهب أهل الإمامة، وقد جاءت به آثار متظاهرة عن آل محمد ﷺ، فروي عنهم في قوله تعالى : **﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا**

---

(١) سورة الأنعام؛ الآية: ١١١ .
(٢) سورة الأنفال؛ الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.
(٣) سورة المسد؛ الآيات: ١ ـ ٣ .
(٤) سورة يونس؛ الآية: ٩٠ .

ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون﴾[1] . فقالوا إن هذه الآية هو القائم، فإذا ظهر لم يقبل توبة المخالف. انتهى ملخصاً .

وقال في المسائل السروية بعد الاستدلال على حقية الرجعة بالآيات والآثار، وقد قال قوم من المخالفين لنا كيف يعود كفار الملة بعد الموت إلى طغيانهم، وقد عاينوا عذاب الله تعالى في البرزخ، وتيقنوا بذلك أنهم مبطلون، فقلت لهم ليس ذلك بأعجب من الكفار الذين يشاهدون في البرزخ ما يحل بهم من العذاب ويعلمونه ضرورة بعد الموافقة لهم والاحتجاج عليه بضلالهم في الدنيا فيقولون : **﴿يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾**[2] فقال الله عز وجل : **﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون﴾**[3] . فلم يبق للمخالف بعد هذا الاحتجاج شبهة يتعلق بها والمنة فيما ذكرناه لله .

٧ ـ قول السيد المرتضى رحمه الله ان الرجعة تكون بالأجسام :

وقال السيد المرتضى رحمه الله في أجوبة المسائل التي وردت عليه من بلد الري، حيث سألوا عن حقيقة الرجعة لأن شذاذ الإمامية يذهبون إلى أن الرجعة رجوع دولتهم في أيام القائم من دون رجوع أجسامهم .

قال : أعلم إن الذي تذهب إليه الشيعة الإمامية أن الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي قوماً ممن كان قد تقدم موته من شيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم، فيلتذوا بما يشاهدونه من ظهور الحق وعلو كلمة أهله. والدلالة على صحة هذا المذهب إنّ الذي ذهبوا إليه مما لا شبهة على عاقل في انه مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه. فإنا نرى كثيراً من مخالفينا ينكرون الرجعة إنكار من يراها مستحيلة غير مقدورة وإذا ثبت جواز الرجعة ودخولها تحت المقدور فالطريق إلى إثباتها إجماع الإمامية على وقوعها، فإنهم لا يختلفون في ذلك وإجماعهم قد بينا في مواضع من كتبنا انه حجة لدخول قول الإمام فيه، وما يشتمل على قول المعصوم من الأقوال لا بد فيه من كونه صواباً. وقد بينا أن الرجعة لا تنافي التكليف

---

(١) سورة الأنعام؛ الآية: ١٥٨ .

(٢) سورة الأنعام؛ الآية: ٢٧ .

(٣) سورة الأنعام؛ الآية: ٢٨ .

وأن الدواعي مترددة معها حين لا يظن ظان ان تكليف من يعاد باطل، وذكرنا أن التكليف كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة فكذلك مع الرجعة، لأنه ليس في جميع ذلك ملجيء إلى فعل الواجب والامتناع من فعل القبيح، فأما من تأول الرجعة في أصحابنا على أن معناها رجوع الدولة والأمر والنهي من دون رجوع الأشخاص واحياء الأموات، فإن قوماً من الشيعة لما عجزوا عن نصرة الرجعة وبيان جوازها وانها تنافي التكليف عولوا على هذا التأويل للأخبار الواردة في الرجعة، وهذا منهم غير صحيح لأن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيطرق التأويلات عليها، فكيف يثبت ما هو مقطوع على صحته بأخبار الآحاد التي لا توجب العلم، وإنما المعول في إثبات الرجعة على إجماع الإمامية على معناها بأن الله يحيي أمواتاً عند قيام القائم من أوليائه وأعدائه على ما بيناه، فكيف يطرق التأويل على ما هو معلوم فالمعنى غير محتمل. انتهى.

وروى الطبرسي رحمه الله في الاحتجاج، والنجاشي أنه كانت لمؤمن الطاق مع أبي حنيفة حكايات كثيرة فمنها أنه قال يوماً يا أبا جعفر تقول بالرجعة. فقال نعم. فقال له أقرضني من كيسك هذا خمسمائة دينار فإذا عدت أنا وأنت رددتها إليك فقال له في الحال أريد ضميناً يضمن لي أنك تعود إنساناً واني أخاف أن تعود قرداً فلا أتمكن من استرجاع ما أخذت مني.

وقال السيد ابن طاوس رحمه الله في كتاب الطرائف، روى مسلم في صحيحه في أوائل الجزء الأول بإسناده إلى الجراح بن مليح قال: سمعت جابراً يقول عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر محمد الباقر عن النبي صلى الله عليه وآله تركوها كلها، ثم ذكر مسلم في صحيحه بإسناده إلى محمد بن عمر الرازي، قال سمعت حريزاً يقول لقيت جابر بن يزيد الجعفي فلم اكتب عنه لأنه كان يؤمن بالرجعة، ثم قال انظر رحمك الله كيف حرموا أنفسهم الانتفاع برواية سبعين ألف حديث عن نبيهم صلى الله عليه وآله برواية أبي جعفر الذي هو من أعيان أهل بيته الذين أمرهم بالتمسك بهم، ثم وإن أكثر المسلمين أو كلهم قد رووا إحياء الأموات في الدنيا وحديث احياء الله تعالى الأموات في القبور للمسألة، وقد تقدمت روايتهم عن أصحاب الكهف وهذا كتابهم يتضمن: ﴿**ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم**﴾[1]. والسبعون الذين أصابتهم الصاعقة مع موسى، وحديث العزير، ومن احياه عيسى بن مريم، وحديث جريح الذي اجمع على

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢٤٣.

صحته أيضاً، وحديث الذين يحييهم الله تعالى في القبور للمسألة، فأي فرق بين هؤلاء وبين ما رواه أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من الرجعة، وأي ذنب كان لجابر في ذلك حتى يسقط حديثه .

قد عرفت من الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة وكلام جملة من المتقدمين والمتأخرين من شيعة الأئمة الطاهرين ان أصل الرجعة حق لا ريب فيه، ولا شبهة تعتريه، ومنكرها خارج عن ربقة المؤمنين، فإنها من ضروريات مذهب الأئمة الطاهرين، وليست الأخبار الواردة في الصراط والميزان ونحوهما مما يجب الاذعان به أكثر عدداً وأوضح سنداً وأصرح دلالة وافصح مقالة من أخبار الرجعة، واختلاف خصوصياتها لا يقدح في حقيقتها، كوقوع الاختلاف في خصوصيات الصراط والميزان ونحوهما، فيجب الإيمان بأصل الرجعة إجمالاً، وأن بعض المؤمنين وبعض الكفار يرجعون إلى الدنيا وايكال تفاصيلها إليهم عليهم السلام . والأحاديث في رجعة أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام متواترة معنى، وفي باقي الأئمة قريبة من التواتر، وكيفية رجوعهم هل هو على الترتيب أو غيره، فكل علمها إلى الله سبحانه وإلى أوليائه عليهم السلام .

الفصـل الثانـي

المعــاد

١ ـ أقوال العلماء في أمر المعاد :

يطلق المعاد على ثلاثة معاني، أحدها المعنى المصدري من العود وهو الرجوع إلى مكان، وثانيها وثالثها مكان العود وزمانه ومآل الكل واحد وهو جسماني وروحاني، فالجسماني عبارة عن أن الله تعالى يعيد أبداننا بعد موتها ويرجعها إلى هيئتها الأُولى، والروحاني عبارة عن بقاء الروح بعد مفارقة البدن سعيدة منعمة أو معذبة شقية بما اكتسبته في الدنيا، وهذا هو الذي قال به الفلاسفة وأول الثواب والعقاب والجنة والنار بهاتين الحالتين .

قال الرازي في كتاب نهاية العقول، قد عرفت أن من الناس من أثبت النفس الناطقة فلا جرم اختلفت أقوال أهل العالم في أمر المعاد على وجوه أربعة :

أحدها : قول من قال إن المعاد ليس إلا للنفس وهذا مذهب الجمهور من الفلاسفة .

وثانيها : قول من قال المعاد ليس إلا لهذا البدن، وهذا قول ثقات النفس الناطقة وهم أكثر أهل الإسلام .

وثالثها : قول من أثبت المعاد للأمرين وهم طائفة كثيرة من المسلمين مع أكثر النصارى .

ورابعها : قول من نفى المعاد عن الأمرين، ولا أعرف عاقلاً ذهب إليه بلى كان جالينوس من المتوقفين في أمر المعاد .

وغرضنا إثبات المعاد البدني وللناس فيه قولان :

أحدهما : إن الله تعالى يعدم أجزاء الخلـق ثم يعيدها .

وثانيهما : انه تعالى يميتهم ويفرق اجزاءهم، ثم انه تعالى يجمعها ويرد الحياة إليها، ثم قال والدليل على جواز الإعادة في الجملة أنّا قد دللنا فيما مضى أن الله تعالى قادر على كل الممكنات، عالم بكل المعلومات من الجزئيات والكليات، والعلم بهذه الأصول لا يتوقف على العلـم بصحة المعاد البدني، وإذا كان كذلك أمكن الاستدلال بالسمع على صحة المعاد، لكن نعلم باضطرار اجماع الأنبياء من أولهم إلى آخرهم على إثبات المعاد البدني، فوجب القطع بوجود هذا المعاد.

وقال العلامة رحمه الله في شرح الياقوت : اتفق المسلمون على إعادة الأجساد خلافاً للفلاسفة، واعلم أن الإعادة تقال بمعنيين :

الأول : جمع الأجزاء وتأليفها بعد تفرقها وانفصالها .

الثاني : إيجادها بعد اعدامها .

وقال المحقق رحمه الله الدواني في شرح العقائد العضدية : والمعاد أي الجسماني فإنه المتبادر عن إطلاق أهل الشرع، إذ هو الذي يجب الاعتقاد به ويكفر من أنكره حتى بإجماع أهل الملل الثلاث وشهادة نصوص القرآن في المواضع المتعددة، بحيث لا يقبل التأويل كقوله تعالى : **﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ـ إلى قوله ـ بكل خلق عليم﴾**[(1)] . قال المفسرون نزلت هذه الآية في أبي بن خلف، خاصم رسول الله صلى الله عليه وآله وأتاه بعظم قد رمّ وبلي، ففته ب. .يده وقال يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما رمَّ، فقال صلى الله عليه وآله نعم ويبعثك ويدخلك النار. وهذا مما يقلع عرق التأويل بالكلية، ولذلك قال الإمام: الإنصاف أنه لا يمكن الجمع بين الإيمان بما جاء به النبي وبين إنكار الحشر الجسماني، قلت ولا الجمع بين القول بقدم العالم على ما يقوله الفلاسفة وبين الحشر الجسماني، لأن النفوس الناطقة على هذا التقدير غير متناهية فيستدعي حشرها جميعاً أبداناً غير متناهية وأمكنة غير متناهية، وقد ثبت تناهي الأبعاد بالبرهان انتهى .

وكيف كان فالقول بالمعاد الجسماني مما اتفق عليه جميع المليين، وهو من ضروريات الدين ومنكره خارج عن عداد المسلمين، والآيات الكريمة في ذلك ناصة لا يعقل تأويلها، والأخبار فيه متواترة لا يمكن ردها ولا الطعن فيها، وقد نفاه أكثر ملاحدة

---

(١) سورة يسٓ؛ الآية: ٧٧ .

الفلاسفة تمسكاً بامتناع إعادة المعدوم ولم يقيموا دليلاً على ذلك ولا برهاناً شافياً هنالك، بل تمسكوا تارة في مثل هذا المطلب العظيم والأمر الجسيم في مقابلة الآيات القرآنية والأحاديث المتواترة المعصومية بالبداهة، وتارة بشبهات واهية أوهن من بيت العنكبوت وإنه لأوهن البيوت . والعقل والنظر الصريح يحكم بالمعاد، إذ لو لم يجب المعاد والجزاء لكان التكليف عبثاً إذ الإيقاع في مشقة التكليف بلا أجر ولا جزاء ولا ثواب عبث بل ظلم صريح، فتنتفي الحكمة وهو محال. ولولا المعاد لذهبت مظالم العباد وتساوى أهل الصلاح والفساد وضاعت الدماء، ولم تبق ثمرة لإرسال الأنبياء ولم يحسن الوعد والوعيد والترغيب والتهديد، ولساوى أفضل الأنبياء في الفضيلة أشقى الأشقياء، لأن ما وقع في هذه الحياة الدنيا من الراحة والعناء والفقر والغنى والمرض والصحة ليس بجزاء بل هو امتحان وابتلاء، كما قال تعالى : **﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾** وقال تعالى : **﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات﴾** وقال تعالى : **﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾** والكاسب للطاعات والمعاصي البدن والروح معاً فيجب عودهما معاً للجزاء .

٢ ـ القول بالمعاد الجسماني والروحاني معاً :

قال المحقق الدواني رحمه الله : اعلم أن المعاد الجسماني مما يجب الاعتقاد به ويكفر منكره، أما المعاد الروحاني أعني التذاذ النفس بعد المفارقة وتألمها باللذات والآلام العقلية، فلا يتعلق التكليف باعتقاده ولا يكفر منكره ولا منع شرعاً ولا عقلاً من إثباته. قال الإمام في بعض تصانيفه : أما القائلون بالمعاد الروحاني والجسماني معاً فقد أرادوا أن يجمعوا بين الحكمة والشريعة، فقالوا دل العقل على أن سعادة الأرواح بمعرفة الله تعالى ومحبته، وأن سعادة الأجساد في إدراك المحسوسات، والجمع بين هاتين السعادتين في هذه الحياة غير ممكن، لأن الإنسان مع استغراقه في تجلي أنوار عالم القدس لا يمكنه أن يلتفت إلى شيء من اللذات الجسمانية، ومع استغراقه في استيفاء هذه اللذات لا يمكنه أن يلتفت إلى اللذات الروحانية، وإنما تعذر هذا الجمع لكون الأرواح البشرية ضعيفة في هذا العالم، فإذا فارقت بالموت واستمدت من عالم القدس والطهارة قويت وصارت قادرة على الجمع بين الأمرين، ولا شبهة في أن هذه الحالة هي الحالة القصوى عن مراتب السعادات، قلت هذا الكلام مشعر بأن إثبات الروحاني إنما هو من حيث الجمع بين الشريعة والفلسفة، فإثباتهما ليس من المسائل الكلامية. وهذا كما أن الرئيس أبا علي مع إنكاره للمعاد الجسماني على ما هو بسط في كتاب المعاد وبالغ فيه وأقام الدليل بزعمه

على نفيه، قال في كتاب النجاة والشفاء إنه يجب أن يعلم أن المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلا من طرق الشريعة وتصديق خبر النبوة، وهي الذي للبدن عند البعث وخيراته وشروره معلوم لا يحتاج إلى أن يعلم، وقد بسطت الشريعة الحقة التي أتانا بها سيدنا ومولانا محمد ﷺ حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن، ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني، وقد صدقه النبوة وهو السعادة والشقاوة الثابتتان بالقياس إلى نفس الأمر وإن كان الأوهام منا تقصر عن تصورهما الآن، وسياق هذا الكلام مشعر بأن إثباته للمعاد الروحاني ليس من حيث الحكمة بل من حيث الشريعة، فإن التمسك بالدلائل النقلية ليس من وظائف الفلسفة، فلا يتوهم ان إثباته من المسائل الحكمية وهو أراد أن يجمع بين الفلسفة والشريعة انتهى .

أقول : القول بالمعاد الجسماني والروحاني معاً أقوى المذاهب، وهو الذي دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث المعصومية وأيدته المؤيدات العقلية، حيث إن الكاسب للطاعات والمعاصي البدن والروح معاً فينبغي عودهما معاً، وقد دل السمع دلالة قطعية على الجسماني كما عرفت وستعرف فهو حق، واستفاض النقل مؤيداً للعقل بأن الروح جوهر لطيف نوراني مغاير للبدن، وأنها تبقى بعد خرابه مبتهجة مسرورة حية مرزوقة أو بالعكس، فالروحاني أيضاً حق قال الله تعالى : **﴿كل ما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وزوجناهم بحور عين لهم فيها ما تشتهي وتلذ الأعين، ما تعلم نفس ما أخفي لها من قرة أعين وأسروا الندامة لما رأوا العذاب، ومغفرة من الله ورضوان ذلك هو الفوز العظيم، ورضوان من الله أكبر﴾** .

وروى العياشي في تفسيره عن ثوير عن علي بن الحسين قال : إذا صار أهل الجنة في الجنة، ودخل ولي الله إلى جناته ومسكنه، واتكى كل مؤمن منهم على أريكة حفته خدامه، وتهدلت عليه الثمار، وتفجرت حوله العيون، وجرت من تحته الأنهار، وبسطت له الزرابي، وصفّت له النمارق، وأتته الخدام بما شاءت شهوته من قبل أن يسألهم ذلك، قال : ويخرج عليهم الحور العين من الجنان فيمكثون بذلك ما شاء الله، ثم إن الجبار يناديهم فيقول لهم أوليائي وأهل طاعتي وسكان جنتي في جواري، ألا هل آتيكم بخير مما أنتم فيه، فيقولون ربنا وأي شيء خير مما نحن فيه، نحن فيما اشتهت أنفسنا وأعيننا من النعم في جوار الكريم، قال فيعود عليهم بالقول، فيقولون ربنا نعم فأتنا بخير مما نحن فيه، فيقول لهم تبارك الله وتعالى رضاي عنكم ومحبتي لكم خير وأعظم مما أنتم فيه، قال فيقولون نعم ربنا رضاك عنا ومحبتك لنا خير لنا وأطيب لأنفسنا، ثم قرأ علي بن الحسين

هذه الآية : ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾[1] .

وروى ثقة الإسلام في الكافي عن أبي جميلة عن الصادق عليه السلام قال : قال الله تبارك وتعالى يا عبادي الصديقين تنعموا بعبادتي في الدنيا فإنكم تتنعمون بها في الآخرة. والظاهر أن التلذذ بأصل العبادة فإن الصديقين يتلذذون بعبادة ربهم أكثر من جميع اللذات والمشتهيات، بل لا يتلذذون بشيء إلا بها، فهم في الجنة يعبدون الله ويذكرونه لا على وجه التكليف بل لالتذاذهم وتنعمهم بها، كما قال سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله : جعلت قرة عيني في الصلاة .

وروى الصدوق في الأمالي بإسناده عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال عليه السلام في جملة حديث: ومن صلّى ليلة تامة تالياً كتاب الله راكعاً وساجداً وذاكراً وساق الحديث إلى أن قال يقول الرب تبارك وتعالى لملائكته يا ملائكتي انظروا إلى عبدي احيى ليله ابتغاء لمرضاتي أسكنوه الفردوس وله فيها مائة ألف مدينة، في كل مدينة جميع ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وما لا يخطر على بال سوى ما أعددت له من الكرامة والمزيد والقربة .

وروى الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه اثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن، وليس بمزمار الشيطان ولكن بتمجيد الله وتقديسه .

وعن أبي الدرداء قال : كان رسول الله يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الأزواج والنعيم وفي القوم أعرابي، فجثا لركبتيه وقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع، قال نعم يا أعرابي إن في الجنة لنهراً حفتاه ابكار من كل بيضاء يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط، فذلك أفضل نعيم الجنة، قال الراوي سألت أبا الدرداء بما يتغنين، قال بالتسبيح .

وفي رواية أُخرى قال رجل يا رسول الله اني رجل حبب إلي الصوت فهل لي في الجنة صوت حسن، فقال إي والذي نفسي بيده إن الله تعالى يوحي إلى شجرة في الجنة أن

---

(١) سورة التوبة؛ الآية: ٧٢ .

أسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكري من عزف البرابط والمزامير، فترفع صوتاً لم تسمع الخلائق بمثله قط من تسبيح الرب .

وقال الصدوق في العقائد : وهم يعني أهل الجنة أنواع على مراتب، منهم المتنعمون بتقديس الله وتسبيحه وتكبيره في جملة ملائكته، ومنهم المتنعمون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه والأرائك والحور والعين، واستخدام الولدان المخلدين، والجلوس على النمارق والزرابي، ولباس السندس والحرير كل منهم إنما يتلذذ بما يشتهي ويريد حسب ما تعلقت عليه همته ويعطى ما عبد الله من أجله. وقال الصادق عليه السلام : إن الناس يعبدون الله على ثلاثة أصناف، صنف منهم يعبدونه رجاء ثوابه فتلك عبادة الخدام، وصنف منهم يعبدونه خوفاً من ناره فتلك عبادة العبيد، وصنف منهم يعبدونه حباً له فتلك عبادة الكرام .

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في شرح هذا الكلام : ثواب أهل الجنة الالتذاذ بالمآكل والمشارب والمناظر والمناكح وما تدركه حواسهم مما يُطيعون على الميل إليه ويدركون مرادهم بالظفر به، وليس في الجنة من البشر من يلتذ بغير مأكل ومشرب وما تدركه الحواس من الملذذات، وقول من زعم أن في الجنة بشراً يلتذ بالتسبيح والتقديس من دون الأكل والشرب قول شاذ عن دين الإسلام، وهو مأخوذ من قول النصارى الذين زعموا أن المطيعين في الدنيا يصيرون في الجنة ملائكة لا يطعمون ولا يشربون ولا ينكحون، وقد اكذب الله هذا القول في كتابه بما رغب العالمين فيه من الأكل والشرب والنكاح، فقال : **﴿أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا﴾** الآية وقال تعالى : **﴿فيها أنهار من ماء غير آسن﴾** الآية وقال : **﴿حور مقصورات في الخيام﴾** وقال : **﴿حور عين﴾** وقال : **﴿وزوّجناهم بحور عين﴾** وقال : **﴿فيهن قاصرات الطرف أتراب﴾** وقال : **﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم﴾**[1] **﴿وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة﴾** فكيف استجاز من أثبت في الجنة طائفة من البشر لا يأكلون ولا يشربون ويتنعمون مما يتنعم به الخلق من الأعمال ويتألمون، وكتاب الله شاهد بضد ذلك، والاجماع على خلافه، لولا أن قلد في ذلك من لا يجوز تقليده أو عمل على حديث موضوع. انتهى كلامه وهو جيد متين وجوهر ثمين .

قال العلامة المجلسي رحمه الله بعد نقله، وهو في غاية المتانة. وأما استدلال الصدوق

---

(١) سورة يسٓ؛ الآية: ٥٥

بقوله عليه السلام وصنف يعبدونه حباً له، على أنهم لا يتلذذون بالمآكل والمشارب والمناكح في الجنة. فهو ضعيف إذ عدم كون الجنة مقصودة لهم عند العبادة لا تستلزم عدم تلذذهم بنعيمها في الآخرة، فإن قيل، إذا ارتفعت هممهم في الدنيا مع تشبثهم بعلائقها عن أن ينظروا مع محبة الله سبحانه وقربه إلى جنة ونار وفي الآخرة مع قطع علائقهم ودواعيهم وقوة أسباب المحبة والقرب أحرى أن لا ينظروا إليهما ولا يتلذذوا بشهوات الجنة وملاذها. قلت التلذذ بالمستلذات الجسمانية أيضاً مراتب ودرجات بحسب اختلاف أحوال أهل الجنة، فمنهم من يتلذذ بها كالبهائم يرتعون في رياضها ويتمتعون بنعيمها، كما كانوا في الدنيا من غير استلذاذ بقرب ووصال أو إدراك لمحبة وكمال.

ومنهم من يتمتع بنعيمها من حيث انها دار كرامة الله التي اختارها لأوليائه وأكرمهم بها، ومحل رضوان الله تعالى وقربه، فمن كل ريحان يستنشقون نسيم لطفه، ومن كل فاكهة يذوقون طعم رحمته، ولا يستلذون بالحور إلا لأنه أكرمهم بها الرب الغفور، ولا يسكنون في القصور إلا لأنه رضيها لهم المالك الشكور.

فالجنة جنتان روحانية وجسمانية، والجنة الجسمانية قالب للجنة الروحانية، فمن كان في الدنيا يقنع من العبادات والطاعات بجسد بلا روح ولا يعطيها حقها من المحبة والإخلاص وسائر مكملات الأعمال، ففي الآخرة أيضاً لا ينتفع إلا بالجنة الجسمانية، ومن فهم في الدنيا روح العبادة وأنس بها واستلذ منها وأعطاها حقها فهو في الجنة الجسمانية لا يستلذ إلا بالنعم الروحانية، ولنضرب لك في ذلك مثلاً لمزيد الإيضاح، فنقول ربما يجلس بعض سلاطين الزمان على سريره ويطلب عامة رعاياه ووزراءه وأمراءه ومقربي حضرته ويعطيهم شيئاً من الحلاوات، فكل صنف من أصناف الخلق ينتفع بما يأخذه من ذلك نوعاً من الانتفاع، ويلتذ ويتلذذ نوعاً من الالتذاذ على حسب معرفته بعظم السلطان ورتبة انعامه، فمنهم جاهل لا ينتفع بذلك إلا أنه حلو ترغب الذائقة فيه، فلا فرق في ذلك عنده بين أن يأخذه من بائعه في السوق أو من يد السلطان، ومنهم من يعرف شيئاً من عظمة السلطان ويريد بذلك الفخر على بعض أمثاله، أو من تحت يده، ان السلطان أكرمني بذلك، وهكذا حتى ينتهي الأمر إلى من هو من مقربي حضرة السلطان ومن طالبي لطفه وإكرامه، فهو لا يلتذ بذلك إلا لأنه خرج من يد السلطان وأنه علامة لطفه وإكرامه، فهو مضنّ بذلك ويخفيه ويفتخر بذلك ويبديه مع أن في بيته أضعاف ذلك مبذولة لخدمه وعبيده، فهو لا يجد من الحلاوة إلا طعم القرب والإكرام، ولو جعل السلطان علامة إكرامه في بذل أمرِّ الأشياء وأبشعها لكان عنده أحلى من جميع الحلاوات.

ولذا ترى في عشق المجاز إذا ضرب المعشوق محبه ضرباً وجيعاً على جهة الإكرام فهو أشهى عنده من كل ما يستلذ منه سائر الأنام. فإذا كان مثل ذلك في المجاز ففي الحقيقة أولى وأحرى، فإذا فهمت ذلك عرفت أن أولياء الله في الدنيا أيضاً في الجنة والنعيم إذ هم في عبادة ربهم متلذذون بقربه ووصاله، وفي التنعم بنعيم الدنيا إنما يتلذذون لكونه مما خلق لهم ربهم ومحبوبهم وحباهم بذلك ورزقهم وأعطاهم، وفي البلايا والمصائب أيضاً يتلذذون بمثل ذلك لأنهم يعلمون أن محبهم ومحبوبهم اختار ذلك لهم وعلم فيه صلاحهم، فبذلك امتحنهم فهم بذلك راضون شاكرون، فتنعمهم بالبلايا كتمتعهم بالنعم والهدايا إذ جهة الاستلذاذ فيهما واحدة عندهم، فهم في الدنيا وفي الآخرة بقربه ولطفه وحبه يتنعمون، وفيهما لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإذا فازوا بهذه الدرجة القصوى ووصلوا إلى تلك المرتبة الفضلى لا يعبدونه تعالى خوفاً من ناره وأنها محرقة، بل لأنها دار الخذلان والحرمان ومحل أهل الكفر والعصيان ومن سخط عليه الرحمان، ولا طمعاً في جنته من حيث كونها محل المشتهيات النفسانية والملاذ الجسمانية، بل من حيث انها محل رضوان الله وأهل كرامته وقربه ولطفه، فلو كانت النار محل أهل كرامة الله وقربه ولطفه لاختاروها كما اختاروا في الدنيا محنها ومشاقها لعلمهم بأن رضى الله فيها، ولو كانت الجنة محل غضب الله لتركوها وفروا منها كما تركوا ملاذ الدنيا لما علموا أن محبوبهم لا يرتضيها. وإذا دريت ذلك حق درايته سهل عليك الجمع بينما ورد من عدم كون العبادة للجنة والنار والمبالغة في طلب الجنة والاستعاذة من النار. وما ورد في بعض الروايات والدعوات من التصريح بكون العبادة لابتغاء الدار الآخرة، فإن من طلب الآخرة لقربه ووصاله لم يطلب إلا وجهه، ومن طلبها لاستلذاذه وتمتعه الجسماني لم يعبد إلا نفسه. انتهى كلامه رحمه الله .

٣ ـ الآيات القرآنية الواردة في المعاد :

إن الله سبحانه للطفه ورأفته بعباده قد أكثر ذكر المعاد في القرآن الكريم والفرقان العظيم بطرق عديدة وسبل سديدة، لصعوبته على الأفهام وكثرة ما فيه من الشبه والأوهام، فتارة حكم تعالى بأنه كائن لا محالة من دون ذكر دليل، بل انه يجب الاذعان به والتصديق من دون تطلب دليل لذلك سيما بالنسبة إلى الأعوام والضعفاء، كما في قوله تعالى : ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾[1]. وقوله تعالى : ﴿**إن الله**

(١) سورة الزلزلة؛ الآيتان: ٧ ـ ٨.

يبعث من في القبور﴾ وقوله تعالى : **﴿والموتى يبعثهم الله﴾** ونحو ذلك .

وتارة ذكره الله مشفوعاً بالقسم لكثرة الشبه والاشتباه فيه، فقال تعالى : **﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**[1] . وقال تعالى : **﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم﴾**[2] .

وتارة أثبت الله المعاد مستدلاً بكونه قادراً على كل شيء وعلى أمور تشبه الحشر والنشر، فلا يستبعد قدرته تعالى على الحشر والنشر كقوله تعالى في الواقعة رداً على منكري المعاد : **﴿أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾**[3] . ووجه الاستدلال بها على ما في التفسير الكبير أن المني إنما يحصل من فضلة الهضم الرابع، وهو كالطل المنبث في الأطراف آفاق الأعضاء، ولهذا تشترك الأعضاء في الالتذاذ بالوقاع ويجب غسلها كلها من الجنابة لحصول الانحلال عنها كلها. ثم إن الله قد سلط قوة الشهوة على البنية حتى انها تجمع تلك الأجزاء الظلية المتفرقة في أوعية المني، فالحاصل أن تلك الأجزاء كانت متفرقة جداولاً في أطراف العالم، ثم إنه تعالى جمعها في بدن ذلك الحيوان منبثة في أطراف بدنه، ثم جمعها بقوة المولدة في أوعية المني، ثم أخرجها ماء دافقاً إلى قرار الرحم، فإذا كانت هذه الأجزاء متفرقة فجمعها وكوّن منها ذلك الشخص، فإذا تفرقت بالموت مرة أخرى فكيف يمتنع عليه جمعها مرة أخرى. فهذا تقرير هذه الحجة في هذا المنهج ومن هذا المنهج قوله تعالى في سورة الحج : **﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من هذا البعث فإنا خلقناكم من تراب﴾**[4] . إلى قوله تعالى : **﴿وترى الأرض هامدة ـ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير﴾** وقال تعالى : **﴿ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى﴾**[5] . وقال تعالى : **﴿فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر﴾**[6] .

وتارة بين تعالى قدرته على المعاد بذكره مرتباً على ذكر المبدء، إشارة إلى أن القادر

---

(١) سورة النحل؛ الآية: ٣٨ .

(٢) سورة التغابن؛ الآية: ٧ .

(٣) سورة الواقعة؛ الآية: ٥٨ .

(٤) سورة الحج؛ الآية: ٥ .

(٥) سورة القيامة؛ الآيتان: ٣٧ ـ ٣٨ .

(٦) سورة الطلاق؛ الآية: ٧ .

على الإيجاد قادر على الإعادة كما قال تعالى في سورة البقرة : **﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾**[1] . وقال تعالى في سورة الاسراء : **﴿وقالوا ءَإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة﴾**[2] . وقال تعالى في سورة الروم : **﴿وهو الذي يبدء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى﴾**[3] . وقال تعالى في سورة ياسين : **﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾** .

وتارة استدل تعالى على البعث والحشر من جهة وجوب المجازاة وإثابة المحسن وتعذيب العاصي وتمييز احدهما عن الآخر ليتم عدل الله وحكمته في العباد، إذ لولا الحساب والعقاب والجزاء والثواب للزم الجور وبطل العدل، وضاعت الحقوق عن أربابها، واستقرت الظلامات على أصحابها، ولم يبق فرق بين إحسان المحسن وإساءة المسيء، بل لكان النفع ضراً والضر نفعاً، فإن الخير والإحسان في أغلب الأزمان يوجب المشقة والمضرة ونقصان القوة والمال وفوات اللذة بحسب الدنيا. والشر والإساءة على خلاف ذلك بحسبها، فلا بد من نشأة أُخرى تقع فيها المجازاة على أعمال الناس والانتقام للمظلومين من الظالمين وإيصال ذوي الحقوق إلى حقوقهم، وقد أشار تعالى إلى هذا المضمون في مواضع منها في سورة يونس قال تعالى : **﴿اليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾**[4]. وقال تعالى في سورة طه : **﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾** وقال تعالى : **﴿ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾**[5]. وقال تعالى في سورة صاد : **﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذاك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾** .

وتارة استدل تعالى بإحياء الموتى في الدنيا على صحة الحشر والنشر في الأُخرى، كما في خلق آدم ابتداء من غير مادة لأب وأُم، ومنها قوله تعالى في سورة البقرة : **﴿فقلنا**

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢٨ .

(٢) سورة الإسراء؛ الآيتان: ٥٠ ـ ٥١ .

(٣) سورة الروم؛ الآية: ٢٧ .

(٤) سورة يونس؛ الآية: ٤ .

(٥) سورة النجم؛ الآية: ٣١ .

اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى﴾ ومنها في قصة الخليل وقوله : ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى﴾ الآية، ومنها في قصة حزقيل وقوله : ﴿أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها﴾، ومنها في قصة أصحاب الكهف وقوله تعالى : ﴿وليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها﴾، ومنها في قصة أيوب وقوله تعالى : ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

٤ ـ كلام الامام الرازي في الحشر والنشر :

قال الإمام الرازي في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾[١] . ما لفظه في هذه الآيات إلى آخر السورة غرائب وعجائب نذكرها بقدر الإمكان إن شاء الله، فنقول المنكرون للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلاً ولا شبهة واكتفى بالاستبعاد وادعى الضرورة وهم الأكثرون، ويدل عليه قوله تعالى حكاية عنهم في كثير من المواضع بلفظ الاستبعاد، كما قال : ﴿وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد﴾ وقال تعالى : ﴿أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمدينون﴾[٢] . إلى غير ذلك. وهٰهنا قال : ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾ على طريق الاستبعاد، فبدأ أولاً بإبطال استبعادهم بقوله نسي خلقه، أي أنسي أنّا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الأجزاء، ثم جعلنا لهم من النواصي إلى الأقدام اعضاء مختلفة الصور والقوام، وما اكتفينا بذلك حتى أودعناهم ما ليس من قبيل هذه الأجرام وهو النطق والعقل اللذين بهما استحقوا الاكرام، فإن كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهل لا يستبعدون إعادة النطق والعقل إلى محل كانا فيه، ثم إن استبعادهم كان من جهة ما في المعاد من التفتت والتفرق حيث قالوا من يحيي العظام وهي رميم، اختاروا العظم للذكر لأنه أبعد عن الحياة لعدم الاحساس فيه، ووصفوه بما يقوي جانب الاستبعاد من البلى والتفتت، والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في المعيد من العلم والقدرة فقال ضرب لنا مثلاً، أي جعل قدرتنا كقدرتهم، ونسي خلقه العجيب وبدنه الغريب. ومنهم من ذكر شبهة وإن كان آخرها

---

(١) سورة يسٓ؛ الآية: ٧٨ .

(٢) سورة الصافات؛ الآية: ٥٣ .

يعود إلى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين :

أولهما : انه بعد العدم لم يبق شيء فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود، وأجاب تعالىٰ عن هذه الشبهة بقوله ﴿**الذي أنشأها أول مرة**﴾ يعني كما خلق الإنسان ولم يكن شيئاً مذكوراً كذلك يعيده وإن لم يكن شيئاً مذكوراً

وثانيهما : إن من تفرقت أجزاؤه في مشارق الأرض ومغاربها وصار بعضه في أبدان السباع، وبعضه في جدران الرباع، كيف يجمع، وأبعد من هذا هو ان إنساناً إذا أكل إنساناً وصار أجزاء المأكول في أجزاء الآكل، فإن أعيد، فأجزاء المأكول إما ان تعاد إلى بدن الآكل فلا يبقىٰ للمأكول أجزاء يخلق منها أعضاء، وأما ان يعاد إلى بدن المأكول منه فلا يبقىٰ للآكل أجزاء يخلق منها أعضاء، فقال تعالىٰ في إبطال هذه الشبهة ﴿**وهو بكل خلق عليم**﴾ ووجهه ان في الآكل أجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفي المأكول كذلك، فإذا أكل إنسان إنساناً صار الأصلي من أجزاء المأكول فضلة من أجزاء الآكل، والأجزاء الأصلية للآكل هي ما كان له قبل الأكل والله بكل شيء عليم، يعلم الأصلي من الفضلي فيجمع الأجزاء الأصلية للآكل وينفخ فيها روحه، ويجمع الأصلية للمأكول وينفخ فيها روحه، وكذلك يجمع الأجزاء المتفرقة في البقاع المتبددة في الأصقاع بحكمته الشاملة وقدرته الكاملة، ثم انه تعالىٰ عاد إلى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وإبطال إنكارهم وعنادهم، فقال الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً، ووجهه هو ان الإنسان مشتمل على جسم يحسّ به حياة سارية فيه وهو الحرارة جارية فيه، فإن استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه فلا تستبعدوه فإن النار في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب، وأنتم تحضرون حيث منه توقدون، وإن استبعدتم خلق جسمه فخلق السماوات والأرض أكبر من خلق أنفسكم فلا تستبعدوه، فإن الله خلق السماوات والأرض فبان لطف قوله تعالىٰ : ﴿**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون**﴾[1]. وقوله تعالىٰ : ﴿**أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم**﴾ وقدم ذكر النار في الشجر على ذكر الخلق الأكبر لأن استبعادهم كان بالصريح واقفاً على الإحياء حيث قالوا من يحيي العظام ولم يقولوا من يجمعها ويؤلفها، والنار في الشجر مناسب الحياة وقوله الخلاق إشارة إلى انه في القدرة كامل وقوله العليم إشارة إلى انه بعلمه شامل ثم أكد بيانه بقوله ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾ فهذا إظهار فساد تمثيلهم وتشبيههم

---

(١) سورة يسٓ؛ الآية: ٧٨ .

وضرب مثلهم حيث ضربوا لله مثلاً وقالوا لا يقدر أحد على مثل هذا قياساً للغائب على المشاهد، فقال في المشاهد الخلق يكون بالآلات البدنية والانتقالات المكانية فلا تقع إلا في الأزمنة الممتدة والله يخلق بكن فيكون. انتهىٰ .

٥ ـ الروح ومنزلة البدن منها :

اعلم انه قد اختلف في معنى الروح على أقوال شتىٰ وآراء مختلفة أنهاها بعضهم إلى أربعين قولاً، والذي عليه أكثر المحققين أن الإنسان مركب من روح وبدن، وهما جوهران حقيقتهما مختلفتان وبينهما علاقة تامة مع نهاية البعد، فإن الروح مخلوقة مما خلق منه الملائكة من العالم العلوي، والبدن مخلوق من التراب والعالم السفلي، ولكل منهما عمل وأثر ليس للآخر، فأفعال البدن الرؤية والسماع والرائحة والقول والنوم واللمس ونحوها مما يدرك بالحواس الظاهرة والقوىٰ والأعضاء، وآثار الروح اللذة والألم والصفات والملكات والفهم والعلم والاعتقادات، ولذا لا يوصف البدن بالشجاعة والكرم والعلم والإيمان ونحوها، بل الأفعال الجزئية الحسية من الرؤية والسماع ونحوهما أفعال الروح أيضاً، وإنما تصدر عنها بواسطة الأعضاء والجوارح التي هي كالآلة للروح، ولذا تقول رأيت بعيني وسمعت بأذني وقلت بلساني، فتخبر عن روحك بأن هذه الأفعال صدرت منها بواسطة هذه الأعضاء، كما تقول كتبت بالقلم في كون القلم آلة للكتابة، وربما قيل ان هذه الأفعال تصدر من الروح بدون واسطة الأعضاء والجوارح، كما يدرك النائم ويرىٰ ويسمع ويضرب ويأكل ويشرب بدون هذه الأعضاء الظاهرة، وفيه كلام ليس هذا محله. وبالجملة فالإنسان في الحقيقة عبارة عن الروح، والبدن بمنزلة الآلة بل هو هي، وقيل ان الروح في البدن كالسراج في الفانوس، فإن النور كله من السراج والفانوس حائل ظلماني، ولو شوهدت السراج بدونه لظهر جمالها وضوؤها أكثر، وكذا الروح من دون حيلولة البدن شعاعها وجمالها أكثر، وكما ان الفانوس نقص في ضياء السراج فكذا البدن نقص في جمال الروح، وإنما احتيج إلى الفانوس لحفظ السراج من الرياح، ولذا لم تحتج الشمس والمشعل إلى فانوس، وكذا الإنسان إذا كان مريضاً يضره الهواء والبرد احتاج إلى اللحاف زيادة على البدن، وإذا كان صحيحاً لم يحتج إلى ذلك .

وروي عن الصادق عليه السلام : ان روح المؤمن وبدنه كالجوهرة في الصندوق، فإذا رفعت الجوهرة من الصندوق رمي بالصندوق ولم يعتن به .

وحاصل الخلاف في الروح يرجع إلى انه هل هي جسم أو جسماني، أو ليست

بجسم ولا جسماني بل مجردة، وعمدة من قال بجسميتها من المتكلمين ذهبوا إلى قولين :

أولهما : انها عبارة عن هذا الهيكل المحسوس.

ثانيهما : ان في بدن الإنسان أجزاء أصلية مخلوقة من المني، وتلك الأجزاء باقية في مدة حياة الشخص وبعد موته، وتفرق أجزائه لا تتغير ولا تتبدل ولا تزيد ولا تنقص. والإنسان المشار إليه بهذا وأنا، عبارة عن تلك الأجزاء الأصلية، ومدار الحشر والثواب والعقاب على تلك الأجزاء .

وهذا القول ذهب إليه بعض متكلمي الإمامية وربما يومي إليه بعض الأخبار وهو ما رواه ثقة الإسلام والصدوق في الكافي والفقيه عن عمّار عن الصادق عليه السلام قال : سئل عن الميت يبلىٰ جسده، قال نعم حتى لا يبقىٰ لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها، فإنها لا تبلىٰ بل تبقىٰ في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة، إلا ان غاية ما في الخبر ان تشخص الإنسان إنما هو بالأجزاء الأصلية، ولا مدخل لسائر الأجزاء والعوارض فيه، وليس فيه ان الروح عبارة عن ذلك ومن ذهب إلى ان الروح ليست بجسم بل عرض جسماني فلهم شبهات سخيفة لا تستحق أن تذكر، وأكثر الفلاسفة والحكماء على تجردها، وعليه بعض قدماء المعتزلة والغزالي والراغب الأصفهاني والشيخ المفيد منا، والشيخ البهائي، وادعىٰ بعض المتأخرين انه يستفاد التجرد من كثير من الأخبار .

وقال العلامة المجلسي رحمه الله إني لم أقف على حديث صريح في ذلك وإن كان في بعض الأخبار النادرة إشعار وإيهام لذلك فلا ينبغي الجزم بالتجرد بمجردها، وما أقيم من الأدلة على نفي تجردها، وإن لم يتم إلا أن الأخبار الكثيرة الواردة في تنزيه الحق تعالىٰ تدل بظاهرها، على ان التجرد من الصفات المختصة به تعالىٰ والأحاديث الواردة في قبض الروح، وانها تكون مع الميت وان روح الميت تأتي إلى أهله وتزورهم وتنظر إليهم، وتنتقل إلى وادي السلام ونحو ذلك تدل على تجسّمها اللهم إلا ان تؤول هذه الأخبار بالجسد المثالي، وكذا الأخبار الدالة على خلق الأرواح قبل الأجساد وأنها كانت حول العرش ونحو ذلك، إلا أن تؤول بتأويلات بعيدة عن طريقة أرباب الشريعة، فالحكم بالتجرد أو عدمه مشكل، وقد حمل بعضهم حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه على أنه كما أن الله تعالىٰ لا يمكن معرفته فكذا النفس لا يمكن معرفتها، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أُسكتوا عما سكت الله عنه .

وعن الصادق عليه السلام : لا يسعكم فيما ينزل بكم مما لا تعلمون إلا الكف عنه والتثبت والرد إلى أئمة الهدى. وعنه عليه السلام في الصحيح حق الله تعالىٰ على العباد أن يقولوا ما يعلمون، ويكفوا عما لا يعلمون، فإذا فعلوا ذلك فقد أدوا إلى الله حقه .

والأخبار في ذلك متواترة، فينبغي التوقف في ذلك وما قاله الأكثر من أن القول ببقاء الروح بعد مفارقة البدن ومعادها موقوف على القول بالتجرد لا وجه له، إذ يمكن أن يكون ذلك مبنياً على ما ذهب إليه جماعة من المحققين من أن النفس جسم نوراني من العالم السماوي، وتعلقها بهذا البدن مثل السراج في البيت يصل نورها وينفذ في جميع أجزاء البدن، والموت عبارة عن خروجها عن هذا البدن ومفارقتها إياه، وجسمها في نهاية اللطافة والشفافية كأجسام الملائكة وسائر الأجساد السماوية تبقى محفوظة بقدرة الله تعالىٰ .

روى الطبرسي في الاحتجاج عن الصادق عليه السلام في جملة سؤالات الزنديق عنه عليه السلام وفيه قال الزنديق أخبرني عن السراج إذا انطفىٰ أين يذهب نوره. قال عليه السلام يذهب فلا يعود قال فما أنكرت ان الإنسان مثل ذلك إذا مات وفارق الروح البدن لم ترجع إليه أبداً، كما لا يرجع ضوء السراج إليه أبداً، إذا انطفىٰ. قال عليه السلام لم تصب القياس إن النار في الأجسام قائمة بأعيانها كالحجر والحديد، فإذا ضرب أحدهما الآخر سطعت من بينهما نار تقتبس منها سراج له الضوء، فالنار ثابتة في أجسامها والضوء ذاهب، ان الروح جسم رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً وليس بمنزلة السراج الذي ذكرت، ان الذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صاف وركب فيه ضروباً مختلفة من عروق وعصب وأسنان وشعر وعظام وغير ذلك هو يحييها بعد موتها ويعيده بعد فنائه. قال فأين الروح. قال عليه السلام في بطن الأرض حيث صرع البدن إلى وقت المبعث. قال فمن صلب فأين روحه. قال عليه السلام في كف الملك الذي قبضها حتى يودعها الأرض. قال فأخبرني عن الروح أغير الدم. قال عليه السلام نعم الروح على ما وصفت لك مادتها من الدم ومن الدم رطوبة الجسم وصفاء اللون وحسن الصوت وكثرة الضحك، وإذا جمد الدم فارق الروح البدن. ثم قال الزنديق أتتلاشىٰ الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق. قال عليه السلام بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنىٰ فلا حس ولا محسوس، ثم أعيدت الأشياء كما بدأها مدبرها، وذلك أربعمائة سنة تسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين الحديث .

وقد دلت الآيات المتكاثرة والأخبار المتواترة على تجسم الملائكة، بل لعله من

ضروريات الدين لم يخالف فيه أحد من المسلمين، فلعل الروح من هذا القبيل وعلى تقدير كونها في السماء كما دلت عليه بعض الأخبار يمكن أن يكون تعلقها بالروح الحيوانية المنبعثة من القلب السارية في البدن، وبخروج الروح الحيوانية من البدن ينعدم تعلقها بالبدن، وبعود البدن يرجع تعلقها. وحيث دلت الأخبار الكثيرة على الجسد المثالي فيمكن من حيث الروح ان تحتاج إلى آلة في الأعمال ان تتعلق بذلك الجسد المثالي بعد مفارقتها البدن، والثواب والعقاب والذهاب والرجوع في العالم البرزخي في ذلك البدن. بل ذهب جملة من المحققين إلى ان الجسد المثالي موجود في هذا العالم أيضاً، وهو مماثل لهذا البدن[١] في المقدار فيه، أو خارج عنه. ولما كانت النفوس ضعيفة لا تقدر على التصرف التام في كلا البدنين، كان تعلقها في الحياة واليقظة بهذا البدن أكثر، وفي النوم بالمثالي أكثر وبه تعرج الروح إلى العالم العلوي وتطلع على الألواح السماوية وتسير إلى المشرق والمغرب وتجتمع مع النفوس المقدسة العلوية وتلهم من علومهم، وإن كانت شريرة اجتمعت مع الشياطين ورسخ فيها تسويلاتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿**إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم**﴾ بل لعل النفوس القوية كنفوس الأنبياء والأوصياء تتصرف في الأجساد المثالية في حال الحياة أيضاً، كما دلت الأخبار الكثيرة على انهم عليهم السلام يحضرون عند كل ميت في شرق الأرض وغربها، ولو مات أُلوف في آن واحد، وبذلك يجمع بين الأخبار في هذا المضمار، وعلى القول بتجرد الروح فالاحتياج إلى القول بالجسد المثالي أشد، وبدونه يشكل فهم الآيات والأخبار الواردة في ثواب القبر وعذابه واتساعه وضيقه، وحركة الروح وطيرانه في الهواء، وزيارته لأهله ورؤية الأئمة بأشكالهم، ومشاهدة أعدائهم معذبين، وسائر ما ورد في أمثال ذلك فالمراد بالقبر حينئذ في أكثر الأخبار ما يكون الروح فيه في عالم البرزخ، وهو ينم على القول بتجسد الروح وتجردها مع ورود الأجساد المثالية في الأخبار المعتبرة، وليس هذا من التناسخ الباطل في شيء كما توهم إذ العمدة في نفي التناسخ ضرورة الدين وإجماع المسلمين، وقد قال بالأبدان المثالية كثير من المسلمين من المتكلمين والمحدثين، ودلت عليه أخبار الأئمة الطاهرين، والتناسخية إنما كفروا بإنكارهم المعاد والثواب والعقاب وقولهم بقدم النفوس وترددها في أجسام هذا العالم

---

(١) لا يبعد القول بتعلق الروح بالأجساد المثالية عند النوم أيضاً كما يشهد به ما يرى في المنام وقد وقع في الأخبار تشبيه حالة البرزخ وما يجري فيها بحالة الرؤيا وما يشاهد فيها، بل يمكن أن تكون للنفوس القوية العالية أجساد مثالية كثيرة كأئمتنا عليهم السلام، حتى لا يحتاج إلى كثير تأويل في حضورهم عند كل ميت منه.

وإنكارهم النشأة الأُخرىٰ، وإنكارهم الصانع والأنبياء وسقوط التكاليف ونحو ذلك من أقوالهم السخيفة .

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسند معتبر عن حبة العرني قال : خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام، فقمت بقيامه حتى أعييت ثم جلست حتى مللت، ثم قمت حتى نالني ما نالني أولاً، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت وجمعت ردائي فقلت يا أمير المؤمنين إني قد اشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال يا حبة إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته، قال قلت يا أمير المؤمنين وانهم لكذلك، قال نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون، فقلت أجسام أو أرواح، فقال أرواح وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه الحقي بوادي السلام، وإنها لبقعة من جنة عدن .

وعن أبي ولاد الحناط عن الصادق عليه السلام قال : قلت له جعلت فداك يروون ان أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش، فقال لا المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، لكن في أبدان كأبدانهم .

وعن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال : ان الأرواح في صفة الأجساد في شجر في الجنة تعارف وتسأل، فإذا قدمت الروح على الأرواح يقول دعوها فإنها قد أقبلت من هول عظيم .

وعن حماد بن عثمان عن الصادق عليه السلام قال : ذكر الأرواح أرواح المؤمنين فقال يلتقون، قلت يلتقون، قال نعم ويتساءلون ويتعارفون حتى إذا رأيته قلت فلان. وفي بعض الأخبار هي في روضة كهيئة الأجساد في الجنة والأخبار في ذلك كثيرة، هذا ما يتعلق بالروح .

٦ ـ تركيب البدن ومذاهب الفلاسفة والحكماء :

أما في البدن فقد اختلف الناس في تفريق الجسم واتصاله على مذاهب، فأكثر الفلاسفة على ان الجسم مركّب من الهيولى والصورة الجسمية والصورة النوعية، وإذا تفرق الجسم وتلاشىٰ قالوا انعدمت صورتاه الجسمية والنوعية، وبقيت الهيولى تفاض عليها صورة جسمية وصورة نوعية مغايرتان للأُولىٰ. والمحقق الطوسي وجملة من الحكماء من النافين للهيولى والجزء الذي لا يتجزأ، يقولون بعدم انعدام جزء من الجسم

عند التفرق بل ليس الجسم إلا الصورة وهي باقية في حال الاتصال والانفصال لا ينعدم شيء منها، بل إنما ينعدم عرض منه من الاتصال والانفصال اللذان هما عرضان. وهذا القول في غاية المتانة إلا أنه لا يدفع شبهة استحالة إعادة المعدوم، وأكثر المتكلمين لأجل دفع هذه الشبهة قالوا بالجزء الذي لا يتجزأ، وان الأجسام متفقة الحقيقة لا ينعدم شيء منها إذا تفرقت، إذا عرفت ذلك فعلىٰ القول الأول لا بد في القـول بإثبات المعاد بمعنىٰ عود الشخص بجميع أجزائه من القول بإعادة المعدوم، إذ بناءً على مذهبهم ان الصورة الجسمية والنوعية قد انعدمتا فلا بد من إعادتهما بعد عدمهما بجميع أجزائهما. وأما القائلون بالأخيرين فقد ظنوا التخلص عن ذلك، وانه يمكنهم القول بالحشر الجسماني بهذا المعنى، وعدم القول بجواز إعادة المعدوم وفيه نظر، إذ ظاهر انه إذا أحرق جسد زيد وذرت الرياح ترابه لا يبقى تشخص زيد وان بقيت الصورة والأجزاء، بل لا بد في عود الشخص بعينه من عود تشخصه بعد انعدامه، اللهم إلاّ أن نختار ما ذهب إليه بعض المتكلمين من ان تشخص الشخص إنما يقوم بأجزائه الأصلية المخلوقة من المني، وتلك الأجزاء باقية في مدة حياة الشخص وبعد موته وتفرق أجزائه، فلا يعدم التشخص ويومیء إلى ذلك رواية عمار المتقدمة. وروى العامة ما يقرب منها، وعلى هذا فلو انعدم بعض العوارض الغير الشخصية وأعيد غيرها مكانها لا يقدح في كون الشخص باقياً بعينه، ثم ان القائلين بامتناع إعادة المعدوم قد أتوا بأدلة واهية :

أولها : انه لو جاز إعادة المعدوم جاز إعادة وقته الأول إذ هو من المشخصات، وذلك يقتضي كون الشيء مبتدءاً من حيث انه معاد وهو باطل .

ثانيها : انه يفضي إلى صدق النقيضين من المبدء والمعاد عليه دفعة وهو باطل .

ثالثها : ان زمان الابتداء والإعادة يجب ان يكون واحداً للماهية والوجود، فلا فرق بينهما إلا بوجود الأول في زمان والثاني في غيره فيكون للزمان زمان ويلزم أيضاً إعادته فينقل الكلام إليه ويتسلسل .

رابعها : ان العدم المتخلل بين المبتدأ والمعاد يقتضي إما تغايرهما أو تخلل العدم بين الشيء ونفسه وكلاهما باطل، أما الأول فلأنه خلاف المفروض، وأما الثاني فبالبديهة .

خامسها : ان المعدوم ليس له هوية ثابتة فتمتنع الإشارة العقلية إليه فلا يحكم عليه بصحة العود.

والجواب عن الثلاثة الأول : ان الزمان ليس من المشخصات، وادعاء ذلك سفسطة. وحكي ان بعض تلامذة أبي علي كان مصراً على ذلك فبحث مع أُستاذه فيه، فقال الأُستاذ لا يلزمني جوابك لأني غير من كان يباحثك، على ان المجوزين قائلون بأن الزمان اعتباري لا تحقق له في الخارج فالتسلسل فيه جائز.

والجواب عن الرابع : انه لو تم لدل على امتناع بقاء شخص ثلاث ساعات لتخلل الوسطىٰ بين الشيء ونفسه.

والجواب عن الخامس ان الصحة بمعنى عدم الامتناع، فيحكم بها عليه كما يحكم على الأُمور العدمية بالأُمور العدمية إذا تمهد هذا.

فاعلم ان القول بالحشر الجسماني على تقدير عدم القول بامتناع إعادة المعدوم، حيث لم يتم دليل عليه بيّن لا إشكال فيه. وأما على القول به فيمكن أن يقال يكفي في المعاد كونه مأخوذاً من تلك المادة بعينها، أو من تلك الأجزاء بعينها، لا سيما إذا كان شبيهاً بذلك الشخص في الصفات والعوارض بحيث لو رأيته لقلت انه فلان، إذ مدار اللذات والآلام على الروح ولو بواسطة الآلات وهو باق بعينه، ولا تدل النصوص إلا على إعادة ذلك الشخص بمعنى انه يحكم عليه عرفاً انه ذلك الشخص، كما انه يحكم على الماء الواحد إذ أُفرغ في اناءين انه هو الماء الذي كان في إناء واحد عرفاً وشرعاً وان قيل بالهيولى ولا تبتني الاطلاقات الشرعية والعرفية واللغوية على أمثال تلك الدقائق الحكمية والفلسفية، ولذا يقال للشخص من الصبا إلى الشيخوخة انه هو بعينه وإن تبدلت الصور والهيئات، بل كثير من الأعضاء والآلات إذا قطعت يطلق عليه انه ذلك الشخص أيضاً، ولا يقال لمن جنىٰ في الشباب فعوقب في المشيب انها عقوبة الغير الجاني وذلك إما لبقاء الأجزاء الأصلية من البدن كما تقدم، أو لأن العبرة في ذلك بالإدراك وإنما هو للروح ولو بواسطة الآلات. ويرشد إلى ذلك كثير من الآيات والروايات كقوله تعالىٰ : ﴿**أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم**﴾ وقوله تعالىٰ : ﴿**وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون**﴾ وقوله تعالىٰ : ﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب**﴾ ويجمع بينها وبين الآيات الدالة على ان المعاد في الآخرة هو عين هذا الجسم الميت، كقوله تعالىٰ : ﴿**قل يحييها الذي أنشأها أول مرة**﴾ ونحوها.

ويشهد لذلك ما روي مستفيضاً في الاحتجاج وأمالي الشيخ وغيرهما إن ابن أبي

العوجاء سأل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾ ما ذنب الغير، قال ويحك هي هي وهي غيرها، قال فمثّل لي ذلك بشيء من أمر الدنيا، قال نعم أرأيت لو أن رجلاً أخذ لبنة فكسرها ثم ردها في ملبنها فهي هي وهي غيرها .

وفي رواية الأمالي أرأيت لو أن رجلاً عمد إلى لبنة فكسرها ثم صبَّ عليها الماء وجبلها ثم ردها إلى هيئتها الأولى ألم تكن هي هي وهي غيرها، فقال بلى أمتع الله بك فإن الظاهر ان مراده انه يعود شخصه بعينه، وإنما الاختلاف في الصفات والعوارض غير المشخصات، أو أن المادة متحدة وإن اختلفت التشخصات والعوارض ويرشد إلى ذلك ما تقدم من قول الصادق عليه السلام في البدن البرزخي، لو رأيته لقلت هذا فلان، وما ورد من أن أهل الجنة جرد مرد، وما ورد ان المتكبرين يحشرون على صورة الذر، وما ورد في طرق الجمهور انه يحشر بعض الناس على صور تحسن عندها القردة والخنازير، وكون ضرس الكافر مثل جبل أحد تغليظاً للعقوبة ونحو ذلك. فإن تشخص البدن ليس إلا بالنفس ولا يتعين إلا بها ولهذا يكون بدن زيد وأعضاؤه تنسب إليه وتعرف به وتحكم بوحدته، وان تبدل أنواعاً من التبدل فجوهرته واحدة في الدنيا والآخرة، وروحه باق مع تبدل الصور عليه من غير تناسخ باطل كما عرفت، وكلما نشأ من عمله الذي كان يعمله في الدنيا من خير أو شر يعطى قالباً مناسباً لذلك أو يتجسم ذلك العمل والاعتقاد بقالب مناسب لذلك على أحد القولين، من تجسم الأعمال في الآخرة أو خلق أجساد بإزائها تناسبها، فلكل خلق من الأخلاق المذمومة والهيئات الرديئة المتمكنة في النفس صورة كصور أبدان الأسود لخلق التجبر والتهور، وأبدان الثعالب وأمثالها للخبث والروغان، وأبدان القردة وأشباهها للمحاكاة والسخرية، وأبدان الطواويس ونظائرها للعجب، والخنازير للحرص، والديك للشهوة، ونحو ذلك. وكذا بإزاء كل مرتبة قوية أو ضعيفة من خلق ما صوره بدن نوع خاص من الحيوانات، كعظم الجثة لشديد ذلك الخلق وصغرها لضعيفه، هذا والأحوط والأولى التصديق بما تواتر في النصوص وعلم ضرورة من ثبوت الحشر الجسماني وسائر ما ورد فيه من الخصوصيات، وعدم الخوض فيما زاد على ذلك إذ لم نكلف به، وربما أفضى التفكر في دقائق هذه الأُمور وكيفيتها إلى القول بخلاف الواقع ولم نعذر في ذلك، والغرض من التعرض لهذه الدقائق دفع شبه الملحدين والمعاندين والله العالم بحقائق الأمور .

روى القمي في تفسيره بسند كالصحيح عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام : إن

إبراهيم عليه السلام نظر إلى جيفة على ساحل البحر تأكلها سباع البر وسباع البحر، ثم تثب السباع بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، فتعجب إبراهيم فقال : ﴿**رب أرني كيف تحيي الموتى فقال الله له أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهنَّ إليك**﴾[1] . فأخذ إبراهيم الطاوس والديك والحمام والغراب، قال الله تعالى فصرهن أي قطعهن ثم اخلط لحمهن وفرقها على عشرة جبال، ثم خذ مناقيرهن وادعهن يأتينك سعياً، ففعل إبراهيم ذلك وفرقهن على عشرة جبال ثم دعاهن فقال أجبنني بإذن الله تعالى، فكانت تجتمع ويتألف لحم كل واحد وعظمه إلى رأسه وطارت إلى ابراهيم، فعند ذلك قال ابراهيم ان الله عزيز حكيم .

وروى الطبرسي في الاحتجاج عن هشام بن الحكم أنه قال الزنديق للصادق عليه السلام أنىّ للروح بالبعث والبدن قد بلي والأعضاء قد تفرقت، فعضو في بلدة تأكله سباعها، وعضو بأخرى تمزقه هوامها، وعضو قد صار تراباً بني به مع الطين حائط. قال عليه السلام : الذي أنشأه من غير شيء وصوّره على غير مثال كان سبق إليه قادر أن يعيده كما بدأه. قال أوضح لي ذلك. قال: إن الروح مقيمة في مكانها، روح المحسنين في ضياء وفسحة، وروح المسيء في ضيق وظلمة، والبدن يصير تراباً منه خلق وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها مما أكلته ومزقته، كل ذلك في التراب محفوظ عند من لا يغرب عنه مثقال ذرة في ظلمات الأرض ويعلم عدد الأشياء ووزنها، وإن تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب، فإذا كان حين البعث مطرت الأرض فتربو أي تنمو الأرض ثم تمخض مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء والزبد من اللبن إذا مخض، فيجتمع تراب كل قالب فينقل بإذن الله تعالى إلى حيث الروح، فتعود الصور بإذن المصور كهيئتها وتلج الروح فيها، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً. الخبر .

وروى الصدوق في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم .

وعن السجاد عليه السلام قال : عجباً كل العجب لمن أنكر الموت وهو يرى من يموت كل يوم وليلة، والعجب كل العجب لمن أنكر النشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى .

قال بعض العارفين لو سمع عاقل قبل أن يشاهد أن إنساناً حرك نفسه فوق امرأة مراراً كما يحرك الممخض، وخرج من بعض أجزائه شيء مثل زبد سيال، فيخفي ذلك الشيء في

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢٦٠ .

بعض أجزاء المرأة ويبقى مدة على هذه الحالة، ثم يصير علقة، ثم العلقة تصير مضغة، ثم المضغة تصير عظاماً، ثم تكسى العظام لحماً، ثم تحصل منه الحركة فيخرج من موضع لم يعهد خروج شيء منه على حالة لا تهلك أمه ولا يشق عليها ولادته، ثم يفتح عنه ويحصل في ثدي الأم مثل شراب مائع ولم يكن فيها قبل ذلك شيء، ويغتذي به الطفل إلى أن يصير هذا الطفل بالتدريج صاحب صناعات واستنباطات، بل ربما يكون هذا الذي أصله نطفة وهو عند الولادة أضعف خلق الله عن قريب ملكاً جباراً قهاراً يملك أكثر العالم ويتصرف فيه، فإن التعجب من ذلك أكثر وأوفر من التعجب من النشأة الثانية، وإلى ذلك أُشير في القرآن بقوله سبحانه : **﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾**[1] .

---

(١) سورة الواقعة؛ الآية: ٦٢ .

الفصل الثالث

عالم الموت

١ ـ الاقرار بأن كل حي سوى اللّه يموت :

يجب الاقرار بأن كل حي سوى الله يموت، قال الله تعالى : **﴿كل نفس ذائقة الموت﴾** وقال تعالى : **﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام﴾**[١].
وقال تعالى : **﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾** .

والموت مصلحة للمؤمن والكافر كما قال الباقر عليه السلام لأن الله تعالى يقول : **﴿وما عند الله خير للأبرار﴾** ويقول : **﴿ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما﴾**[٢] .

وليس الموت أمراً يعدمنا بل هو الحياة الحقيقية كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : خلقتم للبقاء لا للفناء. وفي حديث آخر : خلقتم للأبد وإنما تنقلون من دار إلى دار. وقال تعالى : **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[٣] .
وقال عليه السلام الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا .

قيل لأمير المؤمنين عليه السلام صف لنا الموت فقال : على الخبير سقطتم، هو أحد أُمور ثلاثة ترد عليه، اما بشارة بنعيم الأبد، وإما بشارة بتعذيب الأبد، وإما تخويف وتهويل لا يدري من أي الفرق هو. أما ولیّنا والمطيع لأمرنا فهو المبشر بنعيم الأبد، وأما عدونا

---

(١) سورة الرحمٰن؛ الآية: ٢٦ .
(٢) سورة آل عمران؛ الآية: ١٧٨ .
(٣) سورة آل عمران؛ الآيتان: ١٦٩ ـ ١٧٠ .

والمخالف لأمرنا فهو المبشر بعذاب الأبد، وأما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً، ثم لن يسويه الله بأعدائنا ويخرجه من النار بشفاعتنا، فاحتملوا وأطيعوا ولا تتكلموا ولا تستصغروا عقوبة الله فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة .

وسئل الحسن بن علي عليه السلام ما الموت الذي جهلوه، فقال : أعظم سرور على المؤمنين إذ نقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، وأعظم ثبور يرد على الكافرين إذ نقلوا عن جنتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفد .

وعن النبي صلى الله عليه وآله : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم .

وعن سيد الشهداء عليه السلام في حديث قال فيه : ما الموت إلا قنطرة يعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب .

وقيل لعلي بن الحسين ما الموت، فقال : للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة، وفك قيود وأغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح وأوطأ المراكب وآنس المنازل. وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل عن منازل أنيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأوحش المنازل وأعظم العذاب .

وقيل لمحمد بن علي الباقر عليه السلام ما الموت، قال : هو النوم الذي يأتيكم كل ليلة إلا أنه طويل مدته لا ينتبه منه إلى يوم القيامة، فمنهم من رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره، ومنهم من رأى في نومه من أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره .

وقيل للصادق عليه السلام صف لنا الموت، فقال : هو للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه فينقطع التعب والألم كله عنه، وللكافر كلذع الأفاعي وكلسع العقارب وأشد .

وقال الكاظم عليه السلام : إن الموت هو المصفاة يصفي المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر ألم يصيبهم وكفارة آخر وزر عليهم، ويصفي الكافرين من حسناتهم فيكون آخر لذة أو نعمة أو رحمة تلحقهم، وهو آخر ثواب حسنة تكون لهم .

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله ما لي لا أُحب الموت، فقال ألك مال،

قال نعم، قال قد قدمته. قال لا. قال فمن ثم لا تحب الموت.

وقيل لأبي ذر رضي الله عنه ما بالنا نكره الموت، فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكرهون أن تنتقلوا عن عمران إلى خراب. فقيل له كيف ترى قدومنا على الله. قال أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه. قيل فكيف حالنا عند الله، قال اعرضوا أعمالكم على الكتاب إن الله عز وجل يقول: **﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾**[1]. قال الرجل فأين رحمة الله قال: **﴿رحمة الله قريب من المحسنين﴾**.

وروى ثقة الإسلام في الكافي عن يعقوب الأحمر في الصحيح قال دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام نعزيه بإسماعيل فترحم عليه ثم قال: إن الله عز وجل نعى إلى نبيه نفسه فقال: **﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾** وقال: **﴿كل نفس ذائقة الموت﴾**. ثم أنشأ عليه السلام يحدث فقال: إنه يموت أهل الأرض حتى لا يبقى أحد، ثم يموت أهل السماء حتى لا يبقى أحد إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرائيل وميكائيل، قال فيجيء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله عز وجل فيقول له من بقي وهو أعلم، فيقول يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرائيل وميكائيل، فيقال قل لجبرائيل وميكائيل فليموتا، فيقول الملائكة عند ذلك يا رب رسوليك وأمينيك، فيقول إني قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت، ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عز وجل، فيقال له من بقي وهو أعلم، فيقول يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش، فيقول قل لحملة العرش فليموتوا، قال ثم يجيء مكتئباً حزيناً لا يرفع طرفه، فيقال له من بقي، فيقول يا رب لم يبق إلا ملك الموت، فيقال له مت يا ملك الموت فيموت، ثم يأخذ الأرض بيمينه والسماوات ويقول أين الذين كانوا يدعون معي شريكاً، أين الذين كانوا يجعلون معي إلهاً آخر.

٢ ـ الاقرار بملك الموت ونزعه للروح:

ينبغي الإقرار بملك الموت ونزعه للروح وأعوانه، والآيات الواردة في ذلك على أقسام:

ففي بعضها نسبة قبض الروح إلى الله تعالى كما في قوله: **﴿الله يتوفى الأنفس حين**

---

(١) سورة الانفطار؛ الآية: ١٤.

موتها والتي لم تمت في منامها﴾[1] . وقوله تعالى : **﴿ولكن اعبدوا الله الذي يتوفاكم﴾** .

وفي بعضها نسبة ذلك إلى الملائكة كقوله تعالى : **﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾**[2] . وقوله تعالى : **﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾** وقوله تعالى : **﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾** وقوله تعالى : **﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾** .

وفي بعضها نسبة ذلك إلى ملك الموت كقوله تعالى : **﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾**[3] . وقد جمع الأكثر بين هذه الآيات بأن لملك الموت أعواناً يتوفون الناس، ثم يتوفاهم ملك الموت من الملائكة، ويتوفاهم الله من ملك الموت. ويشهد لذلك ما رواه الصدوق في الفقيه عن الصادق عليه السلام ، وقد سئل عن الآيات المذكورة فقال عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح، بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجه، فتتوفاهم الملائكة ويتوفاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو ويتوفاهم الله عز وجل من ملك الموت .

وروى الطبرسي في الاحتجاج في خبر الزنديق المدعي للتناقض في القرآن، قال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى : **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾** وقوله **﴿ يتوفاكم ملك الموت﴾**، و **﴿توفته رسلنا﴾**، و **﴿تتوفاهم الملائكة طيبين﴾**، و **﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾**، فهو تبارك وتعالى أجلّ وأعظم من أن يتولى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله لأنهم بأمره يعملون، فاصطفى جل ذكره من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه، وهم الذين قال فيهم : **﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾** فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة، وملك الموت له أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة، يصدرون عن أمره وفعلهم فعله وكل ما يأتونه منسوب إليه، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل الله لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء، ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإن فعل أمنائه فعله كما قال : **﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾** .

---

(١) سورة الزمر؛ الآية: ٤٢ .

(٢) سورة الأنعام؛ الآية: ٦١ .

(٣) سورة السجدة؛ الآية: ١١ .

وفي رواية التوحيد عنه عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى يدبر الأُمور كيف يشاء، ويوكل من خلقه من يشاء بما يشاء، أما ملك الموت فإن الله عز وجل يوكله بخاصة من يشاء من خلقه، ويوكل رسله من الملائكة بخاصة من يشاء من خلقه، إنه تعالى يدبر الأُمور كيف يشاء وليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسره لكل الناس، لأن منهم القوي والضعيف، ولأن منه ما يطاق حمله ومنه ما لا يطاق حمله، إلا من يسهل الله له حمله وأعانه عليه من خاصة أوليائه، وإنما يكفيك أن تعلم أن الله المحيي المميت وأنه يتوفى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكة وغيرهم. قال العلامة المجلسي رحمه الله : في هذا الحديث اشعار بأن الأئمة يقبضون بعض الأرواح أو لهم مدخلية في ذلك، وللتقية من المخالفين وضعفاء العقول لم يصرح عليه السلام بذلك. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض الخطب الغير المشهورة : أنا المحيي أنا المميت بإذن الله تعالى، وفيه دلالة أيضاً على أن الإيمان الإجمالي كاف في هذه المواطن والتفحص عن التفاصيل غير لازم .

وروى القمي في تفسيره عن هشام في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسري بي إلى السماء رأيت ملكاً من الملائكة بيده لوح من نور لا يلتفت يميناً ولا شمالاً مقبلاً عليه نفسه كهيئة الحزين، فقلت من هذا يا جبرائيل، فقال هذا ملك الموت مشغول في قبض الأرواح، فقلت أدنني منه يا جبرائيل لأكلمه، فأدناني منه فقلت له يا ملك الموت أكل من مات أو هو ميت فيما بعد أنت تقبض روحه، قال نعم، قلت وتحضرهم بنفسك، قال نعم ما الدنيا كلها عندي فيما سخر الله لي ومكنني منه إلا كدرهم في كف الرجل يقلبه كيف يشاء، وما من دار في الدنيا إلا وأدخلها في كل يوم خمس مرات وأقول إذا بكى أهل البيت على ميتهم لا تبكوا عليه فإن لي بكم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحد .

وفي جامع الأخبار إن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر، قال لا تطيق ذلك، قال بلى، قال فأعرض عني، فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان، فغشي على إبراهيم عليه السلام ثم أفاق فقال لو لم يلق الفاجر عند موته إلا صورة وجهك لكان حسبه .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال : ما من أهل بيت شعر ولا وبر إلا وملك الموت يتفحصهم في كل يوم خمس مرات .

وسئل الباقر عليه السلام عن لحظة ملك الموت فقال عليه السلام : أما رأيت الناس يكونون جلوساً فتعتريهم السكتة، فلا يتكلم أحد منهم، فتلك لحظة ملك الموت حيث يلحظهم .

وسئل الصادق عليه السلام عن ملك الموت يقال الأرض بين يديه كالقصعة يمد يده حيث يشاء منها، قال نعم .

وفي الفقيه عن الصادق عليه السلام قال : قيل لملك الموت كيف تقبض الأرواح في المشرق وبعض في المغرب في ساعة واحدة، فقال أدعوها فتجيبني. قال عليه السلام وقال ملك الموت إن الدنيا بين يدي كالقصعة بين يدي أحدكم يتناول منها ما بشاء. والدنيا عندي كالدرهم في كف أحدكم يقلبه كيف يشاء. وقد اختلف في أن أرواح سائر الحيوانات هل يقبضها ملك الموت أيضاً أم ملك آخر، وحيث لم يرد نص في ذلك فلا ينبغي الخوض فيه ويكفي الاقرار بأن الله هو المحيي والمميت، وأن له ملائكة يقبضون الأرواح. وأما نفي ملك الموت وتأويله بالقوى البدنية والنفوس الفلكية أو العقل الفعال فهو مخالف لكتاب الله وسنة نبيه .

٣ ـ ما يعانيه المؤمن والكافر عند الموت :

ينبغي الإقرار بما تضافرت به الأخبار الصحيحة وتكاثرت به الآثار الصريحة من سكرات الموت وشدائده وكيفياته، وما يعاين المؤمن والكافر عند الموت، وحضور النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام عند الموت وعند الدفن، ولا يجب معرفة كيفية حضورهم عليهم السلام هل هو بالأجساد العنصرية أو المثالية أو بالأرواح أو غير ذلك .

روى الصدوق وغيره في معاني الأخبار وغيره عن الصادق عليه السلام بأسانيد كثيرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو أن مؤمناً أقسم على ربه عز وجل أن لا يميته ما أماته أبداً، ولكن إذا حضر أجله بعث الله عز وجل إليه ريحين، ريحاً يقال لها المنسية، وريحاً يقال لها المسخية، فأما المنسية فإنها تنسيه أهله وماله، وأما المسخية فإنها تسخي نفسه عن الدنيا حتى يختار ما عند الله تبارك وتعالى .

وفي رواية فرات بن إبراهيم سئل الصادق عليه السلام عن المؤمن أيستكره على قبض روحه، قال: لا والله، قلت وكيف ذلك، قال لأنه إذا حضره ملك الموت جزع فيقول له ملك الموت لا تجزع فوالله لأنا أبرّ بك واشفق من والد رحيم، لو حضرك افتح عينيك وانظر، قال ويتهلل له رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والحسن

والحسين، والأئمة من بعدهم والزهراء، قال فينظر إليهم فيستبشر بهم أفما رأيت شخوصه، قلت بلى، قال فإنما ينظر إليهم، قلت جعلت فداك قد يشخص المؤمن والكافر، قال: ويحك إن الكافر يشخص منقلباً إلى خلفه لأن ملك الموت إنما يأتيه ليحمله من خلفه، والمؤمن أمامه وينادي روحه مناد من قبل رب العزة من بطنان العرش فوق الأفق الأعلى ويقول : **﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾**(١) . فيقول ملك الموت إني قد أُمرت أن أُخيّرك بين الرجوع إلى الدنيا والمضي فليس شيء أحب إليه من سلال روحه .

وروى البرقي في المحاسن بإسناد معتبر عن عقبة والمعلى بن خنيس عن الصادق عليه السلام قال : لن تموت نفس أبداً حتى ترى رسول الله وعلياً، قلت فإذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدنيا، قال لا بل يمضي أمامه، فقلت له يقولان شيئاً جعلت فداك، فقال نعم يدخلان جميعاً على المؤمن فيجلس رسول الله عند رأسه وعلي عند رجليه، فيكب عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول يا ولي الله أبشر أنا رسول الله إني خير لك مما تترك من الدنيا، ثم ينهض رسول الله صلى الله عليه وآله فيقوم عليه علي عليه السلام حتى يكب عليه، فيقول يا ولي الله أبشر أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبني أما لأنفعك، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام أما إن هذا في كتاب الله عز وجل، قلت أين هذا جعلت فداك من كتاب الله. قال في سورة يونس قول الله تبارك وتعالى هٰهنا : **﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾**(٢) .

وفي الكافي عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال : إذا حيل بينه أي بين المحتضر وبين الكلام أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله ومن شاء الله، فجلس رسول الله عن يمينه والآخر يعني علياً عن يساره، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله أما ما كنت ترجو فهو ذا أمامك، وأما ما كنت تخاف منه فقد أمنته، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول هذا منزلك في الجنة وإن شئت رددتك إلى الدنيا فيها ذهب وفضة، فيقول لا حاجة لي في الدنيا، فعند ذلك يبيض لونه ويرشح جبينه وتتقلص شفتاه وينتشر منخراه وتدمع عينه اليسرى، فأي هذه العلامات رأيت فاكتف بها، فإذا خرجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما يعرض عليه وهو في الجسد فيختار الآخرة، فيغسله فيمن يغسله ويقلبه فيمن يقلبه، فإذا ادرج في أكفانه ووضع على

---

(١) سورة الفجر؛ الآية: ٢٩ .

(٢) سورة يونس؛ الآيتان: ٦٣ ـ ٦٤ .

سريره خرجت روحه تمشي بين أيدي القوم قُدماً، وتلقاه أرواح المؤمنين يسلمون عليه ويبشرونه بما أعد الله له جل ثناؤه من النعيم، فإذا وضع في قبره رد إليه الروح إلى وركيه، ثم يسأل عما يعلم فإذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الذي أراه رسول الله ﷺ، فيدخل عليه من نورها وبردها وطيب ريحها. قلت جعلت فداك فأين ضغطة القبر، فقال هيهات ما على المؤمنين فيها شيء، والله إن هذه الأرض لتفتخر على هذه فتقول وطىء على ظهري مؤمن ولم يطأ على ظهرك مؤمن، وتقول له الأرض لقد كنت أحبك وأنت تمشي على ظهري، فأما إذ وليتك فستعلم ما أصنع بك فيفتح له مد بصره .

وفي الكافي أيضاً عن عمار بن مروان قال : حدثني من سمع أبا عبد الله يقول منكم والله يقبل، ولكم والله يغفر، إنه ليس بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى السرور وقرة العين إلا أن تبلغ نفسه هٰهنا، وأومأ بيده إلى حلقه ثم قال إنه إذا كان ذلك واحتضر حضره رسول الله ﷺ وعلي وجبرائيل وملك الموت، فيدنو منه علي فيقول يا رسول الله إن هذا كان يحبنا أهل البيت فأحبه، ويقول رسول الله ﷺ يا جبرائيل إنه كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه، ويقول جبرائيل لملك الموت إن هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه وارفق به، فيدنو منه ملك الموت فيقول يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك، أخذت أمان براءتك، تمسكت بالعروة الكبرى في الحياة الدنيا، قال فيوفقه الله عز وجل، فيقول نعم فيقول وما ذاك، فيقول ولاية علي بن أبي طالب، فيقول صدقت أما الذي كنت تحذره فقد آمنك الله منه، وأما الذي كنت ترجوه فقد أدركته، أبشر بالسلف الصالح مرافقة رسول الله وعلي وفاطمة، ثم يسل نفسه سلاً رفيقاً، ثم ينزل بكفنه من الجنة وحنوطه من الجنة بمسك اذفر، فيكفن بذلك الكفن ويحنط بهذا الحنوط، ثم يكسى حلة صفراء من حلل الجنة، فإذا وضع في قبره فتح الله له باباً من أبواب الجنة يدخل عليه من روحها وريحانها، ثم يفسح له عن أمامه مسيرة شهر وعن يمينه وعن يساره، ثم يقال له نم نومة العروس على فراشها أبشر بروح وريحان وجنة نعيم ورب غير غضبان، ثم يزور آل محمد ﷺ في جنان رضوى فيأكل معهم من طعامهم ويشرب معهم من شرابهم ويتحدث معهم في مجالسهم حتى يقوم قائمنا أهل البيت، فإذا قام قائمنا بعثهم الله فأقبلوا معه يلبون زمراً زمراً، فعند ذلك يرتاب المبطلون ويضمحل المحلون، يعني الذين يهتكون حرمة الأئمة ولا يتابعونهم ويهتكون حرمتهم وقليل ما يكونون، هلكت المحاضير أي الذين يستعجلون في طلب الفرج بقيام القائم عليه السلام، ونجا المقربون بكسر الراء، أي الذين يرون الفرج قريباً ولا يستبطؤونه. أو بفتح الراء من أجل ذلك قال رسول الله ﷺ

لعلي أنت أخي وميعاد ما بيني وبينك وادي السلام. قال وإذا احتضر الكافر حضره رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام وجبرائيل وملك الموت، فيدنو منه علي فيقول يا رسول الله إن هذا كان يبغضنا أهل البيت فابغضه، ويقول رسول الله يا جبرائيل إن هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فابغضه واعنف عليه، فيدنو منه ملك الموت فيقول يا عبد الله أخذت فكاك رهانك أخذت أمان براءتك من النار، تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا، فيقول لا، فيقول أبشر يا عدو الله بسخط الله عز وجل وعذابه والنار اما الذي كنت تحذره فقد نزل بك، ثم يسل نفسه سلاً عنيفاً ثم يوكل بروحه ثلاثمائة شيطان كلهم يبزق في وجهه وينادي بروحه، فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النار فيدخل عليه من فيحها ولهبها.

وعن الباقر عليه السلام عن علي عليه السلام قال: والله لا يبغضني عبد أبداً يموت على بغضي إلا رآني عند موته حيث يكره، ولا يحبني عبد أبداً فيموت على حبي إلا رآني عند موته حيث يحب.

وعن ابن أبي يعفور قال: كان خطاب الجهني خليطاً لنا، وكان شديد النصب لآل محمد ﷺ، وكان يصحب نجدة الحروري، قال فدخلت عليه اعوده للخلطة والتقية فإذا هو مغمى عليه في حد الموت فسمعته يقول مالي ولك يا علي، فأخبرت بذلك أبا عبد الله عليه السلام، فقال أبو عبد الله عليه السلام رآه ورب الكعبة ثلاثاً.

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما معنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون﴾[1] والآيات التي بعدها. قال إن نفس المحتضر إذا بلغت الحلقوم وكان مؤمناً رأى منزله من الجنة، فيقول ردوني إلى الدنيا حتى أخبر أهلها بما أرى، فيقال له ليس إلى ذلك سبيل. وعنه عليه السلام قال: إن المؤمن إذا مات رأى رسول الله ﷺ وعلياً عليه السلام بحضرته.

وفي كشف الغمة وأمالي الشيخ ومناقب ابن شهر آشوب عن الحسين بن عون قال: دخلت على السيد الحميري عائداً في علته التي مات فيها، فوجدته يساق به ووجدت عنده جماعة من جيرانه وكانوا عثمانية، وكان السيد جميل الوجه رحب الجبهة عريض ما بين السالفين، فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل نقطة من المداد، ثم لم تزل تزيد وتنمى حتى طبقت وجهه بسوادها، فاغتم لذلك من حضره من الشيعة، وظهر من الناصبة سرور

---

(١) سورة الواقعة؛ الآية: ٨٣.

وشماتة، فلم يلبث بذلك إلا قليلاً حتى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء، فلم تزل تزيد أيضاً وتنمى حتى أسفر وجهه وأشرق، وافتر السيد ضاحكاً مستبشراً فقال شعراً :

كـذب الـزاعمـون ان عليـاً ... لـن ينجـي محبـه مـن هنـات
قـد وربـي دخلـت جنـة عـدن ... وعفـا لـي الإلـه عـن سيئـات
فـأبشـروا اليـوم أوليـاء علـي ... وتـوالـوا الـوصـي حتـى الممـات
ثـم مـن بعـده تـولـوا بنيـه ... واحـداً بعـد واحـد بـالصفـات

ثم أتبع قوله هذا أشهد أن لا إله إلا الله حقاً حقاً، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ حقاً حقاً، وأشهد أن علياً أمير المؤمنين حقاً حقاً، أشهد أن لا إله إلا الله ثم أغمض عينيه لنفسه، فكأنما كانت روحه ذبالة طفيت أو حصاة سقطت .

وروى القمي في تفسيره عن الصادق عليه السلام قال : ما يموت موال لنا مبغض لأعدائنا إلا ويحضره رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي والحسن والحسين عليهم السلام فيرونه ويبشرونه، وإن كان غير موال يراهم بحيث يسوء، والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لحارث الهمداني :

يـا حـارث همـدان مـن يمـت يـرانـي ... مـن مـؤمـن أو منـافـق قبـلا

وهذا البيت قد رواه الخاصة والعامة والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى .

قال العلامة المجلسي رحمه الله : اعلم أن حضور النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام عند الموت مما قد وردت به الأخبار المستفيضة، وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار، وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخيار. وأما نحو حضورهم وكيفيته فلا يلزم الفحص عنه، بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملاً على ما صدر عنهم. وما يقال من أن هذا خلاف الحس والعقل، أما الأول فلأنا نحضر الموتى إلى قبض روحهم ولا نرى عندهم أحداً، وأما الثاني فلأنه يمكن أن يتفق في آن واحد قبض أرواح آلاف من الناس في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يمكن حضور الجسم في زمان واحد في أمكنة متعددة، فيمكن الجواب عن الأول بوجوه :

الأول : إن الله تعالى قادر على أن يحجبهم عن أبصارنا لضرب من المصلحة كما ورد في أخبار العامة والخاصة في تفسير قوله تعالى : **﴿وجعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون**

بالآخرة حجاباً مستوراً﴾[1]. إن الله تعالى أخفى شخص النبي ﷺ عن أعدائه مع أن أولياءه كانوا يرونه، وإنكار أمثال ذلك يفضي إلى إنكار أكثر معجزات الأنبياء والأوصياء .

الثاني : إنه يمكن أن يكون حضورهم بجسد مثالي لطيف لا يراه غير المحتضر كحضور ملك الموت وأعوانه، وستأتي الأخبار في سائر الموتى أن أرواحهم تتعلق بأجساد مثالية، فأما الحي من الأئمة عليهم السلام فلا يبعد تصرف روحه لقوته في جسد مثالي أيضاً .

الثالث : انه يمكن أن يخلق الله تعالى لكل منهم مثالاً بصورته، وهذه الأمثلة يكلمون الموتى ويبشرونهم عن قبلهم عليهم السلام كما ورد في بعض الأخبار بلفظ التمثيل .

والجواب عن الثاني : إنه إذا قلنا بأن حضورهم في الأجساد المثالية يمكن أن يكون لهم أجساد مثالية كثيرة لما جعل الله لهم من القدرة الكاملة التي بها امتازوا عن سائر البشر. وبالأجوبة السابقة يندفع هذا الايراد أيضاً .

---

(١) سورة الإسراء؛ الآية: ٤٥ .

الفصل الرابع

عالم البرزخ

ينبغي التصديق بعالم البرزخ والقبر وثوابه وعقابه، وبقاء الروح بعد مفارقة البدن وسؤال القبر ومنكر ونكير. والمراد بالبرزخ العالم الذي ما بين الموت والقيامة، وإن الميت إذا أدخل القبر ترد روحه من رأسه إلى ظهره، ويأتيه الملكان ويسألانه، والمسؤولون بعضهم في النعيم وبعضهم في العذاب الجسيم إلى القيامة، والإقرار بضغطة القبر وان السؤال والضغطة بالنسبة إلى هذا البدن، وسائر أمور البرزخ للروح وتوضيح هذا الاجمال وتفصيل هذا المقال يتضح في فوائد :

١ ـ بقاء الروح في العالم البرزخي :

ورد ذلك في آيات متكاثرة وروايات متواترة، قال الله تعالى : **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾**[١]. وقال تعالى : **﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾**[٢]. وقال تعالى : **﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾**[٣].

وقد تظافرت الأخبار من الخاصة والعامة أن الروح بعد مفارقتها البدن تتعلق بأجسام

---

(١) سورة آل عمران؛ الآيات: ١٦٩ ـ ١٧١.

(٢) سورة البقرة؛ الآية: ١٥٤.

(٣) سورة المؤمنون؛ الآيتان: ٩٩ ـ ١٠٠.

لطيفة في غاية اللطافة، كأجسام الملائكة والجن مشابهة للأبدان العنصرية، تتعيش بها وتطير. وروى الشيخ المفيد باسناده عن يونس بن ظبيان قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال : ما تقول الناس في أرواح المؤمنين بعد موتهم. قلت يقولون في حواصل طيور خضر. فقال سبحان الله المؤمن أكرم على الله من ذلك، إذا كان ذلك يعني الاحتضار أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومعهم ملائكة الله عز وجل المقربون، فإن انطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد، وللنبي صلى الله عليه وآله بالنبوة والولاية لأهل البيت، شهد على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين والملائكة المقربون معهم، وإن اعتقل لسانه خص الله نبيه صلى الله عليه وآله بعلم ما في قلبه من ذلك، فشهد به وشهد على شهادة النبي صلى الله عليه وآله علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومن حضر معهم من الملائكة، فإذا قبضه الله إليه صيَّر تلك الروح إلى الجنة في صورة كصورته، فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصور التي كانت في الدنيا .

وروى الصدوق في الأمالي : انه لما اسري بالنبي صلى الله عليه وآله مرَّ على شيخ قاعد تحت شجرة وحوله أطفال، فقال رسول الله من هذا الشيخ يا جبرائيل، قال هذا أبوك إبراهيم عليه السلام . قال فما هؤلاء الأطفال حوله، قال هؤلاء أطفال المؤمنين حوله يغذيهم .

وروى القمي في تفسيره عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال : إن أطفال شيعتنا من المؤمنين تربيهم فاطمة .

وهذه الأخبار الثلاثة يمكن حملها على تجسم الروح ويمكن حملها على الجسد المثالي، ولكن أكثر أخبار الباب ظاهرها الجسد المثالي، ونحوها أخبار أُخرى تقدمت في الكلام في الروح. وقد روي في ارشاد الديلمي والبصائر وغيرهما ان أمير المؤمنين أرى أبا بكر رسول الله صلى الله عليه وآله بعد موته، وأن الحسن أرى بعض أصحابه أمير المؤمنين، وأن النبي صلى الله عليه وآله رأى ابراهيم عليه السلام وجملة من الأنبياء في المعراج، وأن أمير المؤمنين رأى يوشع ابن نون، وأن الصادق عليه السلام رأى الباقر عليه السلام بعد موته. وورد رؤية جماعة من أعدائهم بعد موتهم معذبين ونحو ذلك أخبار كثيرة ذكرناها في رسالتنا تسلية الفؤاد في أحوال الموت والمعاد[1]، وهي يمكن حملها على أحد الوجهين المتقدمين وعلى الأجساد الأصلية فإن الشيخ المفيد وجملة من المتكلمين والمحدثين من الإمامية قد ذهبوا إلى أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام ينقلون بأجسادهم وأرواحهم بعد الموت من الأرض إلى

---

(١) طبع في بيروت سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٣م .

السماء، فيتنعمون في أجسادهم التي كانوا فيها في الدنيا، وحملوا رؤية النبي ﷺ الأنبياء ليلة المعراج على ذلك. ونحو ذلك الأخبار الدالة على مسخ بني أمية بعد الموت وزغاً فإنها تحتمل الأمور الثلاثة، وإن كان احتمال الأجساد الأصلية أظهر فيها .

وروى البرسي في مشارق الأنوار عن الفضل بن شاذان من كتاب صحائف الأبرار أن أمير المؤمنين عليه السلام اضطجع في نجف الكوفة على الحصى فقال قنبر : يا مولاي ألا أفرش لك ثوبي تحتك، فقال : لا إن هي إلا تربة مؤمن أو مزاحمته في مجلسه، فقال الأصبغ : أما تربة مؤمن فقد علمنا أنها كانت أو ستكون، فما معنى مزاحمته في مجلسه، فقال : يا بن نباتة في هذا الظهر أرواح كل مؤمن ومؤمنة في قوالب من نور على منابر من نور .

وروى الحسن بن سليمان في كتاب المختصر عن الأصبغ بن نباتة أن أمير المؤمنين عليه السلام خرج من الكوفة ومرّ حتى أتى الغريين فجازه فلحقناه وهو مستلق على الأرض بجسده ليس تحته ثوب فقال له قنبر : يا أمير المؤمنين ألا أبسط ثوبي تحتك، قال لا هل هي إلا تربة مؤمن أو مزاحمته في مجلسه. قال الأصبغ : تربة مؤمن قد عرفناها كانت أو تكون، فما مزاحمته في مجلسه. فقال : يا ابن نباتة لو كشف لكم لرأيتم أرواح المؤمنين في هذا الظهر حلقاً يتزاورون ويتحدثون، إن في هذا الظهر روح كل مؤمن وبوادي برهوت نسمة كل كافر .

ومن الكتاب المذكور عن الصادق عليه السلام قال : إن أرواح المؤمنين يرون آل محمد في جنان رضوى، فتأكل من طعامهم وتشرب من شرابهم وتحدث معهم في مجالسهم حتى يقوم قائمنا أهل البيت، فإذا قام قائمنا بعثهم الله وأقبلوا معه يلبون زمراً فزمراً، فعند ذلك يرتاب المبطلون ويضمحل المنتحلون وينجو المقربون .

ومن كتاب الشفاء والجلاء عن علي بن الحسين عليه السلام قال : إن المؤمن ليقال لروحه وهو يغسَّل أيسرُّك أن ترد إلى الجسد الذي كنت فيه، فتقول ما أصنع بالبلاء والخسران والغم .

وروى ثقة الإسلام في الكافي عن أبي الحسن عليه السلام قال : إن الأحلام لم تكن فيما مضى في أول الخلق وإنما حدثت، فقلت وما العلة في ذلك، فقال إن الله عز وجل بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته فقالوا إن فعلنا ذلك فما لنا فما أنت بأكثرنا مالاً ولا أعزنا عشيرة، فقال إن أطعتموني أدخلكم الله الجنة وإن عصيتموني

أدخلكم الله النار، فقالوا وما الجنة والنار، فوصف لهم ذلك فقالوا متى نصير إلى ذلك، فقال إذا متم، فقالوا لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً، فأحدث الله عز وجل فيهم الأحلام فأتوه فأخبروه بما رأوا وأنكروا من ذلك، فقال إن الله عز ذكره أراد أن يحتج عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متم وإن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتى تبعث الأبدان .

وروى البرقي في المحاسن في الصحيح عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال : قال لي يا أبا محمد إن الميت منكم على هذا الأمر شهيد، قلت وإن مات على فراشه، قال وإن مات على فراشه حي عند ربه يرزق .

وعن عبد الله بن سليمان عن الباقر عليه السلام قال سألته عن زيارة القبور، قال : إذا كان يوم الجمعة فزرهم فإنه من كان منهم في ضيق وسع عليه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يعلمون بمن أتاهم في كل يوم، فإذا طلعت الشمس كانوا سدى أي مهملين غير معذبين، قلت فيعلمون بمن أتاهم فيفرحون به، قال نعم ويستوحشون له إذا انصرف عنهم .

وروى الكليني في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : إن المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحب ويستر عنه ما يكره، وإن الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستر عنه ما يحب. قال ومنهم من يزور كل جمعة ومنهم من يزور على قدر عمله .

وعن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال : ما من مؤمن ولا كافر إلا وهو يأتي أهله عند زوال الشمس، فإذا رأى أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك، وإذا رأى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة .

وعن اسحق بن عمار عن أبي الحسن عليه السلام الأول قال : سألته عن الميت يزور أهله قال نعم. فقلت في كم يزور. قال : في الجمعة وفي الشهر وفي السنة على قدر منزلته. فقلت : في أي صورة يأتيهم. قال : في صورة طائر لطيف يسقط على جدرهم ويشرف عليهم، فإن رآهم بخير فرح وإن رآهم بشر حزن واغتم. وعنه عليه السلام : انهم يزورون أهلهم على قدر فضائلهم، منهم من يزور في كل يوم، ومنهم من يزور في كل يومين، ومنهم من يزور في كل ثلاثة أيام، وأدناهم منزلة يزور كل جمعة، قال : قلت في أي ساعة. قال عند زوال الشمس، ومثل ذلك. قال قلت في أي صورة. قال : في صورة العصفور أو أصغر من ذلك، يبعث الله عز وجل معه ملكاً فيريه ما يسره ويستر عنه ما يكره،

فيرى ما يسره ويرجع إلى قرة عين .

وعن عبد الرحيم القصير قال قلت له المؤمن يزور أهله. فقال نعم يستأذن ربه فيأذن له، فيبعث معه ملكين فيأتيهم في بعض صور الطير يقع في داره، ينظر إليهم ويسمع كلامهم .

وعن أحمد بن عمر رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له إن أخي ببغداد وأخاف أن يموت بها، قال ما تبالي حيثما مات إنه لا يبقى مؤمن في شرق الأرض وغربها إلا حشر الله روحه إلى وادي السلام، فقلت وأين وادي السلام، قال ظهر الكوفة. أما اني كأني بهم حلق حلق قعود يتحدثون .

وعن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين فقال : في حجرات الجنة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها ويقولون ربنا أقم لنا الساعة وأنجز لنا ما وعدتنا وألحق آخرنا بأولنا. وفي رواية أخرى قال سألته عن أرواح المشركين، فقال في النار يعذبون يقولون ربنا لا تقم لنا الساعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا ولا تلحق آخرنا بأولنا .

وعن الصادق عليه السلام قال : إذا مات الميت اجتمعوا عنده يسألونه عمن مضى وعمن بقي، فإن كان مات ولم يرد عليهم قالوا قد هوى، ويقول بعضهم لبعض دعوه حتى يسكن مما مر عليه من الموت. وعنه عليه السلام قال : إن أرواح الكفار في نار جهنم يعرضون عليها، يقولون ربنا لا تقم لنا الساعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا ولا تلحق آخرنا بأولنا. ونحو هذه الأخبار أخبار كثيرة تدل على بقاء الروح بعد الموت منعمة أو معذبة، ويلهى عنه إن كان من المستضعفين .

٢ ـ سؤال القبر وعذابه :

اعلم أن عذاب البرزخ وثوابه قد انعقد عليه اجماع المسلمين، بل لعله من ضروريات الدين ومنكره كافر، ولم ينكره إلا شرذمة قليلة ممن يدعي الإسلام، وقد انعقد الاجماع على خلافهم سابقاً ولاحقاً، وكذا بقاء النفوس بعد الموت .

قال المحقق الطوسي في التجريد : عذاب القبر واقع لإمكانه وتواتر السمع بوقوعه. وقال العلامة رحمه الله في شرحه : نقل عن ضرار أنه أنكر عذاب القبر والاجماع على خلافه، وقال شارح المقاصد اتفق الاسلاميون على حقية سؤال منكر ونكير في القبر وعذاب الكفار وبعض العصاة فيه، ونسب خلافه إلى بعض المعتزلة .

قال بعض المتأخرين منهم : حكي إنكار ذلك عن ضرار بن عمر، وإنما نسب إلى المعتزلة وهم برآء منه، لمخالطة ضرار إياهم وتبعه قوم من السفهاء من المعاندين للحق، ونحوه قال في المواقف. وقال المحقق الدواني في شرح العقائد العضدية : عذاب القبر للمؤمن والفاسق والكافر حق لقوله تعالى : ﴿**النار يعرضون عليها غدواً وعشياً**﴾ وقوله تعالى : ﴿**ربنا أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين**﴾ ولقوله عليه السلام إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن الجنة، وإن كان من أهل النار فمن النار، فيقال هذا مقعدك حتى نبعثك يوم القيامة. وقوله ﷺ استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه، وقوله ﷺ القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران .

وقال الغزالي في الاحياء : اعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا :

المقام الأول : وهو الأظهر والأصح أن تصدق بأن الحية مثلاً موجودة تلدغ الميت، ولكنا لا نشاهد ذلك فإن تلك العين لا تصلح لمشاهدة تلك الأُمور الملكوتية، وكلما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت، أما ترى أن الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرائيل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون أنه ﷺ يشاهده، فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح الإيمان بالملائكة والوحي عليك أوجب، وإن آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي ﷺ ما لا تشاهده الأمة فكيف لا تجوّز هذا في الميت .

المقام الثاني : أن تتذكر أمر النائم، فإنه يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى يرى في نومه يصيح ويعرق جبينه، وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدرك من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وأنت ترى ظاهره ساكناً ولا ترى في حواليه حية، والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد، وإن كان العذاب ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد .

المقام الثالث : إن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها هو السم، ثم السم ليس هو الألم بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم، فلو حصل ذلك من غير سم فكان ذلك العذاب قد توفر، وقد لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في العادة والصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت، فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود الحيات .

فإن قلت ما الصحيح من هذه المقامات الثلاثة، فاعلم أن من الناس من لم يثبت إلا الثالث، وإنما الحق الذي انكشف لنا من طريق الاستبصار أن كل ذلك في حيز الإمكان،

وإن من ينكر بعض ذلك لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله وعجائب تدبيره منكر من أفعال الله ما لم يأنس به وما لم يألفه وذلك جهل وقصور، بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع الثلاثة هذا هو الحق فصدق به.

ثم قال وسؤال منكر ونكير حق لقوله ﷺ : إذا أقبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير، يقولان ما كنت تقول في هذا الرجل، فإن كان مؤمناً يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ إلى أن قال والأحاديث الظاهرة الدالة على عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين أكثر من أن يحصر بحيث يبلغ قدره المشترك حد التواتر وإن كان كل منها خبر آحاد، واتفق عليه السلف الصالح قبل ظهور المخالف وأنكره مطلقاً ضرار بن عمر وأكثر متأخري المعتزلة، وبعض الروافض متمسكين بأن الميت جماد فلا يعذب وما سبق حجة عليهم، ومن تأمل عجائب الملك والملكوت وغرائب صنعه تعالى لم يستنكف عن قبول أمثال هذا، فإن للنفس نشآت وفي كل نشأة تشاهد صوراً تقتضيها تلك النشأة، فكما أنها تشاهد في المنام أموراً لم تكن تشاهد في اليقظة، فكذا تشاهد في حال انخلاع البدن أُموراً لم تكن تشاهد في الحياة، وإلى هذا يشير من قال الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا .

أقول : إن أراد ببعض الروافض بعض أهل ملته ممن رفض الحق فهو أعرف بمذاهب أصحابه، وإن أراد بهم الفرقة المحقة والطائفة الحقة الذين تمسكوا بالثقلين ورفضوا ما سواهما من البين، وركبوا سفينة نوح التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها هوى فهو عليهم فرية بلا مرية وعلى المفتري ما يستحقه، وكتبهم ومصنفاتهم تشهد بذلك وترشد إلى ما هنالك، وأهل البيت أدرى بما فيه .

٣ ـ بيان أكثر ما يكون منه عذاب القبر :

ثم إنه صرح بعض العامة بأن الصبيان يسألون أيضاً، واختلفوا في الأنبياء فقيل إنهم يسألون وقيل لا لأن السؤال على ما ورد في الحديث عن ربه وعن دينه وعن نبيه، ولا يعقل السؤال عن النبي ﷺ من نفس النبي ﷺ . وفيه ان ذلك لا يدل على عدم السؤال مطلقاً، بل عن النبي ﷺ . ولا يجري ذلك أيضاً في نبي على ملة نبي آخر، والذي يظهر من قواعد العدلية وظواهر النصوص الواردة في الباب أنه إنما يسأل في القبر المكلف الكامل دون الصبي والمجنون بل المستضعف، وأما الأنبياء والأئمة فالأولى عدم التعرض

لذلك نفياً أو إثباتاً لعدم ورود نص صريح فيه، وعدم تعرض أحد من علمائنا السابقين له، وإن كان المفهوم من فحوى الأخبار الدالة على عدم سؤال من لقن، وما دل على أنه يسأل وهو مضغوط، وما دل على رفعة شأنهم العدم .

وروى العامة أيضاً في كتبهم عن أبي امامة الباهلي أن النبي ﷺ قال : إذا مات أحدكم وسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على قبره، وليقل يا فلان ابن فلانة يسمع ولا يجيب، ثم يقول يا فلان ابن فلانة الثانية فيستوي قاعداً، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يقول أرشدنا يرحمك الله، فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إلّه إلا الله وان محمداً عبده ورسوله، وأنك رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ﷺ، وبالقرآن كتاباً، فإن منكر ونكيراً يتأخر كل واحد منهما. فيقول انطلق فما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته، فقال يا رسول الله فإن لم يعرف أمه، قال فلينسبه إلى حواء، وظاهر الحديث أن السؤال لا يكون لدمن يلقن. وقد قال بذلك الشهيد رحمه الله منا .

وقال الصدوق في رسالة العقائد: اعتقادنا في المسائلة في القبر انها حق لا بد منها، فمن أجاب بالصواب فاز بروح وريحان في قبره وبجنة نعيم في الآخرة، ومن لم يأت بالصواب فله نزل من حميم في قبره وتصلية جحيم في الآخرة. وأكثر ما يكون عذاب القبر من النميمة وسوء الخلق والاستخفاف بالبول، وأشد ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين أو شرطة حجام، ويكون ذلك كفارة لما بقي عليه من الذنوب التي تكفرها الهموم والغموم والأمراض وشدة النزع عند الموت، ثم ذكر فعل النبي ﷺ مع فاطمة بنت أسد عند موتها كما يأتي .

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في شرحه: جاءت الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ أن الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن أديانهم، وألفاظ الأخبار بذلك متضافرة، فمنها ان ملكين لله تعالى يقال لهما ناكر ونكير ينزلان على الميت فيسألانه عن ربه ونبيه ودينه وإمامه، فإن أجاب بالحق سلماه إلى ملائكة النعيم، وإن أُرتج عليه سلماه إلى ملائكة العذاب. وقيل في بعض الأخبار إن اسمي الملكين اللذين ينزلان على المؤمن مبشر وبشير، وقيل انه سمي ملكا الكافر ناكراً ونكيراً لأنه ينكر الحق وينكر ما يأتيانه به ويكرهه، وسمي ملكا المؤمن مبشراً وبشيراً لأنهما يبشرانه من الله تعالى بالرضا والثواب المقيم، وإن هذين الإسمين ليسا بلقب لهما وإنهما عبارة عن فعلهما، وهذه أُمور يتقارب بعضها من بعض ولا يستحيل معانيها والله أعلم بحقيقة الأمر فيهما. وقد قلنا فيما سلف إنه إنما

ينزل الملكان على من محض الإيمان محضاً، ومحض الكفر محضاً، ومن سوى هذين فيلهى عنه. وبينا أن الخبر جاء بذلك فمن جهته قلنا فيه ما ذكرناه .

ولا ينزل الملكان إلا على حي، ولا يسألان إلا من يفهم المسألة ويعرف معناها، وهذا يدل على أن الله تعالى يحيي العبد بعد موته للمسائلة، ويديم حياته بنعيم إن كان يستحقه أو بعذاب إن كان يستحقه. والغرض من نزول الملكين ومساءلتهما العبد أن الله تعالى يوكل بالعبد بعد موته ملائكة النعيم وملائكة العذاب، وليس للملائكة طريق إلى ما يستحقه إلا بإعلام الله تعالى ذلك لهم، فالملكان اللذان ينزلان على العبد أحدهما من ملائكة النعيم والآخر من ملائكة العذاب، فإذا هبطا لما وكلا به استفهما حال العبد بالمسألة، فإن أجاب بما يستحق النعيم قام بذلك ملك النعيم وعرج عنه ملك العذاب، وإن ظهرت فيه علامة استحقاق العذاب وكّل به ملك العذاب وعرج عنه ملك النعيم، وقد قيل إن الملائكة الموكلين بالنعيم والعقاب غير الملكين الموكلين بالمسائلة، وإنما يعرف ملائكة النعيم وملائكة العقاب ما يستحقه العبد من جهة ملكي المسائلة فإذا سألا العبد وظهر منه ما يستحق به الجزاء تولى منه ذلك ملائكة الجزاء، وعرجا ملكا المسائلة إلى مكانهما من السماء، وهذا كله جائز ولسنا نقطع بأحد القولين دون صاحبه، إذ الأخبار فيه متكافئة والعادة لنا في معنى ما ذكرناه الوقف والتجويز .

وإنما وكل الله تعالى ملائكة المسائلة وملائكة العذاب والنعيم بالخلق تعبداً لهم بذلك، كما وكّل الكتبة من الملائكة بحفظ أعمال الخلق وكتبها ونسخها ورفعها تعبداً لهم بذلك، وكما تعبد طائفة من الملائكة بحفظ بني آدم، وطائفة منهم بإهلاك الأُمم، وطائفة بحمل العرش، وطائفة بالطواف حول البيت المعمور، وطائفة بالتسبيح، وطائفة بالاستغفار للمؤمن ثم قال وطريق مسائلة الملكين الأموات بعد خروجهم من الدنيا هو السمع وطريق العلم برد الحياة إليهم عند المسائلة هو العقل، إذ لا تصح مسائلة الأموات واستخبار الجمادات، وإنما يحسن الكلام للحي العاقل لما يكلم به وتقريره وإلزامه بما يقدر عليه، مع انه قد جاء في الخبر أن كل مسائل ترد إليه الحياة عند مساءلته ليفهم ما يقال له فالخبر بذلك أكد ما في العقل ولو لم يرد خبر بذلك لكفى حجة العقل فيه .

وقال في موضع آخر من شرح العقائد: الذي ثبت من الحديث في هذا الباب أن الأرواح بعد الأجساد على ضربين، منها ما ينقل إلى الثواب والعقاب، ومنها ما يبطل فلا يشعر بثواب ولا عقاب .

وقد روي عن الصادق عليه السلام ما ذكرناه في هذا المعنى وبيناه فسئل عليه السلام عمن مات في هذه الدار أين تكون روحه، فقال عليه السلام من مات وهو ماحض للإيمان محضاً أو ماحض للكفر محضاً نقلت روحه من هيكله إلى مثله في الصورة وجوزي بأعماله إلى يوم القيامة، فإذا بعث الله من في القبور أنشأ جسمه وردَّ روحه إلى جسده وحشره ليوفيه أعماله فالمؤمن ينتقل من جسده إلى مثل جسده في الصورة فيحل في جنات من جنات الدنيا يتنعم فيها إلى يوم المآب، والكافر تنتقل روحه من جسده إلى مثله بعينه ويجعل في نار فيعذب بها إلى يوم القيامة. وشاهد ذلك في المؤمن قوله تعالى: ﴿**قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي**﴾ الآية. وشاهد ما ذكرناه في الكافر قوله تعالى: ﴿**النار يعرضون عليها غدواً وعشيا**﴾ فأخبر سبحانه أن مؤمناً قال بعد موته وقد أدخل الجنة يا ليت قومي يعلمون، وأخبر أن كافراً يعذب بعد موته غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة يخلد في النار، والضرب الآخر ما يلهى عنه ويعدم نفسه عند فساد جسمه، فلا يشعر بشيء حتى يبعث وهو من لم يمحض الإيمان محضاً ولا الكفر محضاً. وقد بيّن الله تعالى ذلك عند قوله: ﴿**إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما**﴾ فبيَّن أن قوماً عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور، حتى يظن بعضهم ان ذلك كان عشراً. ويظن بعضهم أن ذلك كان يوماً وليس يجوز أن يكون ذلك من وصف من عذب إلى يوم بعثه، لأن من لم يزل منعماً أو معذباً لا يجهل عليه حاله فيما عومل به، ولا يلتبس عليه الأمر في بقائه بعد وفاته.

وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إنما يسأل في قبره من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، فأما ما سوى هذين فإنه يلهى عنه. وقال في الرجعة إنما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، فأما ما سوى هذين فلا رجوع لهم إلى يوم المآب.

٤ ـ إن المنعم والمعذب في القبر هو الروح:

وقد اختلف أصحابنا فيمن ينعم ويعذب بعد موته، فقال بعضهم المنعم والمعذب هو الروح التي توجه إليها الأمر والنهي والتكليف وسموها جوهراً، وقال آخرون بل الروح الحياة جعلت في جسد كجسده في دار الدنيا. وكلا الأمرين يجوزان في العقل، والأظهر عندي قول من قال إنها الجوهر المخاطب وهو الذي تسميه الفلاسفة البسيط. وقد جاء في الحديث أن الأنبياء خاصة والأئمة من بعدهم ينقلون بأجسادهم وأرواحهم من الأرض إلى السماء، فيتنعمون في أجسادهم التي كانوا فيها عند مقامهم في الدنيا، وهذا خاص بحجج

الله دون من سواهم من الناس .

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي من بُعد أبلغته، وقال ﷺ : من صلى علي مرة صليت عليه عشراً ومن صلى علي عشراً صليت عليه مائة، فليكثر امرؤ منكم الصلاة علي أو فليقل آمين. فبيّن أنه ﷺ بعد خروجه من الدنيا يسمع الصلوات عليه ولا يكون كذلك إلا وهو حي عند الله تعالى، وكذلك أئمة الهدى عليهم السلام يسمعون سلام المسلم عليهم من قرب ويبلغهم من بُعد. وبذلك جاءت الآثار الصادقة عنهم عليهم السلام وقد قال الله تعالى : ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء**﴾ الآية .

وروي عن النبي ﷺ أنه وقف على قليب بدر فقال للمشركين الذين قتلوا يومئذ وقد أُلقوا في القليب لقد كنتم جيران سوء لرسول الله ﷺ، أخرجتموه من منزله وطردتموه ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فقال له عمر يا رسول الله ما خطابك لهام قد صديت فقال له يا بن الخطاب فوالله ما أنت بأسمع منهم، وما بينهم وبين أن تأخذهم الملائكة بمقامع من حديد إلا أن أعرض بوجهي هكذا عنهم .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام انه ركب بعد انفصال الأمر من حرب البصرة فصار يتخلل الصفوف حتى مر على كعب بن سور، وكان هذا قاضي البصرة ولاه إياها عمر بن الخطاب، فأقام بها قاضياً بين أهلها زمان عمر وعثمان، فلما وقعت الفتنة بالبصرة علق في عنقه مصحفاً وخرج بأهله وولده يقاتل أمير المؤمنين عليه السلام فقتلوا بأجمعهم، فوقف أمير المؤمنين عليه السلام عليه وهو صريع بين القتلى، فقال أجلسوا كعب بن سور فأجلس بين نفسين، فقال يا كعب بن سور قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً، ثم قال أضجعوا كعباً وسار قليلاً فمر بطلحة بن عبد الله صريعاً، فقال أجلسوا طلحة فأجلسوه، فقال يا طلحة قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً، ثم قال أضجعوا طلحة فقال له رجل من أصحابه يا أمير المؤمنين ما كلامك لقتيلين لا يسمعان منك، فقال يا رجل فوالله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله ﷺ . وهذا من الأخبار الدالة على أن بعض من يموت ترد إليه روحه لتنعيمه أو لتعذيبه، وليس ذلك بعام في كل من يموت بل هو على ما بيناه. انتهى المقصود من كلام المفيد رحمه الله .

٥ ـ حال المؤمن وحال الكافر في القبر :

وروى الصدوق في الأمالي وغيره عن الصادق عليه السلام قال : من أنكر ثلاثة أشياء

فليس من شيعتنا، المعراج، والمساءلة في القبر، والشفاعة .

وروى الكليني في الكافي وغيره بأسانيد عديدة عن الصادق عليه السلام : انه لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، والآخرون يلهون عنهم .

وفي الصحيح عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام يسأل وهو مضغوط، ولعل المعنى أن الضغطة والسؤال متلازمان، فكل من لا يضغط لا يسأل وبالعكس. ويحتمل أن يكون الغرض إثبات الحالتين فقط .

وعن بشير الدهان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يجيء الملكان منكر ونكير إلى الميت حين يدفن، اصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف، يخطان الأرض بأنيابهما ويطئان في شعورهما، فيسألان الميت من ربك وما دينك. قال فإذا كان مؤمناً قال الله ربي وديني الإسلام، فيقولان له ما تقول في هذا الرجل الذي خرج بين ظهرانيكم، فيقول أعن محمد رسول الله تسألان فيقولان له تشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيقول أشهد أنه رسول الله، فيقولان له نم نومة لا حلم فيها ويفسح له في قبره تسعة أذرع ويفتح له باب إلى الجنة، ويرى مقعده فيها، وإذا كان الرجل كافراً دخلا عليه وأُقيم الشيطان بين يديه عيناه من نحاس، فيقولان له من ربك وما دينك وما تقول في هذا الرجل الذي قد خرج من بين ظهرانيكم، فيقول لا أدري فيخليان بينه وبين الشيطان فيسلط عليه في قبره تسعة وتسعين تنيناً أي أفعى. ولو ان تنيناً واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شجراً أبداً، ويفتح له باب إلى النار ويرى مقعده فيها .

وعن أبي بكر الحضرمي قال، قلت لأبي جعفر عليه السلام : أصلحك الله من المسؤولون في قبورهم، قال: من محض الإيمان ومن محض الكفر، قال قلت: فبقية هذا الخلق، قال: يلهون والله عنهم ما يعبأ بهم، قال قلت وعما يسألون، قال عن الحجة القائمة بين أظهركم فيقال للمؤمن ما تقول في فلان ابن فلان فيقول ذلك إمامي، فيقال له نم أنام الله عينيك ويفتح له باب من الجنة، فما يزال يتحفه من روحها إلى يوم القيامة، ويقال للكافر ما تقول في فلان ابن فلان، فيقول قد سمعت وما أدري من هو، فيقال له لا دريت، قال فيفتح له باب من النار فلا يزال يتحفه من حرها إلى يوم القيامة .

وعن الكاظم عليه السلام قال : يقال للمؤمن في قبره من ربك، فيقول الله، فيقال له ما دينك، فيقول الإسلام، فيقال من نبيك، فيقول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فيقال من إمامك، فيقول

فلان فيقال كيف علمت بذلك، فيقول أمر هداني الله له وثبتني عليه، فيقال له نم نومة لا حلم فيها نومة العروس، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيدخل إليه من روحها وريحانها، فيقول يا رب عجل قيام الساعة لعلّي أرجع إلى أهلي ومالي، ويقال للكافر من ربك فيقول الله، فيقال من نبيك، فيقول محمد، فيقال ما دينك، فيقول الإسلام، فيقال من أين علمت، فيقول سمعت الناس يقولون، فقلت، فيضربانه بمرزبة لو اجتمع عليها الثقلان الانس والجن لم يطيقوها، قال فيذوب كما يذوب الرصاص، ثم يعيدان فيه الروح فيوضع قلبه بين لوحين من نار، فيقول يا رب أخِّر قيام الساعة .

وفي هذا الحديث الشريف دلالة على أن إيمان المخالفين بالله والرسول ظني تقليدي، ولأجل عدم إيمانهم بالأئمة عليهم السلام لم يهدهم الله للرسوخ فيه، وإنما الهداية واليقين مع متابعتهم عليهم السلام كما روي عن كتاب الحسين بن سعيد عن سليمان بن خالد في الصحيح قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يلقى صاحب القبر، فقال إن ملكين يقال لهما منكر ونكير يأتيان صاحب القبر فيسألانه عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيقولان ما تقول في هذا الرجل الذي خرج فيكم، فيقول من هو، فيقولان الذي كان يقول إنه رسول الله صلى الله عليه وآله أحق ذلك، قال فإذا كان من أهل الشك قال ما أدري قد سمعت الناس يقولون فلست أدري أحق ذلك أم كذب، فيضربانه ضربة يسمعها أهل السماوات وأهل الأرض إلا المشركين، وإذا كان متيقناً فإنه لا يفزع فيقول أعن رسول الله صلى الله عليه وآله تسألان فيقولان أتعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيقول أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وآله حقاً جاء بالهدى ودين الحق، قال فيرى مقعده من الجنة ويفسح له في قبره، ثم يقولان له نم نومة ليس فيها حلم في أطيب ما يكون النائم .

وروى الصدوق في الأمالي باسناده عن سليمان بن مقبل عن الكاظم عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال : إذا مات المؤمن شيعه سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا أدخل قبره أتاه منكر ونكير فيقعدانه ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك، فيقول ربي الله ومحمد نبيي والإسلام ديني، فيفسحان له في قبره مد بصره، ويأتيانه بالطعام من الجنة، ويدخلان عليه الروح والريحان وذلك قوله عز وجل : ﴿**فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم**﴾[1] . يعني في الآخرة. ثم قال عليه السلام إذا مات الكافر شيعه سبعون ألفاً من الزبانية إلى قبره، وانه ليناشد حامليه بصوت يسمعه كل شيء إلا الثقلان ويقول لو ان لي كرة

(١) سورة الواقعة؛ الآية: ٨٩ .

فأكون من المؤمنين، ويقول ارجعوني لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت فتجيبه الزبانية كلا إنها كلمة أنت قائلها، ويناديهم ملك لو ردّ لعاد لما نهي عنه، فإذا أدخل قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير في أهول صورة، فيقيمانه ثم يقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك، فيقول لا أدري فيقولان له لا دريت ولا هديت ولا أفلحت، ثم يفتحان له باباً إلى النار وينزلان إليه الحميم من جهنم، وذلك قول الله عز وجل : **﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم﴾**(١) يعني في القبر **﴿وتصلية جحيم﴾**(٢) يعني في الآخرة .

واعلم ان الأخبار الواردة في السؤال قد دلت على انه يسأل عن العقائد الإيمانية لا سيما ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وامامته. وقد روى العامة والخاصة بطرق متواترة ان الميت يسأل في القبر عن ولاية أمير المؤمنين. فروى الكشي عن يونس قال : دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي مات علي بن أبي حمزة، قلت نعم، قال قد دخل النار ففزعت من ذلك، قال اما إنه سئل عن الإمام بعد موسى أبي، فقال لا أعرف إماماً بعده فقيل لا دريت فضرب في قبره ضربة اشتعل قبره ناراً. وفي رواية أخرى انه أُقعد في قبره فسئل عن الأئمة عليهم السلام فأخبر بأسمائهم حتى انتهى إلي، فسئل فوقف فضرب على رأسه ضربة امتلأ قبره ناراً .

وفي بصائر الدرجات عن زر بن حبيش، قال سمعت علياً عليه السلام يقول: إن العبد إذا أُدخل حفرته أتاه ملكان اسمهما منكر ونكير، فأول ما يسألانه عن ربه ثم عن نبيه ثم عن وليه، فإن أجاب نجا وإن عجز عذباه. فقال له رجل: ما لمن عرف ربه ونبيه ولم يعرف وليه، فقال عليه السلام : مذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء : **﴿ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾** ذلك لا سبيل له. وقد قيل للنبي من الولي يا رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: وليكم في هذا الزمان علي ومن بعده وصيه. ولكل زمان عالم يحتج الله به لئلا يكونوا كما قال الضلال قبلهم حين فارقتهم أنبياؤهم : **﴿ربنا لولا ارسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾**(٣). تمام ضلالتهم جهالتهم بالآيات وهم الأوصياء، فأجابهم الله تعالى : **﴿قل تربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى﴾**(٤). وإنما كان تربصهم

---

(١) سورة الواقعة؛ الآية: ٩٣ .

(٢) سورة الواقعة؛ الآية: ٩٤ .

(٣) سورة طه؛ الآية: ١٤٣ .

(٤) سورة طه؛ الآية: ١٣٥ .

ان قالوا نحن في سعة عن معرفة الأوصياء حتى نعرف إماماً فعيرهم الله بذلك، فالأوصياء أصحاب الصراط وقوف عليه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، لأنهم عرفاء الله عرفهم عليهم عند أخذ المواثيق عليهم ووصفهم في كتابه جل وعز : **﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم﴾**[١]، هم الشهداء على أوليائهم والنبي الشهيد عليهم، أخذ لهم مواثيق العباد بالطاعة وأخذ النبي ﷺ عليهم المواثيق بالطاعة، فجرت نبوته عليهم وذلك قول الله : **﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً﴾**[٢] .

وروي عن شاذان بن جبرائيل في كتاب الفضائل وغيره أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد أُم أمير المؤمنين أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام باكياً، فقال له النبي ﷺ ما يبكيك لا أبكى الله عينيك، قال: توفيت والدتي يا رسول الله، قال النبي بل والدتي يا علي فلقد كانت تجوّع أولادها وتشبعني، وتشعث أولادها وتدهنني، والله لقد كانت في دار أبي طالب نخلة فكانت تسابق إليها من الغداة لتلتقط ما يقع منها في الليل ثم تجنيه رضي الله عنها، فإذا خرج بنو عمي ناولتني ذلك، ثم نهض ﷺ فأخذ في جهازها وكفنها بقميصه، وكان في حال تشييع جنازتها يرفع قدماً ويتأنى في رفع الأُخرى وهو حافي القدم، فلما صلى عليها كبر سبعين تكبيرة، ثم لحدها في قبرها بيده الكريمة بعد ان نام في قبرها ولقنها الشهادة، فلما أُهيل عليها التراب وأراد الناس الانصراف جعل رسول الله ﷺ يقول لها ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل ابنك ابنك علي بن أبي طالب، قالوا يا رسول الله فعلت فعلاً ما رأينا مثله قط، مشيت حافي القدم، وكبرت سبعين تكبيرة، ونومك في لحدها، وقميصك عليها، وقولك لها ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل، فقال ﷺ أما التأني في وضع أقدامي ورفعها في حال التشييع للجنازة فلكثرة ازدحام الملائكة، وأما تكبيري سبعين تكبيرة فإنها صلى عليها سبعون صفاً من الملائكة، وأما نومي في لحدها فإني ذكرت في حال حياتها ضغطة القبر فقالت واضعفاه فنمت في لحدها لأجل ذلك حتى كفيتها ذلك وأما تكفيني لها بقميصي فإني ذكرت لها في حياتها القيامة وحشر الناس عراة فقالت واسوأتاه فكفنتها به لتقوم يوم القيامة مستورة، وأما قولي لها ابنك ابنك فإنها لما نزل عليها الملكان وسألاها عن ربها فقالت الله ربي، وقالا من نبيك، قالت محمد نبيي، فقالا من وليك

---

(١) سورة الأعراف؛ الآية: ٤٦ .

(٢) سورة النساء؛ الآيتان: ٤١ ـ ٤٢ .

وإمامك، فاستحيت أن تقول ولدي، فقلت لها قولي ابنك علي بن أبي طالب عليه السلام فأقر الله بذلك عينها .

وفي هذا الحديث الشريف دلالة على أن الميت يسأل عن الإمام عليه السلام قبل زمان إمامته، ويحتمل اختصاصه بمن علم بإمامته أو انه مخصوص بالمقربين أو بفاطمة لإظهار جلالة شأنها كما يشعر به آخر الحديث .

وروى الكليني في الكافي بإسناد معتبر عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن المؤمن إذا أُخرج من بيته شيعته الملائكة إلى قبره، يزدحمون عليه حتى إذا انتهي به إلى قبره قالت له الأرض مرحباً بك وأهلاً، اما والله لقد كنت احب أن يمشي علي مثلك لترين ما أصنع بك، فيوسع له مد بصره ويدخل عليه في قبره ملكا القبر، وهما قعيدا القبر منكر ونكير، فيلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقعدانه ويسألانه فيقولان من ربك، فيقول الله فيقولان ما دينك فيقول الإسلام فيقولان من نبيك، فيقول محمد صلى الله عليه وآله فيقولان ومن إمامك، فيقول فلان. قال فينادي مناد من السماء صدق عبدي افرشوا له في قبره من الجنة، وافتحوا له في قبره باباً إلى الجنة، وألبسوه من ثياب الجنة حتى يأتينا وما عندنا خير له، ثم يقال له نم نومة عروس، نم نومة لا حلم فيها. قال وإن كان كافراً خرجت الملائكة تشيعه إلى قبره، يلعنونه حتى إذا انتهى إلى قبره قالت له الأرض لا مرحباً بك ولا أهلاً، أما والله لقد كنت ابغض أن يمشي علي مثلك لا جرم لترين ما أصنع بك اليوم، فتضيق عليه حتى تلتقي جوانحه، قال ثم يدخل عليه ملكا القبر وهما قعيدا القبر منكر ونكير، قال أبو بصير جعلت فداك يدخلان على المؤمن والكافر في صورة واحدة، فقال لا، قال فيقعدانه ويلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقولان له من ربك فيتلجلج ويقول قد سمعت الناس يقولون، فيقولان له لا دريت ويقولان له ما دينك، فيتلجلج فيقولان له لا دريت، ويقولان من نبيك فيقول قد سمعت الناس يقولون فيقولان له لا دريت، ويسأل عن إمام زمانه، قال وينادي مناد من السماء كذب عبدي افرشوا له في قبره من النار وألبسوه من ثياب النار، وافتحوا له باباً إلى النار حتى يأتينا وما عندنا شر له، فيضربانه بمرزبة ثلاث ضربات ليس منها ضربة إلا يتطاير قبره ناراً، لو ضرب بتلك المرزبة جبال تهامة لكانت رميماً. وقال أبو عبد الله ويسلط الله عليه في قبره الحيات تنهشه نهشاً، والشيطان يغمه غماً، قال ويسمع عذابه من خلق الله إلا الجن والإنس، قال وإنه يسمع خفق نعالهم ونفض أيديهم وهو قول الله عز وجل : **﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله**

الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾[1] .

وفي الكافي عن بشير الدهان عن الصادق عليه السلام قال : إن للقبر كلاماً في كل يوم يقول أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، أنا القبر، أنا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار .

وعن سالم عن الصادق عليه السلام قال : ما من موضع قبر إلا وهو ينطق كل يوم ثلاث مرات أنا بيت التراب، أنا بيت البلى، أنا بيت الدود، قال فإذا دخله عبد مؤمن قال مرحباً وأهلاً أما والله لقد كنت أحبك وأنت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني فسترى ذلك، قال فيفسح له مد البصر فيفتح له باب يرى مقعده من الجنة، قال ويخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئاً أحسن منه، فيقول يا عبد الله ما رأيت شيئاً قط أحسن منك، فيقول أنا رأيك الحسن الذي كنت عليه وعملك الصالح الذي كنت تعمله، قال ثم يأخذ روحه فتوضع في الجنة حيث رأى منزله، ثم يقال له نم قرير العين فلا تزال نفحة من الجنة تصيب جسده يجد لذتها وطيبها حتى يبعث. قال وإذا دخل الكافر قالت لا مرحباً بك ولا أهلاً اما والله لقد كنت أبغضك وأنت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني سترى ذلك فتضم عليه فتجعله رميماً ويعاد كما كان ويفتح له باب إلى النار فيرى مقعده من النار، ثم قال ثم انه يخرج منه رجل أقبح من رأى قط، قال فيقول يا عبد الله من أنت ما رأيت شيئاً أقبح منك، قال فيقول عملك السيِّىء الذي كنت تعمله ورأيك الخبيث، قال ثم يؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النار، ثم لم تزل نفحة من النار تصيب جسده فيجد ألمها وحرها إلى يوم القيامة، ويبعث ويسلط على روحه تسعة وتسعون تنيناً تنهشه ليس فيها تنين ينفخ على وجه الأرض فتنبت شيئاً .

وقد روى العامة على ما في المناقب عن أبي هريرة في قوله تعالى : **﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾** يعني بقوله لا إله إلا الله محمد رسول الله **﴿في الحياة الدنيا﴾** ثم قال **﴿وفي الآخرة﴾**. قال هذا في القبر يدخلان عليه ملكان فظان غليظان، يحفران القبر بأنيابهما وأصواتهما كالرعد القاصف، وأعينهما كالبرق الخاطف. ومع كل واحد منهما مرزبة فيها ثلاثمائة وستون عقدة، في كل عقدة ثلاثمائة وستون حلقة، كوزن حديد الدنيا لو اجتمع عليها أهل السماء والأرض ان يقلوها ما أقلوها، هي في أيديهم اخف من جناح بعوضة، فيدخلان القبر على الميت ويجلسانه في قبره ويسألانه من ربك فيقول المؤمن الله

---

(١) سورة إبراهيم؛ الآية: ٢٧ .

ربي، ثم يقولان فمن نبيك فيقول المؤمن محمد نبيي، فيقولان ما قبلتك فيقول المؤمن الكعبة قبلتي، فيقولان له من إمامك فيقول المؤمن إمامي علي بن أبي طالب عليه السلام، فيقولان له صدقت. ثم قال ويضل الله الظالمين يعني عن ولاية علي في القبر، والله ليسألن عن ولايته على الصراط، والله ليسألن عن ولايته في الحساب. ورووا بالمعنى أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله أن لله ملكين يقال لهما ناكر ونكير، ينزلان على الميت في القبر يسألانه عن ربه ونبيه ودينه وإمامه، فإن أجاب بالصواب سلماه إلى ملائكة النعيم وإن عجز عن الجواب سلماه إلى ملائكة العذاب.

ويستفاد من بعض الأخبار انه يسأل عن بعض الأعمال أيضاً كما روى الكليني في الكافي عن الصادق عليه السلام قال: يسأل الميت في قبره عن خمس، عن صلاته وزكاته وحجه وصيامه وولايته ايانا أهل البيت، فتقول الولاية من جانب القبر للأربع ما دخل فيكن من نقص فعليَّ تمامه. وعنه عليه السلام قال: إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن يساره والبر مطل عليه، قال فيتنحى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة دونكما صاحبكما فإن عجزتما عنه فأنا دونه.

وفي تفسير الإمام العسكري قال علي بن أبي طالب عليه السلام من قوى مسكيناً في دينه ضعيفاً في معرفته على ناصب مخالف فأفحمه لقنه الله يوم يدلى في قبره ان يقول الله ربي ومحمد نبيي وعلي وليي والكعبة قبلتي والقرآن كتابي وعدتي والمؤمنون إخواني والمؤمنات اخواتي، فيقول الله أدليت بالحجة فوجبت لك اعالي درجات الجنة، فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة.

وروى البرقي في المحاسن عن أبي بصير في الصحيح عن أحدهما عليهما السلام قال: إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ست صور، فيهن صورة احسنهن وجهاً وابهاهن هيئة وأطيبهن ريحاً وأنظفهن صورة، قال فتقف صورة عن يمينه، وأُخرى عن يساره، وأُخرى بين يديه، وأُخرى خلفه، وأُخرى عند رجليه، وتقف التي هي احسنهن فوق رأسه، وإن أُتي عن يمينه منعته التي عن يمينه، ثم كذلك إى أن يؤتى من الجهات الست قال فتقول احسنهن صورة ومن انتم جزاكم الله عني خيراً، فتقول التي عن يمين العبد أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه أنا الصيام، وتقول التي خلفه أنا الحج، والعمرة، وتقول التي عند رجليه أنا بر من وصلت من اخوانك، ثم يقلن من أنت فأنت أحسننا وجهاً وأطيبنا ريحاً وأبهانا هيئة فتقول أنا الولاية لآل محمد صلى الله عليه وآله.

وروى الصدوق في الأمالي عن سعيد بن المسيب قال : كان علي بن الحسين يعظ الناس ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في الآخرة بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد رسول الله، وحفظ عنه وكتب. كان يقول أيها الناس اتقوا الله واعلموا انكم إليه ترجعون، فتجد كل نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضراً، وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه ويحك ابن آدم الغافل وليس بمغفول عنه، ابن آدم إن أجلك أسرع شيء إليك قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك ويوشك ان يدركك، كأن قد أوفيت وقبض الملك روحك وصرت إلى منزل وحيد، فرد إليك فيه روحك واقتحم عليـك فيه ملكاك منكر ونكير لمسائلتك وشديد امتحانك ألا إن أول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبده وعن نبيك الذي أرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولاه ثم عن عمرك فيم أفنيته، ومالك من أين اكتسبته، وفيما أتلفته، فخذ حذرك وانظر لنفسك وأعدّ للجواب قبل الامتحان والمسائلة والاختبار، فإن تك مؤمناً تقياً عارفاً بدينك متبعاً للصادقين موالياً لأولياء الله لقَّاك الله حجتك وأنطق لسانك بالصواب، فأحسنت الجواب فبشرت بالجنة والرضوان من الله والخيرات الحسان واستقبلت بالروح والريحان، وإن لم تكن كذلك تلجلج لسانك ودحضت حجتك وعميت عن الجواب، وبشرت بالنار واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل وحميم وتصلية جحيم .

٦ ـ ضغطة القبر :

وأما الكلام في ضغطة القبر فهو كثوابه وعقابه إجماعي كما تقدم، والذي يظهر من الأخبار المعتبرة في الباب ان ضغطة القبر تقع في البدن الأصلي وليست بعامة وإنما هي تابعة للسؤال، فمن لم يسأل لم يضغط، وفي تفسير القمي عند قوله تعالىٰ : **﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾** قال: البرزخ هو أمر بين أمرين، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة، وهو رد من أنكر عذاب القبر والثواب والعقاب قبل يوم القيامة، وهو قول الصادق عليه‌السلام : والله ما أخاف عليكم إلا البرزخ، فأما إذا صار الأمر إلينا فنحن أولىٰ بكم .

وروىٰ الصدوق وغيره عن الصادق عليه‌السلام قال : أتي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فقيل له ان سعد بن معاذ قد مات. فقام رسول الله وقام أصحابه معه، فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب، فلما آن حنط وكفن وحمل على سريره تبعه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله بلا حذاء ولا رداء، ثم كان يأخذ بيمنة السرير مرة ويسرة السرير مرة حتى انتهىٰ به إلى القبر، فنزل رسول

الله حتى لحده وسوىّ اللبن عليه، وجعل يقول ناولوني حجراً ناولوني تراباً رطباً يسد به ما بين اللبن، فلما ان فرغ وحثا التراب عليه وسوىٰ قبره قال رسول الله : اني لأعلم انه سيبلىٰ ويصل البلىٰ إليه، ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه، فلما ان سوى التراب عليه قالت أُم سعد: يا سعد هنيئاً لك الجنة، فقال رسول الله يا أم سعد مه لا تجزمي على ربك فإن سعداً قد أصابته ضمة، قال فرجع رسول الله ورجع الناس فقالوا له يا رسول الله لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، انك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء، فقال صلى الله عليه وآله ان الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء فتأسيت بها. قالوا وكنت تأخذ يمنة السرير مرة ويسرة السرير أُخرىٰ، قال كانت يدي في يد جبرائيل آخذ حيث يأخذ. قالوا أمرت بغسله وصليت على جنازته ولحدته في قبره ثم قلت ان سعداً قد أصابته ضمة، قال فقال صلى الله عليه وآله : نعم انه كان في خلقه مع أهله سوء. وعن بشير النبال عن الصادق عليه السلام قال : خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله قبر سعد فمسحه بيده واختلج بين كتفيه، فقيل له يا رسول الله رأيناك خاطبت سعداً واختلج بين كتفيك وقلت سعد يفعل به هذا، فقال صلى الله عليه وآله انه ليس من مؤمن إلا وله ضمة .

وفي الكافي عن أبي بصير في الموفق عن أحدهما قال : لما ماتت رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله قال رسول الله صلى الله عليه وآله إلحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون وأصحابه، قال وفاطمة عليها السلام على شفير القبر تنحدر دموعها في القبر، ورسول الله يتلقاه بثوبه قائم يدعو، قال: اني لأعرف ضعفها وسألت الله عز وجل ان يجيرها من ضمة القبر .

وفي الصحيح عن يونس قال : سألته يعني الرضا عليه السلام عن المصلوب يعذب عذاب القبر، قال فقال نعم، ان الله عز وجل يأمر الهواء ان يضغطه .

وعن الصادق عليه السلام عن آبائه قال، قال رسول الله : مر عيسىٰ بن مريم بقبر يعذب صاحبه، ثم مر به من قابل فإذا هو ليس يعذب، فقال يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان صاحبه يعذب، ثم مررت به العام فإذا ليس يعذب فأوحىٰ الله عز وجل إليه يا روح الله انه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوىٰ يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه .

وعنه عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع النعم .

وعنه عليه السلام قال : من مات ما بين زوال الشمس يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين أعاذه الله من ضغطة القبر .

وفي رواية البرقي عن الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة رفع عنه عذاب القبر .

وروى القمي في تفسيره بسند كالصحيح عن الصادق عليه السلام قال : ان العبد إذا أدخل قبره أتاه منكر ونكير، إلى أن قال وإذا كان كافراً قال ما أدري فيضرب ضربة يسمعها كل من خلق الله إلا الإنسان، وسلط عليه الشيطان وله عينان من نحاس أو نار كالبرق الخاطف، فيقول له أنا أخوك ويسلط عليه الحيات والعقارب ويظلم عليه قبره، ثم يضغطه ضغطة تختلط أضلاعه عليه أي يدخل بعضها في بعض .

وروي أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام : ان عدو الله إذا ادخل قبره قالا له من ربك ومن نبيك وما دينك، فيقول لا أدري فيقولان له لا دريت ولا هديت فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق الله دابة إلا وتذعر لها ما خلا الثقلان، ثم يفتحان له باباً إلى النار، ثم يقولان له نم بشر حال فهو من الضيق مثل ما فيه القنا من الزجّ، حتى ان دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه، ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها تنهشه حتى يبعثه الله من قبره، وانه ليتمنىٰ قيام الساعة مما هو فيه من الشر .

وروى الكليني في الكافي عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال قال النبي إني كنت انظر إلى الإبل والغنم وأنا أرعاها وليس من نبي إلا وقد رعىٰ الغنم، وكنت انظر إليها قبل النبوة وهي متمكنة في المكينة ما حولها شيء يهيجها حتى تذعر فتطير، فأقول ما هذا وأعجب حتى حدثني جبرائيل ان الكافر يضرب ضربة ما خلق الله شيئاً إلا سمعها ويذعر لها إلا الثقلين، فعلمنا ذلك لضربة الكافر، فنعوذ بالله من عذاب القبر .

وعن الباقر عليه السلام : من أتم ركوعه لم تدخل عليه وحشة القبر .

وعن ابن عباس: ان عذاب القبر يكون أثلاثاً، ثلث من الغيبة، وثلث من النميمة والفتنة، وثلث من عدم الاحتراز من البول .

وعن أمير المؤمنين قال : عذاب القبر يكون من النميمة والبول وعزب الرجل عن أهله .

وعن الصادق عليه السلام : ان عمدة عذاب القبر من البول .

وروى الصدوق في العلل عن صفوان في الصحيح عن أبي عبد الله قال : أُقعد رجل من الاخيار في قبره، فقيل له إنّا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله، فقال لا أطيقها، فلم

يزالوا به حتى انتهوا إلى جلدة واحدة فقالوا ليس منها بد، قال فيم تجلدوني فيها، فقالوا نجلدك لأنك صليت يوماً بغير وضوء، ومررت على ضعيف فلم تنصره، قال فجلدوه جلدة من عذاب الله عز وجل فامتلأ قبره ناراً .

وفي الكافي عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام أيفلت من ضغطة القبر أحد، قال : فقال نعوذ بالله منها ما أقل من يفلت من ضغطة القبر، ان رقية لما قتلها عثمان وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قبرها فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه، وقال للناس اني ذكرت هذه وما لقيت فرققت لها واستوهبتها من ضغطة القبر فوهبها الله له. قال : وان رسول الله خرج في جنازة سعد وقد شيعه سبعون ألف ملك، فرفع رسول الله رأسه إلى السماء ثم قال مثل سعد يضم، قال : قلت جعلت فداك إنا نحدث أنه كان يستخف بالبول، فقال معاذ الله إنما كان من زعارة في خلقه على أهله. قال : فقالت يا أُم سعد هنيئاً لك يا سعد، قال: فقال لها رسول الله يا أُم سعد لا تحتمي على الله.

وعن عمر بن يزيد في الصحيح قال : قلت لأبي عبد الله سمعتك وأنت تقول كل شيعتنا في الجنة على ما كان يفهم، قال صدقتك كلهم والله في الجنة. قال : قلت جعلت فداك ان الذنوب الكثيرة كبائر. قال أما في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي المطاع أو وصي النبي، ولكني والله أتخوف عليكم في البرزخ قلت وما البرزخ. قال : القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة .

واعلم ان الذي يظهر من جملة الأخبار ان المؤمن لا تصيبه ضغطة القبر، كما تقدم من الأخبار الدالة على ان المؤمن يفتح له من قبره باب إلى الجنة يدخل عليه روحها وريحانها، وان الأرض تقول له مرحباً وأهلاً. وكما تقدم في رواية أبي بصير انه قال للصادق عليه السلام جعلت فداك فأين ضغطة القبر، فقال هيهات ما على المؤمنين فيها شيء. ويشكل الجمع حينئذ بين هذه الأخبار والأخبار المتقدمة الدالة على انه لا يفلت من ضغطة القبر أحد، وحمل هذه الأخبار على المؤمن الكامل ينافيه حديث فاطمة بنت أسد، ورقية وسعد بن معاذ، اللهم الا ان يقال بأن المراد بالمؤمن الذي ترتفع الضغطة عنه من يقرب من مرتبة المعصومين، كسليمان وأبي ذر والمقداد وتحمل ضغطة المؤمن على الضغطة الخفيفة كما يشعر بذلك خبر معاذ أو تحمل ضغطة المؤمن على وجه اللطف تنقية من الذنوب ليصفى منها ويدخل الجنة كما في الفصد والحجامة. وإن حصل الألم لكنهما مطلوبان لحسن عاقبتهما، وضغطة الكافر بعكس ذلك، أو يقال ان الضغطة كانت في صدر

الإسلام عموماً لغير المعصومين، ثم ببركاتهم وشفاعتهم ارتفع عن شيعتهم والله العالم بالحال .

بقي الكلام في شيء آخر وهو ان جملة كثيرة من الأخبار السالفة قد دلت على اتصال نعيم القبر وعذابه إلى يوم القيامة، مع أنه قد روىٰ ثقة الإسلام في الكافي بسند حسن كالصحيح عن زرارة قال : قلت لأبي جعفر أرأيت الميت إذا مات لم تجعل معه الجريدة، قال يتجافىٰ عنه العذاب والحساب ما دام العود رطباً، قال والعذاب كله في يوم واحد في ساعة واحدة قدر ما يدخل القبر ويرجع القوم وإنما جعلت السعفتان لذلك فلا يصيبه عذاب ولا حساب بعد جفوفهما. ان شاء الله. ويمكن الجمع بينه وبين الأخبار السابقة بوجوه ثلاثة :

أولها : ان يجعل اتصال العذاب مختصاً بالكافر، كما تضمنه بعض الأخبار المذكورة، والانقطاع بالنسبة إلى المؤمن العاصي .

ثانيها : ان يكون المراد ان عذاب الروح في بدنه الأصلي يوم يرجع إليه يكون في ساعة واحدة.

ثالثها: أن يكون المراد أن ابتداء جميع أنواع العذاب وأقسامه في الساعة الأُولىٰ، فإذا لم يبتدىء فيها تفضّلاً يرتفع العذاب رأساً .

٧ ـ محل الروح والجسم المثالي في عالم البرزخ :

قد تقدمت جملة من الروايات في ذلك منها رواية حبة العرني عن أمير المؤمنين عليه السلام قال في جملتها : ما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا وقيل لروحه الحقي بوادي السلام، وانها لبقعة من جنة عدن .

وعن أحمد بن عمر عن الصادق عليه السلام قال : قلت له ان أخي ببغداد وأخاف ان يموت بها، فقال ما تبالي حيث ما مات أما انه لا يبقىٰ مؤمن في شرق الأرض وغربها إلا حشر الله روحه إلى وادي السلام، فقلت له وأين وادي السلام، قال ظهر الكوفة، أما إني كأني بهم حلق قعود يتحدثون .

وتقدم في جملة من الروايات منها رواية أبي بصير عن الصادق قال : إن الأرواح في صفة الأجساد في شجر في الجنة تعارف وتسأل، فإذا قدمت الروح على الأرواح تقول دعوها فإنها قد أقبلت من هول عظيم، ثم يسألونها ما فعل فلان وما فعل فلان، فإن قالت

لهم تركته حياً ارتجوه، وان قالت لهم قد هلك قالوا قد هوىٰ قد هوىٰ. وبهذا المضمون أخبار كثيرة، وفي رواية أُخرىٰ عنه عليه السلام : ان أرواح المؤمنين في حجرات في الجنة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها، ويقولون ربنا أقم لنا الساعة وأنجز لنا ما وعدتنا وألحق آخرنا بأولنا. وعنه عليه السلام : ان أرواح الكفار في نار جهنم يعرضون عليها، ويقولون ربنا لا تقم لنا الساعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا ولا تلحق آخرنا بأولنا .

وفي الكافي أيضاً بإسناد صحيح عن ضريس الكناسي قال : سألت أبا جعفر عليه السلام ان الناس يذكرون ان فراتنا يخرج من الجنة، فكيف هو وهو يقبل من المغرب ويصب فيه العيون والأودية. قال : فقال أبو جعفر عليه السلام وأنا أسمع ان لله تعالىٰ جنة خلقها الله في المغرب وماء فراتكم هذا يخرج عنها، وإليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كل مساء فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتنعم فيها وتتلاقىٰ وتتعارف، فإذا طلع الفجر هاجت من الجنة فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض ذاهبة وجائية، وتعهد حفرها إذا طلعت الشمس وتتلاقىٰ في الهواء وتتعارف. قال : وان لله ناراً في المشرق خلقها يسكنها أرواح الكفار، ويأكلون من زقومها ويشربون من حميمها ليلهم، فإذا طلع الفجر هاجت إلى واد باليمن يقال له برهوت أشد حراً من نيران الدنيا، كانوا فيه يتلاقون ويتعارفون فإذا كان المساء عادوا إلى النار، فهم كذلك إلى يوم القيامة. قال : قلت أصلحك الله ما حال الموحدين المقرين بنبوة محمد صلى الله عليه وآله من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولايتكم، فقال أما هؤلاء فإنهم في حفرهم لا يخرجون منها، فمن كان منهم له عمل صالح ولم تظهر منه عداوة فإنه يخد له خدّاً إلى الجنة التي خلقها الله في المغرب، فيدخل عليه الروح في حفرته إلى يوم القيامة، فيلقىٰ الله سبحانه بحسناته وسيئاته فإما إلى جنة أو إلى نار، فهؤلاء موقوفون لأمر الله، قال وكذلك يفعل الله بالمستضعفين والبله والأطفال والصبيان وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم، فأما النصاب من أهل القبلة فإنهم يخد لهم خداً إلى النار التي خلقها الله في المشرق، فيدخل عليهم منها اللهب والشرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة، ثم مصيرهم إلى الحميم، ثم في النار يسجرون، ثم قيل لهم أين ما كنتم تدعون من دون الله أين إمامكم الذي اتخذتموه دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً .

وسئل الصادق عليه السلام عن جنة آدم أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة، فقال : كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً .

وروى القمي في تفسيره عند قوله تعالىٰ : **﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾** قال ذلك في جنان الدنيا قبل القيامة، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ : **﴿بكرة وعشيا﴾** فالبكرة والعشي لا تكونان في الآخرة في جنان الخلد وإنما يكون الغدو والعشي في جنان الدنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين وتطلع فيها الشمس والقمر. وفي قوله تعالىٰ : **﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض﴾**[1]. قال فهذا في نار الدنيا قبل القيامة. وأما قوله : **﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها﴾** يعني في جنان الدنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ، يعني غيرمقطوع من نعيم الآخرة في الجنة يكون متصلاً به .

وروي أيضاً أنه قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام : ما تقول في قول الله عز وجل : **﴿النار يعرضون عليها غدوّاً وعشيا﴾**[2]. فقال عليه السلام ما يقول الناس فيها، فقال يقولون انها في نار الخلد وهم لا يعذبون فيما بين ذلك، فقال عليه السلام فهم من السعداء، فقيل له جعلت فداك فكيف هذا. فقال إنما هذا في الدنيا، فأما في نار الخلد فهو قوله : **﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾**[3]. وعنه عليه السلام قال : كان فيما سأل ملك الروم الحسن بن علي ان سأله عن أرواح المؤمنين أين يكونون إذا ماتوا، قال تجتمع عند صخرة بيت المقدس في ليلة الجمعة وهو عرش الله الأدنىٰ منها يبسط الله الأرض وإليها يطويها وإليه المحشر ومنها استوىٰ ربنا إلى السماء والملائكة ثم سأل عن أرواح الكفار أين تجتمع قال تجتمع في وادي حضرموت وراء مدينة اليمن .

وروى الكليني باسانيد عديدة عن أمير المؤمنين والصادق عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله أن شر ماء على وجه الأرض برهوت، وهو الذي بحضرموت الذي فيه أرواح الكفار .

وعن الصادق عليه السلام قال : ان من وراء اليمن وادياً يقال له وادي برهوت، ولا يجاور ذلك الوادي إلا الحيات السود والبوم من الطير، في ذلك الوادي بئر يقال له بلهوت يغدى ويراح إليها بأرواح المشركين يسقون من ماء الصديد .

وفي الموثق عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر قال : جاء أعرابي إلى أبي جعفر فقال من أين جئت يا أعرابي، قال من الأحقاف أحقاف عاد، قال رأيت وادياً مظلماً فيه

---

(١) سورة هود؛ الآية: ١٠٦ .

(٢) سورة غافر؛ الآية: ٤٦ .

(٣) سورة غافر؛ الآية: ٤٦ .

الهام والبوم لا يبصر قعره قال: وتدري ما ذلك الوادي، قال لا والله ما أدري، قال ذلك برهوت فيه نسمة كل كافر .

وروى القمي في تفسيره عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبي فقال يا رسول الله رأيت أمراً عظيماً، فقال وما رأيت، قال كان لي مريض ونعت له ماء من بئر الأحقاف يستشفى به في برهوت، قال فتهيأت ومعي قربة وقدح لآخذ من مائها وأصب في القربة، وإذا شيء قد هبط من جوء السماء كهيأة السلسلة وهو يقول يا هذا اسقني الساعة أموت، فرفعت رأسي ورفعت إليه القدح لأسقيه فإذا رجل في عنقه سلسلة، فلما ذهبت أناوله القدح اجتذب حتى علق بالشمس، ثم أقبلت على الماء أغرف إذ أقبل الثانية وهو يقول العطش العطش يا هذا اسقني الساعة أموت، فرفعت القدح لأسقيه فاجتذب حتى علق بعين الشمس، حتى فعل ذلك الثالثة وشددت قربتي ولم أسقه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ذاك قابيل بن آدم قتل أخاه وهو قول الله عز وجل : **﴿والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾**[1] .

وفي بصائر الدرجات عن عبد الله بن سنان قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحوض فقال لي هو حوض ما بين بصرى إلى صنعاء أتحب ان تراه، قلت نعم جعلت فداك، قال فأخذ بيدي وأخرجني إلى ظهر المدينة ثم ضرب رجله فنظرت إلى نهر يجري لا تدرك حافتاه إلا الموضع الذي فيه قائم فإنه شبيه بالجزيرة فكنت أنا وهو وقوفاً فنظرت إلى نهر يجري جانبه ماء أبيض من الثلج ومن جانبه هذا لبن أبيض من الثلج وفي وسطه خمر أحسن من الياقوت، فما رأيت شيئاً أحسن من تلك الخمر بيـن اللبن والماء فقلت جعلت فداك من أين يخرج هذا ومن أين مجراه فقال هذه العيون التي ذكرها الله في كتابه أنهار في الجنة عين ماء وعين من لبن وعين من خمر تجري في هذا النهر، ورأيت حافتيه عليها شجر فيهن حور معلقات برؤوسهن شعر ما رأيت شيئاً أحسن منهن، وبأيديهن آنية ما رأيت آنية أحسن منها ليست من آنية الدنيا، فدنا من إحداهن فأومأ بيده لتسقيه فنظرت إليها وقد مالت لتغرف من النهر فمال الشجر معها، فاغترفت ثم ناولته فشرب ثم ناولها وأومأ إليها فمالت لتغرف فمالت الشجرة معها، ثم ناولته فناولني فشربت شراباً ما كان ألين منه ولا ألذ منه وكانت رائحته رائحة المسك، فنظرت في الكأس فإذا فيه ثلاثة ألوان من الشراب. فقلت له

(١) سورة الرعد؛ الآية: ١٤ .

جعلت فداك ما رأيت كاليوم قط ولا كنت أرىٰ ان الأمر هكذا فقال لي هذا أقل ما أعد الله لشيعتنا ان المؤمن إذا توفي صارت روحه إلى هذا النهر ورعت في رياضه وشربت من شرابه، وان عدونا إذا توفي صارت روحه إلى وادي برهوت فأخلدت في عذابه وأطعمت من زقومه وأسقيت من حميمه فاستعيذوا بالله من ذلك الوادي .

وروى ابن قولويه في كامل الزيارة عن عبد الله بن بكر الأرجائي قال : صحبت أبا عبد الله عليه‌السلام في طريق مكة من المدينة، فنزلنا منزلاً يقال له عسفان، ثم مررنا بجبل أسود عن يسار الطريق وحش، فقلت له يا ابن رسول الله ما أوحش هذا الجبل ما رأيت في الطريق مثل هذا، فقال لي يا ابن بكر تدري أي جبل هذا، قلت لا ، قال هذا جبل يقال له الكمد وهو على واد من أودية جهنم وفيه قتلة أبي الحسين عليه‌السلام استودعتهم فيه، تجري من تحتهم مياه جهنم من الغسلين والصديد والحميم، وما يخرج من جبّ الحزن وما يخرج من العلق من آثام وما يخرج من طينة الخبال وما يخرج من جهنم وما يخرج من لظىٰ ومن الحطمة، وما يخرج من سقر وما يخرج من الجحيم وما يخرج من الهاوية وما يخرج من السعير. وفي نسخة أُخرىٰ، وما يخرج من جهنم وما يخرج من لظىٰ ومن الحطمة، وما يخرج من سقر وما يخرج من الحميم وما مررت بهذا الجبل في سفري فوقفت به الا رأيتهما يستغيثان، واني لأنظر إلى قتلة أبي فأقول لهما هؤلاء إنما فعلوا ما اسَّستما لم ترحمونا إذا أوليتم وقتلتمونا وحرمتمونا ووثبتم على حقنا واستبددتم بالأمر دوننا، فلا رحم الله من يرحمكما ذُوقا وبال ما قد قدمتما وما الله بظلام للعبيد، فقلت له جعلت فداك أين منتهى هذا الجبل، قال إلى الأرض السادسة، وفيها جهنم على واد من أودية عليه حفظة أكثر من نجوم السماء وقطر المطر وعدد ماء البحار وعدد الثرىٰ قد وكل كل ملك منهم بشيء وهو مقيم عليه لا يفارقه .

وعن أبي بصير قال : كنت عند أبي عبد الله عليه‌السلام فركض برجله الأرض، فإذا بحر فيه سفن من فضة فركب وركبت معه، حتى انتهى إلى موضع فيه خيام من فضة، فدخلها ثم خرج فقال أرأيت الخيمة التي دخلتها أولاً، فقلت نعم، فقال: تلك خيمة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله والأُخرى خيمة أمير المؤمنين عليه‌السلام ، والثالثة خيمة فاطمة، والرابعة خيمة خديجة، والخامسة خيمة الحسن والسادسة خيمة الحسين، والسابعة خيمة علي بن الحسين، والثامنة خيمة ابي، والتاسعة خيمتي، وليس أحد منا يموت إلا وله خيمة يسكن فيها .

وقد ذكرنا في جلاء العيون أخباراً كثيرة في كيفية ولادة فاطمة ومنها عن الصادق قال : دخل على خديجة أربع نسوة سمر طوال كأنهن من نساء بني هاشم، ففزعت منهن لما رأتهن، فقالت احداهن لا تحزني يا خديجة إنّا رسل ربك إليك ونحن اخوتك أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثم اخت موسى بعثنا الله إليك لنلي منك ما يلي النساء من النساء .

وفي البصائر عن الوشا قال : قال لي الرضا عليه السلام بخراسان رأيت رسول الله هاهنا والتزمته. وعن ابان عن الصادق عليه السلام إن أمير المؤمنين عليه السلام لقي أبا بكر فاحتج عليه، ثم قال أما ترضى برسول الله بيني وبينك، قال وكيف لي به، فأخذ بيده وأتى مسجد قبا فإذا رسول الله فيه فقضى على أبي بكر، فرجع أبو بكر مذعوراً فلقي عمر فأخبره فقال تباً لك .

وعن ادريس عن الصادق عليه السلام قال : بينما أنا وأبي متوجهان إلى مكة وأبي قد تقدمني في موضع يقال له ضجنان إذ جاء رجل في عنقه سلسلة يجرها فأقبل علي فقال اسقني، فصاح بي أبي لا تسقه لا سقاه الله، قال وفي طلبه رجل يتبعه فجذب سلسلته جذبة طرحه بها في أسفل درك من النار .

وعن بشير النبال قال : قال الصادق عليه السلام كنت مع أبي بعسفان في واد بها أو بضجنان، فنفرت بغلته فإذا رجل في عنقه سلسلة وطرفها في يد آخر يجره، فقال الرجل لا تسقه لا سقاه الله، فقلت لأبي من هذا، قال هذا معاوية .

وعن سماعة قال : كنت عند أبي الحسن فأطلت الجلوس عنده، فقال أتحب أن ترى أبا عبد الله، فقلت وددت والله، فقال قم وادخل ذلك البيت، فدخلت البيت فإذا أبو عبد الله قاعد .

وعن يحيى بن أم الطويل قال : صحبت علي بن الحسين من المدينة إلى مكة وهو على بغلة وأنا على راحلة، فجزنا وادي ضجنان فإذا نحن برجل أسود في رقبته سلسلة وهو يقول يا علي بن الحسين اسقني، فوضع رأسه على صدره ثم حرك دابته، قال : فالتفت فإذا برجل يجذبه وهو يقول لا تسقه لا سقاه الله . قال فحركت راحلتي ولحقت بعلي بن الحسين فقال لي أي شيء رأيت فأخبرته، فقال ذاك معاوية .

وعن الخثعمي عن أبي إبراهيم قال : خرجت مع أبي إلى بعض أمواله فلما برزنا إلى الصحراء استقبله شيخ أبيض الرأس واللحية فسلم عليه، فنزل إليه ابي واسمعه يقول له

جعلت فداك ثم جلسا فتسائلا طويلاً ثم قام الشيخ وانصرف وودع أبي وقام ينظر في قفاه حتى توارى عنه، فقلت لأبي من هذا الشيخ الذي سمعتك تقول له ما لم تقله لأحد، قال هذا أبي .

وعن عباية الأسدي قال : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وعنده رجل رث الهيئة وأمير المؤمنين مقبل عليه يكلمه، فلما قام الرجل قلت يا أمير المؤمنين من هذا الذي أشغلك عنا، قال هذا وصي موسى، وسيأتي في باب الجنة والنار إن شاء الله .

وعن أبي جعفر انه قال : والله ما خلت الجنة من أرواح المؤمنين منذ خلقها ولا خلت النار من أرواح الكفار والعصاة منذ خلقها الله عز وجل، ويظهر من هذا الخبر ونحوه أن أرواح المؤمنين بعد الموت تكون في جنة الخلد، ومن الأحاديث السابقة انها في جنة الدنيا. والأخبار السابقة أوضح سنداً وأكثر عدداً وأشهر بين الأصحاب وإن أمكن اختصاص ما دل على جنة الخلد ببعض المقربين .

وقال العلامة المجلسي في البحار : اعلم أن الذي ظهر من الآيات الكثيرة والأخبار المستفيضة والبراهين القاطعة هو أنَّ النفس باقية بعد الموت، إما معذبة إن كان ممن محض الكفر، أو منعمة إن كان ممن محض الإيمان، ويلهى عنه إن كان من المستضعفين، وترد إليه الحياة في القبر اما كاملاً أو إلى بعض بدنه، كما مر في بعض الأخبار. ويسأل بعضهم عن بعض العقائد وبعض الأعمال ويثاب ويعاقب بحسب ذلك، وتضغط أجساد بعضهم وإنما السؤال والضغطة في الأجساد الأصلية وقد يرتفعان عن بعض المؤمنين كمن لقن أو مات في ليلة الجمعة أو يومها أو غير ذلك مما مر، ثم تتعلق الروح بالأجساد المثالية اللطيفة الشبيهة بأجسام الجن والملائكة المضاهية في الصورة للأبدان الأصلية بسبق نعتها بها، وبذلك يستقيم جميع ما ورد في ثواب القبر وعذابه واتساع القبر وضيقه، وحركة الروح وطيرانه في الهواء، وزيارته لأهله، ورؤية الأئمة عليهم السلام بأشكالهم ومشاهدة أعدائهم معذبين، وسائر ما ورد في أمثال ذلك. فالمراد بالقبر في أكثر الأخبار ما تكون الروح فيه في عالم البرزخ، وهذا يتم على تجسم الروح وتجرده، ومع ورود الأجساد المثالية في الأخبار المعتبرة المؤيدة بالأخبار المستفيضة التي لا محيص عن القول بها وليس هذا من التناسخ الباطل في شيء، إذ التناسخ لم يتم دليل عقلي على امتناعه إذ أكثرها عليلة مدخولة ولو تمت لا يجري أكثرها فيما نحن فيه، كما لا يخفى على من تدبر

فيها والعمدة في نفيه ضرورة الدين واجماع المسلمين. وظاهر أن هذا غير داخل فيما انعقد الاجماع والضرورة على نفيه، كيف وقد قال به كثير من المسلمين كشيخنا المفيد وغيره من علمائنا المتكلمين والمحدثين، بل لا يبعد القول بتعلق الأرواح بالأجساد المثالية عند النوم أيضاً، كما يشهد به ما يرى في المنام. وقد وقع في الأخبار تشبيه حالة البرزخ وما يجري فيها بحالة الرؤيا وما يشاهد فيها كما مر، بل يمكن أن يكون للنفوس القوية العالية أجساد مثالية كثيرة كأئمتنا حتى لا يحتاج إلى بعض التأويلات والتوجيهات كثيراً في حضورهم عند كل ميت، وسائر ما يأتي في كتاب الإمامة في غرائب أحوالهم من عروجهم إلى السماوات كل ليلة جمعة وغير ذلك.

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في أجوبة المسائل السروية حيث سئل ما قولكم أدام الله تأييدكم في عذاب القبر وكيفيته ومتى يكون وهل ترد الأرواح إلى الأجساد عند التعذيب أم لا، وهل يكون العذاب في القبر أو يكون بين النفختين.

فأجاب: الكلام في عذاب القبر طريقه السمع دون العقل، وقد ورد عن أئمة الهدى عليهم السلام انهم قالوا ليس يعذّب في القبر كل ميت وإنما يعذّب من جملتهم من محض الكفر محضاً، ولا ينعم كل ماض لسبيله، وإنما ينعم منهم من محض الإيمان محضاً، فأما ما سوى هذين الصنفين فإنه يلهى عنهم. وكذلك روي أنه لا يسأل في قبره إلا هذان الصنفان خاصة، فعلى ما جاء به الأثر من ذلك يكون الحكم ما ذكرناه، واما عذاب الكافر في قبره ونعيم المؤمنين فيه، فإن الخبر أيضاً قد ورد بأن الله تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قالبه في الدنيا في جنة من جنانه ينعمه فيها إلى يوم الساعة، فإذا نفخ في الصور أنشأ جسده الذي بلي في التراب وتمزق ثم أعاده إليه وحشره إلى الموقف وأمر به إلى جنة الخلد فلا يزال منعماً ببقاء الله عز وجل، غير أن جسده الذي يعاد فيه لا يكون على تركيبه في الدنيا بل تعدل طباعه وتحسن صورته فلا يهرم مع تعديل الطباع ولا يمسه نصب في الجنة ولا لغوب، والكافر يجعل في قالب كقالبه في الدنيا في محل عذاب يعاقب به ونار يعذب بها حتى الساعة، ثم أنشأ جسده الذي فارقه في القبر ويعاد إليه، ثم يعذب به في الآخرة عذاب الأبد، ويركب أيضاً جسده تركيباً لا يفنى معه. وقد قال الله عز وجل اسمه: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾[1]. وقال في قصة الشهداء: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم

---

(1) سورة غافر؛ الآية: ٤٦.

يرزقون﴾[1]. فدل على أن العذاب والثواب يكون قبل يوم القيامة وبعدها، والخبر وارد بأنه يكون مع فراق الروح الجسد من الدنيا، والروح هاهنا عبارة عن الجوهر الفعال البسيط وليس بعبارة عن الحياة التي يصح معها العلم والقدرة لأن هذه الحياة عرض لا تبقى ولا يصح الإعادة. فهذا ما عول عليه النقل وجاء به الخبر على ما بيناه انتهى.

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ١٦٩.

الفصل الخامس

علامات القيامة ونفخ الصور

١ ـ اشراط الساعة وعلامات القيامة الواقعة قبل نفخ الصور وعمدتها أمور :

أ ـ خروج يأجوج ومأجوج :

خروج يأجوج ومأجوج كما نطق به القرآن المجيد، قال الله تعالى في سورة الكهف : **﴿حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولا، قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدا، قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً، آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً، فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا، قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكّاءَ وكان وعد ربي حقاً﴾**(١) وقال تعالى : **﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾**(٢) .

قال الطبرسي في قوله تعالى إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه. عن الكلبي قيل انهم أرادوا سيفسدون في المستقبل عند خروجهم. وورد في الخبر عن حذيفة قال : سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، قال يأجوج امة ومأجوج امة، كل امة أربع مائة أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح. قلت يا رسول الله صفهم لنا. قال هم ثلاثة أصناف، صنف منهم أمثال الأرز،

---

(١) سورة الكهف؛ الآيات: ٩٣ ـ ٩٨ .

(٢) سورة الأنبياء؛ الآية: ٩٦ .

قلت يا رسول الله وما الأرز. قال شجر بالشام طويل، وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش احدى اذنيه ويلتحف بالأخرى، ولا يمرون بقبيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، من مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية. قال وهب ومقاتل : انهم من ولد يافث بن نوح أي الترك. وقال السدي : الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد وبقيت خارجه. وقال قتادة إن ذي القرنين بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة، وبقيت منهم قبيلة دون السد منهم الترك. وقال كعب هم نادرة من ولد آدم، وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله من ذلك الماء والتراب يأجوج ومأجوج، فهم متصلون بنا من جانب الأب دون الأم وهذا بعيد. ﴿**فما استطاعوا أن يظهروه**﴾ أي يعلوه ويصعدوه، ﴿**وما استطاعوا له نقباً**﴾ أي لم يستطيعوا أن ينقبوا أسفله لكثافته وصلابته، فنفي بذلك كل عيب يكون في السد وقيل إن هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر، وقيل انه وراء رشد وخزران من وراء ناحية ارمينية وأذربيجان. وقيل إن مقدار ارتفاع السد مائتا ذراع وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً. قال ذو القرنين ﴿**هذا رحمة من ربي**﴾، أي هذا السد نعمة من الله لعباده أنعم بها عليهم في رفع شر يأجوج ومأجوج عنهم، ﴿**فإذا جاء وعد ربي**﴾، يعني إذا جاء وقت اشراط الساعة ووقت خروجهم الذي قدره الله تعالى، ﴿**جعله دكاء**﴾ أي جعل السد مستوياً مع الأرض مدكوكاً أو ذا دك، وإنما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجال عن ابن مسعود. وجاء في الحديث انهم يدائبون في حفره نهارهم حتى إذا أمسوا وكادوا لا يبصرون شعاع الشمس قالوا نرجع غداً ونفتحه، ولا يستثنون فيعودون من الغد وقد استوى كما كان، حتى إذا جاء وعد الله قالوا غداً نخرج ونفتح إن شاء الله، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه بالأمس فيخرقونه فيخرجون على الناس، فينشفون المياه وتتحصن الناس في حصونهم منهم، فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع وفيها كهيئة الدماء فيقولون قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفاً في أقفائهم فتدخل في آذانهم فيهلكون بها، فقال النبي ﷺ : والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكراً. وأكثر هذه الخصوصيات لم ترد في الأخبار المعتبرة، فينبغي الإيمان بذلك وبخروجهم إجمالاً، ولا يتفحص عن الخصوصيات.

ب ـ خروج دابة الأرض :

دابة الأرض كما تقدم في الرجعة تفصيل ذلك[1] .

ج ـ طلوع الشمس من المغرب :

قال تعالى : ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنّا منتظرون**﴾[2] . وروى العامة عن النبي ﷺ : إن الآيات ست، طلوع الشمس من مغربها، والدابة، والدجال، والدخان، وخويصة أحدكم أي موته، وأمر العامة يعني القيامة وروى زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله في قوله تعالى : ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها**﴾[3] . قال طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة والدخان .

وروى الكليني والشيخ الطوسي عن الصادق عليه السلام قال : إذا طلعت الشمس من الغرب آمن الناس كلهم في ذلك اليوم : ﴿**فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً**﴾[4] .

وروى القمي في تفسيره عن أبي بصير في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : إذا طلعت الشمس من مغربها فكل من آمن في ذلك اليوم لا ينفعه إيمانه .

د ـ الـدخـان :

الدخان كما تقدم في الأحاديث السابقة وأشير إليه في قوله تعالى : ﴿**يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنّا مؤمنون**﴾[5] . وقد ذكر جملة من المفسرين أن الدخان آية من أشراط الساعة تدخل في مسامع الكفار والمنافقين قبل قيام الساعة، فتدخل أسماعهم حتى ان رؤوسهم تكون كالرأس الحنيذ، ويصيب كل مؤمن منه مثل الزكمة، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص،

---

(١) راجع الفصل الأول من كتاب المعاد باب رواية المفضل بن عمر ص ٣١٩.
(٢) سورة الأنعام؛ الآية: ١٥٨ .
(٣) سورة الأنعام؛ الآية: ١٥٨ .
(٤) سورة الأنعام؛ الآية: ١٥٨ .
(٥) سورة الدخان؛ الآية: ١٠ .

ويمكث ذلك أربعين يوماً عن ابن عباس وابن عمر والحسن والجبائي. وزعم بعضهم أن ذلك إشارة إلى ما نقل ان النبي ﷺ دعا على قومه لما كذبوه فأجدبت الأرض، فأصابت قريشاً المجاعة، وكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السماء كالدخان. وهذا القول ضعيف بعيد عن الصواب، وهذه التفاصيل لم ترد في أخبار أهل البيت عليهم السلام، والوارد فيها مجمل فينبغي الإيمان بذلك اجمالاً. وقد ورد من طرق العامة والخاصة أن هذا الدخان يظهر في الرجعة.

٢ ـ نفخ الصور :

قد ورد في الأخبار المتكاثرة والنصوص المتظافرة من طرق العامة والخاصة، أن الله تعالى خلق إسرافيل وخلق معه صوراً، يعني قرنا له طرفان، أحدهما في المشرق والآخر في المغرب، وهو قابض عليه منتظر لأمر الله تعالى، فإذا أمره نفخ فيه.

وقال سيد الساجدين في الصحيفة : واسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الإذن وحلول الأمر فينبه بالنفخة صرعى رهائن القبور.

وقال تعالى في سورة الكهف : **﴿ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً﴾** وفي سورة طه : **﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا﴾** وفي سورة المؤمنين : **﴿فإذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾** وفي سورة النمل : **﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين﴾** وقال تعالى في سورة يس : **﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾**.

وقد ذكر جملة من المفسرين في قوله تعالى : **﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾** أن المراد النفخة الأولى، يعني إن القيامة تأتيهم بغتة تأخذهم الصيحة وهم يختصمون في أمورهم ويتبايعون في الأسواق. وفي الحديث تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه، حتى تقوم والرجل يرفع لقمته إلى فيه فما تصل إلى فيه، حتى تقوم والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها، حتى تقوم **﴿فلا يستطيعون توصية﴾**، يعني أن الساعة إذا اخذتهم بغتة لم يقدروا على الإيصاء بشيء ولا إلى منازلهم يرجعون من الأسواق. ثم أخبر

سبحانه عن النفخة الثانية وقال : **﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث﴾** وهي القبور **﴿إلى ربهم ينسلون﴾**، أي يخرجون سراعاً. وروى القمي في تفسيره في هذه الآية قال : ذلك في آخر الزمان يصاح فيهم صيحة وهم في أسواقهم يتخاصمون، فيموتون كلهم في مكانهم لا يرجع أحد منهم إلى منزله ولا يوصي بوصية، وذلك قوله تعالى : **﴿فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون﴾** ثم ذكر النفخة الثانية فقال : **﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾** وقال تعالى : في سورة ص **﴿ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق﴾** وقال تعالى : **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾**[1]. وقال تعالى : **﴿ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾**[2]. وقال تعالى : **﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾**[3]. ويستفاد من هذه الآيات والأخبار الآتية أنه ينفخ في الصور نفختان، الأولى نفخة الصعق التي يصعق فيها من في السموات والأرض فيموتون، والثانية نفخة الحشر والقيام لرب العالمين. وزاد بعض المفسرين نفخة ثالثة فقالوا ثلاثة، الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة الحشر. وهو شاذ مخالف للأخبار المعتبرة .

وأوّل بعضهم الصور بأنه جمع صورة، فإن الله تعالى صور الخلق في القبور كما صوَّرهم في أرحام الأمهات، ثم ينفخ فيهم الأرواح كما نفخ وهم في أرحام أمهاتهم، وهو تأويل بعيد فاسد مخالف لظواهر الآيات الكثيرة بل صريحها، إذ لا يتأتى ذلك في النفخة الأولى ويأبى عنه أيضاً توحيد الضمير في قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى، ومخالف للنصوص الصحيحة الصريحة من غير حاجة كما تقدم في كلام سيد الساجدين .

وروى القمي في تفسيره بإسناد معتبر عن ثوير بن أبي فاختة عن علي بن الحسين عليه السلام قال : سئل عن النفختين كم بينهما، قال ما شاء الله قيل له فأخبرني يا بن رسول الله كيف ينفخ فيه، فقال أما النفخة الأولى فإن الله يأمر اسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور، وللصور رأس واحد وطرفان، وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض، قال فإذا رأت الملائكة اسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور، قالوا قد أذن

(١) سورة الزمر؛ الآية: ٦٨ .
(٢) سورة قٓ؛ الآية: ٢٠ .
(٣) سورة قٓ؛ الآية: ٤٢ .

الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء، قال فيهبط اسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة، فإذا رأوا أهل الأرض قالوا أذن الله في موت أهل الأرض. قال فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض، فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات. ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السموات فلا يبقى في السموات ذو روح إلا صعق ومات إلا اسرافيل. قال فيقول الله تعالى يا اسرافيل مت فيموت اسرافيل. فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ثم يأمر السموات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله تعالى: ﴿**يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيرا**﴾ يعني تبسط ﴿**وتبدل الأرض غير الأرض**﴾ يعني بأرض لم يكتسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرة، ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة مستقلاً بعظمته وقدرته أي بلا حامل. قال فعند ذلك ينادي الجبار جل جلاله بصوت جهوري أي عال يسمع اقطار السموات والارضين، لمن الملك اليوم فلا يجيبه مجيب. فعند ذلك يقول الجبار عز وجل مجيباً لنفسه لله الواحد القهار، وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتهم، إني أنا الله لا إلّه إلا أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير، وأنا خلقت خلقي بيدي، وأنا أمتهم بمشيئتي، وأنا أحييهم بقدرتي قال فينفخ الجبار نفخة في الصور يخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السموات، فلا يبقى في السموات أحد إلا حيي وقام كما كان، ويعود حملة العرش ويحضر الجنة والنار، ويحشر الخلائق للحساب. قال فرأيت علي بن الحسين عليه السلام يبكي عند ذلك بكاء شديداً.

وروى القمي في تفسيره عن زيد الترسي في كتابه، عن عبيد بن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إذا أمات الله أهل الأرض لبث كمثل ما خلق الخلق ومثل ما أماتهم وأضعاف ذلك، ثم أمات أهل السماء الدنيا، ثم لبث مثلما خلق الخلق ومثلما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا وأضعاف ذلك، ثم أمات أهل السماء الثانية، ثم لبث مثلما خلق الخلق ومثلما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية وأضعاف ذلك، ثم أمات أهل السماء الثالثة، ثم لبث مثلما خلق الخلق ومثلما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة وأضعاف ذلك، في كل سماء مثل ذلك وأضعاف ذلك، ثم أمات ميكائيل، ثم لبث مثلما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك كله، ثم أمات جبرائيل، ثم لبث مثلما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك كله، ثم أمات اسرافيل، ثم لبث مثلما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك كله، ثم أمات ملك الموت، ثم لبث مثلما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك، ثم يقول الله عز وجل لمن الملك اليوم، فيرد على نفسه لله الواحد القهار، أين الجبارون الذين ادعوا

معي إلهاً، أين المتكبرون ونحوها، ثم يبعث الخلق، قال عبيد بن زرارة إن هذا كائن طولت ذلك، فقال رأيت ما كان هل علمت به، فقلت لا، قال فكذلك هذا .

أقول: ظاهر هذا الخبر ينافي ظواهر الآيات والأخبار الدالة على أن موت أهل السموات بالنفخة دفعة، ويمكن التوفيق بتكلفات بعيدة، إلا أن هذا الخبر لجهالة راويه وهو الترسي لا يصلح لمعارضة ما تقدم، ثم إن ظاهره انعدام الأجسام والأرواح والمخلوقات بالعدم الصرف كما يأتي تفصيله إن شاء الله، وأما ما استبعده بعضهم من أنه لو انعدم جميع الخلائق عدماً صرفاً لكان خطاب لمن الملك خطاباً للمعدوم، وهو سفه ينزه عنه الحكيم ففيه ان ما يصدر من الحكيم العليم لا يخلو عن حكمة وفائدة قطعاً، وخفاء الحكمة لا يدل على عدمها، ولعل الحكمة هنا اللطف للمكلفين من حيث الإخبار به قبل وقوعه، ليكون أدعى لهم إلى ترك الدنيا وعدم الاغترار بملكها ودولاتها، وإلى العلم بتفرد الصانع بالتدبير وغير ذلك من المصالح للمكلفين، على أن من الشائع الذائع بين العرب خطاب التلال والأماكن والمواضع ونحو هذا .

٣ ـ فناء الأشياء وانعدامها قبل يوم القيامة :

لا ريب في موت جميع الأحياء سوى الله تعالى وفي بعثهم في القيامة، وإنما الخلاف في أن ما عدى الحق تعالى من الأجساد والأرواح والجواهر والأعراض هل ينعدم انعداماً بحتاً ثم يعاد، أم الأرواح باقية وما عداها ينعدم، أو أنه لا ينعدم شيء من الأرواح والأجساد بالمرة، بل تتفرق اجزاؤها ويحفظ الله تعالى الأجزاء الأصلية ثم يضمها إليها ويعيدها. وبتقرير آخر هل إعادة الأشياء المفنيات عبارة عن إيجادها بعد اعدامها كما هو أحد القولين، أم تأليف أجزائها بعد تفرقها كما هو القول الآخر، ولكل من القولين أدلة عقلية ونقلية واعتبارات ومؤيدات، والظواهر متعارضة والجزم بأحد الطرفين لا يخلو من إشكال، فينبغي التوقف في ذلك كما عليه العلامة المجلسي رحمه الله وجملة من العامة والخاصة، وأكثر المتكلمين على عدم انعدام الأرواح، وأكثر متكلمي الإمامية على عدم الانعدام بالكلية لا سيما في الأجساد .

قال المحقق الطوسي رحمه الله في التجريد في فناء الأجسام والسمع دل عليه، ويتأول في المكلف بالتفريق كما في قصة ابراهيم إنتهى .

وما دل على الانعدام بالمرة قوي، ولنشر إلى جملة من أدلة الطرفين من السمع،

فمما يدل على الانعدام بالمرة أُمور :

الأول : قوله تعالى : **﴿هو الأول والآخر﴾** أي في الوجود، ولا يتصور ذلك إلا بانعدام ما سواه وليس بعد القيامة وفاتاً، فيكون قبلها، واجيب بأنه يجوز أن يكون المعنى هو مبدأ كل وجود وغاية كل مقصود، أو هو المتوحد في الألوهية أو في صفات الكمال، كما إذا قيل لك هذا أول من زارك أم آخرهم، فتقول هو الأول والآخر، وتريد أنه لا زائر سواه، أو هو الأول والآخر بالنسبة إلى كل حي، بمعنى انه يبقى بعد موت جميع الأحياء، ولو كان المراد انه آخر كل شيء بحسب الزمان لما وقع الاتفاق على أبدية الجنة ومن فيها .

الثاني : قوله تعالى : **﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾** فإن المراد به الانعدام لا الخروج عن كونه منتفعاً به، لأن الشيء بعد التفرق يبقى دليلاً على الصانع، وذلك من أعظم المنافع. وأُجيب بأن المعنى أنه هالك في حد ذاته لكونه ممكناً لا يستحق الوجود إلا بالنظر إلى العلة، أو المراد بالهلاك الموت أو الخروج عن الانتفاع المقصود منه اللائق بحاله، كما يقال هلك الطعام إذا لم يبق صالحاً للأكل .

الثالث : قوله تعالى : **﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده كما بدأنا أول خلق نعيده﴾** والبدأ من العدم، فكذا العود وأيضاً إعادة الخلق بعد ابدائه لا يتصور بدون تخلل العدم، وأجيب بأنا لا نسلم ان المراد بإبداء الخلق الإيجاد والإخراج عن العدم، بل الجمع والتركيب على ما يشعر به قوله تعالى : **﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾** وقوله تعالى : **﴿أولم يروا كيف يبدأ الله الخلق﴾** .

الرابع : قوله تعالى : **﴿كل من عليها فان﴾** والفناء هو العدم واجيب بالمنع بل هو خروج الشيء عن الصفة التي ينتفع بها، كما يقال فني زاد القوم وفني الطعام والشراب، ولذا يستعمل في الموت مثل افناهم الحرب، وقيل معنى الآية كل من على وجه الأرض من الاحياء فهو ميت .

الخامس : ما رواه الشيخان في الكافي والفقيه عن عمار عن الصادق عليه السلام ، انه سئل عن الميت يبلى جسده قال نعم حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها، فإنها لا تبلى بل تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة. وأُجيب بأن الابلاء لا يستلزم العدم، فإن العرب يقولون بلي الثوب بمعنى خلق، فيكون الإبلاء عبارة عن تفرق الاجزاء لا انعدامها. وأورد عليه بأنه يلزم مثله في الطينة مع استثنائها من البلى،

فيكون البلى بمعنى الانعدام ليتم استثناء الطينة وقد أوضحنا معنى هذا الخبر في كتابنا مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار .

السادس : ما رواه الطبرسي رحمه الله في الاحتجاج في حديث الزنديق الذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل، منها أن قال أتتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق. قال بل هو باق إلى وقت يوم ينفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى فلا حس ولا محسوس، ثم أعيدت الأشياء كما بداها مدبرها وذلك أربعمائة سنة بين النفختين .

السابع : قوله عليه السلام في نهج البلاغة : هو المفني لها بعد وجودها، حتى يصير موجودها كمفقودها، وليس فناء الدنيا بعد ابتدائها بأعجب من إنشائها واختراعها إلى أن قال : وانه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه، كما كان قبل ابتدائها، كذلك ويكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات، لا شيء إلا الواحد القهار إلى أن قال : ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها إلى آخره، ومما يدل على القول الآخر النصوص الدالة على كون النشور بالاحياء بعد الموت، والجمع بعد التفرق قوله تعالى : **﴿وإذ قال ابراهيم ربي أرني كيف تحي الموتى﴾** الآية. وقوله تعالى : **﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يُحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما﴾**(١). وقوله تعالى : **﴿وكذلك النشور وكذلك تخرجون وكما بدأكم تعودون﴾** بعدما ذكر بدء الخلق من الطين وعلى وجه يرى ويشاهد مثل : **﴿أولم يروا كيف يبدأ الله الخلق أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف بدأ الخلق﴾** وقوله تعالى : **﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾**(٢). إلى غير ذلك من الآيات الظاهرة في التفريق دون الاعدام .

وما رواه القمي في تفسيره عن الصادق عليه السلام قال : إذا أراد الله أن يبعث الخلق امطر السماء على الأرض أربعين صباحاً، فاجتمعت الوصال ونبتت اللحوم .

وروى الديلمي عن السجاد عليه السلام في حديث قال فيه : ثم يأمر الله السماء أن تمطر

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢٥٩ .

(٢) سورة القارعة؛ الآية: ٤ .

على الأرض أربعين يوماً، حتى يكون الماء فوق كل شيء ذراعاً، فتنبت به أجساد الخلائق كما ينبت البقل، فتتدانى اجزاؤهم التي صارت تراباً الحديث .

وما روي في الاحتجاج في حديث الزنديق انه قال للصادق عليه السلام أنى للروح بالبعث والبدن قد بلي، والاعضاء قد تفرقت، فعضو في بلدة تأكله سباعها، وعضو بأُخرى تمزقه هوامها، وعضو قد صار تراباً بني به مع الطين حائط. فقال عليه السلام : إن الذي أنشأه من غير شيء، وصوره على غير مثال كان سبق إليه، قادر أن يعيده كما بدأ قال أوضح لي ذلك. قال إن الروح مقيمة في مكانها، روح المحسنين في ضياء وفسحة، وروح المسيء في ضيق وظلمة. والبدن يصير تراباً منه خلق، وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها مما أكلته ومزقته كل ذلك في التراب محفوظ، عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الأرض ويعلم عدد الأشياء ووزنها، وإن تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب، فإذا كان حين البعث مطرت الأرض فتربو الأرض، ثم تمخض مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء، والزبد من اللبن إذا مخض، فيجتمع تراب كل قالب فينتقل بإذن الله تعالى إلى حيث الروح، فتعود الصور بإذن المصور كهيئتها وتلج الروح فيها، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً إلى غير ذلك من الأخبار .

وأُجيب بأن هذه الظواهر لا تنفي الانعدام وإن لم تدل عليه، وإنما سيقت لكيفية الإحياء بعد الموت والجمع بعد التفريق، على أنها معارضة بما دل على الإعدام والإفناء، وكما يمكن الجمع بحمل الاعدام والافناء على التفرق، كذا يمكن الجمع بأن الله تعالى يفني العالم بأسره ويعدمه، كما دلت عليه الآيات والأخبار السابقة، ثم يوجد الأرض والسماء ثم يحيي الأموات ويعيد الأشياء بجمع الأجزاء المتفرقة. وبالجملة فلا يمكن الجزم بأحد الجانبين والله العالم بالحال .

٤ ـ بيان سائر ما يقع قبل القيامة :

يجب الإيمان بجميع ما اخبر الله تعالى بوقوعه في القرآن الكريم من مقدمات الحشر، ولا يلتفت إلى تأويل الفلاسفة والملاحدة وشبهاتهم، قال الله تعالى : **﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب﴾**[1]. وقال تعالى : **﴿ويسئلونك عن الجبال فقل**

---

(١) سورة الأنبياء؛ الآية: ١٠٤ .

ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا﴾[1]. وقال تعالى: **﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾**[2]. وقال تعالى: **﴿إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة إذا رجت الأرض رجاً وبست الجبال بسّاً فكانت هباء منبثاً﴾**[3]. وقال تعالى: **﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾**[4]. وقال الله تعالى: **﴿يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن﴾**[5]. وقال تعالى: **﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلا﴾**[6]. وقال تعالى: **﴿فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾**[7]. وقال تعالى: **﴿فإذا النجوم طمست وإذا السماء فرجت وإذا الجبال نسفت﴾**[8]. وقال تعالى: **﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً وفتحت السماء فكانت أبواباً وسيرت الجبال فكانت سرابا﴾**[9]. وقال تعالى: **﴿إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت﴾**[10]. وقال تعالى: **﴿إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت وإذا القبور بعثرت﴾**[11]. وقال تعالى: **﴿إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت﴾**[12]. وقال تعالى: **﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها﴾**[13].

وروى القمي في تفسيره باسناد معتبر عن عمرو بن شبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول ابتداء منه إن الله إذا بدا له أن يبين خلقه ويجمعهم لما لا بد منه، أمر منادياً

---

(١) سورة طه؛ الآية: ١٠٥ .
(٢) سورة الرحمٰن؛ الآية: ٣٧ .
(٣) سورة القارعة؛ الآيات: ١ ـ ٦ .
(٤) سورة الحاقة؛ الآية: ١٤ .
(٥) سورة المعارج؛ الآية: ٨ .
(٦) سورة المزمّل؛ الآية: ١٤ .
(٧) سورة القيامة؛ الآية: ١٠
(٨) سورة المرسلات؛ الآية: ٩ .
(٩) سورة النبأ؛ الآية: ١٨ .
(١٠) سورة التكوير؛ الآيات: ١ ـ ٦.
(١١) سورة الانفطار؛ الآيات: ١ ـ ٤.
(١٢) سورة الانشقاق؛ الآيات: ١ ـ ٤.
(١٣) سورة الزلزلة؛ الآيتان: ١ ـ ٢.

فينادي فاجتمع الإنس والجن في أسرع من طرفة العين، ثم أذن للسماء الدنيا فنزلت وكان من وراء الناس، وأذن للسماء الثانية فنزلت وهي ضعف التي يليها، حتى ينزل كل سماء يكون كل واحدة من وراء الأخرى وهي ضعف التي يليها قال ثم يأمر الله منادياً ينادي : **﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾**[1]. قال وبكى عليه السلام حتى إذا سكت قلت جعلني الله فداك يا أبا جعفر أين رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام وشيعته، فقال أبو جعفر عليه السلام رسول الله وعلي وشيعته على كثبان من المسك والأذفر، على منابر من نور، يحزن الناس ولا يحزنون، ويفزع الناس ولا يفزعون، ثم تلا عليه السلام هذه الآية : **﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون﴾** فالحسنة والله ولاية أمير المؤمنين .

وروى مسعدة بن صدقة عن كليب قال : كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فأنشأ يحدثنا فقال : إذا كان يوم القيامة جمع الله العباد في صعيد واحد، وذلك أنه يوحي إلى سماء الدنيا أن اهبطي بمن فيك، فيهبط أهل السماء الدنيا على من في الأرض من الجن والإنس والملائكة، ثم يهبط أهل السماء الثانية بمثل الجميع مرتين، فلا يزالون كذلك حتى يهبط أهل سبع سموات، فيصير الجن والإنس في سبع سرادقات من الملائكة، ثم ينادي مناد يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات الآية، فينظرون فإذا قد أحاط بهم سبعة أطواق من الملائكة .

٥ ـ حشر الوحوش والجن والشياطين :

قال الله تعالى : **﴿وإذا الوحوش حشرت﴾** وقال تعالى : **﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾**[2]. والمشهور بين المفسرين أن المراد بالحشر في الآيتين الحشر في القيامة. قال أمين الدين الطبرسي رحمه الله **﴿إذا الوحوش حشرت﴾**، أي جمعت حتى يقتص لبعضها من بعض، فيقتص للجماء من القرناء، يحشر الله سبحانه الوحوش ليوصل إليها ما تستحقه من الأعواض على الآلام التي نالتها في الدنيا، وينتصف لبعضها من بعض، فإذا وصل إليها ما استحقته من الاعواض. فمن قال إن العوض دائم، قال تبقى منعمة إلى الأبد، ومن قال باستحقاقها العوض منقطعاً، فقال بعضهم يديمه الله لها تفضلاً لئلا يدخل على المعوض

---

(١) سورة الرحمٰن؛ الآية: ٣٣ .

(٢) سورة الأنعام؛ الآية: ٣٨ .

غم بانقطاعه، وقال بعضهم إذا فعل الله بها ما استحقته من الأعواض جعلها تراباً .

وقيل في تفسير الآية الثانية، أي يحشرون إلى الله بعد موتهم يوم القيامة كما يحشر العباد، فيعوض الله ما يستحق العوض منها، وينتصف لبعضها من بعض، وهذا هو المشهور بين المتكلمين من الخاصة والعامة أن الوحوش تحشر .

وعن عبد الله بن عمر قال : إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحوش، ثم يجعل القصاص بين الدواب حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء التي نطحتها. وقال مجاهد : يقاد يوم القيامة للمنطوحة من الناطحة. وقال مقاتل : إن الله يجمع الوحوش والهوام والطير وكل شيء غير الثقلين، فيقول من ربكم، فيقولون الرحمٰن الرحيم، فيقول لهم الرب بعد ما يقضي بينهم حتى يقتص للجماء من القرناء، إنا خلقناكم وسخرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين أيام حياتكم فارجعوا إلى الذي كنتم، كونوا تراباً فيكونون تراباً، فإذا التفت الكافر إلى شيء صار تراباً يتمنىٰ، فيقول يا ليتني كنت في الدنيا على صورة خنزير رزقي كرزقه، وكنت اليوم أي في الآخرة تراباً .

وقال الرازي في تفسير الآية الأولىٰ : قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص. وقالت المعتزلة ان الله يحشر الحيوانات كلها في ذلك اليوم ليعوّضها على آلامها التي وصلت إليها في الدنيا بالموت والقتل وغير ذلك، فإذا عوضت عن تلك الآلام فإن شاء الله ان يبقي بعضها في الجنة إذا كان مستحسناً فعل، وإن شاء أن يفنيه أفناه على ما جاء به الخبر. وأما أصحابنا فعندهم أنه لا يجب على الله شيء بحكم الاستحقاق، ولكنه تعالىٰ يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء ، ثم يقال لها موتي فتموت. انتهىٰ .

وروى الجمهور عن أبي ذر قال : بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ انتطحت عنزان، فقال النبي أتدرون فيم انتطحا، فقالوا لا ندري، فقال ﷺ لكن الله يدري وسيقضي بينهما .

وروى الكليني والبرقي في المحاسن أن أمير المؤمنين عليه السلام صعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : أيها الناس إن الذنوب ثلاثة، ثم أمسك. فقال له حبة العرني : يا أمير المؤمنين فسرها لي. فقال: ما ذكرتها إلا وأنا أريد أن أفسرها ولكنه عرض لي بهر حال بيني وبين الكلام، نعم الذنوب ثلاثة فذنب مغفور، وذنب غير مغفور، وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه. قيل يا أمير المؤمنين فبيِّنها لنا، قال: نعم، أما الذنب المغفور فعبد

عاقبه الله تعالىٰ على ذنبه في الدنيا، فالله أحكم وأكرم ان يعاقب عبده مرتين، وأما الذنب الذي لا يغفر فظلم العباد بعضهم لبعض، إن الله تبارك وتعالىٰ إذا برز لخلقه أقسم قسماً على نفسه، فقال وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كف بكف، ولو مسحة بكف، أي ضربة كف بكف ومسحة كف بكف، أو بجسد بحيث يشتمل على إهانة أو إيذاء أو تحقير أو تلذذ وشهوة ونطحة ما بين الشاة القرناء إلى الشاة الجماء، فيقتص الله للعباد بعضهم من بعض، حتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة، ثم يبعثهم الله إلى الحساب. وأما الذنب الثالث فذنب ستره الله على عبده ورزقه التوبة، فأصبح خاشعاً من ذنبه راجياً لربه، فنحن له كما هو لنفسه نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب .

الظاهر أن هذه الأقسام من الذنوب بالنسبة إلى المؤمنين، إذ الكفار يعاقبون في الدنيا والآخرة، والخوف عليه بعد التوبة مع وجوب قبولها بشرائطها لعله لاحتمال التقصير في شرائط التوبة .

وروىٰ العامة والخاصة ومنهم الشيخ في الأمالي، والمفيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : أيها الناس نحن في القيامة ركبان أربعة ليس غيرنا، أنا على البراق، وأخي صالح على ناقة الله التي عقرها قومه، وابنتي فاطمة على ناقتي العضباء، وعلي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنة، وفي رواية أُخرىٰ عنه صلى الله عليه وآله وسلم : أنا على البراق، وأخي صالح على ناقة الله التي عقرها قومه، وعمي حمزة أسد الله وأسد رسوله على ناقتي العضباء، وأخي علي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنة .

وروى الصدوق في الفقيه عن السكوني باسناده، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها، فقال أين صاحبها مروه فليستعد غداً للخصومة. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : استفرهوا ضحاياكم فإنها مطاياكم على الصراط. وروي أن خيول الغزاة في الدنيا خيولهم في الجنة. وورد عنهم عليهم السلام في مانع الزكاة تنهشه كل ذات ناب بنابها، وتطأه كل ذات ظلف بظلفها .

وروى الصدوق في الفقيه عن الصادق عليه السلام قال : أي بعير حج عليه ثلاث سنين يجعل من نعم الجنة، وروي سبع سنين .

وعن الصادق عليه السلام قال : لا يكون في الجنة من البهائم سوى حمارة بلعم بن باعورا، وناقة صالح، وذئب يوسف، وكلب أهل الكهف، والأخبار في ذلك غير غزيرة يقف عليها المتتبع، فظهر أن الحيوانات تحشر في الجملة، بعض للقصاص وبعض تدخل

الجنة، وبعضها لبعض المصالح. وأما ما يؤول إليه أُمرها بعد الحشر فعلمه عند الله ولم يصل إلينا دليل معتمد في ذلك، وقد أمرنا بالسكوت عما سكت الله عنه. ولهذا ان أكثر المتكلمين من الإمامية اقتصروا على الاجمال في حشرها ولم يذكروا التفصيل.

أما سائر المكلفين من الملائكة والجن والشياطين فلا خلاف في حشرهم، وأن الملائكة يدخلون الجنة، والشياطين في النار إلا من ندر ممن آمن منهم كما ورد في بعض الأخبار النادرة، وأما الجن فعصاتهم في النار، وأما الصالحون المؤمنون منهم فهم مثابون على إيمانهم وأعمالهم قطعاً، ولكن اختلف في انهم هل يدخلون الجنة وتكون منازلهم أدنىٰ من بني آدم كما عليه الأكثر، أم انهم يسكنون الأعراف كما عليه بعضهم.

وقد روى القمي في تفسيره قال: سئل العالم عليه السلام عن مؤمني الجن يدخلون الجنة. فقال لا ولكن لله حظائر بين الجنة والنار يكون فيها مؤمنو الجن وفساق الشيعة. ولكن بمجرد هذا الخبر لا يثبت المدعي لا سيما وظاهر كثير من الآيات والروايات الدالة على ان ثواب المكلفين الجنة بخلافه، لا سيما في سورة الرحمٰن حيث أظهر فيها الامتنان على الإنس والجن بنعيم الجنة وظاهر قوله تعالىٰ: ﴿**لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان**﴾ حيث إن ظاهرها ان للجن حور أيضاً، وان احتمل أن يكون المعنىٰ يعطي الإنس حوراً لم يطمثهن إنس قبلهم، ويعطي الجن حوراً لم يطمثهن جن قبلهم، وللتوقف في ذلك مجال والله العالم بحقائق الأحوال.

٦ ـ بيان أحوال الأطفال والمجانين والمستضعفين:

لا خلاف بين أصحابنا في أن أطفال المؤمنين يدخلون الجنة كما دل عليه الكتاب والسنة، قال الله تعالىٰ في سورة الطور: ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء**﴾[1]. قال الطبرسي رحمه الله يعني بالذرية أولادهم الصغار والكبار، لأن الكبار يتبعون الآباء بإيمان منهم، والصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء، فالولد يحكم له بالإسلام تبعاً لوالده. والمعنىٰ أنا نلحق الأولاد بالآباء في الجنة والدرجة من أجل الآباء لتقر عين الآباء باجتماعهم معهم في الجنة كما كانت تقر بهم في الدنيا، عن ابن عباس والضحاك وابن زيد.

وفي رواية أُخرىٰ عن ابن عباس: انهم البالغون أُلحقوا بدرجة آبائهم وان قصرت

---

(١) سورة الطور؛ الآية: ٢١.

أعمالهم تكرمة لآبائهم .

وروى زاذان عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان المؤمنين وأولادهم في الجنة، ثم قرأ هذه الآية .

وعن الصادق عليه السلام قال : أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة، وما ألتناهم من عملهم من أي شيء لم ننقص الآباء من الثواب حين ألحقنا بهم ذريتهم، انتهىٰ .

أقول وسيأتي في كثير من أخبارنا ان هذه الآية في أطفال المؤمنين وذهب المتكلمون منا إلى أن أطفال الكفار لا يدخلون النار، فهم إما يدخلون الجنة أو يسكنون الأعراف .

قال العلامة المحقق الطوسي في التجريد : وتعذيب غير المكلف قبيح، وكلام نوح عليه السلام مجاز، والخدمة ليست عقوبة له، والتبعية في بعض الأحكام جائزة .

وقال العلامة الحلي رحمه الله في شرحه : ذهب بعض الحشوية إلى أن الله تعالىٰ، يعذب أطفال المشركين، ويلزم الأشاعرة تجويزه. والعدلية كافة على منعه، والدليل عليه انه قبيح عقلاً فلا يصدر منه تعالىٰ احتج بوجوه :

الأول : قول نوح ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً، والجواب انه مجاز والتقدير انهم يصيرون كذلك لا حال طفوليتهم .

الثاني : قالوا انا نستخدمه لأجل كفر أبيه، فقد فعلنا فيه ألماً وعقوبة فلا يكون قبيحاً. والجواب ان الخدمة ليست عقوبة للطفل وليس كل ألم عقوبة، فإن الفصد والحجامة ألمان وليسا بعقوبة. نعم استخدامه عقوبة لأبيه وامتحان له يعوض عليه كما يعوض على أمراضه .

الثالث : قالوا ان حكم الطفل يتبع حكم أبيه في الدفن، ومنع التوارث والصلاة عليه ومنع التزويج، والجواب ان المنكر عقابه لأجل جرم أبيه، وليس بمنكر أن يتبع حكم أبيه في بعض الأشياء إذا لم يحصل له بها ألم وعقوبة، ولا ألم له في منعه من الدفن والتوارث وترك الصلاة عليه .

وذهب أكثر المحدثين منا إلى ما دلت عليه الأخبار الصحيحة الآتية من انهم يكلفون في القيامة بدخول النار المؤججة لهم، ولنذكر الأخبار الواردة عن أئمة الهدى عليهم السلام في ذلك :

روى القمي في تفسيره عن الصادق عليه السلام قال : ان أطفال شيعتنا من المؤمنين تربيهم فاطمة عليها السلام ، ويهدون إلى آبائهم يوم القيامة .

وفي الكافي عن ابن بكير عن الصادق عليه السلام في الآية المتقدمة عليه السلام : قصرت الأبناء عن عمل الآباء، وألحقوا الأبناء بالآباء لتقر بذلك أعينهم .

وبالمعنىٰ عن نوادر الراوندي عن الكاظم عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : لا تتزوجوا بالامرأة الجميلة العقيم فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة، ألم تعلموا ان الأطفال يكونون تحت عرش الرحمٰن يستغفرون لآبائهم، ويحفظهم إبراهيم وتربيهم سارة في جبل من المسك والعنبر والزعفران .

وروى الصدوق في الفقيه في الصحيح عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله إذا مات طفل من أطفال المؤمنين نادىٰ مناد في ملكوت السماوات والأرض ألا ان فلان ابن فلان قد مات، فإن كان مات والداه أو أحدهما أو بعض أهل بيته من المؤمنين دفع إليه يغذوه، وإلا دفع إلى فاطمة تغذوه حتى يقدم أبواه أو أحدهما أو بعض أهل بيته فتدفعه إليه .

وروي في الصحيح أيضاً عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالىٰ يدفع إلى إبراهيم وسارة أطفال المؤمنين، يغذونهم بشجرة في الجنة لها أخلاف كأخلاف البقر في قصر من الدر، فإذا كان يوم القيامة أُلبسوا وطيبوا وأُهدوا إلى آبائهم، فهم ملوك في الجنة مع آبائهم. وهو قوله تعالىٰ : ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم**﴾[1] .

وروى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب المختصر بإسناده عن الباقر عليه السلام قال : لما صعد رسول الله إلى السماء وانتهىٰ إلى السماء السابعة ولقي الأنبياء قال، أين أبي إبراهيم، قالوا له هو مع أطفال شيعة علي، فدخل الجنة فإذا هو تحت شجرة لها ضروع كضروع البقر، فإذا انفلت الضرع من فم الصبي قام إبراهيم فردَّ عليه، قال فسلم عليه وسأله عن علي عليه السلام ، فقال خلفته في أُمتي، قال نعم الخليفة خلَّفت، أما إنّ الله تعالى فرض على الملائكة طاعته وهؤلاء أطفال شيعته، سألت الله تعالىٰ أن يجعلني القائم عليهم ففعل، وان الصبي ليجرع الجرعة فيجد طعم ثمار الجنة وأنهارها في تلك الجرعة. ويمكن الجمع بين الأخبار الدالة على تربية إبراهيم وسارة، والأخبار الدالة على تربية فاطمة عليها السلام بأن بعضهم تربيه فاطمة وبعضهم إبراهيم وسارة على اختلاف مراتب آبائهم،

---

(١) سورة الطور؛ الآية: ٢١ .

أو انهم يدفعون أولاً إلى فاطمة ثم تدفعهم فاطمة إليهما .

وأما أطفال الكفار فقد أشرنا إلى الخلاف في حالهم، فقيل بتبعيتهم لآبائهم وانهم في النار كما عليه أكثر العامة، ولم يذهب إليه أحد من الإمامية. وقيل بدخولهم الجنة، وقيل ان الله تعالىٰ يعاملهم في القيامة بعلمه فيهم، فمن علم انه يكون سعيداً لو بقي أدخله الجنة، ومن علم منه الشقاوة أدخله النار. وقيل انهم يكونون خداماً لأهل الجنة. وقيل انهم يكونون في الأعراف. والذي عليه أكثر المحدثين من الشيعة ومنهم الكليني والصدوق، ان الله يكلفهم في القيامة بأن يؤجج لهم ناراً يأمرهم بدخولها، ويثيب المطيع ويعاقب العاصي. ويدل على ذلك جملة من الأخبار .

منها ما رواه الصدوق في الخصال عن زرارة في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة احتج الله عز وجل على خمسة، على الطفل والذي مات بين النبيين أي في زمان الفترة وغلبة الجور وخفاء الحجة والحق، والذي أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا يعقل، والأبله، والمجنون الذي لا يعقل، والأصم والأبكم، فكل واحد منهم يحتج على الله عز وجل. قال فيبعث الله إليهم رسولاً، فيؤجج لهم ناراً، فيقول لهم ربكم يأمركم أن تثبوا فيها، فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن عصىٰ سيق إلى النار .

وفي الكافي ومعاني الأخبار عن زرارة في الصحيح قال سألت أبا جعفر هل سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الأطفال، فقال قد سئل فقال الله أعلم بما كانوا عاملين. ثم قال يا زرارة هل تدري ما قوله الله أعلم بما كانوا عاملين، قال لا ، قال لله عز وجل فيهم المشيئة انه إذا كان يوم القيامة وأُتي بالأطفال والشيخ الكبير الذي قد أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعقل من الكبر والخرف، والذي مات في الفترة بين النبيين، والمجنون والأبله الذي لا يعقل، فكل واحد يحتج على ا عز وجل، فيبعث ا تعالىٰ إليهم ملكاً من الملائكة ويؤجج ناراً ويقول ان ربكم يأمركم أن تثبوا فيها، فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن عصاه سيق إلى النار .

وفي الكافي عن هشام في الصحيح، أو الحسن عن أبي عبد الله انه سئل عمن مات في الفترة، وعمن لم يدرك الحنث، والمعتوه. فقال يحتج الله عليهم يرفع لهم ناراً فيقول لهم ادخلوها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبىٰ قال ها أنتم قد أمرتكم فعصيتموني .

وروى أيضاً بهذا الاسناد قال ثلاثة يحتج عليهم، الأبكم والطفل ومن مات في الفترة، فيرفع لهم ناراً، الحديث .

وروى أيضاً عن العدة عن سهل رفعه ان سئل عن الأطفال، فقال : إذا كان يوم القيامة جمعهم الله وأجج ناراً وأمرهم أن يطرحوا أنفسهم فيها، فمن كان في علم الله عز وجل انه سعيد رمى نفسه فيها وكانت عليه برداً وسلاماً، ومن كان في علمه انه شقي امتنع، فيأمر الله تعالىٰ بهم إلى النار، فيقولون يا ربنا تأمر بنا إلى النار ولم يجر علينا القلم، فيقول الجبار قد أمرتكم مشافهة فلم تطيعوني فكيف لو أرسلت رسلي بالغيب إليكم .

وروى الصدوق في التوحيد باسناد عامي عن عبد الله بن سلام مولىٰ رسول الله انه قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني أيعذب الله خلقاً بلا حجة. قال: معاذ الله. قلت: فأولاد المشركين في الجنة أم في النار. فقال: الله تبارك وتعالىٰ أولىٰ بهم، إنه إذا كان يوم القيامة وساق الحديث إلى أن قال فيأمر الله عز وجل ناراً يقال لها الفلق أشد شيء في نار جهنم عذاباً، فتخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل والأغلال، فيأمرها الله عز وجل أن تنفخ في وجوه الخلائق نفخة، فتنفخ فمن شدة نفختها تنقطع السماء وتنطمس النجوم وتجمد البحار وتزول الجبال وتظلم الأبصار وتضع الحوامل حملها، ويشيب الولدان من هولها يوم القيامة، فيأمر الله تعالىٰ أطفال المشركين أن يلقوا أنفسهم في تلك النار، فمن سبق له في علم الله عز وجل ان يكون سعيداً ألقىٰ نفسه فيها فكانت عليه برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، ومن سبق له في علم الله تعالىٰ أن يكون شقياً امتنع فلم يلق نفسه في النار، فيأمر الله تعالىٰ النار فتلتقطه لتركه أمر الله وامتناعه من الدخول فيها، فيكون تبعاً لآبائه في جهنم .

والأخبار بهذا المضمون كثيرة، والعقل لا يحيل ذلك فينبغي التسليم. وقال الصدوق في الخصال بعد إيراد صحيحة زرارة المتقدمة ان قوماً من أصحاب الكلام ينكرون ذلك، ويقولون انه لا يجوز ان يكون في دار الجزاء تكليف ودار الجزاء للمؤمنين إنما هي الجنة، ودار الجزاء للكافرين إنما هي النار. قال وإنما يكون هذا التكليف من الله عز وجل في غير الجنة والنار فلا يكون كلفهم في دار الجزاء ثم يصيرهم إلى الدار التي يستحقونها بطاعتهم أو معصيتهم، فلا وجه لانكار ذلك ولا قوة إلا بالله وغير مستبعد ان تكون القيامة دار جزاء لبعض، ودار تكليف وجزاء لآخرين .

وروى الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عن زرارة عن الصادق عليه السلام قال : حقيق على ا أن يدخل الضّلال الجنة. فقال زرارة: كيف ذلك جعلت فداك. قال يموت الناطق، ولا ينطق الصامت، فيموت المرء بينهما فيدخله ا الجنة. المراد بالضّلال بعض المخالفين

الضالين عن الحق، والمراد بالناطق الإمام الحجة الحي، وبالصامت الإمام الذي بعده الذي كان صامتاً في زمن أبيه أو صامتاً للتقية، فإذا مات المخالف بينهما ولم يعرف الحق من دون تقصير لخفاء الحق دخل الجنة .

وروى صاحب تأويل الآيات الباهرة في قوله تعالىٰ : ﴿**يطوف عليهم ولدان مخلدون**﴾ عن أمير المؤمنين انه قال : الولدان أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها، ولا سيئات فيعاقبون عليها، فأنزلوا هذه المنزلة. وعن النبي ﷺ انه سئل عن أطفال المشركين فقال : خدم أهل الجنة على صورة الولدان خلقوا لخدمة أهل الجنة .

وروى الشيخ الطوسي هذين الحديثين أيضاً في تأويل الآية، والتحقيق في الجمع بين الأخبار، ان الأخبار الدالة على انهم يعذبون ويلحقون بآبائهم إما محمولة على التقية، كما هو مذهب جمع من العامة، أو محمولة على انه سبق في علم الله تعالىٰ انهم يختارون العصيان حينئذ فحكم عليهم بالنار. ويشهد لذلك رواية سهل المتقدمة، وتخص الأخبار الدالة على دخولهم النار مداخل آبائهم بمن لم يدخل منهم دار التكليف. وأما الأخبار الدالة على تكليف الأطفال في القيامة مطلقاً فهي مقيدة بالأخبار الدالة على انتفاء ذلك عن أطفال المؤمنين .

وروى الكليني في الصحيح عن زرارة قال : قلت لأبي عبد الله عليه‌السلام ما تقول في الأطفال الذين ماتوا قبل ان يبلغوا، فقال: سئل عنهم رسول الله فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثم أقبل علي فقال: يا زرارة هل تدري ما عنىٰ بذلك رسول الله، قال قلت لا، فقال إنما عنىٰ كفوا عنهم ولا تقولوا فيهم شيئاً وردوا علمهم إلى الله .

أقول هذا هو الأصل في الباب، وينبغي أن يعلم مجملاً ان الله تعالىٰ منزه عن الظلم والجور، وأما بالنسبة إلى الأطفال والمجانين ونحوهما ممن لم تتم عليه الحجة، ومن ناقصي العقول الذين لم يميزوا بين الحق والباطل فلا يعذبهم الله تعالىٰ بدون إتمام حجة عليهم، فإما أن يكلفهم الله تعالىٰ في القيامة كما دلت عليه الأخبار السابقة وذهب إليه محيي الدين العربي من العامة، أو انهم يسكنون في الأعراف أو يكونون في أدنىٰ درجات الجنة، أو انهم يكونون خدماً لأهل الجنة، ويكون بعضهم في الجنة وبعضهم في الأعراف، فينبغي أن يوكل علمهم إلى الله تعالىٰ كما دل عليه الخبر الصحيح، ويعلم ان الله يحكم فيهم بالعدل، وإذا كانوا خدماً لأهل الجنة فذلك ليس على طور يشق عليهم، بل يلتذون بذلك كما يلتذ الملائكة بخدمة أهل الجنة، والله العالم بالحال .

الفصل السادس
الميزان والحساب

١ ـ معنى الميزان وحقيّته :

لا خلاف بين المسلمين في حقية الميزان وقد ذكره الله تعالى في مواضع عديدة من الكتاب المجيد، قال الله تعالى في سورة الأعراف : **﴿والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأُولَئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولَئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾** وقال تعالى في الكهف : **﴿أولَئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾** وفي الأنبياء : **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾** وفي المؤمنين : **﴿فمن ثقلت موازينه فأُولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأُولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾** وفي القارعة : **﴿فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فأمه هاوية﴾** . والأخبار أيضاً بهذا المضمون كثيرة، فأصل الميزان مما لا شك فيه ولا شبهة تعتريه، وإنكاره كفر وإنما الخلاف في معناها. فالذي عليه أكثر المفسرين والمتكلمين من العامة والخاصة الحمل على ظاهرها، وأن الله تعالى في القيامة ينصب ميزاناً له لسان وكفتان فتوزن به أعمال العباد الحسنات والسيئات، ثم اختلف هؤلاء في كيفية الوزن حيث إن الأعمال اعراض لا يجوز عليها الإعادة، ولا يكون لها وزن، ولا تقوم بأنفسها فقيل توزن صحائف الأعمال .

وقد روى العامة عن ابن عمر انه سئل رسول الله ﷺ عما يوزن يوم القيامة، فقال الصحف. وقيل إن الموزون في الآخرة نفس الأعمال والاعتقادات، لأن الأعمال تتجسم

في النشأة الأخروية، كما ورد في أحاديث كثيرة من طرق المخالف والمؤالف، بل قال بعض أرباب العرفان إن الحيات والعقارب والنيران التي تظهر في القبر والقيامة هي بعينها الأعمال القبيحة، والأخلاق الذميمة، والعقائد الباطلة، كما أن الروح والريحان والحور والثمار هي الأخلاق الزكية، والأعمال الصالحة والاعتقادات الحقة، إذ الحقيقة الواحدة تختلف صورها باختلاف الأماكن، فتحلى في كل موطن بحلية وتتزيّى في كل مقام بزيّ.

وقال الشيخ البهائي رحمه الله الحق أن الموزون في الآخرة هو نفس الأعمال لا صحائفها، وما يقال من أن تجسم العرض طور خلاف طور العقل، فكلام ظاهري عامي، والذي عليه الخواص من أهل التحقيق ان سنخ الشيء وحقيقته مغاير للصورة التي يتجلى بها على المشاعر الظاهرة ويلبسها لدى المدارك الباطنة، وانه يختلف ظهوره في تلك الصور بحسب اختلاف المواطن والنشآت، فيلبس في كل موطن لباساً، ويتجلبب في كل نشأة بجلباب، كما قالوا إن لون الماء لون انائه، واما الأصل الذي تتوارد هذه الصور عليه ويعبرون عنه تارة بالسنخ ومرة بالوجه وأخرى بالروح فلا يعلمه إلا علام الغيوب، فلا بعد في كون الشيء في موطن عرضاً وفي آخر جوهراً، ألا ترى إلى ما يظهر في اليقظة من صورة العلم، فإنه في تلك النشأة أمر عرضي، ثم انه يظهر في النوم بصورة اللين، فالظاهر في الصورتين سنخ واحد تجلى في كل موطن بصورة، فقد تجسم في مقام ما كان عرضاً في مقام آخر. وذكر جملة من الأحاديث تدل على ذلك ذكرناها في كتابنا مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار.

وقال العلامة المجلسي رحمه الله جميع الأحوال والأفعال في الدنيا تتجسم وتتمثل في النشأة الأخرى، اما بخلق الأمثلة الشبيهة بها بازائها، أو بتحول الأعراض هناك جواهر. والأول أوفق بحكم العقل ولا ينافيه صريح ما ورد في النقل. ثم قال بعد نقل كلام الشيخ البهائي: والقول باستحالة انقلاب الجوهر عرضاً والعرض جوهراً في تلك النشأة مع القول بإمكانها في النشأة الآخرة قريب من السفسطة، إذ النشأة الآخرة ليست إلا مثل تلك النشأة، وتخلل الموت والإحياء بينهما لا يصلح أن يصير منشئاً لأمثال ذلك، والقياس على حال النوم واليقظة أشد سفسطة، إذ ما يظهر في النوم إنما يظهر في الوجود العلمي، وما يظهر في الخارج فإنما يظهر بالوجود العيني، ولا استبعاد كثيراً في اختلاف الحقائق بحسب الوجودين، وأما النشأتان فهما من الوجود العيني، ولا اختلاف بينهما إلا بما ذكرنا. وقد عرفت انه لا يصلح لاختلاف الحكم العقلي في ذلك، وأما الآيات والأخبار فهي غير صريحة في ذلك، إذ يمكن حملها على أن الله تعالى يخلق هذه بإزاء تلك، أو هي

جزاؤها، ومثل هذا المجاز شائع وبهذا الوجه وقع التصريح في كثير من الآيات والأخبار والله يعلم وحججه. وقد اختلف أيضاً على تقدير إرادة المعنى الحقيقي من الميزان، انه هل هو ميزان واحد لجميع الناس، أو لكل واحد ميزان على حدة، وعلى الثاني فهل لكل واحد ميزان واحد أو موازين عديدة، بأن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان آخر، كما يشعر بذلك قوله تعالى: **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾** وقوله تعالى: **﴿فمن ثقلت موازينه﴾** الآية وخصوص هذه الشقوق والتفاصيل غير معلومة، والإيمان الإجمالي كاف في ذلك.

وذهب جماعة من متكلمي الخاصة والعامة إلى أن الميزان كناية عن العدل والقضاء، لأن العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر إلا بالكيل والوزن في الدنيا، فجعل الوزن كناية عن العدل والدليل على ذلك أن الميزان إنما يراد ليتوصل به إلى معرفة مقادير الشيء، ومقادير الثواب والعقاب لا يمكن إظهارها بالميزان، لأن أعمال العباد أعراض، وهي قد فنيت وعدمت ووزن المعدوم محال، وأيضاً فبتقدير بقائها كان وزنها محالاً، واما القول بأن الموزون هو صحائف الأعمال أو صور مخلوقة على حسب مقادير الأعمال، فيقال في جوابه إن المكلف يوم القيامة إما أن يكون مقراً بأن الله تعالى عادل حكيم، أو لا، فإن كان مقراً بذلك كفاه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب في عمله بأنه عدل وصواب، وإن لم يكن مقراً بذلك لم يعرف من رجحان كفة الحسنات على كفة السيئات، أو بالعكس حصول الرجحان لاحتمال أنه تعالى أظهر ذلك الرجحان لا على سبيل العدل والإنصاف فالوزن لا فائدة فيه البتة.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: الموازين هي التعديل بين الأعمال والجزاء عليها ووضع كل جزاء في موضعه، وإيصال كل ذي حق إلى حقه، وليس الأمر في معنى ذلك على ما ذهب إليه أهل الحشو من أن في القيامة موازين كموازين الدنيا، لكل ميزان كفتان توضع الأعمال فيها، إذ الأعمال أعراض والأعراض لا يصح وزنها، وإنما توصف بالثقل والخفة على وجه المجاز، والمراد بذلك أن ما ثقل منها هو ما كثر واستحق عليه عظيم الثواب، وما خف منها ما قل قدره ولم يستحق عليه جزيل الثواب والخبر الوارد أن أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ذريته هم الموازين، فالمراد انهم المعدلون بين الأعمال فيما يستحق عليها، والحاكمون فيها بالواجب والعدل ويقال فلان عندي في ميزان فلان، ويراد به نظيره، ويقال كلام فلان عندي أوزن من كلام فلان، والمراد به أن كلامه أعظم وأفضل قدراً، والذي ذكره الله في الحساب والخوف منه إنما هو المواقفة على الأعمال، لأن من

وقف على أعماله لم يتخلص من تبعاتها، ومن عفا الله عنه في ذلك فاز بالنجاة، ومن ثقلت موازينه بكثرة استحقاقه الثواب فأُولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه بقلة أعمال الطاعات فأُولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون. والقرآن إنما أنزل بلغة العرب وحقيقة كلامها ومجازه، ولم ينزل على ألفاظ العامة ما سبق إلى قلوبها من الأباطيل.

أقول: لا يمكن الخروج عن ظواهر الآيات والروايات بهذه الوجوه العقلية، والمؤيدات الاعتبارية، والاعتبارات الوهمية التي هي أوهن من بيت العنكبوت، وانه لأوهن البيوت، ووزن الأعمال قد عرفت تحقيقه، وأما ما قيل من عدم الفائدة فجوابه ان جميع المكلفين يعلمون يوم القيامة أنه تعالى منزه عن الظلم والجور، فينبغي على هذا انتفاء الحساب والصحف والكتابة وغيرها. وقد أبى الله إلا أن تكون له الحجة البالغة على خلقه، ولعل الفائدة في وضع ذلك الميزان أن يظهر ذلك الرجحان لأهل القيامة، فإن كان ظهور الرجحان في طرف الحسنات ازداد فرحه وسروره بسبب ظهور فضله وكمال درجته لأهل القيامة، وإن كان بالضد فيزداد غمه وحزنه وحرقته وفضيحته يوم القيامة. ولكن ما ذهب إليه المفيد رحمه الله قد ورد في جملة من الروايات، فكان الاستناد في ذلك إليها أولى، ففي الاحتجاج عن هشام بن الحكم أنه سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام، فقال أو ليس توزن الأعمال. قال لا، إن الأعمال ليست بأجسام وإنما هي صفة ما عملوا، وإنما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفتها، وإن الله تعالى لا يخفى عليه شيء. قال: فما معنى الميزان. قال: العدل. قال: فما معناه في كتابه ﴿**فمن ثقلت**﴾. قال: فمن رجح عمله (الخبر).

وروى الكليني في الكافي والصدوق في معاني الأخبار عن هشام بن سالم قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله عز وجل ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً**﴾، قال هم الأنبياء والأوصياء. والأحوط والأولى الإيمان بالميزان، ورد العلم بحقيقتها إلى الله وأنبيائه وخلفائه، ولا نتكلف علم ما لم يوضح لنا بصريح البيان والله العالم بالحال.

٢ ـ الحساب والسؤال ورد المظالم:

الآيات والأخبار في ذلك كثيرة، والإيمان بذلك مجملاً واجب، قال الله تعالى في مواضع كثيرة: ﴿**والله سريع الحساب**﴾ وقال تعالى: ﴿**وهو أسرع الحاسبين**﴾ وقال تعالى: ﴿**أولئك لهم سوء الحساب**﴾ وقال تعالى: ﴿**ويخافون سوء الحساب**﴾ وقال

تعالى : ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكرا﴾[١]. وقال تعالى : ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا﴾[٢]. وقال تعالى : ﴿إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم﴾[٣] .

وروى الطبرسي رحمه الله في المجمع ان الله سبحانه يحاسب الخلائق كلهم في مقدار لمح البصر. وروي بقدر حلب شاة. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه تعالى يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة .

وقال الصدوق في رسالة العقائد : اعتقادنا في الحساب والميزان انهما حق، منه ما يتولاه الله عز وجل، ومنه ما يتولاه حججه، فحساب الأنبياء والأئمة يتولاه الله عز وجل، ويتولى كل نبي حساب أوصيائه، ويتولى الأوصياء حساب الأُمم، والله تبارك وتعالى هو الشهيد على الأنبياء والرسل، وهم الشهداء على الأوصياء والأئمة شهداء على الناس، وذلك قوله تعالى : ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ وقوله عز وجل : ﴿فكيف إذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾[٤]. وقوله عز وجل : ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾[٥]. والشاهد أمير المؤمنين عليه السلام وقوله تعالى : ﴿إن الينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم﴾[٦] .

وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً﴾[٧]. قال: الموازين الأنبياء والأوصياء، ومن الخلق من يدخل الجنة بغير حساب .

فأما السؤال فهو واقع على جميع الخلق لقول الله تعالى : ﴿فلنسألنَّ الذي أرسل إليهم ولنسألنَّ المرسلين﴾ يعني عن الدين، وأما غير الدين فلا يسأل إلا من يحاسب قال الله عز وجل : ﴿فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان﴾ يعني من شيعة النبي والأئمة عليهم السلام دون غيرهم كما ورد في التفسير، وكل محاسب معذب ولو بطول الوقوف،

---

(١) سورة الطلاق؛ الآية: ١٨ .
(٢) سورة الانشقاق؛ الآية: ٨ .
(٣) سورة الغاشية؛ الآية: ٢٦ .
(٤) سورة النبأ؛ الآية: ٤١ .
(٥) سورة هود؛ الآية: ١٧ .
(٦) سورة الغاشية؛ الآية: ٢٦ .
(٧) سورة الأنبياء؛ الآية: ٤٧ .

ولا ينجو من النار ولا يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله تعالى، والله يخاطب عباده من الأولين والآخرين بحساب عملهم مخاطبة واحدة، يسمع منها كل أحد قضيته دون غيرها ويظن أنه مخاطب دون غيره، لا يشغله عز وجل مخاطبة عن مخاطبة، ويفرغ من حساب الأولين والآخرين في مقدار ساعة من ساعات الدنيا، ويخرج الله عز وجل لكل إنسان كتاباً يلقاه منشوراً، ينطق عليه بجميع أعماله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فيجعله الله محاسب نفسه والحاكم عليها، بأن يقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، ويختم الله تبارك وتعالى على قوم أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم وجميع جوارحهم بما كانوا يكسبون . **﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون، وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾**[1] . انتهى كلامه رحمه الله وقد جمع بين الآيات والأخبار بهذا النحو .

وفي الكافي عن السجاد عليه السلام في حديث قال فيه : اعلموا عباد الله أن أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين، وإنما يحشرون إلى جهنم زمراً، وإنما تنصب الموازين وتنشر الدواوين لأهل الإسلام .

وروى القمي في تفسيره، والشيخ في الأمالي، والصدوق في الخصال عن الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله حتى يسأله عن أربع خصال، عمرك فيما أفنيته، وجسدك فيما أبليته، ومالك من أين كسبته وأين وضعته، وعن حبنا أهل البيت .

وروى الصدوق في الأمالي بسند معتبر عن الصادق عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة وقف عبدان مؤمنان كلاهما من أهل الجنة، فقير في الدنيا وغني في الدنيا. فيقول الفقير يا رب على م أوقف فوعزتك انك لتعلم انك لم تولني ولاية فأعدل فيها أو اجور، ولم ترزقني مالاً فأؤدي منه حقاً أو أمنع، ولا كان رزقي يأتيني منها إلا كفافاً على ما علمت وقدرت لي، فيقول الله جل جلاله صدق عبدي خلوا عنه يدخل الجنة. ويبقى الآخر حتى يسيل منه من العرق ما لو شربه أربعون بعيراً لكفاها ثم يدخل الجنة، فيقول له الفقير ما حبسك، فيقول طول الحساب ما زال الشيء يجيئني بعد الشيء، يغفر لي ثم أُسأل عن شيء آخر حتى تغمدني الله عز وجل برحمته، وألحقني بالتائبين فمن أنت، فيقول أنا الفقير

---

(١) سورة فصلت؛ الآية: ٢٢ .

الذي كنت معك آنفاً، فيقول لقد غيرك النعيم بعدي .

وفي كتاب الزهد للحسين بن سعيد عن حجر بن زائدة عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت يا ابن رسول الله اني أذنبت ذنباً بيني وبين الله لم يطلع عليه أحد فعظم علي وأجلُّك أن استقبلك به، فقال انه إذا كان يوم القيامة وحاسب الله عبده المؤمن أوقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً، ثم غفرها له لا يطلع على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبياً ولا مرسلاً. قال الراوي وأخبرني عن غير واحد أنه عليه السلام قال : ويستر عليه من ذنوبه ما يكره أن يوقفه عليها، قال ويقول لسيئاته كوني حسنات، قال وذلك قول الله تبارك وتعالى : **﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾**[1] .

وروى الشيخ في الأمالي عن محمد بن مسلم قال : سألت أبا جعفر عن قوله تعالى : **﴿فأولئك يبدل الله﴾** الآية. فقال: عليه السلام يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يقام بموقف الحساب، فيكون الله تعالى هو الذي يتولى حسابه لا يطلع على حسابه أحداً من الناس، فيعرّفه ذنوبه حتى إذا أقر بسيئاته قال الله عز وجل للكتبة بدلوها حسنات وأظهروها للناس، فيقول الناس حينئذ ما كان لهذا العبد سيئة واحدة، ثم يأمر الله به إلى الجنة، فهذا تأويل الآية وهي للمذنبين من شيعتنا خاصة .

وروى الصدوق في العيون عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله عز وجل يحاسب كل الخلق إلا من أشرك بالله عز وجل، فإنه لا يحاسب ويؤمر به إلى النار. وبأسانيد عديدة عنه عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله أول ما يسأل عنه العبد حبنا أهل البيت .

وروى الشيخ في الأمالي وغيره في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام لأهل مصر : من عمل لله أعطاه الله أجره في الدنيا والآخرة وكفاه المهم فيهما، وقد قال الله تعالى : **﴿يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾**[2] . فما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به في الآخرة، قال الله تعالى : **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾** والحسنى هي الجنة والزيادة هي الدنيا. الخبر .

وفي أمالي الشيخ عن الصادق عليه السلام قال : ما من عبد إلا ولله عليه حجة، إما في

---

(١) سورة الفرقان؛ الآية: ٧٠ .

(٢) سورة الزمر؛ الآية: ١٠ .

ذنب اقترفه واما في نعمة قصر عن شكرها .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : يوقف العبد بين يدي الله فيقول قيسوا بين نعمي عليه وبين عمله فلتستغرق النعم العمل. فيقولون قد استغرق النعم العمل، فيقول هبوا له نعمي وقيسوا بين الخير والشر منه، فإن استوى العملان أذهب الله الشر بالخير وأدخله الجنة، وإن كان له فضل أعطاه الله بفضله، وإن كان عليه فضل وهو من أهل التقوى لم يشرك بالله تعالى واتقى الشرك به فهو من أهل المغفرة، يغفر الله له برحمته إن شاء ويتفضل عليه بعفوه .

وفي أمالي الشيخ أيضاً عن الصادق عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سألنا الله أن يهبه لنا فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم، ثم قرأ عليه السلام : **﴿ثم إن إلينا إيابهم ثم أن علينا حسابهم﴾** .

وفي البصائر عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : انا أول قادم على الله، ثم يقدم علي كتاب الله، ثم يقدم علي أهل بيتي، ثم تقدم علي أمتي، فيقفون فيسألهم ما فعلتم في كتابي وأهل بيت نبيكم .

وروى العياشي في تفسيره عن الصادق عليه السلام في قول الله تعالى : **﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولٓئك كان عنه مسؤولا﴾** قال يسأل السمع عما سمع، والبصر عما يطرف، والفؤاد عما عقد عليه .

وفي الكافي والمحاسن عن الحلبي في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : ثلاثة أشياء لا يحاسب العبد المؤمن عليهن، طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه ويحصن بها فرجه .

وفي العيون بإسناده عن إبراهيم بن العباس الصولي قال : كنا يوماً بين يدي علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام ، فقال: ليس في الدنيا نعيم حقيقي، فقال له بعض الفقهاء ممن حضره عز وجل : **﴿ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾** أما هذا النعيم في الدنيا وهو الماء البارد، فقال له الرضا عليه السلام وعلا صوته: وكذا فسرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب فقالت طائفة هو الماء البارد، وقال غيرهم هو الطعام الطيب، وقال آخرون هو طيب النوم، ولقد حدثني أبي عن أبيه أبي عبد الله عليه السلام ان أقوالكم هذه ذكرت عنده، فغضب وقال عليه السلام ان الله عز وجل لا يسأل عباده عما تفضل عليهم به ولا يمن بذلك عليهم، والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف إلى الخالق عز وجل ما لا يرضىٰ

المخلوقون به، ولكن النعيم حبنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد والنبوة، لأن العبد إذا وفىٰ بذلك أداه إلى نعيم الجنة التي لا تزول. ولقد حدثني بذلك أبي عن أبيه عن محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين عن أبيه عليهما السلام انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي ان أول ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنك ولي المؤمنين بما جعله الله وجعلته لك، فمن أقر بذلك وكان يعتقده صار إلى النعيم الذي لا زوال له.

وروى ثقة الإسلام في الكافي بإسناد معتبر عن ثوير بن أبي فاختة عن السجاد عن علي عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى الناس من حفرهم غرلاً مهلاً جرداً مرداً، والغرل جمع أو أغرل وهو الأغلف، والمهل من المهلة بمعنىٰ السكينة والرفق كناية عن الحيرة والدهشة، والمراد مسرعين فإن الماهل السريع المتقدم، ويحتمل ان يكون تصحيف بهم كما في الروايات العامة جمع بهيم، وهو في الأصل الذي لا يخالط لونه سواه، يعني ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض التي تكون في الدنيا كالعمىٰ والعور والعرج وغير ذلك، والجرد جمع الأجرد، وهو الذي لا شعر عليه وكذا المرد لفظاً، ومعنىٰ منه في صعيد واحد يسوقهم النور وتجمعهم الظلمة حتى يقفوا على عقبة المحشر، فيركب بعضهم بعضاً ويزدحمون دونها فيمنعون من المضي، فتشتد أنفاسهم ويكثر عرقهم وتضيق بهم أمورهم ويشتد ضجيجهم وترتفع أصواتهم، قال وهو أول هول من أهوال يوم القيامة. قال فيأمر الجبار ملكاً من الملائكة فينادي فيهم يا معشر الخلائق أنصتوا واستمعوا منادي الجبار، قال فيسمع آخرهم كما يسمع أولهم، قال فتنكسر أصواتهم عند ذلك وتخشع أبصارهم وتضطرب فرائصهم وتفزع قلوبهم ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت مهطعين إلى الداعي. قال فعند ذلك يقول الكافر هذا يوم عسير. قال فيشرف الله الحكم العدل عليهم فيقول أنا الله لا إله إلا أنا الحكم العدل الذي لا يجور، اليوم أحكم بينكم بعدلي وقسطي، لا يظلم اليوم عندي أحد، اليوم آخذ للضعيف من القوي بحقه، ولصاحب المظلمة بالمظلمة، بالقصاص من الحسنات والسيئات، وأثيب على الهبات، ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم، ولا أجد عنده مظلمة إلا مظلمة يهبها لصاحبها وأثيبه عليها وآخذ له بها عند الحساب، فتلازموا أيها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا، وأنا شاهد لكم بها عليهم وكفىٰ بي شهيداً قال فيتعارفون ويتلازمون فلا يبقىٰ أحد له عند أحد مظلمة أو حق إلا لزمه بها، قال فيمكثون ما شاء الله فيشتد حالهم فيكثر عرقهم. وفي رواية يكون عرقهم إلى أفواههم، ويشتد غمهم

وترتفع أصواتهم بضجيج شديد، فيتمنون المخلص منه بترك مظالمهم لأهلها، قال ويطلع الله عز وجل على جهدهم فينادي مناد من عند الله عز وجل يسمع آخرهم كما يسمع أولهم، يا معشر الخلائق أنصتوا لداعي الله تبارك وتعالىٰ واسمعوا ان الله تبارك وتعالىٰ يقول لكم، أنا الوهاب إن أحببتم أن تواهبوا فتواهبوا، وان لم تتواهبوا أخذت لكم بمظالمكم. قال فيفرحون بذلك لشدة جهدهم وضيق مسلكهم وتزاحمهم. قال فيهب بعضهم مظالمهم رجاء ان يتخلصوا مما هم فيه، ويبقىٰ بعضهم فيقول يا رب مظالمنا أعظم من ان نهبها، قال فينادي مناد من تلقاء العرش أي رضوان خازن الجنان جنان الفردوس، قال فيأمر الله عز وجل أن يطلع من الفردوس قصراً من فضة بما فيه من الآنية والخدم، قال فيطلعه عليهم في حفافة القصر الوصائف والخدم، قال فينادي منادٍ من عند الله تبارك وتعالىٰ يا معشر الخلائق ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى هذا القصر، قال فيرفعون رؤوسهم فكلهم يتمناه، قال فينادي مناد من عند الله تبارك وتعالىٰ يا معشر الخلائق هذا لكل من عفا عن مؤمن. قال فيعفون كلهم إلا القليل. قال فيقول الله عز وجل لا يجوز إلى جنتي اليوم ظالم ولا يجوز إلى ناري اليوم ظالم، ولأحد من المسلمين عنده مظلمة حتى نأخذها منه عند الحساب، أيها الخلائق استعدوا للحساب، قال ثم يخلي سبيلهم فينطلقون إلى العقبة، يسوق ويدفع بعضهم بعضاً حتى ينتهون إلى العرصة، والجبار تبارك وتعالىٰ على العرش أي مستولي عليه ينفذ حكمه عنده، قد نشرت الدواوين ونصبت الموازين وأحضر النبيون والشهداء وهم الأئمة، يشهد كل إمام على أهل عالمه بأنه قد قام فيهم بأمر الله عز وجل، ودعاهم إلى سبيل الله. قال فقال له رجل من قريش: يا ابن رسول الله إذا كان للرجل المؤمن عند الرجل الكافر مظلمة أي شيء يأخذ من الكافر وهو من أهل النار. فقال له علي بن الحسين عليه السلام يطرح عن المسلم من سيئاته بقدر ما له على الكافر، فيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره عذاباً بقدر ما للمسلم قبله من مظلمة. قال فقال له القرشي: إذا كانت المظلمة لمسلم عند مسلم كيف تؤخذ مظلمته من المسلم. قال: يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حق المظلوم فيزاد على حسنات المظلوم. قال فقال له القرشي: فإن لم يكن للظالم حسنات. قال: ان لم يكن للظالم حسنات فإن للمظلوم سيئات تؤخذ من سيئات المظلوم فتزاد على سيئات الظالم.

قد دلت الآيات المتكاثرة والأخبار المتواترة على أن أصل الحساب حق لا ريب فيه ولا شبهة تعتريه، فيجب الاعتقاد به إجمالاً، إلا أنها اختلفت فيمن يحاسب ويسأل وعن أي شيء يحاسب ويسأل، فذهب جمع إلى أن السؤال والحساب عن جميع النعم الدنيوية،

لما ورد في الحديث من طرق العامة والخاصة ان في حلال الدنيا حساب، وفي حرامها عقاب. وقد تقدم في جملة من الأخبار أن المؤمن لا يحاسب على النعم الدنيوية، وتقدم في جملة منها نفي الحساب على المأكول والملبوس والمنكوح. وورد في أخبار كثيرة في ثواب الأعمال، ان من عمل العمل الفلاني دخل الجنة بغير حساب، وحينئذ فيمكن تخصيص هذه الأخبار الدالة على نفي الحساب عن المؤمن أو الأشياء الخاصة ونحوها لعموم الأخبار الدالة على الحساب، ويمكن الجمع أيضاً بوجهين آخرين :

الأول : حمل ما دل على نفي الحساب على المؤمنين وما دل عليه على غيرهم.

الثاني : حمل الأول على الأمور الضرورية كالمأكل والملبس والمسكن والمنكح، والآخر على ما زاد على الضرورة، كجمع الأموال زائداً على ما يحتاج إليه، أو صرفها فيما لا يدعوه إليه ضرورة ولا يستحسن شرعاً، وتقدم ما يؤيد ذلك من الأخبار .

وأيضاً ما دل عليه الخبر من حشر الناس جرداً أي عراة يدل عليه جملة من الأخبار أيضاً كما تقدم في فاطمة بنت أسد. وورد في جملة من الأخبار تنوقوا بأكفانكم فإنكم تحشرون بها يوم القيامة، ويمكن حمل الثاني على المؤمنين أو الكاملين منهم، والأول على غيرهم. وما تقدم من فعله ﷺ في قبر فاطمة لمزيد الاطمئنان، أو يقال انهم يحشرون أولاً في الأكفان، ثم تبلىٰ أكفانهم فإن يوم القيامة يوم طويل وا العالم .

٣ ـ تطاير الكتب وإنطاق الجوارح :

قال الله تعالىٰ : ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب﴾[١]. وقال الله تعالىٰ : **﴿فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾**[٢]. وقال تعالىٰ : **﴿فكيف إذا جئنا من كل أُمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾**[٣]. وقال تعالىٰ : **﴿ويوم نبعث في كل أُمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾**[٤]. وقال تعالىٰ : **﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في**

---

(١) سورة المائدة؛ الآية: ١٠٩ .
(٢) سورة الأعراف؛ الآية: ٧ .
(٣) سورة النساء؛ الآية: ٤١ .
(٤) سورة النحل؛ الآية: ٨٩ .

عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً إقرأ كتابك كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾[1]. وقال تعالىٰ : ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾[2]. وقال تعالىٰ : ﴿ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾[3]. وقال تعالىٰ : ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾[4].

وفي جملة من الآيات أن السعداء يؤتون كتابهم بأيمانهم والأشقياء بيسارهم. وفي الكافي وغيره بأسانيد صحيحة عن الباقر عليه‌السلام في قوله تعالىٰ : ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا﴾[5]. قال : فقال إن لهذا تأويلاً، يقول ماذا أجبتم في أوصيائكم الذين خلفتموهم على أممكم، قال فيقولون لا علم لنا بما فعلوا بعدنا.

وروى القمي في تفسيره بسند كالصحيح عن ضريس عن أبي جعفر عليه‌السلام في قوله تعالىٰ : ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ قال : إذا كان يوم القيامة وحشر الناس للحساب فيمرون بأهوال يوم القيامة فينتهون إلى العرصة، ويشرف الجبار عليهم حتى يجهدوا جهداً شديداً. قال ويقفون بفناء العرصة، فأول من يدعى بنداء يسمع الخلائق أجمعين أن يهتف باسم محمد بن عبد الله النبي القرشي العربي، قال فيتقدم حتى يقف على يمين العرش. قال ثم يدعىٰ بصاحبكم علي بن أبي طالب فيتقدم حتى يقف على يسار رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله، ثم يدعىٰ بأمة محمد فيقفون عن يسار علي، ثم يدعى كل نبي وأمته معه من أول النبيين إلى آخرهم وأمتهم معهم فيقفون عن يسار العرش. قال ثم أول من يدعى للمساءلة القلم، فيتقدم فيقف بين يدي الله عز وجل في صورة الآدميين، فيقول الله له هل سطرت في اللوح ما ألهمتك وأمرتك به من الوحي، فيقول القلم نعم يا رب قد علمت اني سطرت في اللوح ما أمرتني وألهمتني به من وحيك، فيقول الله فمن يشهد لك بذلك، فيقول يا رب هل اطلع على مكنون سرك خلق غيرك. قال فيقول أفلجت حجتك أي

---

(١) سورة الإسراء؛ الآيتان: ١٣ ـ ١٤.
(٢) سورة الحج؛ الآية: ٧٨ .
(٣) سورة النور؛ الآية: ٢٤ .
(٤) سورة فصلت؛ الآيات: ١٩ ـ ٢١.
(٥) سورة المائدة؛ الآية: ١٠٩ .

أظهرتها وقومتها. قال ثم يدعىٰ باللوح فيتقدم في صورة الآدميين حتى يقف مع القلم، فيقول له هل سطر فيك القلم ما ألهمته وأمرته به من وحي، فيقول اللوح نعم يا رب وبلغته إسرافيل. ثم يدعىٰ بإسرافيل فيتقدم مع القلم واللوح في صورة الآدميين، فيقول الله هل بلغك اللوح ما سطر فيه القلم من وحيي، فيقول نعم يا رب وبلغته جبرائيل. فيدعىٰ بجبرائيل فيتقدم حتى يقف مع إسرافيل فيقول الله له هل بلغك إسرافيل ما بلغ، فيقول نعم يا رب وبلغته جميع أنبيائك، وأنفذت إليهم جميع ما انتهىٰ إلي من أمرك، وأديت رسالاتك إلى نبي نبي ورسول رسول، وبلغتهم كل وحيك وحكمتك وعلمك وكتبك، وان آخر من بلغته رسالتك ووحيك وحكمتك وعلمك وكتابك وكلامك محمد بن عبد الله العربي القرشي الحرمي حبيبك. قال أبو جعفر فأول من يدعى من ولد آدم للمسألة محمد بن عبد الله، فيدنيه الله تعالىٰ حتى لا يكون خلق أقرب إلى الله تعالىٰ يومئذ منه، فيقول الله يا محمد هل بلغك جبرائيل ما أوحيت إليه وأرسلته به إليك من كتابي وحكمتي وعلمي، وهل أوحىٰ ذلك إليك. فيقول رسول الله ﷺ نعم يا رب قد بلغني جبرائيل جميع ما أوحيته إليه وأرسلته به من كتابك وحكمتك وعلمك، وأوحاه إلي. فيقول الله لمحمد هل بلغت أمتك ما بلغك جبرائيل من كتابي وحكمتي وعلمي. فيقول رسول الله نعم يا رب قد بلغت أمتي ما أوحيت إلي من كتابك وحكمتك وعلمك، وجاهدت في سبيلك. فيقول الله لمحمد فمن يشهد لك بذلك. فيقول محمد يا رب وأنت الشاهد لي بتبليغ الرسالة وملائكتك والأبرار من أمتي وكفىٰ بك شهيداً. فيدعىٰ بالملائكة فيشهدون لمحمد بتبليغ الرسالة، ثم يدعىٰ بأمة محمد فيسألون هل بلغكم محمد رسالتي وكتابي وحكمتي وعلمي وعلمكم ذلك. فيشهدون لمحمد بتبليغ الرسالة والحكمة والعلم. فيقول الله لمحمد هل استخلفت في أمتك من بعدك حجة لي وخليفة في الأرض. فيقول محمد نعم يا رب قد خلفت فيهم علي بن أبي طالب أخي ووزيري ووصيي وخير أمتي، ونصبته لهم علماً في حياتي ودعوتهم إلى طاعته، وجعلته خليفتي في أمتي إماماً يقتدى به من بعدي إلى يوم القيامة. فيدعىٰ بعلي بن أبي طالب عليه السلام فيقال له، هل أوصىٰ إليك محمد واستخلفك في أمته ونصبك علماً لأمته، وهل قمت فيهم من بعده مقامه. فيقول له علي نعم يا رب قد أوصىٰ إلي محمد وخلفني في أمته ونصبني لهم علماً في حياته، فلما قبضت محمداً إليك جحدتني أمته ومكروا بي واستضعفوني وكادوا يقتلونني، وقدموا قدامي من أخرت، وأخروا من قدمت، ولم يسمعوا مني ولم يطيعوا أمري، فقاتلتهم في سبيلك حتى قتلوني. فيقال لعلي فهل خلفت من بعدك في أمة محمد حجة وخليفة في

الأرض يدعو عبادي إلى ديني وإلى سبيلي. فيقول علي نعم يا رب قد خلفت فيهم الحسن ابني وابن بنت نبيك فيدعىٰ الحسن بن علي فيسأل عما سئل عنه علي بن أبي طالب. قال ثم يدعىٰ بإمام إمام وبأهل عالمه فيحتجون بحجتهم فيقبل الله عذرهم ويجيز حجتهم، قال ثم يقول الله اليوم ينفع الصادقين صدقهم، قال ثم انقطع حديث أبي جعفر .

وروى ثقة الإسلام في الكافي بإسناد معتبر عن يوسف بن سعيد قال : كنت عند أبي عبد الله ذات يوم فقال لي: إذا كان يوم القيامة وجمع الله تبارك وتعالىٰ الخلائق، كان نوح عليه السلام أول من يدعىٰ به، يعني بالنسبة إلى سائر الأنبياء وإلا فخاتم الأنبياء أول من يدعي كما دل عليه النقل، فيقال له هل بلغت، فيقول نعم. فيقال له من يشهد لك، فيقول محمد بن عبد الله. قال فيخرج نوح فيتخطىٰ الناس حتى يجيء إلى محمد وهو على كثب المسك ومعه علي، وهو قول الله عز وجل : **﴿فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا﴾**[1]. فيقول نوح لمحمد، يا محمد ان الله تبارك وتعالىٰ سألني هل بلغت فقلت نعم، فقال من يشهد لك فقلت محمد، فيقول يا جعفر ويا حمزة اذهبا واشهدا انه قد بلغ. فقال أبو عبد الله عليه السلام : جعفر وحمزة هما الشاهدان للأنبياء بما بلغوا، فقلت: جعلت فداك فعلي أين هو. فقال: هو أعظم منزلة من ذلك .

وروى العياشي عن السجاد عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال : إذا كان يوم القيامة ونصب الموازين وأحضر النبيون والشهداء وهم الأئمة، يشهد كل إمام على أهل عالمه بأنه قد قام فيهم بأمر الله عز وجل ودعاهم إلى سبيل الله .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ : **﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾**[2]. قال نزلت في أُمة محمد خاصة في كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم ومحمد شاهد علينا. وفي كثير من الأخبار أنه يؤتى كل إمام مع عالمه وقرنه، فمن شهد له بالإيمان نجا، ومن شهد له بالخلاف هلك .

وروى الشيخ في الأمالي في الصحيح عن الصادق عليه السلام وقد سئل عن قول الله تعالىٰ : **﴿فلله الحجة البالغة﴾** فقال : ان الله تعالىٰ يقول للعبد يوم القيامة عبدي أكنت عالماً، فإن قال نعم قال له أفلا عملت بما علمت، وإن قال كنت جاهلاً قال له أفلا تعلمت حتى تعمل، فيخصم فتلك الحجة البالغة لله عز وجل على خلقه .

---

(١) سورة الملك؛ الآية: ٢٧ .

(٢) سورة النساء؛ الآية: ٤١

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال : إن الرجل منكم ليكون في محله فيحتج الله يوم القيامة على جيرانه، فيقال لهم ألم يكن فلان بينكم، ألم تسمعوا كلامه، ألم تسمعوا بكاءه في الليل، فيكون حجة الله عليهم .

وفي تفسير القمي في قوله تعالىٰ : ﴿**وإذا الصحف نشرت**﴾ قال صحائف الأعمال .

وفي تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ : ﴿**إقرأ كتابك كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيباً**﴾[1] . قال يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعة، فلذلك قوله : ﴿**يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها**﴾[2] .

وروى القمي في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿**حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون**﴾[3]: انها نزلت في قوم تعرض عليهم أعمالهم فينكرونها، فيقولون ما عملنا منها شيئاً، فتشهد عليهم الملائكة الذين كتبوا عليهم أعمالهم. فقال الصادق فيقولون لله يا رب هؤلاء ملائكتك يشهدون لك ثم يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً، وهو قوله تعالىٰ : ﴿**يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم**﴾[4] . وهم الذين غصبوا أمير المؤمنين، فعند ذلك يختم الله على ألسنتهم وينطق جوارحهم فيشهد السمع بما سمع مما حرم الله، ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرم الله، وتشهد اليدان بما أخذتا، وتشهد الرجلان بما سعتا مما حرم الله، ويشهد الفرج بما ارتكب مما حرم الله، ثم أنطق الله ألسنتهم فيقولون هم لجلودهم لم شهدتم علينا، فيقولون أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون، وما كنتم تستترون أي من الله ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم، والجلود الفرج، ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيراً مما تعملون .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال : وليست تشهد الجوارح على مؤمن إنما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب، فأما المؤمن فيعطىٰ كتابه بيمينه .

---

(١) سورة الإسراء؛ الآية: ١٤ .
(٢) سورة الكهف؛ الآية: ٤٩
(٣) سورة فصلت؛ الآية: ٢٠ .
(٤) سورة المجادلة؛ الآية: ١٨ .

وروى العياشي في تفسيره عن أبي معمر السعدي قال : أتىٰ علياً رجل فقال: يا أمير المؤمنين إني شككت في كتاب الله المنزل. فقال له علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ثكلتك أُمك فكيف شككت في كتاب الله المنزل. فقال له الرجل لأني وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً، وينقض بعضه بعضاً. قال فهات الذي شككت فيه. فقال لأن الله يقول : **﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمٰن وقال صواباً﴾**[1]. ويقول حيث استنطقوا : **﴿قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾** ويقول : **﴿ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً﴾**[2]. ويقول : **﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾** ويقول : **﴿لا تختصموا لدي﴾** ويقول : **﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾** فمرة يتكلمون ومرة لا يتكلمون، ومرة ينطق الجلود والأيدي والأرجل، ومرة لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمٰن وقال صواباً، فأنىٰ ذلك يا أمير المؤمنين. فقال له علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : ان ذلك ليس في موطن واحد، هي في مواطن في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة، يجمع الله الخلائق في ذلك اليوم في موطن يتعارفون فيه، فيكلم بعضهم بعضاً، ويستغفر بعضهم لبعض، أُولئك الذين بدت منهم الطاعة من الرسل والاتباع وتعاونوا على البر والتقوىٰ في دار الدنيا، والمستكبرون منهم والمستضعفون يلعن بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم بعضاً، ثم يجمعون في موطن يفر بعضهم من بعض، وذلك قوله تعالىٰ : **﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾**[3]. إذ تعاونوا على الظلم والعدوان في دار الدنيا : **﴿لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾** ثم يجمعون في موطن يبكون فيه، فلو أن تلك الأصوات بدت لأهل الدنيا لأذهلت جميع الخلائق عن معائشهم، وصدعت الجبال إلا ما شاء الله. فلا يزالون يبكون حتى يبكون الدم، ثم يجتمعون في موطن يستنطقون فيه فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين، ولا يقرون بما عملوا فيختم على أفواههم وتستنطق الأيدي والأرجل والجلود، فتنطق فتشهد بكل معصية بدت منهم، ثم يرفع الخاتم عن ألسنتهم فيقولون لجلودهم وأيديهم لم شهدتم علينا، فتقول انطقنا الله الذي انطق كل شيء، ثم يجمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلائق، فلا يتكلم أحد إلا من أذن له الرحمٰن وقال صواباً، ويجتمعون في موطن يختصمون فيه ويدان لبعض الخلائق من بعض وهو القول، وذلك كله قبل الحساب، فإذا أخذ بالحساب شغل كل بما لديه نسأل

---

(١) سورة النبأ؛ الآية : ٣٨ .

(٢) سورة العنكبوت؛ الآية : ٢٥ .

(٣) سورة عبس؛ الآية : ٣٦ .

الله بركة هذا اليوم .

وروى الصدوق في العلل عن الصادق عليه السلام وقد سئل يصلي الرجل نوافله في موضع أو يفرقها، قال عليه السلام : لا بل هاهنا وهاهنا فإنها تشهد له يوم القيامة .

وفي الكافي في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله وستر عليه في الدنيا والآخرة، فقيل وكيف يستر عليه، قال ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، ويوحي إلى جوارحه اكتمي عليه ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب. وقد ورد في جملة من الأخبار إن القرآن المجيد يشهد لمن تلاه وعمل به وعلى من ضيعه، ويشفع للعامل به حتى يدخل الجنة .

وروى الصدوق في كتاب فضائل الشيعة عن الصادق عليه السلام قال : نحن الشهداء على شيعتنا، وشيعتنا شهداء على الناس، وبشهادة شيعتنا يجزون ويعاقبون .

وروى السيد علي بن طاوس في كتاب محاسبة النفس وغيره، عن الصادق عليه السلام قال : ما من يوم يأتي على ابن آدم إلا قال ذلك اليوم يا ابن آدم أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فافعل بي خيراً، واعمل فيَّ خيراً أشهد لك يوم القيامة، فإنك لن تراني بعدها أبداً .

وفي رواية وإذا جاء الليل قال مثل ذلك عن الصادق عليه السلام قال : إن المؤمن يعطى يوم القيامة كتاباً منشوراً مكتوب فيه كتاب الله العزيز الحكيم أدخلوا فلاناً الجنة .

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اما إن الله عز وجل كما أمركم أن تحتاطوا لأنفسكم وأديانكم وأموالكم باستشهاد الشهود العدول عليكم، فكذلك قد احتاط على عباده ولكم في استشهاد الشهود عليهم، فلله عز وجل على كل عبد رقباء من كل خلقه، وله معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، يحفظون عليه ما يكون منه من أعماله وأقواله وألفاظه والحاظه، والبقاع التي تشتمل عليه شهود ربه له أو عليه، والليالي والأيام والشهود عليه أو له، وسائر عباد الله المؤمنين شهود عليه أو له، وحفظته الكاتبون أعماله شهود له أو عليه، فكم يكون يوم القيامة من شقي بشهادتها عليه، إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة عباده أجمعين واماءه فيجمعهم في صعيد واحد، ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي وتحشر الليالي والأيام، وتستشهد البقاع والشهود على أعمال

العباد، فمن عمل صالحاً شهدت له جوارحه وبقاعه وشهوره وأعوامه وساعاته وأيامه وليالي الجمع وساعاتها وأيامها، فيسعد بذلك سعادة الأبد، ومن عمل سوءً شهدت عليه فيشقى بذلك شقاء الأبد. فاعملوا ليوم القيامة وأعدوا الزاد ليوم الجمع يوم التناد، وتجنبوا المعاصي فبتقوى الله يرجى الخلاص. الحديث. وذكر فيه فضيلة رجب وشعبان وشهر رمضان وصومها .

وروى الحسين بن سعيد في كتاب الزهد باسناده عن الصادق عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يحاسب المؤمن أعطاه كتابه بيمينه وحاسبه فيما بينه وبينه، فيقول عبدي فعلت كذا وكذا وعملت كذا وكذا. فيقول نعم يا رب قد فعلت ذلك، فيقول قد غفرتها لك وأبدلتها حسنات. فيقول الناس سبحان الله أما كان لهذا العبد سيئة واحدة. وهو قول الله عز وجل : **﴿فأما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب الى أهله مسرورا﴾**[1] . قلت أيّ أهل. قال أهله في الدنيا هم أهله في الجنة إن كانوا مؤمنين. قال وإذا أراد بالعبد شراً حاسبه على رؤوس الناس وبكّته وأعطاه كتابه بشماله، وهو قوله عز وجل : **﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً إنه كان في أهله مسرورا﴾**[2] . قلت أي أهل، قال أهله في الدنيا، قلت قوله فظن ان لن يحور، قال ظن ان لن يرجع، وفيه إشارة إلى أن أيدي الكفار والمنافقين مغلولة في أعناقهم، وإن صحائفهم تعطى من وراء أظهرهم بشمالهم، وأيدي المؤمنين بخلاف ذلك. وإلى ذلك أُشير أيضاً في دعاء الوضوء بقوله : اللهم اعطني كتابي بيميني والخلد في الجنان بيساري، وحاسبني حساباً يسيراً، وقوله اللهم لا تعطني كتابي بشمالي، ولا تجعلها مغلولة إلى عنقي، وأعوذ بك من مقطعات النيران. واعلم أن في كيفية شهادة الجوارح أقوالاً :

الأول : إن الله يجعلها على بيّنة يمكنها النطق والكلام من جهتها فتكون ناطقة .

الثاني : إن الله تعالى يفعل فيها كلاماً يتضمن الشهادة فيكون المتكلم هو الله تعالى دون الجوارح، وأُضيف إليها الكلام على التوسع لأنها محل الكلام .

الثالث : إن الله تعالى يجعل فيها علامة تقوم مقام النطق بالشهادة ويظهر فيها إمارات

---

(١) سورة الانشقاق؛ الآيتان: ٨ ـ ٩ .
(٢) سورة الانشقاق؛ الآيات: ١٠ ـ ١٣ .

دالة على كون أصحابها مستحقين للنار، فسمي ذلك شهادة مجازاً . كما يقال عيناك تشهدان بسهرك .

وكذا اختلف في شهادة السماء والأرض والبقاع التي يعبد الله فيها فقيل ان الملائكة الموكلة بها تشهد، ونسبت الشهادة إليها مجازاً. وقيل إن للجمادات شعوراً ما كما قال تعالى : ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾[١] . ويدل عليه ظواهر كثير من الآيات والروايات، وقيل إن الله يعطيها في القيامة عقلاً وشعوراً دالة للنطق، وقيل إن الله يخلق لها مثالاً وصورة، والأولى والأحوط الإيمان بذلك اجمالاً وعدم الخوض في ذلك، والسكوت عما سكت الله عنه .

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤ .

الفصل السابع
الكوثر والشفاعة والصراط

١ ـ بيان الوسيلة واللواء :

الإيمان بالوسيلة واللواء والحوض والشفاعة وسائر منازل النبي وأهل بيته في القيامة، وقد تواترت بذلك الأخبار من طرق العامة والخاصة، بل كاد أن يكون من ضروريات الدين. فالإيمان بذلك واجب لا سيما الحوض والكوثر والشفاعة الكبرى، ولنورد قليلاً من الأخبار هنا :

روى الكليني والصدوق في الخصال ومعاني الأخبار، وعلي بن إبراهيم في تفسيره عن الصادق عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا سألتم الله فاسألوا لي الوسيلة. فسألنا النبي عن الوسيلة فقال: هي درجتي في الجنة، وهي ألف مرقاة ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد شهراً، وهي ما بين مرقاة جوهر إلى مرقاة زبرجد إلى مرقاة لؤلؤ إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة فضة، فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيين، فهي في درجة النبيين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذ نبي ولا شهيد ولا صديق إلا قال طوبى لمن كانت هذه درجته. فينادي المنادي ويسمع النداء جميع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين، هذه درجة محمد صلى الله عليه وآله. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل يومئذ متّزراً بريطة من نور عليَّ تاج الملك وإكليل الكرامة، وعلي بن أبي طالب أمامي وبيده لوائي وهو لواء الحمد مكتوب عليه لا إلّه إلا الله محمد رسول الله المفلحون هم الفائزون بالله، فإذا مررنا بالنبيين قالوا هذان ملكان لم نعرفهما ولم نرهما، وإذا مررنا بالملائكة قالوا هذان نبيان مرسلان حتى أعلو الدرجة، وعلي يتبعني فإذا صرت في أعلا الدرجة منها وعلي أسفل مني بيده لوائي فلا يبقى يومئذ نبي ولا مؤمن إلا رفعوا رؤوسهم إلي يقولون طوبى لهذين العبدين ما أكرمهما على الله، فينادي المنادي يسمع النبيين وجميع الخلائق هذا

حبيبي محمد، وهذا وليي علي بن أبي طالب طوبى لمن أحبه وويل لمن أبغضه وكذب عليه. ثم قال رسول الله ﷺ يا علي فلا يبقى يومئذ في مشهد القيامة أحد يحبك إلا استروح إلى هذا الكلام وابيض وجهه وفرح قلبه، ولا يبقى أحد ممن عاداك ونصب لك حرباً وجحد لك حقاً إلا اسود وجهه واضطربت قدماه، فبينا أنا كذلك إذا ملكان قد أقبلا إلي، أما أحدهما فرضوان خازن الجنة، وأما الآخر فمالك خازن النار، فيدنو رضوان ويسلم علي ويقول السلام عليك يا رسول الله، فأرد عليه وأقول أيها الملك الطيب الريح الحسن الوجه الكريم على ربه من أنت، فيقول أنا رضوان خازن الجنة أمرني ربي أن آتيك بمفاتيح الجنة فخذها يا محمد، فأقول لقد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما أنعم به علي، ادفعها إلى أخي علي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فيدفعها ويرجع رضوان. ثم يدنو مالك خازن النار فيسلم ويقول السلام عليك يا رسول الله يا حبيب الله، فأقول له وعليك السلام أيها الملك ما أنكر رؤيتك وأقبح وجهك من أنت، فيقول أنا مالك خازن النار أمرني ربي ان آتيك بمفاتيح النار، فأقول قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما أنعم به علي وفضلني به ادفعها إلى أخي علي بن أبي طالب فيدفعها إليه. ثم يرجع مالك فيقبل علي ومعه مفاتيح الجنة ومقاليد النار حتى يقعد على عجزة جهنم أي مؤخرها، ويأخذ زمامها بيده وقد علا زفيرها واشتد حرورها وكثر شررها، فتنادي جهنم يا علي جزني قد اطفأ نورك لهبي، فيقول علي لها ذري هذا وليي وخذي هذا عدوي، فلجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلي من غلام أحدكم لصاحبه، فإن شاء يذهب بها يمنة وإن شاء يذهب بها يسرة، ولجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلي من جميع الخلائق، وذلك أن علياً يومئذ قسيم الجنة والنار.

وروى القمي في تفسيره عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة دعي محمد فيكسى حلة وردية. ثم يقام عن يمين العرش، ثم يدعى بإبراهيم فيكسى حلة بيضاء فيقام يسار العرش، ثم يدعى بعلي أمير المؤمنين فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين النبي ﷺ، ثم يدعى بإسماعيل فيكسى حلة بيضاء فيقام عن يسار إبراهيم، ثم يدعى بالحسن فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين أمير المؤمنين. ثم يدعى بالحسين فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين الحسن، ثم يدعى بالأئمة فيكسون حللاً وردية فيقام كل واحد عن يمين صاحبه، ثم يدعى بالشيعة فيقومون أمامهم، ثم يدعى بفاطمة ونسائها من ذريتها وشيعتها فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم ينادي مناد من بطنان العرش من قبل رب العزة والأفق الأعلى نعم الأب أبوك يا محمد وهو إبراهيم، ونعم الأخ أخوك وهو علي بن أبي

طالب، ونعم السبط سبطاك وهما الحسن والحسين، ونعم الجنين جنينك وهو محسن، ونعم الأئمة الراشدون ذريتك وهم فلان وفلان. ونعم الشيعة شيعتك ألا إنّ محمداً ووصيه وسبطيه والأئمة من ذريته هم الفائزون ثم يؤمر بهم إلى الجنة، وذلك قوله تعالى: **﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾**[1].

وفي بصائر الدرجات عن الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة وضع منبر يراه جميع الخلائق، فيصعد عليه رجل فيقوم عن يمينه ملك، وعن يساره ملك، ينادي الذي عن يمينه يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب يُدخل النار من يشاء.

وفي تفسير العياشي عن محمد بن جعفر عن أبيه جعفر عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة نصب منبر عن يمين العرش له أربع وعشرون مرقاة، ويجيء علي بن أبي طالب عليه السلام وبيده لواء الحمد فيرتقيه ويعلوه، ويعرض الخلائق عليه فمن عرفه دخل الجنة ومن أنكره دخل النار. وتفسير ذلك في كتاب الله: **﴿قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**[2]. قال وهو والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وروى العامة والخاصة بطرق عديدة في تفسير قوله تعالى: **﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد﴾**[3]. إن الخطاب لمحمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام.

ورووا عن الأعمش والحسن بن صالح وغيرهم أن الآية هكذا أنزلت يا محمد يا علي ألقيا في جهنم كل كفار عنيد.

وروى فرات بن ابراهيم في تفسيره عن الصادق عن آبائه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله إن الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة وعدني المقام المحمود، وهو واف لي به، وإذا كان يوم القيامة نصب لي منبر له ألف درجة، فأصعد حتى أعلو فوقه، فيأتيني جبرائيل بلواء الحمد فيضعه في يدي ويقول يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى، فأقول لعلي اصعد فيكون أسفل مني بدرجة، فأضع لواء الحمد في يده، ثم يأتي رضوان بمفاتيح الجنة فيقول يا محمد هذا المقام الذي وعدك الله تعالى فيضعها في يدي، فأضعها في حجر علي بن أبي طالب، ثم يأتي مالك خازن النار فيقول يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى هذه مفاتيح النار، أدخل عدوك وعدو ذريتك وعدو امتك النار،

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ١٨٥.

(٢) سورة التوبة؛ الآية: ١٠٥.

(٣) سورة ق؛ الآية: ٢٤.

فآخذها واضعها في حجر علي بن أبي طالب فالنار والجنة يومئذ أسمع لي ولعلي من العروس لزوجها فهي قول الله تعالى : ﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد﴾[1] . ألقيا يا محمد ويا علي عدوكما في النار، ثم أقوم وأثني على الله ثناء لم يثن عليه أحد قبلي، ثم أثني على الملائكة المقربين ثم أثني على الأنبياء والمرسلين، ثم اثني على الأمم الصالحين، ثم أجلس فيثني الله علي وتثني علي ملائكته وتثني علي أنبياؤه ورسله وتثني علي الأُمم الصالحة. ثم ينادي مناد من بطنان العرش يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم حتى تمر بنت حبيب الله إلى قصرها، فتمر فاطمة بنتي عليها ريطتان خضراوان حولها سبعون ألف حوراء، فإذا بلغت إلى باب قصرها وجدت الحسن قائماً والحسين قائماً مقطوع الرأس، فتقول للحسن من هذا، فيقول هذا أخي إن امة أبيك قتلوه وقطعوا رأسه، فيأتيها النداء من عند الله تبارك وتعالى يا بنت حبيب الله اني إنما أريتك ما فعلت به أمة أبيك، لأني ذخرت لك عندي تعزيتك بمصيبتك اني لا أنظر في محاسبته حتى تدخلي الجنة أنت وذريتك وشيعتك ومن أولاكم معروفاً ممن ليس هو من شيعتك قبل أن أنظر في محاسبة العباد، فتدخل فاطمة ابنتي الجنة وذريتها وشيعتها ومن أولاها معروفاً ممن ليس هو من شيعتها، فهو قول الله تعالى في كتابه : ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ قال هو يوم القيامة : ﴿وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ هي والله فاطمة وذريتها وشيعتها ومن أولاهم معروفاً ممن هو ليس من شيعتها .

وروى الصدوق في العيون عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله يا علي أنت أول من يدخل الجنة وبيدك لوائي وهو لواء الحمد وهو سبعون شقة الشقة منه أوسع من الشمس والقمر .

وفي العلل عن السجاد عليه السلام عن آبائه عن علي قال : قال لي رسول الله: أنت أول من يدخل الجنة، فقلت: يا رسول الله أدخلها قبلك، قال: نعم لأنك صاحب لوائي في الآخرة كما أنك صاحب لوائي في الدنيا وصاحب اللواء هو المتقدم، ثم قال: يا علي كأني بك وقد دخلت الجنة وبيدك لوائي وهو لواء الحمد تحته آدم فمن دونه .

وروى الصدوق في الخصال والأمالي بأسانيد عديدة عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أتاني جبرائيل وهو فرح مستبشر، فقلت له حبيبي جبرائيل مع ما أنت فيه من الفرح ما منزلة أخي وابن عمي علي بن أبي طالب عند ربه، فقال جبرائيل يا

---

(١) سورة ق، الآية: ٢٤ .

محمد والذي بعثك بالنبوة واصطفاك بالرسالة ما هبطت في وقتي هذا إلا لهذا، يا محمد العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول محمد نبي رحمتي وعلي مقيم حجتي، لا أعذب من والاه وإن عصاني، ولا أرحم من عاداه وإن أطاعني. قال ابن عباس : ثم قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة أتاني جبرائيل وبيده لواء الحمد وهو سبعون شقة، الشقة منه أوسع من الشمس والقمر، فيدفعه إلي فآخذه وأدفعه إلى علي بن أبي طالب، فوثب عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله وكيف يطيق علي حمل اللواء وقد ذكرت أنه سبعون شقة، الشقة منه أوسع من الشمس والقمر. فقال النبي ﷺ : إذا كان يوم القيامة يعطي الله علياً من القوة مثل قوة جبرائيل، ومن النور مثل نور آدم، ومن الحلم مثل حلم رضوان، ومن الجمال مثل جمال يوسف، ومن الصوت ما يداني صوت داود، ولولا أن يكون داود خطيباً لعلي في الجنان لأعطي مثل صوته، وإن علياً أول من يشرب من السلسبيل والزنجبيل، لا تجوز لعلي قدم على الصراط إلا وثبتت له مكانها أُخرى، وإن لعلي وشيعته من الله مكاناً يغبطه به الأولون والآخرون .

وروى البرقي والكليني والعياشي وغيرهم بأسانيد عديدة عنهم عليهم السلام في تفسير قوله تعالى : ﴿**يوم ندعو كل اناس بإمامهم**﴾ أي ندعو كل قرن من هذه الأمة بإمامهم فيجيء رسول الله ﷺ في قرنه، وعلي في قرنه، والحسن في قرنه، والحسين في قرنه، وكل إمام في قرنه الذي هلك بين ظهرانيهم، فإن أثبت إمامه اعطي كتابه بيمينه، ومن أنكره كان من أصحاب الشمال الذين قال الله فيهم : ﴿**وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم**﴾[1]. وفي رواية عنه : ليس من قوم ائتموا بإمامهم في الدنيا إلا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنوه، إلا أنتم ومن على مثل حالكم .

٢ ـ الكوثر حوض النبي (ص) :

قال الله تعالى : ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾[2]. المشهور بين المفسرين ان المراد به النهر المعروف في الجنة. قال الطبرسي رحمه الله في تفسيره : اختلفوا في تفسير الكوثر، فقيل هو نهر في الجنة عن عائشة وابن عمر. قال ابن عباس لما نزلت إنا أعطيناك الكوثر صعد رسول الله المنبر فقرأها على الناس، فلما نزل قالوا يا رسول الله ما هذا الذي أعطاكه الله، قال نهر في الجنة أشد بياضاً من اللبن، وأشد استقامة من القدح، حافتاه قباب الدر

---

(١) سورة الواقعة؛ الآيات: ٤١ ـ ٤٣ .

(٢) سورة الكوثر؛ الآية: ١ .

والياقوت، ترده الطير الخضر لها اعناق كأعناق البخاتي. قالوا يا رسول الله ما أنعم تلك الطير. قال أفلا أُخبركم بأنعم منها. قالوا بلى قال من أكل الطائر وشرب الماء وفاز برضوان الله تعالى.

وروي عن أبي عبد الله أنه قال: الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله نبيه عوضاً من امته وقيل هو حوض النبي ﷺ الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة، عن عطاء. وقال انس بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً ثم رفع رأسه مبتسماً فقلت ما أضحكك يا رسول الله، قال أنزلت علي آنفاً سورة فقرأ سورة الكوثر، ثم قال أتدرون ما الكوثر، قلنا الله ورسوله أعلم، قال فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أُمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء فيختلج القرن منهم، فأقول يا رب إنهم من أُمتي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. أورده مسلم في الصحيح.

وقيل الكوثر الخير الكثير عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد. وقيل هو النبوة والكتاب عن عكرمة. وقيل القرآن عن الحسن، وقيل هو كثرة الأصحاب والأشياع عن أبي بكر بن عياش، وقيل هو كثرة النسل والذرية، وقد ظهرت الكثرة في نسله ﷺ من ولد فاطمة حتى لا يحصى عددهم، واتصل إلى يوم القيامة مددهم. وقيل هو الشفاعة رووه عن الصادق عليه السلام واللفظ محتمل للكل فيجب أن يحمل على جميع ما ذكر من الأقوال فقد أعطاه الله سبحانه الخير الكثير ووعده الخير الكثير في الآخرة وجميع هذه الأقوال تفصيل للجملة التي هي الخير الكثير في الدارين. انتهى.

وروى السيد ابن طاوس وغيره عن أبي ذر رحمه الله انه اجتمع هو وعلي والمقداد وقال: ألستم تشهدون أن رسول الله ﷺ قال أُمتي ترد علي الحوض على خمس رايات، أولها راية العجل، فأقوم فآخذ بيده فإذا أخذت بيده اسود وجهه ورجفت قدماه وخفقت أحشاؤه ومن فعل ذلك تبعه، فأقول ماذا خلفتموني في الثقلين من بعدي، فيقولون كذبنا الأكبر ومزقناه واضطهدنا الأصغر وابتززناه حقه. فأقول اسلكوا ذات الشمال فيصرفون ظماء مظمئين مسودة وجوههم لا يطعمون منه قطرة واحدة، ثم ترد علي راية فرعون أُمتي فيهم أكثر الناس وهم المبهرجون. قلت يا رسول الله وما المبهرجون أبهرجوا الطريق، قال لا ولكنهم بهرجوا دينهم أي محقوه وأبطلوه وعدلوا عن الجادة الحقة، وهم الذين يغضبون للدنيا ولها يرضون ولها يسخطون ولها ينصبون، فآخذ بيد صاحبهم فإذا أخذت بيده اسود وجهه ورجفت قدماه وخفقت أحشاؤه ومن فعل ذلك تبعه فأقول ما

خلفتموني في الثقلين بعدي، فيقول كذبنا الأكبر ومزقناه وقاتلنا الأصغر وقتلناه، فأقول اسلكوا طريق أصحابكم فينصرفون ظماء مظمئين مسودة وجوههم لا يطعمون منه قطرة. ثم ترد علي راية فلان وهو إمام خمسين ألفاً من أمتي، فأقوم فآخذ بيده فإذا أخذت بيده اسود وجهه ورجفت قدماه وخفقت أحشاؤه ومن فعل ذلك تبعه، فأقول ما خلفتموني في الثقلين بعدي، فيقولون كذبنا الأكبر وعصيناه وخذلنا الأصغر وخذلنا عنه، فأقول اسلكوا سبيل أصحابكم فينصرفون ظماء مظمئين مسودة وجوههم لا يطعمون منه قطرة. ثم يرد علي المخدج أي ذو الثدية رئيس الخوارج برايته وهو إمام سبعين ألفاً من أمتي، فإذا أخذت بيده اسود وجهه ورجفت قدماه وخفقت أحشاؤه ومن فعل ذلك تبعه، فأقول ماذا خلفتموني في الثقلين بعدي، فيقولون كذبنا الأكبر وعصيناه وقاتلنا الأصغر فقتلناه، فأقول اسلكوا سبيل أصحابكم، فينصرفون ظماء مظمئين مسودة وجوههم لا يطعمون منه قطرة. ثم يرد علي أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين، فأقوم فآخذ بيده فيبيض وجهه ووجوه أصحابه فأقول ماذا خلفتموني في الثقلين بعدي، فيقولون اتبعنا الأكبر وصدقناه وآزرنا الأصغر ونصرناه وقتلنا معه، فأقول ردوا فيشربون شربة لا يظمأون بعدها أبداً، إمامهم كالشمس الطالعة ووجوههم كالقمر ليلة البدر أو كانوا كأضواء نجم في السماء، قال ألستم تشهدون على ذلك، قالوا بلى، قال وأنا على ذلكم من الشاهدين .

وفي تفسير القمي وبشارة المصطفى عن الباقر عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد من الأولين والآخرين عراة حفاة، فيوقفون على طريق المحشر حتى يعرقوا عرقاً شديداً وتشتد أنفاسهم فيمكثون كذلك ما شاء الله وذلك قوله تعالى : ﴿فلا تسمع إلا همسا﴾. قال ثم ينادي مناد من تلقاء العرش أين النبي الأُمي، قال فيقول الناس قد أسمعت فسم باسمه، قال فينادي أين نبي الرحمة محمد بن عبد الله، قال فيقوم رسول الله صلى الله عليه وآله فيتقدم أمام الناس كلهم حتى ينتهي إلى حوض طوله بين أيلة وصنعاء فيقف عليه، ثم ينادي بصاحبكم فيقوم أمام الناس فيقف معه، ثم يؤذن للناس فيمرون. قال أبو جعفر عليه السلام : فبين وارد يومئذ وبين مصروف، فإذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من يصرف عنه من محبينا أهل البيت بكى وقال يا رب شيعة علي يا رب شيعة علي، قال فيبعث الله إليه ملكاً فيقول له ما يبكيك يا محمد، قال فيقول وكيف لا أبكي لأُناس من شيعة أخي علي بن أبي طالب، أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النار ومنعوا من ورود حوضي، قال فيقول الله عز وجل له يا محمد اني قد وهبتهم لك وصفحت لك عن ذنوبهم وألحقتهم بك وبمن كانوا يتولون من ذريتك وجعلتهم في زمرتك وأوردتهم حوضك وقبلت شفاعتك

فيهم وأكرمتك بذلك. ثم قال الباقر عليه السلام: فكم من باك يومئذ وباكية ينادون يا محمداه إذا رأوا ذلك، فلا يبقى أحد يومئذ كان يتولانا ويحبنا إلا كان في حزبنا ومعنا وورد حوضنا.

وفي مجالس المفيد وأمالي الشيخ وبشارة المصطفى عن ابن عباس قال: لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله: **﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾** قال له علي بن أبي طالب ما هذا الكوثر يا رسول الله قال نهر أكرمني الله به، قال علي إن هذا النهر شريف فانعته لنا يا رسول الله، قال نعم يا علي الكوثر نهر يجري تحت عرش الله ماؤه أشد بياضاً من اللبن واحلى من العسل، وألين من الزبد حصاه من الزبرجد والياقوت والمرجان، حشيشه الزعفران، ترابه المسك الاذفر، قواعده تحت عرش الله عز وجل، ثم ضرب رسول الله يده في جنب علي أمير المؤمنين وقال يا علي إن هذا النهر لي ولك ولمحبيك من بعدي.

وعن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله إن الله عز وجل أعطاني نهراً في السماء مجراه تحت العرش عليه ألف ألف قصر، لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وحشيشها الزعفران، ورضراضها الدر والياقوت، وأرضها المسك الأبيض وذلك خير لي ولأمتي وذلك قوله تعالى: **﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾**[1].

وروى الصدوق في الأمالي والعيون بإسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي.

وفي الأمالي عنه قال: يا علي أنت أخي ووزيري وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وأنت صاحب حوضي من احبك أحبني ومن ابغضك أبغضني. وعنه عليه السلام قال: من أراد أن يتخلص من هول القيامة فليتول وليي وليتبع وصيي وخليفتي من بعدي علي بن أبي طالب، فإنه صاحب حوضي يذود عنه اعداءه ويسقي أولياءه، فمن لم يسق منه لم يزل عطشاناً ولم يرو أبداً، ومن سقي منه شربة لم يشق ولم يظمأ أبداً.

وفي الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومعي عترتي على الحوض فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل بعملنا فإن لكل أهل بيت نجيب ولنا شفاعة ولأهل مودتنا شفاعة، فتنافسوا في لقائنا على الحوض فإنا نذود عنه أعداءنا ونسقي منه أحباءنا وأولياءنا ومن شرب شربة لم يظمأ بعدها أبداً. حوضنا مترع أي مملوء، فيه مثغبان

---

(١) سورة الكوثر؛ الآية: ١.

أي ميزابان من الجنة، أحدهما من تسنيم والآخر من معين على حافتيه الزعفران وحصاه اللؤلؤ والياقوت وهو الكوثر .

وفي مجالس المفيد عن أمير المؤمنين قال : والله لأذودن بيديَّ هاتين القصيرتين عن حوض رسول الله أعدائنا، وليردنه أحباؤنا .

وعن أبي أيوب الأنصاري عن النبي ﷺ في حديث قال فيه بعد وصف الحوض : لا يرده أحد من أمتي إلا النقية قلوبهم الصحيحة نياتهم المسلمون للوصي من بعدي، الذين يعطون ما عليهم في يسر ولا يأخذون ما عليهم في عسر، يذود عنه يوم القيامة من ليس من شيعته كما يذود الرجل البعير الأجرب عن إبله، من شرب منه لم يظمأ أبداً .

وروى الصدوق في الأمالي بإسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ أنا سيد الأنبياء والمرسلين وأفضل من الملائكة المقربين. وأوصيائي سادة أوصياء النبيين والمرسلين. وذرياتي أفضل ذريات النبيين والمرسلين وأصحابي الذين سلكوا منهاجي أفضل أصحاب النبيين والمرسلين، وابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين، والطاهرات من أزواجي أُمهات المؤمنين، وأُمتي خير أُمة اخرجت للناس، وأنا أكثر النبيين تبعاً يوم القيامة، ولي حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء، فيه من الأباريق عدد نجوم السماء، وخليفتي على الحوض يومئذ خليفتي في الدنيا. فقيل ومن ذاك يا رسول الله. قال إمام المسلمين وأمير المؤمنين ومولاهم بعدي علي بن أبي طالب يسقي منه أولياءه ويذود عنه أعداءه كما يذود أحدكم الغريب من الابل عن الماء، ثم قال ﷺ : من أحب علياً واطاعه في دار الدنيا ورد على حوضي غداً وكان معي في درجتي في الجنة، ومن أبغض علياً في دار الدنيا وعصاه لم أره ولم يرني يوم القيامة، واختلج دوني وأُخذ به ذات الشمال إلى النار .

وفي مناقب ابن شهر آشوب عن الحافظ أبي نعيم وهو من مشاهير المخالفين بإسناده إلى عطية عن انس قال : دخلت على رسول الله ﷺ فقال قد أُعطيت الكوثر. فقلت يا رسول الله وما الكوثر، قال نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب، لا يشرب منه أحد فيظمأ، ولا يتوضأ أحد منه فيشعث، لا يشربه من أخفر ذمتي ولا من قتل أهل بيتي. وعنه ﷺ : يذود علي عنه يوم القيامة من ليس من شيعته، ومن شرب منه لم يظمأ أبداً .

وروى أحمد بن حنبل نحوه . وروى ابن قولويه في الكامل بإسناد معتبر عن مسمع

كردين عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الموجع قلبه لنا ليفرح يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال تلك الفرحة في قلبه. حتى يرد علينا الحوض، وإن الكوثر ليفرح بمحبنا إذا ورد عليه حتى إنه ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه، يا مسمع من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، ولم يشق بعدها أبداً، وهو في برد الكافور وريح المسك وطعم الزنجبيل أحلى من العسل، وألين من الزبد، وأصفى من الدمع، وأزكى من العنبر، يخرج من تسنيم ويمر بأنهار الجنة، يجري على رضراض الدر والياقوت، فيه من القدحان أكثر من عدد نجوم السماء، يوجد ريحه من مسيرة الف عام، قدحانه من الذهب والفضة وألوان الجواهر، يفوح في وجه الشارب منه كل فائحة حتى يقول الشارب منه ليتني تركت هٰهنا، لا أبغي بهذا بدلاً ولا عنه تحويلاً، أما انك يا كردين ممن تروى منه، وما من عين بكت لنا إلا نعمت بالنظر إلى الكوثر وسقي منه من أحبنا وإن الشارب منه ليعطى من اللذة والمطعم والشهوة له أكثر مما يعطاه من هو دونه في حبنا، وإن على الكوثر أمير المؤمنين في يده عصا من العوسج يحطم بها أعداءنا، فيقول الرجل منهم اني أشهد الشهادتين فيقول انطلق إلى امامك فلان فاساله يشفع لك فيقول تبرأ مني إمامي الذي تذكره، فيقول ارجع وراءك فقل للذي كنت تتولاه وتقدمه على الخلق، فاسأله إذا كان عندك خير الخلق أن يشفع لك، فإن خير الخلق حقيق أن لا يرد إذا شفع، فيقول اني أهلك عطشاً، فيقول زادك الله ظمأ وزادك الله عطشاً. قلت جعلت فداك وكيف يقدر على الدنو من الحوض ولم يقدر عليه غيره. قال ورع عن أشياء قبيحة وكف عن شتمنا إذا ذكرنا وترك أشياء اجترأ عليها غيره، وليس ذلك لحبنا ولا لهوى منه لنا، ولكن ذلك لشدة اجتهاده في عبادته وتدينه ولما قد شغل به نفسه عن ذكر الناس، فأما قلبه فمنافق ودينه النصب واتباع أهل النصب وولاية الماضيين وتقديمه لهما على كل أحد، وفي الباب أحاديث كثيرة اكتفينا بما ذكر .

وقال الصدوق في العقائد، اعتقادنا في الحوض أنه حق، وأن عرضه ما بين أيلة وصنعاء، وهو حوض النبي وإن فيه من الأباريق عدد نجوم السماء، وإن الوالي عليه يوم القيامة أمير المؤمنين يسقي منه أولياءه ويذود عنه أعداءه، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً .

٣ ـ الشفاعـة :

إعلم انه لا خلاف بين المسلمين في ثبوت الشفاعة لسيد المرسلين في أُمته، بل في سائر الأُمم الماضين، بل ذلك من ضروريات الدين، قال الله تعالى : **﴿عسى ان يبعثك**

ربك مقاما محمودا﴾ وإنما اختلف في معناها، فالذي عليه الفرقة المحقة وأكثر العامة أن الشفاعة كما تكون في زيادة الثواب، كذلك تكون لإسقاط العقاب عن فساق المسلمين المستحقين للعذاب والخوارج والوعيدية من المعتزلة، إنها لا تكون إلا في طلب زيادة المنافع للمؤمنين المستحقين للثواب، زعماً منهم أنه كما يجب الوفاء بالوعد فكذا يجب بالوعيد، ولنا على إبطال مذهبهم مضافاً إلى الأخبار المتواترة أن الشفاعة لو كانت في زيادة المنافع لا غير لكنا شافعين في النبي حيث نطلب له من الله علو الدرجات، والتالي باطل قطعاً لأن الشافع أعلى من المشفوع فيه، فالمقدم مثله وقد استدلوا بوجوه :

الأول : قوله تعالى : ﴿**ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**﴾[1]. فنفى الله تعالى قبول الشفاعة عن الظالم والفاسق ظالم، وأجيب بأنه تعالى نفى الشفيع المطاع، ونحن نقول به لأنه ليس في الآخرة شفيع يطاع، لأن المطاع فوق المطيع، والله تعالى فوق كل موجود ولا أحد فوقه، ولا يلزم من نفي الشفيع المطاع نفي الشفيع المجاب، سلمنا لكن لم لا يجوز أن يكون المراد بالظالمين هنا الكفار جمعاً بين الأدلة .

الثاني : قوله تعالى : ﴿**وما للظالمين من أنصار**﴾. ولو شفع ﷺ في الفاسق لكان ناصراً له .

الثالث : قوله تعالى : ﴿**ولا تنفعها شفاعة يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾. والجواب عن هذه الآيات كلها انها مختصة بالكفار جمعاً بين الأدلة .

الرابع : قوله تعالى : ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾[2]. نفى شفاعة الملائكة عن غير المرضي لله تعالى، والفاسق غير مرضي والجواب لا نسلم أن الفاسق غير مرضي، بل هو مرضي لله تعالى في إيمانه. وقال المحقق الطوسي رحمه الله والحق صدق الشفاعة فيها، أي في زيادة المنافع وإسقاط المضار وثبوت الثاني له بقوله ﷺ ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي. انتهى وهذا الحديث رواه العامة والخاصة بطرق عديدة .

وقال الصدوق في العقائد : اعتقادنا في الشفاعة أنها لمن ارتضى دينه من أهل الكبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة. وقال النبي ﷺ : من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي. وقال ﷺ : لا شفيع انجح

---

(١) سورة غافر؛ الآية: ١٨ .

(٢) سورة الأنبياء؛ الآية: ٢٨ .

من التوبة، والشفاعة للأنبياء والأوصياء والمؤمنين والملائكة، وفي المؤمنين من يشفع في مثل ربيعة ومضر، وأقل المؤمنين شفاعة من يشفع في ثلاثين إنساناً، والشفاعة لا تكون لأهل الشك والشرك، ولا لأهل الكفر والجحود بل تكون للمؤمنين من أهل التوحيد. انتهى.

وفي الخصال من طرق المخالفين عن انس قال: قال رسول الله ﷺ لكل نبي دعوة قد دعا بها وقد سأل سؤلاً، وقد اخبأت دعوتي لشفاعتي لأُمتي يوم القيامة.

وعن الصادق عليه السلام عن آبائه عنه ﷺ قال: ثلاثة يشفعون إلى الله عز وجل، فيشفعون: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء.

وفي العيون عن الرضا عليه السلام عن آبائه عنه ﷺ قال: من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي، ثم قال ﷺ: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل. قال الراوي فقلت للرضا عليه السلام يا بن رسول الله فما معنى قوله عز وجل ولا يشفعون إلا لمن ارتضى. قال لا يشفعون إلا لمن ارتضى دينه.

وقال الطبرسي رحمه الله في المجمع: وهي ـ يعني الشفاعة ـ ثابتة عندنا للنبي ولأصحابه المنتجبين والأئمة من أهل بيته الطاهرين ولصالح المؤمنين، وينجّي الله تعالى بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين، ويؤيده الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول وهو قوله ﷺ: ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. وما جاء في روايات أصحابنا رضوان الله عليهم مرفوعاً عن النبي ﷺ انه قال: اني أشفع يوم القيامة فأشفع ويشفع علي فيشفع، ويشفع أهل بيتي فيشفعون، وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع في أربعين من إخوانه كل استوجب النار. وقال في قوله تعالى: **﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾**[(1)]. العهد هو الإيمان والإقرار بوحدانية الله تعالى، والتصديق بأنبيائه، وقيل هو شهادة ان لا إلٰه إلا الله وأن يتبرأ من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله عن ابن عباس. وقيل لا يشفع إلا من وعد له الرحمٰن بإطلاق الشفاعة، كالأنبياء والشهداء والعلماء والمؤمنين.

وفي الصحيح أن المراد به الوصية بالعقائد الحقة عند الموت، وهي اللهم فاطر السموات والأرض الخ، في قوله سبحانه: **﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾**[(2)]. هو

(١) سورة مريم؛ الآية: ٨٧.
(٢) سورة البقرة؛ الآية: ٢٥٥.

استفهام معناه الإنكار والنفي، أي لا يشفع يوم القيامة أحد لأحد إلا بإذنه وأمره، وذلك أن المشركين كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم، فأخبر الله سبحانه أن أحداً ممن له الشفاعة لا يشفع إلا بعد أن يأذن الله له في ذلك ويأمره به. وقوله: **﴿لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا﴾**[1]. أي لا تنفع ذلك اليوم شفاعة أحد في غيره إلا شفاعة من أذن الله له أن يشفع ورضي قوله فيها من الأنبياء والأولياء والصالحين والصديقين والشهداء وفي قوله: **﴿لا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾**[2]. أي ارتضى دينه.

وروى الصدوق في الأمالي بإسناده عن أمير المؤمنين قال: قالت فاطمة لرسول الله ﷺ يا أبتاه أين ألقاك يوم الموقف الأعظم ويوم الأهوال، ويوم الفزع الأكبر. قال يا فاطمة عند باب الجنة ومعي لواء الحمد، وأنا الشفيع لأمتي إلى ربي. قالت يا أبتاه فإن لم ألقك هناك. قال إلقيني عند الحوض وأنا أسقي أمتي. قالت يا أبتاه وإن لم ألقك هناك. قال القيني عند الصراط وأنا قائم أقول ربي سلم أمتي. قالت فإن لم ألقك هناك. قال القيني على شفير جهنم أمنع شررها ولهبها عن أمتي. فاستبشرت فاطمة بذلك.

وفي تفسير القمي عن سماعة عن الصادق عليه السلام قال: سألته عن شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة قال يلجم الناس يوم القيامة العرق، ويرهقهم القلق، فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا، فيأتون آدم فيقولون اشفع لنا عند ربك، فيقول إن لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردهم إلى من يليه، ويردهم كل نبي إلى من يليه حتى ينتهوا إلى عيسى، فيقول عليكم بمحمد رسول الله ﷺ، فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه، فيقول انطلقوا فينطلق بهم إلى باب الجنة، ويستقبل باب الرحمن ويخر ساجداً فيمكث ما شاء الله، فيقول الله عز وجل ارفع رأسك واشفع تشفع واسأل تعطى، وذلك قوله تعالى: **﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا﴾**[3].

وفي أمالي الصدوق، وبشارة المصطفى عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فتغشاهم ظلمات شديدة فيضجون إلى ربهم ويقولون يا رب اكشف عنا هذه الظلمة، قال فيقبل قوم يمشي النور بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة، فيقول أهل الجمع فهؤلاء ملائكة فيجيئهم النداء من عند الله

---

(١) سورة طه؛ الآية: ١٠٩.

(٢) سورة الأنبياء؛ الآية: ٢٨.

(٣) سورة الإسراء؛ الآية: ٧٩.

ما هؤلاء بملائكة فيقول أهل الجمع من أنتم، فيقولون نحن العلويون، نحن ذرية محمد رسول الله، نحن أولاد علي وليّ الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنون، فيجيئهم النداء من عند الله عز وجل اشفعوا في محبيكم وأهل مودتكم وشيعتكم، فيشفعون فيُشفعون .

وفي العلل عن الصادق عليه السلام قال: شيعتنا من نور الله خلقوا وإليه يعودون، ووالله انكم لملحقون بنا يوم القيامة، وانا لنشفع فنشفع ووالله إنكم لتشفعون فتشفعون. وما من رجل منكم إلا وسترفع له نار عن شماله وجنة عن يمينه فيدخل أحباءه الجنة وأعداءه النار .

وفي الأمالي عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إذا قمت المقام المحمود تشفعت في أصحاب الكبائر من أُمتي، فيشفعني الله فيهم، والله لا تشفعت فيمن آذى ذريتي. وعن الصادق عليه السلام قال : من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا، المعراج والمساءلة في القبر والشفاعة .

وفي تفسير القمي عن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام قالا : والله لنشفعن في المذنبين من شيعتنا حتى تقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك فما لنا من شافعين ولا صديق حميم، فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين .

وبسند معتبر كالصحيح عن أبيه عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي العباس المكبر قال : دخل مولى لامرأة علي بن الحسين على أبي جعفر يقال له أبو أيمن، فقال له يا أبا جعفر تغرُّون الناس وتقولون شفاعة محمد شفاعة محمد. فغضب أبو جعفر حتى تربد أي تغير وجهه، ثم قال ويحك يا أبا أيمن أغرك أن عف بطنك وفرجك، اما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد، ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار. ثم قال عليه السلام : ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد يوم القيامة. ثم قال أبو جعفر عليه السلام : إن لرسول الله الشفاعة في أُمته، ولنا شفاعة في شيعتنا، ولشيعتنا شفاعة في أهاليهم. ثم قال وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر، وإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه، ويقول يا رب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد .

وروى الصدوق في العيون مسنداً عن أمير المؤمنين قال : إن للجنة لثمانية أبواب، باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا، فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول يا رب سلم شيعتي

ومحبيّ وأنصاري ومن توالاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أُجيبت دعوتك وشفعت في شيعتك، ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألفاً من جيرانه وأقربائه، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد ان لا إلّه إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت .

وفي ثواب الأعمال مسنداً عن الصادق عليه السلام قال : إن المؤمن منكم يوم القيامة ليمر به الرجل له المعرفة به في الدنيا وقد أُمر به إلى النار والملك ينطلق به. قال فيقول يا فلان أغثني فقد كنت أصنع إليك المعروف في الدنيا وأنفعك في الحاجة تطلبها مني، فهل عندك اليوم مكافأة. فيقول المؤمن للملك الموكل به خلِّ سبيله، قال فيسمع الله قول المؤمن فيأمر الملك أن يجيز قول المؤمن فيخلي سبيله .

وعن الصادق عليه السلام : إن المؤمن ليشفع لحميمه إلا أن يكون ناصبياً، ولو أن ناصبياً شفع له كل نبي مرسل وملك مقرب ما شفعوا .

وفي علل الصدوق عن الصادق عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة بعث الله العالم والعابد، فإذا وقفا بين يدي الله عز وجل قيل للعابد انطلق إلى الجنة، وقيل للعالم قف تشفع للناس بحسن تأديبك لهم .

وفي تفسير فرات بن ابراهيم بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : قال جابر لأبي جعفر: جعلت فداك يا بن رسول الله حدثني بحديث في فضل جدتك فاطمة، إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك. قال أبو جعفر: حدثني أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور، يكون منبري أعلى منابرهم يوم القيامة، ثم يقول الله يا محمد اخطب، فأخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلها، ثم ينصب للأوصياء منابر من نور، وينصب للوصي علي بن أبي طالب في أوساطهم منبر من نور، فيكون منبره أعلى منابرهم ثم يقول الله يا علي اخطب فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها، ثم ينصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور، فيكون لابنيَّ وسبطيَّ وريحانتيَّ أيام حياتي منبر من نور. ثم يقال لهما اخطبا، فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء والمرسلين بمثلهما. ثم ينادي المنادي وهو جبرائيل أين فاطمة بنت محمد، أين خديجة بنت خويلد، أين مريم بنت عمران، أين آسية بنت مزاحم، أين كلثوم أم يحيى بن زكريا، فيقمن فيقول الله تبارك وتعالى يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم، فيقول محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين لله الواحد القهار

فيقول الله تعالى يا أهل الجمع إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، يا أهل الجمع طأطئوا الرؤوس وغضوا الأبصار فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة، فيأتيها جبرائيل بناقة من نوق الجنة مدبجة الجنبين خطامها من اللؤلؤ الرطب عليها رحل من المرجان، فتناخ بين يديها فتركبها فيبعث الله مائة ألف ملك ليسيروا عن يمينها ويبعث الله إليها مائة ألف ملك ليسيروا عن يسارها، ويبعث الله إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتى يصيروها على باب الجنة، فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت فيقول الله يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي، فتقول يا رب أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم. فيقول يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك ولأحد من ذريتك خذي بيده فأدخليه الجنة. قال أبو جعفر: والله يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الردي، فإذا صارت شيعتها معها عند باب الجنة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول الله يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي، فيقولون يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم. فيقول الله يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة، انظروا من كساكم لحب فاطمة انظروا من سقاكم شربة لحب فاطمة، انظروا من رد عنكم غيبة في حب فاطمة، فخذوا بيده وأدخلوه الجنة. قال أبو جعفر والله لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى: ﴿**فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين**﴾[1]. قال أبو جعفر هيهات هيهات منعوا ما طلبوا ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون.

وفي الكافي بسند معتبر عن عبد الحميد الوائيثي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له ان لنا جاراً ينتهك المحارم كلها حتى انه ليترك الصلاة فضلاً عن غيرها. فقال: سبحان الله وأعظم من ذلك ألا أخبركم بمن هو شر منه. قلت بلىٰ قال: الناصب لنا شرٌ منه أما انه ليس من عبد يذكر عنده أهل البيت فيرق لذكرنا إلا مسحت الملائكة ظهره، وغفر له ذنوبه كلها، إلا ان يجيء بذنب يخرجه من الإيمان وان الشفاعة لمقبولة، وما تقبل في ناصب، وان المؤمن ليشفع لجاره وما له حسنة، فيقول يا رب جاري كان يكف عني الأذىٰ فيشفع فيه، فيقول الله تبارك وتعالىٰ أنا ربك وأنا أحق من كافى عنك فيدخله الجنة وما له من حسنة، وان أدنىٰ المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً، فعند ذلك يقول أهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم.

---

(١) سورة الشعراء؛ الآيتان: ١٠٠ ـ ١٠٢.

وفي العلل عن الباقر عليه السلام قال : لا تسألوهم، يعني المخالفين فتكلفونا قضاء حوائجهم يوم القيامة. وفي رواية أُخرىٰ قال عليه السلام : لا تسألوهم الحوائج فتكونوا لهم الوسيلة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في القيامة. والأخبار في ذلك كثيرة يحتاج جمعها إلى كتاب مفرد كبير الحجم .

٤ ـ الصراط :

الصراط ـ وهو من ضروريات الدين ـ لا خلاف فيه بين أحد من المسلمين والآيات فيه متضافرة، والأخبار به متواترة. وقد ورد في روايات العامة والخاصة انه جسر على جهنم أحدّ من السيف وأدق من الشعرة، وعليه عقبات كثيرة وهو صراطان، ظاهري وهو ما ذكر، وباطني وهو النبي والأئمة، كما ورد عنهم نحن الصراط، وقال أمير المؤمنين عليه السلام : أنا الصرط الممدود بين الجنة والنار. وعن الصادق عليه السلام : الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام . فمن كان متمسكاً بولائهم ومحبتهم ومتابعتهم في أقوالهم وأفعالهم فقد هدي إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، ومن خالفهم زل وضل. وفي معاني الأخبار عن المفضل بن عمر قال : سألت أبا عبد الله عن الصراط فقال هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل، وهما صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدىٰ بهداه مرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردىٰ في نار جهنم .

وفي تفسير العسكري : الصراط المستقيم صراطان، صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر من الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، وأما الصراط في الآخرة فهو طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنة إلى النار ولا إلى غير النار سوىٰ الجنة .

وقال الصدوق في العقائد: اعتقادنا في الصراط انه حق، وأنه جسر جهنم، وان عليه ممر جميع الخلق، قال الله عز وجل : ﴿**وان منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً**﴾[1] . والصراط في وجه آخر اسم حجج الله، فمن عرفهم في الدنيا وأطاعهم أعطاه الله عز وجل جوازاً على الصراط الذي هو جسر جهنم يوم القيامة، وقال النبي لعلي : إذا

---

(١) سورة مريم؛ الآية: ٧١ .

كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرائيل على الصراط فلا يجوز على الصراط إلا من كانت معه براءة بولايتك .

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في شرحه : الصراط في اللغة هو الطريق فلذلك سمي الدين صراطاً لأنه طريق إلى الثواب، وله سمي الولاء لأمير المؤمنين والأئمة من ذريته صراطاً. ومن معناه قال أمير المؤمنين : أنا صراط الله المستقيم وعروته الوثقىٰ التي لا انفصام لها. يعني ان معرفته والتمسك به طريق الله سبحانه. وقد جاء الخبر بأن الطريق يوم القيامة إلى الجنة لجسر تمر به الناس، وهو الصراط الذي يقف عن يمينه رسول الله صلى الله عليه وآله وعن شماله أمير المؤمنين، ويأتيهما النداء من الله تعالىٰ ألقيا في جهنم كل كفار عنيد. وجاء الخبر انه لا يعبر الصراط يوم القيامة إلا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب من النار. وجاء الخبر بأن الصراط أدق من الشعرة وأحدّ من السيف على الكافر، والمراد بذلك انه لا يثبت لكافر قدم على الصراط يوم القيامة من شدة ما يلحقهم من أهوال القيامة ومخاوفها، فهم يمشون عليه كالذي يمشي على الشيء الذي هو أدق من الشعرة وأحدّ من السيف، وهذا مثل مضروب لما يلحق الكافر من الشدة في عبوره على الصراط، وهو طريق إلى الجنة وطريق إلى النار، يسير العبد منه إلى الجنة ويرىٰ من أهوال النار، وقد يعبر عنه إلى الطريق المعوج، فلهذا قال الله تعالىٰ : ﴿**وان هذا صراطي مستقيماً**﴾[1]. فميّز بين طريقه الذي دعي إلى سلوكه من الدين، وبين طرق الضلال وقال الله تعالىٰ فيما أمر عباده من الدعاء وتلاوة القرآن : ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾[2]. فدل على أن سواه صراط غير مستقيم، وصراط الله دين الله، وصراط الشيطان طريق العصيان، والصراط في الأصل على ما بيناه هو الطريق، والصراط يوم القيامة هو الطريق للسلوك إلى الجنة والنار على ما قدمناه. انتهىٰ كلامه رحمه الله .

ولا يخفىٰ انه لا اضطرار في تأويل كونه أدق من الشعرة وأحدّ من السيف بما ذكره رحمه الله .

وروى الصدوق في الأمالي بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام قال : الناس يمرون على الصراط طبقات، يعني على أقسام والصراط أدق من الشعرة ومن حد السيف فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر حبواً، ومنهم من يمر

---

(١) سورة الأنعام؛ الآية: ١٥٢ .
(٢) سورة الحمد؛ الآية: ٦ .

مشياً، ومنهم من يمر متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً .

وروى الصدوق وعلي بن إبراهيم بأسانيدهما عن الباقر قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ سئل عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقال: أخبرني الروح الأمين أن الله لا إله غيره إذا برز الخلائق وجميع الأولين والآخرين أتى بجهنم تقاد بألف زمام، يقودها مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هدة وغضب وزفير وشهيق، وإنها لتزفر الزفرة فلولا أنّ الله عز وجل أخّرهم للحساب لأهلكت الجميع، ثم يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق، البر منهم والفاجر، فم خلق الله عز وجل عبداً من عباده ملكاً ولا نبياً إلا ينادي ربي نفسي نفسي، وأنت يا نبي الله تنادي أُمتي أُمتي، ثم يوضع عليها الصراط أدق من الشعرة وأحدّ من السيف عليها ثلاث قناطر، فأما واحدة فعليها الأمانة والرحم، وثانيها فعليها الصلاة، وأما الثالثة فعليها عدل رب العالمين جل وعز، وهو قوله تعالىٰ : ﴿ان ربك لبالمرصاد﴾ والناس على الصراط فمتعلق بيد وتزل قدم ويستمسك بقدم والملائكة حوله ينادون يا حليم اغفر واصفح وعد بفضلك وسلم سلم، والناس يتهافتون في النار كالفراش، فإذا نجا ناج برحمة الله عز وجل مرَّ بها، فقال الحمد لله وبنعمته تتم الصالحات وتزكو الحسنات والحمد لله الذي نجّاني منك بعد إياس بمنه وفضله ان ربنا لغفور شكور .

قال المحقق المجلسي رحمه الله : لعل المراد بالأمانة بالنسبة إلى الأموال، والعدل بالنسبة إلى المظالم الأُخر أو يكون الأول في حقوق الله والثاني في حقوق الناس ولا يبعد ان يكون المراد بالرحم رحم آل محمد كما ورد ما يشهد له في بعض الأخبار، وبالأمانة عدم الخيانة في العهد والميثاق والبيعة التي في أعناقهم، حيث قدمها على الصلاة وعقبة الولاية التي هي أعظم العقبات، ووردت في أخبار أُخر لم تذكر هنا وهو ما يؤيد ان المراد بالأمانة عدم الخيانة في عهد الإمامة، ويمكن ان يقال إن ذلك بالنسبة إلى المؤمنين، وأما الكفار والمشركون والمخالفون ففي جهنم قبل الولوج في الصراط وفي أوله .

وروى ابن شهر آشوب في المناقب من طرق المخالفين عن الشافعي عن مالك عن حميد عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالىٰ : ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ ان فوق الصراط عقبة كؤوداً طولها ثلاثة آلاف عام، ألف عام هبوط، وألف عام شوك وحسك وعقارب وحيات، وألف عام صعود، أنا أول من يقطع تلك العقبة، وثاني من يقطع تلك العقبة علي بن أبي طالب. وقال ﷺ بعد كلام لا يقطعها في غير مشقة إلا محمد وأهل بيته .

وعن تفسير مقاتل عن عطا عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : **﴿يوم لا يخزي الله النبي﴾** لا يعذب الله محمداً والذين آمنوا معه، أي لا يعذب علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وحمزة وجعفر، نورهم يسعى يضيء على الصراط لعلي وفاطمة ومثل الدنيا سبعين مرة، فيسعىٰ نورهم بين أيديهم ويسعىٰ عن أيمانهم وهم يتبعونها، فيمضي أهل بيت محمد وآله زمرة على الصراط مثل البرق الخاطف، ثم قوم مثل الريح، ثم قوم مثل عدو الفرس، ثم يمضي قوم مثل المشي، ثم قوم مثل الحبو، ثم قوم مثل الزحف ويجعله الله على المؤمنين عريضاً وعلى المذنبين دقيقاً. قال الله تعالىٰ : **﴿يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾** حتى نجتاز به على الصراط. قال فيجوز أمير المؤمنين في هودج من الزمرد الأخضر ومعه فاطمة على نجيب من الياقوت الأحمر لها سبعون ألف حوراء كالبرق اللامع .

وروى الشيخ الطوسي رحمه الله في أماليه من طرق المخالفين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله قال إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنم لم يجز عليه إلا من كان معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ، وذلك قوله تعالىٰ : **﴿وقفوهم انهم مسؤولون﴾** يعني عن ولاية علي بن أبي طالب .

وفي تفسير الإمام عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : ان الله تعالىٰ إذا بعث الخلائق من الأولين والآخرين نادىٰ منادي ربنا من تحت عرشه، يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم لتجوز فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين على الصراط، فتغض الخلائق كلهم أبصارهم فتجوز فاطمة على الصراط لا يبقىٰ أحد في القيامة إلا غض بصره عنها إلا محمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام والطاهرون من أولادهم فانهم محارمها فإذا دخلت الحنة بقي مرطها ممدوداً على الصراط طرف منه بيدها وهي في الجنة، وطرف في عرصات القيامة فينادي منادي ربنا يا أيها المحبّون لفاطمة تعلقوا بأهداب مرط فاطمة سيدة نساء العالمين، فلا يبقىٰ محب لفاطمة إلا تعلق بهدبة من أهداب مرطها، حتى يتعلق بها أكثر من ألف فآم وألف فآم. قالوا وكم فآم واحد. قال ألف ألف ينجون من النار .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام عن أبي ذر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول حافتا الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة، فإذا مر الوصول للرحم المؤدي للأمانة نفذ إلى الجنة، وإذا مر الخائن للأمانة القطوع للرحم لم ينفعه معهما عمل وتكفىء به الصراط في النار .

وفي الكافي باسناد معتبر عن الصادق عليه السلام قال : ألا تحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإن في القيامة خمسين موقفاً كل موقف مثل ألف سنة مما تعدون، ثم تلا هذه

الآية : ﴿**في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**﴾ قال العلامة المجلسي رحمه الله : **لا يبعد ان** يكون مكث أكثر الكفار في القيامة ألف سنة، فيكون اليوم بالنظر إليهم كذلك، ويكون مكث جماعة من الكفار خمسين ألف سنة فهو منتهىٰ زمان هذا اليوم، ويكون مكث بعض المؤمنين ساعة فهو كذلك بالنسبة إليهم. وهكذا بحسب اختلاف أحوال الأبرار والفجار. ويحتمل أيضاً كون الألف زمان مكثهم في بعض القيامة، كالحساب مثلاً .

وقال الصدوق في العقائد : اعتقادنا في العقبات التي على طريق المحشر ان كل عقبة منها اسم فرض وأمر ونهي، فمتىٰ انتهىٰ الإنسان إلى عقبة اسمها فرض وكان قد قصر في ذلك الفرض حبس عندها وطولب بحق الله فيها، فإن خرج منه بعمل صالح قدمه، أو برحمة تداركه نجا منها إلى عقبة أُخرىٰ، فلا يزال يدفع من عقبة إلى عقبة، ويحبس عند كل عقبة فيسأل عمّا قصر فيه من معنىٰ اسمها فإن سلم من جميعها انتهىٰ إلى دار البقاء، فيجيء حياة لا موت فيها أبداً، وسعد سعادة لا شقاوة معها أبداً، وسكن في جوار الله مع أنبيائه وحججه والصديقين والشهداء والصالحين من عباده. وان حبس على عقبة فطولب بحق قصر فيه فلم ينجه عمل صالح قدمه ولا أدركته من الله عز وجل رحمة زلت به قدمه عن العقبة فهوى في جهنم نعوذ بالله منها وهذه العقبات كلها على الصراط وأسم عقبة منها الولاية يوقف جميع الخلائق عنده فيسألون عن ولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام من بعده، فمن أتىٰ بها نجا وجاوز ومن لم يأت بها بقي فهوىٰ. وذلك قول الله عز وجل : ﴿**وقفوهم انهم مسؤولون**﴾ وأهم عقبة منها المرصاد، وهو قول الله عز وجل : ﴿**ان ربك لبالمرصاد**﴾ ويقول الله عز وجل وعزتي وجلالي لا يجوز في ظلم ظالم، واسم عقبة منها الأمانة، واسم عقبة منها الرحم، واسم عقبة منها الصلاة، وباسم كل فرض أو أمر أو نهي عقبة يجلس عندها العبد فيسأل .

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في شرحه : العقبات عبارة عن الأعمال الواجبة والمسائلة عنها والموافقة عليها، وليس المراد بها جبال في الأرض تقطع، وإنما هي الأعمال شبهت العقبات وجعل الوصف لما يلحق الإنسان في تخلصه من تقصيره في طاعة الله، كالعقبة التي يجهده صعودها وقطعها. قال الله تعالىٰ : ﴿**فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة**﴾[1] . فسمّىٰ سبحانه الأعمال التي كلفها العبد عقبات تشبيهاً بالعقبات والجبال، لما يلحق الإنسان في أدائها من المشاق كما يلحقه في صعود العقبات وقطعها. وقال أمير

(١) سورة البلد؛ الآية: ١٢ .

المؤمنين عليه السلام : ان أمامكم عقبة كؤوداً ومنازل مهولة لا بد من الممر بها والوقوف عليها، فإما برحمة الله نجوتم، وإما بهلكة ليس بعدها انجاء، أراد عليه السلام بالعقبة تخلص الإنسان من العقبات التي عليه، وليس كما ظنه الحشوية من ان في الآخرة جبالاً وعقبات يحتاج الإنسان إلى قطعها ماشياً وراكباً، وذلك لا معنىً له فيما توجبه الحكمة من الجزاء ولا وجه لخلق عقبات تسمىٰ بالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من الفرائض يلزم الإنسان ان يصعدها، فإن كان مقصراً في طاعة الله حال ذلك بينه وبين صعودها، إذ كان الغرض في القيامة المواقفة على الأعمال والجزاء عليها بالثواب والعقاب، وذلك غير مفتقر إلى تسمية عقبات وخلق جبال وتكليف قطع ذلك وتصعيبه أو تسهيله مع انه لم يرد خبر صحيح بذلك على التفصيل، فيعتمد عليه وتخرج له الوجوه وإذا لم يثبت خبر كان الأمر فيه ما ذكرناه. انتهىٰ .

قال المحقق المجلسي رحمه الله بعد نقله ونعم ما قال تأويل ظواهر الأخبار بمحض الاستبعاد بعيد عن الرشاد ولله الخيرة في معاقبة العاصين من عباده بأي وجه أراد. انتهىٰ .

الفصل الثامن
الجنة والنار

١ ـ حقية الجنة والنار :

يجب الإيمان بالجنة والنار الجسمانيتين على نحو ما تكاثرت به الآيات المتضافرة والأخبار المتواترة، وذلك من ضروريات الدين لم يخالف فيه أحد من المسلمين، ومن أنكر وجودهما مطلقاً كالملاحدة، أو أولهما بما يأتي كالفلاسفة فلا ريب في كفره، والفلاسفة في هذا الباب على فرقتين :

الأولى: الاشراقيون القائلون بعالم المثال والظاهر، إنهم يقولون إن الجنة والنار وسائر ما ورد به الشرع من التفاصيل ليست من قبيل الأجسام والجسمانيات ولا من عالم المجردات، بل هو عالم آخر متوسط بينهما كالعالم الرؤيا في المنام، والصورة في المرآة، والثواب والعقاب كالرؤيا الحسنة والرؤيا القبيحة، وهذا مع استلزامه وإنكار الحشر والنشر الجسمانيين تلاعب بالدين ومخالف لصريح القرآن المبين، ورد لقول الأنبياء والمرسلين، لا يقال ان أكثر المسلمين قد قالوا بالعالم المثالي في عالم البرزخ كما تقدم، لأنّا نقول بين القولين فرق من وجهين :

الأول : ان قول أكثر المسلمين لا يستلزم إنكار المعاد الجسماني، ولا رد الآيات المتكاثرة والأخبار المتواترة بخلاف هؤلاء .

الثاني : ان عالم المثال الذي قال به المسلمون غير هذا المثال الذي قال به الفلاسفة، فإن المسلمين قالوا ان تلك الأبدان المثالية في العالم البرزخي أجسام لطيفة شفافة كأجسام الملائكة والجن لها وجود خارجي وتتعلق الروح بذلك الجسم، ولم يؤوّلوا ذلك بعالم المنام والرؤيا كما فعل هؤلاء الفرقة .

الثانية : المشاؤون وهم الأكثرون، فجعلوا الجنة والنار والثواب والعقاب من قبيل اللذات والآلام العقلية، وذلك ان النفوس البشرية سواء جعلت أزلية كما هو رأي أفلاطون، أو لا كما هو رأي أرسطو، فهي أبدية عندهم لا تفنى بخراب البدن بل تبقى ملتذة بكمالاتها مبتهجة بإدراكاتها، وذلك سعادتها وثوابها وجنانها على اختلاف المراتب وبتفاوت الأحوال، ومتألمة بفقد الكمالات وفساد الاعتقادات وذلك شقاوتها وعقابها ونيرانها على ما لها من اختلاف التفاصيل، وإنما لم تتنبه لذلك في هذا العالم لاستغراقها في تدبير البدن وانغماسها في كدورات عالم الطبيعة، وبالجملة لما بها من العلائق والعوائق الزائلة بمفارقة البدن. فما ورد في لسان الشرع من تفاصيل الثواب والعقاب وما يتعلق بذلك من السمعيات فهي مجازات وعبارات عن تفاصيل أحوالها في السعادة والشقاوة، واختلاف أحوالها في اللذات والآلام، والتدرج مما لها من دركات الشقاوة إلى درجات السعادة. فإن الشقاوة السرمدية إنما هي بالجهل المركب الراسخ والشرارة المضادة للملكة الفاضلة، لا الجهل البسيط والأخلاق الخالية عن غايتي الفضل والشرارة، فإن شقاوتها منقطعة بل ربما لا تقتضي الشقاوة أصلاً. هذا ملخص كلامهم .

قال العلامة المجلسي رحمه الله ونعم ما قال : لا يخفى على من راجع كلامهم وتتبع أصولهم ان جلها لا يطابق ما ورد في شرائع الأنبياء، وإنما يمضغون ببعض أصول الشرائع وضروريات الملل على ألسنتهم في كل زمان حذراً من القتل والتكفير من مؤمني أهل زمانهم، فهم يؤمنون بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم كافرون. ولعمري ان من قال بأن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد، وكل حادث مسبوق بمادة، وما ثبت قدمه امتنع عدمه، وبأن العقول والأفلاك وهيولا العناصر قديمة، وإن الأنواع المتوالدة كلها قديمة، وإنه لا يجوز إعادة المعدوم، وإن الأفلاك متطابقة ولا تكون العنصريات فوق الأفلاك وأمثال ذلك، كيف يؤمن بما أتت به الشرائع ونطقت به الآيات وتواترت به الروايات من اختيار الواجب، وانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وحدوث العالم، وحدوث آدم، والحشر الجسماني، وكون الجنة في السماء مشتملة على الحور والقصور والأبنية والمساكن والأشجار والأنهار، وأن السماوات تنشق وتطوى، والكواكب تنتثر وتتساقط بل تفنى، وان الملائكة أجسام ملئت منهم السموات ينزلون ويعرجون، وان النبي قد عرج إلى السماء، وكذا عيسى عليه السلام وادريس عليه السلام، وكذا كثير من معجزات الأنبياء والأوصياء، من شق القمر وإحياء الأموات وردّ الشمس وطلوعها من مغربها، وكسوف الشمس في غير زمانه، وخسوف القمر في غير أوانه وأمثال ذلك. ومن أنصف ورجع إلى كلامهم علم أنهم

لا يعاملون أصحاب الشرائع إلا كمعاملة المستهزأ بهم، أو من جعل الأنبياء كأرباب الحيل والمعميات الذين لا يأتون بشيء يفهمه الناس، بل يلبسون عليهم في مدة بعثتهم ويرمونهم بالضلال المركب، ويلبسون لهم الباطل في صورة الحق، ويحيلون هداية الخلق على هذه الفرقة الضالة الشاذة، أعاذنا الله وسائر المؤمنين من تسويلاتهم وشبههم. انتهى كلامه رفع مقامه .

٢ ـ كون الجنة والنار مخلوقتين الآن :

وأما كون الجنة والنار مخلوقتين الآن فقد ذهب إليه جمهور المسلمين، إلا شرذمة من المعتزلة كأبي هاشم والقاضي عبد الجبار ومن يحذو حذوهما، فإنهم قالوا سيخلقان في القيامة. والآيات المتكاثرة والأخبار المتواترة دافعة لقولهم، ولم يذهب إلى هذا القول السخيف من الفرقة المحقة أحد. وربما نسب إلى السيد الرضي رحمه الله ذلك، وهو بعيد عن جلالة شأنه وعظم قدره. والقرآن صريح في وجودهما حين نزوله، كما قال الله تعالى : **﴿اعدت للمتقين﴾. ﴿أعدت للذين آمنوا﴾. ﴿أعدت للكافرين﴾. ﴿عندها جنة المأوى﴾** وأحاديث المعراج المروية من طرق العامة والخاصة صريحة في أن النبي رأى الجنة والنار ودخل الجنة. وأكثر المتكلمين والمفسرين على أن جنة آدم التي ذكرها الله في القرآن كانت جنة الخلد .

وروى الكشي في رجاله أنه قيل للرضا عليه السلام ان فلاناً يزعم أن الجنة لم تخلق. قال كذب فأين جنة آدم .

وعن ابن سنان قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام ان يونس يقول ان الجنة والنار لم يخلقا. قال : فقال ما له لعنه الله فأين جنة آدم .

وفي كتاب صفات الشيعة للصدوق رحمه الله باسناده عن الصادق عليه السلام قال : ليس من شيعتنا من أنكر أربعة أشياء. المعراج، والمسألة في القبر، وخلق الجنة والنار، والشفاعة .

وبإسناده عن الرضا عليه السلام قال : من أقر بتوحيد الله، وساق الحديث إلى أن قال وأقر بالرجعة، والمتعتين، وآمن بالمعراج والمسألة في القبر، والحوض والشفاعة، وخلق الجنة والنار، والصراط والميزان، والبعث والنشور، والجزاء والحساب، فهو مؤمن حقاً وهو من شيعتنا أهل البيت .

وروى الصدوق في الأمالي والتوحيد عن الهروي قال : قلت للرضا عليه السلام يا بن رسول الله أخبرني عن الجنة والنار أهما اليوم مخلوقتان. فقال نعم، وإن رسول الله قد دخل الجنة ورأى النار لما عرج به إلى السماء. قال فقلت له فإن قوماً يقولون إنهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين. فقال عليه السلام : ما أولئك منا ولا نحن منهم، ومن أنكر خلق الجنة والنار كذب النبي صلى الله عليه وآله وكذبنا، وليس من ولايتنا على شيء وخلد في نار جهنم. قال الله عز وجل : ﴿**هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن**﴾[1]. وقال النبي صلى الله عليه وآله : لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرائيل فأدخلني الجنة، فناولني من رطبها فأكلته فتحول ذلك نطفة في صلبي، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء انسية، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة .

وروى القمي في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى**﴾[2]. قال وأما الرد على من أنكر خلق الجنة والنار فقوله تعالى : ﴿**عندها جنة المأوى**﴾ أي عند سدرة المنتهى، فسدرة المنتهى في السماء السابعة وجنة المأوى عندها. والدليل على أن الجنان في السماء قوله تعالى : ﴿**لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة**﴾[3]. والدليل على أن النار في الأرض قوله تعالى في سورة مريم : ﴿**فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا**﴾[4]. ومعنى حول جهنم البحر المحيط بالدنيا يتحول نيراناً، وهو قوله تعالى : ﴿**وإذا البحار سجرت**﴾[5]. ومعنى جثياً أي على ركبهم. ثم قال تعالى : ﴿**ونذر الظالمين فيها جثيا**﴾[6]. يعني في الأرض إذا تحولت نيراناً .

وفي الخصال مسنداً عن ابن عباس قال : قدم يهوديان فسألا أمير المؤمنين عليه السلام فقالا أين تكون الجنة وأين تكون النار. قال أما الجنة ففي السماء، وأما النار ففي الأرض. قالا : فما السبعة. قال سبعة أبواب النار متطابقات. قالا فما الثمانية. قال ثمانية أبواب الجنة. الخبر .

---

(١) سورة الرحمٰن؛ الآية: ٤٣ .
(٢) سورة النجم؛ الآية: ١٤ .
(٣) سورة الأعراف؛ الآية ٤٠ .
(٤) سورة مريم؛ الآية: ٦٨ .
(٥) سورة التكوير؛ الآية: ٦ .
(٦) سورة مريم؛ الآية: ٧٢ .

وقال الصدوق في العقائد : اعتقادنا في الجنة والنار انهما مخلوقتان وان النبي قد دخل الجنة ورأى النار حين عرج به، واعتقادنا أنه لا يخرج أحد من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة أو من النار، وأن المؤمن لا يخرج من الدنيا حتى ترفع له الدنيا كأحسن ما رآها ويرفع مكانه في الآخرة، ثم يخير فيختار الآخرة، فحينئذ يقبض روحه. وفي العادة أن يقال فلان يجود بنفسه، ولا يجود الإنسان بشيء إلا عن طيبة نفس غير مقهور ولا مجبور ولا مكره. وأما جنة آدم فهي جنة من جنان الدنيا تطلع الشمس فيها وتغيب وليست بجنة الخلد، ولو كانت جنة الخلد ما خرج منها أبداً. انتهى .

وأما مكان الجنة والنار فأكثر المسلمين على أن الجنة فوق السموات السبع، والنار في الأرض السابعة. وذكر المحدث الشريف الجزائري انه روي عن الرضا عليه السلام : إن الجنة فوق السموات وسقفها العرش. فعلى هذا يكون أرضها محدب الكرسي، فتكون تحت العرش وفوق الكرسي، وقد دخلها النبي ليلة المعراج. ثم قال: وأما نار الآخرة فهي في السماء فراغ. وقد استفاضت الأخبار بالدلالة عليه وقد شاهدها النبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج، وحصل له فزع عظيم من هول ما شاهد. إلا أنها تحت الجنة، وظاهر الأخبار أنها في السماء الرابعة، وقد رآها ادريس ودخلها لحظة فكانت عليه برداً وسلاماً. وهذه الجنة والنار السماويتان غير الجنة والنار المخلوقتان في الأرض لعالم البرزخ، فإن جنة الدنيا وادي السلام في ظهر الكوفة، ونار البرزخ برهوت، وهو واد في حضرموت اليمن. فإذا كان يوم القيامة طوى الله سبحانه وتعالى بقدرته السموات كطي السجل وأعدمها، وكذلك بدل الأرض، كما قال : ﴿**يوم تبدل الأرض غير الأرض**﴾ فيومئذ تنزل الجنة والنار من مكانيهما، فتكون الجنة في موضع السموات تتفاوت درجات أهلها بتفاوت أعمالهم، فمسافة ارتفاع السموات كلها تكون من بعض درجات الجنة، فتكون هذه الأرض أسفل قيعان الجنة ودرجاتها وتنتهي في العلو والارتفاع. وأما النار فإذا نزلت يوم القيامة يكون مكانها طبقات الأرض، وتتفاوت طبقاتها في العمق على قدر تفاوت المعاصي، فيكون أسفل الجنة أعلى النار. انتهى .

وفي بعض ما ذكره نظر يظهر من ملاحظة الأخبار المتقدمة .

وقال شارح المقاصد : لم يرد نص صريح في تعيين مكان الجنة والنار، والأكثرون على أن الجنة فوق السماوات السبع وتحت العرش تشبثاً بقوله تعالى : ﴿**عند سدرة**

المنتهى عندها جنة المأوى﴾[1] وقوله عليه السلام سقف الجنة عرش الرحمن. والنار تحت الأرضين السبع، والحق تفويض ذلك إلى الخبير. انتهى.

وقال الرازي في تفسيره قوله تعالى: **﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض﴾**[2]. وهاهنا سؤالات:

الأول: ما معنى أن عرضها مثل عرض السماوات والأرض وفي هذا وجوه:

الوجه الأول: إن المراد لو جعلت السماوات والأرض طبقاً طبقاً، بحيث يكون كل واحد من تلك الطبقات سطحاً مؤلفاً من أجزاء لا تتجزأ، ثم وصل البعض بالبعض طبقاً واحداً لكان ذلك مثل عرض الجنة، وهذا غاية في السعة لا يعلمها إلا الله.

الوجه الثاني: إن الجنة التي تكون عرضها مثل عرض السماوات والأرض إنما يكون للرجل الواحد، لأن الإنسان إنما يرغب فيما يصير ملكاً له، فلا بد وان تكون الجنة المملوكة لكل واحد مقدار هذا، فالمعنى أن ثمنها لو بيعت كثمن السماوات والأرض لو بيعتا، كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع، والمراد بذلك عظم مقدارها وجلالة قدرها، وانه لا يساويها شيء وإن عظم.

ثم قال: المقصود المبالغة في وصف سعة الجنة، وذلك لأنه لا شيء عندنا اعرض منها، ونظيره قوله تعالى: **﴿خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض﴾** فإن أطول الأشياء بقاءً عندنا هو السماوات والأرض، فخوطبنا على وفق ما عرفناه، فكذا هاهنا.

ثم قال أنتم تقولون إن الجنة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء، والجواب من وجهين:

الأول: إن المراد من قولنا انها في السماء انها فوق السماوات وتحت العرش، كما قال ﷺ في صف الفردوس: سقفها عرش الرحمن. وروي أن رسول هرقل سأل النبي ﷺ فقال انك تدعو إلى جنة عرضها السماوات والأرض اعدت للمتقين فأين النار؟ فقال النبي ﷺ: سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار. المعنى والله اعلم أنه إذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب، فكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل.

---

(١) سورة النجم؛ الآية: ١٤.

(٢) سورة آل عمران؛ الآية: ١٣٣.

وسئل أنس بن مالك عن الجنة في الأرض أم في السماء، فقال أي أرض وسماء تسع الجنة. قيل فأين هي. قال: فوق السماوات السبع تحت العرش. انتهى.

أقول: الأولى والأليق الإيمان الإجمالي بذلك، ولا حاجة في الخوض عما سكت الله عنه ونهى عن الخوض فيه والتفحص عن مكان الجنة والنار، وإن الجنة إذا كانت في السماء السابعة فكيف ينصب الصراط على جهنم وينتهي إلى الجنة، والتفكر في كيفية سعة الجنة والتعرض لهذه الاحتمالات والاعتبارات بالظن والتخمين من دون علم ويقين، فإن الظن لا يغني من الحق شيئاً. نعم يمكن أن يقال على سبيل الاحتمال لرفع الاستبعاد والمحال مع عدم الاعتماد على أُصول الحكماء والفلاسفة الغير الأصلية، فإن القرآن والسنة قد نطقا بأن الكواكب تنتثر والسماوات تُطوى كطي السجل والعرش ينزل، فلعل الجنان تنزل من مكانها أيضاً، ويكون العرش سقفها. ولعل قوله تعالى: ﴿**وأزلفت الجنة للمتقين**﴾[1]. إشارة إلى ذلك، وقوله تعالى: ﴿**وبرزت الجحيم للغاوين**﴾ إشارة إلى بروز النيران عن أمكنتها بحيث ترى، وان الأرض والبحار تستحيل نيراناً كما ذكره القمي وتضاف إليها، فينصب الصراط هناك بعد حشر الناس. على أنه قد ورد من الشارع أن الأرض تبدل غير الأرض، وأن السماوات تطوى كطي السجل للكتب، وأن الأمكنة والأزمنة تتغير. فلعل الله تعالى يحول مكانهما بعد ذلك.

قال العلامة المجلسي رحمه الله: الذي يظهر لي من الآيات والأخبار هو أن الله تعالى بعد خرق السماوات وطيّها ينزل الجنة والعرش قريباً من الأرض، فيكون سقف الجنة العرش. ولا يبعد أن يكون هذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿**وأزلفت الجنة للمتقين**﴾[2]. وتتحول البحار نيراناً فيوضع الصراط من الأرض إلى الجنة، والاعراف درجات ومنازل بين الجنة والنار، وبهذا يندفع كثير من الأوهام والاستبعادات التي تخطر في أذهان أقوام في كثير مما ورد في أحوال الجنة والنار والصراط، ومرور الخلق عليه ودخولهم الجنة بعده، واحضار العرش يوم القيامة وأمثالها. وبه يقل أيضاً الاستبعاد الذي مر في كلام السائل. انتهى. وبالجملة فينبغي أن يوكل علم ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، ولا يلتفت إلى هذه الاستبعادات والله العالم بحقائق الأمور.

---

(١) سورة قٓ؛ الآية: ٣١.

(٢) سورة قٓ؛ الآية: ٣١.

٣ ـ بيان الجنة وأوصافها :

بيان بعض أوصاف الجنة التي يجب اعتقادها ودل عليها الكتاب والسنة . قال الله تعالى : ﴿للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله﴾[(١)] . وقال تعالى : ﴿إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين﴾[(٢)] . وقال تعالى : ﴿إلا عباد الله المخلصين أولٰئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون﴾[(٣)] . وقال تعالى : ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار﴾[(٤)] . وقال تعالى : ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون﴾[(٥)] . وقال تعالى : ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم﴾[(٦)] . وقال تعالى : ﴿السابقون أولٰئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاما﴾[(٧)] . وقال تعالى : ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾[(٨)] . إلى أن قال : ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا، متكئين فيها على

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ١٥ .
(٢) سورة الحجر؛ الآيات: ٤٥ ـ ٤٨ .
(٣) سورة الصافات؛ الآيات: ٤٠ ـ ٤٩ .
(٤) سورة الزمر؛ الآية: ٢٠ .
(٥) سورة الزخرف؛ الآيتان: ٧٠ ـ ٧١ .
(٦) سورة محمد؛ الآية: ١٥ .
(٧) سورة الواقعة؛ الآيات: ١٠ ـ ٢٦ .
(٨) سورة الإنسان؛ الآية: ٥ .

الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا، ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا، ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا، قوارير من فضة قدروها تقديرا، ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا، عيناً فيها تسمى سلسبيلا، ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا، وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيرا، عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلواً أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهورا، إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا﴾[1].

والآيات في ذلك كثيرة وبالجملة فينبغي أن يعلم أن الجنة دار البقاء ودار السلامة لا موت فيها بإجماع الأمة، وأما قوله تعالى في الصافات : **﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى﴾**[2]. فإن لم يكن كلام أهل النار فالاستثناء منقطع والمراد موتة الدنيا، وكذا قوله تعالى : **﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾**[3]. وكذا لا هرم في الجنة ولا سقم ولا مرض ولا آفة ولا زمانة ولا هم ولا غم ولا حاجة ولا فقر، بل هي دار البقاء ودار الغنى ودار السعادة ودار المقامة ودار الكرامة، لا يمس أهلها فيها نصب ولا لغوب، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون. وهي دار الطيبين الطاهرين ليس بين أهلها بغض ولا حسد ولا عداوة ولا نزاع ولا جدال، وكل منهم راض بما أعطاه الله تعالى لا يتمنى مرتبة غيره. وقيل إن أهل المراتب العالية يأتون إلى ذوي المراتب الدنية ولا عكس، لئلا يتنغص عليهم عيشهم. والتعليل لأن الله تعالى قادر أن يرضيهم بمراتبهم. وقد رأينا بعض ذوي المراتب الدنية في الدنيا لا يتمنون حال ذوي المراتب العلية، بل هم راضون بصنائعهم وحرفهم ومسرورون بها، ولكن قد روي ذلك من دون تعليل وينبغي أن يعلم أيضاً أن أهل الجنة لا يبولون ولا يغوطون وليس فيهم كثافات، بل تستحيل أغذيتهم وشرابهم عرقاً طيباً، وأزواجهم من النساء والحور ليس فيهن حيض ولا استحاضة ولا نفاس ولا بول ولا غائط، وليس بينهم تحاسد وبغضاء وعداوة وشحناء، كما قال تعالى : **﴿وأزواج مطهرة﴾**. وليس في الجنة ليل ولا ظلمة، وليس ضياؤها من الشمس والقمر والنجوم، بل ظلها ممدود وما بين الطلوعين مثل لها، وليس في خمرها وشرابها سكر وصداع وبول وقيء ومرارة وتهوع كما في شراب الدنيا، وستأتي سائر الأوصاف في الأخبار فليتفكر العاقل في لطف ربه الكريم ومنّه الجسيم وإحسانه العميم، كيف دعا عباده

---

(١) سورة الإنسان؛ الآيات: ١٢ ـ ٢٢.

(٢) سورة الصافات؛ الآية: ٥٨ .

(٣) سورة الدخان؛ الآية: ٥٦ .

إلى هذا الثواب العظيم والأجر الجسيم مع قصورهم وحقارتهم ورذالتهم، ووعدهم ذلك على أعمالهم الناقصة التي لو عاقبهم عليها لكان ذلك منه عدلاً كما قال سيد الساجدين وزين العابدين عليه السلام : إلَهي من كانت محاسنه مساوىء كيف لا تكون مساويه مساوىء، وهذا كله مع أن القوى والأعضاء والجوارح التي يطاع بها منه وملكه، والتوفيق والتأييد منه، فله الملك وله الحمد وهو الرحيم الغفور .

وينبغي أن يعلم أن منازل أكثر أهل الجنة غرف مبنية كما في القرآن، لأن لالتذاذ برؤية الأنهار والأشجار والأثمار والجلوس في الغرف أكثر، وليست كغرف الدنيا تحتاج إلى صعود وهبوط، بل إذا اشتهوا الهبوط هبطت بهم بسهولة، وكذلك أنهارهم ترتفع إلى منازلهم بلا صعوبة .

وروى الصدوق في الفقيه والأمالي بسنده عن عبد الله بن علي أنه لقي بلالاً مؤذن رسول الله بمصر، فسأله فيما سأله عن وصف بناء الجنة قال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن سور الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة من ياقوت، وملاطها وهو الذي يجعل بين الطابوق عوض الجص المسك الاذفر، وشِرفها الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر. قلت فما أبوابها. قال أبوابها مختلفة، باب الرحمة من ياقوته حمراء، قلت فما حلقته. قال ويحك كف عني فقد كلفتني شططاً. قلت ما أنا بكافٍ عنك حتى تؤدي إلي ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله . قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما باب الصبر فباب صغير له مصراع واحد من ياقوتة حمراء لا حلق له، وأما باب الشكر فإنه من ياقوتة بيضاء لها مصراعان مسيرة ما بينهما خمسمائة عام، له ضجيج وحنين يقول اللهم جئني بأهلي. قلت هل يتكلم الباب. قال نعم ينطقه ذو الجلال والإكرام. وأما باب البلاء. قلت أليس باب البلاء هو باب الصبر. قال لا. قلت فما البلاء. قال المصائب والاسقام والأمراض والجذام، وهو باب من ياقوتة صفراء له مصراع واحد ما أقل من يدخل منه. قلت رحمك الله زدني وتفضل علي فإني فقير. قال يا غلام لقد كلفتني شططاً، أما الباب الأعظم فيدخل منه العباد الصالحون وهم أهل الزهد والورع والراغبون إلى الله عز وجل المستأنسون به. قلت رحمك الله فإذا دخلوا الجنة ماذا يصنعون. قال يسيرون على نهرين في مصاف (جمع مصف) أي موضع الصف، أي يسيرون مجتمعين ومصطفين في سفن الياقوت مجاذيفها اللؤلؤ، فيها ملائكة من نور عليهم ثياب خضر شديد خضرتها. قلت رحمك الله هل يكون النور أخضر قال إن الثياب هي خضر ولكن فيها نور من رب العالمين جل جلاله، يسيرون على حافتي ذلك النهر. قلت فما اسم ذلك النهر. قال جنة

المأوى. قلت هل وسطها غير هذا. قال نعم جنة عدن وهي في وسط الجنان، فأما جنة عدن فسورها ياقوت أحمر وحصباؤها اللؤلؤ. قلت هل فيها غيرها. قال نعم جنة الفردوس. قلت وكيف سورها. قال سورها نور. فقلت والغرف التي هي فيها. قال هي من نور رب العالمين. قلت زدني رحمك الله. قال ويحك إلى هذا انتهى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله، طوبى لك إن أنت وصلت إلى بعض هذه الصفة، وطوبى لمن يؤمن بهذا الخبر. وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى فيهن، أي في الجنان خيرات حسان فقيل نساء خيرات الأخلاق حسان الوجوه، وقيل خيرات في الصلاح والجمال حسان في المناظر والألوان، وقيل إنهن من نساء الدنيا ترد عليهم في الجنة وهن أجلّ من الحور العين.

ورووا ان نساء أهل الجنة يأخذ بعضهن بأيدي بعض، ويتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق مثله، نحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام. فإذا قلن هذه المقالة أجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا، نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات فما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضيتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن، فغلبنهن والله.

وروى العياشي عن الصادق عليه السلام انه قيل له جعلت فداك اخبرني عن المؤمن تكون له امرأة مؤمنة يدخلان الجنة يتزوج أحدهما بالآخر. فقال: يا أبا محمد إن الله حكم عدل، إن كان هو أفضل منها خيّر هو، فإن اختارها كانت من أزواجه. وإن كانت هي خيراً منه خيّرها، فإن اختارته كان زوجاً لها. قال وقال أبو عبد الله لا تقولن ان الجنة واحدة إن الله يقول: **﴿ومن دونهما جنتان﴾** ولا تقولن درجة واحدة إن الله يقول: **﴿درجات بعضها فوق بعض﴾** إنما يتفاضل القوم بالأعمال. قال وقلت له إن المؤمنين يدخلان الجنة فيكون أحدهما ارفع مكاناً من الآخر، فيشتهي ان يلقى صاحبه. قال من كان فوقه فله أن يهبط، ومن كان تحته لم يكن له أن يصعد لأنه لا يبلغ ذلك المكان، ولكنهم إذا أحبوا ذلك واشتهوا التقوا على الأسرة.

وعن العلا بن سيابة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له ان الناس يتعجبون منا إذا قلنا يخرج قوم من جهنم فيدخلون الجنة، فيقولون لنا فيكونون مع أولياء الله في الجنة. فقال يا علا ان الله يقول ومن دونهما جنتان، لا والله لا يكون، لا يكونون مع أولياء الله، قلت كانوا كافرين، قال لا والله لو كانوا كافرين ما دخلوا الجنة، قلت كانوا مؤمنين، قال لا

والله لو كانوا مؤمنين ما دخلوا النار، ولكن بين ذلك .

وروى الصدوق في الأمالي من طرق المخالفين عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : ان حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، فإذا دقت الحلقة على الصفحة طنت وقالت يا علي .

وفي تفسير القمي رحمه الله قال : سأل نصراني الشام الباقر عليه السلام عن أهل الجنة كيف صاروا يأكلون ولا يتغوطون، أعطني مثله في الدنيا. فقال عليه السلام : هذا الجنين في بطن أمه يأكل مما تأكل أمه ولا يتغوط .

وفي الصحيح عن جميل عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ لما أُسري بي إلى السماء دخلت الجنة، فرأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة وربما أمسكوا، فقلت لهم ما لكم ربما بنيتم وربما أمسكتم. فقالوا حتى تجيئنا النفقة، فقلت لهم وما نفقتكم، فقالوا قول المؤمن في الدنيا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإذا قال بنينا وإذا أمسك أمسكنا .

وروى الصدوق في الأمالي والعياشي وغيرهما عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : طوبىٰ شجرة في الجنة أصلها في دار النبي، وليس من مؤمن إلا وفي داره غصن منها، لا تخطر على قلبه شهوة شيء إلا أتاه به ذلك الغصن، ولو ان راكباً مجداً سار في ظلها مائة عام ما خرج منها، ولو طار غراب من أسفلها ما بلغ أعلاها حتى يسقط هرماً، ألا ففي هذا ارغبوا .

وفي الأمالي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : ان في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها الحلل، ومن أسفلها خيل بلق مسرجة ملجمة ذوات أجنحة لا تروث ولا تبول، فيركبها أولياء الله فتطير بهم في الجنة حيث شاؤوا، فيقول الذين أسفل منهم يا رب ما بلغ بعبادك هذه الكرامة، فيقول الله جل جلاله انهم كانوا يقومون الليل ولا ينامون، ويصومون النهار ولا يأكلون، ويجاهدون العدو ولا يجبنون، ويتصدقون ولا يبخلون .

وعن الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله ﷺ قال : ان في الجنة غرفاً يرىٰ ظاهرها من باطنها وباطنة من ظاهرها، يسكنها من أُمتي من أطاب الكلام وأطعم الطعام وأفشىٰ السلام وصلىٰ بالليل والناس نيام .

وعن الكاظم عليه السلام عن أبيه عن جده قال : قالت أُم سلمة لرسول الله ﷺ : بأبي

أنت وأمي المرأة يكون لها زوجان فيموتون ويدخلون الجنة لأيهما تكون. فقال: يا أم سلمة أحسنهما خلقاً وخيرهما لأهله، يا أم سلمة حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة .

وروى القمي في تفسيره بسند كالصحيح عن الصادق عليه السلام قال : طوبىٰ شجرة في الجنة أصلها في دار أمير المؤمنين عليه السلام ، وليس أحد من شيعته إلا وفي داره غصن من أغصانها، أو ورقة من ورقها يستظل تحتها أمة من الأمم. وعنه عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر تقبيل فاطمة، فأنكرت ذلك عائشة. فقال رسول الله يا عائشة إني لما أُسري بي إلى السماء دخلت الجنة فأدناني جبرائيل من شجرة طوبىٰ وناولني من ثمرها، فأكلته فحول الله ذلك ماء في ظهري، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فما قبّلتها قط إلا وجدت رائحة شجرة طوبىٰ منها .

وفي الحسن أو الصحيح عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله جعلت فداك يا ابن رسول الله شوقني. قال: يا أبا محمد ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام، وان أدنى أهل الجنة منزلة لو نزل به الثقلان الجن والإنس لوسعهم طعاماً وشراباً ولا ينقص مما عنده شيء، وان أيسر أهل الجنة منزلة من يدخل الجنة فيرفع له ثلاث حدائق، فإذا دخل أدناهن رأىٰ فيها من الأزواج والخدم والأنهار والثمار ما شاء الله ، فإذا شكر الله وحمده قيل له ارفع رأسك إلى الحديقة الثانية ففيها ما ليس في الأولىٰ، فيقول يا رب أعطني هذه، فيقول الله ان أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول ربي هذه هذه، فإذا هو دخلها وعظمت مسرته شكر الله وحمده. قال فيقال افتحوا له باب الجنة ويقال له ارفع رأسك، فإذا قد فتح له باب من الخلد ويرىٰ أضعاف ما كان فيما قبل، فيقول عند تضاعف مسراته ربي لك الحمد الذي لا يحصىٰ إذ مننت علي بالجنان وأنجيتني من النيران. قال أبو بصير: فبكيت وقلت له جعلت فداك زدني، قال: يا أبا محمد ان في الجنة نهراً في حافتيه جوار نابتات، إذ مر المؤمن بجارية أعجبته قلعها وأنبتت مكانها أُخرىٰ. قلت جعلت فداك زدني. قال: المؤمن يزوج ثمان مائة عذراء وأربعة آلاف ثيب وزوجين من الحور العين. قلت جعلت فداك من أي شيء خلقن الحور العين. قال من الجنة ويرىٰ مخ ساقيها من وراء سبعين حلة، كبدها مرآته وكبده مرأتها. قلت جعلت فداك ألهن كلام يتكلمن به في الجنة. قال نعم كلام يتكلمن به لم يسمع الخلائق بمثله. قلت ما هو. قال يقلن نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبؤس، ونحن المقيمات فلا نظعن، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبىٰ لمن خلق لنا وطوبىٰ لمن خلقنا له، نحن اللواتي لو ان قرن إحدانا علق في جو السماء لأغشىٰ نوره الأبصار .

وفي ثواب الأعمال عن الصادق عليه السلام قال: ما خلق الله خلقاً إلا جعل له في الجنة منزلاً وفي النار منزلاً، فإذا سكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادىٰ مناد يا أهل الجنة أشرفوا، فيشرفون على أهل النار وترفع لهم منازلهم في النار، فيقال هذه منازلكم التي لو عصيتم ربكم لدخلتموها، فلو ان أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم من العذاب. ثم ينادون يا معشر أهل النار ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى منازلكم في الجنة، فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم في الجنة وما فيها من النعيم، فيقال لهم هذه منازلكم التي لو أطعتم ربكم لدخلتموها. قال فلو ان أحداً مات حزناً لمات أهل النار ذلك اليوم حزناً. فيورث هؤلاء منازل هؤلاء وهؤلاء منازل هؤلاء. وذلك قول الله عز وجل: **﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾**[1].

وروى علي بن إبراهيم في تفسيره بسند كالصحيح عن الصادق عليه السلام قال: ما من عمل حسن يعمله العبد إلا وله ثواب في القرآن، إلا صلاة الليل فإن الله لم يبين ثوابها لعظم خطرها عنده، فقال: **﴿تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾**[2].

ثم قال إن لله كرامة في عباده المؤمنين في كل يوم جمعة فإذا كان يوم الجمعة بعث الله إلى المؤمن ملكاً معه حلة فينتهيٰ إلى باب الجنة، فيقول استأذنوا لي على فلان، فيقال له هذا رسول ربك على الباب، فيقول لأزواجه أي شيء ترين علي أحسن، فيقلن يا سيدنا والذي أباحك الجنة ما رأينا شيئاً عليك أحسن من هذا الذي قد بعث إليك ربك، فيتزر بواحدة، ويتعطف بالأخرىٰ، فلا يمر بشيء إلا أضاء له حتى ينتهي إلى الموعد، فإذا اجتمعوا تجلىٰ لهم الرب تبارك وتعالىٰ، أي بأنوار جلاله وآثار رحمته وإفضاله، فإذا نظروا إلى ذلك خروا سجداً، فيقول عبادي ارفعوا رؤوسكم ليس هذا يوم سجود ولا عبادة قد رفعت عنكم المؤونة. فيقولون يا رب وأي شيء أفضل مما أعطيتنا أعطيتنا الجنة. فيقول: لكم مثل ما في أيديكم سبعين ضعفاً، فيرجع المؤمن في كل جمعة لسبعين ضعفاً مثل ما في يديه وهو قوله تعالىٰ: **﴿ولدينا مزيد﴾** وهو يوم الجمعة، ان ليلته ليلة غراء ويومه يوم أزهر فأكثروا فيهما من التسبيح والتكبير والتهليل والثناء على الله والصلاة على محمد وآله. قال فيمر المؤمن فلا يمر بشيء إلا أضاء له حتى ينتهي إلى أزواجه، فيقلن والذي أباحنا

---

(١) سورة المؤمنون؛ الآية: ١١.
(٢) سورة السجدة؛ الآيتان: ١٦ ـ ١٧.

الجنة يا سيدنا ما رأيناك قط أحسن منك الساعة، فيقول اني قد نظرت إلى نور ربي، ثم قال ان أزواجه لا يغرن ولا يحضن. قال قلت جعلت فداك إني أردت ان أسألك عن شيء أستحيي منه، قال سل. قلت في الجنة غناء. قال ان في الجنة شجرة يأمر الله رياحها فتهب فتضرب تلك الشجرة بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها حسناً. ثم قال هذا عوض لمن ترك السماع للغنى في الدنيا من مخافة الله، قال قلت جعلت فداك زدني. فقال ان الله خلق جنة بيده لم ترها عين ولم يطلع عليها مخلوق، يفتحها الرب كل صباح فيقول ازدادي طيباً، وهو قول الله تعالىٰ: ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**﴾[1].

وروى ثقة الإسلام في الكافي باسناد معتبر عن الباقر عليه السلام قال: ان رسول الله سئل عن قول الله عز وجل: ﴿**يوم نحشر المتقين إلى الرحمٰن وفداً**﴾ فقال: يا علي إن الوفد لا يكونون إلا ركباناً، أُولئك رجال اتقوا الله فأحبهم الله عز وجل ذكره، واختصهم ورضي أعمالهم فسماهم المتقين. ثم قال له يا علي والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انهم ليخرجون من قبورهم، وإن الملائكة لتستقبلهم بنوق من نوق الغر عليها رحائل الذهب، مكللة بالدر والياقوت وجلائلها الاستبرق والسندس، وخطيمها جدل الأرجوان تطير بهم إلى المحشر، مع كل رجل منهم ألف ملك من قدامه وعن يمينه وعن شماله يزفونهم زفاً، حتى ينتهون إلى باب الجنة الأعظم، وعلى باب الجنة شجرة ان الورقة منها ليستظل تحتها ألف رجل من الناس، وعن يمين الشجرة عين مطهرة مزكية. قال فيسقون منها شربة فيطهّر الله بها قلوبهم من الحسد، ويسقط عن أبشارهم الشعر، وذلك قول الله عز وجل: ﴿**وسقاهم ربهم شراباً طهوراً**﴾ من تلك العين المطهرة.

قال ثم ينصرفون إلى عين أُخرىٰ عن يسار الشجرة فيغتسلون فيها، وهي عين الحياة فلا يموتون أبداً. قال ثم يوقف بهم قدام العرش وقد سلموا من الآفات والاسقام والحر والبرد أبداً. قال فيقول الجبار جل ذكره للملائكة الذين معهم احشروا أوليائي إلى الجنة، ولا توقفوهم مع الخلائق، فقد سبق رضاي عنهم، ووجبت رحمتي لهم. وكيف أُريد ان أوقفهم مع أصحاب الحسنات والسيئات. قال فتسوقهم الملائكة إلى الجنة، فإذا انتهوا بهم إلى باب الجنة الأعظم ضرب الملائكة الحلقة ضربة عظيمة تصر صريراً، فيبلغ صوت صريرها كل حوراء اعدها الله عز وجل لأوليائه في الجنان، فيتباشرون بهم إذا سمعوا صرير

---

(١) سورة السجدة؛ الآية: ١٧.

الحلقة، فيقولون بعضهم لبعض قد جاءنا أولياء الله فيفتح لهم الباب فيدخلون الجنة وتشرف عليهم أزواجهم من الحور العين الآدميين، فيقلن مرحباً بكم فما كان أشد شوقنا إليكم، ويقول لهن أولياء الله مثل ذلك. فقال علي يا رسول الله أخبرنا عن قول الله عز وجل: **﴿لهم غرف من فوقها غرف﴾** بماذا بنيت يا رسول الله. فقال يا علي تلك غرف بناها الله عز وجل لأوليائه بالدر والياقوت والزبرجد، سقوفها الذهب محبوكة بالفضة، لكل غرفة منها ألف باب من الذهب، على كل باب منها ملك موكل به، فيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بألوان مختلفة وحشوها المسك والكافور والعنبر، وذلك قول الله عز وجل: **﴿وفرش مرفوعة﴾** إذا دخل المؤمن إلى منازله في الجنة ووضع على رأسه تاج الملك والكرامة، ألبس حلل الذهب والفضة والياقوت والدر منظوم في الإكليل تحت التاج. قال وألبس سبعين حلة حرير بألوان مختلفة وضروب مختلفة، منسوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت الأحمر، فذلك قوله عز وجل: **﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾**[1]. فإذا جلس المؤمن على سريره اهتز سريره فرحاً، فإذا استقر بوليّ الله عز وجل منازله في الجنان استأذن عليه الملك الموكل بجنانه ليهنيه بكرامة الله عز وجل إياه، فيقول له خدام المؤمن من الوصفاء والوصائف مكانك فإن ولي الله قد اتكأ على أريكته، وزوجته الحوراء تهيِّىء له وصائفها، فاصبر لولي الله. قال فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمة لها تمشي مقبلة وحولها وصائفها، وعليها سبعون حلة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد، هي من مسك وعنبر وعلى رأسها تاج الكرامة، وعليها نعلان من ذهب مكللان بالياقوت واللؤلؤ شراكهما ياقوت أحمر، فإذا دنت من ولي الله فهمَّ ان يقوم إليها شوقاً، فتقول له يا ولي الله ليس هذا يوم تعب ولا نصب فلا تقم أنا لك وأنت لي، فيعتنقان مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا، لا يملها ولا تمله. قال فإذا فتر بعض الفتور من غير ملالة نظر إلى عنقها. فإذا عليها قلائد من قصب من ياقوت أحمر، وسطها لوح صفحته درة مكتوب فيها أنت يا ولي الله حبيبي وأنا الحوراء حبيبتك، إليك تناهت نفسي وإلي تناهت نفسك. ثم يبعث الله إليه ألف ملك يهنونه بالجنة ويزوجونه بالحوراء. قال فينتهون إلى أول باب من جنانه، فيقولون للملك الموكل بأبواب جنانه استأذن لنا على ولي الله فإن الله بعثنا إليه نهنيه. فيقول لهم الملك حتى أقول للحاجب فيعلمه مكانكم. قال فيدخل الملك إلى الحاجب وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان، حتى ينتهي إلى أول باب فيقول للحاجب إن على باب العرصة ألف ملك أرسلهم

---

(١) سورة فاطر؛ الآية: ٣٣ .

رب العالمين ليهنوا ولي الله، وقد سألوني أن آذن لهم عليه، فيقول الحاجب انه ليعظم على ان أستأذن لأحد على ولي الله وهو مع زوجته الحوراء. قال وبين الحاجب وبين ولي الله جنتان. قال فيدخل الحاجب إلى القيم فيقول له ان على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العزة يهنون ولي الله فاستأذن، فيتقدم القيم إلى الخدام فيقول لهم ان رسل الجبار على باب العرصة وهم ألف ملك أرسلهم الله يهنون ولي الله فأعلموه بمكانكم. قال فيعلمونه فيؤذن للملائكة على ولي الله وهو في الغرفة ولها ألف باب، وعلى كل باب من أبوابها ملك موكل به، فإذا أذن للملائكة بالدخول على ولي الله فتح كل ملك بابه الموكل به، قال فيدخل القيم كل ملك من باب من أبواب الغرفة، قال فيبلغونه رسالة الجبار جل وعز ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب**﴾ من أبواب الغرفة ﴿**سلام عليكم**﴾ إلى آخر الآية. قال وذلك قوله عز وجل: ﴿**وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً**﴾ يعني بذلك ولي الله وما هو من الكرامة والنعيم والملك العظيم الكبير. إن الملائكة من رسل الله عز ذكره يستأذنون عليه فلا يدخلون عليه إلا بإذنه، فذلك الملك العظيم الكبير.

قال والأنهار تجري من تحت مساكنهم، وذلك قول الله عز وجل: ﴿**تجري من تحتهم الأنهار**﴾ والثمار دانية منهم، وهو قوله عز وجل: ﴿**ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً**﴾ من قربها منهم يتناول المؤمن من النوع الذي يشتهيه من الثمار بغيته وهو متكىء، وان الأنواع من الفاكهة ليقلن لولي الله يا ولي الله كلني قبل ان تأكل هذا قبلي. قال وليس من مؤمن في الجنة إلا وله جنان كثيرة معروشات وغير معروشات، وأنهار من خمر، وأنهار من ماء، وأنهار من لبن، وأنهار من عسل، فإذا دعا ولي الله بغذائه أُتي بما تشتهي نفسه عند طلبه الغذاء من غير ان يسمي شهوته.

قال ثم يتآخىٰ مع إخوانه ويزور بعضهم بعضاً، ويتنعمون في جنات في ظل ممدود في مثل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. وأطيب من ذلك لكل مؤمن سبعون زوجة حوراء وأربع نسوة من الآدميين، والمؤمن ساعة مع الحوراء، وساعة مع الآدميين، وساعة يخلو بنفسه مع الأرائك متكىء ينظر بعض إلى بعض، وان المؤمن ليغشاه شعاع نور وهو على أريكته، ويقول لخدامه ما هذا الشعاع اللامع، فيقول له خدامه بل هذه حوراء من نسائك ممن لم تدخل بها بعد أشرفت عليك من خيمتها شوقاً إليك، وقد تعرضت لك وأحبت لقاءك فلما أن رأتك متكئاً على سريرك تبسمت نحوك شوقاً إليك، فالشعاع الذي رأيت والنور الذي غشيك هو من بياض ثغرها وصفائه ونقائه ورقته. فيقول ولي الله ائذنوا لها فتنزل إليه، فيبتدر إليها ألف وصيف وألف وصيفة يبشرونها بذلك، فتنزل إليه من

خيمتها وعليها سبعون حلة منسوجة بالذهب والفضة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد، صبغهن المسك والعنبر بألوان مختلفة، يرىٰ مخ ساقها من وراء سبعين حلة، طولها سبعون ذراعاً وعرض ما بين منكبيها عشرة أذرع، فإذا دنت من ولي الله أقبل الخدام بصحاف الذهب والفضة فيها الدر والياقوت والزبرجد فينشرونها عليها، ثم يعانقها وتعانقه فلا تمل ولا يمل .

ثم قال أبو جعفر عليه السلام : أما الجنان المذكورة في الكتاب فإنهن جنة عدن، وجنة الفردوس، وجنة نعيم، وجنة المأوىٰ، قال وإن لله تعالىٰ جناناً محفوفة بهذه الجنان، وإن المؤمن ليكون له من الجنان ما أحب واشتهىٰ يتنعم فيهن كيف يشاء. وإذا أراد المؤمن شيئاً إنما دعواه إذا أراد ان يقول سبحانك اللهم، فإذا قالها تبادرت إليه الخدام بما اشتهىٰ من غير أن يكون طلب منهم أو أمر به، وذلك قول الله عز وجل : **﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام﴾** يعني الخدام **﴿وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين﴾** يعني بذلك عندما يقضون من لذاتهم من الجماع والطعام والشراب، يحمدون الله عز وجل عند فراغهم. وأما قوله تعالىٰ : **﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾** قال يعلمه الخدام فيأتون به أولياء الله قبل أن يسألوهم إياه. وأما قوله عز وجل : **﴿فواكه وهم مكرمون﴾** قال فإنهم لا يشتهون شيئاً في الجنة إلا أكرموا به .

وروي في الخصال من طرق المخالفين عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مكتوب على باب الجنة لا إلّه إلا الله محمد رسول الله علي أخو رسول الله، قبل ان يخلق الله السماوات والأرض بألفي عام .

وعن الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان الله عز وجل لما خلق الجنة خلقها من لبنتين، لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجل حيطانها الياقوت، وسقفها الزبرجد، وحصاها اللؤلؤ، وترابها الزعفران والمسك الأذفر. فقال لها تكلمي، فقالت لا إلّه إلا أنت الحي القيوم قد سعد من يدخلني. فقال عز وجل بعزتي وعظمتي وجلالي وارتفاعي لا يدخلها مدمن خمر ولا سكير، ولا قتات وهو النمام ولا ديوث وهو القلطبان، ولا قلاع وهو الشرطي، ولا زنوق وهو الخنثىٰ، ولا ضيوف وهو النباش، ولا عشار ولا قاطع رحم ولا قدري .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : والله ما خلت الجنة من أرواح المؤمنين منذ خلقها، ولا خلت النار من أرواح الكفار العصاة منذ خلقها الله عز وجل. ولعل المراد بالجنة والنار

هنا جنة الدنيا ونارها، لئلا ينافي الأخبار المتقدمة الدالة على ان تنعم المؤمنين قبل القيامة في جنة الدنيا وعذاب الكفار في نارها .

وروى القمي في تفسيره، والحسين بن سعيد في كتاب الزهد في قوله تعالىٰ : ﴿**يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد**﴾ قال : هو استفهام أي تقريري، لأنه وعد الله النار ان يملأها فتمتلىء النار، ثم يقول لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد على حد استفهام، أي الإنكاري، أي ليس فيّ مزيد، قال فتقول الجنة يا رب وعدت النار ان تملأها ووعدتني ان تملأني، فلم تملأني وقد ملأت النار. قال فيخلق الله يومئذ خلقاً يملأ بهم الجنة. فقال أبو عبد الله طوبىٰ لهم انهم لم يروا غموم الدنيا ولا همومها .

وفي تفسير القمي عن السجاد عليه السلام قال : عليك بالقرآن فإن الله خلق الجنة بيده، لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعل ملاطها المسك، وترابها الزعفران، وحصاها اللؤلؤ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن. فمن قرأ القرآن قال له اقرأ وارق. ومن دخل منهم الجنة لم يكن في الجنة أعلىٰ درجة منه ما خلا النبيون والصديقون .

وفي الاحتجاج عن هشام بن الحكم قال : سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام . قال من أين قلت ان أهل الجنة يأتي الرجل منهم إلى ثمرة يتناولها، فإذا أكلها عادت كهيئتها. قال نعم ذلك على قياس السراج، يأتي القابس فيقتبس منه فلا ينقص من ضوئه شيء، وقد امتلأت الدنيا منه سرجاً. قال أليسوا يأكلون ويشربون وتزعم انه لا تكون لهم الحاجة. قال بلىٰ، لأن غذاءهم رقيق لا ثقل له، بل يخرج من أجسادهم بالعرق. قال فكيف تكون الحوراء في كل ما آتاها زوجها عذراء. قال انها خلقت من الطيب لا تعتريها عاهة، ولا تخالط جسمها آفة، ولا يجري في ثقبها شيء، ولا يدنسها حيض، فالرحم ملتزمة إذ ليس فيه لسوىٰ الإحليل مجرى. قال فهي تلبس سبعين حلة ويرى زوجها مخ ساقها من وراء حللها. قال نعم كما يرىٰ أحدكم الدراهم إذا أُلقيت في ماء صاف قدره قيد رمح. قال فكيف ينعم أهل الجنة بما فيها من النعيم، وما منهم أحد إلا وقد افتقد ابنه أو أباه أو حميمه أو أُمه، فإذا افتقدوهم في الجنة لم يشكّوا في مصيرهم إلى النار، فما يصنع بالنعيم من يعلم ان حميمه في النار يعذب. قال عليه السلام ان أهل العلم قالوا انهم ينسون ذكرهم، وقال بعضهم انتظروا قدومهم ورجوا أن يكونوا بين الجنة والنار في أصحاب الأعراف .

قال العلامة المجلسي ونعم ما قال : كأن الترديد في جواب السؤال الأخير باعتبار قصور فهم السائل، ومع قطع النظر عن الرواية يمكن أن يجاب بوجه آخر وهو، إن في

النشأة الأخرى لما بطلت الأغراض الدنيوية وخلصت محبتهم لله سبحانه، فهم يبرأون من أعداء الله ولا يحبون إلا من أحبه الله، فهم يلتذون بعذاب أعدائه ولو كانوا آباءهم وأبناءهم أو عشيرتهم، كما ان أولياء الله في الدنيا أيضاً قطعوا محبتهم عنهم وكانوا يحاربونهم ويقتلونهم بأيديهم ويلتذون بذلك كما قال الله تعالى : **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾**[1] الآية وإليه يشير قوله تعالى : **﴿يوم يفر المرء من أخيه﴾** الآية. فيمكن أن يكون الأصل في الجواب هذا الوجه، لكن لضعف عقل السائل أعرض عليه السلام عن هذا الوجه وذكر الوجهين الآخرين الموافقين لعقله وفهمه نقلاً عن غيره والله يعلم .

وروى القمي في تفسيره عن النبي صلى الله عليه وآله قال : لما دخلت الجنة رأيت فيها شجرة طوبى أصلها في دار علي عليه السلام ، وما في الجنة قصر ولا منزل إلا وفيها فتر منها، وأعلاها أسفاط الحلل من سندس واستبرق، ويكون للعبد المؤمن ألف ألف سفط في كل سفط مائة حلة، ما فيها حلة تشبه الأخرى على ألوان مختلفة، وهي ثياب أهل الجنة، وسطها ظل ممدود، عرض الجنة كعرض السماء والأرض اعدت للذين آمنوا بالله ورسوله، يسير الراكب في ذلك الظل مسيرة مائة عام فلا يقطعه، وذلك قوله تعالى : **﴿وظل ممدود﴾** . وأسفلها ثمار أهل الجنة وطعامه متذلل في بيوتهم، يكون في القضيب منها مائة لون من الفاكهة مما رأيتم في دار الدنيا وما لم تروه وما سمعتم وما لم تسمعوا مثلها، وكلما يجتني منها شيء نبتت مكانها أخرى، ولا مقطوعة ولا ممنوعة. ويجري نهر في أصل تلك الشجرة تنفجر منها الأنهار الأربعة، أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، الخبر .

وقد ورد في روايات كثيرة منها في تفسير العياشي عن الصادق عن آبائه عليهم السلام أنه قد شهد ملاك فاطمة الزهراء جبرائيل وميكائيل وإسرافيل في ألوف من الملائكة، وأمر الله طوبى فنثرت عليهم من حللها وسندسها واستبرقها ودرها وزمردها وياقوتها وعطرها فأخذوا منه حتى ما دروا ما يصنعون به، ولقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة فهي في دار علي بن أبي طالب عليه السلام .

وروى العياشي عن أبي ولاد قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك إن رجلاً من أصحابنا ورعاً مسلماً كثير الصلاة قد ابتُلي بحب اللهو وهو يسمع الغناء. فقال أيمنعه

---

(١) سورة المجادلة؛ الآية: ٢٢ .

ذلك من الصلاة لوقتها، أو من صوم أو من عيادة مريض أو حضور جنازة أو زيارة أخ. قال قلت لا ليس يمنعه ذلك من شيء من الخير والبر . قال فقال هذه من خطوات الشيطان مغفور له ذلك إن شاء الله. ثم قال إن طائفة من الملائكة عابوا ولد آدم في اللذات والشهوات، أعني لكم الحلال ليس الحرام، قال فأنف الله للمؤمنين من ولد آدم من تعيير الملائكة لهم. قال فألقى الله في همّة أولئك الملائكة اللذات والشهوات كيلا يعيبوا المؤمنين. قال فلما احسوا ذلك من هممهم عجوا إلى الله من ذلك، فقالوا ربنا عفوك ردنا إلى ما خلقتنا له وأجبرتنا عليه، فإنا نخاف أن نصير في أمر مريج. قال فنزع الله ذلك من هممهم. قال فإذا كان يوم القيامة وصار أهل الجنة في الجنة، استأذن أولئك الملائكة على أهل الجنة، فيؤذن لهم، فيدخلون عليهم فيسلمون عليهم ويقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم في الدنيا عن اللذات والشهوات الحلال .

وروى السيد ابن طاووس عن صفوان في الموثق قال : قال أبو عبد الله عليه السلام إذا كان يوم القيامة نظر رضوان خازن الجنة إلى قوم لم يمروا به، فيقول من أنتم ومن أين دخلتم. قال يقولون إياك عنا فإنا قوم عبدنا الله سراً فأدخلنا الله سراً .

وفي الكافي عن الكاظم عليه السلام قال : قال لي أبي إن في الجنة نهراً يقال له جعفر، على شاطئه الأيمن درة بيضاء فيها ألف قصر، في كل قصر ألف قصر لمحمد وآل محمد، وعلى شاطئه الأيسر درة صفراء فيها ألف قصر، في كل قصر ألف قصر لإبراهيم وآل إبراهيم .

وفي الحسن أو الصحيح عن الحلبي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : **﴿فيهن خيرات حسان﴾** قال هن صوالح المؤمنات العارفات، قال قلت : **﴿حور مقصورات في الخيام﴾** قال الحور هن البيض المضمرات المخدرات في خيام الدر والياقوت والمرجان، لكل خيمة أربعة أبواب، على كل باب سبعون كاعباً حجاباً لهن، ويأتيهن في كل يوم كرامة من الله تعالى عز ذكره ليبشر الله عز وجل بهن المؤمنين .

بيان : المضمرات مستعار من تضمير الفرس، وفي بعض النسخ المضمومات أي المصونات المستورات. وعن الحسين بن أعين قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الرجل للرجل جزاك الله خيراً ما يعني به. قال عليه السلام إن خيراً نهرٌ في الجنة مخرجه من الكوثر، والكوثر مخرجه من ساق العرش، عليه منازل الأوصياء وشيعتهم، على حافتي ذلك النهر جواري نابتات كلما قلعت واحدة نبتت أُخرى سمي بذلك النهر، وذلك قوله

تعالى : ﴿فيهن خيرات حسان﴾. وإذا قال الرجل لصاحبه جزاك الله خيراً، فإنما يعني بذلك تلك المنازل التي أعدها الله عز وجل لصفوته وخيرته من خلقه .

وفي تفسير فرات بن إبراهيم عن سليمان عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن صفة قصور الشهداء فقال صلى الله عليه وآله : يا علي بناء هذه القصور لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ملاطها المسك الأذفر والعنبر، حصاها الدر والياقوت، ترابها الزعفران، كثيبها الكافور، في صحن كل قصر من هذه القصور أربعة أنهار، نهر من عسل، ونهر من خمر، ونهر من لبن، ونهر من ماء، محفوف بالأشجار من المرجان. على حافتي كل نهر من هذه الأنهار خيم من درة بيضاء لا قطع فيها ولا فصل، قال لها كوني فكانت، يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها. في كل خيمة سرير مفصص بالياقوت الأحمر، قوائمها من الزبرجد الأخضر، على كل سرير حوراء من الحور العين، على كل حوراء سبعون حلة خضراء وسبعون حلة صفراء يرى مخ ساقيها خلف عظمها وجلدها وحليها وحللها، كما ترى الخمرة الصافية في الزجاجة البيضاء مكللة بالجواهر، لكل حوراء سبعون ذؤابة، كل ذؤابة بيد وصيف، وبيد كل وصيف مجمرة تبخر تلك الذؤابة يفوح من ذلك المجمر بخار لا يفوح بنار ولكن بقدرة الجبار .

وروى الصدوق في ثواب الأعمال عن أمير المؤمنين عليه السلام في ثواب التهليلات في عشر ذي الحجة قال : من قال ذلك كل يوم عشر مرات أعطاه الله عز وجل بكل تهليلة درجة في الجنة من الدر والياقوت، ما بين كل درجتين مسيرة عام للراكب المسرع، في كل درجة مدينة فيها قصر من جوهرة واحدة لا فصل فيها، في كل مدينة من تلك المدائن من الدر والصحون والغرف والبيوت والفرش والأزواج والسرر والحور العين، ومن النمارق والزرابي والموائد والخدم والأنهار والأشجار والحلي والحلل ما لا يصفه خلق من الواصفين. فإذا خرج من قبره أصاب كل شعرة منه نوراً، وابتدره سبعون ألف ملك يمشون أمامه وعن يمينه وشماله حتى ينتهي إلى باب الجنة. فإذا دخلها قاموا خلفه وهو أمامهم حتى ينتهي إلى مدينة ظاهرها ياقوته حمراء وباطنها زبرجدة خضراء، فيها من أصناف ما خلق الله عز وجل في الجنة. فإذا انتهى إليها قالوا يا ولي الله هل تدري ما هذه المدينة، قال لا فمن أنتم، قالوا نحن الملائكة الذين شهدناك في الدنيا يوم هللت الله عز وجل بالتهليل. هذه المدينة بما فيها ثواب لك وأبشر بأفضل من هذه في داره دار السلام، في جواره عطاء لا ينقطع أبداً .

وروى السيد ابن طاووس في الاقبال بسند معتبر عن البزنطي قال : كنا عند الرضا عليه السلام والمجلس غاص بأهله فتذاكروا يوم الغدير، فأنكره بعض الناس، فقال الرضا عليه السلام حدثني أبي عن أبيه قال، إن يوم الغدير في السماء أشهر منه في الأرض، إن لله في الفردوس الأعلى قصراً لبنة من فضة ولبنة من ذهب فيه مائة ألف قبة من ياقوتة حمراء، ومائة ألف خيمة من ياقوت أخضر، ترابه المسك والعنبر، فيه أربعة أنهار، نهر من خمر، ونهر من ماء، ونهر من لبن، ونهر من عسل، حواليه أشجار جميع الفواكه، عليه طيور أبدانها من لؤلؤ واجنحتها من ياقوت تصوت بألوان الأصوات، فإذا كان يوم الغدير ورد إلى ذلك القصر أهل السماوات يسبّحون الله ويقدسونه ويهللونه، تتطاير تلك الطيور فتقع في ذلك الماء وتتمرغ في ذلك المسك والعنبر، فإذا اجتمعت الملائكة طارت فتنفض ذلك عليهم، وإنهم في ذلك اليوم ليتهادون نثار فاطمة عليها السلام ، فإذا كان آخر ذلك اليوم نودوا انصرفوا إلى مراتبكم، فقد أمنتم الخطأ والزلل إلى قابل في مثل هذا اليوم تكرمة لمحمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام .

وفي الكافي عن النبي صلى الله عليه وآله قال : من قال لا إلّه إلا الله غرست له شجرة في الجنة من ياقوتة حمراء، منبتها في مسك أبيض أحلى من العسل وأشد بياضاً من الثلج واطيب ريحاً من المسك، فيها أمثال ثدي الابكار تعلو عن سبعين حلة .

وفي أمالي الصدوق عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة أسري بي إلى السماء أخذ جبرائيل بيدي فأدخلني الجنة، وأجلسني على درنوك من درانيك الجنة، فناولني سفرجلة فانفلقت بنصفين، فخرجت منها حوراء كأن أشفار عينيها مقاديم النسور، فقالت السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا محمد. فقلت من أنت رحمك الله. قالت أنا الراضية المرضية خلقني الجبار من ثلاثة أنواع، أسفلي من المسك، وأعلاي من الكافور، ووسطي من العنبر، وعجنت بماء الحيوان. قال الجبار كوني فكنت، خلقت لابن عمك ووصيك ووزيرك علي بن أبي طالب عليه السلام .

وفي كتاب الاختصاص عن جابر عن الباقر عليه السلام قال : إن الرب تبارك وتعالى يقول ادخلوا الجنة برحمتي، وانجوا من النار بعفوي، وتقسموا الجنة بأعمالكم، فوعزتي لأنزلنكم دار الخلود ودار الكرامة، فإذا دخلوها صاروا على طول آدم ستين ذراعاً، وعلى ملد عيسى أي شبابه ثلاثاً وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد بالعربية، وعلى صورة يوسف

في الحسن. ثم يعلو وجوههم النور وعلى قلب أيوب في السلامة من الغل. وعنه عليه السلام قال: إن الجنان أربع، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ وهو الرجل يهجم على شهوة من شهوات الدنيا وهي معصية، فيذكر مقام ربه فيدعها من مخافته، فهذه الآية فيه، فهاتان جنتان للمؤمنين والسابقين. أما قوله تعالى: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ يقول من دونهما في الفضل وليس من دونهما في القرب، وهما لأصحاب اليمين، وهي جنة النعيم وجنة المأوى. وفي هذه الجنان الأربع فواكه في الكثرة كورق الشجر والنجوم. وعلى هذه الجنان الأربع حائط محيط بها طوله مسيرة خمسمائة عام، لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة در ولبنة ياقوت، وملاطه المسك والزعفران، وشِرفه نور يتلألأ يرى الرجل وجهه في الحائط. وفي الحائط ثمانية أبواب، وعلى كل باب مصراعان عرضهما كحضر الفرس الجواد سنة. وعنه عليه السلام قال: إن أرض الجنة رخامها فضة، وترابها الورس والزعفران، وكنسها المسك، ورضراضها الدر والياقوت.

وعنه عليه السلام: إن أسرتها يعني سررها من در وياقوت وذلك قول الله عز وجل: ﴿على سرر موضونة﴾ يعني أوساط السرر من قضبان الدر والياقوت مضروبة عليها الحجال. والحجال من در وياقوت اخف من الريش وألين من الحرير. وعلى السرر من الفرش على قدر ستين غرفة من غرف الدنيا بعضها فوق بعض، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وفرش مرفوعة﴾ وقوله تعالى: ﴿على الأرائك ينظرون﴾ يعني بالأرائك السرر الموضونة عليها الحجال.

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أنهار الجنة تجري في غير اخدود، أي بدون انخفاض في الأرض، وهي أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل، وألين من الزبد. طين النهر مسك اذفر، وحصاها الدر والياقوت، تجري في عيونه وأنهاره حيث يشتهي ويريد في خباء ولي الله، فلو أضاف من في الدنيا من الإنس والجن لأوسعهم طعاماً وشراباً وحللاً وحلياً لا ينقصه من ذلك شيء.

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن نخل الجنة جذوعها ذهب أحمر، وكربها زبرجد أخضر، وشماريخها در أبيض، وسعفها حلل أخضر، ورطبها أشد بياضاً من الفضة وأحلى من العسل وألين من الزبد، ليس فيه عجم، طول العذق اثنا عشر ذراعاً منضودة من أعلاه إلى أسفله، لا يؤخذ منه شيء إلا أعاده الله كما كان. وذلك قول الله عز وجل: ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ وإن رطبها لأمثال القلال، وموزها ورمانها أمثال

الدلي، وأمشاطهم الذهب، ومجامرهم الدر .

وعنه عليه السلام قال : إن أهل الجنة جرد مرد مكحلين مكللين مطوقين مسورين مختمين ناعمين محبورين مكرمين، يعطى أحدهم قوة مائة رجل في الطعام والشراب، ويجد لذة غذائه مقدار أربعين سنة، ولذة عشائه مقدار أربعين سنة. قد ألبس الله وجوههم النور، وأجسادهم الحرير، بيض الألوان صفر الحلي خضر الثياب .

وعنه عليه السلام : إن أهل الجنة يحيون فلا يموتون أبداً، ويستيقظون فلا ينامون أبداً، ويستغنون فلا يفتقرون أبداً، ويفرحون فلا يحزنون أبداً، ويضحكون فلا يبكون أبداً، ويكرمون فلا يهانون أبداً، ويفكهون فلا يقطبون أبداً، ويحبرون ويسرون أبداً، ويأكلون فلا يجوعون أبداً، ويروون فلا يظمأون أبداً، ويكسون فلا يعرون أبداً، ويركبون ويتزاورون أبداً، يسلم عليهم الولدان المخلدون أبداً، بأيديهم أباريق الفضة وآنية الذهب أبداً، متكئين على سرر أبداً، على الأرائك ينظرون أبداً، تأتيهم التحية والتسليم من الله أبداً، نسأل الله الجنة برحمته إنه على كل شيء قدير .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله قال : إن ادنى أهل الجنة منزلة من الشهداء من له اثنا عشر ألف زوجة من الحور العين، وأربعة آلاف بكر، واثنا عشر ألف ثيب، تخدم كل زوجة منهن سبعون ألف خادم، غير أن الحور العين يضعف لهن، يطوف على جماعتهن في كل اسبوع، فإذا جاء يوم احداهن أو ساعتها اجتمعن إليها يصوتن بأصوات لا أصوات أحلى منها ولا أحسن، حتى ما يبقى في الجنة شيء إلا اهتز لحسن اصواتهن، يقلن ألا نحن الخالدات فلا نموت أبداً، ونحن الناعمات فلا نبؤس أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً .

وعنه صلى الله عليه وآله قال : الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها، ومحرمة على الأمم كلها حتى يدخلها شيعتنا أهل البيت. والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى، وأوسع من أن تستقصى. رزقنا الله وسائر المؤمنين الوصول إليها وإلى اليقين بها حق اليقين بمحمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .

٤ ـ بيان النار وأوصافها :

قال الله تعالى : ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾[١] .

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢٤ .

والمشهور بين المفسرين أنها حجارة الكبريت لأنها احر شيء إذا حميت وقيل المراد بها الأصنام المنحوتة من الحجارة كقوله تعالى : **﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾**[1] . وقيل إن أجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقد بها النار بتبقية الله إياها، كقوله تعالى : **﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾**[2] . وقال تعالى : **﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾**[3] . وقال تعالى : **﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم، يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾**[4] . وقال تعالى : **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾**[5] . وقال تعالى : **﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾**[6] . وقال تعالى : **﴿والذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾**[7] . والآيات في ذلك كثيرة وسيأتي جملة منها .

وروى العياشي عن حمران عن الباقر عليه السلام قال : إن الكفار والمشركين يعيرون أهل التوحيد في النار، يقولون ما نرى توحيدكم اغنى عنكم شيئاً وما نحن وأنتم إلا سواء . قال فيأنف لهم الرب تعالى فيقول للملائكة اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله . ويقول الله أنا أرحم الراحمين اخرجوا برحمتي فيخرجون كما يخرج الفراش . ثم قال عليه السلام ثم مدت العمد وأوصدت عليهم وكان والله الخلود .

وروى القمي في تفسيره عن أبي بصير في الحسن أو الصحيح عن الصادق عليه السلام

---

(١) سورة الأنبياء؛ الآية: ٩٨ .
(٢) سورة النساء؛ الآية: ٥٦ .
(٣) سورة النساء؛ الآية: ١٤٥ .
(٤) سورة المائدة؛ الآيتان: ٣٦ ـ ٣٧.
(٥) سورة التوبة؛ الآية: ٣٤ .
(٦) سورة الكهف؛ الآية: ٢٩ .
(٧) سورة الحج؛ الآية: ٢٠ .

قال : قلت له يا بن رسول الله خوفني فإن قلبي قد قسا. قال يا أبا محمد استعد للحياة الطويلة، فإن جبرائيل جاء إلى النبي ﷺ وهو قاطب، وقد كان قبل ذلك يجيء وهو مبتسم. فقال رسول الله ﷺ يا جبرائيل جئتني اليوم قاطباً، فقال يا محمد قد وضعت منافخ النار. فقال وما منافخ النار يا جبرائيل، فقال يا محمد إن الله عز وجل أمر بالنار فنفخ عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم نفخ عليها ألف عام حتى احمرت، ثم نفخ عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة لو أن قطرة منها قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها، ولو أن حلقة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت من حرها، ولو أن سربالاً من سرابيل أهل النار علق بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من ريحه. قال فبكى رسول الله وبكى جبرائيل، فبعث الله إليهما ملكاً فقال لهما إن ربكما يقرئكما السلام ويقول قد آمنتكما ان تذنبا ذنباً أعذبكما عليه. فقال أبو عبد الله عليه السلام فما رأى رسول الله جبرائيل مبتسماً بعد ذلك. ثم قال إن أهل النار يعظمون النار، وإن أهل الجنة يعظمون الجنة والنعيم، وإن جهنم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً، فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد، هذه حالهم وهو قول الله عز وجل : ﴿**كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق**﴾[1]. ثم تبدل جلودهم غير الجلود التي كانت عليهم. قال عليه السلام حسبك يا أبا محمد، قلت حسبي حسبي.

وفي أمالي الصدوق عن عمر بن ثابت عن الباقر عليه السلام قال : إن أهل النار يتعاوون فيها كما يتعاوى الكلاب والذئاب مما يلقون من أليم العذاب. ما ظنك يا عمر بقوم لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها، عطاش فيها جياع كليلة أبصارهم صم بكم عمي، مسودة وجوههم خاسئين فيها نادمين، مغضوب عليهم فلا يرحمون من العذاب ولا يخفف عنهم وفي النار يسجرون، ومن الحميم يشربون، ومن الزقوم يأكلون، وبكلاليب النار يحطمون، وبالمقامع يضربون، والملائكة الغلاظ الشداد لا يرحمون. فهم في النار يسبحون على وجوههم، ومع الشياطين يقرنون، وفي الانكال والاغلال يصفدون، ان دعوا لم يستجب لهم، وإن سألوا حاجة لم تقض لهم، هذه حال من دخل النار.

وفي الإكمال عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عليه السلام قال : إن للنار سبعة أبواب، باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون، وباب يدخل منه المشركون والكفار ممن

---

(١) سورة الحج؛ الآية: ٢٢.

لم يؤمن بالله طرفة عين، وباب يدخل منه بنو أمية هو لهم خاصة لا يزاحمهم فيه أحد وهو باب لظى، وهو باب سقر، وهو باب الهاوية تهوي بهم سبعين خريفاً، وكلما هوى بهم سبعين خريفاً قاربهم فوره قذفت بهم في أعلاها سبعين خريفاً، ثم تهوي بهم كذلك سبعين خريفاً، فلا يزالون هكذا خالدين مخلدين، وباب يدخل فيه مبغضونا ومحاربونا وخاذلونا، وانه لأعظم الأبواب وأشدها حراً .

إيضاح : لعل الضمير في قوله وهو باب لظى راجع إلى جنس الباب، وتكون غير باب بني أمية أو هي لهم أيضاً لتتم السبعة، أو انه عليه السلام لم يعد جميع الأبواب بل عد معظمها وهي هذه الأربعة، أو ان باب بني أمية تنقسم إلى تلك الأبواب، ولم يذكر الباب السابع لسائر الناس لظهوره، أو ان تلك الثلاثة أسماء لتلك الأبواب الثلاثة على اللف والنشر .

وفي معاني الأخبار سئل الصادق عليه السلام عن معنى الفلق فقال عليه السلام : صدع في النار فيه سبعون ألف دار، في كل دار سبعون ألف بيت، في كل بيت سبعون ألف أسود، في جوف كل أسود سبعون ألف جرة سم لا بد لأهل النار أن يمروا عليها .

وروي عن الصادق عليه السلام قال : إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءً من نار جهنم، وقد اطفئت سبعين مرة بالماء ثم التهبت، ولولا ذلك ما استطاع آدمي أن يطيقها، وإنه ليؤتى بها يوم القيامة حتى توضع على النار فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه فزعاً من صرختها .

وعن الباقر عليه السلام قال : إن في جهنم لواد يقال له عساق فيه ثلاثون وثلاثمائة قصر، في كل قصر ثلاثون وثلاثمائة بيت، في كل بيت ثلاثون وثلاثمائة عقرب، في حمة كل عقرب ثلاثون وثلاثمائة قلة سم، لو أن عقرباً منها نضحت سمها على أهل جهنم لوسعتهم سماً .

وفي تفسير القمي رحمه الله في قوله تعالى : **﴿لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾**[1] إن الله جعلها سبع دركات أعلاها الجحيم، يقوم أهلها على الصفا منها، تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها . وثانيها : **﴿لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى﴾**[2] . وثالثها : **﴿وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة**

---

(١) سورة الحجر؛ الآية: ٤٤ .

(٢) سورة المعارج؛ الآية: ١٧ .

عشر﴾[1]. ورابعها : ﴿الحطمة﴾ ومنها يثور ﴿شرر كالقصر كأنها جمالة صفر﴾ تدق كل من صار إليها مثل الكحل، فلا يموت الروح كلما صاروا مثل الكحل عادوا. وخامسها: ﴿الهاوية﴾ فيها ملأ يدعون يا مالك أغثنا، فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيها صديد يسيل من جلودهم كأنه مهل، فإذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدة حرها، وهو قول الله عز وجل : ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾[2]. ومن هوى فيها هوى سبعين عاماً في النار، كلما احترق جلده بدل جلداً غيره. وسادسها : هي السعير فيها ثلاثمائة سرادق من نار، في كل سرادق ثلاثمائة قصر من نار، وفي كل قصر ثلاثمائة بيت من نار، وفي كل بيت ثلاثمائة لون من عذاب النار، فيها حيات من نار، وعقارب من نار، وجوامع من نار، وسلاسل من نار، وأغلال من نار، وهو قول الله عز وجل : ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا﴾ وسابعها : جهنم وفيها الفلق، وهو جب في جهنم إذا فتح اسعر النار سعراً وهو أشد النار عذاباً، وأما صعوداً أي في قوله تعالى : ﴿سأرهقه صعودا﴾ فجبل من صفر من نار وسط جهنم، وأما أثاماً فهو واد من صفر مذاب يجري حول الجبل فهو أشد النار عذاباً .

بيان : الصفا الحجر الصلب الضخم الذي لا ينبت، والجوامع جمع الجامعة وهي الغل .

وفي الخصال عن إسحاق بن عمار عن الكاظم عليه السلام قال : يا اسحٰق إن في النار لواد يقال له سقر، لم يتنفس منذ خلقه الله تعالى، لو أذن الله عز وجل له في التنفس بقدر مخيط لاحترق ما على وجه الأرض. وإن أهل النار ليتعوذون من حر ذلك الوادي ونتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله، فإن في ذلك الوادي لجبلاً يتعوذ جميع أهل ذلك الوادي من حر ذلك الجبل ونتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك الجبل لشعباً يتعوذ جميع أهل ذلك الجبل من حر ذلك الشعب ونتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك الشعب لقليباً يتعوذ جميع أهل ذلك الجبل من حر ذلك القليب ونتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك القليب لحية يتعوذ جميع أهل القليب من خبث تلك الحية ونتنها وقذرها وما أعد الله في أنيابها من السم لأهلها، وإن في جوف تلك الحية لصناديق فيها خمسة من الأمم السالفة، واثنان من هذه الأمة. قال جعلت فداك ومن الخمسة ومن

(١) سورة المدثر: الآيات: ٢٧ ـ ٣٠.
(٢) سورة الكهف؛ الآية: ٢٩ .

الاثنان. قال فأما الخمسة فقابيل الذي قتل هابيل، ونمرود الذي حاج إبراهيم في دينه فقال أنا أُحيي وأُميت، وفرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى، ويهود الذي هوَّد اليهود، ويونس الذي نصر النصارى. ومن هذه الأمة أعرابيان إشارة إلى قوله تعالى : **﴿الاعراب أشد كفراً ونفاقا﴾** .

وفي تفسير القمي قال أمير المؤمنين عليه السلام : وأما أهل المعصية فخذّ لهم في النار وأوثق منهم الأقدام وغل منهم الأيدي إلى الأعناق، وألبس أجسادهم سرابيل القطران، وقطعت لهم مقطعات من النار، هم في عذاب قد اشتد حره ونار قد اطبق على أهلها، فلا يفتح عنهم أبداً، ولا يدخل عليهم ريح أبداً، ولا ينقضي منهم عمر أبداً، العذاب أبداً شديد، العقاب ابداً جديد، لا الدار زائلة فتفنى ولا آجال القوم تُقضى ثم حكى نداء أهل النار فقال : **﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾** قال أي نموت فيقول مالك إنكم ماكثون .

وعن الصادق عليه السلام قال : إن في النار لناراً يتعوذ منها أهل النار ما خلقت إلا لكل متكبر جبار عنيد، ولكل شيطان مريد، ولكل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، وكل ناصب لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وقال إن أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجل في ضحضاح من نار، عليه نعلان من نار، وشراكان من نار، يغلي عنها دماغه كما يغلي المرجل أي القدر من النحاس، ما يرى أن في النار أحد أشد عذاباً منه. وما في النار أحد أهون عذاباً منه .

وفي رواية قال : الفلق جب في جهنم يتعوذ أهل النار من شدة حره، سأل الله أن يأذن له أن يتنفس، فأذن له فتنفس فأحرق جهنم. قال ففي ذلك الجب صندوق من نار يتعوذ أهل ذلك الجب من حر ذلك الصندوق وهو التابوت، وفي ذلك التابوت ستة من الأولين وستة من الآخرين، فأما الستة من الأولين فابن آدم الذي قتل أخاه، وفرعون إبراهيم الذي ألقى إبراهيم في النار، وفرعون موسى، والسامري الذي اتخذ العجل، والذي هود اليهود، والذي نصر النصارى، أي أفسد دينهم وحرفه وأبدع فيه .

وروى الصدوق في الأمالي وثواب الأعمال عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسقون من الحميم في الجحيم، ينادون بالويل والثبور، ويقول أهل النار بعضهم لبعض ما بال هؤلاء الأربعة قد آذونا على ما بنا من الأذى، فرجل معلق في تابوت من جمر، ورجل يجر امعاءه، ورج يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه. فقيل لصاحب التابوت ما بال الأبعد قد آذانا على

ما بنا من الأذى. فيقول إن الأبعد قد مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها في نفسه اداء ولا وفاء. ثم يقال للذي يجر امعاءه، ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى. فيقول أن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول من جسده. ثم يقال للذي يسيل فوه قيحاً ودماً، ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى. فيقول أن الأبعد كان يحاكي إلى كل كلمة خبيثة فيشيدها ويحاكي بها. ثم يقال للذي يأكل لحمه، ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى. فيقول إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة .

وفي الأمالي عن جابر عن الباقر عليه السلام : إن عبداً مكث في النار سبعين خريفاً، والخريف سبعون سنة، ثم انه سأل الله عز وجل بحق محمد وأهل بيته لما رحمتني. قال فأوحى الله إلى جبرائيل ان أهبط إلى عبدي فأخرجه. قال يا رب وكيف لي بالهبوط في النار. قال إني قد أمرتها أن تكون عليك برداً وسلاماً. قال يا رب فما علمي بموضعه. قال إنه في جب من سجين. قال فهبط جبرائيل فوجده وهو معقول على وجهه فأخرجه. فقال عز وجل يا عبدي كم لبثت تناشدني في النار. قال ما أحصيته يا رب. قال أما وعزتي لولا ما سألتني به لأطلت هوانك في النار، ولكنه حتم على نفسي أن لا يسألني عبد بحق محمد وأهل بيته إلا أن غفرت له ما كان بيني وبينه، وقد غفرت لك اليوم .

وفي الخصال عن النبي صلى الله عليه وآله قال : تكلم النار يوم القيامة ثلاثة، أميراً وقارياً وذا ثروة من المال. فتقول للأمير يا من وهب الله له سلطاناً فلم يعدل فتزدرده كما يزدرد الطير حب السمسم، وتقول للقاري يا من تزين للناس وبارز الله بالمعاصي فتزدرده. وتقول للغني يا من وهب الله له دنيا كثيرة واسعة في غنى وسأله الفقير الحقير البسير قرضاً فأبى إلاّ بخلاً فتزدرده .

وروى الشيخ في الأمالي عن أمير المؤمنين في كتابه إلى أهل مصر في وصف النار : قعرها بعيد وحرها شديد، وشرابها صديد، وعذابها جديد، ومقامعها حديد، لا يفتر عذابها، ولا يموت ساكنها، دار ليس فيها رحمة ولا تسمع لأهلها دعوة .

وروى السيد ابن طاووس من كتاب زهد النبي صلى الله عليه وآله عن أبي جعفر أحمد القمي عن علي عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله قال : والذي نفس محمد بيده لو أن قطرة من الزقوم قطرت على جبال الأرض لساخت إلى أسفل أرضين ولما أطاقته فكيف بمن هو طعامه. والذي نفسي بيده فلو أن قطرة من غسلين قطرت على جبال الأرض لساختها إلى أسفل سبع أرضين ولما أطاقته فكيف بمن هو شرابه. والذي نفسي بيده لو أن مقمعاً واحداً مما ذكره

الله في كتابه وضع على جبال الأرض لساخت إلى أسفل سبع أرضين ولما أطاقته فكيف بمن يقع عليه يوم القيامة في النار. وفي الكتاب المذكور إنه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ : ﴿**وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم**﴾[1]. بكى النبي ﷺ بكاء شديداً، وبكت صحابته لبكائه ولم يدروا ما نزل به جبرائيل، ولم يستطع أحد من أصحابه أن يكلمه. وكان النبي إذا رأى فاطمة فرح بها فانطلق بعض أصحابه إلى باب بيتها، فوجد بين يديها شعيراً وهي تطحنه وتقول وما عند الله خير وأبقى، فسلم عليها وأخبرها بخبر النبي وبكائه، فنهضت والتفت بشملة لها خلقة قد خيطت في اثني عشر مكاناً بسعف النخل، فلما خرجت نظر سلمان الفارسي إلى الشملة وبكى، وقال واحزناه إن قيصر وكسرى لفي السندس والحرير وابنة محمد عليها شملة صوف خلقة قد خيطت في اثني عشر مكاناً. فلما دخلت فاطمة على النبي ﷺ قالت يا رسول الله إن سلمان تعجب من لباسي، فوالذي بعثك بالحق نبياً ما لي ولعلي منذ خمس سنين إلا مسك كبش نعلف عليه بالنهار بعيرنا فإذا كان الليل افترشناه، وان مرفقتنا لمن ادم حشوها ليف. فقال النبي يا سلمان ان ابنتي لفي الخيل السوابق. ثم قالت يا ابت ما الذي أبكاك، فذكر لها ما نزل به جبرائيل من الآيتين المتقدمتين. قال فسقطت فاطمة على وجهها وهي تقول الويل ثم الويل لمن دخل النار. فسمع سلمان فقال يا ليتني كنت كبشاً لأهلي فأكلوا لحمي ومزقوا جلدي ولم أسمع بذكر النار. وقال عمار يا ليتني كنت طائراً في القفار ولم يكن علي حساب ولا عقاب ولم أسمع بذكر النار. وقال علي يا ليت السباع مزقت لحمي، وليت أمي لم تلدني ولم أسمع بذكر النار. ثم وضع علي يده على رأسه وجعل يبكي ويقول واسفراه وأقلة زاداه في سفر القيامة، يذهبون وفي النار يترددون وبكلابيب النار يتخطفون، مرضى لا يعاد سقيمهم، وجرحى لا يداوى جريحهم، وأسرى لا يفك أسيرهم من النار يأكلون ومنها يشربون وبين أطباقها يتقلبون، وبعد لبس القطن والكتان مقطعات النيران يلبسون، وبعد معانقة الأزواج مع الشياطين مقرنون .

وفي الصحيفة السجادية في الدعاء بعد صلاة الليل : اللهم إني أعوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك وتوعدت بها من صدف عن رضاك، ومن نار نورها ظلمة وهيّنها أليم وبعيدها قريب، ومن نار يأكل بعضها بعضاً ويصول بعضها على بعض، ومن نار تذر العظام رميماً وتسقي أهلها حميماً، ومن نار لا تبقي على من تضرع إليها ولا ترحم من استعطفها، ولا تقدر على التخفيف عمن خشع لها واستسلم إليها، تلقى سكانها بأحر

---

(١) سورة الحجر؛ الآية: ٤٤ .

ما لديها من أليم النكال وشديد الوبال، وأعوذ بك من عقاربها الفاغرة أفواهها، وحياتها الصالقة بأنيابها، وشرابها الذي يقطع امعاء وأفئدة سكانها وينزع قلوبهم .

وفي كتاب الاختصاص عن الصادق عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : خرجت ذات يوم إلى ظهر الكوفة وبين يدي قنبر فإذا ابليس قد أقبل، فقلت بئس الشيخ أنت. فقال لم تقول هذا يا أمير المؤمنين فوالله لأحدثنك بحديث عني عن الله عز وجل ما بيننا ثالث، إنه لما هبطت بخطيئتي إلى السماء الرابعة ناديت إلٓهي وسيدي ما أحسبك خلقت خلقاً هو أشقى مني، فانطلق بي مالك إلى النار فرفع الطبق الأعلى، فخرجت نار سوداء ظننت أنها قد أكلتني وأكلت مالكاً، فقال لها اهدئي فهدأت، ثم انطلق بي إلى الطبق الثاني فخرجت نار هي أشد من تلك سواداً وأشد حما، فقال لها اخمدي فخمدت، إلى أن انطلق بي إلى السابع، وكل نار تخرج من طبق هي أشد من الأُولى، فخرجت نار وظننت انها قد أكلتني وأكلت مالكاً وجميع ما خلقه الله عز وجل، فوضعت يدي على عيني فقلت مرها يا مالك تخمد وإلا خمدت. فقال إنك لن تخمد إلى الوقت المعلوم فأمرها فخمدت، فرأيت رجلين في اعناقهما سلاسل النيران معلقين بها إلى فوق، وعلى رؤوسهما قوم معهم مقامع النيران يقمعونهما بها. فقلت يا مالك من هذان. فقال أوما قرأت على ساق العرش وكنت قبل قرأت قبل أن يخلق الله الدنيا بألفي عام لا إلٓه إلا الله محمد رسول الله أيدته ونصرته بعلي. فقال هذان عدوا أُولئك وظالماهم. لعله تعالى خلق صورتيهما في جهنم بتعيين مكانهما وتصوير شقاوتهما للملأ الأعلى ولمن سمع الخبر من غيرهم .

وفي نوادر الراوندي عن الكاظم عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إن أهون أهل النار عذاباً ابن جذعان. فقيل يا رسول الله وما بال ابن جذعان أهون أهل النار عذاباً. قال إنه كان يطعم الطعام .

وفي الكافي عن الرصافي عن الباقر عليه السلام قال : إن مؤمناً كان في مملكة جبار فولغ به فهرب منه إلى دار الشرك، فنزل برجل من أهل الشرك فأظله وأرفقه وأضافه، فلما حضره الموت أوحى الله عز وجل إليه وعزتي وجلالي لو كان لك في جنتي مسكن لأسكنتك فيها ولكنها محرمة على من مات بي مشركاً، ولكن يا نار هيديه ولا تؤذيه ويؤتى برزقه طرفي النهار. قلت من الجنة. قال من حيث شاء الله. والظاهر أن لفظ الخبر لا تهديه أي لا تزعجيه كما في روايات الجمهور. فصحف .

وروى الصدوق بسند حسن عن الكاظم عليه السلام قال : كان في بني إسرائيل رجل مؤمن وكان له جار كافر، وكان يرفق بالمؤمن ويوليه المعروف في الدنيا، فلما أن مات الكافر بنى الله له بيتاً في النار من طين، وكان يقيه حرها ويأتيه الرزق من غيرها. وقيل له هذا بما كنت تدخل على جارك المؤمن فلان ابن فلان من الرفق وتوليه من المعروف في الدنيا. وفي هذين الخبرين دلالة على ارتفاع العذاب عن بعض الكفار الذين عملوا عملاً حسناً، فلا يبعد تخصيص ما دل على عدم تخفيف عذاب الكفار بهما، أو يقال بأن مجرد كونهم في النار عذاب لهم وإن لم يؤذهم، أو إن لهم فيها نوعاً من عذاب غير الاحتراق كالإزعاج والتخويف والله العالم .

وفي الخصال عن علي عليه السلام قال : إن في جهنم رحى تطحن خمساً، أفلا تسألوني ما طحنها. فقيل له وما طحنها يا أمير المؤمنين. قال العلماء الفجرة، والقراء الفسقة، والجبابرة والظلمة، والوزراء الخونة، والعرفاء الكذبة. وإن في النار لمدينة يقال لها الحصينة، أفلا تسألوني ما فيها. فقيل وما فيها يا أمير المؤمنين. قال فيها أيدي الناكثين .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في النهج : واعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار فارحموا نفوسكم، فإنكم قد جربتموها في مصائب الدنيا، فرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه، والعثرة تدميه، والرمضاء تحرقه، فكيف إذا كان بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان. أعلمتم أن مالكاً إذا غضب على النار حطم بعضها بعضاً لغضبه، وإذا زجرها توثبت بين أبوابها جزعاً من زجرته. أيها اليفن ـ أي الشيخ الكبير ـ الذي قد لهزه القتير أي خالطه الشيب. كيف أنت إذا التحمت أطواق النار بعظام الأعناق، وتشبثت الجوامع حتى أكلت لحوم السواعد، فالله الله معشر العباد وأنتم سالمون في الصحة قبل السقم، وفي الفسحة قبل الضيق، فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل أن تغلق رهائنها .

وفي تفسير القمي رحمه الله في الصحيح أو الحسن عن الصادق عليه السلام في خبر المعراج قال : قال النبي صلى الله عليه وآله سمعت صوتاً أفزعني فقال لي جبرائيل أتسمع يا محمد. قلت نعم قال هذه صخرة قذفتها عن شفير جهنم منذ سبعين عاماً فهذا حين استقرت. قالوا فما ضحك رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قبض. قال فصعد جبرائيل وصعدت حتى دخلت سماء الدنيا، فما لقيني ملك إلا وهو ضاحك مستبشر، حتى لقيني ملك من الملائكة لم أر خلقاً أعظم منه، كريه المنظر ظاهر الغضب، فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء، إلا أنه لم يضحك ولم أر فيه من الاستبشار ما رأيت ممن ضحك من الملائكة. فقلت من هذا يا جبرائيل فإني

قد فزعت منه. فقال يجوز أن تفزع منه فكلنا نفزع منه، إن هذا مالك خازن النار لم يضحك قط، ولم يزل منذ ولاه الله جهنم يزداد كل يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله وأهل معصيته، فينتقم الله به منهم، ولو ضحك إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك لضحك إليك ولكنه لا يضحك. فسلمت عليه فرد السلام علي وبشرني بالجنة. فقلت لجبرائيل بالمكان الذي وصفه الله مطاع ثم أمين، ألا تأمره أن يريني النار. فقال له جبرائيل يا مالك أر محمداً النار. فكشف عنها غطاءها وفتح باباً منها فخرج منها لهب ساطع في السماء، وفارت وارتفعت حتى ظننت ليتناولني مما رأيت. فقلت يا جبرائيل قل له فليرد عليها غطاءها، فأمرها فقال لها ارجعي فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه. الخبر.

وفي تفسير القمي عن الصادق عليه السلام وقد سئل عن قوله تعالى: **﴿ولنذرهم يوم الحسرة﴾** قال: لينادي مناد من عند الله، وذلك بعد ما صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، يا أهل الجنة ويا أهل النار هل تعرفون الموت في صورة من الصور، فيقولون لا. فيؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار. ثم ينادون جميعاً أشرفوا وانظروا إلى الموت، فيشرفون، ثم يأمر الله به فيذبح، ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت أبداً، ويا أهل النار خلود فلا موت أبداً. والأخبار في ذلك كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية لمن تنبه وتدبر، أيقظنا الله من الغفلة ورزقنا اليقين بمحمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

وقال الصدوق في العقائد: اعتقادنا في النار انها دار الهوان ودار الانتقام من أهل الكفر والعصيان، ولا يخلد فيها إلا أهل الكفر والشرك، فأما المذنبون من أهل التوحيد فإنهم يخرجون منها بالرحمة التي تدركهم، والشفاعة التي تنالهم. وروي أنه لا يصيب أحداً من أهل التوحيد ألم في النار إذا دخلوها، وإنما تصيبهم الآلام عند الخروج منها، فتكون تلك الآلام جزاء بما كسبت أيديهم: **﴿وما الله بظلام للعبيد﴾**. وأهل النار هم المساكين حقاً، لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها: **﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقا﴾**[١]. وإذا استطعموا أُطعموا من الزقوم، وإن استغاثوا أُغيثوا **﴿بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾**[٢]. ينادون من مكان بعيد: **﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾** فيمسك الجواب عنهم أحياناً، ثم قيل

---

(١) سورة النبأ؛ الآية: ٢٥.

(٢) سورة الكهف؛ الآية: ٢٩.

لهم : ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون ونادوا يا مالك ليقضِ علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾[1] .

وروي أنه يأمر الله عز وجل برجل إلى النار، فيقول يا مالك قل للنار لا تحرقي لهم أقداماً فقد كانوا يمشون إلى المساجد، ولا تحرقي لهم أيدياً فقد كانوا يرفعونها إليَّ بالدعاء، ولا تحرقي لهم ألسنة فقد كانوا يكثرون تلاوة القرآن، ولا تحرقي لهم وجوهاً فقد كانوا يسبغون الوضوء. فيقول مالك يا أشقياء فما كان حالكم، فيقولون كنا نعمل لغير الله. فقيل لنا خذوا ثوابكم ممن عملتم له .

وقال الشيخ المفيد رَحِمَهُ اللهُ في شرحه : وأما النار فهي دار من جهلَ اللّهَ سبحانه، وقد يدخلها بعض من عرفه بمعصية الله تعالى، غير أنه لا يخلد فيها بل يخرج منها إلى النعيم المقيم، وليس يخلد فيها إلا الكافرون، وقال تعالى : ﴿فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى﴾[2] . يريد بالصلي هنا الخلود فيها وقال تعالى : ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً﴾ وقال تعالى : ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم﴾[3] . الآيتان، وكل آية تتضمن ذكر الخلود في النار، فإنما هي في الكفار دون أهل المعرفة بالله تعالى بدلائل العقول والكتاب المسطور والخبر الظاهر المشهور والاجماع السابق لأهل البدع من أصحاب الوعيد. ثم قال رَحِمَهُ اللهُ : وليس يجوز أن يعرف الله تعالى من هو كافر به، ولا يجهله من هو مؤمن به، وكل كافر على أُصولنا فهو جاهل بالله، ومن خالف أُصول الإيمان من المصلين إلى قبلة الإسلام فهو عندنا جاهل بالله، وإن أظهر القول بتوحيده. كما أن الكافر برسول الله جاهل بالله، وإن كان فيهم من يعترف بتوحيد الله تعالى، ويتظاهر بما يوهم المستضعفين أن له معرفة بالله تعالى. وقد قال الله تعالى : ﴿ومن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا﴾[4]. فأخرج بذلك المؤمن من أحكام الكافر. وقال تعالى : ﴿وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾[5] . فنفى عمن كفر بنبي الله الإيمان، ولم يثبت له مع الشك فيه المعرفة بالله على حال، وقال تعالى : ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا

---

(١) سورة الزخرف؛ الآية: ٧٧ .
(٢) سورة الليل؛ الآية: ١٦ .
(٣) سورة المائدة؛ الآية: ٣٦ .
(٤) سورة الجن؛ الآية: ١٣ .
(٥) سورة النساء؛ الآية: ٦٥ .

الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[1] . فنفى الإيمان عن اليهود والنصارى، وحكم عليهم بالكفر والضلال . انتهى .

٥ ـ شبهة محيي الدين العربي في انقطاع العذاب وزواله :

اعلم أنه لا خلاف بين كافة المسلمين في ان الكفار الذين تمت عليهم الحجة مخلدون في النار وفي العذاب، وقد تظافرت بذلك الآيات وتواترت به الروايات عن النبي والأئمة الهداة، بل هو ضروري الدين لا خلاف فيه بين أحد من المسلمين، إلى أن انتهت النوبة إلى بعض من ينتحل الإسلام من المتصوفية والمتفلسفين، فتركوا التمسك بكتاب الله الذي : **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾** وبسنّة رسول الله الذي : **﴿لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ﴾**[2] . واستبدلوا بأوهامهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة، فزعموا ان الكفار وإن كانوا مخلدين في النار إلى ما لا نهاية له، إلا ان عذابهم لا بد له من انقطاع وزوال، فتكون النار عليهم برداً وسلاماً بعد ذلك . وأول من فتح هذا الباب فيما أظن محيي الدين العربي، فقالوا في الفص اليونسي من فصوص الحكم : وأما أهل النار فمآلهم إلى النعيم ولكن في النار، إذ لا بد لصورة بعد انتهاء مدة العذاب ان تكون برداً وسلاماً على من فيها وهذا نعيمهم . فنعيم أهل النار بعد استيفاء الحقوق نعيم خليل الله حين ألقي في النار .

وقال في الفص الإسماعيلي : الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد، والحضرة الإلٰهية تطلب الثناء المحمود بالذات، فيثنىٰ عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد، بل بالتجاوز : **﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾** ولم يقل وعيده، بل قال ويتجاوز عن سيئاتهم مع انه توعد على ذلك، وصرح بذلك أيضاً في الباب الثامن والخمسين من الفتوحات، وقال في الباب الخامس والثلاثمائة منها : ولا بد من حكم الرحمة على الجميع، أي أهل الجنة والنار، ثم قال ولا يلزم ممن كان من أهل النار الذين يعمرونها ان يكونوا معذبين بها، فإن أهلها وعمارها وخزنتها وهم ملائكة، وما فيها من الحشرات والحيات وغير ذلك من الحيوانات التي تبعث يوم القيامة ولا واحد منها يكون النار عليه عذاباً، كذلك من يبقىٰ فيها لا يموتون فيها ولا يحيون، وكل من ألف موطنه كان به مسروراً، وأشد العذاب مفارقة الوطن، ولو فارق النار أهلها لتعذبوا باغترابهم عما أهلوا

---

(١) سورة التوبة؛ الآية: ٢٩ .

(٢) سورة النجم؛ الآية: ١٣ .

له، وإن الله قد خلقهم على نشأة تألف ذلك الوطن، فعمرت الداران وسبقت الرحمة الغضب، ووسعت كل شيء جهنم ومن فيها والله أرحم الراحمين كما قال عن نفسه .

وقد وجدنا في نفوسنا ممن جبلهم الله على الرحمة، انهم يرحمون جميع عباد الله حتى لو حكمهم الله في خلقه لأزالوا صفة العذاب من العالم. وقد قال تعالىٰ عن نفسه إنه أرحم الراحمين، فلا يشك انه أرحم منا بخلقه، فكيف يسرمد العذاب عليهم. وهو بهذه الصفة العامة ان الله أكرم من ذلك، ولا سيما وقد قام الدليل العقلي على ان الباري لا تنفعه الطاعات ولا تضره المخالفات، وان كل شيء جار بقضائه وقدره وحكمه، وان الخلق مجبورون في اختيارهم. انتهىٰ ملخصاً .

وتبعه على ذلك القيصري وعبد الرزاق الكاشي وغيرهما، والعجب من المحقق الفيلسوف الشيرازي، والمحقق المحدث الكاشاني، حيث تبعاه على ذلك في الأسفار وعين اليقين والمعارف، وقد استقصينا كلماتهم في كتابنا مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار. واستند بعض هؤلاء في ذلك إلى حديث عامي مقطوع مرسل، وهو سيأتي على جهنم زمان ينبت في قعرها الجرجير. وما رواه البغوي في معالم التنزيل عن ابن مسعود قال : ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً. هذا خلاصة ما شيدوا به هذا المطلب العظيم المخالف للقرآن الكريم والسنة وضرورة الدين في الشبهات التي هي أوهن من بيت العنكبوت، وأنه لأوهن البيوت .

٦ ـ الجواب على شبهة محيي الدين العربي :

أقول وبالله التوفيق وبيده أزمة التحقيق لا يخفىٰ فساد ما زعموه وبطلانه من وجوه :

الأول : ان مرسلة الجرجير ومقطوعة ابن مسعود مع انهما في غاية الضعف ونهاية القصور، ولم يوجد منهما عين ولا أثر في كتب الإمامية، مخالفان للقرآن، وقد تواتر عنه ﷺ فيما رواه الفريقان كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف. مع أنه قد روىٰ ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن موفق مولىٰ أبي الحسن أي الكاظم عليه السلام قال : كان مولاي أبو الحسن إذا أمر بشراء البقل يأمرني بالإكثار من الجرجير، فيشتري له، وكان يقول ما أحمق بعض الناس يقولون إنه ينبت في وادي جهنم والله عز وجل يقول : ﴿**وقودها الناس والحجارة**﴾ فكيف تنبت البقل .

وروى حمران قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام بلغنا أنه يأتي على جهنم حين

تصطفق أبوابها. فقال لا والله إنّه لخلود . قلت خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك، فقال هذه في الذين يخرجون من النار، واصطفاق الأبواب كناية عن خلوها من الناس، وهو رد على ابن مسعود، وربما يتوهم من قوله تعالىٰ في أهل جهنم : ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ انقطاع العذاب، فقد ذكر بعض المفسرين أن الحقب ثمانون سنة من سني الآخرة، وقيل ان الأحقاب ثلاثة وأربعون حقباً، كل حقب سبعون خريفاً، كل خريف سبعمائة سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم ألف سنة .

وفي معاني الأخبار عن الصادق عليه السلام في الآيات ان الأحقاب ثمانية أحقاب، والحقب ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، واليوم كألف سنة مما تعدون. ولكن قد ذكر جماعة من المفسرين ان المعنىٰ أحقاباً لا انقطاع لها، كلما مضىٰ حقب جاء بعده حقب آخر إلى أبد الآبدين، فليس للأحقاب عدة إلا الخلود في النار .

وقال بعضهم ان المعنىٰ : ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ لا يذوقون في تلك الأحقاب ﴿إلا حميماً وغساقاً﴾ ثم يلبثون لا يذوقون فيها غير الحميم والغساق من أنواع العذاب، فهذا توقيت لأنواع العذاب لا لمكثهم في النار، وجملة منهم على أن ذلك التحديد لأهل التوحيد، وهو المروي من طرقنا .

فروى العياشي باسناده عن حمران قال : سألت أبا جعفر عن هذه الآية، فقال هذه في الذين يخرجون من النار. وروي عن الأحوال مثله .

الوجه الثاني : ما ذكروه من حسن خلف الوعيد، كما قال تعالى : ﴿**ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله**﴾ ولم يقل وعيده، بل قال ﴿**ويتجاوز عن سيئاتهم**﴾، فاسد من وجوه :

أولاً : فإن إثبات الشيء لا يدل على نفي ما عداه، ولا دليل على وجوب انقطاع مدة العذاب وانتهائه، بل الأدلة على خلافه على أنه لا وعيد بالنسبة إلى الرسل والأنبياء .

ثانياً : فلأن الوعيد الذي يحسن خلفه من قسم الإنشاء، ولكن الخلود في العذاب قد دلت عليه الآيات والروايات بطريق الأخبار، وأخبار الله يمتنع فيها الكذب ضرورة .

ثالثاً : فلأن الله تعالىٰ قد وعد أنبياءه ورسله بالانتقام من أعدائهم وخلودهم في العذاب الدائم، وعد من الله لأنبيائه يمتنع خلفه، فتكون الآية رداً عليهم .

رابعاً : فإن مقتضىٰ شبهاتهم المذكورة ان الكفار لا يستحقون الخلود في العذاب، بل لا يجوز ذلك عليهم. ووعيد الله لهم بالعذاب ودوامه يدل على استحقاقهم لذلك، حتى

يحسن ويصدق العفو، فيلزمهم إنكار أصل الوعيد، وإنكاره تكذيب للقرآن وما يقال من أن الغرض من هذا الوعيد اصلاح الخلق لينزجروا عن المعاصي ففاسد، إذ لو تم لقام في أصل العذاب أيضاً، وهم لا يقولون به. وبقيام هذه الاحتمالات الواهية الركيكة ينسد باب التكليف، ويرتفع الوثوق بأقوال رب العالمين والأنبياء والمرسلين، ويلزم منه الخروج عن زمرة المسلمين .

خامساً : فإن قوله تعالىٰ : ﴿**ويتجاوز عن سيئاتهم**﴾ مخصوص ببعض أهل المعاصي من فرق المسلمين الذين لا يخلدون، كما ذكره المفسرون ووردت به الروايات، على ان التجاوز لا يتحقق إلا قبل دخول جهنم أو بعد الدخول مع الخروج عنها، وأما دفع العذاب عنهم وهم فيها بعد عذابهم بقدر ما يستحقونه فلا يسمىٰ ذلك تجاوزاً بل عدلاً على زعمهم .

الوجه الثالث : ان قولهم ان الطاعات لا تنفع الله والمعاصي لا تضره كلام حق، بل الطاعات تنفع فاعليها والمعاصي تضرهم. وقولهم ان الخلق مجبورون في حال اختيارهم ظاهرة الجبر وحينئذ فأصل عذابهم قبيح فضلاً عن دوامه .

الوجه الرابع : ان ما يزعمون من ان من له أدنىٰ رحمة من العباد لا يرضىٰ بدوام عذاب عدوه، وإن أساء معه ما أساء فما ظنك بأرحم الراحمين فيه .

أولاً : ان هذا يقبح أصل العذاب ونوعه فضلاً عن دوامه .

وثانياً : ان قياس أرحم الراحمين على رحمة العبد الجاهل المسكين قياس مع الفارق، إذ الفرق واضح بين الإيلام بطريق الإصلاح، وبين العقوبة بطريق الاستخفاف والاستهانة، وتعذيب الكفار من الثاني كما قال تعالىٰ : ﴿**اخسأوا فيها ولا تكلمون**﴾ ﴿**ذق انك أنت العزيز الكريم**﴾ ﴿ **خذوه فغلوه**﴾ الآية، وفرق بين حال العبد الضعيف الجاهل العاجز وبين الرب الخالق العالم الجبار القهار، ألا ترىٰ ان أنواع الأمراض والأوجاع والزمانات والبلاء والابتلاء والتعذيبات الواقعة في الدنيا التي ابتلي بها خلقه لحكم ومصالح هو اعلم بها، لو فوضت إلى أقسىٰ العباد قلباً وأجفاهم غلظة لرفعها عن الناس ولم يرض بها، سيما بالنسبة إلى الأطفال والصبيان والرضع والمشائخ والعاجزين، فكيف يقاس فعل رب العالمين بحال الجاهل المسكين، على ان أفعال الله في الدنيا فضلاً عن الآخرة تعجز عن إدراكها العقول، كإنزال أنواع العذاب على الأمم السالفة والقرون الماضية، وجعل الله تعالىٰ إدخال مقدار الحشفة في اللواط موجباً للقتل والحرق، مع ان

الله تعالىٰ يقول في شأن أهل النار : **﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾** ويقول سبحانه : **﴿من كان في هذه أعمىٰ فهو في الآخرة أعمىٰ وأضل سبيلاً﴾**[(١)] . على ان جملة من محققيهم قد ذكروا في جواب من ادعىٰ قبح أصل العذاب ان العذاب ليس بفعل منتقم خارجي، بل هو من لوازم أفعالهم ونتائج اعتقاداتهم وأعمالهم، وحينئذ فكما يصح ان يكون العذاب والعقوبة من نتائج الأعمال، يصح ان يكون بعض أنواعه نتيجة لدوام العذاب والعقاب .

الوجه الخامس : ان غاية ما يدل عليه حسن خلف الوعيد وشمول الرحمة ونحوهما حسن العفو والتجاوز، ويدعي الخصم وجوب العفو وقبح دوام العذاب، فإن كان دوام العذاب والعقاب عدلاً فلا قبح فيه، وإن كان ظلماً وجوراً فلا معنىٰ للتجاوز والعفو .

الوجه السادس : ان هؤلاء كأنهم لم يتدبروا الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة الدالة على دوام العذاب واستمرار العقاب، قال تعالىٰ رداً على اليهود الذين زعموا ان العذاب يصيبهم مدة أيام عبادتهم العجل ثم ينقطع عنهم : **﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾**[(٢)] . وقد ذكر المفسرون ان السبب في نزولها ما ذكر . وورد في أخبارنا ذلك .

وقال تعالىٰ : **﴿ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾**[(٣)] .

وقال تعالىٰ : **﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب﴾**[(٤)] . وقال أيضاً : **﴿خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾**[(٥)] .

وقال تعالىٰ : **﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾**[(٦)] .

وفي آيات عديدة : **﴿مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾** و**﴿بئس المصير﴾**، و**﴿بئس**

---

(١) سورة الإسراء؛ الآية : ٧٢ .
(٢) سورة البقرة؛ الآية : ٨٠ .
(٣) سورة البقرة؛ الآية : ٨٥ .
(٤) سورة البقرة؛ الآية : ١٦١ .
(٥) سورة البقرة؛ الآية : ١٦٢ .
(٦) سورة النساء؛ الآية : ٥٦ .

المهاد﴾، و﴿عذاب أليم﴾، و﴿عذاب مهين﴾، ﴿وبئس مثوىٰ الظالمين﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو اقتدىٰ به أُولئك لهم عذاب أليم﴾[(١)] .

وقال تعالىٰ : ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾[(٢)] .

وقال تعالىٰ : ﴿ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾[(٣)] .

وقال تعالىٰ : ﴿ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون﴾[(٤)] .

وقال تعالىٰ : ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقىٰ من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ﴾[(٥)] .

وقال تعالىٰ : ﴿وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون﴾[(٦)] .

وقال تعالىٰ : ﴿ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون﴾[(٧)] . وقال تعالىٰ : ﴿مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً﴾[(٨)] .

وقال تعالىٰ : ﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً﴾[(٩)] .

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ٩١ .

(٢) سورة آل عمران؛ الآية: ١٨٨ .

(٣) سورة المائدة؛ الآية: ٣٦ .

(٤) سورة يونس؛ الآية: ٥٢ .

(٥) سورة إبراهيم؛ الآية: ١٥ .

(٦) سورة النحل؛ الآية: ٨٥ .

(٧) سورة النحل؛ الآية: ٥٨ .

(٨) سورة الإسراء؛ الآية: ٩٧ .

(٩) سورة الكهف؛ الآية: ٢٩ .

وقال تعالىٰ : ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾[1] .

وقال تعالىٰ حكاية عن أهل النار : ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾[2] .

وقال تعالىٰ : ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً﴾[3] .

وقال تعالىٰ : ﴿ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾[4] .

وقال تعالىٰ : ﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾[5]. وقال تعالىٰ : ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً ـ إلى ان قال ـ فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾[6] .

وقال تعالىٰ : ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلىٰ قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾[7] .

وقال تعالىٰ : ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾[8]. أي لابثون دائمون في العذاب كما ذكره المفسرون. وعن ابن عباس والسدي : إنما يجيبهم بذلك مالك بعد ألف سنة، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، وفيما

---

(١) سورة الحج؛ الآية: ٢٠ .
(٢) سورة المؤمنون؛ الآية: ١٠٧ .
(٣) سورة الفرقان؛ الآية: ٦٩ .
(٤) سورة يونس؛ الآية: ٥٢ .
(٥) سورة السجدة؛ الآية: ٢٠ .
(٦) سورة فاطر؛ الآيتان: ٣٦ ـ ٣٧.
(٧) سورة غافر؛ الآية: ٤٩ .
(٨) سورة الزخرف؛ الآية: ٧٧ .

ذكرناه كفاية وقد بسطنا الكلام في هذا المرام في (مصابيح الأنوار) .

٧ ـ الأعراف وأهلها :

قال تعالىٰ : ﴿ونادىٰ أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين﴾[1] . إلى ان قال : ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون، وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، ونادىٰ أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنىٰ عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون﴾[2] . قال الطبرسي ونادىٰ أي وسينادي أصحاب الجنة أصحاب النار، فهذا سؤال توبيخ وشماتة يزيد به سروراً أهل الجنة وحسرة أهل النار، فأذن مؤذن أي نادىٰ مناد بينهم أسمع الفريقين. قال وروى أبو القاسم الحسكاني باسناده عن محمد بن الحنفية عن علي عليه السلام انه قال : أنا ذلك المؤذن .

وعن ابن عباس ان لعلي في كتاب الله أسماء لا تعرفها الناس قوله : ﴿فأذن مؤذن بينهم﴾ فهو المؤذن بينهم، يقول ألا لعنة الله على الظالمين الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي، ﴿وبينهما حجاب﴾ أي بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار ستراً وهو الأعراف. والأعراف سور بين الجنة والنار عن مجاهد والسدي. وفي التنزيل فضرب بينهم بسور، وقيل الأعراف شِرف ذلك السور. وقيل الأعراف الصراط، واختلف في المراد من الرجال في قوله : ﴿وعلى الأعراف رجال﴾ فقيل انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار، وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة، فجعلوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما شاء ثم يدخلهم الجنة، عن ابن عباس وابن مسعود. وقيل ان الأعراف موضع عال على الصراط عليه حمزة والعباس وعلي وجعفر، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه، عن الضحاك عن ابن عباس رواه الثعلبي بالاسناد في تفسيره. وقيل انهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون أهل الجنة والنار، ويكونون خزنة الجنة والنار جميعاً، أو يكونون حفظة الأعمال الشاهدين بها في الآخرة وقيل انهم فضلاء المؤمنين عن الحسن ومجاهد. وقيل انهم الشهداء وهم عدول الآخرة عن الجبائي .

---

(١) سورة الأعراف؛ الآية : ٤٤ .

(٢) سورة الأعراف؛ الآيات : ٤٦ ـ ٤٨ .

وقال الباقر عليه السلام : هم آل محمد لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه .

وقال الصادق عليه السلام : الأعراف كثبان بين الجنة والنار، فيوقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من أهل زمانه، كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده، وقد سبق المحسنون إلى الجنة، فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سبقوا إلى الجنة، فيسلم المذنبون عليهم وذلك قوله : **﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾**. ثم أخبر سبحانه انهم لم يدخلوها وهم يطمعون يعني هؤلاء المذنبون لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون ان يدخلهم الله إياها بشفاعة النبي والإمام وينظر هؤلاء المذنبون إلى أهل النار : **﴿ويقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾** ثم ينادي أصحاب الأعرف وهم الأنبياء والخلفاء أهل النار مقرعين لهم : **﴿ما أغنىٰ عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون﴾**. انتهىٰ ملخصاً .

وقال الصدوق في العقائد : اعتقادنا في الأعراف انه سور بين الجنة والنار عليه رجال يعرفون كلاً بسيماهم والرجال هم النبي وأوصياؤه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه. وعند الأعراف المرجون لأمر الله، إما يعذبهم وإما يتوب عليهم .

وقال المفيد رحمه الله في شرح هذا الكلام : قد قيل ان الأعراف جبل بين الجنة والنار، وقيل أيضاً انه سور بين الجنة والنار. وجملة الأمر في ذلك أنه مكان ليس من الجنة ولا من النار، وقد جاء الخبر بما ذكره، وأنه إذا كان يوم ليس من الجنة ولا من النار، وقد جاء الخبر بما ذكره، وأنه إذا كان يوم القيامة كان به رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة من ذريته، وهم الذين عنى الله بقوله : **﴿وعلى الأعراف رجال﴾** الآية . وذلك ان الله تعالىٰ يعلمهم أصحاب الجنة وأصحاب النار بسيماء يجعلها عليهم وهي العلامات، وقد بين ذلك في قوله تعالىٰ : **﴿يعرفون كلاً بسيماهم﴾** **﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾** وقال تعالىٰ : **﴿ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لسبيل مقيم﴾**[1]. فأخبر ان في خلقه طائفة يتوسمون الخلق فيعرفونهم بسيماهم .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال في بعض كلامه : انا صاحب العصا والميسم، يعني علمه بمن يعلم حاله بالتوسم .

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٧٦ .

وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه سئل عن قوله تعالى : **﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾** قال فينا نزلت أهل البيت، يعني في الأئمة .

وقد جاء الحديث بأن الله تعالى يسكن الأعراف طائفة من الخلق لم يستحقوا بأعمالهم الحسنة الثواب من غير عقاب، ولا استحقوا الخلود في النار، وهم المرجون لأمر الله ولهم الشفاعة، ولا يزالون على الأعراف حتى يؤذن لهم في دخول الجنة بشفاعة النبي وأمير المؤمنين والأئمة من بعده، وقيل أيضاً إنه مسكن طوائف لم يكونوا في الأرض مكلفين فيستحقون بأعمالهم جنة وناراً، فيسكنهم الله تعالى ذلك المكان ويعوضهم على آلامهم في الدنيا بنعيم، لا يبلغون منازل أهل الثواب المستحقين له بالأعمال. وكلما ذكرناه جائز في العقول، وقد وردت به أخبار والله أعلم بالحقيقة من ذلك، إلا أن المقطوع به في جملته أن الأعراف مكان بين الجنة والنار يقف فيه من سميناه من حجج الله تعالى على خلقه، ويكون به يوم القيامة قوم من المرجَين لأمر الله، وما بعد ذلك فالله أعلم بالحال فيه. انتهى .

وروى الطبرسي في المجمع والصفار وغيرهما عن الأصبغ بن نباتة قال: كنت جالساً عند علي عليه السلام فأتاه ابن الكوا، فسأله عن هذه الآية: **﴿وعلى الأعراف رجال﴾** . فقال: ويحك يا بن الكوا نحن نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار .

وروى القمي في تفسيره بسند كالصحيح عن الصادق عليه السلام قال : الأعراف كثبان بين الجنة والنار، والرجال الأئمة عليهم السلام : فيقفون على الأعراف مع شيعتهم وقد سبق المؤمنون إلى الجنة بلا حساب، فيقول الأئمة لشيعتهم من أصحاب الذنوب انظروا إلى إخوانكم في الجنة قد سبقوا إليها بلا حساب، وهو قوله تعالى : **﴿سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون﴾** ثم يقولون لهم انظروا إلى أعدائكم في النار، وهو قوله تعالى : **﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون﴾** . ثم يقولون لمن في النار من أعدائهم هؤلاء شيعتي وإخواني الذين كنتم أنتم تحلفون في الدنيا أن لا ينالهم الله برحمته. ثم يقول الأئمة لشيعتهم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، ثم **﴿نادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾** .

قال وسئل العالم عليه السلام عن مؤمني الجن يدخلون الجنة. فقال لا ولكن لله حظائر بين الجنة والنار يكون فيها مؤمنو الجن وفساق الشيعة.

وفي البصائر عن بريد العجلي قال: سألت الباقر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وعلى الأعراف رجال**﴾ قال انزلت في هذه الأمة، والرجال هم الأئمة من آل محمد. قلت فما الأعراف. قال صراط بين الجنة والنار، فمن شفع له الأئمة منا من المؤمنين المذنبين نجا، ومن لم يشفعوا له هوى.

وعن أبي بصير عن الصادق عليه السلام في الآية قال: الأئمة منا أهل البيت في باب من ياقوت أحمر على سور الجنة، يعرف كل إمام منا ما يليه. قال رجل ما معنى ما يليه. قال من القرن الذي هو فيه.

وفي تفسير العياشي عن سلمان قال: سمعت رسول الله يقول لعلي أكثر من عشر مرات يا علي إنك والأوصياء من بعدك اعراف بين الجنة والنار، لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه.

وعن الثمالي قال: سئل أبو جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿**وعلى الأعراف رجال**﴾ الآية، فقال عليه السلام: نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبب معرفتنا، ونحن الأعراف الذين لا يدخل الجنة إلا من عرفنا أو عرفناه، ولا يدخل النار إلا من انكرنا وأنكرناه، وذلك أن الله لو شاء أن يعرف الناس نفسه لعرفهم، ولكنه جعلنا سببه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه.

وفي تفسير فرات بن إبراهيم عن الاصبغ عن أمير المؤمنين في الآية قال: نحن الأعراف نعرف أنصارنا بأسمائهم، ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله تعالى إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار. الخبر.

ويفهم من هذا الخبر ونحوه أن الأعراف يطلق على معان عديدة وبه يجمع بين الأخبار والله العالم.

٨ ـ من يخلد في الجنة ومن يخلد في النار:

لا خلاف في أن من دخل الجنة خلد فيها ولم يخرج منها، سواء دخلها بعد العذاب أو قبله. ولا خلاف أيضاً في أن الكفار والمنافقين والمنكر لضروري من ضروريات دين

الإسلام ممن تمت عليهم الحجة مخلدون في النار، ولا يخفف عنهم العذاب، وتقدم ما يدل على ذلك من الآيات والأخبار، وأما حكم أطفال الكفار والمجانين فقد تقدم الكلام في حالهم، وأنهم لا يدخلون النار البتة، بل إما أن يدخلوا الجنة أو يسكنوا الأعراف، أو يكلفون في القيامة. وأما المستضعفون الناقصو العقول والذين لم تتم عليهم الحجة ولم يقصروا في الفحص والنظر فهم مرجون لأمر الله ترجى لهم النجاة. والمراد بضروري الدين ما كان بديهياً في دين الإسلام، بحيث إن من كان مسلماً عرفه بديهة إلا من كان جديد الإسلام بحيث لم يصر ضرورياً عنده، وذلك كوجوب الصلاة وصوم رمضان والحج والزكاة ونحوها، فإن من استحل تركها فهو كافر. وكذا من صدر منه فعل يتضمن الاستخفاف بالدين المبين والتهاون بحرمة الشرع، كالذي يحرف المصحف الشريف، أو يلقيه في القاذورات، أو يسب الله تعالى أو ملائكته أو أنبياءه أو رسله أو خلفاءه، أو يستخف بهم أو يهجوهم في نظم أو نثر، أو يبول أو يتغوط في الكعبة المعظمة، أو في مسجد النبي ﷺ، أو في روضات الأئمة، أو بالتربة الحسينية، ونحو ذلك مما يجب احترامه بديهة. وأما غير الشيعة الإمامية من المخالفين وسائر فرق الشيعة من الزيدية والفطحية والواقفية والكيسانية والناووسية ونحوهم، فإن كانوا منكرين لبعض ضروريات الدين فهم كفار نجسون مخلدون في النار، كالخوارج والغلاة والنواصب، فإن وجوب محبة أهل البيت من ضروريات دين الإسلام، وكذا المجسمة ونحوهم. وأما من عداهم فهم فرقتان، إحداهما المتعصبون المعاندون من المخالفين ممن قد تمت عليهم الحجة فهم في النار خالدون، والثانية المستضعفون منهم وهم ضعفاء العقول مثل النساء العاجزات والبله وأمثالهم، ممن لم تتم الحجة عليهم، أو من مات في زمان الفترة أو كان في موضع لم يأت إليه خبر الحجة، أو لم يكن له قدرة على التفحص عن المذاهب، فهم المرجون لأمر الله إما يعذبهم واما يتوب عليهم، فيرجى لهم النجاة من النار كما دل عليه جمل من الآيات والأخبار. إلا أنه روى ثقة الإسلام في الكافي عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال: من عرف اختلاف الناس فليس بمستضعف.

وعن الكاظم عليه السلام قال: الضعيف من لم ترفع إليه حجة. ولم يعرف اختلاف الناس، فإذا عرف الاختلاف ليس بمستضعف.

ولعل المراد بمعرفة الاختلاف الفهم والادراك لا مجرد السماع. وأما سائر المخالفين ممن لم ينصب ولم يعاند ولم يتعصب، فالذي عليه جملة من الإمامية كالسيد المرتضى أنهم كفار في الدنيا والآخرة، والذي عليه الأكثر الأشهر أنهم كفار مخلدون في

الآخرة، وتجري عليهم أحكام الإسلام في الدنيا من حقن دمائهم وأموالهم. وقيل إنهم لا يخلدون في النار ولا يدخلون الجنة، بل يكونون بعد الخروج من النار في الأعراف، وقيل إنهم يدخلون الجنة بعد العذاب الطويل، وهذا القول نادر لا يعرف قائله .

وقال آية الله العلامة في شرح الياقوت : اما دافعو النص فقد ذهب أكثر أصحابنا إلى تكفيرهم، ومن أصحابنا من يحكم بفسقهم خاصة، ثم اختلف أصحابنا في أحكامهم في الآخرة، فالأكثر قالوا بتخليدهم، وفيهم من قال بعدم الخلود، وذلك إما بأن ينقلوا إلى الجنة وهو قول شاذ عندهم، أو لا واستحسنه المصنف رحمه الله . انتهى .

قال المحقق المجلسي رحمه الله بعد نقله القول بعدم خلودهم في النار: إن ذلك نشأ من عدم تتبعهم للأخبار والأحاديث الدالة على خلودهم متواترة أو قريبة التواتر، نعم الاحتمالان الأخيران آتيان في المستضعفين منهم، والقول بخروج غير المستضعفين من النار قول مجهول القائل نشأ بين المتأخرين الذين لا معرفة لهم بالأخبار ولا بأقوال القدماء الأخيار .

قال الصدوق رحمه الله في رسالة العقائد : اعتقادنا في الظالمين أنهم ملعونون والبراءة منهم واجبة، واستدل على ذلك بالآيات والأخبار، ثم قال والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ممن ادعى الإمامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون. وقال النبي صلى الله عليه وآله من جحد علياً إمامته من بعدي فإنما جحد نبوتي، ومن جحد نبوتي فقد جحد الله بربوبيته. ثم قال واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من بعده أنه بمنزلة من جحد نبوة الأنبياء. واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من آمن بجميع الأنبياء وأنكر نبوة محمد صلى الله عليه وآله .

وقال الصادق عليه السلام : المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : الأئمة من بعدي اثنا عشر، أولهم أمير المؤمنين وآخرهم القائم، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي، من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني .

وقال الصادق عليه السلام : من شك في كفر أعدائنا والظالمين فهو كافر. واعتقادنا فيمن قاتل علياً كقول النبي صلى الله عليه وآله : من قاتل علياً فقد قاتلني، وقوله من حارب علياً فقد حاربني، ومن حاربني فقد حارب الله عز وجل. وقوله صلى الله عليه وآله لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام : انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم .

واعتقادنا في البراءة انها من الأوثان الأربعة والاناث الأربع ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله، ولا يتم الإقرار بالله وبرسوله والأئمة إلا بالبراءة من أعدائهم .

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب المسائل : اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار. وقال في موضع آخر، اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأن على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البينات عليهم، فإن تابوا من بدعهم وصاروا إلى الصواب وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان، وإن مات أحدهم على ذلك فهو من أهل النار . واجتمعت المعتزلة على خلاف ذلك، وزعموا أن كثيراً من أهل البدع فساق وليسوا بالكفار، وأن فيهم من لا يفسق ببدعته ولا يخرج بها عن الإسلام، كالمرجئة من أصحاب ابن شبيب، والتبريَّة من الزيدية الموافقة لهم في الأصول وإن خالفوهم في صفات الإمام .

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله في تلخيص الشافي : عندنا ان من حارب أمير المؤمنين فهو كافر، والدليل على ذلك إجماع الفرقة المحقة الإمامية على ذلك، وإجماعهم حجة. وأيضاً فنحن نعلم أن من حاربه كان منكراً لإمامته ودافعاً لها، ودفع الإمامة كفر كما أن دفع النبوة كفر، لأن الجهل بهما على حد واحد، ثم استدل رحمه الله باخبار كثيرة على ذلك .

وقال المحقق الطوسي رحمه الله في قواعد العقائد : أُصول الإيمان عند الشيعة ثلاثة، التصديق بوحدانية الله تعالى في ذاته والعدل في أفعاله، والتصديق بنبوة الأنبياء، والتصديق بإمامة الأئمة المعصومين من بعد الأنبياء .

وقال أهل السنة : الإيمان هو التصديق بالله تعالى، وبكون النبي صادقاً، والتصديق بالأحكام التي تعلم يقيناً أنه صلى الله عليه وآله حكم بها، دون ما فيه اختلاف واشتباه. والكفر يقابل الإيمان، والذنب يقابل العمل الصالح وينقسم إلى كبائر وصغائر، ويستحق المؤمن بالاجماع الخلود في الجنة، ويستحق الكافر الخلود في العقاب .

وقال الشهيد الثاني في رسالة حقائق الإيمان، عند تحقيق معنى الإيمان والإسلام، البحث الثاني في جواب إلزام يرد على القائلين من الإمامية بعموم الإسلام، مع القول بأن الكفر عدم الإيمان عما من شأنه أن يكون مؤمناً. اما الالزام فإنهم حكموا بإسلام من أقر بالشهادتين فقط، غير عابث دون إيمانه، سواء علم منه عدم التصديق بإمامة الأئمة عليهم السلام

من أُصول الإيمان عند الطائفة من الإمامية كما هو معلوم من مذهبهم ضرورة. وصرح بنقله المحقق الطوسي رحمه الله عنهم فيما تقدم أم لم يعلم منه ذلك، ولا ريب أن الشيء يعدم بعدم أصله الذي هو جزؤه كما فيما نحن فيه، فيلزم الكفر بحكم من لم يتحقق له التصديق المذكور وإن أقر بالشهادتين، وانه مناف أيضاً للحكم بإسلام من لم يصدق بإمامة الأئمة الاثني عشر، وهذا الأخير لا خصوصية لوروده على القول بعموم الإسلام، بل هو وارد على القائلين بإسلام من لم يتحقق له التصديق المذكور، مع قطع النظر عن كونهم قائلين بعموم الإسلام أو مساواته للإيمان .

وأما الجواب فبالمنع من المنافاة بين الحكمين، ذلك لأنا نحكم بأن من لم يتحقق له التصديق المذكور كافر في نفس الأمر، والحكم باسلامه إنما هو في الظاهر، فموضوع الحكمين مختلف فلا منافاة، ثم قال المراد بالحكم بإسلامه ظاهراً صحة ترتب كثير من الأحكام الشرعية على ذلك، والحاصل أن الشارع جعل الإقرار بالشهادتين علامة على صحة اجراء أكثر الأحكام الشرعية على المقر كحل مناكحته، والحكم بطهارته، وحقن ماله ودمه، وغير ذلك من الأحكام المذكورة في كتب الفروع. وكان الحكمة في ذلك هو التخفيف عن المؤمنين لمسيس الحاجة إلى مخالطتهم في أكثر الأزمنة والأمكنة، واستمالة الكافر إلى الإسلام. فإنه إذا اكتفي في اجراء أحكام المسلمين عليه ظاهراً بمجرد اقراره الظاهري ازداد ثباته ورغبته في الإسلام، ثم يترقى في ذلك إلى ان يتحقق له الإسلام باطناً أيضاً .

واعلم أن جمعاً من علماء الإمامية حكموا بكفر أهل الخلاف، والأكثر على الحكم بإسلامهم. فإن أرادوا بذلك كونهم كافرين في نفس الأمر لا في الظاهر، فالظاهر أن النزاع لفظي إذ القائلون بإسلامهم يريدون ما ذكرناه من الحكم بصحة جريان أكثر أحكام المسلمين عليهم في الظاهر، لا انهم مسلمون في نفس الأمر. ولذا نقلوا الإجماع على دخولهم النار، وإن أرادوا بذلك كونهم كافرين ظاهراً وباطناً فهو ممنوع ولا دليل عليه، بل الدليل قائم على إسلامهم لقوله صلى الله عليه وآله أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إلّه إلا الله. انتهى. وهو كلام جيد متين وجوهر ثمين جامع بين الأخبار الدالة على اسلامهم والأخبار الدالة على كفرهم، وحينئذ فلا معنى للقول بخروجهم من النار في الآخرة. والأخبار الواردة بكفرهم كثيرة لا تحصى، ولو كانوا في الدنيا والآخرة في حكم المسلمين فأي فرق بينهم وبين فساق الشيعة وأي فائدة فيما اجمع عليه الفرقة المحقة من كون الإمامة من أُصول الدين .

٩ ـ فيمن مات ولم يعرف امام زمانه :

روت العامة والخاصة متواتراً أو قريباً منه قوله ﷺ : من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. ووردت أخبار متواترة انه لا يقبل عمل من الأعمال إلا بالولاية .

وفي الكافي، عن الحرث بن المغيرة في الصحيح قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام قال رسول الله ﷺ من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية. قال نعم. قلت جاهلية جهلاء أو جاهلية لا يعرف إمامه. قال جاهلية كفر ونفاق وضلال .

وعن الصادق عليه السلام قال : ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيباً .

وعن حنان عن الصادق عليه السلام قال : لا يبالي الناصب صلى أم زنا وهذه الآية نزلت فيهم : **﴿عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾** .

وعنه عليه السلام قال : قال أبي كل ناصب وان تعبد واجتهد منسوب إلى هذه الآية : **﴿عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾** كل ناصب مجتهد فعمله هباء .

وفي ثواب الأعمال عنه عليه السلام قال : كل ناصب وان تعبد واجتهد يصير إلى هذه الآية : **﴿عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾** .

وفي تفسير القمي عن الصادق عليه السلام قال : من خالفكم وان عبد واجتهد منسوب إلى هذه الآية : **﴿وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾** .

وفي العيون عن المفضل عن الصادق عليه السلام عن آبائه قال : قال رسول الله ﷺ : لما أُسري بي إلى السماء أوحى إلي ربي جل جلاله وساق الحديث في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، إلى أن قال يا محمد لو أن عبداً عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتهم ما أسكنته جنتي، ولا اظللته تحت عرشي. الخبر .

وفي تفسير العسكري في قوله تعالى : **﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**[1] . قال السيئة المحيطة به ان تخرجه عن جملة

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٨١ .

دين الله، وتنزعه عن ولاية الله، وتؤمنه من سخط الله، وهي الشرك بالله والكفر به، والكفر بنبوة محمد، والكفر بولاية علي بن أبي طالب وخلفائه، كل واحدة من هذه سيئة تحيط به، أي تحيط بأعماله فتحبطها وتمحقها، فأُولٓئك عاملو هذه السيئة المحيطة أصحاب النار هم فيها خالدون .

وفي الكافي عن أبي حمزة عن أحدهما عليه السلام في الآية قال : إذا جحد إمامة أمير المؤمنين فأُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

وفي تفسير العياشي عن جابر قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله﴾**[1] . قال فقال: هم أولياء فلان وفلان، اتخذوهم أئمة دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً، فلذلك قال الله تبارك وتعالى : **﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب وقال الذين اتَّبعوا لو أن لنا كرة فنتبرء منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾**[2]. قال ثم قال عليه السلام هم والله يا جابر أئمة الظلم وأتباعهم .

وفي الصحيح عن الباقر عليه السلام : من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله ظاهر عادل أصبح ضالاً تائهاً، وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق .

واعلم أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلوا وأضلوا فأعمالهم التي يعملونها : **﴿كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾**[3] .

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : **﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾** الآية . قال عليه السلام : إنما عنى بذلك أنهم كانوا على نور الإسلام، فلما ان تولوا كل إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إياه من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله له النار مع الكفار : **﴿فأُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾** .

وقد ورد في الناصب ما ورد من خلوده في النار. وقد روي بأسانيد كثيرة عنهم عليهم السلام : لو أن كل ملك خلقه الله عز وجل، وكل نبي بعثه الله، وكل صديق، وكل

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ١٦٥ .

(٢) سورة البقرة؛ الآيتان: ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(٣) سورة إبراهيم؛ الآية: ١٨ .

شهيد، شفعوا في ناصب لنا أهل البيت أن يخرجه الله عز وجل من النار ما أخرجه الله أبداً، وإن الله عز وجل يقول في كتابه : ﴿ماكثين فيه أبدا﴾ .

وقد روي بأسانيد معتبرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت، لأنك لا تجد رجلاً يقول أنا أبغض محمداً وآل محمد، ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا وتتبرأون من عدونا. والأخبار في ذلك كثيرة قد ذكرنا جملة منها في شرحنا على المفاتيح، نعم لا ريب ولا شبهة في أن الشيعة من سالف الزمان إلى هذا اليوم كانوا مستمرين على معاشرتهم ومساورتهم ومناكحتهم وموارثتهم، وقد أقرهم الأئمة على ذلك بل الأئمة كانوا على ذلك، فهم في الدنيا تجري عليهم أحكام الإسلام كما ذكره الشهيد وأشار إليه المفيد والله العالم بالحال .

وأما أصحاب الكبائر من الإمامية فلا خلاف في انهم لا يخلدون في النار، وأما أنهم هل يدخلون النار أم لا، فالأخبار فيهم مختلفة اختلافاً كثيراً، و لا يخفىٰ ما في التبهيم والإبهام من الحكم الكثيرة. ففي تفسير فرات بن إبراهيم عن ميسرة عن الرضا عليه السلام قال : والله لا يرىٰ في النار منكم اثنان أبداً، والله ولا واحد، قال قلت أصلحك الله أين هذا في كتاب الله. قال في سورة الرحمٰن وهو قوله تعالىٰ : ﴿فيومئذ لا يسئل عن ذنبه منكم إنس ولا جان﴾ قال قلت: ليس فيها منكم. قال بلىٰ والله انه لمثبت فيها وإن أول من غيَّر ذلك لابن أروىٰ، أي عثمان بن عفان وذلك لكم خاصة، ولو لم يكن فيها منكم لسقط عقاب الله عن الخلق .

١٠ ـ أوصاف الشيعة :

وفي الكافي عن ميسرة قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال كيف أصحابك. فقلت جعلت فداك لنحن عندهم أشد من اليهود والنصارىٰ والمجوس والذين أشركوا. فقال أما والله لا يدخل النار منكم اثنان لا والله ولا واحد، والله إنكم الذين قال الله تعالىٰ : ﴿وقالوا ما لنا لا نرىٰ رجالاً كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار﴾[1] . ثم قال طلبوكم والله في النار فما وجدوا منكم أحداً. وورد في أخبار كثيرة أنّ الشيعة من شايع علياً عليه السلام في أعماله، وان الإيمان مركب من القول والعمل .

---

(١) سورة صٓ؛ الآية: ٦٢ .

وعن الصادق عليه السلام : انه ليس من شيعتي إلا من أعف بطنه وفرجه عن الحرام، واجتهد وسعىٰ في الطاعة والعمل الخالص لله .

وفي الكافي عن جابر عن الباقر عليه السلام قال : قال لي يا جابر أيكتفي من انتحل التشيع ان يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقىٰ الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة والبرّ بالوالدين، والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء. قال جابر قلت: يا بن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة. فقال: يا جابر لا تذهب بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول أحب علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعالاً، فلو قال إني أحب رسول الله صلى الله عليه وآله فرسول الله خير من علي، ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله تعالىٰ وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته. يا جابر والله ما يتقرب إلى الله تعالىٰ إلا بالطاعة ما معنا براءة من النار ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ ومن كان لنا عاصياً فهو لله عدو، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع .

وعن المفضل عن الصادق عليه السلام قال : إياك والسفلة فإنما شيعة علي من عف بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل لخالقه ورجىٰ ثوابه وخاف عقابه، فإذا رأيت أُولئك فأُولئك شيعة جعفر .

وعن جابر عن الباقر عليه السلام قال : إنما شيعة علي الحلماء العلماء الذبل الشفاه تعرف الرهبانية على وجوههم .

وعن الصادق عليه السلام : شيعتنا السائحون الذابلون الناحلون الذين إذا جهنّم الليل استقبلوه بحزن .

وعنه عليه السلام قال : شيعتنا أهل الهدىٰ وأهل التقوىٰ وأهل الخير وأهل الإيمان وأهل الفتح وأهل الظفر .

وعن الباقر عليه السلام قال : ليس من شيعتنا إلا من أطاع الله، وورد انه لا تدرككم شفاعتنا حتى تكونوا كالفحمة السوداء. والأخبار في ذلك كثيرة فينبغي للمؤمن ان يكون بين الخوف والرجـ .

١١ ـ فيما يكون بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار :

روى الصدوق في الخصال، والعياشي في تفسيره عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لقد خلق الله عز وجل في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين، ليس هم من ولد آدم، خلقهم من أديم الأرض فأسكنهم فيها واحداً بعد واحد مع عالمه، ثم خلق الله عز وجل أبا هذا البشر وخلق ذريته منه. لا والله ما خلت الجنة من أرواح المؤمنين منذ خلقها، ولا خلت النار من أرواح الكفار والعصاة منذ خلقها عز وجل، لعلكم ترون انه إذا كان يوم القيامة وصير الله أبدان أهل الجنة مع أرواحهم في الجنة، وصير أبدان أهل النار مع أرواحهم في النار، ان الله تبارك وتعالىٰ لم يعبد في بلاده، ولا يخلق خلقاً يعبدونه ويوحدونه ويعظمونه ويخلق لهم أرضاً تحملهم وسماء تظلهم، أليس الله عز وجل يقول : **﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾** وقال الله عز وجل : **﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾**[1] .

وفي الخصال بسند معتبر عن جابر بن يزيد قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : **﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾**[2] . فقال يا جابر تأويل ذلك ان الله عز وجل إذا أفنىٰ هذا الخلق وهذا العالم وسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، جدد الله عز وجل عالماً غير هذا العالم، وجدد خلقاً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم، وسماء غير هذه السماء تظلهم. لعلك ترىٰ ان الله عز وجل إنما خلق هذا العالم الواحد، وترىٰ ان الله عز وجل لم يخلق بشراً غيركم، بلىٰ والله خلق الله تبارك وتعالىٰ ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، وأنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين .

ويمكن الجمع بين هذا الخبر وسابقه بحمل السبعة على الأنواع، وهذا على الأشخاص، ومضمون هذين الخبرين مذكور في كتب أساطين المحدثين، ولم يتعرض أحد من المتكلمين لذلك بنفي ولا إثبات، وأدلة العقل ان لم تعضده لا تنفيه، فينبغي التسليم. إلا أن الأخبار الواردة في ذلك لم تصل إلى حد يوجب القطع، فينبغي إيكال العلم إلى الله. ويعضدهما ما رواه أبو خالد القماط، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام

---

(١) سورة ق؛ الآية: ١٥ .
(٢) سورة ق؛ الآية: ١٥ .

ويقال لأبي جعفر، إذا أُدخل أهل الجنة الجنة، وأُدخل أهل النار النار فمه، قال فقال أبو جعفر إن أراد أن يخلق الله خلقاً يخلق لهم دنيا يردهم إليها فعل، ولا أقول لك إنه يفعل .

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار فمه، فقال ما أزعم لك انه تعالىٰ يخلق خلقاً يعبدونه. ويفهم من سياقهما ان الله تعالىٰ يخلق خلقاً آخر، ولكن الإمام عليه السلام لم يصرّح بذلك تقية وخوفاً من التشنيع .

الفصل التاسع

التوبة

١ ـ حقيقة التوبة :

في حقيقتها وهي عبارة عن معنىٰ ينتظم من ثلاثة أمور مرتبة، أولها العلم، وثانيها الحال، وثالثها الفعل، والأول موجب للثاني، والثاني موجب للثالث. والمراد بالعلم معرفة ضرر الذنوب، وانها السموم المهلكة المفوِّتة لحياة الأبد، الحاجبة للعبد عن محبوبه من السعادة الأبدية، ثم يحصل من هذا العلم حال، وهو أن يثور من هذه المعرفة تألم القلب بسبب فوات المحبوب، فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم. وينبعث من هذا الألم في القلب حالة أُخرىٰ تسمىٰ إرادة، وقصد إلى فعل له تعلق بالحال بترك الذنب الذي كان له ملابساً، وبالاستقبال بالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب إلى آخر العمر، وبالماضي يتلافىٰ ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلاً للجبر، والعلم الأول هو مطلع هذه الخيرات، وهو عبارة عن الإيمان والتصديق بأن الذنوب سموم مهلكة، فإذا أشرق على القلب ثار الندم الباعث على ما تقدم. وكثيراً ما يطلق اسم التوبة على معنىٰ الندم وحده، ويجعل العلم كالسابق والمقدمة، والترك كالثمرة والتابع. ولذا قال ﷺ : الندم توبة، إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه .

قال العلامة في شرح التجريد : التوبة هي الندم على المعصية لكونها معصية، والعزم على ترك المعاودة في المستقبل لأن ترك العزم يكشف عن نفي الندم .

٢ ـ وجوب التوبة وفضلها :

لا ريب في وجوب الاحتراز عن الأمراض والمهالك المفوتة لحياة الجسد عقلاً وشرعاً، فوجوب الاحتراز عن أمراض الذنوب ومهلكات الخطايا المفوتة لحياة الأبد

بطريق أولى، قال تعالىٰ : ﴿**وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾[1] .

وقال تعالىٰ : ﴿**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسىٰ ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم**﴾[2] . والنصوح الخالص لله الخالي عن الشوائب، وقال تعالىٰ : ﴿**ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾[3] .

وعن النبي ﷺ : التائب حبيب الله، والتائب من الذنب كمن لا ذنب .

وعن الباقر عليه السلام : ان الله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله تعالىٰ أشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها .

وعن الصادق عليه السلام : ان الله يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب كما يفرح أحدكم بضالته إذا وجدها .

وعنه عليه السلام في قوله تعالىٰ : ﴿**توبوا إلى الله توبة نصوحاً**﴾[4] . قال هو الذنب الذي لا يعود فيه أبداً. قيل وأيّنا لم يعد، قال يا فلان ان الله يحب من عباده المفتن التوّاب، يعني كثير الذنب كثير التوبة .

وعنه عليه السلام : إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله وستر عليه. قيل وكيف يستر عليه. قال ينسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه ويوحي الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض ان اكتمي عليه ذنوبه، فيلقىٰ الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب .

وعن الباقر عليه السلام : التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب وهو يستغفر منه كالمستهزىء .

وقال المحقق الطوسي في التجريد : التوبة واجبة لدفعها الضرر ولوجوب الندم على كل قبيح وإخلال بواجب .

وقال العلامة رحمه الله في شرحه : وهي واجبة بالاجماع لكن اختلفوا فذهب جماعة من المعتزلة إلى أنها تجب من الكبائر المعلوم كونها كبائر والمظنون فيها ذلك، ولا تجب

---

(١) سورة النور؛ الآية: ٣١ .

(٢) سورة التحريم؛ الآية: ٨ .

(٣) سورة البقرة؛ الآية: ٢٢٢ .

(٤) سورة التحريم؛ الآية: ٨ .

من الصغائر المعلوم انها صغائر، وقال آخرون انها لا تجب من ذنوب تاب عنها من قبل. وقال آخرون انها تجب من كل صغيرة وكبيرة من المعاصي .

أقول: الأظهر انها إنماتجب لما لم يكفر من الذنوب، كالكبائر والصغائر التي أصر عليها لكونها ملحقة بالكبائر، فأما مع اجتناب الكبائر فهي مكفرة إذا لم يصر عليها لا تحتاج إلى التوبة .

٣ ـ فورية التوبة :

لا ينبغي ان ترتاب في فورية التوبة، إذ دفع ضرر الذنوب فوري وجوبه، على ان أصل التوبة هو معرفة كون المعاصي مهلكات، وهذا العلم من نفس الإيمان وهو واجب فوري، والعلم بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثاً على تركها، فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان، وهو المراد بقوله ﷺ : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن. إذ ليس المراد نفي الإيمان بالله وصفاته وكتبه ورسله وملائكته، بل نفي الإيمان بكون الزنا مبعداً عن الله وموجباً للمقت، كما إذا قال الطبيب للمريض هذا سم فلا تتناوله، فإذا تناوله يقال تناوله وهو غير مؤمن، أي بكونه سماً مهلكاً لا أنه غير مؤمن بوجود الطبيب، لأن العالم بالسم لا يتناوله أصلاً. فالعاصي بالضرورة ناقص الإيمان، وليس الإيمان باباً واحداً بل هو نيف وسبعون باباً أعلاها الشهادتان وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، وقد صرح المعتزلة بفورية الوجوب حتى قالوا يلزم بتأخيرها ساعة إثم آخر تجب التوبة منه أيضاً، حتى ان من أخر التوبة عن الكبيرة ساعة واحدة فقد فعل كبيرتين، وساعتين أربع كبائر الأولتان وترك التوبة عن كل منهما، وثلاث ساعات ثمان كبائر، وهكذا. والأصحاب لم يذكروا هذا التفصيل ولكن وافقوهم في الفورية .

٤ ـ عموم التوبة في الأشخاص والأحوال :

اعلم ان وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال، فلا ينفك عنه أحد البتة كما قال تعالىٰ : **﴿وتوبوا إلى الله جميعاً﴾** فعمم الخطاب، وكل إنسان لا يخلو عن معصية، إلا أن الأنبياء والأوصياء ذنوبهم ليست كذنوبنا، وإنما هي ترك دوام الذكر والاشتغال بالمباحات، ولذا ورد ان حسنات الأبرار سيئات المقربين، وقال الصادق عليه السلام : ان رسول الله ﷺ كان يتوب إلى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة، وفي حديث سبعين مرة من غير ذنب. ان الله يخص أولياءه بالمصائب ليؤجرهم عليها من غير ذنب، أي

كذنوبنا فإن ذنب كل أحد إنما هو بحسب قدره ومنزلته عند الله، وهذا باب شريف ينفتح منه معنىٰ اعتراف الأنبياء والأئمة بذنوبهم وبكائهم وتضرعهم. فإن قلوبهم لنهاية صفائها ونورانيتها يؤثر فيها الاشتغال بالمباحات والغفلة عن الذكر والفكر بالتوجه إلى هذا العالم، فيعدون ذلك معصية بالنسبة إليهم يستغفرون الله منها .

٥ ـ قبول التوبة وسقوط العقاب بها :

اعلم ان سقوط العقاب بالتوبة مما أجمع عليه أهل الإسلام، وإنما الخلاف في أنه هل يجب على الله تعالىٰ حتى لو عاقب بعد التوبة كان ظلماً، أو هو تفضل بفعله سبحانه كرماً منه ورحمة بعباده، فالمعتزلة على الأول، والأشاعرة على الثاني، وإلى الثاني ذهب شيخ الطائفة في كتاب الاقتصاد، والعلامة في بعض كتبه الكلامية، وتوقف المحقق الطوسي رحمه الله في التجريد. وما اختاره الشيخ والعلامة هو الظاهر من الأخبار وأدعية الصحيفة، وهو الذي اختاره أمين الإسلام الطبرسي ونسبه إلى أصحابنا، ولم نقف على دليل معتد به للوجوب. وكيف كان فالقبول مع الشرائط مما لا ريب فيه، قال تعالىٰ : **﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم﴾**[1] . وقال في مواضع : **﴿ان الله هو التواب الرحيم﴾**[2] . وقال تعالىٰ : **﴿ألا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾**[3] . وقال تعالىٰ : **﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ﴾**[4] . وقال تعالىٰ : **﴿ألا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾**[5] . وقال تعالىٰ : **﴿غافر الذنب وقابل التوب﴾**[6] . وقال تعالىٰ : **﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾**[7] .

وفي الكافي بسند كالصحيح عن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام قال : ان آدم قال يا رب سلطت عليَّ الشيطان وأجريته مني مجرى الدم فاجعل لي شيئاً. فقال يا آدم جعلت لك

---

(١) سورة التوبة؛ الآية: ١٠٤ .
(٢) سورة التوبة؛ الآية: ١١٨ .
(٣) سورة مريم؛ الآية: ٦٠ .
(٤) سورة طه؛ الآية: ٨٢ .
(٥) سورة الفرقان؛ الآية: ٧٠ .
(٦) سورة غافر؛ الآية: ٣ .
(٧) سورة الشورىٰ؛ الآية: ٢٥ .

أن من همّ من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة، ومن همَّ منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة، وإن هو عملها كتبت له عشراً. قال يا رب زدني. قال جعلت لك أن من عمل منهم سيئة ثم استغفر غفرت له، قال يا رب زدني. قال جعلت لهم التوبة وبسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه. قال يا رب حسبي.

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثم قال إن السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته، ثم قال إن الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته، ثم قال إن الجمعة لكثيرة من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته، ثم قال إن اليوم لكثير من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته.

وفي الفقيه سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: **﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾**[1] قال ذلك إذا عاين أمر الآخرة.

وفي ثواب الأعمال عن الصادق عليه السلام قال: أوحى الله إلى داود يا داود ان عبدي المؤمن إذا أذنب ذنباً ثم تاب ورجع من ذلك الذنب واستحيى مني عند ذكره غفرت له وأنسيته الحفظة وأبدلته الحسنة، ولا أبالي وأنا أرحم الراحمين.

وبإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من تاب تاب الله عليه وأمرت جوارحه أن تستر عليه، وبقاع الأرض أن تكتم عليه، وأُنسيت الحفظة ما كانت تكتب عليه.

وفي الكافي عن محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام قال: يا محمد ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة، أما والله انها ليست إلا لأهل الإيمان. قلت فإن عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة. فقال يا محمد أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله تعالى منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته. قلت فإن فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب ويستغفر. فقال كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة، وإن الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، فإياك ان تقنط المؤمنين من رحمة الله.

وعن الصادق عليه السلام قال: العبد المؤمن إذا أذنب ذنباً أجلَّه الله سبع ساعات، فإن استغفر الله لم يكتب عليه، وان مضت الساعات ولم يستغفر كتبت عليه السيئة، وإن

---

(١) سورة النساء؛ الآية: ١٨.

المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له، وإن الكافر لينساه من ساعته .

قال بعض المحققين إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة. فالناظرون بنور البصائر المستمدون من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله، ومتنعم في الآخرة في جوار الله تعالى، ومستعد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله وعلموا أن القلب خلق سليماً في الأصل، فكل مولود يولد على الفطرة، وإنما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها، وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغبرة، وأن نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة، وأنه لا طاقة لظلمة المعاصي مع نور الحسنات، كما لا طاقة لظلام الليالي مع نور النهار، بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون. فكما أن الثوب الوسخ لا يقبله الملك لأن يكون لباسه، فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لأن يكون في جواره، وكما أن استعمال الثوب في الأعمال الخسيسة يوسخ الثوب، وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة، فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم تنظفه وتطهره وتزكيه، وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول، فعلى الإنسان التزكية والتطهير، وعلى الله القبول إلا أن يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله، فلا يقوى الصابون على قلعه. ومثال ذلك أن تتراكم الذنوب حتى تصير طبعاً وريناً على القلب، فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب، نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب، وذلك لا ينظف الثوب ما لم يغير صفته باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن منه .

٦ ـ تقسيم الذنوب التي يتاب منها :

تنحصر جميع الذنوب في أربع صفات، صفات ربوبية وشيطانية وبهيمية وسبعية، لكون طينة الإنسان معجونة من أخلاط مختلفة يقتضي كل منها أثراً .

فالربوبية كالكبر والفخر والتجبر وحب المدح والثناء والعز ودوام البقاء وطلب الاستعلاء ونحوها، وهذه أم المهلكات .

والشيطانية كالحسد والبغي والحيلة والخداع والأمر بالفساد والمنكر والغش والشقاق والدعوة إلى البدع والضلالة .

والبهيمية كالشرة والتكالب والحرص والزنا واللواط والسرقة وأكل مال الأيتام ونحوها .

والسبعية يتشعب منها الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال ونحوها .

فهذه أمهات الذنوب ومنابعها، وتتفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والدعة والنفاق واضمار السوء، وبعضها على العين والسمع، وبعضها على اللسان، وبعضها على البطن والفرج، وبعضها على اليدين والرجلين، وبعضها على جميع البدن. وتنقسم قسمة ثانية إلى ما بين العبد وبين الله، وإلى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كتركه الصلاة والصوم ونحوهما، وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتل النفس وغصب الأموال وشتم العرض .

قال العلامة رَحِمَهُ اللهُ : التوبة إما أن تكون من ذنب يتعلق به تعالى خاصة، أو يتعلق به حق الآدمي، والأول إما أن يكون عن فعل قبيح كشرب الخمر والزنا، أو إخلالاً بواجب كترك الزكاة والصلاة فالأول يكفي في التوبة منه الندم عليه والعزم على ترك العود إليه، وأما الثاني فتختلف أحكامه بحسب القوانين الشرعية، فمنه ما لا بد مع التوبة عن فعله اداء كالزكاة، ومنه ما يجب معه القضاء كالصلاة، ومنه ما يسقطان عنه كالعيدين، وهذا الأخير يكفي فيه الندم والعزم على ترك المعاودة كما في فعل القبيح. وأما ما يتعلق به حق الآدمي فيجب فيه الخروج إليهم منه، فإن كان أخذ مال وجب رده على مالكه أو ورثته ان مات، ولو لم يتمكن من ذلك وجب العزم عليه. وكذا ان كان حد قذف، وإن كان قصاصاً وجب الخروج إليهم منه بأن يسلم نفسه إلى أولياء المقتول، فإما أن يقتلوه أو يعفوا عنه بالدية أو بدونها. وإن كان في بعض الأعضاء وجب تسليم نفسه ليقتص منه في ذلك العضو إلى المستحق من المجني عليه أو الورثة، وإن كان إضلالاً وجب إرشاد من أضله ورجوعه مما اعتقد بسببه من الباطل إن أمكن ذلك. واعلم أن هذه التوابع ليست أجزاء من التوبة، فإن العقاب سقط بالتوبة. ثم إن قام المكلف بالتبعات كان ذلك إتماماً للتوبة من جهة المعنى، لأن ترك التبعات لا يمنع من سقوط العقاب للتوبة عما تاب منه، بل يسقط العقاب ويكون ترك القيام بالتبعات بمنزلة ذنوب مستأنفة يلزمه التوبة منها. نعم التائب إذا فعل التبعات بعد إظهار توبته كان ذلك دلالة على صدق الندم، وإن لم يقم بها أمكن جعله دلالة على عدم صحة الندم. ثم قال رَحِمَهُ اللهُ : المغتاب إما أن يكون قد بلغه اغتيابه أو لا، ويلزم الفاعل

للغيبة في الأول الاعتذار منه إليه، لأنه أوصل إليه ضرر الغم فوجب عليه الاعتذار منه والندم عليه، وفي الثاني لا يلزمه الاعتذار ولا الاستحلال منه، لأنه لم يفعل به ألماً، وفي كلا القسمين يجب الندم لله تعالى لمخالفة النهي والعزم على ترك المعاودة. انتهى.

٧ ـ تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر :

وتنقسم الذنوب قسمة أُخرى إلى كبائر وصغائر، ومن ذهب من الأصحاب إلى أن الذنوب كلها كبائر، وانها إنما تسمى صغائر بالنسبة إلى ما هو أكبر منها، فهو بعيد عن الآيات والأخبار كما ستعرفه إن شاء الله. وقد اختلف العلماء والأخبار في تعيين الكبائر وعددها، وفي هذا الابهام حكم لا تخفى، فقيل بأن الكبائر كل ذنب توعّد الله عليه العقاب في القرآن، وقيل كل ذنب قرر له الشارع حداً معيناً أو توعد عليه بالعقاب، وقيل كل ذنب يشعر بعدم اعتناء فاعله ومبالاته بالدين، وقيل كل ذنب دل الدليل القطعي على حرمته، وقيل كل ذنب توعد الشارع عليه بالعقاب في الكتاب أو السنة، وقيل انها مع الشرك بالله وجميع الاعتقادات الفاسدة المخلة بالإيمان، وقتل النفس المحترمة، ورمي المحصنة، وأكل مال اليتيم ظلماً، والزنا، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين. وزاد بعضهم على هذه ثلاثة عشر اللواط، والسحر، والربا، والغيبة، واليمين الفاجرة، وشهادة الزور، وشرب المسكر، والاستخفاف بالكعبة المعظمة، والسرقة، ونقض البيعة، والتعرب بعد الهجرة، واليأس من رحمة الله، والأمن من عذاب الله، وزاد بعضهم على ذلك أربعة عشر أُخرى، أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وأكل ما ذبح لغير الله من غير ضرورة، وأخذ الرشا والقمار، والبخس في الكيل والوزن، وإعانة الظالمين على ظلمهم، وحبس حقوق الناس من غير عذر، والإسراف في المال وصرفه في الحرام، والخيانة في أموال الناس، والإشتغال بالملاهي، والإصرار على المعاصي.

وعن ابن عباس انها إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع. والذي يظهر من أكثر الأخبار المعتبرة ان الكبيرة ما توعد الله في القرآن على فاعلها بالنار، أو ما هدد عليها تهديداً عظيماً، وترك الفرائض المعلوم وجوبها من القرآن كالصلاة والصوم والحج والزكاة، وهذا هو الأظهر من أكثر الأخبار. ويظهر من بعضها انها ما توعد على فاعلها في القرآن أو السنة المتواترة، أو هدد تهديداً عظيماً يستلزم العقاب، وقيل في السنة المعلومة وإن لم تكن متواترة ولنذكر الأخبار الواردة في ذلك مستقصاة، ليحمل مجملها على مفصّلها ومطلقها على مقيّدها.

منها ما رواه في الكافي عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : **﴿ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾** قال معرفة الإمام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار .

وعن الحلبي عنه عليه السلام في قوله تعالى : **﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾**[١] . قال الكبائر التي أوجب الله عليها النار .

وفي ثواب الأعمال عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام في الآية قال : من اجتنب ما أوعد الله عليه النار إذا كان مؤمناً كفّر الله عنه سيئاته .

وعن أحمد بن النضر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الكبائر . قال كل شيء أوعد الله عليه النار .

وفي الكافي عن ابن محبوب قال : كتب معي بعض أصحابنا إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الكبائر كم هي، وما هي . فكتب الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفّر عنه سيئاته إذا كان مؤمناً والسبع الموجبات قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف .

وعن عبد العظيم الحسني قال : حدثني أبو جعفر الثاني عليه السلام قال، سمعت أبي يقول، سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول، دخل عمرو بن عبيد على أبي عبد الله عليه السلام فلما سلم وجلس تلا هذه الآية : **﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾**[٢] . ثم أمسك فقال له أبو عبد الله عليه السلام ما أسكتك . قال أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل فقال نعم يا عمرو، أكبر الكبائر الإشراك بالله، ويقول الله تعالى : **﴿من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾** وبعده الأياس من روح الله، لأن الله يقول : **﴿ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾**[٣] . ثم الأمن لمكر الله، لأن الله عز وجل يقول : **﴿لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾**[٤] . ومنها عقوق الوالدين لأن الله سبحانه جعل العاق جباراً شقياً، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، لأن الله عز وجل يقول : **﴿فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾** إلى آخر الآية وقذف المحصنة لأن الله عز وجل يقول : **﴿لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب**

---

(١) سورة النساء؛ الآية: ٣١ .
(٢) سورة الشورىٰ؛ الآية: ٣٧ .
(٣) سورة يوسف؛ الآية: ٨٧ .
(٤) سورة الأعراف؛ الآية: ٩٩ .

عظيم﴾[1]. وأكل مال اليتيم، لأن الله عز وجل يقول : ﴿**إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا**﴾[2]. والفرار من الزحف لأن الله عز وجل يقول : ﴿**ومن يولّهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**﴾[3]. وأكل الربا، لأن الله عز وجل يقول : ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**﴾[4]. والسحر، لأن الله عز وجل يقول : ﴿**ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق**﴾[5]. والزنى، لأن الله عز وجل يقول : ﴿**ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا**﴾[6]. واليمين الغموس الفاجرة لأن الله عز وجل يقول : ﴿**الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولَئك لا خلاق لهم في الآخرة**﴾[7]. والغلول، لأن الله يقول : ﴿**ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة**﴾[8]. ومنع الزكاة المفروضة، لأن الله يقول : ﴿**فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم**﴾[9]. وشهادة الزور وكتمان الشهادة، لأن الله عز وجل يقول : ﴿**ومن يكتمها فإنه آثم قلبه**﴾. وشرب الخمر، لأن الله عز وجل نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان، وترك الصلاة متعمداً أو شيئاً فرض الله عز وجل لأن رسول الله ﷺ قال : من ترك الصلاة متعمداً فقد بريء من ذمة الله وذمة رسوله، ونقض العهد وقطيعة الرحم، لأن الله عز وجل يقول : ﴿**لهم اللعنة ولهم سوء الدار**﴾[10]. قال فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم .

وعن عبيد بن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الكبائر فقال: هن في كتاب علي عليه السلام سبع : الكفر بالله وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وأكل الربا بعد البينة، وأكل مال اليتيم ظلماً، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة. قال فقلت هذا أكبر

---

(١) سورة النور؛ الآية: ٢٣ .
(٢) سورة النساء؛ الآية: ١٠ .
(٣) سورة الأنفال؛ الآية: ١٦ .
(٤) سورة البقرة؛ الآية: ٢٧٥ .
(٥) سورة البقرة؛ الآية: ١٠٢ .
(٦) سورة الفرقان؛ الآية: ٦٩ .
(٧) سورة آل عمران؛ الآية: ٧٧ .
(٨) سورة آل عمران؛ الآية: ١٦١ .
(٩) سورة التوبة؛ الآية: ٣٥ .
(١٠) سورة الرعد؛ الآية: ٢٥ .

المعاصي، فقال نعم. قلت فأكل درهم من مال اليتيم ظلماً أكبر أم ترك الصلاة، قال ترك الصلاة. قلت فما عددت ترك الصلاة من الكبائر. قال أي شيء أول ما قلت لك قلت الكفر. قال فإن تارك الصلاة كافر يعني من غير علة .

وعن محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال : الكبائر سبع : قتل المؤمن متعمداً، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا بعد البينة، وكل ما أوجب الله عليه النار .

وعن عبد الله بن سنان عن الصادق عليه السلام قال : إن من الكبائر عقوق الوالدين، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله. قال وقد روي: أكبر الكبائر الشرك بالله .

وعنه عليه السلام قال : الكبائر القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، وقتل النفس التي حرم الله، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا بعد البينة، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة والفرار من الزحف .

وعن أبي بصير عنه عليه السلام قال : الكبائر سبع منها : قتل النفس متعمداً والشرك بالله العظيم، وقذف المحصنة، وأكل الربا بعد البينة، والفرار من الزحف. والتعرب بعد الهجرة، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم ظلماً. قال والتعرب والشرك واحد. وفي رواية والذي إذا دعاه أبوه لعن أباه، والذي إذا جاء به ابنه يضربه .

وعن أبي الصامت عن الصادق عليه السلام قال : أكبر الكبائر سبع: الشرك بالله العظيم، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل أموال اليتامى، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنات والفرار من الزحف، وإنكار ما أنزل الله عز وجل .

وفي كتاب علي بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام قال : سألته عن الكبائر التي قال الله عز وجل : ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه**﴾ قال التي أوجب الله عليها النار .

وروى الصدوق في الفقيه والخصال والعلل عن الصادق عليه السلام قال : إن الكبائر سبع فينا أُنزلت ومنا استحلت، فأولها الشرك بالله العظيم، وقتل النفس التي حرم الله، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وإنكار حقنا. وروي أن الحيف في الوصية من الكبائر .

وعن عباد بن كثير قال : سألت أبا جعفر عن الكبائر فقال: كلما أوعد الله عليه النار .

وعن أبي خديجة عن الصادق عليه السلام قال : الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأوصياء من الكبائر قال وقال رسول الله : من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار .

وفي العلل والخصال مسنداً عن الصادق عليه السلام قال : وجدنا في كتاب علي عليه السلام الكبائر خمسة : الشرك، وعقوق الوالدين، وأكل الربا بعد البينة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة .

وعن عبيد بن زرارة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام أخبرني عن الكبائر. فقال هي خمس وهنَّ ما أوجب الله عليهن النار، قال الله تعالى : **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾**[1] . وقال : **﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا﴾**[2] . وقال تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾**[3] . وقال عز وجل : **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾** ورمي المحصنات الغافلات المؤمنات، وقتل مؤمن متعمداً على دينه .

وفي ثواب الأعمال عن الحلبي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : **﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾** الآية قال : من اجتنب ما أوعد الله عليه النار إذا كان مؤمناً كفّر عنه سيئاته وأدخله مدخلاً كريماً، والكبائر السبع الموبقات قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف .

وفي العيون عن الرضا عليه السلام في كتابه إلى المأمون قال : الإيمان هو اداء الأمانة واجتناب الكبائر وهو معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان إلى أن قال واجتناب الكبائر وهي : قتل النفس التي حرم الله، والزنا، والسرقة وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به من غير ضرورة، وأكل الربا بعد البينة، والسحت والميسر وهو القمار، والبخس في المكيال والميزان، وقذف المحصنات، والزنى واللواط، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، ومعونة الظالمين والركون إليهم، واليمين الغموس، وحبس الحقوق من غير عسر، والكذب والكبر، والاسراف والتبذير،

---

(١) سورة النساء؛ الآية: ٤٨ .

(٢) سورة النساء؛ الآية: ١٠ .

(٣) سورة الأنفال؛ الآية: ١٥ .

والخيانة والاستخفاف بالحج، والمحاربة لأولياء الله والاشتغال بالملاهي، والاصرار على الذنوب .

وفي الخصال عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له ما لنا لا نشهد على من خالفنا بالكفر وبالنار، ولا نشهد لأنفسنا ولأصحابنا أنهم في الجنة . قال من ضعفكم ان لم يكن فيكم شيء من الكبائر فاشهدوا انكم في الجنة قلت فأي شيء الكبائر قال أكبر الكبائر الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلماً، والربا بعد البينة، وقتل المؤمن . قلت له الزنا والسرقة، قال ليسا من ذلك .

وعن الأعمش عن الصادق عليه السلام في حديث شرائع الدين قال : والكبائر محرمة وهي : الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا بعد البينة، وقذف المحصنات، وبعد ذلك الزنا واللواط والسرقة، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به من غير ضرورة، وأكل السحت، والبخس في الميزان والمكيال والميسر، وشهادة الزور، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، وترك معاونة المظلومين، والركون إلى الظالمين، واليمين الغموس، وحبس الحقوق من غير عسر، واستعمال التكبر والتجبر، والكذب والإسراف والتبذير والخيانة، والاستخفاف بالحج، والمحاربة لأولياء الله، والملاهي التي تصد عن ذكر الله مكروهة كالغنا وضرب الأوتار، والاصرار على صغائر الذنوب، والكراهة في آخره محمولة على التحريم، كما ورد ذلك في كثير من الأخبار .

وفي كنز الفوائد للكراجكي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله الكبائر تسع : اعظمهن الاشراك بالله عز وجل، وقتل النفس المؤمنة. وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، واستحلال البيت الحرام، والسحر. فمن لقي الله عز وجل وهو بريء منهن كان معي في جنة مصاريعها الذهب. ورواه الطبرسي في مجمع البيان إلا أنه قال سبع وترك الأخيرتين .

أقول هذا ما وقفنا عليه من الأخبار، والجامع بينها ان الكبائر ما توعد عليها بالنار والعقاب والتفصيل فيه بيان، واختلافها في العدد أمر إضافي، فأعظمها الخمس ثم السبع، وهكذا من ترك جميع ما نص عليه في هذه الأخبار فقد أخذ بالحزم وفقنا الله كذلك وسائر المؤمنين .

٨ ـ ما تعظم به الصغائر وتكون كبائر :

اعلم ان الصغيرة تكبر بأسباب :

الأول : الإصرار والمواظبة، ففي الكافي عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار .

وعن أبي بصير عنه عليه السلام قال : لا والله لا يقبل الله شيئاً من طاعته على الإصرار على شيء من معاصيه .

وعن السكوني عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله من علامات الشقاء جمود العين، وقسوة القلب، وشدة الحرص في طلب الدنيا، والإصرار على الذنب .

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالىٰ : **﴿ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾** قال الإصرار ان يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بالتوبة فذلك الإصرار، وقد مثلوا لذلك بالقطرات من الماء تقع على الحجر متوالية فتؤثر فيه أكثر مما لو صب عليه ذلك الماء دفعة .

الثاني : ان يستصغر الذنب ويستحقره، فإن استعظام الذنب يصدر عنه نفور القلب عنه وكراهته له. وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به واستصغاره واستحقاره يصدر عن الألفة به، وذلك يوجب شدة الأثر في القلب. والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات. ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة. وقد روي ان المؤمن يرىٰ ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه، والمنافق يرىٰ ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره. ففي الكافي عن زيد الشحام عن الصادق عليه السلام قال : اتقوا المحقرات من الذنوب فإنها لا تغفر. قلت وما المحقرات. قال الرجل يذنب الذنب فيقول طوبىٰ لي إن لم يكن لي غير ذلك .

وعن سماعة عن أبي الحسن عليه السلام قال : لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب، فإن قليل الذنوب تجمع حتى تكون كثيراً .

وعن الصادق عليه السلام : ان رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه آتوا بحطب. فقالوا يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، فقال فليأت كل إنسان بما قدر عليه، فجاؤوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض، فقال صلى الله عليه وآله هكذا تجمع

الذنوب. ثم قال إياكم والمحقرات من الذنوب فإن لكل شيء طالباً ألا وإن طالبها يكتب **﴿ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾**[1] .

وعن أبي بصير عن الباقر عليه السلام قال : اتقوا المحقرات من الذنوب فان لها طالباً. الحديث .

وفي النهج عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : أشد الذنوب ما استهان به صاحبه. وقال عليه السلام أشد الذنوب ما استخف به صاحبه .

الثالث : السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها، واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة، وكلما غلبت حلاوة الصغيرة كبرت وعظم أثرها في تسويد قلبه، حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح ويقول المناظر في مناظرته أما رأيتني كيف فضحته. والذنوب مهلكات ينبغي ان يكون مرتكبها في حزن وتأسف بسبب غلبة عدوه الشيطان عليه، والمريض الذي يفرح بأن ينكسر إناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجىٰ شفاؤه. ففي عقاب الأعمال عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أذنب ذنباً وهو ضاحك دخل النار وهو باك.

الرابع : ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإمهاله إياه، ولا يدري انه إنما يمهل مقتاً ليزداد بالإمهال إثماً، فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالىٰ به، فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور، كما قال تعالىٰ : **﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾**[2] .

الخامس : ان يأتي بالذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه، أو يأتي به في مشهد غيره، فإن ذلك جناية منه على ستر الله الذي أسدله عليه، وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه ذنبه أو أشهده فعله، فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فتغلظت به، فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه وحمله عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر، وذلك لأن من صفات الله ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر، فالإظهار كفران لهذه النعمة .

وفي الكافي عن الرضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المستتر بالحسنة تعدل

---

(١) سورة يسٓ، الآية : ١٢ .

(٢) سورة المجادلة، الآية : ٨ .

سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له، وقال االصادق عليه السلام : من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فدعوه، ومن جاءنا يبدي عورة قد سترها الله عليه فنحّوه .

السادس: ان يكون المذنب عالماً يقتدى به، فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه، كلبس العالم الابريسم والذهب، وركونه إلى الظالمين، وإطلاقه اللسان في الغيبة وأعراض الناس ونحو ذلك. فهذه ذنوب يتبع العالم فيها فيموت ويبقى شره مستطيراً في العالم مدداً متطاولة، فطوبىٰ لمن مات وماتت معه ذنوبه. وفي الخبر من سن سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، لا ينقص من أوزارهم شيئاً، وقال تعالىٰ : ﴿**ونكتب ما قدموا وآثارهم**﴾ قيل الآثار ما تلحق الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل، ولهذا قيل مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق أهلها .

٩ ـ تجزئة التوبة وتبعيضها :

وقد اختلف في جواز ذلك وصحته وعدمه، والأول أقوىٰ لعموم النصوص وضعف المعارض، وبه صرح المحقق الطوسي رحمه الله ، والعلامة رحمه الله ، وملخص الكلام في ذلك، ان التوبة عن بعض الذنوب إما أن يكون عن الكبائر دون الصغائر أو بالعكس، أو عن كبيرة دون كبيرة .

أما الأول : فهو ممكن للعلم بأن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخطه ومقته، والصغائر أقرب إلى تطرق العفو. وقد كثر التائبون ولم يكن أحد منهم معصوماً، فلا تستدعي التوبة العصمة. والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيراً شديداً، ويحذره السكر تحذيراً أخف منه على وجه يظهر منه عدم ظهور أثاره .

وأما الثاني : فهو ممكن أيضاً لاعتقاد ان بعض الكبائر أشد وأغلظ عند الله، كالذي يتوب عن النهب والقتل والظلم ومظالم العباد، لعلمه بأن ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يسرع العفو إليه .

وأما الثالث : ان يتوب عن صغيرة وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة، كالذي يتوب عن الغيبة أو عن النظر إلى غير المحرم وهو مصر على شرب الخمر، وهو ممكن إذ ما مؤمن إلا وهو خائف على معاصيه، ونادم على فعله ندماً إما ضعيفاً وإما قوياً، ولكن تكون لذة نفسه في تلك المعصية أقوى من ألم قلبه في الخوف منها، لأسباب توجب

ضعف الخوف من الجهل والغفلة، وأسباب توجب قوة الشهوة. فيكون الندم موجوداً ولكن لا يكون العزم قوياً عليه ويقول لله عليّ أمران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان، وأنا مليء في أحدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الآخر، فأقهره بما أقدر عليه وأرجوه بمجاهدتي فيه ان يكفر عني ما عجزت عنه بفرط شهوتي، وهذا حال كل مسلم. وقد قال النبي ﷺ الندم توبة. ولم يشترط الندم عن كل ذنب، وقال ﷺ : التائب من الذنب كمن لا ذنب له. ولم يقل التائب من الذنوب كلها، ويدل على تجزئة التوبة ان الكافر إذا تاب عن كفره وأسلم وهو مقيم على الذنب، إما أن يحكم بإسلامه وتقبل توبته من الكفر أو لا، والثاني خرق الإجماع لاتفاق المسلمين على إجراء حكم المسلم عليه، والأول هو المطلوب .

١٠ ـ وجوب التفصيل في التوبة عن الذنوب :

قال المحقق الطوسي رحمه الله في التجريد في إيجاب التفصيل مع الذكر إشكال. وقال العلامة رحمه الله : ذهب قاضي القضاة إلى ان التائب ان كان عالماً بذنوبه على التفصيل وجب عليه التوبة عن كل واحدة مفصلاً، وإن كان يعلمها على الإجمال وجب عليه التوبة كذلك مجملاً. وإن كان يعلم بعضها على التفصيل وبعضها على الإجمال، وجب عليه عن المفصل بالتفصيل، وعن المجمل بالإجمال. واستشكل المصنف إيجاب التفصيل مع الذكر لإمكان الاجتزاء بالندم على كل قبيح وقع منه وان لم يذكره مفصلاً. ثم قال المحقق الطوسي رحمه الله وفي وجوب التجديد إشكال .

قال العلامة رحمه الله : إذا تاب المكلف عن معصيته ثم ذكرها، هل يجب عليه تجديد التوبة. قال أبو علي: نعم بناء على ان المكلف القادر بقدرة لا ينفك عن الضدين إما الفعل أو الترك، فعند ذكر المعصية إما ان يكون نادماً عليها أو مصراً عليها، والثاني قبيح فيجب الأول. وقال أبو هاشم لا يجب لجواز خلو القادر بقدرة عنهما، ثم قال المحقق الطوسي رحمه الله وكذا المعلول مع العلة. قال الشارح إذا فعل المكلف العلة قبل وجود المعلول هل يجب عليه الندم على المعلول، أو على العلة، أو عليهما، مثاله الرامي إذا رمىٰ قبل الإصابة. قال الشيوخ يجب عليه الندم على الإصابة لأنها هي القبيح، وقد صارت في حكم الموجود لوجوب حصوله عند حصول السبب. وقال القاضي يجب عليه ندمان أحدهما على الرمي لأنه قبيح، والثاني على كونه مولداً للقبيح، ولا يجوز ان يندم على المعلول لأن الندم على القبيح، إنما هو لقبحه وقبل وجوده لا قبح. انتهىٰ .

١١ ـ العزم على عدم العودة إلى الذنب :

اعلم ان العزم على عدم العودة إلى الذنب فيما بقي من العمر لا بد منه في التوبة، وهل إمكان صدوره منه في بقية العمر شرط، حتى لو زنا ثم جبّ وعزم على ان يعود إلى الزنا على تقدير قدرته لم تصح توبته، أم ليس بشرط فتصح. الأكثر على الثاني، بل نقل بعض المتكلمين إجماع السلف عليه ويدل عليه عموم الآيات والأخبار ورفع الحرج والشريعة السهلة السمحة، وأولىٰ من هذا بصحة التوبة من تاب في مرض مخوف غلب على ظنه الموت فيه، وأما التوبة عند حضور موت وتيقن الفوت والمعاينة لموضعه في الآخرة، فقد انعقد الاجماع على عدم صحتها، ويدل عليه جملة من الآيات والأخبار .

١٢ ـ أقسام العباد في التوبة :

قال بعض العارفين هم طبقات :

الطبقة الأولىٰ : أن يتوب العاصي ويستقيم إلى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره، ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادة، وهي التوبة النصوح .

الطبقة الثانية : تائب سلك طريق الاستقامة في أُمهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها، إلا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجديد قصد، ولكن يبتلي بها في مجاري أحواله من غير ان يقدم عزماً على الإقدام عليها، ولكنه إذا أقدم لام نفسه وندم وجدد عزمه على عدم العود. وهذه رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الأُولىٰ وهي أغلب أحوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدمي قلّما ينفك عنه. قال تعالىٰ : **﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾**(١) . وقال تعالىٰ : **﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾**(٢) . وفي الحديث خياركم كل مفتن تواب. وفي الرواية المؤمن كالسنبلة تفيء أحياناً وتميل أحياناً .

الطبقة الثالثة : ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب، فيقدم عليها عن قصد وصدق شهوة لعجزه عن قهر الشهوة إلا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من السيئات مع القدرة والشهوة. وإنما قهرته هذه الشهوة

---

(١) سورة الشورىٰ؛ الآية: ٣٧ .

(٢) سورة آل عمران؛ الآية: ١٣٥ .

الواحدة أو الشهوتان وهو يودّ قمعها، ويقول ليتني لم أفعل وسأتوب ولكنه يسوّف نفسه في التوبة يوماً بعد يوم. قال تعالىٰ : ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً**﴾[1] . فهو مرجو عسىٰ الله ان يتوب عليه إذا تاب .

الطبقة الرابعة : ان يتوب ويستقيم مدة، ثم يعود إلى مقارفة الذنب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة، ومن غير أن يتأسف على فعله، بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع الشهوات، فهذا أقبح حال التائبين فأمره في مشيئة الله تعالىٰ .

١٣ ـ علاج الإقبال على التوبة :

وهي أربعة أمور :

الأول : ان ينظر إلى الآيات والأخبار المخوفة للمذنبين والعاصين وما فيهما من التهديد والوعيد على العقاب الشديد والعذاب الأكيد، ففي بعض الأخبار من طرق الجمهور عن النبي ﷺ قال : ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات، يقول أحدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا، ويقول الآخر يا ليتهم إذ خلقوا علموا لما خلقوا، فيقول الآخر ويا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا، فيقول الآخر ويا ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا .

الثاني : حكايات المذنبين التائبين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم .

الثالث : ان يتصور المذنب ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب، وأن كلما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جناية صدرت منه، قال تعالىٰ : ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**﴾[2] . وقال الصادق عليه السلام في هذه الآية : ليس من التواء عرق ولا نكبة حجر ولا عثرة قدم ولا خدشة عود إلا بذنب. وفي رواية أخرىٰ : أما انه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب وذلك قول الله عز وجل : ﴿**ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**﴾[3] . قال وما يعفو الله عنه أكثر مما يؤاخذ به. وقال عليه السلام : إن الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وان العمل السيىء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم .

---

(١) سورة التوبة؛ الآية: ١٠٢ .
(٢) سورة الشورىٰ؛ الآية: ٣٠ .
(٣) سورة الشورىٰ؛ الآية: ٣٠ .

الرابع : ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب، كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد والحقد، وهو مما لا يمكن حصره وقد ذكرنا جملة وافية وبلغة شافية من ذلك في كتابنا «نهج السالكين وزاد العارفين» في الأخلاق وفي الحديث، يقول الله تعالىٰ أدنى ما أصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي .

وقال عليه السلام : من همَّ بالسيئة فلا يعملها فإنه ربما عمل العبد سيئة فيراه الرب تبارك وتعالىٰ فيقول وعزتي لا أغفر لك بعد ذلك أبداً .

وقال الكاظم عليه السلام : حق على الله ان لا يعصىٰ في دار إلا أضحاها للشمس حتى يطهرها .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام، وانه لينظر إلى أزواجه في الجنة يتنعمن .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لقائل بحضرته أستغفر الله: ثكلتك أُمك أتدري ما الاستغفار، إن الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان. أولها الندم على ما مضىٰ، والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث ان تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقىٰ الله أملس ليس عليك تبعة، والرابع ان تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدي حقها، والخامس ان تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت لتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس ان تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول أستغفر الله .

١٤ ـ الإشارة إلى جملة من أصناف المعاصي :

اعلم ان المعصية تنقسم إلى ما هو معصية بأصل الشرع كشرب الخمر والزنا، وإلى ما يصير معصية بالنية والعزم كالأكل للتقوّي على المعصية مثلاً. وتنقسم تارة إلى معصية الجوارح كما ذكر، وإلى معصية القلوب كالحسد وحب الجاه والرياسة ونحوها، وينقسم كل منهما إلى الكبائر والصغائر كما عرفت ومما أوعد الله عليه النار والعذاب تحليل الحرام وتحريم الحلال، ومنع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه والسعي في خرابها، وكتمان الحق والرشا في الكتمان، والوقوف في بلاد الكفر بعد التمكن من الخروج، ومشاقة الرسول ومتابعة غير سبيل المؤمنين، والاستكبار عن عبادة الله، وقطع الطريق، وتحريف الكلم عن مواضعه وتكذيب آيات الله، ونقض العهد، وقطع الرحم، واتخاذ البنات لله، والإشراك به سبحانه، والارتداد بعد الإيمان، والافتراء على الله، وإيذاء الرسول

والمؤمنين، وإبطال آيات الله والإعراض عنها، والتخلف عن الجهاد إلى غير ذلك مما فصل في القرآن. ومن المعاصي المنصوص عليها ترك الواجبات واتيان البدع، والقعود في المسجد جنباً أو حائضاً، ولبس الذهب والحرير للرجال بلا خلاف منا. ففي الخبر هذان ـ مشيراً إليهما ـ محرمان على ذكور أمتي .

وفي رواية في الحرير: من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، واستثني منه حالة الحرب والضرورة والمخلوط بغيره، والمحشو بالقز. وفي الاتكاء عليه والافتراش به قولان لاختلاف النصوص .

ومنها الأكل والشرب بأواني الذهب والفضة، ففي الحديث ان من فعل ذلك إنما يجرجر في بطنه نار جهنم، وكذا حبسها واتخاذها وان لم تستعمل على قول لما روي ان أواني الذهب والفضة متاع الذين لا يوقنون .

وعمل آلات اللهو والبدع والبطر حتى الأواني المذكورة، لأنه معاونة على الإثم وتصوير ذوات الأرواح. ففي الصحيح ان فاعله يعذب يوم القيامة حتى ينفخ الروح فيها وليس بنافخ وقيده بعض بالمجسمة، وقال آخرون بحرمة استعمالها والنظر إليها، ومنها البناء رياء وسمعة، أي زيادة على ما يكفيه واستطالة منه على جيرانه. ومباهاة لإخوانه، والاستخفاف بفقير مسلم. فقد ورد ان من فعل ذلك فقد استخف بحق الله، والله يستخف به يوم القيامة إلا ان يتوب. وحلق اللحية لأنه خلاف السنة التي هي إعفاؤها ولمسخ طائفة بسببه . والقمار والرهان إلا في نصل أو خف أو حافر. وانشاد شعر يتضمن هجاء مؤمن أو فحشاء . والنياحة بالباطل والاستماع إليها، والغناء بما فيه ترجيع وإطراب أو ما سمي في العرف غناء. واستثني منه ما يكون في العرايس لما في الخبر الصحيح أجر المغنية التي تزف العرايس ليس به بأس، وليست بالتي يدخل عليها الرجال. وفي الحديث: أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال، يعني الدف .

ومنها القيادة والمساحقة ومباشرة المرأة للأُخرىٰ ليس بينهما ثوب، وتحدثها بما تخلو به مع زوجها، وتزيينها لغير زوجها وخروجها من بيته بغير إذنه، فإن خرجت لعنها كل ملك في السماء وكل شيء تمر عليه من الجن والإنس حتى ترجع إلى بيتها، كما في الحديث النبوي وفيه: من ملأ عينه من حرام ملأ الله عينه يوم القيامة من النار إلا أن يتوب أو يرجع. ومن صافح امرأة تحرم عليه فقد باء بسخط من الله، يعني بشهوة. ومن التزم امرأة حراماً قرن في سلسلة من نار وشيطان فيقذفان في النار. وقال ﷺ : من تأمل في عورة أخيه المسلم لعنه سبعون ألف ملك، ونهىٰ ﷺ المرأة أن تنظر إلى عورة المرأة، وان

يطلع الرجل في بيت جاره، ومن نظر إلى عورة أخيه المسلم وعورة غير أهله متعمداً أُدخل النار مع المنافقين الذين كانوا يبحثون عن عورات المسلمين، ولم يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله إلا أن يتوب. ونهىٰ ﷺ عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر. وقال ﷺ : لعن الله الخمر وعاصرها وغارسها وشاربها وساقيها وبايعها ومشتريها، وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه. وقال ﷺ : من شربها لم تقبل له صلاة أربعين يوماً. وقال ﷺ : لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه والشاهد به .

ومنها الإخبار عن الغائبات على البت والقطع لغير نبي أو وصي نبي، سواء كان بالتنجيم أو الكهانة أو القيافة أو غير ذلك والشعبذة والسحر. وفي الحديث إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في برٍ أو بحر فإنها تدعو إلى الكهانة، المنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار. وفي أُخرى المنجم ملعون، والكاهن ملعون، والساحر ملعون. وفي أُخرى من تكهن أو تكهن له فقد برء من دين محمد، وإن كان الإخبار على سبيل التفاءل من غير جزم فالجواز غير بعيد وذكر جملة من الأصحاب في تعريف السحر انه كلام أو كتابة أو رقية أو أقسام وعزائم ونحوها، يحدث بسببها ضرر على الغير، ومنها عقد الرجل عن زوجته بحيث لا يقدر على وطئها وإلقاء البغضاء بينهما كما قال تعالى : ﴿ويتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ ومنه استخدام الملائكة والجن واستنزال الشياطين في كشف الغائبات، واستحضارهم وتلبيسهم ببدن صبي أو امرأة ونحو ذلك، فتعلم ذلك وأشباهه وتعليمه حرام، والكسب به سحت إلا للتوقي ودفع المبتلي. وقيل بوجوب تعلمه لذلك كفاية، ويجوز حله بالقرآن والدعاء وفي بعض الروايات حلّ ولا تعقد .

ومن المعاصي المنصوص عليها الغضب لغير الله والحمية والعصبية، والتكبر والتجبر، والاختيال في المشي، والتفاخر والبذاء، والفحش والبغي والفسق والفجور، وتزكية النفس، والحسد والخرق والسفه، والمراء، والغيبة والنميمة والاستماع إليهما، وإشاعة الفواحش في المؤمنين، وتجسس عيوبهم وسوء الظن بهم فإن بعض الظن اثم، والبهتان والسعاية والسباب واللعن والطعن لغير مستحقهما، والمكر والخديعة والغدر، والغش والتدليس والغصب، والذهاب بحقوق المسلمين، والظلم والقساوة والجفاء ونحو ذلك .

ومن جملة المعاصي القلبية الحسد والرياء والعجب والإصرار، والكفران والجزع، والحرص وحب الدنيا، والسخط والنفاق ونحوها وتفصيل هذه الأُمور وشرحها وأسبابها وعلاجاتها مذكور في شرحنا على (المفاتيح)، وفي كتاب الأخلاق.

الفصل العاشر

الآجال والأرزاق

١ ـ الآجال :

اعلم أن الذي يستفاد من الآيات والأخبار أن للإنسان أجلين، أجلاً محتوماً كما قال تعالى : ﴿**ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾[1]. وقال تعالى : ﴿**ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون**﴾[2]. وقال تعالى : ﴿**ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها**﴾[3]. وقال تعالى : ﴿**إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر**﴾[4]. وأجلاً موقوفاً يقدمه الله ويؤخره، ويزيد فيه وينقصه، بطاعة أو صلة رحم أو دعاء أو صدقة أو عكس ذلك كما قال تعالى : ﴿**ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم انتم تمترون**﴾[5]. وينبغي الإيمان بهذا المقدار اجمالاً ولا ينبغي التفكر في كيفية ذلك فإنه من غوامض مسائل القضاء والقدر المنهي عن الخوض فيها . وفي تفسير القمي عن الصادق عليه السلام قال : الأجل المقضي هو المحتوم الذي قضاه الله وحتمه، والمسمى هو الذي فيه البداء يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير .

وعن أبي بصير عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى : ﴿**ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها**﴾[6]. قال إن عند الله كتباً موقوفة يقدم منها ما يشاء ويؤخر، فإذا كان ليلة القدر أنزل

---

(١) سورة الأعراف؛ الآية: ٣٤ .
(٢) سورة الحجر؛ الآية: ٥ .
(٣) سورة المنافقون؛ الآية: ١١ .
(٤) سورة نوح؛ الآية: ٤ .
(٥) سورة الأنعام؛ الآية: ٢ .
(٦) سورة المنافقون؛ الآية: ١١ .

فيها كل شيء يكون إلى مثلها، فذلك قوله تعالى : ﴿**ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها**﴾[1] . إذا نزل وكتبه كتاب السماوات وهو الذي لا يؤخر .

وفي تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿**ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده**﴾[2] . قال الأجل الذي غير مسمى موقوف، يقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء، وأما الأجل المسمى فهو الذي ينزل مما يريد أن يكون من ليلة القدر إلى مثلها من قابل، فذلك قول الله عز وجل : ﴿**إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾[3] .

وعن حمران عن الصادق عليه السلام قال : المسمى ما سمي لملك الموت في تلك الليلة. وهو الذي قال الله تعالى : ﴿**إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾[4] . والآخر له فيه المشيئة ان شاء قدمه وإن شاء أخره .

وعن حمران قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : ﴿**قضى أجلاً وأجل مسمى عنده**﴾[5] . قال هما أجلان، أجل موقوف يصنع الله ما يشاء وأجل محتوم .

وعنه عليه السلام قال : الأجل الأول هو الذي نبذه إلى الملائكة والرسل والأنبياء، والأجل المسمى عنده هو الذي ستره عن الخلائق .

وعنه عليه السلام عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إن المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاث سنين، فيمدها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة. وان المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة، فيقصرها الله إلى ثلاث سنين أو أدنى. قال الراوي وكان الصادق عليه السلام يتلو هذه الآية : ﴿**يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾ .

والأخبار في ذلك كثيرة، وظاهر بعض الأخبار كون الأول من قوله تعالى : ﴿**قضى أجلاً وأجل مسمى**﴾[6] . محتوماً، والثاني موقوفاً وبعضها بالعكس، ويمكن الجمع بأن المعنى انه تعالى قضى أجلاً أخبر به أنبيائه وحججه وأخبر بأنه محتوم فلا يتطرق إليه

---

(١) سورة المنافقون؛ الآية: ١١ .
(٢) سورة الأنعام؛ الآية: ٢ .
(٣) سورة يونس؛ الآية: ٤٩ .
(٤) سورة يونس؛ الآية: ٤٩ .
(٥) سورة الأنعام؛ الآية: ٢ .
(٦) سورة الأنعام؛ الآية: ٢ .

التغيير، وعنده أجل مسمى اخبر بخلافه غير محتوم، فهو الذي إذا أخبر بذلك المسمى يحصل منه البداء، فلذا قال تعالى عنده أي لم يطلع عليه أحد بعد، وإنما أطلق عليه المسمى لأنه بعد الإخبار يكون مسمى، فما لم يسم فهو موقوف ومنه يكون البدأ فيما أخبر لا على وجه الحتم. ويحتمل أن يكون المراد بالمسمى ما سمي ووصف بأنه محتوم، فالمعنى قضى أجلاً محتوماً أي أخبر بكونه محتوماً، وأجلاً آخر وصف بكونه محتوماً عنده ولم يخبر الخلق بكونه محتوماً فيظهر منه أنه أخبر بشيء لا على وجه الحتم فهو غير المسمى لا الأجل الذي ذكر أولاً. وحاصل الوجهين مع قربهما ان الأجلين كليهما محتومان، أخبر بأحدهما ولم يخبر بالآخر. ويظهر من الآية أجل آخر غير الأجلين وهو الموقوف، ويمكن أن يكون الأجل الأول عاماً فيرتكب تكلف في خبر ابن مسكان بأنه قد يكون محتوماً، وظاهر أكثر الأخبار أن الأول موقوف والمسمى محتوم .

٢ ـ الأرزاق :

الذي يستفاد من الآيات والأخبار ان الله تعالى قد قسم الأرزاق بين العباد ويزيدها وينقصها، وانه تعالى قسمها من حلال ومن أخذ حراماً حسب عليه من رزقه وعوقب عليه، قال تعالى في مواضع : **﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾**[(١)]. وقال تعالى : **﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾**[(٢)]. وقال تعالى : **﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾**[(٣)]. وقال تعالى : **﴿إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾**[(٤)]. وقال تعالى : **﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾**[(٥)]. وقال تعالى : **﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾**[(٦)]. وقال تعالى : **﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾**[(٧)] .

أي في السماء أسباب رزقكم أو تقديره وما توعدون من الثواب والنعيم، لأن الجنة

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢١٢ .
(٢) سورة هود؛ الآية: ٦ .
(٣) سورة الرعد؛ الآية: ٢٦ .
(٤) سورة سبأ؛ الآية: ٣٩ .
(٥) سورة الشورىٰ؛ الآية: ٢٧ .
(٦) سورة الزخرف؛ الآية: ٣٢ .
(٧) سورة الذاريات؛ الآية: ٢٢ .

في السماء كما عرفت، ولأن الأعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء، وقوله تعالى: ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ أي مثل نطقكم، كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي أنْ لا تشكوا في تحقق ذلك. وقيل يحتمل أن يكون التشبيه من حيث اتصال النطق وفيضان المعاني من المبدأ بقدر الحاجة من غير عالم بموضوعه ومحل وروده.

وروى ثقة الإسلام في الكافي عن الثمالي عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: ألا إن الروح الأمين نفث في روعي انه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله، فإن الله قسم الأرزاق بين خلقه حلالاً، ولم يقسمها حراماً، فمن اتقى الله وصبر أتاه رزقه من حله، ومن هتك حجاب ستر الله وأخذه من غير حله قص به من رزقه الحلال وحوسب عليه.

وفي تفسير العياشي عن الباقر عليه السلام قال: ليس من نفس إلا وقد فرض الله لها رزقاً حلالاً يأتيها في عافية وعرض لها بالحرام من وجه آخر، فإن هي تناولت من الحرام شيئاً قاصها به من الحلال الذي فرض لها، وعند الله سواهما فضل كبير.

وعن النبي صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية: ﴿واسئلوا الله من فضله﴾ قال أصحاب النبي ما هذا الفضل. فقال صلى الله عليه وآله: إن الله خلق خلقه وقسم لهم أرزاقهم من حلها وعرض لهم بالحرام، فمن انتهك حراماً نقص له من الحلال بقدر ما انتهك من الحرام وحوسب به.

وعن الصادق عليه السلام قال: إن الله قسم الأرزاق بين عباده، وأفضل فضلاً كثيراً لم يقسمه بين أحد، قال الله: ﴿واسئلوا الله من فضله﴾.

وعن الحسين بن مسلم عن الباقر عليه السلام قال: قلت له جعلت فداك انهم يقولون إن النوم بعد الفجر مكروه لأن الأرزاق تقسم في ذلك الوقت. فقال: الأرزاق موظوفة مقسومة ولله فضل يقسمه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وذلك قوله تعالى: ﴿واسئلوا الله من فضله﴾ ثم قال وذكر الله بعد طلوع الفجر أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في النهج: الرزق رزقان، رزق تطلبه ورزق يطلبك، فإن لم تأته أتاك، فلا تحمل همَّ سنتك على هم يومك، كفاك كل يوم ما فيه، فإن تكن السنة من عمرك فإن الله سيأتيك في كل غد بجديد ما قسم لك، وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهمّ لما ليس لك، ولن يسبقك إلى رزقك طالب، ولن يغلبك عليه

غالب، ولن يبطي عنك ما قدر لك .

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : وقدّر الأرزاق فكثرها وقللها، وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها .

وروى المفيد في المقنعة عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : الرزق مقسوم على ضربين أحدهما واصل إلى صاحبه وإن لم يطلبه. والآخر معلق بطلبه فالذي قسم للعبد على كل حال آتيه وإن لم يسع له، والذي قسم له بالسعي فينبغي له أن يلتمسه من وجوهه وما أحله الله له دون غيره، فإن طلبه من جهة الحرام فوجده حسب عليه برزقه وحوسب به. والأخبار في ذلك كثيرة وظاهر الأخبار أن الله قدر في الصحف السماوية لكل بشر رزقاً حلالاً بقدر ما يكفيه بحيث إذا لم يرتكب الحرام، وطلب من الحلال سبب له ذلك ويسره، فإذا ارتكب الحرام فبقدر ذلك يمنع مما قدر له. وقال الشيخ البهائي رَحِمَهُ اللهُ في شرح الحديث الأول : الرزق عند الأشاعرة كل ما انتفع به حي سواء كان بالتغذي أو غيره، مباحاً كان أو لا، وخصه بعضهم بما تربى به الحيوان من الأغذية والأشربة. وعند المعتزلة هو كلما صح انتفاع الحيوان به بالتغذي أو غيره، وليس لأحد منعه منه فليس الحرام رزقاً عندهم .

وقال الأشاعرة في الرد عليهم، لو لم يكن الحرام رزقاً لم يكن المتغذي طول عمره بالحرام مرزوقاً، وليس كذلك لقوله تعالى : **﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾**[1] . وفيه نظر، فإن الرزق عند المعتزلة أعم من الغذاء، وهم لم يشترطوا الانتفاع بالفعل، فالمتغذي طول عمره بالحرام، إنما يرد عليهم لو لم ينتفع مدة عمره بشيء انتفاعاً محللاً ولو بشرب الماء والتنفس في الهواء، بل ولا يمكن من الانتفاع بذلك أصلاً وظاهر أن هذا مما لم يوجد، وأيضاً فلهم أن يقولوا لو مات حيوان قبل أن يتناول شيئاً محللاً ولا محرماً يلزم أن يكون غير مرزوق، فما هو جوابكم. فهو جوابنا هذا، ولا يخفى أن الأحاديث المنقولة في هذا الباب متخالفة، والمعتزلة تمسكوا بهذا الحديث وهو صريح في مدعاهم غير قابل للتأويل .

والأشاعرة تمسكوا بما رووه عن صفوان بن أُمية قال : كنا عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إذ جاء عمر بن قرة فقال يا رسول الله إن الله كتب عليَّ الشقوة، فلا أراني أُرزق إلا من رُقىً بكفي، فائذن لي في الغناء من غير فاحشة. فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة،

---

(١) سورة هود؛ الآية: ٦ .

أي عدو الله لقد رزقك الله طيّباً فاخترت ما حرم عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله، أما انك لو قلت بعد هذه المقالة ضربتك ضرباً وجيعاً .

والمعتزلة يطعنون في سند الحديث تارة، ويؤولونه على تقدير سلامته أُخرى، بأن سياق الكلام يقتضي أن يقال فاخترت ما حرم الله عليك من حرامه مكان ما أحل لك من حلاله، وإنما قال ﷺ من رزقه مكان من حرامه فأطلق على الحرام اسم الرزق بمشاكلة قوله فلا أراني أُرزق، وقوله ﷺ لقد رزقك الله. وتمسك المعتزلة أيضاً بقوله تعالى : ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾[1] . قال الشيخ في التبيان ما حاصله : إن هذه الآية تدل على أن الحرام ليس رزقاً، لأنه سبحانه مدحهم بالإنفاق من الرزق، والانفاق من الحرام لا يوجب المدح. وقد يقال إن تقديم الظرف يفيد الحصر، وهو يقتضي كون المال المنفق على ضربين، ما رزقه الله وما لم يرزقه، وإن المدح إنما هو على الإنفاق مما رزقهم وهو الحلال، لا مما سولت لهم أنفسهم من الحرام، ولو كان كلما ينفقونه رزقاً من الله سبحانه لم يستقم الحصر فتأمل. انتهى .

قال بعض المحققين[2] : إن كان المراد بقولهم رزقهم الله الحرام أنه خلقه ومكنهم من التصرف فيه فلا نزاع في أن الله رزقهم بهذا المعنى، وإن كان المعنى أنه المؤثر في أفعالهم وتصرفاتهم في الحرام، فهذا إنما يستقيم على أصلهم الذي ثبت بطلانه، وإن كان الرزق بمعنى التمكين وعدم المنع من التصرف فيه بوجه فظاهر أن الحرام ليس برزق بهذا المعنى على مذهب من المذاهب وإن كان المعنى انه قدر تصرفهم فيه بإحدى المعاني للقضاء والقدر، أو خذلهم ولم يصرفهم جبراً عن ذلك، فبهذا المعنى يصدق انه رزقهم الحرام. واما ظواهر الآيات والأخبار الواردة في ذلك فلا يريب عاقل في انها منصرفة إلى الحلال، واعلم أنه لا يجوز للإنسان أن يترك السعي والطلب قائلاً إن الرزق مقسوم، فلا بد أن يأتي فلا يحتاج إلى السعي لأن الله تعالى قد أمر بالطلب ونهى عن تركه، بل ينبغي للإنسان الإجمال في الطلب وأن لا يتكل على طلبه بل على ربه، إذ لعل الله يرزقه من حيث لا يحتسب، كما أن الله تعالى قد أمر بالطاعات والعبادات ونهى عن الاتكال والاعتماد عليها .

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٣ .

(٢) هو المجلسي (قده) .

٣ ـ الأسعـــار :

ذهبت الأشاعرة إلى أنه ليس المسعر إلا الله تعالى، بناء على أصلهم من أنه لا مؤثر في الوجود إلا الله. وأما الإمامية والمعتزلة فالمحكي عنهم أن الغلاء والرخص قد يكونان بأسباب راجعة إلى الله تعالى، وقد يكونان بأسباب ترجع إلى اختيار العباد. وهذا هو الظاهر من أخبارنا بعد ضم بعضها إلى بعض، إذ قد ورد النهي عن الاحتكار ولعن المحتكر وأمر المحتكر بالبيع، وأن الناس مسلطون على أموالهم يبيعون بما شاءوا. وورد أن السعر إلى الله يرفعه إذا شاء ويحفظه إذا شاء، كما في التهذيب عن النبي ﷺ، وعن الثمالي قال : ذكر عند علي بن الحسين عليه السلام غلاء السعر، فقال وما علي من غلائه إن غلي فهو عليه، وإن رخص فهو عليه .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال : إن الله وكل بالسعر ملكاً فلن يغلو من قلة، ولن يرخص من كثرة. وعنه عليه السلام قال : إن الله وكل بالأسعار ملكاً يدبرها. ونحوهما غيرهما من الأخبار .

يمكن حمل هذه الأخبار على أن المعنى أن أكثر أسبابهما راجعة إلى قدرة الله، وإن الله تعالى لما لم يصرف العباد عما يختارونه من ذلك مع ما يحدث في نفوسهم من كثرة رغباتهم أو غناهم بحسب المصالح، فكأنهما وقعا بإرادته تعالى ويمكن حمل جملة منها على المنع والتسعير والنهي عنه، بل يلزم الوالي أن لا يجبر الناس على السعر ويتركهم واختيارهم، فيجري السعر على ما يريد الله تعالى، كما صرح به في رواية ابن حمزة المروية في التهذيب، ورواية سعد المروية في الكافي .

قال العلامة رحمه الله في شرحه على التجريد : السعر هو تقدير العوض الذي يباع به الشيء، وليس هو الثمن ولا المثمن، وهو ينقسم إلى رخص وغلاء، فالرخص هو المسعر المنحط عما جرت به العادة مع اتحاد الوقت والمكان، والغلاء زيادة السعر عما جرت به العادة مع اتحاد الوقت والمكان، وإنما اعتبرنا الزمان والمكان لأنه لا يقال إن الثلج قد رخص سعره في الشتاء عند نزوله لأنه ليس أوان سعره، ويجوز أن يقال رخص في الصيف إذا نقص سعره عما جرت عادته في ذلك الوقت، ولا يقال رخص سعره في الجبال التي يدوم نزوله فيها لأنها ليست مكان بيعه، ويجوز أن يقال رخص سعره في البلاد التي اعتيد بيعه فيها. واعلم أن كل واحد من الرخص والغلاء قد يكون من قبله تعالى، بأن يقلل جنس المتاع المعين ويكثر رغبة الناس إليه، فيحصل الغلاء لمصلحة المكلفين. وقد يكثر جنس

ذلك المتاع ويقلل رغبة الناس إليه تفضلاً منه وإنعاماً، أو لمصلحة دينية فيحصل الرخص. وقد يحصلان من قبلنا بأن يحمل السلطان الناس على بيع تلك الساحة بسعر غال ظلماً منه، أو لاحتكار الناس، أو لمنع الطريق خوف الظلمة، أو لغير ذلك من الأسباب المستندة إلينا، فيحصل الغلاء. وقد يحمل السلطان الناس على بيع الساحة برخص ظلماً منه، أو يحملهم على بيع ما في أيديهم من جنس ذلك المتاع فيحصل الرخص انتهى.

٤ ـ الاحباط والتكفير :

المشهور بين الإمامية بطلان الإحباط والتكفير، بل قالوا باشتراط الثواب والعقاب بالموافاة، بمعنى أن الثواب على الإيمان مشروط بأن يعلم الله منه أنه يموت على الإيمان، والعقاب على الكفر والفسوق مشروط بأن يعلم الله أنه لا يسلم ولا يتوب، وبذلك أوَّلوا الآيات الدالة على الإحباط والتكفير.

وذهبت المعتزلة إلى ثبوت الاحباط والتكفير للآيات والأخبار الدلة عليهما. قال شارح المقاصد : لا خلاف في أن من آمن بعد الكفر والمعاصي فهو من أهل الجنة بمنزلة من لا معصية له، ومن كفر نعوذ بالله بعد الإيمان والعمل الصالح فهو من أهل النار بمنزلة من لا حسنة له. وإنما الكلام فيمن آمن وعمل صالحاً وآخر سيئاً كما يشاهد من الناس، فعندنا أن مآله إلى الجنة ولو بعد النار، واستحقاقه للثواب والعقاب بمقتضى الوعد والوعيد ثابت من غير حبوط. والمشهور من مذهب المعتزلة انه من أهل الخلود في النار إذا مات قبل التوبة، فأشكل الأمر عليهم في إيمانه وطاعته وما يثبت من استحقاقاته، أين طارت وكيف ذاك، فقالوا بحبوط الطاعات، وقالوا إن السيئات يذهبن الحسنات، حتى ذهب الجمهور منهم إلى أن الكبيرة الواحدة تحبط ثواب جميع العبادات وفساده ظاهر، أما سمعاً فللنصوص الدالة على أن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً وعمل صالحاً، وأما عقلاً فللقطع بأنه لا يحسن من الحليم الكريم ابطال ثواب إيمان العبد ومواظبته على الطاعات طول العمر بتناول لقمة من الربا أو جرعة من الخمر. قالوا الاحباط مصرح به في التنزيل، كقوله تعالى : **﴿أن تحبط أعمالكم﴾ ﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾ ﴿ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾**. قلنا لا بالمعنى الذي قصدتم، بل بمعنى ان من عمل عملاً استحق به الذم، وكان يمكنه أن يعمله على وجه يستحق به المدح والثواب يقال انه أحبط عمله كالصدقة مع المن والأذى وأما احباط الطاعات بالكفر بمعنى أنه لا يثاب عليها البتة، فليس من المتنازع في شيء، وحين تنبه أبو علي وأبو هاشم لفساد هذا الرأي رجعا من

التمادي بغض الرجوع، فقالا إن المعاصي إنما تحبط الطاعات إذا وردت عليها، وان وردت الطاعات أحبطت المعاصي، ثم ليس النظر إلى اعداد الطاعات والمعاصي، بل إلى مقادير الأوزار والأجور، فرب كبيرة يغلب وزرها أجر طاعات كثيرة ولا سبيل إلى ضبط ذلك، بل هو مفوض إلى علم الله تعالى. ثم افترقا فزعم أبو علي أن الأقل يسقط من الأكثر شيئاً، ويكون سقوط الأقل عقاباً إذا كان الساقط ثواباً، وثواباً إذا كان الساقط عقاباً، وهذا هو الإحباط المحض. وقال أبو هاشم الأقل يسقط ويسقط من الأكثر ما يقابله، مثلاً من له مائة جزء من العقاب واكتسب ألف جزء من الثواب فإنه يسقط منه العقاب ومائة جزء من الثواب بمقابلته، وتبقى له تسعمائة جزء من الثواب، وكذا العكس، وهذا هو القول بالموازنة. انتهى كلامه.

وقال العلامة المحدث المجلسي رحمه الله في البحار: أقول الحق أنه لا يمكن انكار سقوط ثواب الإيمان بالكفر اللاحق الذي يموت عليه، وكذا سقوط عقاب الكفر بالإيمان اللاحق الذي يموت عليه، وقد دلت الأخبار الكثيرة على أن كثيراً من المعاصي توجب سقوط ثواب كثير من الطاعات، وأن كثيراً من الطاعات كفارة لكثير من السيئات، والأخبار في ذلك متواترة. وقد دلت الآيات على أن الحسنات يذهبن السيئات، ولم يقم دليل تام على بطلان ذلك. وأما أن ذلك عام في جميع الطاعات والمعاصي فغير معلوم، وأما أن ذلك على سبيل الإحباط والتكفير بعد ثبوت الثواب والعقاب، أو على سبيل الاشتراط بأن الثواب في علمه تعالى على ذلك العمل مشروط بعدم وقوع ذلك الفسق بعده، وأن العقاب على تلك المعصية مشروط بعدم وقوع تلك الطاعة بعده، فلا يثبت أولاً ثواب وعقاب، فلا يهمنا تحقيق ذلك بل يرجع النزاع في الحقيقة إلى اللفظ، لكن الظاهر من كلام المعتزلة وأكثر الإمامية انهم لا يعتقدون إسقاط الطاعة شيئاً من العقاب، أو المعصية شيئاً من الثواب سوى الإسلام والارتداد والتوبة. وأما الدلائل التي ذكروها لذلك فلا يخفى وهنها انتهى كلامه.

وقال المحدث الحر في الفصول المهمة بعد جعل العنوان هكذا باب أن الإحباط والتكفير يقعان بسبب المعصية والطاعة لكنهما غير واجبين ولا عامين إلا بسبب الكفر والإيمان. ثم ذكر رواية الجعفري وزرارة وأبي حمزة الآتية، ثم قال الآيات والروايات في ثبوت الاحباط والتكفير كثيرة لا تحصى، والآيات والروايات المعارضة لها أيضاً كثيرة جداً متفرقة، والذي يظهر من مجموعها في وجه الجمع بينها هو أن الكفر الذي يموت صاحبه عليه يحبط ثواب الطاعات السابقة عليه، والإيمان الذي يموت صاحبه عليه يكفّر عقاب

المعاصي السابقة عليه وما سوى ذلك فالإحباط والتكفير فيه ليس بواجب ولا كلي، كما يقوله بعض مخالفينا على اختلاف مذاهبهم الفاسدة فيه من إسقاط اللاحق السابق مطلقاً أو بقدره مع بقاء المقابل أو عدمه على ما حرر في كتب الكلام، بل الصحيح الذي دلت عليه الآيات والروايات المتواترة هو أن من عمل طاعة استحق ثواباً، وقد يكون ذلك الثواب إسقاط عقاب سابق أو لاحق، وقد يكون نوعاً آخر من الثواب، ومن فعل معصية استحق عقاباً، وقد يكون ذلك العقاب إسقاط ثواب، وقد يكون نوعاً آخر ومقادير ذلك الثواب والعقاب الذي يسقط أحياناً لا يعلمها إلا الله. ومما يدل على ذلك ما وقع من الوعد على طاعة معينة بأنها كفارة لما مضى من الذنوب أو لنوع خاص منه أو لما تقدم منها وما تأخر، وما ورد فيها بعينها باستحقاق فاعلها لثواب آخر غير إسقاط العقاب، وكذا ورد الأمران في عقاب المعاصي. ومما يدل على ذلك وقوع الطاعات المذكورة من أهل العصمة عليهم السلام ونحوهم ممن لا يستحق شيئاً من العقاب، ووقوع المعاصي المذكورة ممن لا يستحق شيئاً من الثواب، كالكافر والمسلم في أول إسلامه، والطفل في أول بلوغه وغير ذلك. ولم يرد أن شيئاً من المعاصي يسقط ثواب الإسلام والإيمان وهذا مما لا شبهة فيه عند من تأمل الآيات والروايات والله تعالى أعلم. انتهى.

ولا بأس بذكر الآيات الواردة في ذلك وجملة من الروايات قال تعالى: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ان الله لا يخلف الميعاد﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿إنك لا تخلف الميعاد﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢١٧.
(٢) سورة آل عمران؛ الآية: ٩.
(٣) سورة التوبة؛ الآية: ٦٩.
(٤) سورة آل عمران؛ الآية: ١٤.
(٥) سورة النساء؛ الآية: ٣١.

وقال تعالى : ﴿من يعمل سوءً يُجز به﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفّر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾ .

وقال تعالى : ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولَئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿أولَئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿أولَئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرّن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾[6] .

وقال تعالى : ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[7] .

وقال تعالى : ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾[8] .

وقال تعالى : ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾[9] .

وقال تعالى : ﴿أولَئك الذين لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا﴾[10] .

---

(١) سورة النساء؛ الآية: ١٢٣ .
(٢) سورة الأعراف؛ الآية: ١٤٧ .
(٣) سورة التوبة؛ الآية: ١٧ .
(٤) سورة التوبة؛ الآية: ١٦٩ .
(٥) سورة الكهف؛ الآية: ١٠٥ .
(٦) سورة العنكبوت؛ الآية: ٧ .
(٧) سورة الروم؛ الآية: ٦ .
(٨) سورة الروم؛ الآية: ٦٠ .
(٩) سورة الأحزاب؛ الآية: ١٢ .
(١٠) سورة الأحزاب؛ الآية: ١٩ .

وقال تعالى : ﴿وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد﴾[1] .

وقال الله تعالى : ﴿ليكفّر الله عنهم أسوء الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ .

وقال تعالى : ﴿إن وعد الله حق﴾ .

وقال تعالى : ﴿كفّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾ .

وقال تعالى : ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿سيكفّر عنهم سيئاتهم﴾ .

وقال تعالى : ﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وانتم لا تشعرون﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفّر عنه سيئاته﴾ .

وقال تعالى : ﴿ومن يتق الله يكفّر عنه سيئاته﴾[6] .

وقال تعالى : ﴿عسى ربكم أن يكفّر عنكم سيئاتكم﴾[7] .

وقال تعالى : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[8] .

وروى البرقي في المحاسن عن عبد الله بن القاسم الجعفري عن أبي عبد الله عن

---

(١) سورة الرعد؛ الآية: ٣١ .
(٢) سورة محمد؛ الآية: ٩ .
(٣) سورة محمد؛ الآية: ٢٨ .
(٤) سورة محمد؛ الآية: ٣٢ .
(٥) سورة الحجرات؛ الآية: ٢ .
(٦) سورة الطلاق؛ الآية: ٥ .
(٧) سورة التحريم؛ الآية: ٨ .
(٨) سورة الزلزلة؛ الآيتان: ٧ ـ ٨ .

آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه له، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار. ورواه الصدوق في التوحيد .

وروى الشيخ في التهذيب عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : من كان مؤمناً فحج وعمل في إيمانه ثم أصابته فتنة فكفر ثم تاب وآمن، قال يحسب له كل عمل صالح في إيمانه ولا يبطل منه شيء .

وفي الكافي عن أبي حمزة قال : كنت عند علي بن الحسين عليه السلام فجاء رجل فقال يا أبا محمد إني مبتلٍ بالنساء فأزني يوماً وأصوم يوماً فيكون ذلك كفارة لذا. فقال له علي بن الحسين عليه السلام : انه ليس شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يطاع فلا يعصى، فلا تزن ولا تصم. فاجتذبه أبو جعفر إليه فأخذه بيده، فقال يا أبا زيد تعمل عمل أهل النار وترجو أن تدخل الجنة .

وفي العيون عن الرضا عليه السلام في قوله تعالى : ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾[1] قال إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها رب يغفر لها .

وفي تفسير العياشي عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى : ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾[2] قال : إنه على حق يجزي بالإحسان إحساناً وبالسيىء سيئاً، ويعفو عمن يشاء ويغفر سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة الإسراء؛ الآية: ٧ .

(٢) سورة هود؛ الآية: ٥٦ .

الفصل الحادي عشر

الايمان والاسلام والكفر والارتداد

١ ـ معنى الايمان والكفر :

المشهور بين المتكلمين أن الإيمان لغة التصديق من الأمن بمعنى سكون النفس واطمأنانها، واختلف في معناه شرعاً على أقوال شتى، وحاصل ذلك أن الإيمان شرعاً إما أن يكون من أفعال القلوب فقط، أو من أفعال الجوارح فقط، أو منهما معاً، فإن كان الأول فهو التصديق بالقلب فقط، وهو مذهب الأشاعرة وجمع من متقدمي الإمامية ومتأخريهم ومنهم المحقق الطوسي في فصوله. ولكن اختلفوا في معنى التصديق، فقال أصحابنا هو العلم، وقال الأشاعرة هو التصديق النفساني، وعنوانه أنه عبارة عن ربط القلب على ما علم من إخبار المخبر، فهو أمر كسبي يثبت باختيار المصدق، ولذا يثاب عليه بخلاف العلم والمعرفة، فإنها ربما تحصل بلا كسب كما في الضروريات، وقد ذكر حاصل ذلك بعض المحققين، فقالوا التصديق هو أن تنسب باختيارك الصدق إلى المخبر، حتى لو وقع ذلك في القلب من غير اختيار لم يكن تصديقاً وإن كان معرفة وفيه نظر ظاهر، فإنه يلزم هذا القائل أن يقول بإيمان من يعلم بحقية نبوة نبينا ﷺ وغيره من الأنبياء وينكر ذلك، وهو مخالف للإجماع والآيات الكثيرة، قال تعالى : **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾** وقد أخبر الله تعالى عن أهل الكتاب بأنهم كانوا يعرفون نبوة نبينا محمد ﷺ كما كانوا يعرفون ابناءهم، حيث اخبر الله تعالى عنهم بذلك مع القطع بكفرهم، فينبغي أن يشترط في التصديق القلبي عدم الإنكار بدون تقية، وأن لا يصدر عنه ما يوجب الكفر من إنكار بعض ضروريات الدين، واستدل لهم بقوله تعالى : **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾** فإن العطف يقتضي المغايرة .

وأُجيب بأن الصالحات جمع معرف شامل للفرض والنقل، والقائل بأن الطاعات

جزء من الإيمان يريد بها فعل الواجبات واجتناب المحرمات، وحينئذ يصح العطف لحصول المغايرة وبقوله تعالى : ﴿**ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن**﴾ أي في حالة الإيمان فيقتضي المغايرة، وإلا لكان المعنى ومن يعمل بعض الإيمان في حال حصول ذلك البعض، أو من يعمل من الإيمان حال حصوله، وحينئذ فيلزم تقدم الشيء على نفسه وتحصيل الحاصل .

وأُجيب بما تقدم وبقوله تعالى : ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا**﴾[1]. حيث اثبت الإيمان لمن ارتكب بعض المعاصي .

واجيب بأنهم سموا مؤمنين باعتبار ما كانوا عليه وبقوله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾ حيث أمرهم بالتقوى التي هي عبارة عن فعل الطاعات وترك المنهيات مع وصفهم بالإيمان فيدل على عدم حصول التقوى لهم مع وصفهم بالإيمان، فلا تكون الأعمال جزءاً .

وأُجيب بجواز إرادة المعنى اللغوي من الإيمان الذي وصفوا به، ويكون المأمور به هو الشرعي. وبالآيات الدالة على كون القلب محلاً للإيمان من دون ضميمة كقوله تعالى : ﴿**أولئك كتب في قلوبهم الإيمان**﴾ أي جمعه وأثبته، وقوله تعالى : ﴿**ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾ وقوله تعالى : ﴿**وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾ وقوله عليه السلام : يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك .

وأُجيب بأن ذلك لا يدل على حصر الإيمان في ذلك، ونحن نقول باعتبار ذلك في الإيمان واستدل أيضاً بالإجماع على أن الإيمان شرط لسائر العبادات، والشيء لا يكون شرطاً لنفسه فلا يكون الإيمان هو العبادات .

وأُجيب بأنا نقول بكون التصديق بمسائل الأُصول شرطاً لصحة العبادات التي هي الإيمان، ولا يلزمنا بذلك أن تكون تلك المسائل هي الإيمان، فإن سميتموها إيماناً بالمعنى اللغوي فلا مشاحة، وإن قلتم هي الإيمان الشرعي فهو محل نزاع، ودليلكم لا يدل عليه. وإن كان الثاني فإما أن يكون عبارة عن التلفظ بالشهادتين فقط، وهو مذهب الكرامية واستدلوا على مذهبهم بأن النبي والصحابة كانوا يكتفون في الخروج من الكفر بكلمتي الشهادة، فتكون هي الإيمان إذ لا واسطة بين الكفر والإيمان، لأن الكفر عدم الإيمان، وبقوله تعالى : ﴿**فمنهم كافر ومنهم مؤمن**﴾ وبقوله صلى الله عليه وآله أُمرت أن أُقاتل الناس

---

(١) سورة الحجرات؛ الآية: ٩ .

حتى يقولوا لا إله إلا الله. وبقوله لأسامة حين قتل من تكلم بالشهادتين هلا شققت قلبه، أو هل شققت على بعض النسخ يريد بذلك الانكار عليه حيث لم يكتف بالشهادتين منه .

وأجيب عن الأول بأنهم إن أرادوا بالخروج عن الكفر بكلمتي الشهادة الخروج في نفس الأمر بحيث يصير مؤمناً عن الله بمجرد ذلك من دون تصديق فهو ممنوع، ولم لا يجوز أن يكون اكتفاؤهم بذلك للترغيب في الإسلام لا للحكم بالإيمان. وإن أرادوا به الخروج بحسب الظاهر فمسلم، ولا ينفعهم إذ الكلام فيما يتحقق به الإيمان الواقعي عند الله. وأما نفي الواسطة فهو مستقيم على أخذ الحكم في نفس الأمر، فلا دلالة فيه والآية الكريمة يمكن تنزيلها أيضاً على ما هو في نفس الأمر، فإن حال المكلف في نفس الأمر لا يخلو عن أحدهما، وأما جعل لا إله إلا الله غاية للقتال فلا يدل على أكثر من ثبوت الإسلام، وكون ذلك للترغيب في الإسلام بسبب حقن الدماء، على أن النبي ﷺ لم يكن مكلفاً بالقتال على ما في القلوب. وأما الحديث فمع ضعف سنده وعدم حجيته لا يدل على أكثر من كون هذه الكلمة موجبة لحقن الدم ظاهراً، على أنه ربما دل على اعتبار التصديق لأن النبي ﷺ لما أنكر عليه فعله ذلك فكأنه قال له هلا شققت قلبه لتجد فيه الإيمان أو عدمه، أو هل شققته فلم تجده حتى فعلت ما فعلت. ويرد قولهم أيضاً قوله تعالى : ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾[1] . فنفى تعالى ما زعموه إيماناً وهو التصديق القولي، أو عبارة عن جميع أفعال الجوارح والطاعات بأسرها فرضاً أو نفلاً، وهو مذهب الخوارج وقدماء المعتزلة والعلاف والقاضي عبد الجبار مستدلين بقوله تعالى : ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة**﴾[2] . والمشار إليه بذلك هو جميع ما حصر بإلا وما عطف عليه والدين هو الإسلام لقوله تعالى : ﴿**ان الدين عند الله الإسلام**﴾ والإسلام هو الإيمان لقوله تعالى : ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه**﴾ ولا ريب ان الإيمان مقبول من مبتغيه للنص والإجماع، فيكون اسلاماً فيكون ديناً فيعتبر فيه الطاعات كما دلت عليه الآيات .

وأجيب بالمنع من اتحاد الدينين في قوله : ﴿**وذلك دين القيمة**﴾ وقوله : ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ ولو سلم اتحادهما فلا نسلم ان الإيمان هو الإسلام ليكون هو الدين،

---

(١) سورة الحجرات؛ الآية: ١٤ .
(٢) سورة البينة؛ الآية : ٥ .

فتعتبر فيه الطاعات لما لا يجوز ان يكون الإيمان شرطاً للإسلام أو جزءً منه أو بالعكس، وشرط الشيء وجزؤه يقبل مع كونه غيره ولا يلزم من ذلك ان يكون الإيمان هو الدين بل شرطه أو جزؤه، على أنا لو قطعنا النظر عن جميع ذلك فالآية الكريمة إنما تدل على ان من ابتغى وطلب غير دين الإسلام ديناً فلن يقبل منه ذلك المطلوب، ولم تدل على ان من صدق بما أوجبه الشارع عليه لكنه ترك فعل بعض الطاعات غير مستحل انه طالب لغير دين الإسلام، إذ ترك الفعل يجتمع مع طلبه لعدم المنافاة بينهما، فإن الشخص قد يكون طالباً للطاعة مريداً لها لكنه تركها إهمالاً وتقصيراً ولا يخرج بذلك عن ابتغائها، واستدلوا أيضاً بقوله تعالىٰ: ﴿**وما كان الله ليضيع إيمانكم**﴾ أي صلواتكم إلى بيت المقدس.

وأُجيب بأنه يجوز أن يكون المراد تصديقكم بتلك الصلاة على أن الصلاة جزء من الطاعات، وهم يزعمون أن الإيمان جميع الطاعات أو عبارة عن جميع أفعال الجوارح من الواجبات وترك المحظورات دون النوافل، وهو مذهب أبي علي الجبائي وأبيه أبي هاشم وأكثر معتزلة البصرة، وقد يستدل لهم بقوله تعالىٰ: ﴿**إنما يتقبل الله من المتقين**﴾ ولا تتحقق التقوىٰ إلا بفعل المأمور به وترك المنهي عنه، فلا يكون التصديق مقبولاً ما لم تحصل التقوىٰ، وبما روي أن الزاني لا يزني وهو مؤمن، وبقوله عليه السلام: لا إيمان لمن لا أمانة له، وبقوله تعالىٰ: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾[1].

وأُجيب عن الأول بأنه لعل المراد أن الأعمال البدنية لا تقبل إلا بالتقوىٰ، والمراد أن من عمل عملاً إنما يكون مقبولاً، إذا كان متقياً فيه بأن يكون مخلصاً على انها أخص من المدعىٰ الذي هو جميع الواجبات. وعن الثاني والثالث بأنه محمول على المبالغة أو يخصص بالمستحل لدلائل أُخر، وأما الآية فمعارضة بقوله تعالىٰ: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**﴾[2]. والفاسق مؤمن على الأقوىٰ، أو بين المنزلتين، أو ان المعنىٰ ومن لم يحكم بما أنزل الله عمداً مع علمه فهو كافر، أو المراد بالكفر أحد معانيه الآتية، إذ قد يطلق على ترك الفريضة مطلقاً. وان كان الثالث وهو كونه من أفعال القلوب والجوارح معاً، فهو إما أن يكون عبارة عن أفعال القلوب مع جميع أفعال الجوارح من الطاعات، وهو قول المحدثين وجملة من العامة كابن مجاهد وغيره، حيث قالوا ان الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان. وإلى هذا القول ذهب الشيخ

---

(١) سورة المائدة؛ الآية: ٤٤ .

(٢) سورة المائدة؛ الآية: ٤٧ .

المفيد رحمه الله منا، واستدلوا بما استدل به أهل التصديق مع ما استدل به أهل الأعمال، وقد عرفت الجواب إلا ان لهذا القول في أخبار أئمة الهدىٰ شواهد كثيرة. ففي الكافي عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال : الإيمان إقرار وعمل، والإسلام إقرار بلا عمل .

وعن الصادق عليه السلام قال : الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس شهادة ان لا إلٓه إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان، فهذا الإسلام. وقال الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا، فإن أقرّ بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً وكان ضالاً .

وعنه عليه السلام : الإسلام شهادة أن لا إلٓه إلا الله، والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس. والإيمان الهدىٰ وما ثبت في القلوب من صفة الإسلام، وما ظهر من العمل، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة .

وعن حمران عن الباقر عليه السلام قال : الإيمان ما استقر في القلب وأفضىٰ به إلى الله عز وجل وصدقه العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره. والإسلام ما ظهر من قول أو فعل .

وعن الصادق عليه السلام : الإيمان هو الإقرار باللسان، وعقد في القلب، وعمل بالأركان .

وعن الباقر عليه السلام قال : قيل لأمير المؤمنين عليه السلام من شهد أن لا إلٓه إلا الله وأن محمداً رسول الله كان مؤمناً قال: فأين فرائض الله .

وعن الصادق عليه السلام : الإيمان ان يطاع الله فلا يعصىٰ .

وعنه عليه السلام : الإيمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل .

وعن محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال : سألته عن الإيمان فقال شهادة أن لا إلٓه إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله وما استقر في القلوب من التصديق بذلك، قال قلت الشهادة أليست عملاً. قال بلىٰ. قلت العمل من الإيمان، قال نعم الإيمان لا يكون إلا بعمل، والعمل منه، ولا يثبت الإيمان إلا بعمل .

وعنه عليه السلام : دين الله اسمه الإسلام، وهو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم وبعد ان تكونوا، فمن أقر بدين الله فهو مسلم، ومن عمل بما أمر الله عز وجل به فهو مؤمن .

وفي كنز الفوائد للكراجكي عن يونس بن يعقوب عن الصادق عليه السلام قال : ملعون من قال الإيمان قول بلا عمل .

وفي معاني الأخبار عن الصادق عليه السلام قال : قد سمى الله المؤمنين بالعمل الصالح مؤمنين، ولم يسم من ركب الكبائر وما وعد الله عليه النار مؤمناً في قرآن ولا أثر، ولم يسمهم بالإيمان بغير ذلك الفعل .

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ليس الإيمان بالتخلي ولا بالتمني، ولكن الإيمان ما خلص في القلب وصدقته الأعمال .

وعنه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : الإيمان قول وعمل أخوان شريكان .

وفي العيون عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله قال : الإيمان معرفة في القلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان .

وعن الهروي عن الرضا عليه السلام قال : الإيمان عقد بالقلب ولفظ باللسان وعمل بالأركان، لا يكون الإيمان إلا هكذا .

وعنه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : الإيمان إقرار باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالأركان، والأخبار في ذلك كثيرة .

وأما أن يكون الإيمان عبارة عن التصديق مع كلمتي الشهادة، ونسب إلى طائفة منهم أبو حنيفة لما ذكره الكرامية وأهل التصديق وقد تقدم ما فيه. أو يكون عبارة عن التصديق بالقلب مع الإقرار باللسان، وهو مذهب جماعة من المتأخرين منهم المحقق الطوسي رحمه الله في التجريد، فإنه اعتبر في حقيقة الإيمان مع التصديق الإقرار باللسان. قال ولا يكفي الأول لقوله تعالىٰ : ﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم**﴾ أثبت للكفار الاستيقان النفسي وهو التصديق القلبي، فلو كان الإيمان هو التصديق القلبي فقط لزم اجتماع الكفر والإيمان، وهو باطل لتقابلهما، تقابل العدم والملكة. ولا الثاني يعني الإقرار باللسان لقوله تعالىٰ : ﴿**قالت الأعرب آمنا**﴾ الآية ولقوله تعالىٰ : ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين**﴾ فأثبت لهم في الآيتين التصديق باللسان ونفى عنهم الإيمان، واستدل له أيضاً بقوله تعالىٰ : ﴿**فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين**﴾ وقوله تعالىٰ حكاية عن موسىٰ إذ يقول لفرعون : ﴿**لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض**﴾ ولو كان الإيمان مجرد العلم لكان فرعون مؤمناً، وهو باطل وفيه نظر

يعرف بالتأمل. وكيف كان فهذه أقوال سبعة في حقيقة الإيمان، والإمامية قالوا بثلاثة منها، قد عرفت أدلة الجميع من الآيات والأخبار ويمكن الجمع بين الأدلة والروايات بأحد وجوه :

الوجه الأول : ان نقول الإيمان يطلق في الشرع على معان :

أحدهما : العقائد الحقة مع ترك الكبائر وفعل الفرائض التي يكون تركها كبيرة، كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد ونحوها، ويستفاد ذلك من أخبار كثيرة تقدم ذكرها ويأتي جملة منها .

وثانيها : العقائد الحقة مع فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرمات، ويدل عليه بعض الأخبار .

وثالثها : اليقين الكامل بالعقائد الحقة مع فعل الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات .

ورابعها : محض اليقين بالعقائد الضرورية مع عدم إنكارها باللسان أو مع الإقرار بها بدون ضرورة وتقية .

وأكثر الأحاديث تدل على المعنىٰ الأول كما تقدم جملة منها، ومنها ما رواه الصدوق في الفقيه عن محمد بن مسلم قال : قال أبو جعفر عليه السلام : إذا زنىٰ الزاني خرج منه روح الإيمان، فإن استغفر عاد إليه. قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن. وورد ان أصحاب الكبائر ليسوا بمؤمنين ولا كافرين بل مسلمون ترجىٰ لهم الشفاعة. وورد ان تارك الصلاة كافر، ومانع الزكاة كافر، وتارك الحج كافر، وثمرة هذا الإيمان عدم استحقاق المذلة والإهانة والعذاب والعقاب في الدنيا والآخرة، لأن ترك الكبائر مكفر لفعل الصغائر .

ومما يدل على ان الإيمان يطلق على العقائد الحقة مع فعل جميع الواجبات وترك المحرمات ما رواه في الكافي، عن محمد بن حكيم قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام الكبائر تخرج من الإيمان قال نعم، وما دون الكبائر. قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن وفيه دلالة على ان الزنا والسرقة دون الكبائر .

وعن عبيد بن زرارة قال : دخل ابن قيس الماصر، وعمرو بن ذر، وأظن معهما أبو

حنيفة على أبي جعفر عليه السلام، فتكلم ابن قيس الماصر فقال إنّا لا نخرج أهل دعوتنا وأهل ملتنا من الإيمان في المعاصي والذنوب. قال: فقال له أبو جعفر يا ابن قيس أما إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن، فاذهب أنت وأصحابك حيث شئت، وثمرة هذا الإيمان مضافاً إلى ما سبق الالتحاق بالمقربين والحشر مع الصديقين، وتضاعف الأجر والثواب.

ومما يدل على اطلاق الإيمان على فعل جميع الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات، مضافاً إلى العقائد الحقة مع التحلي بالفواضل والفضائل، والتخلي من النقائص والرذائل، قوله تعالىٰ: **﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون﴾**[1] الآيات. وما ورد في خبر همام عن أمير المؤمنين عليه السلام من صفات المؤمن وعلاماته. انه هو الكيِّس الفطن، بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً، وأذل شيء نفساً، لا حقود ولا حسود، ولا وثاب ولا سباب، ولا عياب ولا مغتاب، طويل الغم بعيد الهم، كثير الصمت، وقور ذكور صبور شكور، مغموم بفكره مسرور بقلبه، إلى غير ذلك، ولعل هذا مخصوص بالأئمة الطاهرين عليهم السلام. وقد يطلق الإيمان على محض العقائد الحقة والإقرار بها، أو عدم إنكارها بدون الأعمال مطلقاً، بشرط ان لا يصدر منه ما يوجب الارتداد وإنكار الضروريات. وثمرة هذا الإيمان حقن المال والدم والعرض في الدنيا، وعدم الخلود في العذاب في الآخرة. وقد يطلق أيضاً على مجرد الإقرار بالشهادتين وعدم إنكار ضروري الدين، وإن لم يكن معتقداً لذلك بقلبه، وفائدته منحصرة في الدنيا من إجراء أحكام الإسلام الظاهرة عليه، وأما في الآخرة فهو كافر. وحينئذ فيمكن حمل اختلاف الأخبار في الإيمان على هذه المعاني بحسب المناسبة.

الوجه الثاني: ان يقال ان الإيمان عبارة عن العقائد الحقة، والأعمال شروط له لا شطور، وبذلك يجمع بين الآيات والأخبار ولا يخلو من بعد.

الوجه الثالث: ان يقال في وجه الجمع بين الآيات والأخبار المختلفة، ان الإيمان له مراتب ودرجات، وهو عبارة عن العقائد الحقة والأعمال شرط في كماله، أو جزء من الإيمان الكامل لا من أصل الإيمان.

وتختلف مراتب كمال الإيمان باختلاف مراتب الطاعات وترك المعاصي، أو يقال ان

---

(١) سورة المؤمنون؛ الآية: ١.

الإيمان عبارة عن الاعتقاد الصحيح، والاعتقاد والإيمان يتزايدان ويكملان بالطاعات والعبادات، إلى ان يصل إلى مرتبة اليقين، ولليقين مراتب وكل مرتبة من مراتبه لها شواهد وآثار من الأعمال تظهر على الأعضاء والجوارح، كما يحذر الإنسان من عدوة تارة بسماع هجومه عليه، وتارة برؤيته من بعيد صائلاً عليه، وتارة برؤيته قد قرب منه، وتارة بمقابلته له وحربه إياه، فإن لكل من هذه الأمور مرتبة واستعداداً خاصاً. ولذلك شواهد كثيرة من الآيات والآثار والأخبار. قال تعالىٰ: ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ وقال تعالىٰ في شأن الكفار: ﴿**أموات غير أحياء**﴾ أراد موت قلوبهم دون أجسادهم. وقال تعالىٰ: ﴿**أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً**﴾[1]. وقال تعالىٰ: ﴿**لا تعمىٰ الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وان الضار النافع هو الله عز وجل.

وعن الرضا عليه السلام قال: كان في الكنز الذي قال الله عز وجل كان تحته كنز لهما بسم الله الرحمٰن الرحيم عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن رأىٰ الدنيا وتقلبها كيف يركن إليها، وينبغي لمن عقل من الله أن لا يتهمه في قضائه، ولا يستبطئه في رزقه. والحاصل ان للإيمان في الشرع إطلاقات:

أحدها: ما يرادف الإسلام وفائدته حقن الدم والمال في الدنيا.

وثانيها: على التصديق القلبي والإقرار اللساني كما في فساق المؤمنين، وثمرته عدم الدخول في النار.

وثالثها: على ما ذكر مع ترك الكبائر وفعل الفرائض التي تركها كبيرة، كالصلاة والزكاة والحج، ولذا ورد تارك الصلاة كافر.

ورابعها: اطلاقه على جميع الاعتقادات مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات.

وخامسها: اطلاقه على ما ذكر مع الاتيان بالمستحبات وترك سائر المكروهات، وفائدته تضاعف الدرجات وعليه ينزل ما روي أن من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا ينامنّ وحده، أو فلا يأكل وحده.

---

(١) سورة الفرقان؛ الآية: ٤٤.
(٢) سورة الحج؛ الآية: ٤٦.

وسادسها : اطلاقه على ما ذكر مع التوجه بكله إلى عالم الملكوت، وصرف الوقت في الإقبال على جنابه تعالىٰ، وهو الإيمان الكامل، وينافيه فعل المباحات، ولذا تاب الأنبياء وكثر بكاؤهم وحنينهم .

٢ ـ حقيقة الإيمان :

قد اختلف المتكلمون في أن حقيقة الإيمان بعد الاتصاف بها هل تقبل الزيادة والنقصان أم لا ، وربما جعل بعضهم هذا الخلاف فرع الخلاف في ان الأعمال هل هي جزء من الإيمان أم لا ، فمن قال بالجزئية قال بالأول، لأن الأعمال تزيد وتنقص، ومن قال بعدم جزئيتها قال بعدم قبوله الزيادة والنقصان. وكيف كان فالأكثر على عدم قبوله للزيادة لأن التصديق القلبي الذي بلغ الجزم والثبات لا يتصور فيه الزيادة عن ذلك ولا تعرض له النقيصة، وإلا لما كان ثابتاً. وأيضاً حقيقة الشيء لو قبلت الزيادة والنقصان لكانت حقائق متعددة وقد فرضناها واحدة وأول الآيات والأخبار الدالة على ذلك يحملها على زيادة الكمال وهو أمر خارج عن أصل الحقيقة والحق انه يقبل الزيادة والنقصان لأنه من الأمور الاعتبارية، وقد جعل له الشارع حقائق متفاوتة بحسب مراتب المكلفين في قوة الإدراك وضعفه، فإنا نقطع بتفاوت المكلفين في العلم والإدراك، ولا ريب بأنا نقطع بأن تصديقنا ليس كتصديق النبي ﷺ والأئمة، بل ولا كتصديق سلمان، ولا تصديق أبي ذر كتصديق سلمان، وهكذا دلنا على ذلك قوله تعالىٰ : **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم. وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾**[1]. وقال تعالىٰ : **﴿وازدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾** وقال تعالىٰ : **﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا﴾**[2] .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال : ان الله تعالىٰ وضع الإيمان على سبعة اسهم، على البر والصدق واليقين والرضا والوفا والعلم والحلم، ثم قسم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل محتمل، وقسم لبعض الناس السهم، ولبعض السهمين، ولبعض الثلاثة، حتى انتهوا إلى سبعة، ثم قال: لا تحملوا على صاحب السهم سهمين، ولا على صاحب السهمين ثلاثة فتبهظوهم ثم قال كذلك حتى ينتهي إلى سبعة .

---

(١) سورة الأنفال؛ الآية: ٢ .

(٢) سورة المائدة؛ الآية: ٩٣ .

وعنه عليه السلام قال : ان الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء، حتى انتهىٰ إلى العاشر، ولا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، فإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، فإن من كسر مؤمناً فعليه جبره .

وعنه عليه السلام وقد جرىٰ ذكر قوم فقيل له إنّا نتبرأ منهم أنهم لا يقولون ما نقول. قال فقال يتولّونا ولا يقولون ما تقولون تبرأون منهم، قيل نعم، قال هو ذا عندنا ما ليس عندكم، فينبغي لنا أن نتبرأ منكم، قيل لا جعلت فداك. قال فهو ذا عند الله ما ليس عندنا أفتراه اطرحنا قيل لا والله جعلت فداك ما نفعل. قال فتولّوهم ولا تبرأوا منهم، ان من المسلمين من له سهم ومنهم من له سهمان، إلى أن عد سبعة، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، وعد هكذا إلى السبعة، والأخبار في ذلك كثيرة .

وعن الباقر عليه السلام قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض أسفاره إذ لقيه ركب، فقالوا السلام عليك يا رسول الله فقال ما أنتم، فقالوا نحن مؤمنون يا رسول الله، قال فما حقيقة إيمانكم، قالوا الرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله والتسليم لأمر الله، فقال صلى الله عليه وآله علماء حلماء كادوا ان يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون .

وعن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال : استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري، فقال له كيف أنت يا حارثة فقال يا رسول الله عزفت نفسي - أي زهدت عن الدنيا - فأسهرت ليلي وأظمأت هواجري فكأني أنظر إلى عرش ربي وقد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة، وكأني أسمع عواء أهل النار - أي صياحهم - في النار. فقال صلى الله عليه وآله هذا عبد نوّر الله قلبه، أبصرت فأثبت. فقال يا رسول الله أدع الله لي أن يرزقني الشهادة معك. فقال صلى الله عليه وآله اللهم ارزق حارثة الشهادة، فلم يلبث إلا أياماً حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية فبعثه فيها، فقاتل فقتل تسعة أو ثمانية ثم قتل، وفي رواية استشهد مع جعفر بن أبي طالب بعد تسعة نفر وكان هو العاشر .

٣ ـ اجزاء الايمان والمعارف التي يحصل بها :

قال المحقق الطوسي رحمه الله في قواعد العقائد إن أُصول الإيمان عند الشيعة ثلاثة،

التصديق بوحدانية الله تعالى في ذاته والعدل في أفعاله، والتصديق بنبوة الأنبياء، والتصديق بإمامة الأئمة عليهم السلام ، وكأنه رحمه الله جعل التصديق بضروريات دين الإسلام التي يكفر منكرها إجماعاً داخلة في التصديق بالنبوة، فإن انكارها انكار للنبوة .

وقال الشهيد الثاني رحمه الله في رسالة الإيمان : المعارف التي يحصل بها الإيمان خمسة أصول :

الأول : معرفة الله تعالى، والمراد بها التصديق الجازم الثابت بأنه تعالى موجود أبداً وأزلاً واجب الوجود لذاته، بمعنى أن وجوده تعالى مقتضى ذاته القديم من غير افتقار إلى علة في ذاته ووجوده، فيكون وجوده القديم عين ذاته، إذ لو فرض عدم قدم ذاته أو وجوده لزم تخلف ذاته أو وجوده عن كونه واجب الوجود وهذا خلف. والتصديق بصفات جلاله ونعوت كماله التي هي صفاته الثبوتية، وتنزيهه عما لا يليق بكبرياء ذاته من صفات مخلوقاته التي يجب سلب اعتقادها عنه. وقد اتفقت عبارات أهل الكلام في مقدار عددها، واختلفت في معدودها .

فجعلها المحقق الطوسي رحمه الله في تجريده ثمانية : القدرة والعلم والحياة والإرادة والإدراك والكلام والصدق والسرمدية. وجعلها بعضهم هذه لكن اعتبر موضع الإدراك السمع والبصر، ولم يعتبر الصدق واعتبر البقاء موضع السرمدية. ولا يخفى أولوية اعتبار الإدراك فإنه أعم من السمع والبصر، وكأنه لما رأى أن معنى كونه مدركاً، أنه عالم بالمدركات اكتفى عنه بالعلم وآثر ذكر السميع والبصير لورودهما في القرآن العزيز. والإدراك وإن ورد كذلك إلا انه ورد خاصاً بالإبصار، والغرض جعله صفة عامة. وأما عدم اعتبار الصدق فلعله اكتفى عنه بذكر العدل، فإنه يرجع إليه بنوع من الاعتبار .

وجعلها العلامة في كثير من كتبه الكلامية ثمانية أيضاً، القدرة والعلم والحياة والإرادة والكراهة والإدراك، وانه قديم أزلي باق أبدي، وأنه متكلم، وانه صادق، فزاد اعتبار الكراهية ومن اكتفى بذكر الإرادة رأى أن الكراهة هي إرادة الترك، ولذا عدهما بعضهم واحدة وزاد اعتبار القدم والأزلية والأبدية لأنها تفصيل معنى السرمدية وهو أولى من الاجمال. ومن عدها واحدة فلرجوعها إلى معنى واحد وهو السرمدية. ووجه الاقتصار على هذه الثمانية مع أن صفاته تعالى كثيرة جداً، أن الغرض بيان الصفات الذاتية الحقيقية، وما عد المذكورات إما إضافة محضة كالخالق والرازق والحفيظ إلى غير ذلك، أو ترجع إلى المذكورات على أنه يمكن أيضاً رد جميع الصفات إلى القدرة والعلم، فإن الإرادة

والكلام يرجعان إلى القدرة وما سواهما إلى العلم، بل يمكن رد الجميع إلى وجوب الوجود. ثم قال ولا حرج في اختلاف العبارات في تعداد هذه الصفات، فإن الغرض منها تقريب معرفة الواحد تعالى إلى أفهام أهل التوحيد .

الثاني : التصديق بعدله، أي بأنه عادل. والتصديق بحكمته، أي بأنه حكيم والمراد بالعدل المنسوب إليه تعالى بحيث صار باعتباره عادلاً ما قابل الظلم والجور، وبكونه عدلاً أنه لا يفعل القبيح ولا يخل بالواجب الذي أوجبه على نفسه من الالطاف الخفية الراجعة إلى بريته، ويترتب على ذلك اعتقاد انه لا يرضى بالقبيح؛ فما يصدر عنا من القبائح، مستند إلى قدرتنا واختيارنا وإيجادنا الفعل بهما مع إرادتنا. وإن كانت القدرة من فعل الله تعالى فإنها آلة، وفاعل الآلة ليس فاعلاً لما يصدر بواسطتها، ويتفرع على عدم اخلاله بالواجب تكليف المكلفين، وإثابة المطيعين، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب مبشرين ومنذرين، وأما الحكمة فتطلق على ترك القبيح الذي هو الاخلال بالواجب، وعلى العلم بحقائق الأمور، وعلى معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. والمراد بالحكمة في باب العدل المعنى الأول، فهي داخلة فيه وذكرها في مقابلة العدل حيث يقال عدله وحكمته إما لتجريد العدل عن معنى ترك القبيح لترادفهما ولتلازمهما، أو بالمعنى الثاني وهي داخلة في العلم بالمعنى الثالث .

الثالث : التصديق بنبوة محمد المصطفى ﷺ وبجميع ما جاء به تفصيلاً في ما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً، وليس بعيداً أن يكون التصديق الإجمالي بجميع ما جاء به كافياً في تحقق الإيمان، وإن كان المكلف قادراً على العلم بذلك تفصيلاً، ويجب العلم بتفاصيل ما جاء به من الشرائع للعمل به، وأما تفصيل ما أخبر به من أحوال المبدء والمعاد، كالتكليف بالعبادات، والسؤال في القبر وعذابه، والمعاد الجسماني. والحساب والصراط، والجنة والنار، والميزان وتطاير الكتب، مما ثبت مجيئه ﷺ به متواتراً، فهل التصديق بتفاصيله معتبر في تحقق الإيمان. صرح باعتباره جمع من العلماء، والظاهر أن التصديق به إجمالاً كاف، بمعنى ان المكلف لو اعتقد حقية كل ما جاء به ﷺ بحيث كلما ثبت عنده جزئي منها صدَّق به تفصيلاً كان مؤمناً، وإن لم يطلع على تفصيل تلك الجزئيات بعد. ويؤيد ذلك ان أكثر الناس في الصدر الأول لم يكونوا عالمين بهذه التفاصيل في الأول، بل كانوا يطلعون عليها وقتاً فوقتاً مع الحكم في كل وقت من حين التصديق بالوحدانية والرسالة، بل هذا حال أكثر الناس في جميع الأعصار كما هو المشاهد، فلو اعتبرناه لزم خروج أكثر أهل الإيمان عنه، وهو بعيد عن حكمة العزيز

الحكيم. نعم العلم بذلك لا ريب انه من مكملات الإيمان، وقد يجب العلم به محافظة على صيانة الشريعة عن النسيان، وتباعداً عن شبه المضلين، وإدخال ما ليس من الدين فيه فهذا سبب آخر لوجوبه لا لتوقف الإيمان عليه، وهل يعتبر في تحقق الإيمان التصديق بعصمته وطهارته وان لا نبي بعده وغير ذلك من أحكام النبوّات وشرائطها. يظهر من كلام بعض العلماء ذلك حيث ذكر ان من جهل شيئاً من ذلك خرج عن الإيمان، ويحتمل الاكتفاء بما ذكرناه من التصديق الإجمالي.

أقول ينبغي أن يضم إلى ذلك الاعتقاد بضروريات الدين وعدم إنكار شيء منها للاتفاق على كفر منكرها.

الرابع: التصديق بإمامة الإثني عشر، وهذا الأصل اعتبره في تحقق الإيمان الطائفة المحقة الإمامية، حتى انه من ضروريات مذهبهم دون غيرهم من المخالفين فإنها عندهم من الفروع، ثم إنه لا ريب انه يشترط التصديق بكونهم أئمة يهدون بالحق وبوجوب الانقياد إليهم في أوامرهم، إذ الغرض من الحكم بإمامتهم ذلك، فلو لم يتحقق التصديق بذلك لم يتحقق التصديق بكونهم أئمة. أما التصديق بكونهم معصومين مطهرين من الرجس كما دلت عليه الأدلة العقلية والنقلية، والتصديق بكونهم منصوصاً عليهم من الله تعالىٰ ورسوله، وأنهم حافظون للشرع عالمون بما فيه صلاح أهل الشريعة من أمور معاشهم ومعادهم وان علمهم ليس عن رأي واجتهاد، بل عن يقين تلقوه عمن لا ينطق عن الهوىٰ خلفاً عن سلف بأنفس قدسية، أو بعضه لدني من لدن حكيم خبير، أو غير ذلك مما يفيد اليقين. كما ورد في الحديث أنهم عليهم السلام محدثون، أي معهم ملك يحدثهم بجميع ما يحتاجون أو يرجع إليهم فيه، أو أنه يحصل لهم نكت في القلوب بذلك على أحد التفسيرين للحديث، وأنه لا يصح خلو العصر عن إمام منهم وإلا لساخت الأرض بأهلها، وأن الدنيا تتم بتمامهم لا يصح زيادتها عليهم وأن خاتمهم المهدي صاحب الزمان، وأنه حي إلى أن يأذن الله تعالىٰ له. فهل يعتبر في تحقق الإيمان، أم يكفي اعتقاد إمامتهم ووجوب طاعتهم في الجملة فيه الوجهان السابقان في النبوة. ويمكن ترجيح الأول بأن الذي دل على ثبوت إمامتهم دل على جميع ما ذكر خصوصاً العصمة لثبوتها بالعقل والنقل، وليس بعيداً الاكتفاء بالأخير على ما يظهر من جل رواتهم ومعارضتهم من شيعتهم في أحاديثهم، فإن كثيراً منهم ما كانوا يعتقدون عصمتهم لخفائها عليهم، بل كانوا يعتقدون أنهم علماء أبرار يعرف ذلك من تتبع سيرهم وأحاديثهم. ففي كتاب أبي عمر الكشي جملة مطلعة على ذلك، مع أنه المعلوم من سيرتهم مع هؤلاء أنهم كانوا حاكمين بإيمانهم بل

عدالتهم، وهل يكفي كل شخص اعتقاد إمامة من مضىٰ منهم إلى إمام زمانه، وإن لم يعتقد إمامة الأئمة الباقين الذين وجدوا وانتهت الإمامة إليهم بعد انقراضهم. الظاهر ذلك وفي كثير من كتب الأحاديث والرجال ما يشعر بذلك فليطلب منها. والدليل إنما يدل على وجوب اعتقاد إمامة الاثني عشر بالنظر إلى من تأخر زمانه عن تمام عددهم، فليتأمل كيف وقد كانوا في كل زمان مختفين مشردين ملتزمين للتقية في أكثر أوقاتهم، لا يستطيعون إخبار خواصهم بإمامتهم فضلاً عن غيرهم، يشهد بذلك كتب الرجال والأحاديث أيضاً، وحينئذ فلا بد من الاكتفاء بما ذكرناه وإلا لزم خروج أكثر شيعتهم عن الإيمان وهو باطل .

أقول الاكتفاء في الإيمان بإمامتهم ووجوب إطاعتهم على الاجمال مطلقاً لا يخلو من تعسف واختلال، فإن كثيراً من الأمور كانت من ضروريات مذهبهم ودينهم عليهم السلام ، فإنكارها أو عدم اعتقادها خروج من دينهم عليهم السلام ، كحلية المتعة، وعدم جواز المسح على الخفين، والإقرار بقائمهم عليهم السلام ، وأن كل زمان لا يخلو من أحدهم، وبالجملة فيجب الإيمان بضروريات مذهبهم عليهم السلام زيادة على ما ذكره رحمه الله من الإجمال. نعم لو فرض أنّ بعض المسائل التي هي الآن ضرورية عندنا لم تكن ضرورية في الأزمنة السالفة لم يخرج منكرها عن الإيمان، ولذا ورد في جملة من الأخبار ليس من شيعتنا من لم يؤمن برجعتنا، ومن أنكر المتعة، ومن أنكر القبر، ونحو ذلك لكون ذلك من ضروريات مذهبهم عليهم السلام . والظاهر ان القول بعصمتهم من الضروريات، وإلا لم تثبت إمامة اللاحق بنص السابق منه، ولم نقف على نقل وأثر يتضمن إنكار أحد من ثقات الرواة لعصمتهم عليهم السلام . وما ورد من بحث زرارة ونحوه واعتراضه على الإمام، وطلبه الدليل من القرآن منه فله محامل ذكرها الأصحاب في مواضعها، منها انه يريد التثبت بذلك للمجادلة مع العامة وغايته أن يكون ذلك من التقصيرات التي يرجىٰ لهم العفو عنها، وأما الاعتقاد بالأئمة الباقين قبل زمانهم فالأقوىٰ فيه التفصيل بأنه إن بلغهم ذلك بأخبار متواترة وآثار متضافرة تفيد العلم واليقين وجب اعتقاد ذلك وإلا فلا، وقد تقدم في خبر فاطمة بنت أسد انها سئلت في القبر عن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام .

الخامس : في المعاد الجسماني، اتفق المسلمون قاطبة على إثباته، وذهب الفلاسفة إلى نفيه وقالوا بالروحاني. والمراد من الأول إعادة البدن بعد فنائه إلى ما كان عليه قبله، لنفع دائم أو ضرر دائم أو منقطع يتعلقان به، وذهب جمع من الأشاعرة إلى أن المراد منه هو إعادة مثل البدن، وهو ضعيف. ثم قال وأما عذاب القبر وما يتبع المعاد مما دل عليه السمع أيضاً، كالحساب والصراط والميزان وتطاير الكتب، ودوام عقاب الكافر

في النار، ودوام نعيم المؤمن في الجنة، فلا ريب أنه يجب التصديق بها إجمالاً لإتفاق الأئمة عليهم السلام وتواتر السمع المتواتر، فمنكرها يخرج عن الإيمان أما التصديق بتفاصيلها ككون الحساب على صفة كذا، والصراط على صفة كذا، والميزان هل هو ميزان حقيقة أو كناية عن العدل، إلى غير ذلك من التفاصيل التي طريقها الآحاد فظاهر ان الجهل بها غير مخل بالإيمان، وكذا كون جهنم تحت الأرض وكون الجنة فوق السماء. انتهىٰ كلامه رفع مقامه.

٤ ـ معنى الإسلام :

قد اختلف في معنى الإسلام أيضاً على أقوال، فقيل هو والإيمان واحد لقوله تعالى: ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**﴾[1]. وبقوله تعالىٰ: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ وقيل إن الإسلام عبارة عن الإقرار بالشهادتين واعتقادهما مع عدم إنكار ضروري من ضروريات الدين. وقيل انه مجرد الإقرار بالشهادتين وإن لم يعتقدهما، ولهذا كانت تجري أحكام الإسلام الظاهري على جملة من المنافقين. والحق ان الإسلام كالإيمان له مراتب ودرجات ويطلق على معاني كثيرة. ففي الكافي عن سليمان بن خالد عن الباقر عليه السلام قال: يا سليمان أتدري من المسلم. قلت جعلت فداك أنت أعلم. قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ثم قال وتدري من المؤمن، قال قلت أنت أعلم، قال المؤمن من ائتمنه المسلمون على أموالهم وأنفسهم.

وعن الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ألا أنبئكم بالمؤمن من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم، ألا انبئكم بالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السيئات وترك ما حرم الله.

وفي النهج عن أمير المؤمنين عليه السلام: لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي، الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل.

وفي الكافي عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿**قالت الأعراب آمنا**﴾ الآية، قال لي ألا ترىٰ ان الإيمان غير الإسلام. ونحوه عن أبي بصير عن الباقر عليه السلام، وتقدمت أخبار أخر في الفرق ويحمل ذلك على اختلاف مراتبه.

---

(١) سورة الذاريات؛ الآية: ٣٦.

٥ ـ هل يشترط في العقائد الإيمانية العلم اليقيني :

قد اختلف المتكلمون في أنه هل يشترط في العقائد الإيمانية العلم اليقيني أم يكفي الظن القوي، ويقرب من ذلك الخلاف في انه هل يجب ذلك بالدليل أم يكفي فيه التقليد. وظاهر الأكثر الأول، بل حكي الإجماع عليه للآيات والأخبار الدالة على النهي عن متابعة الظن، فإن شمولها لأصول الدين متيقن، ولو لم يكن إلا قوله تعالىٰ : **﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾** لكفى، وقوله تعالىٰ : **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾** حيث نفى الريب، فيكون الثابت هو اليقين. وقوله تعالىٰ : **﴿فاعلم أنه لا إلٰه إلا الله﴾** وللإجماع على وجوب المعرفة والتقليد وما في حكمه لا يوجب العلم، إذ لو أوجبه لزم اجتماع الضدين في مثل تقليد من يعتقد حدوث العالم ويعتقد قدمه، وللإجماع على أنه لا يجوز تقليد غير المحق، وإنما يعلم والمحق من غيره بالنظر في أن ما يقوله حق أم لا، وحينئذ فلا يجوز له التقليد إلا بعد النظر والاستدلال، وإذا صار مستدلاً امتنع كونه مقلداً، فامتنع التقليد في المعارف الإلهية .

وأُجيب بأن العلم شرعاً ما تسكن أن النفس كما عرفه السيد المرتضىٰ في الذريعة وغيره، فهو شامل للظن اللغوي، والظن المنهي عنه ما لا تسكن إليه النفس، والآية الثالثة أخص من المدعي لأنها إنما تدل على اعتبار اليقين في التوحيد دون سائر المعارف، والإجماع المركب دونه خرط القتاد، على ان الخطاب للرسول ﷺ ووجوب التأسي في ذلك ممنوع، والإجماع على وجوب العلم ممنوع، كيف والمخالف معروف بل ربما يعارض بوقوع الاجماع على خلافه لتقرير النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام والصحابة العوام على إيمانهم مع عدم الاستفسار عن الدلائل، وينقض الدليل الأخير بالشرعيات، فإنه لا يجوز تقليد المفتي إلا إذا كانت فتياه عن دليل شرعي، فإن اكتفىٰ في الاطلاع على ذلك بالظن فليكتف به هنا، وممن صرح بالاكتفاء بالظن في الأُصول المحقق الطوسي رحمه الله في الفصول وبعلم دليله مما سبق واحتج من أوجب التقليد في الأُصول بأن العلم بالله تعالىٰ غير ممكن، لأن المكلف به ان لم يكن عالماً به تعالىٰ امتنع ان يكون عالماً بأمره، وحال امتناع كونه عالماً بأمره يمتنع كونه مأموراً من قبله، وإلا لزم تكليف ما لا يطاق وإن كان عالماً به استحال أيضاً أمره بالعلم به استحالة تحصيل الحاصل، والجواب على قواعد الإمامية والمعتزلة ظاهر، فإن وجوب النظر والمعرفة عندهم عقلي لا سمعي .

وأُجيب أيضاً بأنه كما يدل على امتناع العلم بالمعارف الأُصولية يدل على امتناع

التقليد فيها أيضاً، فينسد باب المعرفة بالله تعالىٰ. ومن يرجع إليه في التقليد لا بد وأن يكون عالماً بالمسائل الأصولية ليصح تقليده، ثم يجري الدليل فيه فيقال علم هذا الشخص بالله تعالىٰ غير ممكن، لأنه حين كلف به إن لم يكن عالماً به تعالىٰ استحال أن يكون عالماً بأمره إلى آخر المقدمات، ولا مخلص لهم إلا ان يعترفوا ان وجوب المعرفة عقلي فيبطل ما ادعوه من أن العلم بالله تعالىٰ غير ممكن، أو سمعي فكذلك. وقيل إنه لا يجب على عامة الناس معرفة أُصول الدين بالدلائل التفصيلية وترتيب الأشكال المنطقية، وإنما يجب ذلك كفاية لدفع شبه الكفار والمعاندين، وهذا هو الظاهر من سيرة النبي ﷺ والأئمة مع سائر الناس، وأكثر الخلق كانوا بهذه الصفة، ولذا ورد عليكم بدين العجائز وبدين الأعرابي، حيث قال البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام على المسير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، لا يدلان على اللطيف الخبير. ولذا ترىٰ ان من اكتفوا بالدلائل الإجمالية، ولم يعرفوا الدور والتسلسل ولا اصطلاحات المتكلمين والمنطقيين أكمل إيماناً وأثبت جناناً وأشد اعتقاداً ممن يخوض في ذلك .

٦ ـ هل يمكن كفر المؤمن أم لا :

قد اختلف المتكلمون من العامة والخاصة في أن المؤمن بعد اتصافه بالإيمان الحقيقي في نفس الأمر هل يمكن أن يكفر أم لا. فالأكثر على إمكان ذلك ووقوعه لقوله تعالىٰ : **﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً﴾**(١) . وقوله تعالىٰ : **﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أُوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾**(٢) . وقوله تعالىٰ : **﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدىٰ الشيطان سول لهم وأملىٰ لهم﴾**(٣) . وقوله تعالىٰ : **﴿من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر﴾**(٤) . وقوله تعالى : **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبلهِ الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾**(٥) . والآيات في ذلك كثيرة، وذهب جماعة إلى عدم جواز زوال الإيمان الحقيقي بضد أو غيره ونسب ذلك إلى السيد المرتضىٰ رحمه الله وجماعة، لأن ثواب الإيمان دائم، وعقاب الكفر دائم، والاحباط والموافاة عنده باطلان، وان الارتداد الواقع

(١) سورة النساء؛ الآية: ١٣٧ .
(٢) سورة آل عمران؛ الآية: ١٠٠ .
(٣) سورة محمد؛ الآية: ٢٥ .
(٤) سورة البقرة؛ الآية: ٢١٧ .
(٥) سورة آل عمران؛ الآية: ١٤٤ .

من بعض الناس كاشف عن عدم الإيمان سابقاً وعن نفاقهم، وأول الآيات الدالة على ذلك بأن المراد بمن وصفهم بالإيمان الإيمان اللساني دون القلبي، وقد وقع مثله كثيراً في القرآن كقوله تعالىٰ : ﴿آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ .

وأما الأحكام التي قد وردت في الشريعة للمرتد، ونطق بها الكتاب والسنة، وأجمعت عليها الفرقة المحقة فغايتها الدلالة على ان من اتصف في ظاهر الشرع بالارتداد فحكمه كذا وكذا، ولا تدل على أنه صار مرتداً بذلك في نفس الأمر، فلعله كان كافراً في الأصل، وحكمنا بإيمانه ظاهراً للإقرار بما يوجب الإيمان مع بقائه على كفره عند الله تعالىٰ، وبفعله ما يوجب الارتداد ظاهراً حكمنا بارتداده، أو كان مؤمناً في الأصل وهو باق على إيمانه عند الله تعالىٰ، لكن لاقتحامه حرمات الشرع وتعديه هذه الحدود العظيمة جعل الشارع الحكم بالارتداد عليه عقوبة ليحسم بذلك مادة الاقتحام والتعدي من المكلفين فتتم نظام النواميس الإلهية .

قال الشهيد الثاني رحمه الله منتصراً للسيد : إن قلت يتصور زوال الإيمان بصدور بعض الأفعال الموجبة للكفر كما تقدم من السجود للأصنام وهتك حرمات الله ونحوها، قلت لا نسلم إمكان صدور فعل يوجب الكفر ممن اتصف بالعلم المذكور، بل صار ذلك الفعل ممتنعاً بالغير الذي هو العلم اليقيني وان أمكن بالذات، وحينئذ صدور بعض الأفعال المذكورة إنما كان لعدم حصول العلم المذكور، والحق انه لا يمكن الإعراض عن ظاهر الآيات بهذه الاعتبارات العقلية والوجوه الاعتبارية والاستبعادات الوهمية، وعلى تقدير الاكتفاء بالظن في المعارف فإمكان الزوال ظاهر، وعلى تقدير اعتبار اليقين فزوال اليقين الحاصل من البراهين العقلية والقوانين المنطقية ممكن أيضاً، اللهم إلا أن يكون اليقين في مرتبة الكمال، كيقين المقرَّبين والصديقين فزواله محال. وصدور تلك الأفعال الموجبة للخروج من الدين أيضاً محال، وأما ما عدىٰ ذلك فيمكن زواله لا سيما إذا قيل بأن الأعمال جزء من الإيمان، وان الزنا والسرقة ونحوهما توجب الخروج من الإيمان، كما تقدم كثير من الأخبار الدالة على ذلك، وبالجملة فالحق التفصيل في ذلك بالنسبة إلى مراتب الإيمان وبذلك تلتئم الآيات والأخبار .

ففي الكافي عن الحسين بن الحكم قال : كتبت إلى العبد الصالح أخبره أني شاك، وقد قال إبراهيم ﴿ربي أرني كيف تحيي الموتىٰ﴾ وإني أحب أن تريني شيئاً. فكتب عليه السلام إليه : إن إبراهيم كان مؤمناً وأحب أن يزداد إيماناً، وأنت شاك والشاك لا خير فيه.

وكتب عليه السلام إنما الشك ما لم يأت اليقين، فإذا جاء اليقين لم يجز الشك. الخبر .

وعن يونس عن بعض أصحابه عن أبي الحسن عليه السلام قال : ان الله تعالىٰ خلق النبيين على النبوة فلا يكونون إلا أنبياء، وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلا مؤمنين ، وأعار قوماً إيماناً فإن شاء تممه لهم وإن شاء سلبهم إياه. قال وفيهم جرت (فمستقر ومستودع) وقال لي ان فلاناً كان مستودعاً إيمانه، فلما كذب علينا سلب إيمانه ذلك .

وعن عيسىٰ شلقان قال : كنت قاعداً فمر أبو الحسن موسىٰ عليه السلام ومعه بهمه، قال فقلت يا غلام ما ترىٰ ما يصنع أبوك، يأمرنا بالشيء ثم ينهانا عنه. أمرنا أن نتولىٰ أبا الخطاب ثم أمرنا ان نلعنه ونبرأ منه. فقال أبو الحسن عليه السلام وهو غلام : ان الله تعالىٰ خلق خلقاً للإيمان لا زوال له، وخلق خلقاً للكفر لا زوال له، وخلق خلقاً بين ذلك أعارهم الإيمان يسمون المعارين إن شاء سلبهم وكان أبو الخطاب ممن أُعير الإيمان. قال فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته بما قلت لأبي الحسن وما قال لي، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام انه نبعة نبوة، يعني نبع من ينبوع النبوة .

وعن محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال : ان الله تعالىٰ خلق خلقاً للإيمان لا زوال له، وخلق خلقاً للكفر لا زوال له، وخلق خلقاً بين ذلك، واستودع بعضهم الإيمان فإن شاء أن يتمه لهم أتمه، وإن شاء أن يسلبهم إياه سلبهم، وكان فلان منهم معاراً .

وعن الصادق عليه السلام : ان الله تعالىٰ جعل النبيين على نبوتهم فلا يرتدّون أبداً، وجعل الأوصياء على وصاياهم فلا يرتدّون أبداً، وجعل بعض المؤمنين على الإيمان فلا يرتدون أبداً، ومنهم من أُعير الإيمان فإذا هو دعا وألح في الدعاء مات على الإيمان .

وعنه عليه السلام قال : ان العبد ليصبح مؤمناً ويمسي كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً، وقوم يعارون الإيمان ثم يسلبونه ويسمونهم المعارين، ثم قال فلان منهم .

وعن الصحاف قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام لم يكون الرجل عند الله مؤمناً قد ثبت له الإيمان عنده ثم ينقله الله عز وجل بعد من الإيمان إلى الكفر. فقال ان الله تبارك وتعالىٰ هو العدل إنما دعا العباد إلى الإيمان به ولا يدعو أحداً إلى الكفر به، فمن آمن بالله تعالىٰ ثم ثبت له الإيمان عند الله تعالىٰ لم ينقله الله من الإيمان إلى الكفر. قلت له فيكون الرجل كافراً قد ثبت له الكفر عند الله ثم ينقله الله بعد ذلك من الكفر إلى الإيمان. قال فقال إن الله تعالى خلق الناس كلهم على الفطرة التي فطرهم عليها، لا يعرفون إيماناً بشريعة ولا

كفراً بجحود، ثم بعث الله عز وجل الرسل يدعون العباد إلى الإيمان به، فمنهم من هدىٰ الله ومنهم من لم يهده الله ولعل المراد بالفطرة قابلية الإيمان والكفر، ويكون حاصل الجواب ان العباد مع تفاوتهم لهم قابلية الكفر والإيمان، ولم يجبر أحداً منهم على الكفر لا بحسب الخلقة ولا بحسب التقصير في الهداية، لأنهم بسوء اختيارهم وأعمالهم وأخلاقهم لم يستحقوا الهدايات الخاصة والتوفيقات، وهذا أحد معاني الأمر بين الأمرين .

وعن الصادق عليه السلام قال : ان الحسرة والندامة والويل كله لمن لم ينتفع بما أبصره، ولم يدر ما الأمر الذي هو عليه مقيم أنفع له أم ضر. قلت فبم يعرف الناجي من هؤلاء جعلت فداك، قال من كان فعله لقوله موافقاً فأثبت له الشهادة بالنجاة، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنما ذلك مستودع، وقد ورد في أخبار كثيرة الاستعاذة من مضلات الفتن، والحق ان الإيمان الكامل البالغ إلى مرتبة عين اليقين كإيمان الأنبياء والأوصياء وكمل المؤمنين العارفين يمتنع زواله عادة، ولكن بلوغ الإيمان إلى هذه الدرجة في غاية الندرة، وتكليف عامة الناس بذلك يلزم منه العسر والحرج المنفيان عقلاً ونقلاً، آية ورواية، بل لعله يلزم منه تكليف ما لا يطاق. وأما على ما ذهب إليه جماعة من محققي المتأخرين من الاكتفاء بالظن القوي وما تطمئن به النفس في الإيمان فزوال ذلك ممكن، وقد عرفت ان درجات الإيمان متفاوتة فيمكن أن يزول بعضه بالشك، وبعضه بالإنكار، وبعضه معار ويمكن أن يزول بعضه بالقول، وبعضه بالفعل، وبعضه بالاعتقاد .

٧ ـ حقيقة الكفر والارتداد :

قال الشهيد الثاني رحمه الله : عرّف الكفر جماعة بأنه عدم الإيمان عما من شأنه أن يكون مؤمناً، سواء كان ذلك العدم بضد أو لا بضد. فبالضد كأن يعتقد عدم أحد الأُصول التي بمعرفتها يتحقق الإيمان، أو عدم شيء منها، أو بغير الضد كالخالي من الاعتقاد به، أي اعتقاد، ما به يتحقق الاعتقاد واعتقاد عدمه وذلك كالشاكّ أو الخالي بالكلية كالذي لم يقرع سمعه شيء من الأُمور التي يتحقق الإيمان بها، ويمكن إدخال الشك في القسم الأول إذ الضد يخطر بباله وإلا لما صار شاكاً، واعترض بأن الكفر قد يتحقق مع التصديق بالأُصول المعتبرة بالإيمان، كما إذا ألقى إنسان المصحف في القاذورات عامداً أو وطأه كذلك، أو عدم الإقرار باللسان جحداً، وحينئذ فينتقض حد الإيمان منعاً وحد الكفر جمعاً .

وأُجيب تارة بأنا لا نسلم بقاء التصديق لفاعل ذلك، ولو سلمنا بقاءه حالة وقوع ذلك لكن يجوز أن يكون الشارع جعل وقوع شيء من ذلك علامة وامارة على تكذيب فاعل ذلك وعدم تصديقه، فيحكم بكفره عند صدور ذلك منه. وهذا كما جعل الإقرار باللسان علامة على الحكم بالإيمان مع انه قد يكون كافراً في نفس الأمر، وتارة بأنه يجوز ان يكون الشارع حكم بكفره ظاهراً عند صدور شيء من ذلك حسماً لمادة جرأة المكلفين على انتهاك حرماته وتعدي حدوده، وإن كان التصديق في نفس الأمر حاصلاً وغاية ما يلزم من ذلك جواز الحكم بكون شخص واحد مؤمناً وكافراً، وهذا لا محذور فيه لأنا نحكم بكفره ظاهراً وإمكان إيمانه باطناً، فالموضوع مختلف فلم يتحقق اجتماع المتقابلين ليكون محالاً. ونظير ذلك ما ذكرناه من دلالة الإقرار على الإيمان فيحكم به مع جواز كونه كافراً في نفس الأمر. انتهىٰ.

وأما المرتد فالمشهور بين العلماء انه قسمان فطري وملي، والفطري من انعقدت نطفته في حال إسلام أحد أبويه ولا خلاف في كفره وعدم قبول توبته ظاهراً، ووجوب قتله وفسخ نكاحه وإبانة امرأته منه واعتدادها عدة الوفاة، وقسمة أمواله بين ورثته وإن لم يقتل واختلف في صحة توبته واقعاً أو عدمها، فأكثر المحققين على الأول لأنه مكلف بالإسلام، فلو لم تصح توبته كان تكليفاً بالمحال، وحينئذ فلو لم يطلع أحد على ارتداده أو اطلع ولم يتمكن من قتله وتاب فتوبته مقبولة وعباداته ومعاملته صحيحة واقعاً، نعم يقسم ماله وتبين امرأته وقيل يجوز أن يعقد عليها بعد العدة، وقيل في أثناء العدة أيضاً، ولا يخلو من إشكال وقيل بعدم قبول توبته واقعاً أيضاً وخلوده في جهنم، لأن مثل هذا المحال هو التزمه على نفسه فقبحه يرجع إليه لا إلى مكلفه.

والمرتد الملي من تولد كافراً ثم أسلم ثم كفر، والمشهور انه يجبر على التوبة فإن تاب قبلت توبته ظاهراً وواقعاً، وإن لم يتب قتل. واختلف في مدته فقيل ثلاثة أيام كما روي، وقيل لا حد لذلك بل ما احتمل توبته ورجوعه جبر وضرب على ذلك، فإن أيس من ذلك قتل، وهذا كله بالنسبة إلى الرجال. وأما النساء فإنهن يحبسن بعد الارتداد ولو عن فطرة حبساً مؤبداً، ويضربن أوقات الصلاة إلى ان يرجعن إلى الإسلام.

وذهب ابن الجنيد من علمائنا وأكثر العامة إلى ان المرتد قسم واحد، فيكلف بالتوبة ملياً كان أو فطرياً، فإن تاب قبلت توبته وإلا قتل. واعلم ان الأصحاب قد اتفقوا على ان إنكار أحد ضروريات الإسلام موجب للكفر، ولكنهم لم يحصروا الضروريات بل ذكروها

متفرقة في كتب الفقه، فلنشر إلى جملة منها هنا، وقد ذكرنا سابقاً ان المراد بضروري الدين ما كان وضوحه وبداهته في دين الإسلام ضرورياً، بحيث ان كل من دخل في ذلك الدين عرفه إلا من كان جديد الإسلام أو في بلدان الكفر، أو بعيداً عن بلدان الإسلام بحيث لم يطرق سمعه ذلك، كوجوب الفرائض الخمس في اليوم والليلة وعدد ركعات كل منها، واشتمالها على الركوع والسجود بل التكبير والقيام والقراءة في الجملة على قول، ومثل اشتراط الصلاة بالطهارة في الجملة، ووجوب غسل الجنابة والحيض بل النفاس على الأقوىٰ، ونقض البول والغائط والريح للوضوء على قول، ووجوب غسل الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه أو رجحان ذلك، ووجوب الزكاة في الجملة وصوم شهر رمضان ونقض الأكل والشرب المعتادين والجماع في القبل للصوم، ووجوب الحج في الجملة واشتماله على الطواف بل على السعي بين الصفا والمروة في الجملة والوقوفين، ووجوب الجهاد في الجملة على احتمال، ورجحان الجماعة في الفرائض في الجملة، ورجحان التصدق في الجملة، وفضيلة العلم وأهله، وفضيلة الصدق النافع وقبح الكذب الضار، وحرمة الزنىٰ واللواط بل تقبيل الأجنبية والأمرد بشهوة على الأظهر، وحرمة شراب العنب، وحرمة أكل الميتة ولحم الخنزير في الجملة، وحرمة نكاح الأُمهات والاخوات وبنات الأخ وبنات الأخت والعمات والخالات وأُم المرأة بل الجمع بين الاختين على الأظهر، وحرمة الربا، وحرمة الظلم وأكل مال الناس بالباطل، وحرمة قتل المسلمين بغير حق، ومرجوحية سب المسلمين ولعنهم وأذيتهم وإهانتهم بلا سبب بل الغيبة والبهتان على احتمال، ورجحان السلام والجواب على احتمال، ورجحان الاحسان مع الأبوين ومرجوحية عقوقهم بل رجحان صلة مطلق الأرحام على احتمال، وحكم الوارث في الجملة وان الوارث أحق بمال الميت من غيره، بل العمل بالوصية في الجملة على احتمال، وان التصدقات والخيرات تنفع الأموات على الأظهر، ورجحان الصوم في الجملة وان العقد يبيح الوطء والطلاق يفيد تفريقه في الجملة، ووجوب ستر النساء عن الأجانب في الجملة، ومرجوحية النظر إلى عورة الأجانب، ومرجوحية وطء الحيوانات، وأن عقد البيع والاجارة والصلح يفيد الانتقال في الجملة على الأظهر، وان ذبح الحيوانات الحلال يفيد حليتها في الجملة، وحرمة السرقة وقطع الطريق، وحقية القرآن الكريم وانه منزل من عند الله بل انه معجز على الأظهر، ووجوب مودة أهل البيت وتعظيمهم، ولذا كفر النواصب والخوارج. وكما ان إنكار ضروري الدين يخرج منكره عن الدين، فكذا من أنكر ضروري مذهب الإمامية يخرج من مذهبهم، كإنكار إمامتهم

وكمالهم عليهم السلام وعلمهم وفضلهم وورعهم بل عصمتهم والنص عليهم من الله ورسوله على الأظهر، وانه لا يزيد عددهم على الاثني عشر، وان الإمام الثاني عشر موجود يتوقع ظهوره، ووجوب البراءة من الجبت والطاغوت والأوثان وغاصبي حقهم وقاتليهم وظالميهم والتبري من جميع أعدائهم، ووجوب الاعتقاد بحسن حال سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار، وحلية المتعة وحج التمتع وقول حي على خير العمل في الأذان والإقامة، ومسح الرجلين في الوضوء وعدم استحباب التكتف وقول آمين في الصلاة وقول الصلاة خير من النوم في الأذان، واستحباب زيارة قبور الأئمة وتعميرها وتعظيمهم، وحرمة لحم الكلب بل سائر السباع والحشرات على احتمال، وحرمة وطء المحارم مع لف الذكر بالحرير، وعدم الجبر وعدم سقوط العبادات ونحو ذلك، والحاصل ان ضروري الدين ما يكون دليله واضحاً عند علماء الإسلام بحيث لا يصلح لاختلافهم فيه، ونحو ذلك ضروري المذهب .

٨ ـ تعيين زمان التكليف :

اعلم ان جمعاً من المتكلمين حددوا وقت التكليف بالمعارف بالتمكن من العلم بالمسائل الأصولية، حيث قالوا ان المكلف يشترط كونه قادراً على ما كلف به، مميزاً بينه وبين غيره مما لم يكلف به، متمكناً من العلم بما كلف به، إذ التكليف بدون ذلك محال، والظاهر أن هذا يتوقف على تحقق البلوغ الشرعي بإحدىٰ العلامات المذكورة في كتب الفروع، بل قد يكون قبل ذلك بسنتين أو بعده كذلك، بحسب مراتب الإدراك قوة وضعفاً. وذكر بعض فقهائنا ان وقت التكليف بالمعارف الإلهية هو وقت التكليف بالأعمال الشرعية، إلا أنه يجب أولاً بعد تحقق البلوغ والعقل المسارعة إلى تحصيل المعارف قبل الإتيان بالأعمال، وأورد عليه أنه يلزم منه أن يكون الإناث أكمل من الذكور، لأن الانثىٰ تخاطب بالعبادة عند كمال التسع إذا كانت عاقلة فتخاطب بالمعرفة أيضاً عند ذلك، والصبي لا يبلغ عند كمال التسع بالاحتلام ولا بالإنبات على ما جرت به العادة، فلا يخاطب بالمعرفة وان كان مميزاً عاقلاً لعدم خطابه بالعبادات، فتكون أكمل منه استعداداً للمعارف وهو بعيد من مدارك العقل والنقل. وذهب بعض العلماء إلى وجوب المعرفة على من بلغ عشراً عاقلاً، ونسب ذلك إلى الشيخ الطوسي رحمه الله ، وهذا مخالف للأحاديث الكثيرة الدالة على رفع القلم عن الصبي حتى يبلغ، وهذا كله على تقدير وجوب تحصيل اليقين في المعارف والاستدلال وعدم الاكتفاء بالظن القوي والتقليد، وعلى تقدير كون

المعارف كسبية لا فطرية، وأما على تقدير كونها فطرية فلا إشكال كما يأتي ان شاء الله تعالىٰ .

٩ ـ الإنسان في زمان مهلة النظر هل هو كافر أو مؤمن :

قال الشهيد الثاني رحمه الله جزم السيد المرتضى (ره) بكفره واستشكل بعضهم، والظاهر ان محل النزاع في من لم يسبق منه اعتقاد ما يوجب الكفر، فإنه في زمان طلب الحق بالنظر فيه مع بقاء ذلك الاعتقاد لا ريب في كفره، بل النزاع فيمن هو في أول مراتب التكليف، إذا وجه نفسه للنظر في تحقيق الحق ليعتقد ولم يكن معتقداً لما يوجب الكفر، بل هو متردد حتى يرجح عنده شيء فيعتقد. وكذا من سبق له اعتقاد ما يوجب الكفر لكنه رجع عنه إلى الشك بسبب نظره في تحقيق الحق ولما يترجح عنده الحق، فهذان هل هما كافران في هذا النظر أم لا .

أقول: ما تقدم من تعريف الكفر بأنه عدم الإيمان عما من شأنه ان يكون مؤمناً يقتضي الحكم بكفرهما حالة النظر لصدق عدم الإيمان عليهما في تلك الحالة. وهذا مشكل جداً لأنه يقتضي الحكم بكفر كل أحد أول كمال عقله الذي هو أول وقت التكليف بالمعرفة، لأنه أول وقت إمكان النظر، إذ النظر قبله لا عبرة به، ويقتضي ان يكون من أدركه الموت في تلك الحالة مخلداً في جهنم، ولا يخفى بعد ذلك عن حكمة الله تعالىٰ وعدله، ولزوم إما التكليف بما لا يطاق ان عذبه على ترك الإيمان حيث لم يمض وقت يمكنه تحصيله فيه قبل الموت كما هو المفروض، أو الظلم الصرف ان لم يكن يقدر على ذلك تعالىٰ الله عن ذلك إذا لم يسبق له اعتقاد ما يوجب الكفر كما هو المفروض أيضاً ليكون التعذيب عليه. ويلزم من ذلك القدح في صحة تعريف الكفر بذلك اللهم إلا ان يقال ان مثل هذا النوع من الكفر لا يعذب صاحبه، لكنه يلزم منه القدح في الإجماع على ان كل كافر مخلد في النار، وليس بعيداً التزام ذلك وان يكون المراد من الكافر المخلد من كان كفره عن اعتقاد، فيكون الاجماع مخصوصاً بمن عدىٰ الأول. إن قلت ان لم يكن هذا الشخص من أهل النار يلزم ان يكون من أهل الجنة، إذ لا واسطة بينهما في الآخرة على المذهب الحق، فيلزم ان يخلد في الجنة من لا إيمان له أصلاً كما هو المفروض، وهو مخالف لما عقد عليه الإجماع من ان غير المؤمن لا يدخل الجنة .

قلت يجوز ان يكون إدخال الجنة تفضلاً من الله تعالىٰ كالأطفال، ويكون الاجماع مخصوصاً بمن كلف الإيمان ومضت عليه مدة كان يمكنه تحصيله فيها فقصر. وأقول أيضاً

الذي يقتضيه النظر ان هذا الشخص لا يحكم عليه بكفر ولا بإيمان في زمان النظر حقيقة بل تبعاً كالأطفال، فإنه لم يتحقق له التكليف التام ليخرج عن حكم الأطفال، فهو باق على ذلك إلى ان يمضي عليه زمان يمكن فيه النظر الموصل إلى الإيمان، لكن هذا لا يتم فيمن لم يسبق له الكفر كمن هو في أول بلوغه، أما من سبق له اعتقاد الكفر ثم رجع عنه إلى الشك فيتم فيه. انتهىٰ .

والحق ان الشريعة السهلة السمحة أوسع من ذلك، وان الله لا يكلف نفساً إلا ما آتاها، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والوسع دون الطاقة، ووجود الصانع وتوحيده فطريان كما تقدمت الإشارة إليه، وأكثر المعارف الأخر يجوز أخذها من الشارع ولو بواسطة والاطمئنان التام كاف بالنسبة إلى أكثر الناس والذي يستفاد من الأخبار المتواترة ان معرفة الله تعالىٰ بعنوان انه الخالق العالم، وان له رضىً وسخطاً، وانه لا بد من معلم من جهته تعالىٰ ليعلم الخلق ما يرضيه وما يسخطه من الأمور الفطرية التي وقعت في القلوب بإلهام فطري إلهي كما قالت الحكماء، والطفل يتعلق بثدي أمه بإلهام فطري، إلهي، وتوضيح ذلك انه تعالىٰ ألهمهم تلك القضايا أي خلقها في قلوبهم وألهمهم بدلالات واضحة تلك القضايا، ثم أرسل إليهم الرسول وأنزل عليه الكتاب فأمر فيه ونهىٰ، وبالجملة لم يتعلق بهم وجوب ولا غيره من التكليفات قبل بلوغ الخطاب، وكل من بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وآله يقع في قلبه من الله يقين بصدقه لتضافر الأخبار بأنه ما من أحد إلا وقد يرد عليه الحق حتى يصدع قلبه قبله أو تركه، وحينئذ فأول الواجبات الإقرار اللساني بالشهادتين. وكذا تواترت الأخبار بأن على الله التعريف والبيان، وعلى الخلق ان يقبلوا ما عرفهم الله تعالىٰ، وطريق التعريف والبيان انه تعالىٰ أولاً يلهمهم بتلك القضايا، وكذلك يلهمهم بدلالات واضحة عليها صادعة قلوبهم، ثم بعد ذلك تبلغهم دعوة النبي صلى الله عليه وآله والدلالة على صدقه، ثم بعد ذلك يجب عليهم الإقرار بالشهادتين في ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله إجمالاً، وبيان من لم يحصل في حقه هذه الأمور سواء كان من أهل الفترة أو كان له مانع آخر لم يتعلق به تكليف في دار الدنيا ويتعلق به تكليف بدل ذلك يوم القيامة، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيَّ عن بينة .

ففي توحيد الصدوق عن العجلي عن الصادق عليه السلام قال : ليس لله على خلقه ان يعرفوا قبل ان يعرِّفهم وللخلق على الله ان يعرِّفهم ولله على الخلق إذا عرَّفهم ان يقبلوا .

وعن حمزة بن الطيار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لي اكتب فأملىٰ علي أن من

قولنا ان الله يحتج على العباد بما آتاهم وعرَّفهم، ثم أرسل إليهم رسولاً وأنزل عليه الكتاب فأمر فيه ونهىٰ، أمر فيه بالصلاة والصوم فنام رسول الله ﷺ عن الصلاة، فقال أنا أنيمك وأنا أوقظك فاذهب وصلّ ليعلموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون، ليس كما يقولون إذا نام عنها هلك. وكذلك الصيام أنا أُمرضك وأنا أُصححك فإذا شفيتك فاقضه. ثم قال الصادق عليه السلام : وكذلك إذا نظرت في جميع الأشياء لم تجد أحداً إلا في ضيق، ولم تجد أحداً إلا ولله عليه الحجة وله فيه المشيئة. ولا أقول انهم ما شاؤوا صنعوا وما أُمروا إلا بدون سعتهم يعني بمن يعلق به التكليف، وكل شيء أُمر الناس به فهم يسعون له، وكل شيء لا يسعون له فهو موضوع عنهم، ولكن أكثر الناس لا خير فيهم. ثم قال : **﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضىٰ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ولرسوله﴾** فوضع عنهم: **﴿ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾** الآية فوضع عنهم لأنهم لا يجحدون .

وعن حماد بن عبد الأعلىٰ قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام أصلحك الله هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة. قال فقال لا. قلت فهل كلفوا المعرفة، قال لا على الله البيان، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها. قال وسألته عن قوله عز وجل : **﴿ما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾** قال حتى يعرِّفهم ما يرضيه ويسخطه .

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام انه سئل عن المعرفة أمكتسبة هي فقال لا. فقيل له فمن صنع الله عز وجل وعطائه هي. قال نعم، وليس للعباد فيها صنع ولهم اكتساب الأعمال .

وعن محمد بن حكيم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام المعرفة صنع من هي. قال من صنع الله عز وجل، ليس للعباد فيها صنع .

وعنه عليه السلام : ان الله عز وجل احتج على الناس بما آتاهم وما عرَّفهم .

وعن عبد الأعلىٰ بن أعين قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عمن لم يعرف شيئاً هل عليه شيء قال لا .

وعنه عليه السلام قال : ما حجب الله علمه عن العباد فهو موضوع عنهم .

وعنه عليه السلام ستة أشياء ليس للعباد فيها صنع، المعرفة والجهل والرضا والغضب

والنوم واليقظة، والمراد بالغضب ما يكون في الباطن لا ما يظهر باليد واللسان فإنه من فعل العبد يحاسب عليه.

وفي محاسن البرقي عن الصادق عليه السلام قال: لم يكلف الله العباد المعرفة ولم يجعل لهم إليها سبيلاً.

وفي توحيد الصدوق عن العلا بن الفضل عن الصادق عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ قال التوحيد.

والأخبار في ذلك متواترة أشرنا إلى جملة منها في صدر الكتاب. وفي بعضها فطرهم على المعرفة، فإن قيل كيف يمكن القول بأن التصديقات فائضة من الله تعالىٰ على النفوس الناطقة ومنها كاذبة ومنها كفرية. وهذا إنما يتجه على قول الأشاعرة المنكرين للحسن والقبح الذاتيين، والقائلين بجواز العكس بأن الله يجعل كل ما حرمه واجباً وبالعكس، لا على رأي المعتزلة والإمامية.

قلنا يمكن الجواب بوجوه:

الأول: ان الله يحول بين المرء وبين أن يجزم باطلاً، ففي محاسن البرقي أن أيوب الحر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أيوب ما من أحد إلا وقد يرد عليه الحق حتى يصدع قلبه قبِله أم تركه، وذلك ان الله يقول في كتابه: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون**﴾[1].

وعنه عليه السلام قال: ليس من باطل يقوم بإزاء الحق إلا غلب الحق الباطل، وذلك قوله ﴿**بل نقذف**﴾، الآية.

وعن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام في قول الله تبارك تعالىٰ: ﴿**واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**﴾ فقال: يحول بينه وبين ان يعلم أن الباطل حق.

وعنه عليه السلام قال: أبى الله ان يعرف باطل حقاً، أبىٰ الله أن يجعل الحق في قلب المؤمن باطلاً لا شك فيه، وأبىٰ الله ان يجعل الباطل في قلب الكافر المخالف حقاً لا شك فيه، ولو لم يجعل هذا هكذا ما عرف حق من باطل.

وفي كتاب التوحيد عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿**واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**﴾ قال يحول بينه وبين ان يعلم أن الباطل

(١) سورة الأنبياء؛ الآية: ١٨.

حق. لا يقال نشاهد في كثير من الناس آثار جزمهم بما هو خلاف الواقع، لأنا نقول كثيراً ما يظن كثير من الناس الظن المتاخم للجزم جزماً فيزعمون انهم جزموا وليس كذلك .

الثاني : ان يقال التصديقات الصادقة فائضة على القلوب من الله تعالىٰ بلا واسطة، أو بواسطة ملك، وهي تكون جزماً وظناً. والتصديقات الكاذبة تقع في القلوب بإلهام الشيطان، وهي لا تتعدىٰ الظن ولا تصل إلى حد الجزم، وإلا لما قامت لله حجة إذ ما وراء اليقين شيء. لا يقال إنما دل على ان المعرفة موهبية مناف للآيات والأخبار الكثيرة من وجوب طلب العلم، وأن طلبه فريضة على كل مسلم لأنا نقول المراد بالمعرفة الموهبية ما يتوقف عليه حجية الأدلة السمعية من معرفة صانع العالم، وأن له رضا وسخطاً، وأنه يجب ان ينصب واسطة بينه وبين خلقه يبين للناس ما يصلحهم مما يفسدهم، والعلم المأمور به ما عدا ذلك من الأدلة السمعية ونحوها، كما قال ﷺ : إنما العلم آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة. ويشهد لذلك قوله تعالىٰ في الرواية السابقة: إن الله احتج على العباد بما آتاهم وعرّفهم، ثم أرسل إليهم الرسول وأنزل عليه الكتاب وأمر فيه ونهىٰ، حيث قدم ما قدم على الأمر والنهي وهو المعارف، وما يستفاد من الأمر والنهي هو العلم، ويستفاد من هذه الروايات ونحوها ان من لم تبلغه الدعوة ومن يحذو حذوهم لا يتعلق به تكليف بالمعارف لأنها من الله، والله العالم بالصواب وإليه المرجع في المآب والاتكال في كل باب .

تم الكتاب بعون الملك الوهاب على يد مؤلفه الفقير الحقير كثير الذنب والتقصير أفقر الخلق إلى ربه الغني عبد الله ابن محمد رضا الحسيني في عصر يوم الخميس التاسع عشر من المحرّم الحرام سنة ١٢٢٦هـ حامداً مصلياً مسلماً والحمد لله أولاً وآخراً وظاهر وباطناً .

الخـاتمـة

لا يخفى على القراء المحترمين انه لما كان الكتاب المسمىٰ بالحق اليقين في معرفة أُصول الدين للسيد الجد الأكبر السيد عبد الله شبر قدس الله سره من أهم كتب الإمامية شأناً، وأنفسها قدراً ومكاناً، قد أُلف قبل سنين تناهز المائة والثلاثين، ليس بالمطول الممل ولا بالمختصر المخل، قد جمع بين الأدلة العقلية والنقلية، تهش إليه الطباع السليمة وتشتاقه الأفهام المستقيمة، لا يوجد منه فيما أعلم سوىٰ أربع أو خمس نسخ، دعاني بعض الفضلاء المحصلين والعلماء العاملين والاخوان في الدين أن أقوم بنشره

وطبعه على نفقة أُولئك المحترمين، وكان يوقفني عن ذلك العزم والقيام بهذا المشروع الخيري تشتت البال وتفاقم الأحوال، فكثر علي الالحاح من أُولئك المحترمين بصورة لم يسعني مخالفتهم، فاستخرت الله سبحانه وبادرت لامتثال أوامرهم طالباً من الله المعونة والإمداد والتوفيق والسداد إنه ولي ذلك وأهله .

وكان اعتماد الطبع على نسخة الأصل التي هي بخط المصنف (قده)، فجاءت بحمد الله مهذبة أحسن تهذيب، مبوبة أجود تبويب حسب الجهد والطاقة واستفراغ الوسع إلا ما زاغ عنه البصر وشذ عنه القلم، ثم لما قدمتها إلى النشر وقاربت بحث الإمامة ورأيت جل ما رواه (قده) في ذلك المبحث عن كتب أهل السنة والجماعة، مستقاة من الكتب المعتبرة المعول عليها لديهم كالصحاح الستة والجمع بينها والجمع بين الصحيحين وغيرها، والتواريخ المعتبرة كتاريخ ابن الأثير والطبري وما شاكلهما، أحببت ضبط تلك الروايات على نحو الطريقة المتبعة اليوم من تعيين الأبواب والأجزاء، تسهيلاً للطالب فجاء ولله الحمد على وفق المراد ولربما أضفت إليها كتباً أُخر نقلت فيها أيضاً تلك الروايات وهاتيك الآثار زيادة في الاستناد وقوة في الاعتماد، ولربما نقل المصنف (قده) عن كتاب لم يتسن لي العثور عليه إما لعدم طبعه أو لقلة نسخته أو لعدم تيسره في الوقت الحاضر لدي، حيث كان الوقت ضيقاً لا يسع كمال البحث والتنقيب، ذلك اني شرعت في هذا الأمر المهم الذي يحتاج إلى متسع من الوقت بعد ان قدمت الكتاب للنشر وخرج منه جملة ملزمات، لذلك اضطررت ان أنقل عن كتاب آخر إذ كان الغرض ذكر المستند لتلك الآثار من كتب أهل السنة والجماعة، وما لا يدرك كله لا يترك كله والميسور لا يسقط بالمعسور .

هذا وقد أهملت كثيراً من المطالب ولم أذكر لها مستنداً، وليس ذلك لعدم وجوده بل للعلة التي ذكرتها من ضيق الوقت وقصور الباع وقلة الاطلاع، وعدم تيسر تلك الكتب لدي في الوقت الحاضر، ولا يخفىٰ ان كل كتاب نقلت عنه عينت الطبعة في أي محل، وفي أي سنة، ليكمل النفع ويقل بحث الطالب وها هي مشروحة لديك :

١ ـ صحيح البخاري المطبعة الميمنية مصر سنة ١٣٢٠هـ .
٢ ـ صحيح مسلم طبع مصر سنة ١٢٩٠هـ .
٣ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر طبع مصر سنة ١٣٠٨هـ .
٤ ـ فتوح البلدان للبلاذري طبع مصر سنة ١٣١٨هـ .
٥ ـ الإصابة لابن حجر طبع مصر سنة ١٣٢٨هـ .

٦ ـ كشف المحجة للسيد علي بن طاوس طبع إيران سنة ١٣٠٦هـ .
٧ ـ الاستيعاب لابن عبد البر طبع حيدر آباد الدكن سنة ١٣١٩ هـ .
٨ ـ كامل ابن الأثير طبع مصر سنة ١٢٩٠هـ .
٩ ـ تاريخ الطبري الطبعة الأُولىٰ بالمطبعة الحسينية المصرية .
١٠ ـ السيرة الحلبية الطبعة الأُولىٰ مصر سنة ١٣٠٨هـ .
١١ ـ الملل والنحل للشهرستاني الطبعة الأُولىٰ المطبعة الأدبية مصر سنة ١٣٢١هـ .
١٢ ـ تفسير السيوطي الدر المنثور المطبعة الميمنية مصر سنة ١٣١٤هـ .
١٣ ـ الكشاف للزمخشري المطبعة الشرقية مصر سنة ١٣٠٧هـ .
١٤ ـ تفسير القاضي البيضاوي طبع اسلامبول سنة ١٣٠٥هـ .
١٥ ـ تفسير الفخر الرازي طبع اسلامبول مطبعة علي بك سنة ١٢٩٤ هـ .
١٦ ـ تفسير ابن جرير الطبري جامع البيان المطبعة الميمنية مصر سنة ١٣٢١هـ .
١٧ ـ تفسير غرائب القرآن لنظام الدين النيشابوري طبع إيران سنة ١٢٨٠هـ .
١٨ ـ كنز العمال طبع حيدر آباد الدكن دائرة المعارف النظامية سنة ١٣١٤هـ .
١٩ ـ تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي طبع طهران سنة ١٢٨٧هـ .
٢٠ ـ تفسير الجلالين طبع مصر سنة ١٣٠٨هـ .
٢١ ـ نور الأبصار للشبلنجي واسعاف الراغبين بهامشه طبع مصر سنة ١٣١٥هـ .
٢٢ ـ الإمامة والسياسة لابن قتيبة طبع مصر مطبعة النيل سنة ١٣١٠هـ .
٢٣ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان المطبعة الميمنية مصر سنة ١٣١٠هـ .
٢٤ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي جلال الدين المطبعة الميمنية مصر سنة ١٣٠٥هـ .
٢٥ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه مطبعة الشرقية مصر سنة ١٣١٦هـ .
٢٦ ـ محاضرة الأدباء للراغب طبع مصر سنة ١٣٢٦ هـ .
٢٧ ـ أسد الغابة لابن الأثير طبع مصر سنة ١٢٨٠هـ .
٢٨ ـ خصائص النسائي أحمد بن شعيب طبع مصر سنة ١٣٠٨هـ .
٢٩ ـ مسند أحمد طبعة مصر المطبعة الميمنية سنة ١٣١٣هـ .

علي شبر الحسيني

الفهـــرس

كتاب العدل

كتاب النبوة

كتاب الإمامة

الجزء الثاني

كتاب المعاد